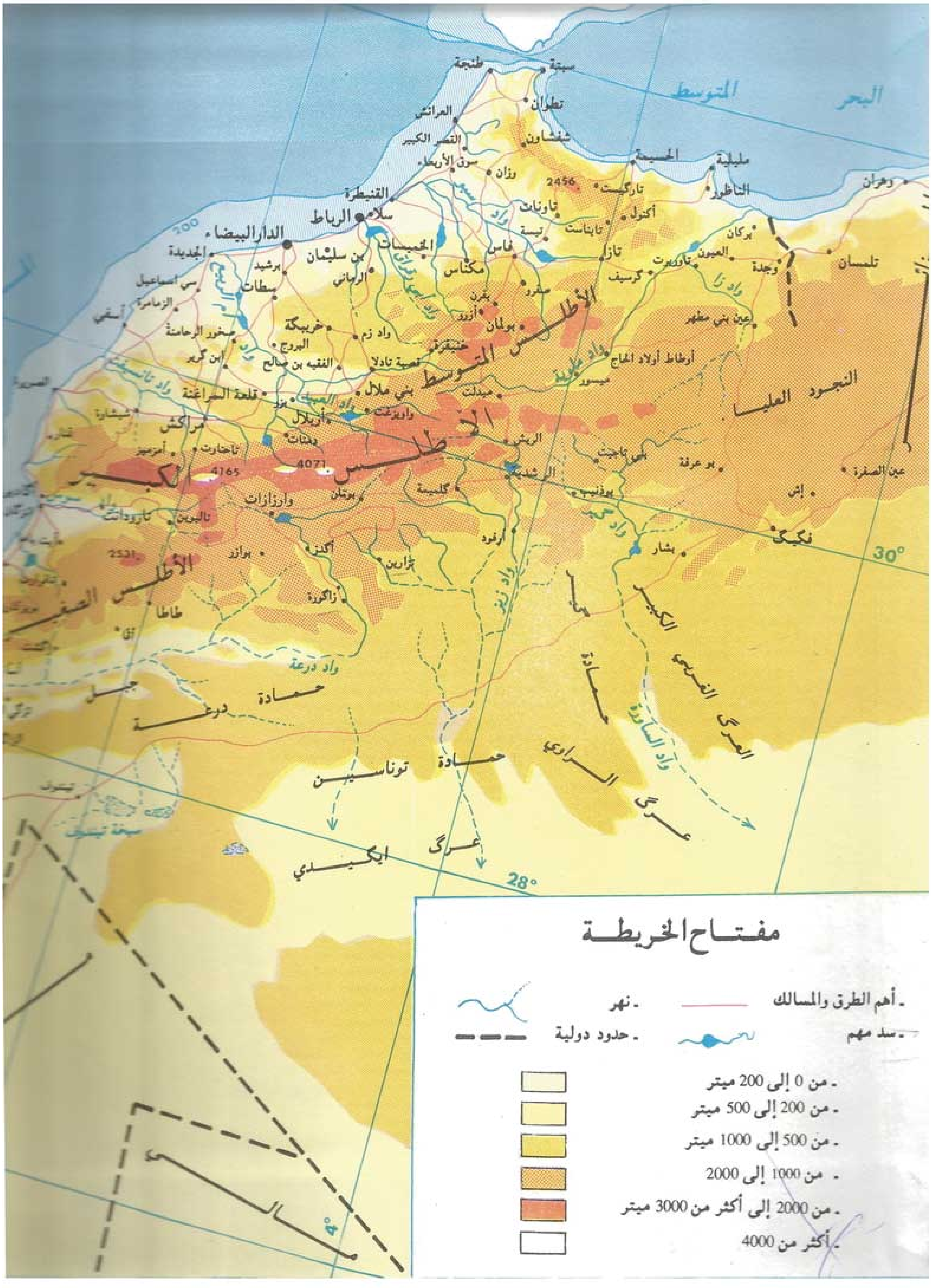
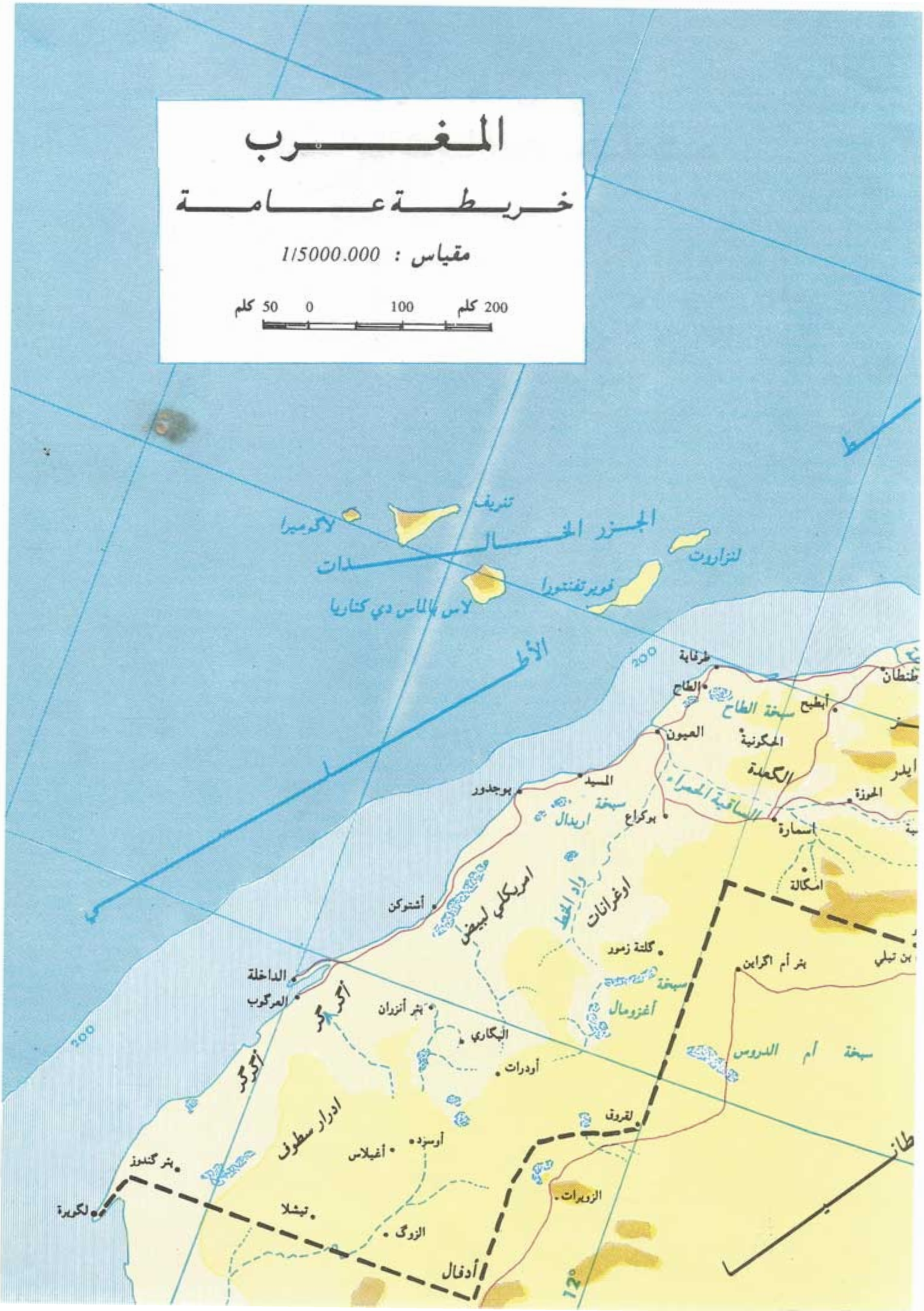
معلمة المغرب

12



البحر المتوسط
طنجة
سبتة
تطوان
العرائش
القصر الكبير
شفشاون
سوق الأربعاء
وزان
الحسيمة
مليلية
الناظور
وهران
القنيطرة
سلا
الرباط
الدارالبيضاء
الخميسات
مكناس
فاس
تازة
وجدة
تلمسان
الجديدة
بن سليمان
برشيد
سطات
آسفي
خريبكة
وادي زم
الفقيه بن صالح
قصبة تادلا
بني ملال
قلعة السراغنة
مراكش
الأطلس المتوسط
الأطلس الكبير
الأطلس الصغير
النجود العليا
الرشيدية
ورزازات
بشار
عين الصفرة
فكيك
واد درعة
واد زيز
واد الساورة
حمادة درعة
حمادة توناسين
حمادة كير
العرق الغربي الكبير
عرق الراوي
عرق ايكيدي
طاطا
4165
4071
2456
30°
28°
4°
مفتاح الخريطة
. أهم الطرق والمسالك
. نهر
. سد مهم
. حدود دولية
. من 0 إلى 200 ميتر
. من 200 إلى 500 ميتر
. من 500 إلى 1000 ميتر
. من 1000 إلى 2000
. من 2000 إلى أكثر من 3000 ميتر
. أكثر من 4000


المغرب
خريطة عامة
مقياس : 1/5000.000
200 كلم 100 0 50 كلم
تنريف
لاكوميرا
الجزر الخالدات
لنزاروت
فويرتفنتورا
لاس بالماس دي كناريا
الأطلسي
200
طرفاية
الطاح
سبخة الطاح
أبطيح
طنطان
العيون
الحكونية
الكعدة
المسيد
بوجدور
سبخة اريدال
بوكراع
الساقية الحمراء
الحوزة
اسمارة
امكالة
أشتوكن
امريكلي لبيض
واد الخط
اوغرانات
كلتة زمور
بئر أم اكراين
الداخلة
العركوب
سبخة أغزومال
بئر أنزران
البكاري
أودرات
سبخة أم الدروس
أكركر
ادرار سطوف
لقروق
أوسرد
أغيلاس
بئر كندوز
لكويرة
تيشلا
الزوك
الزويرات
أدفال
12°

معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.

12

من إنتاج

الجمعية المغربية

للتأليف والترجمة والنشر

نشر

مطابع سلا

2000 - 1421

معلمة المغرب

المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984/629

ردمك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)
ردمك 9 - 013 - 03 - 9981 (الجزء 12)

بسم الله الرحمن الرحيم

تم إعداد هذا الجزء من معلمة المغرب
بدعم من وزارة الثقافة والاتصال
ويسعد الهيئة العلمية للمعلمة
أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق
عبارات الشكر والامتنان

اختصارات

تـ .	= توفي
تح.	= تحقيق
تر.	= ترجمة
خ. تـ	= خزانة تطوان
خ. ح.	= الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص.	= الخزانة الصبيحية بسلا
خ. ع.	= الخزانة العامة بالرباط
خ. ق.	= خزانة القرويين بفاس
خ. ي.	= خزانة ابن يوسف بمراكش
د. تـ	= دون تاريخ
د. د. ع.	= دبلوم الدراسات العليا
د. م.	= دون مكان
ط.	= طبعة
←	= انظر

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

المشاركون في تحرير هذا الجزء

محمد **أخريف**، وزارة التربية الوطنية ـ القصر الكبير
محمد **أديوان**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **أزهار**، كلية الآداب ـ المحمدية
محمد **الأسعد**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء ـ عين الشق
أحمد **أشعبان**، باحث ـ تطوان
سعيد **أعراب**، باحث ـ تطوان
عمر **أفا**، كلية الآداب ـ الرباط
ع. العزيز **أكرير**، كلية الآداب ـ بني ملال
العربي **أكنينح**، المدرسة العليا للاساتذة ـ فاس
حسن **أميلي**، كلية الآداب ـ المحمدية
محند **أيت الحاج**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء
محمد **أيت حمزة**، كلية الآداب ـ الرباط
الهادي **بجيبجو**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
محمد **البدراوي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط
محمد الأمين **البزاز**، كلية الآداب ـ الرباط
منير **البصكري**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
الحسين **البعاوي**، وزارة التربية الوطنية ـ العرائش
ع. العزيز **بل فايدة**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد **بلعربي**، باحث ـ الرباط
عائشة **البلغيثي العلوي**، كلية الآداب ـ الرباط
رقية **بلمقدم**، كلية الآداب ـ القنيطرة
علي **البليشي**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **بنجلون**، باحث ـ الرباط
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب ـ المحمدية
محمد **بنشريفة**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية ـ سلا
عثمان **بناني**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد الأمين **بوخبزة**، باحث ـ تطوان
ع. القادر **بوراس**، وزارة التربية الوطنية ـ القنيطرة
أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب ـ فاس
محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء ـ عين الشق
مصطفى **بوشعراء**، باحث ـ سلا

عبد الله **بوصحابة**، كلية العلوم ـ فاس
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **بوعزيز**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط
بوشتى **بوعسرية**، كلية الآداب ـ مكناس
أحمد **بومزكو**، كلية الآداب ـ أكادير
جامع **بيضاء**، كلية الآداب ـ الرباط
ع. الله المرابط **الترغي**، كلية الآداب ـ تطوان
ع. العزيز **توري**، وزارة الثقافة والاتصال ـ الرباط
أحمد **التوفيق**، الخزانة العامة ـ الرباط
ع. العزيز **تيلاني**، كلية اللغة العربية ـ مراكش
حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية ـ مراكش
الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء
أحمد **جوماني**، باحث ـ الرباط
محمد **الحاتمي**، كلية الآداب ـ أكادير
حسن **حافظي علوي**، كلية الآداب ـ مراكش
محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء ـ بنمسيك
محمد **حجي**، كلية الآداب ـ الرباط
ع. الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب ـ وجدة
ع. الجليل **حليم**، كلية الآداب ـ فاس
محمد **حمام**، كلية الآداب ـ الرباط
العربي **الحمدي**، كلية الآداب ـ بني ملال
محمد **حنداين**، وزارة التربية الوطنية ـ أكادير
محمد **حنيني**، كلية الآداب ـ الرباط
علال **الخديمي**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **خربوعة**، المعهد العلمي ـ الرباط
أحمد **الخنبوبي**، كلية الآداب ـ بوردو
إسماعيل **الخياطي**، كلية الآداب ـ الجديدة
نجاة **الخياطي**، كلية العلوم ـ الرباط
مارية **دادي**، كلية الآداب ـ وجدة
محمد بن عبد العزيز **الدباغ**، وزارة الثقافة ـ فاس
نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب ـ مراكش
شفيق **الرفاگ**، كلية الآداب ـ أگادير
علال **ركوگ**، كلية الآداب ـ بني ملال
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي ـ الرباط
بوجمعة **رويان**، كلية الآداب ـ القنيطرة
أحمد **زروال**، باحث ـ مراكش
قاسم **الزهيري**، باحث ـ الرباط
زكية **ازوانات**، معهد الدراسات الافريقية ـ الرباط
ع. الفتاح **الزين**، البحث العلمي ـ الرباط
ع. الصادق **ساسبو**، المدرسة الغابوية ـ سلا
ع. العزيز **الساوري**، وزارة الثقافة والاتصال ـ الرباط
الحبيب **السباعي الإدريسي**، وزارة المالية ـ الرباط
العياشي **السربوت**، باحث ـ وزان
محمد **السعدين**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا
ع. السلام **السعيدي**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش
رشيد **السلامي**، كلية الآداب ـ مراكش
مصطفى **الشابي**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد السلام **الشدادي**، معهد البحث العلمي ـ الرباط
صالح **شكاگ**، وزارة التربية الوطنية ـ تمارة
المصطفى **شويكي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء ـ عين الشق
محمد **الشياظمي**، باحث ـ الرباط
ع. الرحمان **الطيبي**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا
حسن **العباسي**، كلية الآداب ـ الجديدة
ع. العزيز بن **عبد الجليل**، وزارة الثقافة والاتصال ـ مكناس
ع. العزيز **عديدي**،
أحمد **عزاوي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث ـ تطوان
عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب ـ الرباط
بوشعيب **العركود**، وزارة التربية الوطنية ـ بني ملال
حسن **عمالك**، كلية الآداب ـ مراكش
محمد **عمراني**، كلية الآداب ـ القنيطرة
علي **العموري**،
الحاج موسى **عوني**، كلية الآداب ـ فاس
عبد الله **العوينة**، كلية الآداب ـ الرباط
مصطفى **عياد**، كلية الآداب ـ الرباط

إدريس **الفاسي**، كلية الآداب ـ الرباط
ع. الإله **الفاسي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد **فتحة**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء ـ عين الشق
حسن **الفكيگي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
المصطفى **فنيتر**، كلية الآداب ـ مراكش
أحمد **قدور**، كلية الآداب ـ القنيطرة
مصطفى **قلوش**، كلية الحقوق ـ الرباط
محمد **كربوط**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **گلاد**، وزارة التربية الوطنية ـ أسفي
محمد بن **لحسن**، كلية الآداب ـ بني ملال
شمعون **ليفي**، كلية الآداب ـ الرباط
حسن **ليمان**، وزارة الثقافة والاتصال ـ الرباط
محمد **ماگامان**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش
أحمد **متفكر**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش
محمد **مجدوب**، كلية الآداب ـ المحمدية
الحسن **المحداد**، كلية الآداب ـ أگادير
المكي **مربي**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش
محمد **مرزاق**، وزارة التربية الوطنية ـ وجدة
نجاة **المريني**، كلية الآداب ـ الرباط
زهور **المزگلدي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
أحمد **مزيان**، كلية الآداب ـ فاس
محمد **المغراوي**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **المكاوي**، باحث ـ
محمد **المنوني**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **منيوي**، المعهد العلمي ـ الرباط
مصطفى **ناعمي**، البحث العلمي ـ الرباط
عبد الله **نجمي**، كلية الآداب ـ الرباط
زهرة **النظام**، كلية الآداب ـ المحمدية
محمد **هشمي**، المدرسة الوطنية الغابوية ـ سلا
عثمان **هناكا**، كلية الآداب ـ أگادير
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب ـ مراكش
أحمد **الوارث**، كلية الآداب ـ الجديدة
إبراهيم **ياسين**، كلية الآداب ـ الجديدة
مصطفى **يعرف**، باحث ـ وجدة

Liste des principales abréviations des périodiques

A.A : *L'Afrique et l'Asie.*
A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
Acad. Sc. Col. : *Académie des Sciences Coloniales.*
A.E.S.C : *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
A.F : *Afrique Française.*
A.F : R.C : *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
A.M : *Archives Marocaines.*
A.M.S : *Archives Marocaines de Sociologie.*
And. : *Al-Andalus*
Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
Ant. Afr. : *Antiquités Africaines.*
B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
B.A.R : *British Archeological Reports.*
B.C.T.H : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
B.G.M : *Bulletin de Géographie du Maroc.*
B.I.D.M : *Bulletin de l'Information et de la Documentation Marocaine.*
B.I.F.A.N : *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire.*
B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
B.L.O.A.B : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
B.L.S : *Bulletin de Liaison Saharienne.*
B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
B.S.G.A.O : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
B.S.H.M : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
B.S.O.A.S : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
Bull. Archéol. : *Bulletin Archéologique.*
C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
Cah. Rech. Agron. : *Cahiers de la Recherche Agronomique.*
C.A.T.A.N : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
C.B.E.T : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
C.E.A : *Cuadernos de Estudios Africanos.*
C.H.I : *Cuadernos de Historia del Islam.*
C. Méd. : *Cahiers de la Méditerranée.*
C.R.A.I.B.L : *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
C.R.A.S : *Compte-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
C.T : *Cahiers de Tunisie.*
E.B : *Encyclopédie Berbère.*

E.I.1 : *Encyclopédie de l'Islam (1ère édition).*
E.I.2 : *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*
E.T.A.M : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
Et. Medit. : *Etudes Méditerranéennes.*
F.M : *France - Maroc.*
F.S.S.A.N : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
G.E.M : *Grande Encyclopédie du Maroc.*
Hesp : *Hespéris.*
H-T : *Hespéris-Tamuda.*
H.T.E : *Hommes, Terre et Eaux.*
I.G : *Information Géographique.*
I.H.E.M : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
I.H.E.M : N-D : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
I.S.C : *Institut Scientifique Chérifien.*
Isl. Cult. : *Islamic Culture.*
I.S.P.M : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
J.H.S.N : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
M.A.I.B.L : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
Medit : *Méditerranée.*
M.E.F.R : *Mélanges de l'Ecole Française de Rome.*
N.A.M.S.L : *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
P.I.H.E.M : *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
P.S.A.M : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
P.S.H.M : *Publications de la Section Historique du Maroc.*
R.A : *Revue Africaine.*
R.A.P : *Revue de l'Action Populaire.*
R.C.C : *Revue de la Chambre de Commerce.*
R.D.M : *Revue des Deux Mondes.*
R.E.A : *Revue des Etudes Anciennes.*
R.E.I : *Revue des Etudes Islamiques.*
R.E.L : *Revue des Etudes Latines.*
R.G.L : *Revue de Géographie de Lyon.*
Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
R.G.M : *Revue de Géographie du Maroc.*
R.H.C.M : *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*
R.H.E : *Revue d'Histoire Economique.*
R.H.M.C : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
R.M.D.E.D : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
R.M.E : *Revue Maroc-Europe.*
R.M.F : *Revue Militaire Française.*
R.M.F.P.E : *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie.*
R.M.M : *Revue du Monde Musulman.*
R.P.P : *Revue Politique et Parlementaire.*
Rev. Inst. Hist. Mil. : *Revue Internationale d'Histoire Militaire.*
S.G.L : *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
S.I : *Studia Islamica.*
S.I.H.M : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*

خوافي، عبد السلام، مقاوم ولد سنة 1920 بدوار تاغلالت ملحقة تيزي وسلي دائرة أكنول. انخرط في صفوف جيش التحرير منذ انطلاقته سنة 1955 تحت قيادة محمد العجوري الغابوشي. حيث شارك في عدة هجومات على مواقع العدو بمنطقة تيزي وسلي.

توفي عام 1416/1995.

المندوبية السامية للمقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

خوانا لا لوكا Juana la Loca ملكة قشتالة خَلَفت أمها الملكية ايسابيل الكاثوليكية Isabel la Catolica سنة 911 (1505) ؛ وأصدرت عدة مراسيم تحثُّ فيها الشعب الإسباني على مواصلة الحرب ضد المغرب تنفيذاً للوصية التي أصدرتها والدتها يوم 12 أكتوبر 1504 (3 جمادي الأولى 910).

وعندما فقدت عقلها وأصبحت تعرف بـ Juana la Loca (خوانا الحمقاء) تنازلت عن العرش لفائدة ابنها الملك كارلوس الخامس Carlos V وقد توفيت سنة 962 (1555).

Diccionario enciclopedizo Espasa - Calpe.

محمد ابن عزوز حكيم

الخوخ، فاكهة معروفة والاسم العلمي للشجرة هو بْرُونُوس بيرْسيكا Prunus persica وهو من فصيلة الورديات Rosaceae. وهي قصيرة ولا تعمر طويلاً. أوراقها رمحية طويلة نفضية أزهارها قرمزية جذابة تظهر قبل الأوراق. ثمارها كروية أو قلبية الشكل حسب الأصناف، مغطاة بجلد كالقطيفة ونواتها مضغوطة وبها أخاديد.

لاشك أن الموطن الأصلي هو الصين حيث عرفت غراسته منذ آلاف السنين، وطورت مما نتج عنها انتخاب عدد كبير من الأصناف يتراوح حاليا ما بين ألفين وثلاثة آلاف. وصلت هذه الشجرة منطقة البحر المتوسط منذ فجر التاريخ، زرع الرومان على الأقل ستة أصناف من الخوخ. ثم امتدت زراعته إلى معظم المناطق المعتدلة من آسيا وجنوب أوربا وافريقيا الشمالية والجنوبية وأميريكا واليابان واستراليا.

يغرس الخوخ بالمغرب في الأراضي المسقية من سايس وتريفة والحوز وتادلة ومناطق الدير وسفوح الجبال غير العالية وذلك لأن الصقيع يضره وتؤذيه الحرارة المنخفضة. أما من ناحية التربة فإن إنتاجه يكون أفضل في الأراضي الرملية.

من الفواكه الشبيهة بالخوخ نجد الشهدية أو "النقطرين" التي تظهر قرابة وثيقة بهذه الفاكهة ولكن جلدها أملس لأنها نتجت عن التهجين بين البرقوق والخوخ. المساحات المخصصة بالمغرب للشهدية تقل بكثير عن تلك التي تخصص للخوخ.

يستعمل الخوخ والشهدية للأكل : فاكهة المائدة والتعليب وصناعة المربى.

أبحاث شخصية ؛ ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، تر. د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة، 1962.

عبد المالك بنعبيد

الخوخة (باب -) بفاس، هو الباب الذي كان يعرف قديماً بباب الكنيسة، يرجع أصله إلى عهد المولى إدريس الثاني حينما سور عدوة الأندلس وفتح فيها الأبواب التالية متدرجا فيها من الجنوب إلى الشرق وهي :

باب الفوارة المعروف بباب زيتون ابن عطية ؛ باب الفرج المعروف حاليا بباب السلسلة ؛ باب الشيبوبة المقابل

لباب الفصيل من عدوة القرويين ؛ باب أبي سفيان المعروف بباب بني مسافر وهو المسمى حاليا بابا سيدي بوجيدة وكان يخرج منه إلى بلاد غمارة وإلى بلاد الريف ؛ باب الكنيسة المسامت للناحية الشرقية وكان يخرج منه إلى بلاد تلمسان.

وكانت هذه الأبواب محاطة بعناية الولاة والسكان يحرصون على مراقبتها لما لها من الدور الفعال في أمن المدينة وحمايتها من الاضطرابات التي كانت تعتريها حينا بعد حين.

وظل باب الكنيسة على حاله إلى أن هدمه عبد المومن ابن علي سنة 540/ 1145 ضمن ما هدم من الأبواب حينما ارتأى رأيه أن يهدم أكثر أسوار المدينة وقال : "إننا لا نحتاج إلى أسوار إنما أسوارنا أسيافنا وعدلنا" لكن هذا الموقف الذي تحدى به الواقع لم يرتضه بعض الخلفاء الموحدين من بعده فقد شرع المنصور الموحدي في بناء السور من جديد وكمله ابنه محمد الناصر الذي أعاد لهذا الباب وجوده وسماه بعد تجديده بباب الخوخة بدلا من باب الكنيسة.

ونظراً لمسامتة هذا الباب للناحية الشرقية فقد اقتضت مصلحة السكان أن يبنوا خارجه مستشفى لمرضى الجذام ليكونوا (كما ذكر ابن أبي زرع) تحت مجرى الريح الغربي فتحمل الرياح أبخرتهم ولا يصل إلى أهل المدينة منها شيء وليكون تصرفهم في الماء وغسلهم بعد خروجه من البلاد، إلا أنه وقعت مجاعة في أوائل القرن السابع من سنة تسع عشرة وستمائة 619 / 1222 إلى سبع وثلاثين وستمائة فانتثر نظام الأمن في البلاد وعمت الفوضى وأدى الحال إلى انتقال المرضى من مكانهم المخصص لهم فتوجهوا إلى الكهوف التي كانت موجودة بين باب الجيسة وباب الشريعة وظلوا هناك إلى أن زالت الفوضى بتأسيس الدولة المرينية وحينئذ أمر يعقوب بن عبد الحق المريني عامله على فاس أبا العلاء إدريس بن أبي قريش بنقلهم إلى برج الكوكب الذي كان يوجد بخارج باب الجيسة من أبواب عدوة القرويين.

وبرج الكوكب هذا هو الموجودة آثاره الآن بالمرتفع الذي يوجد فيه قبر سيدي علي المزالي، وهو المرتفع الذي كان أهل فاس في أوائل هذا القرن يحملون إليه أطفالهم حينما يصابون بالسعال الديكي الحاد المعروف بالعَواقَة فيعالجون من ذلك، وكان يقابله في الجهة الجنوبية برج آخر يعرف ببرج باب الزيتون وقد استُغني عن البرجين معا حينما بنى أحمد المنصور السعدي بستيون باب المحروق المعروف حاليا ببرج النور أي البرج الشمالي وبستيون باب الحمراء المعروف حاليا بالبرج الجنوبي وهو الذي تقام فيه أضواء المدينة أيام ربيع فاس، ويوجد الآن حي كبير بمدينة فاس يحمل اسم باب الخوخة مكتظ بكثير من السكان الذين وفدوا عليها في السنين الأخيرة.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، ج. 1، تح. م. الهاشمي الفيلالي ؛ الجزنائي، جنى *زهرة الآس*، الرباط، 1991 ؛ روجي لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، تر. م. حجي وم. الاخضر ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*،1974 ؛ م. مزين، *فاس وباديتها*، 1986.

رقية بلمقدم

خورخي خوان Jorge Juan، أميرال البحر، مشهور بلقب "العالم الإسباني" (el sabio español)، إذ شهد له الجميع بتفوقه في علم الفلك والحساب والجغرافيا.

وُلد بمدينة اوريهويلا Orihuela سنة 1714، وفي سنة 1735 كان على رأس البعثة العلمية التي وضعت صورة الكرة الأرضية بالقطر بيرو El Peru بأمريكا الجنوبية ؛ وهو الذي أنشأ المرصد الفلكي بمدينة سان فيرناندو San Fernando بالقرب من قادس بإسبانيا.

وفي سنة1180 / 1767 عينه الملك الإسباني كارلوس الثالث Carlos III سفيراً له لدى السلطان سيدي محمد بن عبد الله ووقَّع أول معاهدة صلح وصداقة بين إسبانيا والمغرب بمراكش يوم 29 ذي الحجة 1180 (28 ماي 1767).

توفي خورخي خوان سنة 1773.

Rodrigues Casodo. *Politica marroqui de Carlos III*, Madrid 1946.

محمد ابن عزوز حكيم

خوصي ألباريث إي بيريث José Alvarez y Perez

نائب قنصل إسبانيا بالدار البيضاء سنة1278 / 1861 ثم انتقل إلى الصويرة بنفس الصفة سنة1280 / 1863 إلى حوالي 1292 / 1875. له مقالات وكتابات بمختلف الصحف حول المغرب وتشوفات إسبانيا إلى الجنوب نشرت بمدريد.

مييج، *المغرب وأوربا*، ج 1 ص.60 و ج 2 ص. 384 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، ج 2، ص. 875 و ج 3 ص. 1098.

خوصي ألباريث كابريرا J. Alvarez Cabrera.

ضابط، كان رئيساً للبعثة العسكرية الإسبانية بالمغرب من 1890 إلى 1901، وكان مراسلاً لصحف إسبانية كما كان يكاتب صحفاً أخرى بإمضاء عبد الله. له كتابات عن المغرب وأحواله نشرت سنة 1892 و1893 بعنوان :

- *Apuntes sobre el Imperio de Marruecos*
- *La guerra en Africa*

مييج، *المغرب وأوربا*، ج 1 ص. 59 و60 ؛ م. بوشعراء، *الهجرة من المغرب وإليه* (مخطوط).

مصطفى بوشعراء

خُوليو ثيبايوس فيديريكو Federico Julio Ceballos كولونيل إسباني شارك في عدة معارك ضد المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مَحمد أمزيان

في شهر يوليوز من سنة 1909، وكان من بين الكولونيلات التسعة الذين لقوا حتفهم في المعركة التي جرت يوم 18 يوليوز 1909 بجبل سيدي أحمد الحاج بقبيلة مزوجة (إقليم الناظور).

وقد رقي بعد وفاته إلى رتبة جنرال.

أعمال ندوة الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي (1509 .1912)، تطاون 1946.

خُويَة، ويكتب أيضا خُويَا، أسرة تطوانية أصلها من فرقة بني معدان بقبيلة بني حزمر المجاورة لتطوان، وقد انقرضت بالمدينة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 645.

محمد ابن عزوز حكيم

الخيار، يسمى علميا كُوكُوميس ساتيفُوسْ Cucumis sativus وهو من فصيلة القرعيات Cucurbitaceae التي تشمل القرعة والبطيخ والدلاح والحنظل ... فهو نبات حولي عشبي زاحف، خشن الساق ذو أزهار إبطية صفراء وثمار ملساء أو شوكية مستطيلة تختلف أحجامها حسب الأصناف المزروعة.

يقال إن الخيار عرف بريا طبيعيا في جنوب الهند. وزرع منذ أربعة آلاف سنة. تكلم عنه العبرانيون والمصريون والإغريق والرومان. وصل إلى أوربا في القرن السابع عشر. وتزرع أصناف الخيار في الأراضي المنخفضة المسقية في جميع أنحاء المغرب. ويستهلك الصنف الكبير منه نيئا. أما الخيار الصغير فهو يستعمل لصنع المخلل حيث يضاف إليه الماء والملح والخل وتوابل أخرى. والقسط الكبير من إنتاج الخيار الصغير المخلل يصدر إلى الخارج.

أبحاث شخصية، البرت هيل، *النبات الاقتصادي*، ترجمة د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة، 1962.

عبد المالك بنعبيد

** لم يرد ذكر الخيار في المصادر الوسيطية وغيرها لا ضمن حديثها عن الخضر ولا عند جردها للفواكه. وأول إشارة عنه جاءت عند العمري في كتابه *مسالك الأبصار* بمناسبة جرده لخيرات المغرب وثرواته الطبيعية والفلاحية والمعدنية، وقد صنفه ضمن الخضر (*مسالك الأبصار* ضمن ورقات ... 299). أما الإشارة الثانية فقد وردت عند الحسن الوزان في كتابه *وصف إفريقيا* مرتين : الأولى عند حديثه عن مدينة أنفا فقال "... وكم كان فيها أيضاً من بساتين وكروم ومازالت لحد الآن تُجنَى منها كميات عظيمة من الثمار لا سيما البطيخ والخيار التي يبدأ نضجهما في منتصف أبريل وقد اعتاد الناس أن يحملو هذه الثمار إلى فاس لأن نضجها فيها يتأخر ... (*وصف إفريقيا*، 1 : 156)، والمرة الثانية عند حديثة عن أرض زواغة فذكر أنها كثيرة الخصوبة وتنتج كميات كبيرة من الخضر المتنوعة منها الخيار، وهذه الخضر تسوق في مدينة فاس (*وصف إفريقيا*، 218).

هذه الإشارات القليلة تدل على أن هذا النوع من الخضر المستعملة اليوم في "السلاطة" دخل المغرب في وقت متأخر إذا ما قارناه بأنواع أخرى، ويمكن القول إن دخول الخيار إلى المغرب يرجع إلى الفترة المتحدث عنها في المصادر أي ابتداء من القرن التاسع (15 م) إما عن طريق الأندلس أو عن طريق البرتغاليين بعدما وصلوا في رحلاتهم إلى الشرق وتحديداً إلى الهند وهو بلده الأصلي (1396 /) ولم تذكر لنا المصادر شكله ولا نوعه.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار* ضمن ورقات عن الحضارة المغربية لمحمد المنوني، الرباط، 1979.

M. Menioui, *Diversité biologique de la faune marine du Maroc*, SEE/PNUE, 1997, 101 p. ; E. Herouard, *Holothuris de la côte atlantique du Maroc et du Mauritanie*, *Bul. Soc. Sci. Nat. Phys. Maroc*, 9, 1929.

محمد حجاج الطويل

خيار البحر، يتكون خيار البحر من أنواع عديدة تنتمي إلى "شوكيات الجلد" التي ـ وكما يدل اسمها على ذلك ـ فهي حيوانات متميزة بجهازها العظمي المتكون من شوكات صغيرة ودقيقة موزعة تحت جلد هذا السمك. فهي لا تؤدي وظيفة إعطاء الجسم شكلاً معيناً وإنما توفر له الحماية من الحيوانات الأخرى التي يمكن أن تتغذى عليه. كما أنه من خصائص شوكيات الجلد كذلك التوفر على توافق شعاعي ووجود "جهاز مائي" يمكن من انتفاخ وارتخاء الأرجل بالماء ويمكن بالتالي من حركيتها.

تختلف أنواع خيار البحر عن باقي شوكيات الجلد بجسم رخو نسبيا غير محمي لا بقوقعة ولا بقشرة كلسية كباقي أنواع فصيلته وتعيش كلها في الماء وبالأخص في مياه البحر ما بين منطقة المد والجزر إلى أعماق تمتد إلى أكثر من عشرة كيلو مترات تحت ضغط هائل.

في المناطق الساحلية وتحت أرجل المصطافين يمكن العثور على خيار البحر وطوله ما بين عشرين وثلاثين سنتيمتراً إلا أن طول تلك الحيوانات يمكن أن يتجاوز المتر الواحد في الأعماق السحيقة كما يمكن أن لا يتعدى عند بعض الأنواع بضعة مليمترات.

تُوجد أنواع خيار البحر إما سابحة بصفة مستمرة في الماء بين العوالق وإما بين القعريات زاحفة فوق الصخور والرمال أو مدفونة في الأوحال.

ورغم تعدد أشكاله وأنواعه فإن خيار البحر له ميزته

الخاصة حيث يظهر كما يدل اسمه على ذلك على شكل خيار يوجد في إحدى طرفيه الشرج كما يوجد في الطرف الآخر الفم محاطا بعشرة حتى ثلاثين من اللوامس.

تتغذى بعض أنواع خيار البحر على العوالق بتصفيتها مباشرة من مياه البحر بينما يعتمد البعض الآخر على ما تحتضنه الرمال والأوحال من مواد عضوية حيث يلتهم خيار البحر الرمل أو الوحل فتمتص خلاياه الهضمية ما تحتويه من مواد عضوية ويلقي بالباقي خارج جهازه الهضمي.

يتنفس خيار البحر بواسطة جلده كله من الرأس حتى الشرج إلا أن هناك أنواعاً تتوفر على "رئة" لكن ليست هوائية بل مائية يدخل إليها الماء المشبع بمادة الأكسجين ويقذف به إلى الوراء من بعد ذلك خاليا من تلك المادة التي تكون قد امتصتها الرئة.

أما التزاوج فيتم غالبا بالصدفة بين الخلايا المنوية للذكر والبويضات الأنثوية بعد أن تلتقي في الماء من الجهاز التناسلي الذي هو مكون من مجموعة من القنوات الدقيقة عند الذكر كالأنثى.

على الصعيد الوطني، يعرف في المغرب ما يناهز العشرين نوعا من خيار البحر إلا أنه بخلاف العديد من الحيوانات البحرية، فإن خيار البحر رغم تسميته لا يدخل في عادات بلادنا المطبخية. أما بعض الشعوب الأسيوية فتعتبر بعض أنواع هذا السمك من أشهى الأطعمة كما أن البعض الآخر يستعملها بعد تجفيفها وتحضيرها كوسيلة لتقوية القدرة الجنسية.

بالإضافة للإنسان فإن لخيار البحر عدة أعداء، وللدفاع عن نفسه وسيلتان أساسيتان :

1 ـ السموم التي يفرزها جسمه وخاصة جلده والتي جعلت بفعل التجربة والعادة العديد من الحيوانات اللاحمة لا تقترب منه.

2 ـ في بعض الأحيان وعند إصرار مطارده على التهامه بإمكان العديد من أنواع خيار البحر أن يقذف بأغلبية أحشائه خارج بطنه ليشغل بها مطارده فيهرب وينجو بأعضائه الأساسية على أن يسترجع إنشاءها من جديد وفي وقت وجيز نسبياً.

M. Menioui, *Diversité biologique de la faune marine du Maroc*, SEE/PNUE, 1997, 101 p. ; E. Herouard, *Holothuries de la côte atlantique du Maroc et de Mauritanie*, *Bul. Soc. Sci. Nat. Phys. Maroc*, 1929, 9.

محمد منيوي

ابن **خيار**، علي الفاسي. فقيه مجتهد مشارك، ترجم له ابن عبد الملك وذكر أنه قرأ بفاس وتلمسان وسبتة وقرطبة ومراكش. وكان فقيهاً رافضاً للتقليد ميالا إلى النظر والاجتهاد، وله مشاركة في العربية وعلم الكلام وأصول الفقه والتصوف.

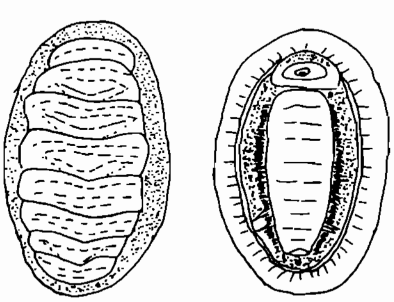
كان حيّاً سنة 601 / 1204.

م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، 8 : 164 . 165.

أحمد عزاوي

خيتون Chiton، ينتمي إلى مجموعة الرخويات، أي نفس المجموعة التي تضم الأخطبوط والحبار والترق والحلزون وذلك رغم تباين أشكالها وأنماط عيشها. يتميز الخيتون عن باقي أفراد مجموعته بجسم بيضوي الشكل مفلطح من الأعلى إلى الأسفل ومحصن بقوقعة فريدة من نوعها تتكون من ثماني صفيحات نصف دائرية مقرمدة بعضها في البعض مما يسمح للخيتون بالتكور على نفسه كما أن هاته الصفيحات الثمانية تدمج في صفيحة وشاحية الشكل جانبية تحيط بالجسم كله.

لا يتعدى جسم الخيتون بعض السنتيمترات طولا ولا يرى من هذا الجسم سوى تلك القوقعة الثمانية الصفيحات. قد يظن المتجول على الشاطئ أنها من المكونات الصخرية نظراً لشكلها وكذلك للونها اللذين يوهمان بشكل ولون الدعامات التي يعيش فوقها. أما الجهة البطنية فهي عبارة عن عضلة بيضاء (الرجل) وقوية تمكن الخيتون من الالتصاق بالصخر على شكل محجم وقد يصعب في غالب الأحيان نزعه من دعامته دون كسر القوقعة، كما يرى من الناحية الأمامية بهاته العضلة فتحة صغيرة نصف دائرية (الفم) تُمكنه من قضم وكشط الطحالب التي يزحف فوقها.



خيتون

يتغذى الخيتون إذن على الطحالب الصغيرة التي تنمو فوق الصخور. ويتنفس كمعظم الحيوانات المائية عن طريق خياشيم تمكن من امتصاص الأكسجين مباشرة من ماء البحر حيث إن أنواع الخيتون بحرية تعيش في أعماق متباينة، إلا أن معظمها يعيش على أعماق صغيرة خاصة في منطقة المد والجزر تكسوها المياه وقت المد وتكشف عنها حين الجزر. وبفعل قوة الأمواج في تلك المنطقة استطاعت الخياتين أن تتأقلم مع تلك الأمواج فتطور شكلها ليكون أكثر انسيابية وبالتالي أقل عرضة لوقع الأمواج.

طريقة التوالد والتكاثر عند الخياتين لا تختلف في

الجوهر عن معظم الرخويات حيث إن معظم الأنواع أحادية الجنس تلقي بموادها الجنسيـة في الماء على أمل أن تلتقي بينها عن طريق "الصدفة" فتُلقح البويضات وتعطي بالتالي أفراداً جدداً إلا أن هناك نوعاً واحداً Callistochiton viviparus لا يقذف بمواده الجنسية في الماء وتخصّب البويضة داخل الجهاز التناسلي للأنثى ويخرج بعد أيام من النمو فرداً كاملاً شبيهاً بأمه، كما أن هناك بعض الأنواع يمكن أن تحضن بيضها إلى أن تخرج الصغار.

وفيما يخص تصنيف تلك الحيوانات فإن العلماء يقسمون الخياتين إلى ثلاث مجموعات عائلية وهي :

- Lepidopleuridés يتوفر المغرب منها على تسعة أنواع
- Ischnochitonidé ويتوفر المغرب لحد الآن على خمسة أنواع
- Acanthochitonidés وهو ممثل في المغرب بنوعين اثنين

أما بالنسبة للتوزيع الجغرافي لتلك الأنواع التي توجد على السواحل المغربية فمعظمها ينتشر أساساً في منطقتي البحر المتوسط والساحل الشرقي للمحيط الأطلسي إلا أن بعض الأنواع خاصة منها Lepidochitona canariensis وLepidochitona stroemfetti لها توزيع جغرافي محدود جداً في جزر الكناري وناحية طرفاية المغربية.

M. Menioui, *Peuplements infralittoraux superficiels des côtes atlantoméditerranéeennes du Maroc. Etude faunistique, écologique et biogéographique*. Thèse d'Etat Es. sciences, Rabat, 256 p. ; *Diversité biologique de la faume marine du Maroc*, SEE/PNUE, 101 p., 1997 ; Rolan Mosquetero [et al...], *Moluscos de la ria de Vigo II, Revista de sciencia del Mar*, 276 p., 1990.

محمد منيوي

ابن **خير، أبو بكر** محمد بن خير بن عمر، الأموي الفاسي ثم الإشبيلي. ولد بفاس في رمضان سنة 502، وبها نشأ واستوطن إشبيلية وغيرها من بلاد الأندلس. يزيد عدد مشايخه على المائة كما هم مذكورون في *الفهرس* الذي ألّفه، روى عنه كثيرون.

ذكر ابن عبد الملك أنه "من أئمة المقرئين المجودين ومن جملة المحدثين المسندين، متفنناً في علوم اللسان، متقدماً في النحو واللغة منها"، وهذا ما ذكره ابن الزبير أيضاً. وقال الصفدي : "كان حافظاً مقرئاً نحوياً متفنناً أديباً"، وهذا ما استوجب ترجمة السيوطي له في كتاب *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة* وكتاب "*طبقات الحفاظ*" وغيرهما.

أقرأ بإشبيلية وقرطبة، وتولّى بهذه الأخيرة الخطبة والإمامة بجامعها الأعظم سنة 573 إلى وفاته في 17 ربيع الأول 575، ودفن بإشبيلية بحضور واليها السيد (الأمير) أبي علي الحسن بن عبد المومن الموحدي (انظر هذه المادة)، وهذا مما يدل على علوّ مكانته.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، تر، رقم 1424، ط. القاهرة ؛ ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، ص. 8 : ص 299 ـ 303، تح. م. بن شريفة ؛ السيوطي، *بغية الوعاة*، 1 : ص 102، بيروت، 1979؛ م. ع. عنان، عصر المرابطين والموحدين، 2 : 661.

أحمد عزاوي

خير الدين، محمد. يدوي صوت خير الدين في مجال الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية صلبا كصخر الأماكن التي تردده بعدوانيتها وسخائها مقلقة وعلى قدر من الإنسانية. جاء إلى الكتابة مبكراً فكان ذلك الفتى الشديد المراس في الأدب المغربي بالفرنسية، وهو يحتل فيه مكانة متميزة مشهودا له بالمشاركة في حيوية ذلك الأدب وفي تجدده.

ولد في تافراوت سنة 1941، من والد تاجر من تجار الجنوب قضى طفولته في بيئة خشنة فخمة بين نساء ورجال من الشيوخ. وقد وافق سن تمدرسه الهجرة إلى الدار البيضاء مفارقا أمه وبيئته الجنوبية. ولكن هذا المقر الجديد أتاح له الانكباب على الأدب.

منذئذ وجهته كشوفه ولقاءاته وفتحت أمامه مساراً تتخلله كلمات ـ مراجع ومواضيع رئيسية. فالزلازل والبعد عن البلد والرجوع والتيه الدائم تشكل عنده تجارب عميقة. في عنصر حياته الخلاقة وعبرها تتحقق اليقظة البطيئة لموهبة كاتب.



ففي البيان الذي أصدره بعنوان *Poésie Toute* (الشعر كلية) عن مطابع الشمال، بالدار البيضاء، سنة 1964) يظهر شاعر شاب يطمح إلى النهوض بشعر مغربي باللغة الفرنسية في قطيعة مع كل الأشكال الموروثة عن عهد الاستعمار. فهو ينادي بشن "حرب عصابات لسانية"، مدشنا بذلك إبداعا يندرج منذئذ في الحركة الأدبية والثقافية الكبرى التي دشنها إصدار مجلة أنفاس *Souffles* سنة 1966، وهو كان من كتابها.

اتخذ خير الدين مثله في ذلك مثل عدد من الكتاب طريق الهجرة بحثا في المسافة عن الرباط الوحيد الممكن مع الأسرة والوطن فارا من هذا وتلك. انبنت أعماله الأدبية هنا في هذا الابتعاد الترابي والاجتماعي وحتى القبلي، وهو ابتعاد لساني وثقافي. وبهذا أصبحت حياة الكاتب حياة أعماله التي يحملها بين جنبيه، وهنا تفعل كيمياء الكتابة فعلها.

كانت المدة التي قضاها بفرنسا (1965 ـ 1980) مدة خصبة أنتج فيها *Faune détériorée* (وحيش مخرب) وقد نشرته مجلة *Encres vives* عام 1966 وحصل به على جائزة تلك المجلة وأنتج *Agadir* (أگادير) وصدر عن دار النشر Seuil. وأنتج *Enfants terribles*. وحصلت روايته *L'Enterrement* (الدفن) على جائزة La Nouvelle Maghrébine.

كان خير الدين آنذاك يكتب في تلك المجلات ويسهم في إخراجها، ومنها *Dialogues* و*Les lettres nouvelles* و*Présence africaine*.

أثار شعره الانتباه وأشادت به مجلات مثل *Les Temps modernes* و*Le Journal des poètes*.

كان يسهم في تنشيط برامج إذاعية بعضها مسائية في France culture، وقد عاش وقائع حركة أفكار شهر ماي 1968، والتقى في خضم تلك الأحداث بأشخاص مرموقين مثل مالرو وسارتر وبيكيت وسنغور وسيزير وداماس.

نشر خير الدين أهم مؤلفاته في تلك الفترة عند سوي Seuil، مثل *Corps négatif*، متبوعا بـ *Histoire d'un bon dieu* (1968)، و*Soleil arachnide* (1968)، ثم النص الذي استحق به المكافأة الثالثة للصداقة الفرنسية العربية وعنوانه *Moi l'aigre* (1970) ثم *Le déterreur* (1973) ثم *Ce Maroc* (1975)، ثم *Une odeur de mantèque* (1976)، ثم *Une vie, un rêve, un peuple toujours errants* (1978).

حين عاد إلى المغرب بين 1980 ـ 1989 نشر مجموعة شعرية بعنوان: *Résurrection des fleurs sauvages* (1981) وكتب حكاية بعنوان (1984) *Légende et vie d'Agoun'chich* وفيها جدد لقاءه الحميمي مع الجنوب وسطه الثقافي البربري، الموطن الذي طالما أحبه وطالما هرب منه. والواقع أن خير الدين رجل هجرة ومنفى لا حدود مكشوفة لديه بين السفر الحقيقي والسفر داخل النفس. فالسفران عنده صيغتان لطلب واحد، تعبران عن رغبة واحدة، لذلك نجده يعاود الذهاب في اتجاه هذا المكان الآخر المستعصي على الولوج مأخوذاً بدوره بهذا العشق الذي يحمله للمنفى والتيه كما يظهر ذلك جليا من خلال كتابه: *Légende et vie d'Agoun'chich* (p. 23).

انخرط خير الدين في هذا التيه الدائم بين 1989 و1993 واستولى على مسار لم يصل إلى نهاية قط، فكان الشاعر المدّاح لتقاليد بلاد المغرب. إنما ينبيء عن بقائه على قيد الحياة نصوص ينشرها من حين لآخر. فقد هيأ بباريس مسرحية ظلت غير منشورة بعنوان *Les cerbères*. ونشر مقالات ولا سيما في *Jeune Afrique* حول مواضيع اجتماعية كالحالة في ضواحي المدن الأوربية والهجرة (*Jeune Afrique*, n° 1554, oct. 1990). وقد رحبت مجلة *Esprit* بقصيدته الطويلة بعنوان عشتار *Ichtar* كما نشرت له قصتين قصيرتين هما La gale و*Parole élémentaire* (فبراير 1991). وصدر له عن دار نشر Cherche Midi سنة 1991 *Mémorial* وكان قد كتبه في عشرين يوماً.

وفي 1993 دخل خير الدين في صراع لاهوادة فيه ضد المرض، لكنه لم يكف يوما عن الكتابة. لقد كرس آخر تأليف قام به للرسم وقد نشرته Ed. Errabeta في سلسلتها *Silhouettes* تحت عنوان *M'seffer vu par Khaïr-Eddine* وذلك بالدار البيضاء عام 1995. وقبل نهاية أجله ببضعة شهور سلم لمجلة *Esprit* نصا رمزيا عنوانه *Testament d'un moribond*. وقد كانت أقصى وجوده ومنتهاه في عالم لم يستحضره من قبل بهذه القوة التي استحضره بها في لحظات آلام الفراق كما يعبر عنه في شعره غير المنشور بعنوان *Proses* وقد ابتدعه في الآلام حين خضوعه للعلاج بالأشعة في المعهد الوطني لأمراض السرطان بالرباط.

توفي خير الدين يوم 18 نونبر 1995 وترك أعمالاً أدبية كتبها ضد الأفكار الوثوقية ولا سيما الأدبية وهو يسخر منها من خلال نظرته إلى العالم بناء وممارسة.

اختمرت أعمال خير الدين في المهجر ولكنها كانت تنظر إلى أرض المغرب وإلى مكان مسمى "بالجنوبي" Sudique، حسب ابتداع لفظي من ابتكار الكاتب بالرغم من المهجر وبسبب المهجر. إن لكتابته علاقة ملتبسة بهذا المكان الجغرافي بجنوب المغرب، علاقة رفض ومطالبة في آن واحد. فهو فضاء بربري وهو فضاء اجتماعي تاريخي ثقافي يحتل فيه مكانة البؤرة. هنا تكشف الكتابة عن تساؤل حول المهجر الخارجي الجغرافي، بل هو على الخصوص تساؤل حول الهجرة داخل النفس، الهجرة الباطنية، وهي في آن واحد طلب معرفة عبر تجربة الكتابة. تتجلى هذه التجربة أيضاً في صورة تعبير عن الشعور بالتهميش الاجتماعي والسياسي والثقافي وتهميش الهوية، وهو شعور تولد عنه هذا التيه وهذا البحث الذي يتمثل في كل كتاب من كتب خير الدين. فالكتابة تصوغ تمردا فردانيا وجماعيا. يصرخ معبرا عن مكابدة وجود مستعص ويضمر رغبة في التغيير، ويكشف عن مطالبة بوجود أفضل.

بين تعبير عن الواقع الخارجي وتأكيد لواقعه الداخلي الخاص، تأتي الكتابة عند خير الدين لتنخرط في تجربة تشارك في التغيير وتشكل جزءاً منه، تغيير دائم للمجال الاجتماعي والثقافي وتغيير الهوية. فهي كتابة منتسبة

بخصوصية مغلقة في ما يتعلق بالرموز التي تنفرد بها، كتابة تتشبث أيضاً برموز هذا الفضاء المشترك، هذا التراث العريق الذي تحمله. فالكاتب لا يفتأ يظهر انشغاله الدائم بما هو جماعي، فهو يحلم بأن يكون صوتا للشعب.

كتابة تجتهد في شرح العالم برمته وتتوظف كفضاء لبناء صورة عن الذات وهي في نفس الوقت مكان رهان ثقافي وخطاب حول هذا الرهان ؛ فالنص مستودع تاريخ ومكان ذاكرة. إن خير الدين مثله مثل الكتاب الذين تأثروا بعقلية مجلة *Souffles* *(أنفاس)* يجد نفسه في تناقضات وتمزقات تميز به جيله، فهو لذلك لا يتصور أدبا خارج الالتزام، والالتزام في نظره لا يقف عند الاهتمام لآلام الجماعة والتشكك في أصول القضايا المبتورة وفي الهوية الأحادية التصور وفي الحكم بجميع أشكاله، بل ويتمثل أيضاً وعلى الخصوص في عمل يتموقع في بؤرة الكتابة.

إن تجربة الكتابة عند خير الدين تمس أساساً قضية التصريح والبحث عما يسميه "اللغة الجديدة". والذي يسند هذه اللغة يتضمن في أعماق تجلياته علامات موطنه الأصلي وموطن تأهيله، وهو ما يحيل على فضاء ثقافي ولساني وفضاء هوية في الجنوب المغربي حيث طبعت لغة الأم، البربرية، علاماته بكيفية لا تمحى. ويظهر أن تلك التجربة في الكتابة تستهوي بمسعاها الجمالي كما تستهوي بالابتعاد أو الاقتراب من المجتمع والثقافة، من المجال الواقعي والرمزي الذي تتناوله وتسائله وتحرضه وترغمه على التفتح على المكان البعيد، بإخضاعه في الأخير لمحك تناقضاته الذاتية وإسلامه لصراعاته الداخلية.

فإذا كان موطن هذا الحوار المثير هو بلاد المغرب ومن داخله عالم البربر، فلا أحد يشك في أنه ـ بعيداً عن الخصوصي ومن خلاله ـ فإن خير الدين يبحث بعمله الأدبي عن الوصول إلى ماهوكوني. فخير الدين، خلال هذا البحث وبأعمال متفرقة أشكالها ومنسجمة في وحدتها الموضوعية وفي بحثها ككتابة، يقيم حوارا مع الفن والأدب. فعمله إعادة بناء للتجربة الإنسانية وبناء للتاريخ الفردي الخاص بالكاتب وتمرير لتراث الأجداد الذي يحمله بين جناحيه. إن هذا العمل الأدبي محل لقاء بين كل مكونات الإنسان وهو يشير إلى النقص في العالم والكون.

فإذا كانت شاعرية الخواء والعنف والتدمير والفراغ المتعذر ملؤه، هي التي تخدم هذا العمل التجذري، فكل تجربة خير الدين في الكتابة لا تفتأ تصر على مواجهة قوى الخواء التي هي في آن واحد شرط تخريب وقوة خلاقة، وهي المحددة لفعل الإبداع، كتابة زلزالية مولدة للأشكال المبتكرة، فهي على طولها وعرضها مخترقة برغبة قوية في التفلت من مستقبل قدري، يحركها رفض أساسي للعدم والموت.

زهور المزكلدي

خَيْران، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، استقرت أول مرة بقبيلة بني حسان، ثم انتقلت إلى تطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 647.

الخيراني، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Xagran ؛ وكان بمدينة سلا منذ القرون الهجرية الأولى بنو خيرون أسرة أندلسية ماجدة. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان ؛ وإلى هذه الأسرة ينتسب الفقيهان عبد الرحمن الخيراني الذي زاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1191 إلى سنة 1206 (1777 ـ 1791). وابنه محمد الخيراني الذي كان من عدول تطوان من سنة 1239 إلى سنة 1246 (1824 ـ 1830).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1613.

الخيراني، محمد بن حمادي بن الشرقي، مقاوم لم يكن ينتمي إلى أي تشكيلة لكنه كان من بين المشاركين في مظاهرة 20 غشت 1955 حيث قام بأعمال تخريبية لمنشآت المستعمر إلى أن اغتاله المعمر كازو برصاصتين واحدة في وجهه والأخرى في بطنه فسقط شهيداً بأيت عمار وقد اختطفه أهله ودفنوه رحمة الله عليه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، ج. 3.

خَيْرُونْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا :   .

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 648.

محمد ابن عزوز حكيم

خيرون، بارتولومي، Gerón Bartolomé راهب إسباني من المنتمين إلى طائفة الفرانسيسكان كلفته حكومة كارلوس الثالث بمهمة دبلوماسية تمهيدية في المغرب في عهد سيدي محمد بن عبد الله، انتهت باتفاق 29 محرم 1181 / 28 مايو 1767. استهدفت تعليمات الحكومة الموجهة إليه اختبار رأي السلطان في مضمون شروط افتتاح العلاقات بين البلدين، بعد تبادل المراسلات الأولى والهدايا

والأسرى. سبق لخيرون أن قام بالمغرب خلال عدة سنوات بدور الفرانسيسكان، سواء بفاس أو بتطوان. وفي سنة 1169 / 1755 توصل إلى حل مسألة أسيرة إسبانية على عهد المولى عبد الله.

حل خيرون بسبتة يوم 28 جمدى الأولى1179 / 12 نوفمبر 1765 وعرج على باشا طنجة عبد الصادق بن أحمد الريفي برفقة قسيس دير مكناس فرانسيسكو كولودرو. واستقبله سيدي محمد يوم 21 شعبان1179 / 2 فبراير 1766، فلم يزد في خطابه عن الإشارة إلى رغبة الطرفين في عقد الهدنة في البر والبحر، ولم يطرح مثلما أوصت به التعليمات طلب تصدير القمح وإثارة المحطة الساحلية المطلوبة للصيد بجهة ساحل إفني، نتيجة إدراك السفير مدى حساسية الموضوع.

غير أن هناك تعليمات خفية جاء من أجلها خيرون كانت متشوفة إلى استدراج السلطان لقبول الفكرة الشائكة المتمثلة في توسيع حدود الثغور المحتلة، نتيجة لهذا التقارب. وكان لسيدي محمد رأي خاص في هذا الموضوع، نقله السفير الفرانسيسكاني في قوله : "إن السلطان يتصور الطريقة التي سيتم بها الصلح بين الجانبين بكيفية غريبة، ذلك أنه يعتبر من واجبه الديني والوطني استرجاع تلك الحصون التي يملكها عاهلنا بالمغرب .. وأنه من جهة أخرى لا يرى أي مانع من تحقيق تلك الأمنية باللجوء إلى القوة، دون أن يتعارض ذلك مع الصلح المزمع عقده مع إسبانيا".

لقد اكتشف خيرون أن طرح مسألة الحصون على أنظار السلطان أمر جد حساس يفوق كل التصورات، إلى حد لم يتجرأ أحد على مجرد إثارته على مسامع السلطان. وحينما ألح رئيس الحكومة الإسبانية على سفير بلاده أن يدلي له بحجة تصلب رأي السلطان في المسألة، وافاه الجواب قائلاً : "إن سيدي محمد محا الجملة الخاصة بتوسيع حدود الحصون وربح الأسواق المجاورة".

على أن هناك نقطة إيجابية أخيرة في سفارة بارتولومي خيرون. هي قبول سيدي محمد إرسال سفارة مغربية إلى مدريد برئاسة كاتبه أحمد الغزال. وفي يوم 24 ذي القعدة 1179 / 2 مايو 1766 حل بارتولومي خيرون بطنجة مرفقا بأعضاء السفارة المغربية، وهي في طريقها إلى سبتة.

ح. الفكيكي، مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور المغربية الشمالية المحتلة، مرقون، الرباط، 1991.

R. Lourido Diaz, *Los Misioneros Franciscanos y su participacion en el Tratado de Paz Hispano Marroqui de 1767*, *Archivo - Ibero - Americano*, 133 / 1974 ; *En Torno al ensanche de limites de Ceuta*, en 1782, *H.T.*, 1982 ; Vicente Palacio Atard, *Primeras negociaciones entre España y Marruecos en 1765*, *Hispania*, 11 / 1951 ; V. Rodrigues Casado, *Politica Marroqui de Carlos III*, Madrid, 1946.

حسن الفكيكي

الخيروني، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا :
.وهناك أسرة أخرى شريفة تحمل نفس الاسم أنجبت عدة فقهاء، مثل :

الخيروني، أحمد بن محمد الذي كان من بين عدول تطوان من سنة 1256 إلى سنة 1261 (1840 . 1845).

الخيروني، عبد السلام الذي كان يزاول خطة العدالة من سنة 1171 إلى سنة 1201 (1758 . 1787).

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*،7 :12 ؛ م. داود، عائلات تطوان، مخطوط ؛ م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمرجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 649.

محمد ابن عزوز حكيم

خيري أو خيرون، أسرة تطاونية، من العلوج الأندلسيين أشار إليها گوميس إيانس دي زورارا باسم (Abengeiri). اشتهر في النصف الأول من القرن التاسع الهجري (15م) منها ثلاثة أفراد بالنشاط القرصني بساحل المضيق، هم، محمد بن خيري، كان اسمه السابق "مانويل"، وهو رئيس سفينة من فئة خمسة عشر مقعداً، ثم الرايس بدر بن خيري، كان قائد سفينة مركبة من أربعة عشر مقعداً، وهو أخو قرصان آخر يدعى حبيب بن خيري. ظهرت الأسرة البحرية بساحل المضيق المغربي إثر احتلال البرتغال لسبتة، ويعني هذا سابق وجودها بالمدينة وانتمائها إليها قبل سنة 1415. كان زمام القرصنة البحرية بيدها ومرساتها الرئيسية بني معدن تطوان، ويدعونا هذا إلى الاعتقاد أن سبتة كانت من جملة محطاتها قبل سقوطها.

ظهرت الأسرة أيضاً في بداية القرن العاشر الهجري (16م) في نطاق إحياء عمران مدينة تطوان وحركتها القرصنية على عهد حاكمها علي المنظري وخلفه الحسن المنظري. برز منها أخوان سنة 1515 وقد ركزا نشاطهما على مدينتي سبتة وجبل طارق والسواحل الإسبانية المجاورة، كما شمل عملهما القرصني اعتراض السفن المبحرة عبر مياه جبل طارق انطلاقا من مرسى بليونش وبمياه المحيط من ملجئهم بمرسى العرائش.

وبعد خمس سنوات من النشاط القرصني ضد السفن الإسبانية والبرتغالية، توفي الأخ الأكبر من أسرة خيري، خلال معركة حامية مع السفن البرتغالية السبتية جرت بعرض مياه المدينة يوم 8 مارس سنة 1520.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 1 : 123، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

J. Mascarenhas, *Historia de la ciudad de Ceuta*, p. 267 - 268 ; G. Enrique Cravioto, G.G. Busto. *El Desarrollo naval de Tetuan en el primer tercio del siglo 16*, p. 39.

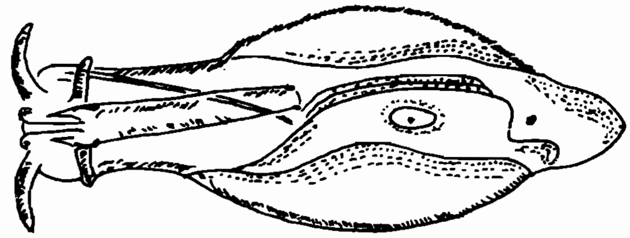
أحمد قدور

خيري، حدو مقاوم ولد سنة 1922 بمدينة خنيفرة وسط عائلة متواضعة الحال. شارك في مظاهرة خنيفرة بمناسبة 20 غشت، وقام خلالها بعدة أعمال تخريبية ضد مصالح فرنسا من إحراق وإتلاف. وعند تدخل قوات الأمن الفرنسية بهدف تفريق المتظاهرين وحملهم على التراجع عن المواجهة استشهد عدد كبير من الوطنيين وكان حدو خيري من بينهم في نفس اليوم 20 غشت 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، ج 2.

خيشوميات القوائم Branchiopodes هي قشريات تتميز بجسم مقسم إلى عدة حلقات قد تصل إلى ستين حلقة. بالإضافة إلى الزوائد الرأسية والتي لها دور حسّي، فإن معظم الجسم مكسو بزوائد أو قوائم مصفحة الشكل التي إذا كانت تلعب دوراً مهماً في التنقل (السباحة) فهي تلعب كذلك دوراً مهماً في وظيفة التنفس حيث تمتص مادة الأكسجين مباشرة من الماء ولاشك أن هذا هو السبب الرئيسي في تسمية هاته الحيوانات "بخيشوميات القوائم". تعيش معظم خيشوميات القوائم في المياه القارية والمستنقعات إلا أن القليل منها يعيش كعوالق في البحار وكذلك في المياه الشديدة الملوحة كالملاحات.

تحت اسم "خيشوميات القوائم" تصنّف أربع مجموعات من الأنواع :



خيشوميات القوائم

1 ـ مجموعة أولى (Anostracés) تتميز بعدم وجود أية صدفة تحمي الجسم، لها أعين محمولة كل واحدة منها على رأس ذنيب كما أن لها زوائد رأسية معقدة التركيب وذات وظيفة ماسكة ولا يتعدى حجمها خمسة وعشرين ملمترا. ولاشك أن من أشهر الأنواع التي تنتمي إليها هاته المجموعة النوع Artemia salina الذي له قدرة هائلة على تحمل الملوحة والذي يمكن كذلك أن يتكاثر عن طريق التوالد العذري أي دون تدخل الحيوانات المنوية للذكر. تكمن أهمية هذا النوع كذلك في استعماله وعلى الصعيد الدولي في تغذية الحيوانات البحرية والمائية التي يمكن تربيتها كالأسماك والرخويات والقشريات مثلاً.

2 ـ أما المجموعة الثانية (Notostracés) فبخلاف المجموعة الأولى تتوفر على قوقعة على شكل ذرع ظهري يغطي ويحمي الجسم.

3 ـ يتميز أفراد المجموعة الثالثة (Conchestracés) بتوفرها على قوقعة ثنائية الصدفة تغطي الجسم كله كالمحار مثلا أو جمل البحر التي تعيش كلها في المياه القارية والساكنة.

4 ـ أما المجموعة الرابعة والأخيرة (Clodocères) فهي تشبه إلى حد ما أنواع المجموعة الثالثة نظراً لتوفرها على قوقعة ثنائية الصدفة إلا أن هاته الصدفة أو القوقعة لا تحمي الجسم كله بل هناك المنطقة الرئيسية التي تدعى حرة بالإضافة إلى قلة عدد زوائدها التي لا تتعدى أربعة أزواج وأعينها التي تنصهر نسبيا لتكون ظاهريا عينا واحدة مما أدى ببعض العلماء لتسميتها بـ"أحادية العين".

ولا شك أن تلك المجموعة الرابعة تعتبر من أهم المجموعات نظرا لكثرة أنواعها وأشكالها وأعدادها، ونظرا لاستيطانها كل أنواع المياه القارية منها والبحرية وكذلك نظراً لدورها البيئي والاقتصادي. فهاته القشريات تكون بالفعل نسبة عالية من العوالق سواء البحرية منها أو القارية وهي تكون بالتالي غذاءا للعديد من أنواع الأسماك والرخويات والقشريات ذات القيمة التجارية العالية بالنسبة للإنسان. ولهاته المجموعة ينتمي مثلا برغوث الماء (Daphries) الذي يستعمل لتغذية بعض الحيوانات المائية أثناء تربيتها نظرا لإمكانية هاته القشريات التكاثر السريع والرهيب إما عن طريق التوالد العادي وإما عن طريق التوالد العذري.

تعيش خيشوميات القوائم بشكل أساسي في المياه القارية خاصة منها الراكدة في مصاب الأنهار والبحيرات إلا أن القليل منها فقط يمكنه العيش في المياه البحرية. معظم الأنواع التي تنتمي إلى هاته القشريات تعيش بين العوالق وتكون جزءا أساسيا وضروريا في السلسلة الغذائية في هاته المياه. أما الأنواع التي تعيش في مياه البحر المغربية فلا يتعدى عددها الستة، وهي ذات توزيع شاسع خاصة في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي.

Alfa Sciences, 1974 ; *Les animaux, Encyclopédie des animaux dans la nature*, vol. 3, 1980 : *Animaux de la mer*, 575 p. ; Poue et Chantail R., *Biologie animale, Zoologie, Invertébria*. Paris, 1962.

محمد منيوي

الخيل والخيول والأخيال لا واحد لها في اللغة، وهي جماعة من الأفراس واحدها الفرس للذكور وللإناث ويسمى الذكر أيضاً الجواد والحصان يجمع على أحصنة وحصن، وتسمى الأنثى حجراً تجمع على حجور وأحجار وحجورة ولا يقال حجرة. الاسم الشائع عند العامة في المغرب العربي هو الخيل والعودان مفرده العود والعودة للأنثى، وفي اللغة العود هو المسن من الإبل، وباللسان الأمازيغي أسردون وأييس وإييس وأسرتي.

تنتمي الخيل إلى الحيوانات الثديية اللبونة من طائفة الحافريات Ongulés ورتبة مفردات الأصابع Perissodactyles ومن فصيلة الخيليات Equidés. يتميز الفرس بإصبع واحد في كل رجل ينتهي بحافر يقوم مقام مخالب أو أظافر الأصابع. وقد تكيف الحافر مع متطلبات الجري والركض ولحقت به عبر الزمن تغيرات تتعلق بأساليب التنقل المفروضة على الفرس من طرف الإنسان كالمشي والجري السريع في سباق الخيل والترويض، الخ.

يتميز الفرس برأس صغير ومستطيل وعينين كبيرتين محميتين بجفون ذات أهداب متفاوتة الطول وسميكة. أذنه مقرنة وشديدة الحركة تنتبه لأدنى صوت. يوجد المنخران عند طرف قصبة الأنف الواقعة في الجزء الأمامي من الرأس ويتوفر الفم على شفتين متحركتين غليظتين وعلى أسنان متكاملة عددها 44 سنا صيغتها كالتالي :

3/3 قوارض، 1/1 أنياب، 4/4 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = 44 سنا. توجد بين الأضراس والأنياب فجوة كبيرة توضع فيها الشكيمة التي يعتمد عليها الراكب للتوجيه ولمراقبة السير. غالبا ما تغيب الأنياب عند الإناث (الحجر).

يتصل الرأس بالجسم بواسطة عنق أهيف يعلوه عرف من الشعر الطويل الصلب مصفف جانبيا. الجسم مكسو بزغب سميك وقصير، مختلف الألوان يمكن التمييز بين الخيول عند أوصافها، نذكر منها الكميت (bai) وهو ما يعادل الأسود والأملس وهو ثوب ذو لونين اللون الأسمر للجسم والأسود للسبيب أي الشعر الطويل على العنق، والأشقر وهو ثوب وحيد اللون من غير الأسود، والأشهب وهو ثوب يختلط فيه الشعر الأبيض والأسود، كما يلقب الفرس بالمحجل حين يكون مبرقعاً ببقع بيضاء على قوائمه، ويلقب الحصان الأسود بالأدهم وهذا لون نادر في الخيل. أدت هذه النعوت إلى إعطاء الفرس عدة أسماء تغنى بها الشعراء.

يبلغ وزن الفرس البربري أو المغربي المعاصر (cheval barbe) 450 ـ360 كيلو غرام ويبلغ ارتفاعه عند الكتف 143 ـ153 سنتمتر، وهو حيوان قوي وصبور إلا أنه أقل رشاقة من الفرس العربي الأصيل . رأسه قوي وجبهته محدبة بعض الشيء، الصدر عريض متناسق مع عرض المؤخرة.. الظهر أقصر من السلالات الأخرى وله 23 فقرة بدل 24 فقرة في العمود الفقري عند الفرس الوحشي. الرداف (croupe) مائل وبداية الذيل منحدرة مقارنة مع باقي السلالات الأخرى. القوائم متينة والأرجل صغيرة تنتهي بحوافر قرنية ممتازة. يتحمل الجوع والعطش أكثر من أي سلالة أخرى ويتميز بعين سوداء واسعة ولامعة.

يتغذى من البرسيم والعشب والشعير والتبن ويستهلك من كل صنف ما بين4 ـ5 كيلو غرام في اليوم، وحفاظا على صحته لا يقدم له العلف بعد العمل مباشرة ولا يشرب الماء مباشرة بعد الجهد. يساعده العلف المتزن على النمو السريع وغالبا ما يكتمل نموه وبلوغه بعد السنة الثانية من عمره إلا أنه لا يستعمل للنسل إلا بعد السنة الثالثة أو الرابعة ويعمر ما بين 25 ـ 30 سنة.

تدوم مدة الحمل 11 شهراً وتضع الأنثى مهراً واحداً تفطمه بعد خمسة أشهر والتوائم نادرة عند الخيل. يستطيع الصغير أن يقف على قوائمه بعد بضع ساعات من وضعه. ويمتاز الفرس السليم بالحيوية والنشاط والمرح.

و الفرس حيوان عاشب غير مجتر، اتخذه الإنسان من أجل لحومه أولاً ثم دجنه ليقوم بخدمات مختلفة كالفلاحة والتنقلات وحمل الأثقال وذلك منذ ما يفوق خمسة آلاف سنة. ويعتبر تدجين الفرس مرحلة هامة في تاريخ الإنسان وذلك بتقليص المسافات إلتي كانت حاجزاً للمواصلات، وجر البضائع وحملها على العربات ونقلها، الشيء الذي أدى إلى إنشاء الطرق وتوسيعها والاعتناء بها. فالحصان كان بمثابة السيارة بالنسبة للوقت الحاضر.

تعرف للخيول المعاصرة عدة سلالات وضروب تنحدر كلها من نوعين : حصان طربان أوكرانيا الوحشي Equus caballus gmelini الذي انقرض خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وحصان برجيفالسكي Equus caballus przewalskii poliakov الذي ما يزال يعيش بآسيا الوسطى وسهول منغوليا، وهو حصان سمين وقصير لا يتعدى ارتفاعه عند الغارب متراً ونصف. ويرجع تاريخ إدخال الحصان إلى الأراضي المغاربية إلى عصور ما قبل التاريخ.

تعرض الحصان الوحشي إلى عدة مضايقات من الإنسان عبر الزمن إذ بالغ في اصطياده قصد التدجين وأكل لحومه مما أدى إلى انخفاض شديد في عدد أفراده ولم تبق إلا القلة القليلة من الفرس الوحشي في العالم.

وتسمى السلالات من الخيول عروق الخيل ومن أشهرها في العالم نذكر السلالة الآسيوية الآرية caballus Equus asiaticus وإليها ينسب الفرس العربي الأصيل والفرس المغربي اللذان يعدان من أجمل ضروب الخيل في العالم ومن أصلح الأفراس للركوب.

تقسم الخيول في علم الخيل الحديث إلى حوالي 200 سلالة تختلف من حيث شكل أطرافها (مستقيمة، محدبة، مقعرة)، من حيث القد وطول القامة (كبيرة، متوسطة، قزمة) ومن حيث طولها جمعا بين الرأس والجسم (طوال، متوسطة، قصار).

نـذكـر من بين هـذا التقسيم جبـابـرة الخيل أو الخيـول الثقيلة التي تتميز قطعا عن الخيول الخفيفة في أصولها، وهي خيـول غـريبـة الحجم أصلهـا في أوربـا وعلى الأخص أرض هولندا وبلجيكا وشمال فرنسا، ومنها الفرس الثقيل Ardennais منسل من آباء أوربية وله قوة في الشد عظيمة وهـو الـذي ركب آبـاءه فـرسـان القـرون الـوسطى بما على أجسامهم من دروع فولاذية ثقيلة، والفرس الإنجليزي شاير Shire الذي يفوق علوه 180 سم، يتميز بـوجـود خصل من الشعر عند سيقانه ويتعدى وزنه ألف كيلو غرام. والجواد العربي الـذي كـان لـه أكبر الأثر وأوسعـه في تحسين أكثر أنسال العالم من الخيل، والفرس البربري والفرس التركي. ومن بين أقزام الخيل نذكر فرس بوهيمية وفرس اسلاندا وفـــرس الصين (Poney) وفـــرس فـــالابيلا Felabella الأرجنتيني الـذي يقل ارتفـاعـه عن 75 سم. وهي خيـول صغيرة القد وخفيفة الوزن، منها عدة عينات في مرابض الخيل وفي الحدائق الحيوانية العمومية المغربية، استوردت جلها من فرنسا.

وقد نشأت سلالة الفرس العربي الأصيل في شبه الجزيرة العربية ثم في اليمن وآسيا وأتى بها العرب إلى أفريقيا وبعدها إلى أوربا وانتشرت حالياً في العالم أجمع.

ويسمى الفرس البربري أو المغربي بالانجليزية Barabary horse وبالفرنسية Cheval barbe وهـو فرس من العـروق الخيليـة الصـالحة للـركـوب وتحمل مشـاق الفلاحة وصعـود الجبال والجر والحروب. من الصعب تحديد تاريخ ثبوت العرق البـربـري الأصيل، ويـرجع انحـدار أصلـه إلى الخيـول التي كانت تعيش قرب السواحل الليبية في القرن الحادي عشر قبل الميلاد و التي كـانت تستعمل خاصة للحـروب. ومنذ القـرن الســادس عشـر الميلادي، أطلق عليـه اسم الحصـان البربري (cheval barbe = cheval de barbarie) نسبة إلى الشمال الأفريقي آنذاك.

وتعـد السلالات المختلفـة المعـاصـرة نتيجـة انتقـاءات وتصـالبـات بين مختلف الضـروب والأنـواع قـام الإنسـان بتحقيقها عبر آلاف السنين. ويذكر التاريخ أن مدينة بـابل (Babylone) عـرفت عـدداً كبيـراً من الخيـول المدجنـة خلال القرن العشرين قبل ميلاد المسيح وبعد ذلك بحوالي ثلاثة قـرون نقلت منهـا عــدة وحـدات إلى مصــر. ومن خلال السلالات البـابيلـونيـة والمصـريـة ظهـر الفرس العـربي في الشرق الأوسط وشبه الجزيرة العربيـة والفرس البـربـري في شمال إفريقيـا والفرس التركي في الشـرق الأوسط. وقبل ظهور الإسلام، حافظ سكان أفريقيا الشمالية على السلالة البـربـريـة واعتنـوا بهـا وعـودوهـا على تحمل المشـاق مع استخدامها في عدة مجـالات. ولما دخل العرب هذه المنطقة بعد الفتوحات الإسلامية، عرفت سلالة الفرس البربري عدة تصـالبـات مع سلالـة الفرس العربي الأصيل وسلالـة الفرس التـركي مما أدى إلى ظهـور عـدة سلالات أخرى أثـرت على العرق البربري الذي لعب دوراً هاماً في ميادين الحروب عبر الفتوحات الإسلاميـة وغزو الأندلس وفي مهرجانات الفرس الشـائعـة في الشمـال الأفـريقي. لقـد أكثـر العـرب من هـذه السلالة ونقلوها إلى الأندلس وجنوب أوربا ابتداء من القرن الثـامن الميلادي، وإلى أوربـا الـوسطى والجزر البـريطـانيـة خلال القرن الثاني عشر. وخلال القرن السابع عشر الميلادي بدأت علوم الخيليات تتطور على إثر تجارب التصالبات النسلية بين الفحول المغـربيـة والعربيـة والتـركية مع الخيـول الفرنسية والبريطانية.

وقـد أصبح العـرق الإنجليـزي الصـافي (pur - sang anglais) يكـون سلالة ثـابتـة في بدايـة القرن الثامن عشر بعد مرور قرن من التجارب، منذ سنة 1660 إلى سنة 1760 وكـان من وراء هذا الانتقـاء العرقي مـا يزيد عن 200 فحل من أصل عـربي وتـركي وبـربـري أشهـرهـا الخيـول الإنـاث الإنجليـزيـة الأصيلـة والفحل البـربـري الأصيـل جولـدافين (Goldaphinbarb) والفحل العـربي الأصيل دارلي (Darley arabian) والفحل التـركي بييـرلي (Beyerley turk). تعـد هذه السلالـة أسرع السلالات فـي السبـاق وتستعمل أيضـاً في الصيـد الجمـاعي. تلقب السلالة الانجليـزيـة بـالفـرس الصريح أو الكريم أو العتيق وقد اعتنى بها المربون وأكثروا منهـا مما جعلهـا شـائعة في العـالم لكثـرة الإقبال عليهـا في سباق الخيل.

أدى ولع المغـاربيين وشغفهم بـالفـرس البـربـري، خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين، إلى تأسيس المنظمة العالميـة للفرس البربري سنة 1987 بـالجزائر العـاصمـة، نتج عنهـا ارتفاع عـدد الخيـول البربريـة بعـد أن عـرف انخفاضـا ملموسا على الصعيد الدولي.

ويستعمل الفرس المغـربي في ميـاديـن الفلاحـة والجر والركوب والسفر والحمل في القـوافل التجـاريـة. استعمل الفرس أيضـاً في جميع الحروب وقـد ورد ذكـره في القرآن الكريم في سورة العاديات التي تصف الخيل وهي تعدو في الغزو وتصيح وتـوري النـار بحوافـرهـا ليلا إذا سـارت في الأرض ذات الحجارة، وتثيـر غبـاراً بشدة حركـاتهـا. ولخص الشاعر امرؤ القيس وصف سير الفرس قائلاً :

مكر مفر مقبل مدبـر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقال المتنبي :

أعز مكان في الدنيا ظهر سابح وخير جليس في الزمان كتاب

وقـال رسـول الله (صلعم) : "علموا أبنـاءكم السبـاحـة والمسايفة وركوب الخيل".

أحب المغاربة الخيل منذ فجر التاريخ وجعلوا من الفرس حيوانا في خدمة الإنسان واعتنـوا به واعطوه مكانة عظيمة وقـامـوا بتـدريبـه وترويضـه، كمـا أن معظم الشعـراء نظمـوا أبيـاتا عـديدة تدعو إلى العنـاية والرعاية لهذا الحيوان الذي لعب دوراً هـامـاً في مختلف الميـادين لإرضـاء رغبـات الإنسـان. ولعل "لعب البارود" (fantasia) الذي تمتد جذوره

إلى زمن الحروب، والذي يسعى المغاربة إلى المحافظة على طابعه الروحاني، لخير دليل على مدى تشبثهم بهذا التراث الأصيل الذي أصبح يصاحب كل الحفلات الدينية والوطنية في مختلف مناطق المغرب.

في سنة 1912، أنشأت مصالح الحماية ما يسمى آنذاك بالمؤسسات الخيلية بكل من تمارة ومكناس، وبعد ذلك بقليل، بالجديدة ووجدة ومراكش، حيث تم إيداع فحول مختارة بهذه المرافق قصد تشجيع إنتاج الخيول التي كانت تعزز صفوف الخيالة (cavalerie). وفي سنة 1947 أُدمجت هذه المؤسسات في قطاع الفلاحة حيث سميت "مرابط الخيول الوطنية" واحتفظ بهذا الاسم إلى بداية التسعينيات حيث سميت بالحريسات الوطنية (Haras nationaux). تتجلى مهام هذه المؤسسات في وضع الفحول المنتقاة رهن إشارة مربي الخيول قصد تكثيف الإنتاج وتحسينه. ومن أجل هذا الغرض فإن الحريسات الوطنية تتوفر على فحول من سلالات متعددة كالعربي الأصيل والبربري والأنجليزي الأصيل والعربي البربري وخيول الجر وكذلك الخيول البغلية (baudets). وعدد هذه الحريسات خمسة : مراكش، الجديدة، بوزنيقة، مكناس ووجدة، تؤطر ما يقرب من 80 محطة موزعة عبر التراب الوطني وهدفها تجويد النسل لعروق الخيل بالمغرب.

وتعتني هذه المؤسسات أيضاً بإحصاء ومراقبة الإنتاج وتوجيه مربي الخيول، كما أنها تسهر على مسك دفاتر الأنسال stud book وتنظم في أغلب مناطق المغرب مباريات تشجيعية للخيول المتوفرة على بطاقة النسل وتمد شركات سباق الخيل بالدعم التقني.

وتوجد بالمغرب مؤسسة تسهر على تنظيم سباق الخيول وهي الشركة الملكية لتشجيع الفرس والتي تشرف على أربع شركات مقننة لسباق الفرس مقرها في الرباط والدار البيضاء وسطات والجديدة، وعلى ثماني شركات غير مقننة توجد في كل من وجدة وفاس ومكناس وخنيفرة والقنيطرة والخميسات ومراكش وأگادير. تنظم الفئة الأولى سباقات لسلالات الفرس العربي الأصيل والانجليزي الأصيل والعربي الأنجليزي. أما الفئة الثانية فتختص في سباقات العربي البربري. وفي ما يلي جدول لعدد الخيول المشاركة في مختلف السباقات :

السلالات	عدد الأفراد	عدد المشاركين في السباق
عربي أصيل	2000	1000
أنجليزي أصيل	3000	1500
عربي أنجليزي	300	150
سلالات أخرى	5000	3000

وتوجد في المغرب أيضاً مؤسسة تسهر على تنظيم مباريات في الفروسية العصرية كالقفز على الحواجز والترويض. ينضوي تحت هذه الجامعة 37 نادياً للفروسية توجد بمختلف أقاليم المملكة. تشارك في هذه المباريات خيول من نوع خاص، غالباً ما تكون هجينا بين عدة سلالات معروفة باختصاصها في القفز.

يتراوح عدد الخيول في المغرب ما بين 150000 - 200000 فرداً كما يوضح ذلك جدول إحصائيات الخيل في المغرب مع المقارنة بعدد الجمال والحمير والبغال. ومن الملاحظ أن عدد البغال يفوق بكثير عدد الخيل ويرجع هذا إلى قلة استعمال الفرس واستبداله بالبغل الذي يتحمل أكبر المتاعب في البوادي والجبال.

	1984	1985	1986	1987
الخيل	152.501	173.230	172.347	188.615
البغال	448.835	474.684	493.898	523.770
الحمير	707.473	741.421	785.037	854.125
الجمال	41.108	39.951	37.421	40.778
	1988	1991	1992	1993
الخيل	197.600	191.400	185.622	162.300
البغال	511.262	529.100	528.426	525.900
الحمير	904.109	919.400	981.593	904.500
الجمال	35.597	-	38.845	-
	1994	1995	1996	1997
الخيل	165.100	161.600	155.700	145.100
البغال	527.000	539.700	522.800	515.900
الحمير	915.900	953.700	918.600	949.200
الجمال	-	-	-	-

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، لبنان، ط.3، 1988 ؛أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة1932 ؛ أ. زكي، *في سبيل موسوعة علمية*، ط. 6، دار الشرق،1994 ؛ *علم النباتات والحيوانات*، المسوعة الحديثة، الجزا 7 سيلكا سويسرا،1990 ؛ م. رمضاني، *البغل في المغرب*. *الموسوعة المغربية*، الجزء 5، 1996.

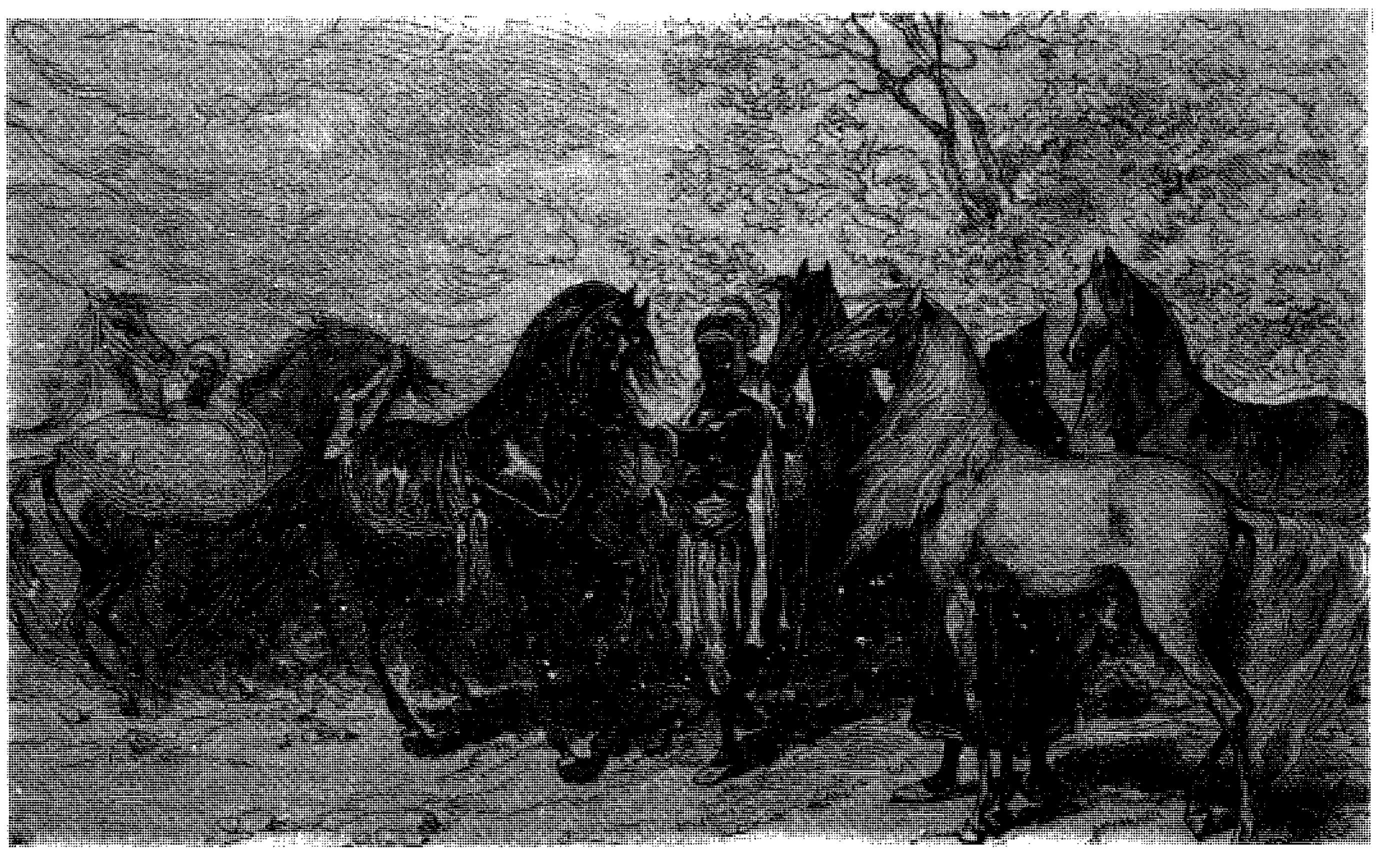
Direction de la statistique, *Effectif du cheptel et des animaux de trait. Annuaire statistique du Maroc*, 1989, 1996 et 1998, Rabat ; *Encarta, Encyclopédie microsoft*, 1997 ; E.J. Roux, *Le cheval barbe*. 1987 ; N. de Bolomac et D. Bogros, *L'arabe, premier cheval de sang*. 1978 , Ph. Ploquin et F. Peuriot, *Les chevaux du royaume*, 1990 ; J. Kidd, *L'élevage des chevaux et des poneys*, Paris , 1977 ; E. Hartl Y Edwards, *Races et types de chevaux*, Paris, 1977.

محمد رمضاني

** يعود تدجين الخيل إلى العصر الحجري، إلا أن عملية التدجين الأولى لا يعرف مكانها بالتحديد، والغالب أن الموطن الأصلي الذي دجن فيه الفرس وأصبح في خدمة الإنسان هو بلاد الرافدين وبالتحديد في عهد ازدهار الحضارة الآشورية (*قصة الحضارة Peuples et civilisations*) ؛ على أنه لا ينبغي أن يفهم من عملية التدجين أنها عملية واحدة تمت في المشرق ومنها تناسلت الأنواع الموجودة مثلاً في العصر الوسيط، بل إن الإنسان قام بعلميات التدجين للفرس ولكثير من الحيوانات الأخرى في مناطق متفرقة وعلى امتداد تاريخ طويل، وقد يكون الفرس المدجن في بلاد الرافدين انقرض بعد العصر الحجري أو عاد إلى توحشه بعد تغير المعطيات البشرية والظروف الطبيعية. ومن المحتمل جدا أن يكون الفرس المغربي الأصيل الذي عرف في العصر الوسيط الأدنى بالبربري (*وصف افريقيا* 2 : 167 ،170 ،262 ،263) ؛ أو بارب Barb (*إفريقيا*، 1 : 71 ،729) من المحتمل أن يكون منحدراً من نوع مدجن في الشام أو في شبه الجزيرة العربية، وأدخلته الهجرات الأولى التي قامت بها الشعوب القديمة نحو الشمال والغرب (p. 71 planche B, *La Grèce et l'Orient*).

إذا ما سلمنا باستيراد الخيل إلى المغرب وبباقي الحيوانات الأليفة الأخرى فإن ذلك معناه أن كل ما عرفه المغرب من أنواع الحيوانات الأليفة والنباتات كان مصدره الشرق الأوسط.

وقد ذهبت بعض الآراء التوفيقية إلى أن المغرب عرف بعض أنواع الحيوانات (دواب ومواشي). لكنها لم تكن فلاحية بمعنى أنه ليس لها مردودية اقتصادية (*الفلاحة المغربية في العصر الوسيط L'Agriculture à travers les âges*) لكن الكثير من الاكتشافات والوقائع والنصوص تكذب هذه الآراء (*العبر*،6 : 224 ،225) فالتدجين كما أشرت آنفا ليس عملية واحدة في الزمان والمكان وليست عملية نهائية. وبناء على ذلك وعلى تجارب ملموسة فإنه لا يمكن إنكار دور المغرب في تدجين بعض الحيوانات على أرضه ومنها الخيول، بدليل أنه - وإلى يومنا هذا - يحدث في أوقات الشدة والجفاف التخلي عن الكثير من الدواب فتهيم على وجهها وتصبح متوحشة وعندئذ يحتاج تدجينها إلى مهارة الإنسان في صيدها وترويضها وتربيتها. ومن هنا يمكن القول إن الخيول التي عرفها المغرب وخاصة منها النوع البربري قد دجنت انطلاقا من المراعي والمروج الجيدة التي اجتذبت أعداداً منها ؛ وليس غريبا أن نجد تطابقا في العصر الوسيط ما بين المناطق التي اشتهرت بإنتاج الخيول وبين غناها بالمراعي والمروج الخضراء ذات المناخ الملائم لتربية الخيول وإنتاجها طيلة السنة (البكري، المغرب، ص.



90 ؛ *الاستبصار*، ص. 187 ؛ *وصف إفريقيا*،2 :166، 262،263 ؛ *إفريقيا*، 1 : 71 و72).

لم تهتم المصادر التي أوردت أخبار المغرب الوسيط بأنواع الخيول عدا مصدر واحد هو *كتاب المغرب* للبكري، فقد ذكر خيولا سماها الخيول الحميدية نسبة إلى بني حميد وهم فرع من قبيلة بني حسان الغمارية، وذكر صاحب *الاستبصار* خيول بني فازاز ؛ وحتى إشارات كتب *المسالك والممالك* عن صادرات المغرب إلى المشرق ومنها الخيول العراب (*الأعلاق النفيسة*، ص. 40) لا تفيدنا كثيرا في الموضوع فلا نعرف هل الأمر يتعلق بأنواع متميزة أم بتربية جيدة لأنواع معروفة خاصة وأن المنطقتين المذكورتين : بنو حسان وبنو فازاز هي المناطق الوحيدة المشهورة بإنتاج الخيول في المغرب طيلة العصر الوسيط.

ولم يذكر الحسن الوزان في كتابه *وصف إفريقيا* وهو مصدر متأخر كثيرا عن البكري وصاحب *الاستبصار* الخيول الحميدية، ولكنه ميز بين نوعين من الخيول المغربية :

ـ النوع البربري والذي قال إنه معروف في أوربا باسم Barb بارب.

ـ النوع العربي الذي دخل بشكل محدود مع الفاتحين المسلمين.

أما الوجود القوي المؤثر للنوع العربي فيرجع إلى العهد الموحدي (*أثر القبائل العربية على الحياة المغربية*) حين نزحت القبائل العربية الهلالية وتم إنزالها في عهد يعقوب المنصور بسهول دكالة وتامسنا والغرب ؛ ورغم أن التأثيرات الهلالية والمعقلية كانت أعمق في خلق تقاليد جديدة وأساليب متطورة في تربية الخيول ومعرفة أنواعها واستعمالاتها فإن أعدادها بقيت محدودة ؛ أما البربري أو "البارب" المنتج في جبال غمارة وجبال فازاز وسهول الهبط والغرب فالحسن الوزان نفسه وفي معرض حديثه عن قبيل بني حميد في جبال غمارة (الريف) لم يذكر إنتاجا للخيول بل ولم يشر إلى وجود خيول جيدة في المنطقة مما يعني أن النوع المحلي (بارب) كان قد انتشر في المغرب وخارجه واختلط بأنواع أخرى ففقد اسمه المرتبط ببني حميد وبني فازاز (المغرب. ص. 90 ؛ *وصف افريقيا*، 1 : 262ـ263).

وأهم مناطق إنتاج الخيول في المغرب خلال العصر الوسيط هي جبال غمارة ومنطقة الهبط وأزغار، وبالذات عند بطن نفقاوة من فرع بني حميد من قبيلة بني حسان المصمودية (الخيل الحميدية) اشتهرت بجودتها داخل المغرب وخارجه (البكري، *المغرب*). أما جودة الإنتاج وشهرته فتعود بالأساس إلى خبرة بني حميد وإلى مجالها الطبيعي الذي كان مجالا شاسعا ومتنوع النبيت والمناخ يوفر المراعي والمروج والطقس الملائم على مدار السنة، فابن خلدون ذكر أن مجال قبيلة بني حسان الغمارية ـ التي من فروعها : بنو حميد ـ يمتد على طول الساحل الأطلنتيكي من وادي لكوس إلى نهر أبي رقراق (*العبر*،6 : 211). ومن المعروف أن الخيول لا تتحمل الطبيعة الجبلية في الشتاء، فكان الحميديون يرسلونها إلى المراعي السهلية الدافئة والمروج الدائمة الاخضرار في فصل الشتاء وفي فصل الصيف عندما ترتفع درجة الحرارة وتنتشر حمى المستنقعات يرسلون خيولهم إلى المراعي الجبلية الخصبة والمعتدلة المناخ في جبال غمارة ـ الريف(*الاستبصار*، ص. 187).

إنها خصائص محلية ومميزات مناخية وطبيعية جعلت شهرة تلك الخيول تطبق الآفاق (البكري، المغرب) وتصدر طيلة العصر الوسيط خارج المنطقة وخارج المغرب باتجاه الأندلس والسودان، ويرسلها الملوك هدايا إلى ملوك الأندلس وأمرائها وأمراء إفريقية وملوك مصر وغيرها.

المنطقة الثانية لإنتاج الخيول في المغرب الوسيط :جبال فازاز ــ الأطلس المتوسط والجزء الشرقي من الهضبة الوسطى ـ هذه المنطقة مشابهة في طبيعتها ومناخها لجبال غمارة فكانت قبيلة فازاز تنتجع بمواشيها وخيولها سهل أزغار في فصل الشتاء، أي أنهم زاحموا بني حسان في مشاتيهم، وتستفيد خيولهم من المراعي الجبلية الخصبة والمعتدلة صيفا (*الاستبصار*، ص. 187 ؛ *الروض المعطار*، ص. 435) إذ أهمية الإنتاج في هاتين المنطقتين ومثيلاتها في جبال الونشريس بالمغرب الأوسط هو الذي يفسر إسراع الخليفة الموحدي عبد المومن إلى غزوها وهو في بداية أمره، وحتى قبل تثبيت حكمه، أي أن المخزن الموحدي أراد بذلك ضمان تزوده بالخيول ووضع يده على أهم مناطق إنتاجها، ولا تخفى على أحد الأهمية الإستراتيجية التي تكتسيها الخيول في أية دولة سواء وقت السلم أو الحرب (*أخبار المهدي*، ص. 50، 51، 52 ؛ *نظم الجمان*، ص. 262).

تلك الخصائص الطبيعية والمميزات البشرية في مغرب العصر الوسيط التي أعطت للإنتاج المغربي للخيول أهمية كبرى ونوعية ممتازة ستتغير في عهد الخليفة الموحدي يعقوب المنصور، فتوطينه للقبائل الهلالية في سهول دكالة وتامسنا وتادلا وأزغار والهبط أضر كثيرا بالمنطقة ؛ فبعد ضعف المخزن الموحدي لم تعد تلك القبائل منضبطة فاكتسحت أراضي القبائل البربرية وحرمتها من مشاتيها، إضافة إلى استفحال الاضطرابات وسيادة الخوف وجو الحرب ؛ فكان لهذا الوضع الجديد أثره الكبير علي إنتاج الخيول البربرية قبل أن تصبح القبائل الحسانية والفازازية عاجزة بالمرة عن الإنتاج حتى إن الأجيال اللاحقة نسيت تقاليد أسلافها وخبرتهم في ميدان إنتاج الخيول. ومما يؤكد ذلك أن المصادر المتأخرة (ق. 16 م.) لم يرد فيها أي أثر لذلك الإنتاج (*وصف إفريقيا*،1 : 252)، (*إفريقيا*،2 : 255)، فأهمية المروج ــ (أكدال) ــ أساسية في تربية الخيول وإنتاجها، وسيطرة القبائل الهلالية على أزغار والهبط مكنها من هذه المعطيات فانتقل بذلك دور إنتاج الخيول وتربيتها إليها فكان ذلك من أسباب قوتها وهيبتها (*البيان*، ص. 142 و296 ؛ *القرطاس*، 395 ؛ *المن بالأمامة*،

348 ؛ ، *الاستبصار*، 2 : 143 و3 : 128).

إشارات المصادر الوسيطية إلى إنتاج الخيول قليلة، ولعل ذلك راجع لمحدودية المناطق المنتجة - كما رأينا -، لكن حديثها عن امتلاك الخيول ووفرتها كان أكبر، وبنظرة سريعة إلى أعداد الفرسان الواردة فيها والتي شاركت في مختلف الحروب، وكذا الإشارات إلى أعداد خيول الغنائم، تعطينا فكرة تقريبية عن حجم الخيول في البلاد وتقلبات أعدادها ؛ على أن ذلك لا يمنعنا من القول إن إنتاج الخيول وتربيتها وامتلاكها كان قليلا جدا إلى بداية عهد الدولة المرابطية والموحدية، فالمرابطون في بداية أمرهم حاربوا على الإبل وراجلين (*الحلل الموشية*، ص. 21 ؛ المغرب، ص. 166 ؛ *العبر*، 1 : 268)، ولم تكن للموحدين في بداية دعوتهم خيول إلا ما غنموه من الحزوب والغزوات ضد خصومهم من المرابطين وغيرهم (*أخبار المهدي*، 32 ؛ *نظم الجمان*، 242 ؛ *المن*، 158 و331 و348 و349)، فحاجة الدولتين الناشئتين إلى الخيول دفعتهما للإسراع بفتح مناطق إنتاج الخيول : غمارة، فازاز في المغرب الأقصى، وادي شلف وجبال الونشريس في المغرب الأوسط.

استمر الخصاص وقلة الخيول طيلة القرون الوسطى لاستمرار تزايد الطلب وبسبب استمرار الحروب وتعدد الجبهات، فالعرض ظل دائما أقل بكثير من الطلب، ويضاف إلى هذا العامل عامل الرفه وتحسن المستوى المعاشي النسبي للسكان خاصة في العهدين المرابطي والموحدي فكانت الفئة المترفة تقتني الخيول الفارهة خاصة في فترات الازدهار والاستقرار السياسي، مما جعل أثمنتها ترتفع وتصبح أحسن هدية يقدمها المخزن المغربي لأصدقائه وضيوفه وأعوانه (*العبر*،7 : 226 ؛ *المسند*، 452 ــ 453 ؛ *الاستقصا*، 1 : 217 و219 ؛ 3 : 128 - 129).

ورغم مجيء القبائل العربية - هلالية ومعقلية - إلى المغرب وإدخالها لأنواع جديدة من الخيول والتقاليد المتطورة في تربيتها فإن التفاوت الكبير بين العرض والطلب استمر في الاتساع، بل إن أعداد الخيول المنتجة والمرباة بالمغرب تضاءلت أكثر ابتداءً من العهد المريني المتأخر والعهد الوطاسي حتى أصبح امتلاك الفرس رمزا للقوة والجاه عند الأفراد والجماعات. فالقبيلة المتوفرة على أعداد من الخيول والفرسان تكون في مأمن من أطماع الخصوم، ولا تخضع للمخزن أو لقبيلة أخرى في هذه الفترة التاريخية.

وقد عايش الحسن الوزان هذه الوضعية وتتبعها بدقة في كتابه *وصف إفريقيا* فأشار إلى الأثمنة الخيالية التي بلغتها الخيول المصدرة من المغرب إلى السودان، وقارن بينها وبين أسعار الخيول في أوربا (*وصف إفريقيا*، 2 : 262 .263، 166. 167، 170) ؛ ويبدو أن يكون هذا العامل محفزاً للزيادة في الإنتاج كان عاملا سلبيا إذ شجع على تهريب الخيول وسرقتها (*المعيار*،8 : 78 و81 ؛ *وصف إفريقيا*، 1: 170)، ولم يعد امتلاك فرس في متناول الفئات المتوسطة من الناس لما يتطلبه من عناية وتكاليف إضافة إلى ثمنه المرتفع، لذلك تركز امتلاك الخيول في أيدي القادرين عليها وفي طليعة هؤلاء المخزن والأمراء والأعيان وكبار التجار وشيوخ القبائل وأتباعهم وأعوانهم ؛ فركوب الفرس وامتلاكه والتنقل بواسطته في غير أوقات الحروب يعتبر مؤشرا على ارتفاع في المستوى الاجتماعي (*المسند*، 143 ؛ *القرطاس*، 395 ؛ *العبر*،7 : 226 ؛ *المقدمة*، 268)، وتجريد المخزن لقبيلة من خيولها يعني القضاء عليها وإذلالها إذ تنزل إلى مرتبة غمار الناس (*الاستقصا*،5 : 97 ـ 98) ؛ وابتداء من أواخر العهد المريني أصبحت الخيول تحبس في سبيل الجهاد، وأصبح الناس يشتركون في فرس واحد أو رمكة، مما يدل على الارتفاع الكبير في أثمنتها (*المعيار*،8 : 78 . 81 ؛ *فتاوى ابن رشد*).

ونتيجة لتراجع المناطق الزراعية في السهول وانحسارها في باقي المناطق أواخر العصر الوسيط، انتشرت تربية الخيول في مناطق غير ملائمة لها، فأعطت خيولا أقل جودة إلى رديئة، فكان الحسن الوزان أكبر شاهد على هذا التقهقر وسجله بدقة في معرض حديثه عن القبائل والجهات والمدن وأشار إلى أن الخيول الجيدة كانت محتكرة من شيوخ القبائل وخاصة القبائل العربية حتى إن المخزن الوطاسي كان مضطرا للاعتماد عليها في حروبه وغزواته (*وصف إفريقيا*، 1 : 126 و128 ؛ *الاستقصا*، 4 : 118 - 119 و153 وما بعدها).

استخدمت الخيول في مجالات متعددة وأغراض مختلفة طيلة العصر الوسيط، لكن الاستغلال الأكثر شيوعا الذي اهتمت به المصادر أكثر من غيره هو استخدامها في الحروب والتنقل، *فالخيول هي أحسن وسيلة للسفر البري غير أنها* لم تكن في متناول الجميع، بل اقتصر هذا الاستغلال على المخزن وأعوانه، وعلى الفئات الميسورة ؛ وبحسب استغلالها واستخدامها كانت الخيول تربى وتروض، فالخيول المعدة للحروب يتم تدريبها تدريبا خاصا وإعدادها حسب فنون القتال، فخيول المبارزة غير خيول الهجوم وهذه ليست خيول الكر والفر أو الإغاثة إلى غير ذلك من فنون القتال وألوانه ؛ وهذه الخيول لا يدخل ركوبها في الصنف الذي يكسب الأبهة والمكانة الاجتماعية الراقية، إذ الشرط الوحيد لركوبها أن يكون الشخص فارسا شجاعا ومحاربا ماهرا لا يدخل في ذلك نسبه وحسبه ولا لونه، وتدرب خيول الركوب على الأسفار أو على التجوال داخل المدن وخارجها، أما الخيول الخاصة بالصيد والمطاردة وخيول السباق وخيول البريد والرسل فتدرب تدريبا خاصا.

- خيول السباق والصيد والبريد المستعجل : تعتبر هذه الأنواع من أسرع الخيول ويتم تدريبها وترويضها لهذا الغرض وتعرض على التجربة والامتحان وأصعب امتحان لها هو مسابقة حيوانات النعام واللمط ومطاردتها ؛ فإذا تمكن راكبها من صيد تلك الحيوانات على فرسه عد من أسرع الخيول وكان ثمنه مرتفعا.

ـ خيول النقل والجر وخيول الحمل : خيول النقل خاصة بركوب الأشخاص وتنقلهم من مكان إلى مكان في الأسفار القصيرة والمتوسطة وتربى لهذا الغرض وهي في ملكية أصحابها ومنها التي تكترى للسفر وفق شروط معروفة، أما خيول الجر وخاصة جر العربات فلم تكن مستعملة في المغرب الوسيطي رغم أن استعمالها كان شائعا في الكثير من الحضارات القديمة ومنها الحضارة الرومانية، وقد أستعملها الرومان في المغرب ؛ ووردت في المصادر الوسيطية إشارات قليلة عن استخدام الخيول لجر الأخشاب والصخور والأحجار الضخمة المستعملة في البناء، وجر المحاريث واستعملت الخيول لحمل المحفة وهي وسيلة خاصة بتنقل الملوك وكبار رجال الدولة في الأسفار البعيدة وخيول المحفة مدربة تدريبا خاصا، أما خيول الحمل (الحمالة) المستعملة لحمل البضائع وسائر الأثقال على ظهورها فهي خيول غير جيدة وغالبا ما تكون مسنة أو أعفيت من خدمات أخرى تعرف بالبراذين (الوزان، وصف، 185 و187).

لا تتحمل الخيول البرودة والحرارة الشديدة، فالرمال الصحراوية الحارة والأراضي الشديدة الخشونة تضر بحوافرها فتعجز عن الركض وأحيانا حتى عن السير العادي قبل أن تهلك ولا يمكنها أيضا الجري والركض بصفة متواصلة وبكامل طاقتها إلا لمسافة محدودة تتراوح في المعدل ما بين ثلاثين إلى أربعين كيلومتر في مناخ معتدل، فالعناية بالخيول وإعدادها يختلف باختلاف الخدمات المطلوبة منها، فمثلا لإعداد الخيول لمهام تبذل فيها طاقة وجهد كبير يجب أن تعلف ليلة القيام بالمهام المذكورة ؛ وتلافيا للنزاع حول الخيول وللسرقة، ولحماية مصالح المخزن والمحافظة على هيبته، اختص المخزن والفئة الحاكمة بنوع معين من الخيول الفارهة، مميزة إما بلونها أو بسلالتها، إضافة إلى وضع علامات خاصة عليها بواسطة الكي (*التشوف*، 403 ؛ *المعيار*، 7 : 958 و104 و181 ــ 182 و185 ؛ فتاوى، 1 :313 ؛ *كتاب الفلاحة لابن العوام*) واختصت الخيول المحبسة بعلامة خاصة، واتبع الخواص الطريقة نفسها فعلموا خيولهم ووسموها.

ع. ابن خلدون، *العبر*..، بيروت ؛ ع. البكري، *المغرب في ذكر افريقية والمغرب*، الجزائر، 1911 ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار*، الاسكندرية، 1958 ؛ حاج صادق، *صفة المغرب وأوربا* في ق. 3/ 9 ...، الجزائر 1949 ؛ الحميري، *الروض المعطار في خبر الأقطار*، بيروت، 1957 ؛ أ. البيدق، *أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين*، الرباط، 1971 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، البيضاء، 1954 و1955 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تطوان ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، تطوان، 1960 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، البيضاء، 1979 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح*..، الجزائر 1981 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار المعرب*، بيروت، 1981 ؛ م. ابن رشد، *فتاوى*، بيروت، 1987 ؛ ابن العوام، *كتاب الفلاحة* ؛ القلقشندي، *صبح الأعشى*، القاهرة، 1919 ؛ الجاحظ، *كتاب الحيوان* ؛ الدميري، *كتاب الحيوان* ؛ ابن وحشية، *الفلاحة النبطية*، مصورة فرانكورت ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، ليدن، 1938 ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، نابولي ، إيطاليا ؟ ؛ ابن صاحب الصلاة، *كتاب المن بالإمامة*... ؛ ابن عذاري، *البيان*، البيضاء، 1983؛ سسورانت، 3878ويل ديس*قصة الحضارة* (مترجم)، القاهرة، 1956 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، الرباط، 1984 ؛ م. الطويل، الفلاحة المغربية في العصر الوسيط، مرقون كلية الآداب بالرباط ؛ مصطفى أبو ضيف، *أثر القبائل العربية في الحياة المغربية*، البيضاء، 1986.

R. Grand, *La Grece et l'Orient*, Paris 1964 ; *L'agriculture à travers les âges...*, Paris, 1950 ; Martin, *Géographie du Maroc*, Casablanca, 1967 ; *Encylopédie peuples et civilisations.*

محمد حجاج الطويل

الخيمة، من أقدم أنواع المسكن في المغرب، إنها النوع الأكثر استجابة للتنقل كيفما كانت طبيعة السطح وكيفما كانت أحوال الطقس والمناخ. وهي قطعة نسيج سوداء في الغالب مكونة من عدة أفلجة متراصة ومن أطراف وركائز.

يتكون هذا النسيج في الأطلس من شعر الماعز وقليل من الصوف. وفي السهول الغربية عامة، يتكون من وبر الجمال وشعر الماعز، والليف. أما في الشرق والصحراء فإن اللون يكون فاتحا وتكون الخيام أقل حجما وأكثر انخفاضاً.

عند بناء الخيمة، لا يصل سطحها إلى الأرض، الفجوة الفارغة بين السطح والأرض (تتراوح ما بين 3 و6 أمتار) هي التي تشكل مجالها الداخلي وفناءها، حيث يقل الارتفاع وتنحصر المسافة نحو الأطراف الجانبية من الداخل (ما بين متر ومترين).

وتنقسم الخيمة إلى قسمين (ركنين)، يصل بينهما فاصل يمتد بين الركيزتين الحاملتين للحَمّار ويدعى هذا الفاصل "بالرْحَلْ"، يحتوي في الغالب على صندوق خشبي، توضع فوقه مجموعة من الأغطية. ومكحلة غالبا ما تربط بالركيزة حتى تكون في المتناول وحتى ترى لكل زائر. قسم (ركن) يكون مخصصا للرجال وللضيوف لذلك يكون الأكثر نظافة ومفروشا بأحسن الأفرشة والوسائد، أما القسم الثاني فيكون مخصصا للنساء وللطبخ، يحتوي على كانون (حفرة محاطة بثلاث قطع من الحجر : أثافي) ورحى وأواني خزفية... وفي بعض الأحيان يعنى فيه بحديثي الولادة من الغنم والبقر...

ولتفادي أي سيول مفاجئة، تحاط الخيمة بخندق صغير يحوّل المياه إلى أبعد، وغالبا ما تبنى الخيمة على تل أو أكمة. ولأسباب أمنية، كانت الخيام تبنى على شكل دائرة أو دوار، ويخصص المجال الذي تحيط به الخيام لمبيت الماشية، وغالبا مايحيط بدوار الخيام سياج (زريبة) من

الأشواك أو غيرها (سدرة ـ عصف ـ أغصان...).

وتقاس قيمة الخيمة بحجمها وبتمام أجزائها وبتناسق وحداتها وألوانها... وانطلاقا من هذه المقاييس هناك نوعان من الخيام :

ـ خيام العزيب والسكن : خيام نفعية، أقل حجما، ولاتتوفر في الغالب على كل المكونات...

ـ خيام الأفراح والمواسم : لا تستعمل إلا في المناسبات، خيام أكبر حجما، غالبا ما تتوفر على معظم الأجزاء...

وشكلت الخيام نوع السكن الأكثر إنتشاراً في المغرب إلى غاية التدخل الاستعماري، حتى إن المعطيات الاحصائية الخاصة بالسكن أو السكان غالبا ما كانت تتم بالخيمة أو بالكانون، وهو المصطلح المرتبط بركن الخيمة.

ففي سنة 1934، مثلا كان توزيع السكن بدائرة "وادي زم" على الشكل التالي :

بيوت	مشتة	نوالة	خيام
2.363	188	2.415	12.347

أما في "هضبة أولاد عبدون" فكان توزيع السكن سنة 1936، على الشكل التالي :

بيوت وأكواخ	نوالات	خيام
413	1.101	5.937

وإذا كانت الخيام قد حافظت على شكلها التقليدي، فإن وظيفتها قد تراجعت بشكل كبير، فاسحة المجال بذلك لأنواع سكنية جديدة، ويعبر هذا التراجع في نفس الوقت عن مدى التحول الذي عرفته البنيات التقليدية منذ عهد الحماية.

1 ـ الفلْجَة أو الفُليج (Flij) : شريط تنسجه النساء من الصوف والشعر، يصل عرضه إلى ستين سنتمترا تقريبا، طوله طول الخيمة (من 6 إلى 20 مترا). وتتكون الخيام المتوسطة من 7 إلى 8 فلوج، بينما تتكون الخيام الأكبر من 12 فليجاً.

ويحيط بالفليج من الأطراف (شَارِبْ)، وهي طية من الحواشي سواء باتصال فلجة بفلجة أخرى أو باتصالها بالرفافه حتى لا تتمزق أو يحل نسيجها.

2 ـ المَشَلْ : خيط متين يربط بين فليج وآخر، وهو نظام للعقد أو للخياطة للربط المحكم... وعند القطرات الأولى من المطر، ينتفخ النسيج فتنغلق ثقب الربط ولا يتسرب المطر نحو الداخل.

3 ـ الرَّابْعَه (ج. رْوابَعْ) : وهي قطع طويلة، منسوجة بأشكال هندسية متناسقة، قد تكون بالأبيض والأسود أو بالألوان، وهي القطع التي تشد الخيمة إلى الأوتاد.

4 ـ العمود (Perche)، قطع من خشب مصقول، أكثر عرضا في الأعلى، تحمل أطراف الروابع نحو الأعلى، عددها بعدد الأوتاد. أما الركيزتان الداخليتان، فتكونان أكثر طولا وأكثر متانة، لأنهما تحملان الحَمَّار (poutre faitiere)، وتحافظان على رسو الخيمة وتوازنها.

5 ـ الطْرِيْگَة (Triga) : شريط منسوج بشكل مزخرف، تشبه (الرابعة)، إلا أنها أكثر متانة وعرضا (من 20 إلى 40 سنتمترا). تمتد من الوتد الخلفي إلى الوتد الأمامي، على شكل قوس مرورا وسط الخيمة فوق الحمار، ومن فوقها تمر الفلوج.

6 ـ المْسَاعَدْ (ج. مسعود) ويسمى كذلك خْرَبْ (crochet de bois)، وهي فروع خشبية، وتصلح لربط الرابعة بالطارفة (7).

7 ـ الطّارفَه (ج. طْوارف) حبال من صوف وشعر، تشد المسعود إلى الوتد، وفي حالة النقص في عددها تعوض بحبال عادية أو بحبال من الدوم.

8 ـ السّهْوَةْ : المكان الفارغ بين الفراش والواجهة الأمامية للخيمة أو الجوانب.

9 ـ الخالفة (ج. خْوالَفْ) : وهي الأركان (الزوايا) الأربع للخيمة.

10 ـ الرْفافَهْ (ج. رْفَايَفْ) (Couverture des bas-cotés) : قطع نسيج تغطي الخيمة من جانبيها. في فصل الصيف تفتح الجوانب برفع الرفايف إلى أعلى لتوليد تيار هوائي داخل الخيمة. أما في فصل الشتاء، فتضاف إلى الرفايف من الداخل ستائر من القصب البري أو من قصب القمح (الخص) لتقوية الرفايف ولحماية داخل الخيمة من تسرب الرياح.

11 ـ الأوتاد (ج. وتد) : وتكون من حديد أو من خشب، وتدق في الأرض بواسطة مطرقة كبيرة تسمى الرزامة. والأوتاد عنصر أساسي لبناء الخيمة ولشدها إلى الأرض.

12 ـ الركن : وهي الجهة الممتدة من وسط الخيمة إلى جانبها، وعليه فللخيمة ركنان : أيمن وأيسر.

13 ـ الفلْقَة أو الكْفَا (الكفاء) : وهي كساء يطرح حول الخباء كالإزار له، ولكل جهة أمامية أو خلفية من الخيمة فلقتان يُشدان إلى ثنية الفلوج بنظام محكم للعقد أو بإبر غليظة تسمى (الخْلال).

14 ـ وقد تعوّض بالـمَخْيط.

15 ـ عندما تحدث العواصف، أو تهب رياح قوية، تُشدُّ الخيمة إلى الأرض بحبلين، يشد كل واحد منهما

وسط نصف الخيمة من الأعلى بالموازاة مع الطريكة، ويحكمان إلى الأوتاد الخلفية والأمامية.

أندريه، باكار، *المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة*، مجلد I، أتوليبه 1974.

E. Laoust, *L'habitation chez les transhumants du Maroc central*, I, *La tente et le douar*, *Hesp.*, TX, 1930 ; S. Nouvel , *Nomades et sédentaires au Maroc*, Paris 1919.

صالح شكاگ

** وتطلق الخيمة، أو الكانون بالبادية المغربية على ما يصطلح عليه حالياً بالأسرة الممتدة. وتتميز أساساً بالعيش تحت نفس السقف (تعلق الأمر بخيمة في المعنى الحرفي للكلمة أو ببيت يضم كل أفراد الأسرة) وحول نفس الكانون، إذ أن رب الأسرة هو الذي يشرف من الناحية الاقتصادية على تدبير كل النفقات التي تهم مجموع أفراد الخيمة نظراً لكون أبنائه وحفدته يعملون في إطار الملكية العائلية. كما أن زوجة رب الأسرة (أكبر النساء سنا) هي التي تشرف على كل الأعمال المنزلية، تعينها في ذلك بناتها وزرجات أبنائها.

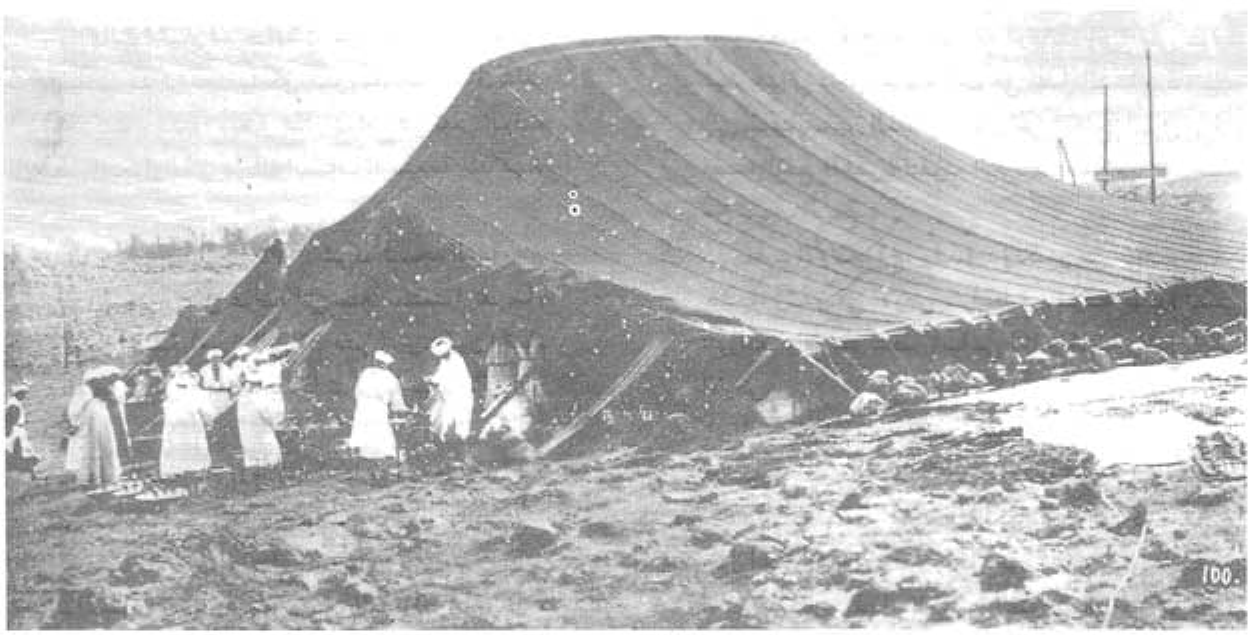
بعد وفاة رب الأسرة، يخلفه في تسيير الخيمة أكبر الأبناء سنا، ويستمر الجميع في استغلالهم أملاكهم بطريقة مشاعة. ويحق لمن شاء أن يطالب بحقه في الإرث، فينفصل عن الأسرة ليشيد خيمة جديدة. وقد أخذت هذه الظاهرة تنتشر إثر سيادة العمل المأجور والاقتصاد النقدي والتحديث القروي وما يتعلق به من تمدرس وتغير ـ ولو نسبي ـ في مستوى القيم، فنتج عن ذلك تغير على صعيد الأسرة الممتدة والقيم التي كانت تعتنقها وتنبني عليها.

J. Berque, *Structures sociales du Haut Atlas* ; E. Doutté, *L'organisation domestique et sociale chez les Haha*, in *A.F.R.C.*, janvier 1905 ; R. Jamous, *Honneur et baraka. Les structures sociales traditionnel dans le Rif*, Paris, 1981 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen dans le sud marocain. Essai sur ls transformation politique des Berbères sédentaires (groupe Chleuh)* Paris, 1930 ; G. Tillon, *Le Harem et les cousins*, Paris, 1966.

عبد الجليل حليم

خيمة بوخلالة. مكان معروف بقبيلة زعير، يقع إلى الجنوب من قرية مغشوش. يظهر أنه كان محطة للمسافرين تنزل به القوافل المترددة بين فاس ومراكش. كما كان هذا المكان محطة لتخييم الحركات السلطانية. وحسب بوعسرية ابن منصور أن خيمة بوخلالة تنسب إلى أحد رجال القبيلة. وقد أشار إليها في رحلته التي وصف مراحلها من الغرب إلى مراكش، في عهد السلطان محمد بن عبد الله. وتوجد الرحلة في مؤلف الإعلام للمراكشي. قال ابن منصور يصف المكان المشار إليه :

وهذه الجبال لا محالـــــــة	تُدعى بخمية أبي خلالـــــة
كان رئيسا قائما في وقتـــه	ذا رفعة حتى ثوى في رمسه



ومَوضع الخيمة تمّ ظاهـــــر　　معلماً لمن يراه باهــــــــر
يقول يا هذا الذي رآنــــــي　　إياك أن تغترّ بالزمــــــان

ابن إبراهيم، *الإعلام*، 1 : 356.

علال الخديمي

خيمينيث ذى ثيسنيـــروس، فـــرانڤسكـــو Francisco Jimenez de Cisneros قسيس شـُهر بـالكردينـال لينـال ثيسنيروس Cardenal Cisneros ولد سنة 1436 ؛ وفي سنة 1493 عين مطراناً رئيس أساقفة مملكة قشتالة ؛ وبصفته معرفاً للملكة إيسابيل الكاثوليكية Isabel la Catolica والملك فيرناندو الكاثوليكي Fernando el Catolico عين رئيساً عاماً لمحاكم التفتيش Inquisidor general.

وهو الذي أرغم مسلي غرناطة على اعتناق الدين المسيحي، وأحرق الكتب العربية بساحة فيفاراميلا Vivarambla بغرناطة ؛ وقاد الحملة الصليبية التي احتلت مدينة وهران سنة915 / 1599 وأشرف على طبع التوراة المتعدد اللغات *Biblica poliglota* لأول مرة.

وكانت وفاته سنة 1517.

Diccionario enciclopedico Salvat, Madrid, 1920, Vol. 5.

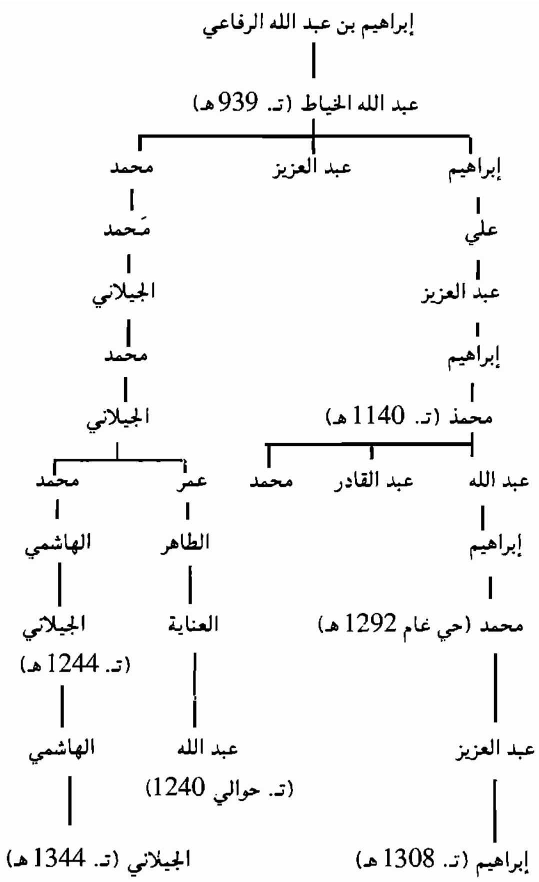
محمد ابن عزوز حكيم

الخياط، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم وهي نفس الأسرة التي ظل بعض أفرادها بالأندلس بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Alcayat. وكانت فرقة من هذه الأسرة الأندلسية قد استقرت أول مرة بفرقة الواد من قبيلة بني حزمر (بني يجم سابقا) حيث أسست المدشر الذي مازال يعرف بمدشر دار الخياط.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 646.

محمد ابن عزوز حكيم

الخَيّاط، أو الخياطيّة بيت صوفيّ شهير في المغرب ينتسب للشيخ عبد الله الخياط مؤسس الزاوية الخياطية بزرهون خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م) وقد تـوارث أحفاده الصلاح والعلم وشرف النسب في كل من زرهون وفاس، وظلت مصنفات التراجم تعنى بذكر أعيانهم حتى منتصف القرن الرابع عشر (20 م) ومازالت جماعة سيدي عبد الله الخياط بجبل زرهون تؤوي إلى يومنا هذا أضرحة ومآثر هذا البيت.



شجرة آل الشيخ عبد الله الخياط الزرهوني

الخياط، إبراهيم بن **عبد العزيز** من أهل القرن الحادي عشر (17 م)، دفن داخل باب الفتوح من فاس، وهو والد مَحمد فتحا (تـ.1140 / 1728) واسطة عقد حفدة الشيخ عبد الله الخياط. وهناك شخص آخر متأخر باسم إبراهيم بن عبد العزيز الخياط ممن يشار إليه بالخير والصلاح. توفي سنة 1308/90 ـ 1891.

الخياط، إبراهيم بن **عبد الله** بن **أحمد** الرفاعي، اليمني مولدا الوهراني مدفنا، جد بيت الخيايطة. لا تضبط المصادر من سيرته إلا ثلاثة تواريخ : عام 859 / 4، 1455 الذي ألقى فيه عصا التسيار بالقاهرة بعد سياحة صوفية، وعام 884 / 79، 1480 الذي انتسب فيه إلى الشيخ أحمد زروق (تـ.899 / 1493)، وعام 888 / 3. 1484 الذي أمره فيه شيخه زروق بالرحلة إلى المغرب.

وتكشف هذه الاضاءات الثلاث عن المعالم البارزة في هذه السيرة : فالقاهرة احتضت أطواراً حاسمة من الحركة الصوفية التي انخرط فيها إبراهيم الرفاعي، والتي نشأت عن التقاء حركتين صوفيتين يمنية ومغربية، تزعّم الأولى الشيخ أحمد بن عقبة الحضرمي (تـ.895 / 1489)، وتصدر

الثـانيـة أحمـد زروق. وإذا كنـا لا نستبعـد خـروج إبـراهيم الـرفـاعي من بلـده من اليمن في صحبـة أحمـد الحضـرمي ودخولـه القـاهـرة معـه، فإننـا لا نشك في اتصـالـه بـه إبـان استقراره بها، وقد انتشر صيته وأصبح مقصد المتشوفين من أمثـالـه إلى التصوف ورجالـه. ولا يعكس خطورة شخصيـة الحضرمي الصوفيـة مثل الأثـر الذي خلفه في تلميذه زروق الـذي اعتمـد في الطـريق والتحقيق عليـه، وصـدّر بـه في الطبقة الأولى من طبقات المشايخ الذين صحبهم، وقـال إنه مالقي أعرف بالله ولا أكبـر منه، وكان لا ينقل في كتبه إلا عنه. وقد اتصل زروق بشيخه الحضرمي في القاهرة أول مرة عنـد عـودته من الحجـاز عـام876 / 1471 ، فـانتسـب إليـه وصحبـه سبعة أشهـر أو نحـوها، وصـار من خـاصـة أتبـاعـه. وحدث هذا الاتصال والانتساب بعد يأس الحضرمي من أهل مصر، وتـوجهه في دعوته إلى المغـاربة الذين كـان يرى أنهم المخصـوصـون بطريقتـه.فكـانت أولى الكلمات التي سمعهـا زروق منه خلال زيارتـه الأولى له مع جماعة من المغـاربة هي : "اخرجوا من هذه البلاد فإنهـا تذهب بنـور الإيمان، وعلى كل من دخلهـا أن يتركهـا حتى يجدد دينـه"، وتكرر نصحـه لهم : "إن تـربـة المغـرب طيبـة، فإذا رجعتم إليهـا تطيب قلوبكم"، وحين سئل مرة : "ما بـال الرسل بعثوا إلى المشرق ولم يبعثـوا إلى المغـرب ؟" كـان جـوابـه : "لأن الطبيب لا يذهب إلا إلى محل العلة !".

وتفصل ثمـانيـة أعـوام بين انتساب زروق إلى الحضـرمي وبين انتساب إبـراهيم الرفـاعي إليـه عام884 / 79، 1480 ، وهي مـدة قضـي زروق السنـوات الثلاث الأولى منهـا في التردد بين مصر والحجاز، والعمل في إطار الحركة الصوفية التي يتزعمها الحضرمي بالقاهرة، وأمضى بقيتها في بلده المغرب الذي عاد إليه، وأخرج به أنفس تصانيفه وهو كتاب "قـواعـد التصـوف"، وقـاد حركـة إصلاحيـة صـوفيـة وعلميـة كبـرى، انتهت إلى فسـاد العلاقـة بينـه وبين القـائمين على الـرئـاسـة الـروحيـة، واضطرتـه إلى الخروج من فـاس مغاضبـا عام883 / 1478 . فيسجل هـذا الانتسـاب انخراط إبـراهيم الـرفـاعي في المشروع الإصلاحي الزروقي الذي تـوضحت معـالمه غـداة استقرار الشيخ زروق بـالمغـرب، ومهـد لعصر التصوف الذي سيدخله، والـذي ستحقق فيـه الغلبة للشاذلية من طريق الشيخين الجزولي وزروق. وفي هذا الإطار انتقل إبراهيم الرفـاعي مع شيخه زروق من القاهرة إلى برقه بأهله وولـده، ومكـث بهـا إلى أن أمـره بالتـوجه إلى المغرب عـام 888 / 3، 1484. فرحل بأولاده الثلاثة : عمر ومحمد العربي ومحمد الطيب، وولد له عبد الله بقابس في العام الذي يليه 889 / 4، 1485، وتوقف بالثغر الوهراني واستوطنه. ونفسر هـذا التـوقف بـانسداد آفـاق المغـرب في وجـه الـزروقيين، فـالشيخ زروق لم يلبث أن التحق بـالمغرب الأوسط عـام 891 أو 892 / 6، 1487 قصد لَمِّ شمـل بيته، إذ كـان خلّف بفاس زوجتـه فـاطمة الزلاعيـة واينيـه الأحمدين الأكبـر والأصغر.

وعلى الـرغم من مـرور ثمـاني أو تسع سنين على خلافـه مع أربـاب الـرئـاسـة الصـوفيـة من قومـه، نجده يحجم عن دخول المغرب ويفضل الانتظار بين أتباعه من أهل المغرب الأوسط إلى أن يلحق بـه زوجـه وولـده. وحتى بعـد وفـاتـه (899 / 1493) فـان ابنيـه المذكـورين غـادرا مصراتـه متجهين غربـا، لكنهما توقفا أيضاً بمدينة قسطنطينـة، واستقرا بها نهائياً، ولم يصلا المغرب ولم يدخلاه.

وإذا كـانت قـريـة "تـامقـرة" الـواقعـة عنـد "بني عبـدل" بضواحي بجاية مركز الحركة الزروقية بـالمغرب الأوسط في حيـاة الشيخ أحمـد زروق، وقـاعـدتهـا المتقـدمـة في اتجاه المشرق. وفي معهـدها الشهير الذي أسسه الشيخ يحيى بن محمد العبدلي ـ الذي أخذ عنه زروق ـ انتسب إلى الزروقية أحمد بن يوسف الراشدي (ت.931 / 1524) وأحمد بن خدة والصغير بن محمد الأخضري ونجله عبد الرحمان ومحمد بن علي الخروبي (تـ 963 / 1556)، وغيرهم مـن الأعلام. فان استقرار إبـراهيم الرفـاعي بـوهران قـد هيأ للزروقيـة إحدى قواعدها المتقدمة في اتجاه المغرب، وأحد مراكزها النشيطة في المنطقـة الغـربيـة مـن المغـرب الأوسط، والتي ستتعـزز بحركة الشيخ أحمد بن يـوسف في إقليم بني راشد، والتي ستعم هذه المنطقة برمتها، وتمهد الطريق لعودة الزروقيـة إلى المغرب وانتشارها به.

ولاشك أن الشيخ أحمد زروق قد أذن لإبراهيم الرفاعي بـالتصدر للمشيخـة في وهران، وإذا كنا لا نستطيع تحديد المدة التي قضاها بهذا الثغـر، فإنها كـانت كـافيـة لاشتهاره بـالصلاح بين أهلها وظهـوره بينهم بالكرامات. يشهـد على ذلك لقب الخياط الـذي أطلقه الـوهرانيون عليـه اعتقاداً في قدرته الخارقة على رتق الجرح الغائر، وأيضاً ضريحه ـ الذي ثوى به رفات ابنه عمر ـ والذي أضحى حرماً ومزاراً عظيماً بهذه الحاضرة.

اتسع النفـوذ الـروحي لآل الخيـاط خارج وهران، فـانتقل نجلـه محمـد العـربي إلي مـازونـة، ومـدفنـه بين المعسكـر والموضع المذكـور. أما ابناهُ محمد الطيب، وعبـد الله الـذي كان مـا يزال يومئذ في سن الاحتلام فقد يمما فاس يحملان معهما المشروع الزروقي ـ الرفـاعي إلى غايته ويبلغـانه إلى نهـايته. وإذا كنـا لا نعلم هل والـدهمـا هو الـذي بعث بهـمـا في حيـاتـه، أم أنهمـا قصـدا المغـرب بعـد وفـاتـه، فـان هـذا الخروج قد تم في إطار النضال الذي كرس له الشيخ إبراهيم حيـاتـه، ونشأ أولاده وشبوا فـي خضمه، والهـادف إلى نشـر الطريقة الزروقية بالمغرب. وقد آتى هذا الكفاح أكلَه على يـد عبـد الله الـذي أفـاد من كل هذه الممهـدات فأفلح في غـرس البذرة الزروقيـة ـ الرفـاعيـة في تـربة زرهـون، فأينعت دوحـة انتشـرت أفيـاؤهـا فـي البلاد شرقـاً وغـربـاً وقـدر لهـا البقـاء إلى هلم جراً.

الخياط، إبراهيم بن **عبد الله** حفيد سميه المترجم له قبله، وبكر الشيخ عبد الله الخياط مؤسس الزاوية الخياطية، وخليفته عليها بعد وفاته التي حدثت عام 939/ 1533. يلقبِ "بصاحبِ سلسلة الذهب" لأن جل من اشتهر بالصلاح من حفدة الشيخ عبد الله الخياط لا نجده إلا من أولاده دون أخويه محمد وعبد العزيز، ويقول مترجموه إن ذلك بدعوة من والده. وتسكت المصادر عن أخبار مشيخته لزاوية زرهون، وربما للظروف العصيبة التي تمت فيها، والمتصلة بزوال ملك الوطاسيين الذين شايعهم والده وطائفته وانتقال الحكم إلى خصومهم السعديين. وكل ما تذكره عنه علمه وصلاحه وعنايته بنجله علي الذي أورثه مشيخه الزاوية بعده، وأنه دفن بزرهون.

الخياط، أحمد هو أحد أبناء عمومة مَحمد بن إبراهيم ومعاصره (لم يذكر في الجدول السابق). ذكره صاحب *نشر المثاني* ضمن الأشياخ الذين لم يحضره عامُ وفاتهم من أهل المائة الثانية عشرة (18 م)، ويبدو أن اسم والده الذي استوطن فاسا لم يحضره أيضاً، فاكتفى بالاشارة إلى أنه من عقب الشيخ عبد الله الخياط. انتسب إلى الشيخ محمد المدعو الحاج الخياط الرقعي (ت. 1115 / 3. 1704) المتصدر لمشيخة زاويته الكائنة بالشرشور من فاس القرويين، وأخذ معه عن الشيخ محمد بن عبد الله العلمي اليملحي دفين وزان، ثم من بعد وفاته عن ولده الشيخ التهامي، ثم من بعد وفاته عن أخيه الشيخ الطيب.

واشتهر أحمد الخياط بالانتساب إلى الطائفة التهامية - الوزانية بفاس، وبملازمته لأوراده وتلاوة أحزاب أشياخه ومداولة الجلالة. وأنه كان يحترف الفلاحة وكسب الماشية، كثير الصدقة والمودة لأهل البيت والإكرام لهم. وأنه حج فأنفق بالحجاز أموالاً على الضعفاء والمساكين. وفي حدود عام1150 / 7، 1738 أخذ السمت إلى الزاوية الوزانية، فأدركته الوفاة من غير مرض بديار بني مالك في الغرب، ودفن بأرضهم، وخلف بفاس أولاداً.

الخياط، الجيلاني بن الهاشمي يوجد ضريحه بزرهون أسفل ضريح جده عبد الله الخياط. فقيه مكاشف، توفي عام 1244 / 8. 1829.

الخياط، الجيلاني بن الهاشمي يشترك مع المترجم قبله في الاسم والمدفن، توفي عام 1344 / 5. 1926، ووصفه صاحب *إتحاف المطالع* بالمشارك النابغة.

الخياط، عبد العزيز بن علي نجل الخليفة الثاني على الزاوية الخياطية بزرهون، ووالده علي بن إبرهيم هو أول من استوطن فاساً من عقب الشيخ عبد الله الخياط. ولا نعلم هل ولد بفاس أم بزرهون، ولعله مخضرم عاش طرفا من القرن العشر (16 م) وطرفاً من الذي يليه، ودفن داخل باب الفتوح.

الخياط، عبد الله بن إبراهيم القابسي مولدا الزرهوني مدفنا، مؤسس الزاوية الخياطية بزرهون ومعلم بداية الحقبة الثانية من تاريخ الصلاح بهذا الجبل، بعد الحقبة الأولى التي ارتبطت بضريح المولى إدريس (ت. 177 / 793). وتوهم المصادر التي تؤرخ لسيرته بالنشأة الصوفية الجزولية له وسبقها على اتصاله بالزروقية، وتصور دخوله المغرب دخول العاطل من الصلاح بالمرة، وتهون من قدمته صغيراً دون الاحتلام وتلميذا في بدايات مراحل طلب العلم ظاهره وباطنه. والحال أن هذا الطفل قد جاء يحمل إرث نضال جيل من سلفه في سبيل نشر الطريقة الزروقية، من القاهرة إلى برقة وقابس فوهران ومازونة. ويتمتع بشهرة بيته بالصلاح في المغرب الأوسط، ويتحلى بسنده الرفيع في الزروقية، وواسطته المعتبرة فيها والده وإخوته أعلام الطبقة الأولى في هذه الطريقة. ولا يستبعد أن تكون فرصة رؤية الشيخ زروق قد أتيحت له خلال العقد الأول من حياته، ووافقت وفاةُ الشيخ اكتمالَه. وزيادة على ذلك فقد دخل المغرب في صحبة أخيه محمد العربي وابن خالته عمر الخطاب ذي الخطورة في عصر التصوف هذا. ولا شك أن إخوانهم الزروقيين المغاربة كانوا في انتظارهم وهبُّوا لاستقبالهم، وعلى رأسهم إبراهيم بن علي الزرهوني المعروف "بأفحام" أو "أفهام" (ت. 926/ 1520) شيخ أهل الملامة بمغرب القرن العاشر (16 م)، وأبي إسحاق الزرهوني أيضاً، وغيرهما.

وبدأ عبد الله الخياط دراسته بمكناس مع ابن خالته عمر الخطاب، وانتقل بعدها لاستكمال تعليمه بالحاضرة الوطاسية فاس التي أدرك بها الطبقة العلمية التي عاش أفرادها معظم حياتهم في القرن التاسع (15 م)، وأدركوا العقود الأولى من القرن العاشر (16 م)، وهي طبقة الإمام محمد بن غازي المكناسي (ت. 919/ 1513). وبفاس توفي أخوه محمد العربي، ودفن بباب الفتوح. كما أدرك عبد الله وعمر أعلام الطبقة الجزولية الأولى، فبادرا إلى الانتساب لهم والأخذ عنهم. فصحب عمر الخطاب عبد العزيز التباع (ت. 914/8 ــ 1509)، واختص عبد الله الخياط بصحبة الشيخ الحسن بن عمر أجانا، وهو أحد الأربعة المشاهير من صحب الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (ت. 870/5 ـ 1466)، والذين تخرجت على أيديهم الشيوخ وانتشرت منهم الرجال وتفرعت بهم الطريقة

الجزولية. ولازمه عبد الله اثنتي عشرة سنة، ولا تذكر كتب الطبقات من أتباع هذا الشيخ سواه. وتخبر بأن أجانا السوسي هو الذي وجهه إلى الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 931 /1524)، صدر الطبقة الزروقية الأولى، وكبير مشايخ التصوف بالمغرب الأوسط في وقته، وشيخ المشايخ والطوائف الزروقية بالمغرب الأقصى، من الربع الأول من القرن العاشر (16 م) إلى هلم جراً.

وتجديد عبد الله الخياط العهد بالزروقية واتصاله بالراشدي، وإن أوعزته المصادر إلى إشارة شيخه أجانا، فإنه لا يزيد عن كونه حلقة من حلقات الحركة الزروقية الدائبة والمناضلة من أجل الانتشار بالمغرب، واتصال بين البيتين الزروقيين الكبيرين الرفاعي والراشدي اللذين أذنا لعهد حاسم من تاريخ هذه الطريقة بالمغرب، والذي انتهى إلى تقاسمها النفوذ الروحي به مع الجزولية، وتمكين الشاذلية من أن تصبح الطريقة الرسمية به. وتردد عبد الله الخياط إلى المنطقة الغربية من المغرب الأوسط، وإن كان يسوغه لقاء الشيخ الراشدي، فإنه يمليه ويوجبه تعاهده لأهله المستوطنين والمنتشرين بهذه المنطقة. وعليه يكون لقاء الخياط بالراشدي لقاء أخذ وانتساب، وفي نفس الآن لقاء تشاور وتدبر وتنسيق، ويعضد هذا القول اصطحاب الخياط في رجوعه إلى المغرب أحمد بن عبد الله المنزولي شيخ الطائفة "اليوسفية" التي ستشتهر خلال القرن الحادي عشر (17 م) "بالعكاكزة".

وإذا علمنا بخطورة المذهب الصوفي الذي دعا إليه الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي في إطار مبدأ الاستحسان الذي بنى عليه الشيخ أحمد زروق طريقته، والذي يقر حرية الاختيار المذهبي في الطريقة شرط التقيد بالكتاب والسنة. وهو المذهب الذي اضطلع "اليوسفيون" بنشره والدعوة إليه بالمغرب، وقوامه مذهب المحبة الخالصة في صورته التي اكتملت على يد أبي يزيد البسطامي (ت. 241 / 874). وأضفنا إلى المشاكل الفكرية والصراعات الخطيرة التي ستنشأ عن هذا الاتجاه الزروقي ـ الراشدي الخلافات الحادة والموروثة من أيام فساد العلاقة بين زروق ومشايخ الطبقة الأولى في الجزولية، حق لنا أن نتساءل عن سر التوفيق الذي صادفه عبد الله الخياط رغم تاريخه الزروقي الشديد الوشائج بكل هذه المثبطات والمعوقات ؟

اختلف زروق مع الجزوليين في دفاعه عن الرئاسة والقائمين عليها من الأمراء، وتحريمه الخروج عن الإمام بقول أو فعل، لأنها وسيلة حفظ النظام، والذي يتحقق به الذب عن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، وإقامة حرمتهم، والنصرة لهم في جميع أحوالهم جلبا ودفعا. ودعا إلى الحفاظ على الدولة الوطاسية الناشئة على ضعفها، والسعي في المصالح العامة تحت إمرة حكامها، وعدم إغراء الرعية بالفتنة وشق عصا طاعتهم. وعارض زروق المشروع الجزولي الداعي إلى مراعاة المصالح العامة التي قصرت عنها همم الملوك، من جهاد وتعليم وإطعام ورد المظالم. وحذر من تتبع الفضائل وطلب المنافع العامة، لما تؤدي إليه من عظيم الضرر بحسب الزمان والعقول، ولما تعرض له من الأذى والرمي بالقيام. وأوعد كل مريد مال إلى ركوب الخيل، وآثر المصالح العامة، واشتغل بتغيير المنكر في العموم، أو توجه للجهاد دون غيره من الفضائل أو معه حال كونه في فسحة منه، أو أراد استيفاء الفضائل، أو اتبع كل ناعق وقائل بحق أو باطل. ولم يفد الوطاسيون من الدعوة الزروقية التي تحمل كل مقومات الصبغة الدينية لملكهم، ربما مداهنة واستمالة لخصيمتها الحركة الجزولية القوية، وكانوا في الشيخ زروق من الزاهدين.

كان هذا قبل خلع الجزوليين بيعة بني وطاس من رقبتهم، أما بعد أن فتحوا عليهم باب الفتن، وبايعوا الشرفاء الزيدانيين على إمارة الجهاد عام 916/10 ـ 1511، فلم يبق لهم إلا الزروقيون ظهيرا ونصيرا. نعم ظل بين ظهرانيهم جزوليون، لكن من الثابتين على بيعتهم، أما الذين تشيعوا للحركة السعدية التي تزعمها جزولية الجنوب، فقد بادروا إلى هجرة السلطنة الوطاسية، والتحقوا بمراكش التي خضعت للسعديين في حدود 3/930 ــ 1524، وعلى رأس هؤلاء الشيخ عبد الله الغزواني (ت. 935/ 8 ـ 1529). وإذا اعتبرنا العلاقة الحسنة التي نظمت بين الزروقيين ـ الراشديين والأتراك بالمغرب الأوسط، منذ ظهور الأخوين عروج وخير الدين ومبايعتهما على إمارة الجهاد به، ووصل الوطاسيين حبلهم بهؤلاء الأخيرين. أمكننا الاطمئنان إلى القول برجحان كفة الزروقيين في السلطنة الوطاسية، وإفادتهم من دعم أمرائها ماديا ومعنويا، وتوفر أسباب الظهور لزواياهم والانتشار لطوائفهم.

وزيادة على هذا فإن ثقافة وعلوم الشيخ عبد الله الخياط الظاهرة والباطنة، التي حملها بعد ملازمة علماء الحاضرة الوطاسية، والاختصاص بصحبة أحد المشايخ الأربعة الكبار من صحب الإمام الجزولي، جعلته يتنكب عن الانفلات من باب الاستحسان إلى مذهب غير المذهبين اللذين أبدعهما كل من الشيخين الجزولي وزروق، ويتحرى في علمه وعمله التمسك بالسنة واجتناب البدعة. وتميز بذلك عن مشاهير الطبقة الزروقية الأولى الذين حاولوا معالجة مشاكل العصر المختلفة بأفكار تنتمي إلى مذاهب صوفية مختلف في شأنها، كالبسطامية التي أحياها الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي، والملامتية التي أحياها الشيخ إبراهيم بن علي الزرهوني المعروف بأفحام أو افهام. واستطاع الخياط بدرجته الرفيعة في الشاذلية، التي جاءته من صدارة الطبقة الثانية في الزروقية، والامتياز بالاختصاص بالشيخ أجانا من بين أفراد الطبقة الجزولية الثانية، أن يستقطب الاتجاه الذي سيطبع العصر، وينتهي بالمصالحة بين الجزوليين والزوقيين، وميل أهل العصر برمتهم إلى التصوف وبالأخص الفقهاء وعلماء الظاهر، وتحقق

الغلبة للشاذلية بالمغرب من طريق الإمامين الجزولي وزروق.

وتؤكد هذه الفرضيات خصوصية نشأة الزاوية الخياطية، المستندة أساسا إلى الجاه المعنوي المحض : فالشيخ عبد الله الخياط يمني النجار غريب الدار ليس عن زرهون فحسب بل وعن المغرب برمته، والأرض التي شيد بها زاويته الأولى ليس له فيها أجداد ولا أملاك، وليس بيده ظهائر توقير واحترام وتنزيه عن الوظائف الجارية على العامة. وأهل جماعة الخلافنة النازلون بالوجه الذي يلي وادي مكس من جبل زرهون هم الذين وهبوا له بلادا تسمى كدية التراب مع ما حولها من الأرض ليستعين بها على تأسيس زاوية يجمع فيها المريدين ويطعم بها الواردين. ولم يجتمع كل الزراهنة على المحبة في الشيخ عبد الله الخياط، وأنف أهل قلعة بني المنصور من زاويته التي نشأت بجوارهم، وكادوا له كيداً. فكانوا إذا حلت الصلاة يذهبون إلى العين التي يتوضأ فيها ويضعون فيها النجاسة، وحرضوا صغارهم فقطعوا ألسنة بقر كان يستعين به على القيام بوظائف الزاوية. ولم يكفوا إذايتهم عنه إلى أن هجر زاويته، وانتقل عنهم إلى مدشر المغاسيين من الوجه الذي يلي مكناسة. وتعفو المصادر عن تفاصيل المصاعب التي جعلت الشيخ عبد الله الخياط يتقلب بين سفوح زرهون، وتؤكد هلاك خصومه، وتعزو فناءهم إلى الوباء. وتنتهي هذه المرحلة بعودة الخياط إلى موضعه الأول، وبناء زاويته بداره الكائنة بالغابة التي في ضفة العين المسماة عين الدار، وتسمى "تالغزا".

وتخلو هذه المصادر من التطورات التي أفضت إلى الشهرة التي طارت للشيخ عبد الله الخياط وزاويته في الآفاق شرقا وغربا، وكيف أصبح له صيت بعيد، ومحفل عجيب، يأوي إليه القريب والبعيد. وتمدنا بنتف من أخبار هذه الزاوية لا يتطرق معها الشك في كونها أصبحت أكبر وأعظم زاوية في السلطنة الوطاسية : فقد بلغ مريدوها عشرين ألفا، وأحيانا يزيدون وأحيانا ينقصون، وهذا ضعف ما اجتمع على الشيخ محمد بن سليمان الجزولي من أتباع. ويعطي فكرة عن استبحار عمرانها، وتوسعها في الإطعام، وأنها لم يكن في القطر والعصر مثلها في هذا المضمار، وأنها قد توفرت فيها كل مواصفات المركز العلمي الممتاز. وقد أصبح الشيخ عبد الله الخياط موئلا لأهل العلم، وتصدر في زاويته للتدريس، وكان غالب قراءته الرسالة القيروانية والحكم العطائية. وكان تلامذته المعتمدون للتدريس في الزاوية، وقد اجتمع فيها ما ينيف على الألف من حملة القرآن، وانفردت بالطور النشيط من أطوار الحياة العلمية والصوفية بزرهون.

وقد تواتر أن عدد أصحابه من المقيمين للزوايا ثلاثمائة وستة وستون، وتحقيق تاريخ هذه الفروع يحتاج إلى بحث مستقل. وتكفي الإشارة إلى تعيين سيرته الموسومة بجواهر *السماط في مناقب سيدي عبد الله الخياط* لاسم خمسة وخمسين منهم، ينتمون إلى مختلف أصقاع المغرب من ميسور إلى سوس، وينتشرون في كبريات الحواضر فاس ومكناس ومراكش، وفي البوادي وعرها وسهلها، في الغرب وأزغار وتادلا والشاوية وزيز ودرعة. ويعد من نافلة القول أن فيهم من أذن له الشيخ عبد الله الخياط بفتح الزاوية في حياته، وفيهم من أقامها بعد وفاته. لكن يبقى أن شد الرحلة إليه من مختلف أنحاء البلاد يعبر عن المدى البعيد لصيته وشهرته، وأن الناس كانوا ينسلون إليه من كل حدب وصوب.

ولا سبيل إلى ذكر كل هؤلاء بأسمائهم، ونتحسب على التنويه بالمشاهير منهم ممن عنيت بهم كتب الطبقات. وصدرهم الشيخ أبو الطيب البحياوي الميسوري (ت. 988/ 80 ـ1581)، الذي ظل يزور ضريح شيخه بالاركاب رأس كل سنة إلى أن مات. ومحمد بن أحمد العايدي (ت. 984/ 6 ـ 1577)، الذي أقطعه الخياط قبيلة السوالم من قبائل الشاوية لتخدمه، وقصد فاس بعد وفاة شيخه وتوفي بها. وموسى بن علي الزرهوني المعروف بذي الصخرة، ومحمد بوكرين اليازغي الذي اشتهر بمداواة الجذماء. وأبو القاسم ابن منصور الغمري (ت. حوالي970 / 1562)، وهو مؤلف أقدم سيرة مفردة في الشيخ عبد الله الخياط، والموسومة *بجواهر السماط في مناقب شيخنا الخياط*، وعليه اعتمد المتأخرون وجل ما نقلوه منه. وقد أسس زاوية رتب فيها للطلبة والمدرسين أرزاقهم، ولا ندري أكانت في زرهون أم في موطنه الأصلي بقبيلة غمرة في جوار مولاي يعقوب من أرباض مدينة فاس أم في مدفنه على ضفاف نهر ملوية. ويحيى بن بكار الغمدي، دفين جبل وبلان قرية على مرحلة من فاس. وقد اشتهر بمد الثغور بالخيل والعدة، وكان الناس يقصدونه بصدقاتهم من جميع الآفاق فيفرقها على يديه في وجوه البر وأكثرها في الجهاد وافتكاك الأسرى. وعلي بن أبي بكر السكتاني (ت. 964/ 1557) متقلد خطتي الفتيا والقضاء بمراكش أول عهد الشرفاء الزيدانيين. وقد أقام مدة بالزاوية الخياطية، واستجاز شيخها في بعض كتب التصوف.

وبالإضافة إلى كثرة أتباع الزاوية الخياطية وتعدد فروعها، فقد نظمت بينها وبين الزاوية العيساوية بمكناس علاقات ترجمتها المحبة التي كانت بين شيخيهما والمراسلة التي تمت بينهما. كما حدثت زيارة السيدة رحمة والدة الشيخ أبي عبيد الشرقي للشيخ عبد الله الخياط، كما حصل اتصال بين والده أبي القاسم الزعري والشيخ أحمد بن يوسف الراشدي. وهذه معالم في شبكة علاقة الزاوية الخياطية بغيرها من الزوايا والبيوتات الصوفية، وهي شبكة واسعة تغطي حواضر وبوادي السلطنة الوطاسية، وتمتد إلى القطر التادلي الذي يمثل حدودها الجنوبية.

وتتردّد المصادر في الإفصاح عن حقيقة الدور السياسي الذي لعبته الزاوية الخياطية، فهي تقر بأن الأمراء

الوطاسين كانوا يمكنونها من مواردها الأساسية، ويبعثون إليها الغنم والبقر والقمح وغير ذلك. وأنهم كانوا يخدمون الشيخ عبد الله الخياط، ويشاورونه في الملمات، وإنه قال يوما إنه طلب الله ألا يخرج الملك من أيديهم مادام على وجه الأرض. وتؤكد عدم وقوفه في صفهم ضد خصومهم داخل حدود مملكتهم. فقد طلب منه أحد الأمراء أن يمده بطائفة من المريدين الذين عنده في الزاوية ليستعين بهم على قتال بعض الخارجين عليهم، فكتب إليه "ليعلم أمير المومنين أن أصحابنا ليسوا أصحاب قتال ولا مشاحنة، وإنما هم أصحاب ذكر وتلاوة قرآن وعبادة لله تعالى، وهذا كتابنا عوضا منا ومنهم". ولما وقع ما وقع بينهم وبين الشرفاء الزيدانيين من الخلاف جمع الفقراء، وقال لهم "إخواني الخلاف يهيج العداوة، ومع العداوة ينزل البلاء، وسلموا الأمر إلى الأمراء على ظاهر الأمور".

وتعرب وفاة الشيخ عبد الله الخياط التي حدثت عصر الاثنين 14 شوال 939 /9 مارس 1533، عن انغماسه في الصراع السياسي الدائر بين الوطاسيين والسعديين، والذي لقي حتفه في خضمه. وإذا كانت المصادر لا تعين من أقدم على دس السم له، فإنه لن يكون إلا من أعداء بني وطاس الذين ثبت الخياط على بيعتهم، وكان الصبغة الدينية لملكهم، وقطب الحركة الصوفية الداعمة لدولتهم والموازنة للحركة الصوفية المتشيعة لخصومهم. ولا أدل على ارتباط مصير الدولة الوطاسية بالزاوية الخياطية من ربط الرواية المتعلقة باغتيال الشيخ عبد الله الخياط بين "بقائه على وجه الأرض" وبقاء ملك بني وطاس، وذكرها أن السلطان أحمد بن محمد البرتغالي (931 ــ 955/ 1524 ــ 1548) قد بعث بعض خواصه يقفون على جنازة الشيخ، وعين لهم موضع دفنه ليستقيم له البناء عليه. وقال لهم : "اجعلوا الشيخ في تابوت من خشب، واتركوه على وجه الأرض، ولا تحفروا له قبراً، ثم اجعلوا على ذلك التابوت دربوزا، واجعلوا عليه حائلا آخرا، فعلى هذه الحالة يبقى على وجه الأرض، وإياكم ثم إياكم أن يشعر بكم أحد من أقاربه أو أصحابه". وتقول هذه الرواية إن السعديين الذين علموا بالأمر تحايلوا على أبناء الشيخ، ودفعوهم إلى دفنه وكتمان الأمر على السلطان الوطاسي.

وإنها لمصادفة عجيبة أن تاذن وفاة الشيخ عبد الله الخياط لنهاية الوطاسيين، فبعدها قريبا ستقع عليهم الهزيمة في معركة بوعقبة عام 6/943 ــ 1537، وتنتهي بخسارة تادلا وتامسنا. وعقد الصلح بينهم وبين السعديين على ذلك، ولم تلبث حاضرتهم فاس أن سقطت في أيدي الشرفاء بعد عقد ونيِّف على هذا التاريخ. وكانت الزاوية الخياطية حاضرة بقوة في هذا الصلح في شخص الشيخ عمر الخطاب ابن خالة شيخها الهالك، والذي لا تذكر المصادر من الصلحاء المفاوضين باسم الوطاسيين سوى اسمه واسم الشيخ الملامتي أحمد بن حسين العبدلي السهلي المعروف بأبي الرواين (ت. 963 /1556)، المتصدر لمشيخة الزاوية العيساوية بمكناسة بعد وفاة مؤسسها عام 6/933 ــ 1527. وتتكرر الإشارة إلى ارتباط مصير الوطاسيين بالخياطيين، وتذكر الرواية أن الخطاب حلف ـ إبان هذا الصلح ـ لا دخل السعديون فاس مادام على وجه الأرض. ورأى بعضهم أنه كان على بني وطاس ألا يتركوه هو الآخر يدفن، وأن يرفعوه في تابوت على الأعناق. وكما كانت الزاوية الخياطية بمثابة العصبية الدينية للدولة الوطاسية، كذلك انحلت عراها بزوال ملك الوطاسيين، وتسكت المصادر عن علاقتها بالسعديين وقد خضعت لهم الحاضرة الوطاسية، ولا نعلم نصيبها من الامتحان الذي أمر به السلطان محمد الشيخ المهدي عام958/ 1551، وقصد به أرباب الزوايا مطالبا إياهم بودائع أموال بني وطاس، ومتهمهم بذلك.

وقد خلف الشيخ عبد الله الخياط ثلاثة من الأولاد هم إبراهيم الملقب "بصاحب سلسلة الذهب" ومحمد وعبد العزيز، ومات واحد في حياته، ولم يترك أنثى. وورث مشيخة الزاوية بعده ابنه إبراهيم، وحفيده علي نجل هذا الأخير، والذي قضى نحبه أواخر القرن العاشر (16 م)، وتؤرخ خلافتهما لبوادر تحول في تاريخ الزاوية الخياطية سينتهي بافتراق مشايخها بين زرهون وفسساس. وبموت الشيخ علي بفاس، وانقطاع خلافة زاوية زرهون في عقبه، وانقضاء أجل أعمامه، تنازع أحفاد الشيخ عبد الله الخياط وأولاد أحفاده على الزاوية وأخذ الصدقات وخراج القبائل التي كانت تخدمه، وحدث ذلك عام 1007/ 1598، وأفضى إلى تدخل السلطان السعدي الذي حَكَّم في قضيتهم قاضي مكناسة وناحيتها الفقيه أبا القاسم بن أبي النعيم الغساني (ت. 1032/ 2ـ 1623). فقسم القاضي أبو النعيم خراج هذه القبائل على هؤلاء الأولاد، ووزع عليهم شهور السنة أرباعا ثلاثة أشهر لكل فريق منهم يقوم خلالها كل فريق بأمور الزاوية كلها، وجعل ما يرد على ضريح جدهم يقسم بينهم من غير اختصاص لأحد على الآخر.

وتعنى كتب التراجم الفاسية المصنفة خلال القرن الثاني عشر (18 م) وما بعده بأخبار عقب الشيخ إبراهيم بن عبد الله الخياط الذين اندمجوا في نسيج الحاضرة الفاسية، وشكلوا إحدى بيوتاتها الكبيرة التي تمتعت بكل مقومات الجاه الديني والدنيوي، من علم وصلاح وشرف نسب ويسار. وتسجل المحاولة التي قام بها واسطة عقد هذا الفرع مَحمد بن إبراهيم الخياطي(ت. 1140/ 1727)، الذي أنشأ زاوية بدرب الحرة من طالعة فاس، وجمع فيها أتباع جده، ومن كان يخدمه على صلاحه وماله. وهو العلم الوحيد من أعلام الخيايطة الذي ذيلت بأخباره السيرة المفردة والمتجددة في جده عبد الله الخياط والموسومة *بجواهر السماط*. ولم ينقطع العلم والصلاح في الفرع الخياطي الذي رضي بزرهون مأوى، وتعلق بخدمة ضريح جد الخيايطة، واستمر ذكر بعض أعيانهم في كتب التراجم المصنفة في أهل القرنين الثالث عشر والرابع عشر (19 و20 م).

الخياط، مَحمد - فتحاً - بن إبراهيم. يفصل قرنان كاملان بين وفاة الشيخ عبد الله الخياط (ت. 939 / 1533) ووفاة حفيده مَحمد فتحا بن إبراهيم (ت. 1140 / 1727)، ويمتاز هذا الحفيد عن بقية عقب مؤسس الزاوية الخياطية بالحظوة بعناية كتاب التراجم، بل وبالتذييل بترجمته للسيرة المفردة في جده المذكور، والموسومة *بجواهر السماط*، والمؤلفة خلال القرن العاشر (16 م) من قبل تلميذه أبي القاسم بن منصور الغمري (ت. حوالي 970 / 1562). وقد تجدد الاهتمام بهذه السيرة خلال القرن الثاني عشر (18 م)، ونسب التأليف فيها إلى شيخ الجماعة بفاس محمد المسناوي الدلائي (ت. 1136 / 3 ـ 1724)، وتعضد هذه النسبة محبة المسناوي في الشيخ عبد الله الخياط، وكثرة زيارته لضريحه بزرهون. ويعزو صاحب *سلوة الأنفاس* هذا التقييد إلى أحد تلاميذ المسناوي أو لبعض من تتلمذ عليهم، ولا ندري أهو محمد بن عبد الله الريفي (ت. 1196/ 1782) أم هو مصنف آخر؟ والنسختان الخطيتان والمتوفرتان من "جواهر السماط" في الخزانة العامة بالرباط منسوبتان إلى الريفي، ولحسن الحظ مذيلتان بترجمة محمد بن إبراهيم الخياط. وتخبران بأن هذه الترجمة هي لأحد تلامذة الريفي، ولا تفيدان في معرفة ما إذا كان هذا المؤلف المجهول قد أخرجها في تقييد مستقل وغيره هو الذي ذيل بها سيرة جده، أم أن هذا المؤلف هو الذي شاء لتقييده أن يكون ذيلا أو بابا أخيراً من أبواب هذه السيرة. ومهما كان الأمر، فهو جمع واع وإشارة ذكية إلى أن الزاوية الخياطية لم تنجب بعد مؤسسها مثل حفيده محمد بن إبراهيم، وأنه واسطة عقد حفدته، ومحيي رسم الخيايطة الماحل.

وإذا كانت مصادر القرنين العاشر والحدي عشر (16 و17 م) لا تفصح عن طبيعة النشاط الصوفي الذي اضطلع به أسلاف الشيخ محمد بن إبراهيم الذين استوطنوا الحاضرة الإدريسية منذ أواخر القرن العاشر، فإن مصادر القرن الثاني عشر (18 م) تجمع على انتظام الخيايطة الفاسية في سلك الطوائف الصوفية الكبرى المنتشرة بفاس. وقد رأينا ابن عمه ومعاصره أحمد الخياط المذكور قبله اشتهر بالانتساب إلى الطائفة التهامية ـ الوزانية، وأدركته المنية وهو في طريقه إلى وزان. وكذلك انتظم محمد بن إبراهيم في سلك الطائفة الناصرية، وذلك في حياة الشيخ محمد ابن ناصر (ت. 1085 /1674). وقد أهلته نشأته الصوفية، وعلمه واختصاصه في التصوف والحديث، وقريحته القوية في إقامة الدين، وشهرة بيته، وكثرة ماله، بأن أذن له الشيخ ابن ناصر بالخلافة على الزاوية الناصرية بفاس، والكائنة بين حومة السياج وسويقة ابن صافي، وذلك على إثر زيارته له بدرعة. ويبدو أن طموح ابن إبراهيم كان أكبر من أن يصير مقدما على الناصريين، فما لبث أن أنشأ زاويته الخاصة بإزاء داره بدرب الحرة وبقرب زاوية شيخه ابن ناصر، وهي أول زاوية يقيمها بيت الخيايطة بالحاضرة الإدريسية.

وتجمع المصادر على القبول الجسيم الذي صادفته هذه الزاوية، والصيت البعيد الذي صار لمتصدرها الشيخ ابن إبراهيم، وأنها كادت أن تكون أكبر الزوايا بفاس على عهد الدولة الإسماعيلية. وتصف توسعها في الاطعام، وكثرة الازدحام عليها، وقصد الناس لها من الأفاق البعيدة، ومنهم من يأتي بالبقر والغنم والزرع وأحمال الحطب وغير ذلك. وتتفق هذه المصادر أيضا على أن الزاوية الناصرية القريبة منها تضررت من مزاحمتها، ولم تقو على منافستها، وأن أتباعها وبالأخص ذوي القرابة لمشايخ درعة لم ينظروا لها ولشيخها بعين الرضى. وأنهم كاتبوا الشيخ محمد بن ناصر، في بداية تأسيسها، ليصرف ابن إبراهيم عما لم يأذن له به من إقامة الزاوية وتلقين الأوراد الناصرية، وكتبوا إليه بعدما ظهر من أمرها ما ظهر مطالبين بحقهم في خيراتها وسلطانها. وبعثوا إلى الشيخ أحمد بن ناصر (ت. 1129/6 ــ 1717) الخليفة من بعده، مشتكين من انشغال الشيخ ابن إبراهيم بزاويته، وإهماله لزاويتهم، وانقطاعه عن الذهاب إليها، وطالبوه بأن يعين لهم مقدما منهم.

وتختلف المصادر بصدد الموقف الذي اتخذه مشايخ درعة من زاوية درب الحرة وشيخها، فيؤكد المؤلف المجهول لترجمة الشيخ ابن إبراهيم أن هؤلاء لم يلقوا بالا إلى هذه المكاتبات، للمكانة الرفيعة التي كانت له عند الشيخ محمد ابن ناصر الذي أقره على خلافة الفرع الناصري الفاسي، وأيضا للمحبة الكبيرة التي كانت بينه وبين أحمد الخليفة، في حياة والده وبعد وفاته، والذي أجاب المعترضين بقوله زاويته زاويتنا والعكس. ولا يتفق محمد بن الطيب القادري (ت. 1187 / 1773) مع هذا المؤلف، ويقول إن الشيخ محمد ابن ناصر قد كتب إلى ابن إبراهيم ينهاه عن فعله، ويذكره بأنه لم يأذن له لا في بناء الزاوية ولا في جمع الفقراء وتلقينهم، وطلب منه أن يرجع إلى زاوية إخوانه الناصريين ويجتمع معهم. ويزيد القادري بأن ابن إبراهيم امتنع من ذلك، وأن إخوانه الناصريين قاطعوه، وأنه لم يجتمع علبه في زاويته بدرب الحرة إلا أتباع جده عبد الله الخياط ومن يخدمه على ماله. ويستشف من حديثه استمرار نشاط هذه الزاوية على عهد تأليفه "للنشر"، وأنها مازالت تقوم برجالها ومالها بمختلف الأدوار المعهودة للزوايا، وأن أحد عقب الشيخ ابن إبراهيم واسمه طاهر كان يومها هو الفقيه والمدرس بهذه الزاوية. وقد اطلع محمد بن جعفر الكتاني (ت. 1345/ 1926) على *جواهر السماط ونشر المثاني*، فاعتمد الأول في الترجمة التي عقدها للشيخ ابن إبراهعيم من كتابه *سلوة الأنفاس*، ولم يحتفل بالثاني مكتفيا بالإشارة إليه، ومنتقدا القادري بأنه "حاد فيه عن المرام، وسلك سبيل التعسف والملام".

ومن أولاد الشيخ محمد بن إبراهيم المدفونين معه في زاويته ابناه : عبد القادر ومحمد اللذان توفيا أواخر القرن

الثاني عشر (18 م)، ومن أتباعه أحمد الخطاب حفيد الشيخ عمر الخطاب، وهذا وجه آخر من وجوه الشبه بين سيرته وسيرة جده عبد الله الخياط الذي ارتبط به ابن خالته عمر الخطاب من الدراسة في المكتب بمكناس إلى الإقبار بزرهون. ومن حفدته سميّه محمد بن إبراهيم الذي كان حيّا عام 5/1292 ـــ 1876، وهو عام الفراغ من نسخة *جواهر السماط* التي تحمل عدد 1185، والتي طلبها لنفسه.

م. الريفي، *جواهر السماط في مناقب سيدي عبد الله الخياط*، مخطوط خ ع، 1185 د،2242 د ؛ أ. ابن القاضي، *لقط الفرائد* ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر* ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، تنسيق وتحقيق م. حجي، 858 ـ 859، 933، 934، 944، 1897، 2257، 2260 ـ 2261، 2529، 2784، 2956 ؛ أ. ابن أبي محلي، *سلسبيل الحقيقة والحق في سبيل الشريعة للخلق*، مخطوط خ ح، 4133 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجرية، 224 ؛ م. ابن عيشون، *الروض العطر*، تح. ز. النظام، 180، 348 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، تح. ع. العمراوي وع. مراد، 37 ـ 38، 57 ـ 58، 66 ـ 67، 124 ـ 126 ؛ نفس المؤلف، *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط خ ع، 76 ج، 26، 29، 34، 65، 68، 70، 71 ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. الشادلي، الدار البيضاء، 1998، 56 ـ 57 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط، حجرية، 1 : 229 ـ 230، 254 ـ 256، 2 : 162 ـ 163، 3 : 191 ـ 192، 334 ؛ ع. إبراهيم، *الإعلام*، 8: 267 ـ 275 ؛ ع. ابن سودة، دليل، 1 : 204، رقم 795 ـ 796 ؛ م. حجي، الحركة الفكرية، 494 ـ 496 ؛ ع. ف. خشيم، أحمد زروق والزروقية، منشورات المنشأة الشعبية، ط. 2، 1980، 42 ـ 53 ؛ ع. نجمي، العكاكزة، د. د. ع، مرقونة بخزانة كلية الآداب بالرباط، 1986، 195 ـ 199 ؛ المؤلف نفسه، بين زروق ولوتر، ضمن الرباطات والزوايا، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1997، 77 ـ 120.

P. Berthier, *Essai sur l'histoire du massif de My Idris*, Rabat, 1938.

عبد الله نجمي

ابن **الخياط حْسين**، ـ اسما واحدا ـ **عبد الرحمن** الفاسي. ليس من أولاد الخياط الحسنيين. وإنما ينسبون إلى أبيهم سيدي الخياط حْسين الذي كان محتسباً بفاس. ذكر مؤلف *تذكرة المحسنين* رواية عن أبيه أن المترجم كان أمياً محترفاً بحرفة الحرير، ذا سمت حسن ولحية طويلة، فجاءته امرأة برقعة ليقرأها لها، فقال لا أحسن القراءة فتعجبت وقالت له : يا ضيعة هذا السمت وهذه الهيئة ! ولامته على تضييع عمره بدون قراءة، فأثر فيه كلامها وأقبل على الدراسة بعزم وهمة، فكان عاقبة أمره أن أصبح من علماء وقته.

تولى الخطابة بجامع الشرابليين أول ما أقيمت به الجمعة في رابع عشر ربيع الأول عام خمسة وثمانين ومائة وألف بأمر من السلطان سيدي محمد بن عبد الله، واستمر على ذلك إلى أن توفي عام ثلاثة وتسعين ومائة وألف / 1779.

بوشتى بوعسرية

ابن **الخياط حْسين**، **عبد السلام** أخو من قبله، كان أيضاً من فقهاء فاس وفضلائها. تولى نظارة أوقاف القرويين فحُمدت سيرته.

توفي بفاس يوم الجمعة ثالث ربيع الثاني عام سبعة وسبعين ومائة وألف / 20 أكتوبر 1763.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ ع. الكبير الفاسي، *تذكرة المحسنين* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت،1996، ج 7.

محمد حجي

ابن **الخياط الزكاري**، **أحمد** بن محمد بن عمر بن عبد الهادي بن العربي بن مَحمد الحسني الفاسي. وُلد بفاس في منتصف شعبان عام 1252 وقرأ على نحو ثلاثين من كبار شيوخ المدينة، أجازه منهم ستة، ذكر إجازاتهم في فهرسته الوسطى. وقد وصل صاحب *رياض الجنة* نسب المترجم مسلسلاً إلى إدريس الأزهر صاحب فاس. وقال عنه : "الإمام العلامة النظار المحدث الأصولي الفقيه المعمر ... جوهرة عقدهم (أولاد ابن الخياط الزكاري) بل مفخرة مدينة فاس في وقته وكفى به". وذكر أنه أخذ عنه الفقه والنحو والمصطلح، وسمع عليه *صحيح البخاري والشفا لعياض*، وأجازه.

أخذ المترجم الطريقة الدرقاوية عن الشيخ عبد الواحد ابن البدوي بناني، وهو عمدته في طريق القوم، وعلى يده تزهد وتجرد ولبس المرقعة وطاف في الأسواق يسأل الناس الصدقة. وقد أنكر عليه ذلك أشياخه وأقرانه من العلماء، وكان أشدهم إنكاراً عليه شيخه محمد گنون حتى قاطعه، ونهاه قاضي فاس عمر بن عبد القادر الرندة فلم ينته فسجنه مدة. وبقي على حاله بعد خروجه من السجن إلى أن أفاق من سكرته الصوفية. فرجع إلى القرويين يدرس ويبث العلم في صدور الرجال بإخلاص وتفان، وعين رئيساً للمجلس العلمي التحسيني عندما أريد إصلاح نظام التعليم بالقرويين في بداية عهد الحماية، وبقي في منصبه إلى أن وافته المنية.

ألّف تآليف كثيرة أربت على المائة *كتاب في الفقه والحديث ومصطلحه والسير*، معظمها صغير الحجم لكن في غاية التحرير والتدقيق والإتقان، منها : *حاشية على شرح الخرشي لفرائض مختصر خليل*، وقد طبعت على الحجر مراراً ؛ *وأخرى على شرح محمد بن عبد القادر الفاسي* لنظم العربي الفاسي *في مصطلح الحديث*، وهي مطبوعة أيضاً ؛ *وتأليف في العقائد* على مذهب المتكلمين ؛ *ورفع اللجاج والشقاق على حكم البينونة في الطلاق عند الإطلاق* ؛

وتقديم *رسائل الشيخ مولاي العربي الدرقاوي* (ط. حجر فاس، 1318 هـ) عرّف فيه تعريفا ضافيا بشيخ الطريقة الدرقاوية الذي خلف نحو أربعة آلاف مريد، عمل عدد منهم على تأسيس طرق فرعية في أرجاء المغرب والجزائر. *ورسائل في مزايا مدينة فاس*، وثلاثة *فهارس كبرى ووسطى وصغرى*. وقد عدد تآليفه في فهارسه.

توفي بفاس يوم الثلاثاء ثاني عشر رمضان عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف /7 أبريل 1925 ودفن بحي الرميلة قرب زاوية الشيخ علي الجمل.

ع. الحفيظ الفاسي، *رياض الجنة*، الرباط، 1931، ج.1 : 127 - 133؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت1996، ج. 8.

محمد حجي

الخياطي، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمر الجبلية. ومنهم محمد بن عبد الرزاق الخياطي كان يزاول مهنة العدالة بتطوان سنة 1202/ 1788.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، تطاون، 1999 ؛ المراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم1612.

محمد ابن عزيز حكيم

الخياطي، عبد السلام بن محمد الفاسي. ولد بمدينة فاس، وبها أخذ مستعملات الموسيقى الأندلسية عن عدة أشياخ من بينهم عبد السلام البريهي، فأتقن النوبات الإحدى عشرة وتفنن في العزف على الكمنجة والرباب.

رحل إلى مدينة الجديدة في ريعان شبابه، وأقام بها فترة قصيرة تحول على إثرها عام 1931 إلى مدينة مراكش ليقضي سبع سنوات في تدريس الموسيقى الأندلسية بدار السي سعيد. وكان من بين من أخذوا عنه هذا الفن نجلاه الغالي وعباس، والفنان محمد أوبتحار الملقب الشلح الذي برع في العزف على الكمنجة، والشريف مولاي عبد الله الوزاني.

كان خلال إقامته بمراكش يشد الرحل بين الفينة والأخرى إلى مدينة أسفي لحضور المجالس الفنية التي كانت تلتئم ببيت الفنان الحاج عبد الرحمن بلهواري بحي تراب الصيني.

وعمل عبد السلام الخياطي على تأسيس جوق لموسيقى الآلة ضم خيرة الفنانين بمراكش، وظل على رأسه إلى أن استقدمه محمد الخامس عام 1938 إلى الرباط للالتحاق بجوق القصر الملكي، فرحل رفقة أسرته، وسكن بحي تواركة، بعدما خلفه في رئاسة جوقه تلميذه الشريف مولاي عبد الله الوزاني.

توفي عبد السلام الخياطي بالرباط يوم 4 رجب1361 / 18/6/ 1942، وهو من أبرز العناصر التي مكنت لأسلوب المدرسة الفاسية بمدينة مراكش.

مذكرات خطية، لأحمد الوكيلي، في حوزة ابنه حاتم الوكيلي.

الخياطي، الغالي بن عبد السلام ولد بفاس أواخر العقد الثاني من القرن العشرين، ثم رحل إلى الجديدة حيث تلقى تعليمه الابتدائي. وفي عام 1931 رحل من جديد مع عائلته إلى مراكش، وبها لازم دروس والده في الموسيقى الأندلسية بدار السي سعيد إلى غاية 1938، وهو تاريخ تحول الأسرة إلى مدينة الرباط حيث استقدم والده من طرف السلطان محمد الخامس للالتحاق بجوق القصر الملكي للموسيقى الأندلسية. انخرط الفتى في هذا الجوق، كما انخرط في الجوق الملكي للموسيقى العصرية الذي كان يرأسه يومئذ الفنان المصري وعازف القانون مرسي بركات، وبذلك استفاد من المجموعتين، واستطاع الجمع بين التراث الموسيقي الأندلسي والموسيقى الشرقية التي لم يكن قد مضى على تسربها إلى الأوساط المغربية سوى سنوات.

كان ملازماً لمجالس الحاج بلهواري في مدينة أسفي. وعندما استقر بمراكش أسندت إليه إدارة المدرسة الموسيقية لطرب الآلة بدار السي سعيد طوال العقد الرابع.

وقد دعي الغالي الخياطي لتعليم موسيقى الآلة بمعهد مولاي رشيد بالرباط، لما اشتغل عازفاً على الكمان في جوق الإذاعة الوطنية للطرب الأندلسي الذي كان يرأسه - يومئذ - الفنان المرحوم مولاي أحمد الوكيلي. وظل يضطلع بالمهمتين إلى وفاته.

ويذكر صالح الشرقي أن الغالي الخياطي لحن مقطوعات شعرية على نسق الصنعة في النوبة الأندلسية.

توفي الغالي الخياطي يوم 23 حجة عام 1382 / 27 أبريل 1963.

صالح الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية*، ص. 111 ؛ *روايات شفوية*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

د

دابار Dabar، أمير نوميدي كان يقيم في بلاط بكوس الأول Bocchus، ملك موريطانية (المغرب القديم). لعب دورا في المفاوضات التي قامت بين بكوس والقائد الروماني سولا Sulla كممثل للقنصل ماريوس Marius، والنوميدي أصبار Aspar كممثل للملك يوغرطة. قامت هذه المفاوضات في السنة الأخيرة من الحرب التي شنتها الجيوش الرومانية ضد يوغرطة، بالتدخل في مملكته نوميدية من 111 إلى 105 ق. م.

المصدر الوحيد الذي عرّفنا بالأمير دابار هو كتاب حرب *يوغرطة* *Bellum Jugurthinum*، للمؤرخ الروماني سالوستيوس Sallustius، الذي عاش بين 86 و35 ق. م. وتحدث عن دوره في التأثير على مواقف الملك بكوس، وإقناعه بالاستجابة لرغبة الرومان في إلقاء القبض على يوغرطة وتقديمه أسيرا لسولا.

قال سالوست في الفصل 108 : "كان يعيش بجانب بكوس ويداخله أشد المداخلة نوميدي اسمه أصبار. وكان يوغرطة لما علم بقدوم سولا قد بعثه على جناح السرعة ليمثله ويستطلع نوايا حليفه في آن واحد. كما كان هناك أحد أبناء مسوگرادة Massugrada، واسمه دابار من عائلة ماسنيسة، ولكن مولده وضيع من ناحية جدته، لأن أم أبيه كانت محظية. وكانت أخلاق دابار المرضية قد جلبت له رضا بكوس الذي اختبر في عدة مناسبات إخلاصه لرومة، فبعثه في الحال يعلن لسولا أنه مستعد لتنفيذ إرادات الشعب الروماني، وأن ليس على سولا إلا أن يختار بنفسه اليوم والمكان والساعة لمفاوضتهما، من غير اهتمام بممثل يوغرطة، وأنه تعمد ألا يغير شيئا من علاقته مع هذا الأخير، وذلك ليستطيع التفاوض بكل حرية في مصالحهما المشتركة إذا لم تكن هناك من وسيلة أخرى لاتقاء عراقيل الملك (يقصد يوغرطة)".

إن هذا الحدث الذي برز فيه دابار يرجع إلى البعثة الثانية التي جاء فيها سولا إلى بكوس قصد إنهاء الحرب بالمفاوضة. وقد سبقت ذلك جولة أولى من التفاوض بين بكوس وكل من سولا ومانليوس Manlius، لا شك أن دابار كان له فيها إسهام فعال. ونعلم أنه بعد هذه الجولة الأولى بعث بكوس إلى رومة سفارة تتكون من خمسة أشخاص لم ترد أسماؤهم في النص، قد يكون دابار أحدهم.

أما الجولة الثانية التي برز فيها دابار، فإن الكاتب يفيدنا أن بكوس كان يتظاهر ليوغرطة ولممثله أصبار بأنه يدافع عن مصالحهما المشتركة، ويسعى إلى تحقيق السلم مع الرومان. لكن بكوس كان يجري اتصالات سرية مع سولا دون حضور أصبار، غير أن دابار كان يحضرها، وهو الذي ينقل إلى بكوس طلبات سولا وتعليماته ثم يخبر سولا بالإجراءات والترتيبات التي يتخذها بكوس.

قال سالوست في الفصل 109 : "فأجاب سولا بأن حديثه بحضور أصبار سيكون مقتضبا. أما عن الباقي فسيكون له مع الملك حديث سري لا يحضره أي شاهد، أو يجري بحضور عدد ضئيل جدا. وفي نفس الحين أملى نص الجواب الذي أراد أن يبلغ للملك. ووقع الاجتماع كما أراده فقال إنه أتى من لدن القنصل (ماريوس) يطلب إلى بكوس هل يريد السلم أو الحرب. فطلب منه الملك حسب التعليمات التي تلقاها، أن يعود بعد عشرة أيام لأنه لم يكن يومه هذا قد قرر شيئا ولكنه سيعطي الجواب في اليوم العاشر. ثم افترقا وذهب كل واحد إلى معسكره. فلما تقدم الليل بكثير استدعى الملك سولا وكان مع كل واحد مترجمون موثوق بهم، زيادة على دابار الرجل الصادق الذي نال رضا الجانبين".

يخبرنا الكاتب عن فحوى المناقشة التي دارت في هذا الاجتماع السري الذي حضره دابار، حيث التزم بكوس بالولاء والإخلاص للرومان ووعد بتقديم كامل المساعدات

من السلاح والمال والرجال. ثم أشار الكاتب إلى التبرير الذي تقدم به بكوس لتدخله السابق في الحرب لصالح يوغرطة ضد الرومان، فنسب للملك الكلام التالي في الفصل 110 : "إني لم أحارب ولم أرد قطّ أن أحارب الشعب الروماني وإنما حميت بحد السلاح حدودي التي هوجمت بحد السلاح، وإني لأتخلى عن هذه الحماية، إذا كان ذلك يرضيكم، فحاربوا يوغرطة كما تشاؤون، ولن أتخطى نهر ملوشة Mulucha الذي كان هو الحد بيني وبين ميكبسة Micipsa، كما لن أسمح ليوغرطة باجتيازه، وإذا كان لك ما تطلبه غير هذا مما يليق بي وبشعبك فلن تذهب إلا وقد نلته".

كما يخبرنا الكاتب عن رد سولا في هذا اللقاء السري بحضور دابار. وهذا كلام سولا في الفصل 111 : "إن مجلس الشيوخ الروماني نظرا لانتصار أسلحتهم، لا يعتبرون الوعود التي يحملها كافية للاعتراف لهم، فعلى الملك إذن أن يعمل شيئا يبدو وكأنما قد أوحت به المصلحة الرومانية لا مصلحته الخاصة، وهو عمل سهل حيث إن يوغرطة يوجد بين يديه، فإذا سلمه للرومان، اعترفوا أن له عليهم يدا عظيمة، ووهبوه من ذات أنفسهم الصداقة والحلف والجزء الذي يطلبه الآن من نوميدية".

أشار الكاتب إلى أن بكوس رفض في البداية طلب سولا الذي يقضي بتسليم يوغرطة. ولا شك أن دابار لعب دورا حاسما في إقناع بكوس بوجهة النظر الرومانية. ثم أخبرنا سالوستيوس عن تطور الأحداث بعد هذه المفاوضة السرية بقوله في الفصل 112 : "وفي الغد دعا الملك إليه أصبار ممثل يوغرطة، وقال إن سولا أخبره بواسطة دابار أن بالإمكان إنهاء الحرب بالمفاوضة لمعرفة الشروط، ثم رجاه أن يستخبر سيده حول نواياه. فذهب أصبار فرحا إلى معسكر يوغرطة، وأحرز على جميع التعليمات، ثم رجع مجدا في سيره فوصل عند بكوس في اليوم الثامن".

أشار الكاتب إلى أن يوغرطة اقترح بدوره على بكوس اعتقال سولا للضغط على رومة. وقد ذكر بلوتارخوس : Plutarque, *Marius*, 10, 5 نفس الخبر. وهذا كلام أصبار في الفصل 112 : "إن سيده يخضع لجميع ما يطلب منه، ولكنه يَحْذر ماريوس، وأن الصلح الذي عقد من قبل مع القادة الرومانيين عدة مرات قد بقي حبرا على ورق. وأن بكوس إذا كان يريد خدمة مصالحهما معا وكان يطمئن إلى سلم حقيقية، فعليه أن يهيئ باسم السلم اجتماعا يحضره جميع المعنيين بالأمر، وهنا يسلم له سولا. وحين يرى مجلس الشيوخ والشعب الروماني أن هذه الرهينة في حيازته فإنهم لا يتوانون في عقد المعاهدة، ولا يتركون في قبضة العدو رجلا ساميا مثله لم يقع ضحية لجبنه وإنما وقع لإخلاصه للجمهورية".

ذكر سالوستيوس التردد الذي انتاب بكوس، والغالب أن دابار وآخرين من رعاياه الموريين، الذين كانوا يميلون إلى التعامل مع الرومان، أمثال ماگدولسة Magdulsa، قد دفعوا الملك أخيرا إلى اتخاذ القرار الحاسم : إنه نصب كمين للوفد المرافق ليوغرطة وقتلهم جميعا، ثم اعتقال يوغرطة وتسليمه لسولا. الفصل 113.

بعدما تعرفنا على الجو العام الذي يحيط بوجود الأمير النوميدي دابار في بلاط الملك الموري بكوس الأول، ودوره في الجولة الثانية من المفاوضات، نتساءل عن الظروف والأسباب التي جعلت دابار يقيم في مملكة بكوس، لدرجة أنه أصبح من الأمناء على أسرار الملك.

إن إخلاص دابار للرومان هي شيمة معروفة عند الملوك والأمراء النوميديين، نظرا للتحالف الذي كان قائما بين الأسرة الملكية ورومة، منذ ماسنيسة الذي ينتمي إليه دابار. أما العلاقة بين الموريين والنوميديين قبل حرب يوغرطة، فيبدو أنها كانت هادئة، بالرغم من أن المملكة المورية كانت تلتزم سياسة الاحتراز من رومة، ولم يتورط الموريون في الصراع القرطاجي الروماني كما فعل النوميديون. لكن الملك بكوس وبعض خواصه كانوا يهيئون الجو لاتخاذ منعطف في السياسة الخارجية، بالانفتاح على رومة والتعامل معها.

هنا نفهم الظروف الداخلية في موريطانية، التي سمحت لدابار وأمثاله بالالتجاء إلى الملك الموري بكوس. ومن جهة أخرى نفهم الدور الذي لا شك أن دابار لعبه في تحول سياسة الموريين من الانغلاق على الرومان إلى الانفتاح على تجارتهم وتأثيراتهم. نعتبر أن دابار هو أحد المعارضين لسياسة يوغرطة في فترة امتدت من سنة 118 ق.م. حيث توفي ميكبسة وقتل ابنه هيمبسال Hiempsal، وسنة 108 ق. م حيث تم التحالف بين بكوس ويوغرطة.

وهناك حدثان جعلا النوميديين ينفضُّون من حول يوغرطة، ويتخذون وجهة رومة أو موريطانية في ملاجئهم. الحدث الأول هو فرار النوميديين بعد مقتل أذربعل Adherbal في عاصمته قيرطة Cirta سنة 112 ق. م. الحدث الثاني هو اكتشاف يوغرطة لمؤامرة اغتياله من تدبير القائد الروماني ميتلوس Metellus مع النوميدي بوملكار Bomilcar.

بالنسبة للحدث الأول قال سالوستيوس في الفصل 35 : "كان آنذاك في رومة نوميدي يدعى مسيفة Massiva وهو ابن گلوسة Gulussa وحفيد ماسنيسة، وكان في حرب الملوك قد انحاز ضد يوغرطة (لصالح أذربعل)، ثم فر وهجر وطنه بعد استسلام قيرطة واغتيال أذربعل. ونظرا لانحداره من ماسنيسة فإن ألبينوس Albinus قد أقنعه بأن يطالب بمملكة نوميدية من مجلس الشيوخ... إن يوغرطة أقنع بوملكار Bomilcar، أخص أصدقائه وأوفاهم بأن يعرض المال على بعض الرجال - كما فعل من قبل - لينصبوا كمينا في السر التام لمسيفة، وإذا أخفقت المحاولة

فليقتلوه كيفما أمكن. فنفذ بوملكار أوامر الملك بكل سرعة وهاجم أحد من اكتراهم لهذه الجريمة مسيفة من غير احتياط للأمر فقتله".

بالنسبة للحدث الثاني قال في الفصل 72 : "وبعد أن أعدم بوملكار وكثيرا من الناس ممن كان على علم بالمشاركة في المؤامرة، أطفأ غضبه خوفا من إثارة الفتنة" ثم أضاف في الفصل 74 : "كان يوغرطة قد فقد أصدقاءه، فكثير منهم قتل على يده هو، والآخرون الخائفون التجأوا إلى الرومانيين أو إلى الملك بكوس".

وأيا ما كان الأمر، فسواء كان الأمير دابار قد فر مع خصوم يوغرطة الموالين لأذربعل أمثال مسيفة، أو كان من المتواطئين مع بوملكار ضد ملكهم وتمكن من الفرار، فإن مقامه في موريطانية ضمن حاشية الملك الموري كواحد من أخص أصدقائه، يوضح وزنه السياسي ودهاءه وتأثيره على مواقف بكوس الذي أنهى الحرب لصالح الرومان.

وهنا نعتقد أن دور الأمير دابار في السياسة الداخلية لبكوس ظل متواصلا، علما أن الموريين قاموا بانتفاضة بعد حرب يوغرطة، وهم يرفضون سياسة التعامل مع الرومان التي نهجها عاهلهم. ولا شك أن دابار ظل من أعوان الملك في التصدي لرعاياه الناقمين على حكمه، أمثال الموري ماگدولسة الذي تحول إلى صف المعارضين للملك.

لكن بكوس تمكن من إحباط الانتفاضة سنة 91 ق. م. حيث أعدم ماگدولسة، وأرسل إلى رومة تماثيل ذهبية لإلهة النصر الرومانية تحمل شعار النصر والغلبة، ومعها تماثيل أخرى من الذهب تظهر بكوس وهو يسلم يوغرطة لسولا. وفي ظني أن بكوس عمد إلى هذه الممارسة لإبداء التشبث بالتحالف السياسي والتعامل الاقتصادي مع رومة، كما يحلو لدابار وغيره من الذين لهم مصلحة في ربط العلاقات مع رومة.

سالوست، *حرب يوغرطة*، تر. م. التازي سعود، فاس، 1982 ؛ م. مجدوب، *أضواء على أوضاع موروسية من خلال حرب يوغرطة*، *مجلة بحوث*، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، العددان 2 ـ 3، 1990، ص.61 ـ82 ؛ *مملكة الموريين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م.*، ر.د.د.ع، كلية الآداب، فاس، 1990 ؛ *المغرب القديم من خلال كتاب حرب يوغرطة لسالوست*، اليوم الوطني لمجموعة البحث في الجغرافيا التاريخية لبلاد المغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، 1996، تحت الطبع.

M. Majdoub, *Les luttes du début du 1er s. av. J-C. au nord de la Maurétanie*, Roma, 1992, p. 235 - 8 ; Idem, *La Maurétanie et ses relations commerciales avec le monde romain jusqu'au 1er s.av. J-C.*, *Africa Romana*, 11, 1994, sous presse.

محمد مجدوب

الدابـد، من ألفاظ اللهجة الدارجة المغربية كان تداوله سائدا بين الصناع والحرفيين، وهو تحريف لكلمة الضابط العربية الأصل. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن تحريف نطق الكلمات عربية وأمازيغية وأجنبية كان أمرا عاديا في اللسان الدارج لاعتبارين : أولهما ميل العامة إلى تبسيط بعض الحروف الثقيلة والمفخمة والتخفيف منها بالحذف والادغام، وثانيهما أن الكلمات المحرفة كان ينطقها جمهور عامة الناس ممن لا يحسنون مبادئ القراءة والكتابة دون أن يعرفوا كيف كانت تكتب. لذلك كانت تتحول من أصولها في النطق جزءاً أو كلاً لتبرز كلمات جديدة منحوتة بدلها، وهو أمر ينطبق على سائر اللهجات في العالم.

والدابد أداة حديدية لها مرتكز وساقان قائمان على شكل ساقي مثلث قائم متساوي الأضلاع كان الحرفيون المغاربة في القرن الماضي وما سبقه، من خرازين وحدادين ونجارين وبنائين ومعماريين وغيرهم يستعملونها لتحديد الأبعاد والمقاييس ورسم الأشكال الهندسية نصف الدائرية والدائرية وتحديد الأقواس والمنحنيات على المعادن والخشب والجلود والجدران وغيرها. وقد كانت هذه الأداة معروفة في المغرب والأندلس وبلدان المشرق العربي منذ عدة قرون وذكرتها العديد من المستندات التاريخية والنصوص الأدبية والعلمية التي يزخر بها التراث العربي. وهي بذلك أداة عريقة كما يشهد على ذلك اسمها العربي، والاسم المتداول الذي يدل عليها حاليا هو البركار، وهو لفظ لا نعرف بالضبط كيف تم استعماله.

محمد الحلوي، *معجم الفصحى في العامية المغربية*، الدار البيضاء، 1988 ؛ ع. القادر زمامة، *فاس وصناعتها التقليدية*، *مجلة كلية الآداب بفاس*، العدد الرابع والخامس، السنة 1980 ـ 1981 ؛ مؤلف مجهول، *ورقسات في أسرار بعض الصنائع*، مخطوط مكتبة كلية الآداب بالرباط رقم 216 مكل.

Anonyme, *L'industrie marocaine des peaux*, *B.I.D.M.*, juillet 1942 ; G. Baumont, *L'avenir des corporations artisanales au Maroc*, [s.l] 1949 ; P. Bory, *Métiers et arts indigènes*, Casablanca, 1941 ; L. Brunot, *La cordonnerie indigène à Rabat*, *Hesp.*, T. 3, 3° - 4° trim., 1946.

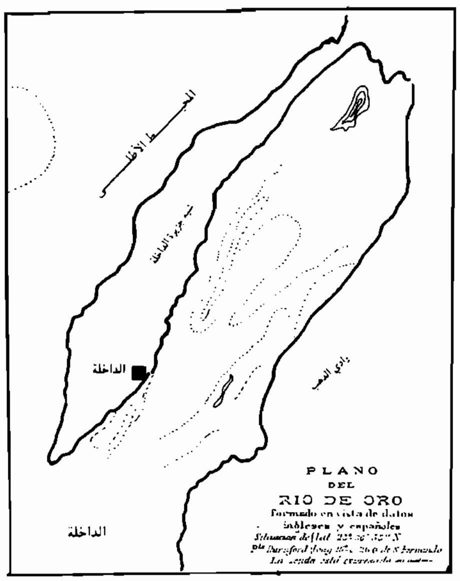
محمد بوسلام

الداخلة ـ جغرافيا ـ، مدينة متوسطة الحجم (37000 نسمة عند منتصف سنة 2000)، تقع على بعد 600 كم من مدينة العيون بأقصى الجنوب الغربي للأقاليم الصحراوية المغربية. وتتميز بموضعها عند نهاية شبه الجزيرة التي تحمل نفس الاسم والتي تمتد على مسافة 40 كم طولا و2 إلى 5 كم عرضاً مُشكِّلة عند التقائها بالمحيط الأطلنتي ما يسمى بخليج وادي الذهب. وتعتبر آخر نقطة حضرية جنوب البلاد وعاصمة جهة وادي الذهب الگويرة.

كانت في الأصل عبارة عن مستعمرة أنشأتها إسبانيا التي كانت تحتل هذه المنطقة إلى حدود سنة 1975، وقد استرجعها المغرب يوم 14 غشت 1979 على إثر تخلي الإدارة الموريتانية عنها.

وتفيد المعطيات الإحصائية المتوفرة حول المدينة، أن عدد سكانها تزايد بشكل سريع منذ بداية الثمانينيات، إذ مر من 17309 نسمة سنة 1982، إلى 29831 سنة 1994 ثم إلى 37000 نسمة سنة 2000، أي بزيادة إجمالية بلغت حوالي 19700 نسمة في ظرف 18 سنة، أي ما يعادل نسبة تزايد سنوي يقدر بـ 431٪ وهذا يبين أن عدد السكان بالمدينة تضاعف مرة واحدة خلال العقدين الأخيرين. وبالاقتصار على فترة 1982 ـ 1994 فقط، يلاحظ أن الأصل في الزيادة المذكورة لا يعود فقط إلى الزيادة الطبيعية التي ساهمت بنسبة 46.5٪، ولكنه يرتبط أيضاً وبالدرجة الأولى بالتوافد الذي يمثل نسبة 53.5٪. وفي الواقع، شكلت الداخلة منذ استرجاعها على غرار بقية المدن بالأقاليم الصحراوية المغربية قبلة للتوافد ليس فقط على مستوى الأقاليم الجنوبية ولكن أيضاً على الصعيد الوطني. وتتوزع أصول الوافدين عليها طيلة العشرية الأخيرة على الشكل التالي :

- الأقاليم الجنوبية : 17٪
- السهول والهضاب الأطلنتية الوسطى : 47٪
- المناطق الداخلية : 32٪
- أقاليم أخرى : 4٪



ويبلغ عدد الأسر بالمدينة 5855 سنة 1994 في مقابل 1528 سنة 1982. وهذا يبين أن الزيادة الإجمالية للأسر خلال فترة 12 سنة كانت تقدر 4327، أي أنه على عكس عدد السكان تضاعف عدد الأسر ثلاث مرات تقريبا. ويبلغ حجم الأسرة في المتوسط خمسة أفراد بدل عدد 11.83 الذي سجل بالمدينة سنة 1982. ويرتبط هذا التراجع أساساً بالتوافد الذي هم على الخصوص الأسر النووية وعنصر العزاب.

ويبرز توزيع السكان النشيطين حسب القطاعات الاقتصادية سيادة أنشطة القطاع الثالث التي تستأثر بنسبة 61٪ من المجموع. وتمثل الإدارة العمومية والجندية الفروع التي توفر أكبر عدد من مناصب الشغل (51٪). كما تعتبر التجارة أهم أنشطة هذا القطاع بدورها، خاصة وأنها تدخل في التقاليد العريقة لسكان المنطقة بصفة عامة. تستحوذ التجارة حاليا على حوالي 8٪ من مجموع النشطين، ويغلب على أنشطة المحلات التجارية بيع المواد الغذائية بنسبة 45٪، إضافة إلى الألبسة وأمتعة التجهيز المنزلي بنسبة 12٪.

كما يعتبر قطاع الصيد البحري من أهم الأنشطة الحضرية حيث يساهم في التشغيل بنسبة 22٪. ويتميز هذا القطاع بسيادة الصيد الساحلي الذي يوجه إنتاجه أساسا إلى السوق المحلية. أما الصيد في أعالي البحار فيكتسي بدوره أهمية كبيرة بساحل الداخلة، لأنه يهم أزيد من 70٪ من الأسطول الوطني. إلا أن انعكاساته على الاقتصاد الحضري المحلي منعدمة تماما. ويرتبط هذا النشاط بوجود ثروة سمكية هامة على طول الساحل الأطلسي للمنطقة وكذا بالخليج الصغير لوادي الذهب، وهي اليوم معرضة لمخاطر الاستغلال المفرط والتلوث القوي. ويرتبط بهذا القطاع نشاط صناعي جد متواضع يتمثل أساسا في بعض وحدات إنتاج الثلج الذي يستعمل لحفظ الأسماك عند الخزن والنقل.

ويتكون المجال الحضري بالداخلة من النواة التي تعود إلى الفترة الإسبانية والأحياء الجديدة التي ظهرت بعد 1979. وتنتظم المدينة حول المرفقين الأساسيين اللذين يربطانها بالخارج وهما الميناء والمطار. تمتد الأحياء الأصلية على طول شارع الحسن الثاني الذي يربط الميناء بالمطار، والذي تتفرع عنه شبكة من الطرق في اتجاه الأحياء الجنوبية والشمالية من المدينة. ويعتبر هذا المحور وامتداده الجنوبي مركز المدينة لأنه يحتضن التجهيزات السوسيوثقافية والثكنة العسكرية والمركز التجاري. أما الأحياء الجديدة فتمتد جنوب وشمال مركز المدينة وهي أساساً عبارة عن مناطق سكنية.

وتجدر الإشارة إلى أن تركّز معظم سكان جهة وادي الذهب الكويرة والخاصية السريعة التي تم بها التمدين بالداخلة قد أسفرا عن تدهور المشاهد الحضرية بشكل كبير جداً، سواء بالأنوية الحضرية الموروثة عن الفترة الاستعمارية أو بالأحياء الجديدة. وتتجلى هذه الظاهرة في تقادم البنايات بأحياء لخصيصات ولبويشات وحي الميناء وكذا حي الركيبات ... كما تتمثل أيضاً في تداخل أنواع السكن على مستوى نفس الحي ونفس الشارع وغياب أي تجانس أو تناسق معماري بالمدينة. أضف إلى ذلك أن تفكك النسيج الحضري يطرح بدوره مشكل عدم توفر نوع من التدرج في المراكز الحيوية بالمدينة، وضعف التمفصل ما بين مختلف الأحياء المكونة لها.

أبحاث شخصية ؛ تصميم تهيئة مدينة الداخلة.

عثمان هناكا

** يرتبط تاريخ مدينة الداخلة بالإسبانيين، فقد أسسوها بشبه جزيرة الداخلة في الصحراء (إقليم وادي الذهب حاليا) سنة 1303 /1885 ، وسموها بيِيَاثيسْنيرُوس Villa Cisneros نسبة إلى الأسقف الإسباني فرانسيسكو فيرنانديث دي ثيسنيروس Francisco Fernandez de Cisneros الذي اختارته الملكة الإسبانية إيسابيل الكاثوليكية Isabel la Católica معرفا لها.

في يوم 16 سبتمبر 1877 ترأس الملك الإسباني الفونصو الثاني عشر Alfonso XII بمدريد الجلسة التأسيسية للجمعية الإسبانية لاكتشاف الصحراء Asociacion Española para la exploracion del Sahara وبناء على مقرراتها بعثت جمعية الصيد الكنارية الإفريقية Sociedad de Pesod Canario - africanas وكيلين عنها إلى شبه جزيرة الداخلة قاما باتصال مع بعض المغاربة القاطنين بها وعادا إلى الجزر الخالدات يدعيان بأنهما اشتريا منهم شبه الجزيرة المذكورة، وكان ذلك أواخر سنة 1299 / 1881.

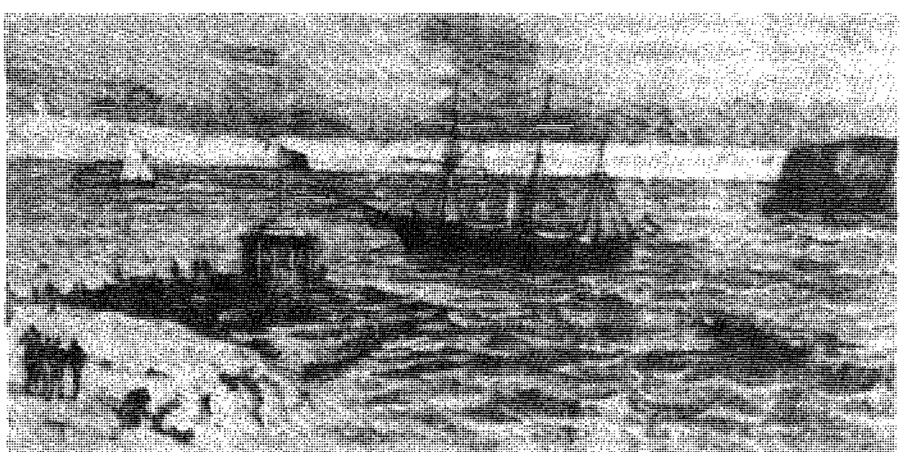
وفي 5 نوفمبر 1301 / 1883 انعقد بمدريد المؤتمر الإسباني للجغرافيا الاستعمارية والتجارية Conareso español de geografia colonial وكان من بين مقرراته العمل على إنشاء مركز أو مركزين إسبانيين بالشاطئ الصحراوي الموالي للجزر الخالدات، وتأسيس شركة إسبانية للمستعمرين الإفريقيين Sociedad española de Africanistas. وقامت بالفعل هذه الشركة بمدريد في شهر ديسمبر من نفس السنة. وفي يوم 30 مارس 1884 عقدت مهرجانها الأول بمسرح الحمراء بالعاصمة الإسبانية. ولما علمت شركة الصيد الكنارية الإفريقية بهذه التحركات شبه الرسمية، قامت بتفويت "حقها" في شبه جزيرة الداخلة إلى الشركة التجارية الإسبانية الافريقية المؤسسة بمدريد يوم 9 نوفمبر 1883 والتي قامت بإرساء سفينتين تجاريتين بالقرب من شاطئ الداخلة في شهر فبراير من سنة 1884.

ولما أن علمت شركة المستعمرين الإفريقيين بهذه الصفقة الوهمية وبوجود السفينتين المذكورتين بالشاطئ الصحراوي حتى كلفت الملازم الاحتياطي إميليو بونيلي Emilio Bonelli بالقيام بعملية استطلاعية للشاطئ المذكور الموالي للجزر الخالدات فقام بجولة بحرية وبرية من رأس بوجدور (خط العرض 27 درجة) إلى الرأس الأبيض (خط العرض 20 درجة)، ونتج عن ذلك أن اختار يوم 3 نوفمبر من نفس السنة ثلاث بقع أقام فوق كل واحدة منها كوخا من خشب رفع عليه العلم الإسباني : الأول بشبه جزيرة الداخلة وأطلق عليها اسم بيياثيسنيروس، والثاني بخليج الرأس الأكحل وسماه بْويرْطو باديا Puerto Badia، والثالث بالگويرة (الرأس الأبيض) وسماه بْويرْطو أو مدينة گاطيي Puesta o Medina Gatell.

وعلى إثر ذلك أعلنت حكومة مدريد يوم 26 ديسمبر 1884 بلاغا أخبرت فيه الدول الأوربية بأنها قررت بسط حمايتها على الشاطئ الصحراوي الممتد من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض. وفي شهر يناير 1885 شرع بونيلي في بناء مركز الداخلة بالحجارة، فكان رد فعل المغاربة أنهم هاجموا المركز يوم 9 مارس وحطموا البناء وأحرقوا الكوخ ونهبوا الأمتعة وقتلوا بعض الإسبانيين وأسروا البعض الآخر ولم ينج منهم إلا من كان على ظهر السفينة التي كانت راسية بمياه الداخلة وتمكنوا من الفرار واللجوء إلى الجزر الخالدات.

لم يبق للإسبانيين وجود بأرض الصحراء المغربية طيلة ثلاثة أشهر أي إلى أن طلبت شركة المستعمرين الإفريقيين من الحكومة الإسبانية حماية "مصالحهم" بالداخلة، واستجابت مدريد لذلك فأذنت لبونيلي في العودة إلى الداخلة مرة ثانية معززا بكتيبة عسكرية مكونة من 20 جنديا يرأسهم القبطان خوسي شاكون José Chacon وكان ذلك يوم 8 يونيو من نفس السنة.

وفي 10 يوليوز عين بونيلي مندوبا ملكيا Comisario



الاحتلال الاسباني الثاني لشبه جزيرة الداخلة يوم 8 يونيو 1885

regio بالشاطئ الصحراوي الممتد من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض. وفي 10 أكتوبر سلمت شركة المستعمرين الإفريقيين حصن الداخلة إلى الحكومة الإسبانية التي قامت باحتلاله عسكريا يوم 16 ديسمبر.

وفي سنة 1317 / 1899 م أعفي بونيلي من منصبه، وحل محله ضباط عسكريون إلى أن تم التوقيع على المعاهدة الإسبانية الفرنسية ليوم 27 يونيو 1900 والتي بمقتضاها اعترفت فرنسا بـ"حق" إسبانيا في بسط نفوذها على بيباثيسنيروس Villa Cisneros وجزء من الصحراء الغربية المغربية الممتد من خط العرض 26 درجة (جنوب رأس بوجدور) إلى خط العرض 21 درجة و20 دقيقة (شمال الرأس الأبيض) غير أن إسبانيا لم تتمكن من احتلال أية بقعة من الأرض المغربية المذكورة حيث إن وجودها بناحية الترس (وادي الذهب) اقتصر على وجودها بمدينة بيبا ثيسنيروس، وهذا ما جعل التشريعات التي أصدرتها حكومة مدريد ابتداء من سنة 1901 تطبق فقط بالمدينة المذكورة، ونعني بذلك المرسوم الملكي ليوم 12 أبريل 1901 الذي بمقتضاه أصبح شاطئ الصحراء صوريا تحت نظر وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الخارجية، والمرسوم الصادر في 7 نوفمبر من نفس السنة بخصوص كيفية تسيير الشاطئ المذكور إداريا.

وفي شهر ديسمبر 1903 عين الضابط فرانثيسكو بينس Francisco Bens حاكما سياسيا وعسكريا على شاطئ الصحراء. وحل بمدينة بيبا ثيسنيروس يوم 17 يناير من السنة التالية مصحوبا بواحد وثلاثين جنديا وممرض واحد، غير أنه لم يتمكن من القيام باحتلال أية بقعة أخرى بأرض الصحراء إلا يوم 29 يونيو 1916 حيث احتل رأس جوي (طرفاية)، والگويرة يوم 30 نوفمبر 1920.

وابتداء من صدور المرسوم الإسباني بتاريخ 25 يناير 1919 أصبحت مدينة بيبا ثيسنيروس تابعة للإقامة العامة الإسبانية بتطوان في شمال المغرب، وفي سنة 1934 احتلت القوات الإسبانية منطقة إفني ومدينة اسمارة بالساقية الحمراء، وعندئذ أصبحت مدينة بيبا ثيسنيروس عاصمة للأقاليم الصحراوية المحتلة من لدن إسبانيا إلى غاية سنة 1940 حيث انتقلت الإدارة المركزية إلى مدينة العيون.

ظلت مدينة بيبا ثيسنيروس تحت الحكم الاستعماري الإسباني إلى أن تم التوقيع على اتفاقية مدريد المبرمة بين إسبانيا والمغرب وموريطانيا، فأصبحت المدينة المذكورة تابعة للنفوذ الموريطاني إلى أن تخلت عنها موريطانيا وقام سكان المدينة بمبايعة ملك المغرب يوم 13 غشت 1979 حيث أصبحت عاصمة إقليم وادي الذهب وعاد إليها اسمها الحقيقي : الداخلة.

Bonelli, E., *Nuevos territorios españoles en la costa del Sahara. Bol. Soc. Geografica*, Madrid XVIII 1885 ; *El Sahara* Madrid, 1887 ; Garcia Figueras, T, *Santa Cruz de Mar Pequeña - Ifni. - Sahara*, Madrid, 1941 ; Domenech, A., *Algo sobre Rio de Oro,* Madrid, 1946 ; Bens, General, *Mis memorias (22 años en el desierto)*, Madrid, 1947 : *Espasa-Calpe*, Madrid, t. 28, p. 2784 ; Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-saharico*, Madrid, 1955 ; Ibn Azzuz Hakim, M., *Por que reivindicamos Rio de Oro,* Rabat, 1966.

محمد ابن عزوز حكيم

دادا أيوب، ولي صالح يوجد ضريحه بداخل مدشر أسرير (انظر مادة *أأسرير : المعلمة*) تعتبره فصيلة إدإيوب من أمازيغ جدها الأسمى كما يظهر ذلك فعلا من وجوده داخل شريط سكناها بالمدشر على اعتبار أنه الولي الوحيد المدفون داخل المدار السكني بأسرير. ونجهل الأسباب الحقيقية التي جعلت منه مزارا رئيسيا للسود في إطار ممارستهم التقليدية قبل انطلاق رقصاتهم الفولكلورية. ويبقى التناقض مع ذلك مساهما في تكريس وجه الإشكال إذ كنا نجد في إحدى وثائق عائلة أهل مبارك الحاج (من إدإيوب) مشجرا يصل الجد الأعلى إيوب بجذور شريفية وذلك عبر إوالية ربطه بالولي الشهير محمد بن عمرو اللمطي، مع الاختلاف الواضح في التصاعد السلالي داخل الوثيقة وأيضا لصعوبة تحديد نسب ضريح لمحمد بن عمرو نفسه (*خلال جزولة*،2 : 13 ـ 15).

فهل يحق لنا أن نربط هذه المشاغل بالمد القبلي لأزوافيط على مدشر أسرير ؟ هل يمكن أن يكون دادا أيوب رمزا لاستمرارية فصيلة تخشى الذوبان بفعل التوسع واللااستقرار الكبيرين على مستوى المدشر طوال القرون اللاحقة للقرن السادس عشر ؟ هل يكون ذلك أيضا رغبة في إثبات أصالة الانتماء وانتزاع التمثيل في صلب التمايزات داخل فروع التشكيلة الأمازيغية بأسرير ؟ هل يجوز لنا أن نرى في أهمية امتلاك عالم القداسة طموحا لاستكمال ومراكمة العناصر الرمزية التي جعلت منها المواجهة عناصر رئيسية للمقاومة.

إن دراسة معمقة وحدها كفيلة بالإجابة عن تلك الأسئلة التي تبقى مثيرة للانتباه إلى تنوع الوثيقة وشساعة الحقل التاريخي الخاص بكل مدشر في خصوصيته ثم في انفتاحه على أحداث وادي نون في ظروف نفتقد فيها أي معلومات مؤكدة.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، الجزء الثاني، تطوان د. ت.
V. Monteil, *Notes sur Ifni et les Aït Ba-Amran*, Paris, 1948.

أحمد جوماني

دادا عطا، شخصية لم يصلنا عنها سوى معلومات طفيفة لا تسمح بضبط الحلقات الجوهرية من حياتها ومراحل تنقلها في الزمان والمكان، وحتى الأخبار التي وصلتنا عن دادا عطا أخذها وجمعها أصحابها بواسطة الروايات الشفوية في غالب الأحيان.

ولعل هذا يعود إلى كون القبائل الهامشية التي كانت تعيش في المناطق النائية عن العواصم الكبرى لم تنل حظها من كتب الحوليات، أضف إلى ذلك إلى كون الفقهاء المحليين لم يهتموا بالرحل. ولا يذكرون هذه القبائل إلا لوضعها في طي الكتمان، كما أن مجتمع أيت عطا مجتمع يعتمد على الروايات الشفوية أساسا ونقل الأخبار بشكل متوارث. وإلى جانب هذه العوامل فإن "دادا عطا" شخصية رمزية في المتخيل العطاوي (أيت عطا) أكثر منها شخصية عادية، ولهذا أحيط بالخوارق والكرامات والأساطير لدرجة يبدو معها "دادا عطا" وكأنه شخصية وهمية. وعلى كل فقد اعتبر بمثابة جد أيت عطا الأعلى.

وحسب الروايات فإن "دادا عطا" عاش في النصف الثاني من القرن العاشر (16 م) على الخصوص بحيث كان هو المؤسس لاتحادية أيت عطا حوالي 1550 م. كما أنه حسب هذه الأخبار دفين واحة درعة قرب اكتاوة في مكان يدعى "إيمي ن تالث ن إلكتاون" أي "فم وادي لكتاوة".

وتقول الأخبار إن دادا عطا من أقارب الشريف الإدريسي مولاي عبد الله بن حسين المصلوحي. بل هو من تلامذته أيضا، وهذا ما جعل قبائل أيت عطا تدين بالولاء لزاوية تامصلوحت إلى يومنا هذا.

كما أن "دادا عطا" تحالف مع سعيد الحنصالي الشيء الذي جعل قسماً من أيت عطا يدين بالولاء أيضا للحنصاليين. وقد لاحظ گلنير Gellner ومن قبله سبيلمان Spillman أن قبائل أيت عطا تقوم باستحضار الانتماء إلى الجد الأعلى "دادا عطا" كمرجع رمزي تنحدر منه مجموع تلك السلالات، وذلك لكون هذا الجد عنصرا أساسا لتحقيق التماسك ووحدة قبائل أيت عطا أمام الخطر المحدق. وسمى گلنير عملية الاستحضار هذه بعملية الانصهار. ولم يقف دور استحضار "دادا عطا" على حالة الاستنفار، بل إن قبائل أيت عطا تستمد مواقفها من المخزن أحيانا من أقوال "دادا عطا" كرفضهم أداء الواجبات المخزنية اعتماداً على قولة "دادا عطا" المأثورة ومفادها :

"وحقْ دادا عطّا. ما يعطي مانين يعطَى. واخّا يولّي جبلْ صاغرو وْطا" أي معناه : "أقسم دادا عطا أنه لن يؤدي ما وجب، ولو أصبح جبل صاغرو سهلا".

ورغم الدور الذي لعبه الانتماء إلى جد واحد في تحقيق التماسك، وفي اختيار المواقف والسلوك فإن اعتماد الانتساب إلى جد مشترك الانتماء البيولوجي، اصطدم بتناقضات، منها : أن بعض القبائل المنضوية داخل اتحادية أيت عطا لا تمتُّ في الأصل إلى أيت عطا بصلة، وأشهر الحالات في هذا المجال تمثلها مجموعات "إملوان" التي نجد قسما منها ينتمي إلى أيت يافلمان (أيت حديدو)، وقسما ينتمي إلى أيت عطا. وقسما مستقلا عن الاتحاديتين. وهناك من جهة أخرى بعض القبائل التي التحقت باتحادية أيت عطا من أجل الاحتماء بها من قبائل بدوية أخرى، ومثال ذلك "بنو مَحمد" وهي قبيلة عربية بتافيلالت انضمت إلى أيت خباش، وهم أيت عطا القاطنون بتافيلالت، وهناك أيضا مثال أيت علوان وأيت اسفول فهم رغم كونهم من أخماس أيت عطا فإنهم في الغالب من أصل عربي.

وقد كان وجود عناصر متنوعة الأصول داخل اتحادية أيت عطا وراء اللبس الذي اكتنف مفهوم القبيلة العطاوية، إذ وجدت نفسها تعيش تناقضات داخلية تتجلى في إقصاء العناصر التي لم تستطع إثبات انتمائها إلى الجد الأعلى (دادا عطا) من الحياة السياسية، وحيث ترفض مشاركتها في الانتخابات التي تجرى لاختيار "الشيخ العام" كما يُرفض تقديم مرشح عنها لهذا المنصب. وكمثال على ذلك : أيت علوان وأيت اسفول وأيت أونير.

كما أن الانتماء إلى الجد الأعلى اصطدم باختلاف المصالح بين مختلف بطون أيت عطا التي يشك في أصولها. وهكذا اندلعت نزاعات اتخذت طابع العنف في غالب الأحيان بين أيت عطا الصحراء وأيت عطا الدير، وكان الصراع يجري حول امتلاك المراعي ومشكل تحديد الملكيات التابعة لكل طرف. هذا بالإضافة إلى ترامي أيت عطا الدير على الأراضي التي كانت خاصة بالانتجاع لاستثمارها كأراضٍ زراعية، ولم يعد الانتماء إلى جد مشترك أي "دادا عطا" بقادر على تحقيق تماسك هذه القبائل. وهذه النزاعات الظرفية حول المراعي هي التي مهدت السبيل للتغلغل الاستعماري لمناصرة طرف على الآخر خلال عملية الغزو العسكري، وبعد إتمامها استعملت هذه السلطات النزاع حول المراعي كوسيلة لفرض سلطتها عن طريق التحكيم الذي استمر طيلة العهد الاستعماري. وهكذا تلاشى دور الانتماء إلى جد مشترك كعامل مُوحِّد.

محمد أتكان وأحماد باسلام، *مناقشة كتاب سبيلمان : أيت عطا الصحراء وتهدئة درعة العليا* ، بحث لنيل الإجازة، أكادير، 1989.

G. Spillman, *Districts et tribus de la Haute vallée du Draa in villes et tribus du Maroc*, tome II, Paris, 1931 ; E. Gellner, *Saints of the Atlas*, London, 1969 ; D. M. Hart, *Dadda Atta and his forty Grandsons, Transhumance, Politics and Warfare amonf the Aït Atta of South central Morocco* (Article) ; *Assu U Baslam* in *Les Africains*, tome V, Paris, 1977.

عبد القادر بوراس

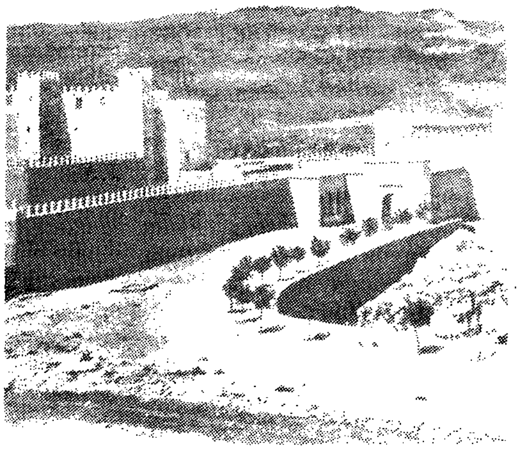
دادس، ـ جغرافيا ـ اسم أحد الروافد الرئيسية لنهر درعة، يأخذ منابعه في الأطلس الكبير الأوسط على ارتفاع يصل إلى 3.000 م عند جبل بُـويقُـولا. ينحدر النهر في اتجاه عام شمالي شرقي جنوبي غربي تحت اسم أسيف – ن – امضغوس ثم دادس حتى منطقة اتصاله بواد ورزازات حيث يكوِّنان واد درعة.

تختلف الملامح الطبغرافية لحوض دادس، حيث نصادف أعرافا محورية حادة تمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال

الشرقي تتخللها هضاب مرتفعة وأحواض داخلية في العالية بينما يتميز القسم الأوسط بخوانقه الكارسطية الضيقة والمتعمقة، ثم تنفرج التضاريس بعد ذلك على شكل منخفض متسع نسبيا يفصل بين الأطلس الكبير وجبال صاغرو (شرق الأطلس الصغير). ويعزى هذا التعقيد في الطبغرافية إلى تداخل مختلف العناصر الإرسابية الرئيسية لفترات ما بعد الترياس وتعرضها لحركات تكتونية مختلفة الوقع والمدى.

بالنظر إلى موقع المنطقة القاري وانفتاحها على المؤثرات المناخية الصحراوية فإن إمكانيات الحياة البيولوجية خارج المجاري الرئيسية للأنهار محدودة جدا. ويعتبر الجريان السطحي، رغم عدم انتظامه، عنصرا محددا وأساسيا لكل الأنشطة. فالصبيب المطلق المسجل في محطة أيت موتد بلغ 36.600 لتر في الثانية بينما قد يصل صبيب الشح إلى 0 لتر في الثانية. وهذا الاختلاف جعل من تنظيم الماء وتدبيره أحد الركائز الهامة للمجتمع الدادسي.

وهناك ظروف جعلت من وادي دادس ومن الأودية الجبلية المكونة لحوض درعة الأعلى مجالا للتعمير منذ القديم، وكونت منه ممرا استراتيجيا قديما بين تافلالت ودرعة وبين هذه المناطق والمراكز الحيوية في الشمال كدمنات ومراكش وفاس.



مدينة دادس

تقدر نسبة المجال المنزرع على السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط بحوالي 8٪ فقط من المساحة العامة،مما دفع السكان إلى البحث عن تكامل مجالي في إطار اقتصاد قائم على الزراعة والرعي. على أن الموقع الإستراتيجي المشار إليه، في ميدان التبادل، وقلة الأراضي المنزرعة إضافة إلى الضغط الديمغرافي، كلها عوامل تضافرت منذ القدم لتؤدي إلى التهافت على هذه المجالات، ويعتبر هذا التهافت عنصراً أساسياً في تفسير طريقة التنظيم المجالي القبلي : فمن العالية نحو السافلة نجد القبائل التالية :

أيت حديدو، أيت مرغاد، أيت عطا - ن - مسمرير، أيت عطا - ن - أسكيس، أيت سدرات الجبل، أيت عطا - ن - بومالن، أهل دادس، أيت سدرات السهل ثم قبيلة مگونة على رافد من النهر يسمى باسمها وقبائل امغران فأهل اسكورة (هسكورة) على واد تونددوت ثم أفخاذ من قبائل امغران وأيت بودلال قبيل مقرن واد دادس بواد ورزازات.

إن هذا التداخل في الاستيطان بين القبائل المختلفة أدى ومازال يؤدي إلى صراعات لا متناهية حول الأراضي المنزرعة ومياه السقي والمراعي الشتوية في صاغرو والصيفية على الأطلس الكبير، حيث كوّن خيوط ونسيج تاريخ المنطقة. فقبائل أيت عطا تحاول استغلال حوض دادس كممر نحو المراعي الصيفية، بينما ترغب قبائل امگونة وأيت سدرات وأيت يافلّمان وإمغران في أن يكون لها نصيب في المراعي الشتوية بصاغرو.

ساهمت هذه الظروف إلى حد بعيد في تباين الأنشطة الاقتصادية بين أجزاء الوادي. فإذا كانت القبائل القاطنة في أعالي الأنهار تتعاطى أساسا للرعي وزراعة ضيقة للمحاصيل الموسمية فإن سكان سافلة الوادي يتعاطون بالدرجة الأولى لزراعة عمادها الحبوب كالشعير والذرة، بالإضافة إلى مغروسات قوامها أشجار التين واللوز والمشمش والخوخ والجوز.

إن ضيق المجال القابل للاستغلال الفلاحي، وتزايد حاجيات السكان كماً وكيفاً، وانفتاح المنطقة على المؤثرات الخارجية كلها عوامل أدت إلى تنامي تيار هجروي نحو المجالات الاقتصادية النشيطة بشمال المملكة أو نحو الجزائر ثم نحو أوربا الغربية منذ بداية الستينيات. وقد أدى هذا الاتصال المكثف مع الخارج إلى تحولات عميقة لكل المركب الاجتماعي المجالي والاقتصادي. فقد بدأ الرعي يتراجع واتخذت الاستثمارات في ميدان الري بالضخ وغرس التفاح والبطاطس والورود أبعاداً هامة ومتباينة. كما اتجهت بالخصوص نحو التجارة والبناء، حيث انفجرت القصور القديمة وظهر سكن جديد أجنبي في مواد بنائه وأشكاله وهندسته على جنبات الطرق. كما ظهرت تمشياً مع هذه التغيرات مراكز حضرية أصبح تضخمها يطرح عدة إشكاليات كبومالن دادس وقلعة مگونة.

إن جمالية الأشكال الطبغرافية بخوانقها وقممها وأوديتها إضافة إلى صفاء الجو واخضرار الأشرطة المجاورة للأنهار وسط مجالات قاحلة يميل لونها نحو الاصفرار أو الاحمرار، وحسن استقبال السكان، جعل من المنطقة قبلة للسيّاح خصوصا الأجانب. وقد تنامى هذا القطاع بعد إحداث موسم الورود بقعلة مگونة، وتشجيع السياحة الجبلية. لكن الضغط الممارس على الموارد الطبيعية خاصة الغطاء النباتي والترابي ثم الموارد المائية ظل يهدّد المنطقة.

أقديم إبراهيم، *إسهام في الدراسة الهدرولوجية والمرفلوجية لحوضي دادس وتدغة (السفح الجنوبي للأطلس الكبير)*، د.د.ع. في الجغرافيا، كلية الآداب بالرباط، 1983 ؛ م. أيت حمزة، *ملامح التحولات السسيومجالية بحوض أسيف أمكون، السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط*، د.د.ع. في الجغرافيا، كلية الآداب بالرباط، 1986 ؛ وزاً علي، *دراسة جغرافية لوادي دادس*، بحث لنيل الإجازة في الجغرافيا بكلية الآداب بالرباط، 1979.

M. Aït Hamza, *L'émigration, facteur d'intégration ou de désintégration des regions d'origine ?* Rabat, 1988; *Tinghir, Boumalne, Dadès et Kelaât Mgouna : trois petits centres au sud de l'Atlas*. 7è Colloque de Sefrou sur *"L'aménagement et gestion des petites et moyennes villes au Maroc"*, Avril 1994, (sous presse), Sefrou ; G. Couvreur, *La vie pastorale dans le Haut Atlas Central, RGM*, N° 13, 1968 ; M. El Madani, *Collectivités traditionnelles et espaces ruraux montagnards dans les zones d'arrière - pays atlasiques méridionaux : le cas des Ayt Seddrate du Dades*. DES en Géographie. Aix-en-Provence, 1986, 2 vol.

محمد أيت حمزة

* * تاريخ موقع وادي دادس جعل منه منطقة اتصال وعبور بين مناطق جغرافية وبشرية مهمة، هي تدغة وتافيلالت شرقا، ودرعة (دْرا) جنوبا، وسوس غربا، والأطلس الكبير شمالا. وبالإضافة إلى ذلك فوادي دادس هو منطقة تماس وانتقال بين لهجتين أمازيغيتين هما : تمازيغت وتاشلحيت.

ورغم أن وادي دادس تشرف عليه تضاريس مرتفعة جدا، فإن ذلك لم يكن عائقا أمام المواصلات في مختلف الاتجاهات : جنوبا وشرقا وشمالا وغربا.

أما معنى اسم دادس فلا يعرف في الوقت الحالي. ولعل أول من أشار إلى دادس وأهله - حسب ما نعرفه إلى الآن - هو أبو بكر الصهناجي المكنى بالبيدق في كتابه *المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب* خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري (12 م)، وذلك حينما تحدث عن قبائل صنهاجة القبلة وأفخاذها قائلا : "ومن صنهاجة القبلة سولينة إين سولينت معا، وهم من أهل دادس وهو قبيل مستبد بنفسه، وكذلك مزگگة أو مزگگا معا أيضا من صنهاجة القبلة، وهم من أهل دادس وهو قبيل مستبد بنفسه، وهذان القبيلان مضافان إلى اين گفو لا يُعتمد عليهم في الحضور ولا في الترتيب، وكأنهم رعية، ولكل فخذ من هذه الأفخاذ شيخ". وواضح من هذه الإشارة أن أهل دادس ربما تقاعسوا عن الانضمام إلى الدعوة الموحدية في بداية أمرها.

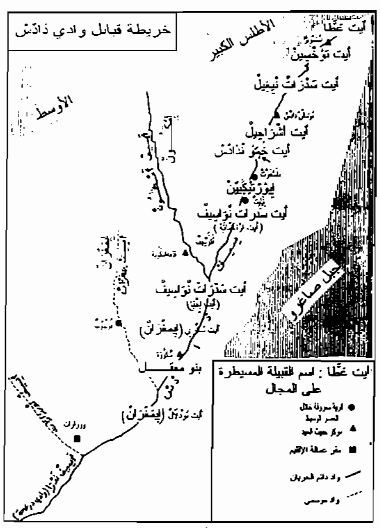
وهناك إشارة ثانية لدادس وردت عند التادلي المعروف بابن الزيات في الترجمة التي أفردها لأبي يحيى أبي بكر ابن ملول [الصنهاجي] الأسود في كتابه *التشوف إلى رجال التصوف*. ومما قاله عن هذا الولي الصالح إنه "من أهل قرية [تانسغرت] من بلد دادس من بلاد القبلة، وبها مات عام خمسة وستمائة وكان عبدا صالحا...". وكلمة دادس هنا تعني المجال الترابي والجغرافي. أما السكان فلم تكشف عن هويتهم القبلية. أما قرية تانسغرت المذكورة فهي لا تزال معروفة إلى اليوم، وتوجد على الصفة اليمنى لوادي دادس في تراب قبائل أيت حمّو قريبا من سوق الخميس دادس الحالي (في وسط دادس). أما ضريح أبي يحيى فهو مزارة إلى اليوم.

وتضاف إلى الإشارتين المكتوبتين السابقتين إشارة ثالثة، لكنها متأخرة تعود إلى بداية القرن العاشر (16 م)، وهي للحسن الوزان المعروف بجان ليون الافريقي، يصف فيها دادس بأنه جبل "شاهق مكسو بالغابات يبتدئ غربا عند جبل مغران وينتهي في تخوم جبل أدخسان، كما يتاخم جنوباً سهل تدغة..." ويفهم من هذه الإشارة أن منطقة دادس التي يعنيها الأمر هنا هي المنطقة الجبلية من الأطلس الكبير الأوسط المطل على إقليم تادلا. ويفهم أيضاً من نفس الإشارة أن نفوذ السعديين رُبما لم يشمل بعد دادس بمعناه الواسع إلى حدود سنة918 / 1512 ـ 1513 تاريخ قدوم الوزان إلى المنطقة متجها من مراكش نحو سجلماسة. وجدير بالملاحظة أن المعلومات التي أوردها مارمول عن دادس لا تختلف كثيراً عما أورده عنه الوزان.

وباستثناء هذه الإشارات القليلة، فإن مختلف المصادر التاريخية سكتت عن وادي دادس وتاريخه ربما لكونه مصاقباً لمنطقتين أكثر أهمية منه هما درعة وتافيلالت، ويبدو أن المؤرخين القدامى كانوا يعتبرونه جزءاً من إحداهما، فالمصادر اليهودية (مخطوط طوليدانو ومخطوط تيِيْليتْ) التي تحدثت عن تاريخ اليهود بوادي درعة لم تَذكرَه ولا يعرف بالتالي ما إذا كان وادي دادس يندرج ضمن الكيان السياسي الذي أقامه اليهود هناك مدة إلى أن قضى عليه المرابطون. وهذا الموضوع بالذات يجرنا إلى الحديث عن استيطان اليهود بوادي دادس علماً بأن أهم تجمع يهودي في جنوب شرق المغرب كان يوجد إلى عهد قريب في هذه المنطقة وتحديداً بقصر تيِيْليتْ الواقع على الضفة اليمنى لوادي دادس الأوسطَ فيَ تراب قبيلة إوْرْتـگينْ. ونتوفر في هذا الباب على معلومات مهمة أوردَها الباحث اليهودي حاييم الزعفراني في كتابه *ألف عام من حياة اليهود بالمغرب*، وذلك اعتماداً على ما قاله يهودا بيريسْ أحد حزانات الأطلس الكبير خلال القرن السابع عشر للميلاد، عن أسرته في كتابه المسمى *زهرة لبنان* الذي طبع في برلين سنة 1712. ومما قاله في هذا المؤلف أن أجداده تم طردهم من إسبانيا في نهاية القرن الخامس عشر للميلاد، فشدوا الرحلة إلى المغرب وأخلدوا إلى الاستقرار بوادي دادس بعدما اشتروا مكان إقامتهم به من عاهل مراكش. وهناك شيدوا منازلهم وتعاطوا للزراعة والرعي. وعاشوا في أمان وطمأنينة، وتجنّبوا الاختلاط بغيرهم حفاظاً على دمهم الملكي (إذ ادعوا أنهم من بيت الملك داوود). وقد فشا نسلهم إلى درجة أن الأرض التي

عمّروها ضاقت بهم فاضطروا إلى شراء أرض تيِيْلِيتْ المجاورة من *السلطان* بثمن باهظ، وهكذا يتضح أن أرض تيِيْلِيتْ لم تكن بها قبل هذا التاريخ ساكنة يهودية وأنها كانت ملكاً خاصاً للسلطان. وهذا الأمر أبلغ دليل على الأهمية السياسية والاقتصادية التي كانت لهذه الأرض قبل هذه الفترة وما بعدها. وهناك إشارة مصدرية واحدة تؤكد ذلك نجدها في كتاب *الاستبصار في عجائب الأمصار* في غضون القرن السادس الهجري (12 م). ومما جاء فيها : "مدينة ثيليث : هي مبسوطة بين القبائل القبلية، وعليها تمر القوافل، وفيها حصن منيع رتبت فيه الجند، وعمره الوالي، وحوله الأعناب الكثيرة والثمار، والمياه المطردة، والعمائر".

ورغم أن مؤلف *الاستبصار* لم يحدد بالضبط موقع هذه الأرض التي وصفها بالمدينة، فإن العناصر التي تضمنها هذا الوصف تنطبق على الموقع الذي يوجد به قصر تيِيْلِيتْ الحالي في وادي دادس الأوسط الذي يتسم بالانبساط (نسبيا) ووجود المياه، والأشجار المثمرة، وكثرة العمران، إضافة إلى كونه يتوسط مناطق الجنوب الشرقي أو ما اصطلح على تسميته في العصر الوسيط بمنطقة القبلة عبر الطريق الرابط بين مراكش وتافيلالت. وليس مستبعداً أن تكون مختلف هذه المعطيات وراء اتخاذه مقراً للجند وللحاكم ممثل السلطة المركزية بهذه المنطقة خلال الفترة المذكورة.



وجدير بالملاحظة أن قصر تيِيْلِيتْ أصبح بعد ذلك من أهم قصور اليهود ليس في وادي دادس وحده بل في جنوب شرق المغرب كله، فاكتسب سكانه شهرة في الميدان التجاري والاقتصادي بهذه الربوع. كما نبغ عدد منهم في الميدان الثقافي العبري. واستمر هذا الوضع إلى بداية الاستقلال حيث باع يهود تيِيْلِيتْ وغيرهم من يهود وادي دادس أملاكهم للمسلمين ورحلوا إلى فلسطين وبلدان أخرى.

وبحكم الأهمية الجغرافية والاستراتيجية والتاريخية التي انفرد بها وادي دادس، فقد ظل عبر تاريخه محط أطماع كثيرة فاستهدفته أهم الاتحادات القبلية الكبرى، مثل صنهاجة ومصمودة وزناتة ومعقل، فكل هذه القبائل تنافست في السيطرة عليه، فجاء تسربها إليه متفاوت الأهمية. وهكذا نجد أيت عطا في أعالي دادس بامسمرير. أما في مضايقه فنجد به أيت سدرات نْيِغِيلْ الذين يمتد مجالهم إلى مشارف بومالن دادس. وبعدهم يأتي مجال قبائل أيت دادس الذي تراقبه قبائل أشراحيل وأيت حمو وإوْزْنيكِينْ. وللعلم فهذه القبائل هي من صنهاجة القبلة. ويلي هذا المجال مجال أيت سدرات نواسيف (أو أيت سدرات السهل) المنقسمين إلى قسمين : أيت اربعمائة (أو أيت مْعيّاش) وأيت إحيا المستقرين بجزء من وادي امگون قريبا من نقطة التقائه بوادي دادس. وعلى ذكر وادي امگون، فإن هذا الوادي تقطنه قبائل إمْگُونْ (امگونة) بفروعها الثلاثة أيت واسيف، وأيت حَمْدْ وأيت مْرَاوْ، وذلك على امتداده من العالية إلى جنوب مركز قلعة مگونة ببضعة كيلو مترات، أي قبل أن يصب في وادي دادس بتراب أيت إحيا السدراتيين قريبا من قصر تيزي على الضفة اليمنى، وقصر علْقَمْتْ على الضفة اليسرى.

أما سافلة وادي دادس فتقطنها تباعاً قبائل أيت سكري (أوزكري) المغرانية الهسكورية الأصل، وقبائل بني معقل بسكورة، وأخيراً قبائل أيت بودلال المغرانية التي غمرت مياه سد المنصور الذهبي أراضيها. وعلى إثر ذلك تم نقلها إلى إدَلْسَانْ وهي المنطقة الموجودة بين ورزازات وسكورة.

ورغم أن قبائل أيت عطا تمكنت خلال القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر (19 ـ 20 م) من السيطرة على بعض الأماكن في وادي دادس، فإن تسربها كان محدوداً ولم يؤد بالتالي إلى تغيير البنية القبلية الموروثة منذ الحقبة المرينية على الأقل. فالمعطيات التاريخية المتوفرة تفيد أن الخريطة القبلية لوادي دادس ربما تكاملت عناصرها خلال هذه الحقبة.

أبو بكر البيدق، *المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب*، الرباط، 1971 ؛ يـ. التادلي (ابن الزيات)، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الرباط، 1404 ـ1984، 237، ص. 414 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، تر. محمد حجي وآخرين، الرباط،1480 - 1409/ 19891988، ج. 2، ص. 122 - 123 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1400 -1980، ج. 1، ص. 148 - 150 ؛ *تحريات ميدانية*.

L. Mezzine, *Le Tafilalt. Contribution à l'histoire du Maroc aux XVIIe et XVIIIe siècles*, Rabat, 1987 ; G. Spillmann, *Districts et tribus de la haute vallée du Dra*, Paris, 1931 ; H. Zafrani, *Mille ans de vie juive au Maroc*, Paris, 1983.

محمد حماء

الدادسي، الحسن بن محمد أديب متمكن في قواعد اللغة، أفاد منه طلبة منطقة درعة في علوم : النحو والصرف والبلاغة والعروض، إلى جانب مشاركته الكبيرة في تدريس كتب الفقه أصولاً وفروعاً.

أما تكوينه فقد بدأ في مسقط رأسه بدرعة واكتمل بعد تخرجه بفاس على يد الإمامين أحمد المنجور وأحمد القدومي.

توفي بعد سنة999 / 1591.

أ. ابن القاضي، *درة*، ج. 1 :242، رقم 361 ؛ م. الناصري، *الدرر*، تح. ذ. النوحي د. د. ع، الرباط1988 ؛ ج. 1 : 149 ؛ م. حجي، *الحركة*، ج. 2 : 531.

الدادسي، علي بن محمد بن أبي القاسم، أبو الحسن، عالم فاضل، اختص في المعقولات، وعُرف بتقدمه في علمي الحساب والتوقيت، وله فيهما مؤلفات أشهرها نظمان في التوقيت، هما : *اليواقيت في المبتغى من صنعة المواقيت* : وهي أرجوزة تتألف من 435 بيتاً انتهى من نظمها سنة 1058 / 1648 (توجد منها نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد : 2057 د ضمن مجموع من ص 67 إلى 84).

- وله عليه شرح سماه : *فتح المغيث في شرح اليواقيت*.
- *المعونة* : رجز آخر في التوقيت.
- *العمل بالكفة الواحدة* : رجز في الحساب وشرحه. (توجد منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد : 930ق ضمن مجموع من ص. 85 إلى 87).

ويظهر أن الشيخ عليّا الدادسي اتسع رزقه فتمكن من الإقامة مدة في مدينة فاس، قبل أن يرتحل إلى مصر حيث أدركته الوفاة بالقاهرة. وكان قد أوصى أن تبنى من ثلث ماله قبة على فقهاء المالكية. توفي سنة 1094 / 1683.

م. الإفراني، *صفوة*، 198، م. الناصري، *الروض الزاهر*، م خ ع : 2261 ك، الفصل الأخير من الباب الثاني، ورقة 9 ظهر ؛ م. القادري، *نشر*، ج.2 :406 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، م خ ع : 1124 د، ورقة 163 ظهر. (وفيه وفاته سنة 1074) ؛ أ. ابن عجيبة، *أزهار البستان*، مخطوط خ ج : 11481، ص. 271 ؛ م. حجي، *الحركة*، ج. 2 ـ 532.

الدادسي، محمد بن أحمد بن إبراهيم المعروف بالكبير، فقيه جليل، وصوفي ورع ساهم في التربية الخلقية وفي نشر العلم بدرعة فانتفع به الطلبة، ومن جملتهم الشيخ مَحمد ابن ناصر. أصله من صنهاجة، دادس. وهو من المتخرجين على يد عالمي درعة الكبيرين محمد ابن مهدي الجراري، وأبي القاسم الشيخ. وقد ظهر مستوى تلك المشيخة في تحصيله لعلوم الدين واللغة إلى جانب تنوع مشاركاته الأخرى، فقد كان أديباً يقرض الشعر، ومؤرخاً يعتني بأحداث عصره ويحللها وينتقد منها ما يجب انتقاده كما يظهر من عناوين مصنفاته وأهمها :

- *تحفة الصبيان بجمل من أحكام الأديان* : في نحو ألف بيت.
- *رسالة في الوظائف المخزنية* التي أحدثها الولاة بدرعة، انتقد فيها "النائبة" أو "القيمة" ـ كما تسمى في المنطقة ـ التي فرضها السعديون على أهل المغرب.
- *رائية تاريخية* : تعرض من خلالها لأحداث عصره ومنها ذكر حملة المنصور على بلاد السودان.

توفي بدادس سنة 1029 / 1619.

م. الناصري، *الدرر*، تح. ذ. النوحي، د. د. ع، الرباط، 1988، ص 330 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، مخطوط خ ع 1124 د ورقة 112 ظهر ؛ م. حجي، *الحركة*، ج. 2، ص. 531.

نفيسة الذهبي

الدادسي، محمد بن علي المولود سنة 921 /1515 بدادس، تلقى تعليمه بزاوية محمد بن مهدي قرب زاگورة مع شقيقه أحمد وابن عمته عبد الواحد السجلماسي وفي سنة967 / 1560 أدى فريضة الحج وأقام بمصر مدة وسمع على مشايخها. فأخذ عن الشيخ إبراهيم الصفوي المقدسي والشيخ أبي عمران موسى النشائي، فأجازه، ومن إجازة الشيخ موسى النشائي له قوله : "قرأ علي محمد بن علي الدادسي قطعة من *صحيح البخاري* قراءة محررة الألفاظ صحيحة المباني معربة المعاني فاستدللت بها على فهمه ... فأجزته ..." وبعد عودته إلى وطنه أقام بمراكش فانتفع به طلبتها.

برّز الدادسي في علوم القرآن والحديث الذي له فيه سند صحيح ورواية متصلة بالحافظ ابن حجر العسقلاني وجلال الدين السيوطي، وباستثناء هذين العلمين فلم تكن له مشاركة في العلوم الأخرى حسب زعم المؤرخ الأديب أحمد ابن القاضي في كتابه *درة الحجال* حيث قال في مستهل ترجمته : "له سند صحيح وأخذ وسماع إلا أنه ليس من أهل العلم" ولعله يقصد بهذه العبارة أن العالم هو المشارك في سائر العلوم. ومع ذلك فقد استجازه فأجازه فقال : "،كانت إجازته لنا في منزله بمراكش المحروسة بأزبزط في سابع وعشرين من الحجة سنة 998".

بقي محمد الدادسي بمراكش إلى أن توفي بها بتاريخ 7 شوال 999 هجرية.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 ـ 150 تح. محمد الأحمدي أبو النور ؛ *لقط الفرائد*، ألف سنة من الوفيات، تح. د. م. حجي ؛ ع. ابن إبرهيم، *الإعلام*، 5 ـ179 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية في عهد السعديين*، 2 : 530 ـ 531.

محمد ماگامان

دادي، أسرة فاسية أصلها من تلمسان، أهل معاش وحرفة ومال وتجارة ودين وخيارة، دخلوا قديماً إلى فاس. ويقال لهم ابن دادي.

ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، *مخطوط*.

دادي، محمد الأمين التازي، موسيقي غلب عليه لقب دادي. ولد بفاس حوالي عام 1317 / 1899 وأخذ أصول الموسيقى الأندلسية ومستعملاتها عن الفنان عبد السلام البريهي ثم انخرط في جوق الفقيه محمد البريهي. وعندما فتحت مدرسة تعليم "الآلة" بدار الجامعي بمكناس أواخر سنة 1351 / 1932 استقدمته مصلحة الفنون الأهلية للتدريس بها، فتخرج على يده ثلة من رجال هذا الفن بمكناس من بينهم مولاي إدريس الامراني ومولاي أحمد المدغري، وعبد القادر أجانا، ومحمد بناني، وعبد الكريم الوزاني، ومحمد الصائغ، والحاج محمد بن شقرون، وغيرهم. وقد استقر بمكناس وتزوج بها.

كان محمد دادي من بين أعضاء الجوق المغربي الذي مثل المغرب في المؤتمر العربي للموسيقى الأول الذي انعقد بالقاهرة عام 1932. وبعد حياة حافلة بالعطاء توفي عام 1969 بمكناس ودفن بها.

معرفة شخصية ورواية شفوية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

دار البارود بمكناس، تقع ما بين باب الحجر ـ الباب الرئيسي للقصبة الاسماعيلية، وكان هذا الباب يسمى أيضاً باب العلوج وباب المرس نسبة إلى المرس الإسماعيلي، وبين باب بوعماير وهذه الأبواب من بناء المولى إسماعيل (1672 ـ 1727)، وتواجه مدخل حديقة الحبول، وكانت عبارة عن معملين للبارود، أحدهما لصنعه والآخر لتصفية ملحه، وهما اللذان قال عنهما ابن زيدان في *الإتحاف* (1 : 51) :

"... وكلتا الدارين من فخامة العاصمة"

وتعتبر الداران معا من منشآت المولى إسماعيل الذي كان يعتني اعتناء كبيراً بتسليح جيشه البخاري بأسلحة نارية لمواجهة الأخطار الخارجية وكل ما يهدد أمن المخزن داخلياً.

وفي بداية القرن العشرين صارت دار البارود ـ المعروفة حالياً بهذا الاسم ـ من ممتلكات السلطان مولاي عبد العزيز (1894 ـ 1907) كما هو مسطر في كناش رقم 454 بالخزانة الحسنية بالرباط الحامل لعنوان : "تقييد أملاك السلطان بمكناس ونواحيها" والمؤرخ بسنة 1323 / 1905.

وبعد توقيع معاهدة الحماية الفرنسية على المغرب وضعت السلطات الاستعمارية بمكناس يدها على دار البارود المحدودة بعرصة اليزيدية وساحة الجنرال دالبيز Dalbiez ـ ساحة باب بوعماير حالياً ـ وعين بوعماير وطريق المرس وكانت مساحتها 1830م^2 وحددت قيمتها المالية بـ 2500 فرنك، وتم كراؤها لمصالح البلدية بـ 300 فرنك شهرياً ابتداء من فاتح يونيه 1923، وتمكنت نفس المصالح من شرائها طبقاً لظهير 4 نونبر 1925 الخاص بالمنفعة العامة بثمن قدره : 15.000 فرنك فتملكتها ابتداء من فاتح يناير 1926 لمدة عام واحد حولتها فيه إلى مستوصف بلدي، فتنازلت عنها لمصلحة الأشغال العمومية طبقاً لاتفاق بين الإدارتين حسب ما جاء في المحضر الرسمي لذلك المؤرخ بـ 30 دجنبر 1926 الحامل لرقم 814.

وصارت دار البارود في بداية الاستقلال (1956) مقراً لإدارة القوات المساعدة المغربية، وأقفلت حالياً ولم تعد تؤدي أي دور.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 1، الرباط، 1929 ؛ بوشتى بوعسرية، *مكناس، المدينة الجديدة، التأسيس ـ البنيات الإدارية ـ التناقضات، 1911 ـ 1939*، أطروحة مرقونة بكلية الآداب بالرباط.

Archives du domaine de Meknès, registre n° 1, Meknès Urbain, n° 171, p. 86.

بوشتى بوعسرية

دار الباشاوات، تقع في الجانب الشرقي من حومة جامع الزيتونة، محاذية لشارع الحبول. بناها باشا مكناس بنعيسى بن عبد الكريم البخاري المولود بمكناس عام 1275/ 1858. وكان الشروع في بنائها إثر توليته باشا من طرف السلطان مولاي حفيظ في جمادى الثانية 1330/ يونيو 1911. واستغرق البناء بقية هذه السنة ثم سنة 1331 (1912 ـ1913). والسنتان الهجريتان معاً (1330 و1331) منقوشتان على الجبس في واجهة الجناح الجنوبي وواجهة القبة الكبرى من صحن الدار. وفيها يقع اليوم المعهد الوطني للموسيقى التابع لوزارة الشؤون الثقافية بمكناس.

يدخل بناء دار الباشاوات في إطار المخطط السكني لدور وقصور بعض رجال المخزن وأعيان المدينة التي أنشئت في الواجهة الشرقية للمدينة العتيقة في نهاية القرن الثالث عشر ومطلع الرابع عشر (19 ـ 20 م)، كبديل لمدينة الرياض التي شهدت انتكاسة عمرانية في منتصف القرن الثاني عشر، ومن ثم فهي تشكل نموذجا حياً للعمارة المغربية في العصر العلوي الثالث وما بعده.

كانت الدار من بين أملاك الباشا البخاري التي صادرتها سلطات الحماية الفرنسية بعد إلقاء القبض عليه يوم 12 دجنبر 1918 ونفيه إلى مدينة الجديدة، ومنذئذ تحولت الدار إلى الأملاك المخزنية، وأصبحت على فترات متقطعة تشغل لأغراض إدارية مختلفة كان أهمها إقامة بعض باشاوات مدينة مكناس بها كالباشا الحاج أحمد السعيدي، والباشا المختار الگرواني، ومن ثم غلب عليها اسم "دار الباشاوات".

وقد عرفت هذه الدار حدثاً فنياً هاماً في عام 1975

عندما حُولت بعض مرافقها إلى قاعات لتعليم الموسيقى الأندلسية الذي كان قد أحدث في نونبر 1932 بدار الجامعي بقرار من إدارة الشؤون الأهلية واستمر قائماً بها حتى الخمسينيات، ثم نقل تباعاً إلى قاعة السفراء المعروفة بقبة الخياطين، فالمعهد البلدي للموسيقى بالمدينة الجديدة. ومنذئذ أصبحت دار الباشاوات مقراً للمدرسة الوطنية للموسيقى واتسع نطاق التعليم الموسيقي بها ليشمل طرب الملحون وفني المديح والسماع، والمواد الموسيقية النظرية والعزف على الآلات العربية والغربية. وفي يناير 1980 أصبحت الدار ـ في ذات الوقت ـ مقراً للمندوبية الجهوية للشؤون الثقافية.

وفي موازاة هذا التحول الذي عرفته دار الباشاوات انطلقت بها أشغال الترميم والاستصلاح التي شملت سائر مرافقها بإشراف المفتشية الإقليمية للمباني التاريخية، وذلك بهدف رد الاعتبار إليها، وتوسيع الطاقة الاستيعابية لحجراتها الدراسية، ثم بغية تصنيفها ضمن المعالم الأثرية للعاصمة الإسماعيلية.

وقد تم تحويل مصالح مندوبية الشؤون الثقافية إلى مقرها الجديد بالمدينة الجديدة في يوليوز 1989، وبذلك عادت دار الباشاوات لتستقل ـ مرة أخرى ـ باحتضان المعهد الوطني للموسيقى.

م. العرائشي، *ترجمة الشاعر أبي محمد عبد القادر العرائشي المكناسي*. ص. 58، ط. مكناس،1972 ؛ بوشتى بوعسرية، *معلمة المغرب*، ج. 4، ص.1096 ؛ م. المنوني، *مكناس وماء بوفكران، سجل وثائقي بخلد الأحداث الدامية لماء بوفكران*، 2 ـ 9 ـ 1937، مهرجان خطابي نظمه المجلس البلدي لمدينة مكناس في شتنبر 1982، 1983، ص. 50 ـ51 ؛ *وثائق المدرسة الوطنية للموسيقى بمكناس*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

دار البحر بأسفي، قصبة عظيمة على شاطئ البحر. وهي من الآثار الحربية البرتغالية القائمة حتى الآن بعد ما تم ترميمها عدة مرات خلال هذا القرن. ويعود تاريخ تشييدها إلى العقد الأول من القرن العاشر (16 م) إبان احتلال البرتغاليين للمدينة، على أنقاض دار حاكمها السابق أحمد ابن فرحون. يصفها الفقيه الكانوني في كتابه *أسفي وما إليه* ويقول : "هذه القصبة على شاطئ البحر مربعة الشكل، على كل ربع منها برج، وفي وسطها عدة دور وخزائن..."

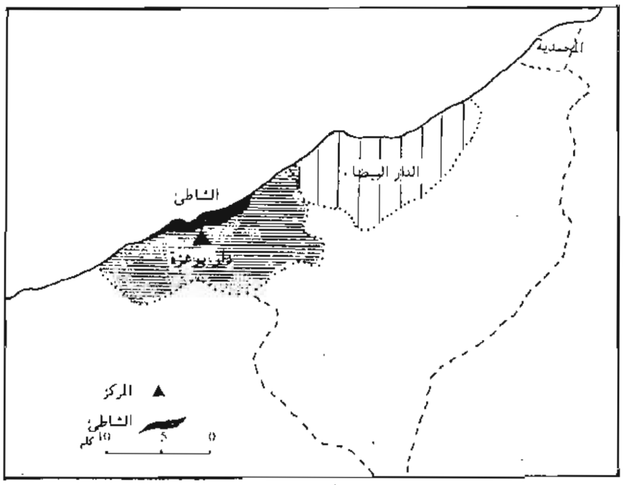
ويوجد الآن بداخلها عدد من المدافع البرتغالية والمغربية من مختلف العصور. وبعضها مازال في حالة جيدة.

تحولت هذه القصبة حديثاً إلى متحف، وهي مفتوحة في وجه الزوار.

م. الكانوني، *أسفي وما إليه قديماً وحديثاً* ؛ *استطلاعات ميدانية*.

عبد الرحيم العطاوي

دار بوعزة، مركز يقع على الطريق الثانوية رقم 130 الرابطة بين الدار البيضاء وأزمور. ويتشكل من السوق الأسبوعي أربعاء أولاد جرار، نسبة إلى فرع القبيلة التي يوجد على ترابها. ورغم كونه من أصغر أسواق ضواحي الدار البيضاء فهو يشكل قطباً تجارياً مهماً بالمنطقة الساحلية. ويضم المركز بالإضافة إلى السوق عدة مرافق إدارية وخاصة دار الجماعة والقيادة والدرك والبريد... ومجموعة من المحلات التجارية والخدمات. وشهد هذا المركز توسعاً كبيراً مع تشييد تجمع للسكن الاقتصادي في إطار محاربة أحياء الصفيح وكذا تجزئة للفيلات من إنجاز الجماعة. هذا بالإضافة إلى استقرار وحدات صناعية للنسيج ولتلفيف وتكييف الخضر. ونظراً لقرب هذا المركز من البحر (حوالي 2 كلم) فقد استقطب الشاطئ الحيز الأكبر من حركة التعمير.



دار بوعزة

شهد شاطئ دار بوعزة، منذ بداية الثمانينيات، عدة تحولات تمثلت بالأساس في تهيء مجموعة من التجزئات السكنية من طرف مؤسسات عمومية والخواص، كانت آخرها وأكبرها تجزئة "النورس" التي أنجزتها الوكالة الحضرية للدار البيضاء. هذا بالإضافة إلى تجهيز الشاطئ بعدد من المرافق من مخيمات ومحلات تجارية ومخادع للملابس ومواقف للسيارات وأرصفة للراجلين وإنارة... وبذلك تشكلت نواة تجمع حضري وسياحي بمعزل عن مركز دار بوعزة. ويتعزز هذا التجمع بانتشار السكن في شكل فيلات حوله وعلى طول الشاطئ.

أمّا جماعة دار بوعزة فتنتمي إلى عمالة الدار البيضاء عين الشق الحي الحسني. وتمتد في غربها على مساحة 135 كلم^2. وهي من أكبر الجماعات القروية بالولاية ومن أكثرها سكانا 47.680 نسمة سنة 1994. وقد انتقلت بها كثافة السكان من 125 ن / كلم سنة 1960 إلى أكثر

من 350 ن كلم^2 سنة 1994. وفي ارتباط بتزايد حجمها الديمغرافي تشهد هذه الجماعة تحولات عديدة تتمثل بالأساس في حركة التعمير التي تكتسح العديد من أجزائها. فبالإضافة إلى التعمير بالمركز والشاطئ يكتسح التعمير الأجزاء المحاذية للمجال الحضري البيضاوي. وفي هذا الصدد سمح المخطط التوجيهي بتوسع حي "الألفة" (جماعة الحي الحسني) داخل تراب جماعة دار بوعزة. وتم تحويل عدد من تجمعات السكن غير اللائق إلى تجمع ضخم للسكن الاقتصادي بمركز "لِسَاسْفَة" الذي تمت ترقيته سنة 1992 إلى بلدية مستقلة عن جماعة دار بوعزة، ومرتبطة بالمجال الحضري للدار البيضاء. وبالإضافة إلى ذلك تشهد هذه الجماعة اكتساحاً واسعاً من سكن الفئات الغنية في شكل مغاني وقصور ضخمة على طول طريق أزمور والطرق الثلاثية المتفرعة عنها. ورغم هذا الاكتساح تحافظ هذه الجماعة لحد الآن على طابعها القروي سواء من حيث سيادة المشاهد الزراعية أو ارتباط أغلبية سكانها بالفلاحة وخاصة منها زراعة الخضر. ويظل السكن بها متفرقاً والطابع القروي هو السائد.

م. شويكي، *إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء*، دكتوراة مرقونة في كلية الآداب، الرباط 1995، 3 أجزاء، ص. 671.

Bahir, *Le changement spatial, économique et social dans les communes rurales de la Wilaya de Casablanca*, Montpellier, 1992.

المصطفى شويكي

دار بوعلي بفاس، هي دار الباشا بوعلي بن عبد الخالق بن عبد الله بن حمدون الروسي (انظر مادة الروسي) الذين قلّدهم المولى إسماعيل وأبناؤه مهمة باشوية فاس، فكان من طول حكمهم وجبروتهم في عهد ذلك السلطان وخلفائه ما جعل دار بوعلي التي كانت على الطريقة المخزنية التقليدية هي دار الباشا ومقر الحكم ورمز السلطة لدى أهل فاس. واستمر الأمر على ذلك طيلة العهد العلوي إلى أن نقلت سلطات الحماية سنة 1935 مقر الباشوية إلى محكمة جديدة أقيمت بوادي الفجالين لتبعده عن أحياء المدينة العتيقة وتجعله تحت أنظارها في الحي الذي كانت توجد فيه جل الإدارات الاستعمارية، فانفصل بذلك لأول مرة مقر سكنى حاكم المدينة عن مقر حكمه. وتحولت دار بوعلي خلال الفترة الأخيرة من الحماية والسنوات الأولى من الاستقلال إلى مقر نظارة أحباس فاس، ثم أصبحت مدرسة ابتدائية في حي زقاق البغل بجوار دار عديّل التي كانت بمثابة خزينة تُجبى إليها أموال المدينة ومنها تصرف. واحتفظت دار عديل بمعالمها بعد ترميمها بينما دخل دار بوعلي ما دخلها من الإصلاح والترميم.

م. القادري، *نشر المثاني*، *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 6 : 2279 2281 ؛ *بحث ميداني*.

إبراهيم بوطالب

الدار البيضاء أكبر مدن المغرب وعاصمته الاقتصادية، ومن أكبر مدن القارة الإفريقية وأهم موانئها وأقطابها الاقتصادية.

أدى الاحتلال العسكري الفرنسي للمدينة سنة 1907 إلى إذكاء تهافت الأوربيين على اقتناء الأراضي وعلى البناء. وفي ظرف عقد من الزمن انتشر البناء بعيداً عن أسوار المدينة القديمة. واكتسبت المدينة الناشئة ملامحها الرئيسية قبل نهاية الحرب العالمية الأولى، وجاءت شاسعة الرقعة، وتتسع في كل الاتجاهات، وتعددت وتباينت أحياؤها. ويدل على ذلك تقسيمها إلى 23 حيا سنة 1918. وقد ارتبط اكتسابها لبعد مجالي وعمراني لم تكتسبه أية مدينة مغربية أخرى في ظرف عقد واحد من الزمن، بالدور الاقتصادي المسند لها. ويتجلى ذلك من خلال الميناء العصري الضخم الذي شيد بها وتنوع أنشطتها الاقتصادية، وازدهار قطاع المبادلات التجارية الذي أصبح يشكل المحرك الرئيسي لمعظم أنشطة المدينة. فأصبحت الدار البيضاء العاصمة الاقتصادية للمغرب في ظرف عقدين من الزمن. كما أصبحت خلال عقد الثلاثينيات أكبر مدن المغرب.

إن اكتساب الدار البيضاء لمكانة كبيرة كميناء متعدد الوظائف وكمركز اقتصادي ضخم وكأول تجمع للجاليات الأوربية جعلها تبرز منذ فجر القرن العشرين كقطب جذاب للمهاجرين من مختلف بوادي المغرب ومدنه. فاستقطبت أعداداً كبيرة من الفارين من ضراوة التغلغل الاستعماري العسكري والاقتصادي بالبوادي، وضحايا كل الأزمات والأوبئة والكوارث الطبيعية التي شهدها المغرب.

وقد تزايد عدد سكانها بسرعة كبيرة :

1907 : 25.000 نسمة	1952 : 262.700 نسمة
1921 : 97.000 نسمة	1982 : 2.139.200 نسمة
1994 : 2.628.660 نسمة	

وبذلك فالدار البيضاء لا تشكل فقط أكبر مدن المغرب بل تستأثر بجزء هام من ساكنته، بحيث يتركز بها أكثر من 20٪ من الساكنة الحضرية للمغرب وما يزيد عن 10٪ من مجموع سكانه.

إن النشأة الحديثة للدار البيضاء التي تدخل في إطار السياسة الاستعمارية الرامية إلى تحويل مركز الثقل بالمغرب من الداخل نحو الساحل وإلى فصل العاصمة الاقتصادية عن السياسية، جعلت هذه المدينة تتخذ منذ بداية احتلالها طابع مركز اقتصادي ومجال حضري متميزين.

ظل الميناء يشكل لمدة طويلة محرك الأنشطة الاقتصادية للدار البيضاء، فقد ارتبطت به نشأة وتطور أنواع عديدة من التجارة والصناعة والخدمات. وظل يغذيها طيلة عهد الاستعمار عندما كانت الدار البيضاء تشكل

قاعدة خلفية للاقتصاد الفرنسي وخاصة أثناء الحروب والأزمات. ورغم استمراره في احتلال الرتبة الأولى من بين الموانئ المغربية فإن حصته من مجموع رواجها قد تراجعت من 76٪ سنة 1955 إلى حوالي 40٪ سنة 1992. وتراجع معها دوره في اقتصاد المدينة وفي هيكلة مجالها الحضري. ويتوقع المخطط التوجيهي للتعمير تراجع دوره في تصدير المواد المعدنية وخاصة الفوسفاط من أجل استغلال السكة الحديدية في النقل الحضري. هذا فضلاً عن تراجع دوره في تصدير العديد من المواد المصنعة مثل منتجات النسيج والجلد أمام تطور نقلها نحو أوربا بواسطة الشاحنات. ومع ذلك فهو يحافظ لحد الآن على مكانته كأول ميناء لتصدير واستيراد البضائع بالمغرب بنسبة 44٪ من الصادرات و35.5٪ من الواردات سنة 1992. وخلال نفس السنة بلغ مجموع رواجه 29 مليون طن، حوالي 52٪ منها كصادرات. هذا فضلاً عن كونه يظل لحد الآن الميناء الأكثر تنوعاً في الوظائف إذ يجمع بين تصدير المعادن والبضائع والمنتجات الفلاحية واستيراد المحروقات والمنتجات الصناعية بالإضافة إلى دوره كميناء للصيد البحري وللمسافرين.

في الميدان الصناعي تتميز الدار البيضاء باحتكارها لحوالي 50٪ من الوحدات الإنتاجية بالمغرب، و60٪ من اليد العاملة الصناعية، ويجلبها لحوالي 50٪ من مجموع الاستثمارات بهذا القطاع. وهي بذلك تشكل أول قطب صناعي بالمغرب. فقد انتقل بها عدد الوحدات الصناعية التي تشغل أكثر من 9 مأجورين من 20 وحدة سنة 1925 إلى ما يزيد عن 2.000 سنة 1990. وتنوعت فروع الصناعة بها لتشمل إلى جانب الصناعات الموروثة عن عهد الاستعمار (صناعات غذائية ومعدنية وكيماوية) فروعاً أخرى مثل النسيج والجلد والصناعات الكهربائية والإلكترونية ومواد البناء والخشب والورق... وقد ترتب عن ذلك تصاعد حجم اليد العاملة الذي انتقل من حوالي 37.000 مأجور سنة 1947 إلى ما يزيد عن 140.000 سنة 1990. فتعاظم دورها في ميدان التشغيل. وأصبحت الصناعة بمفردها تشغل خلال عقد الثمانينيات ثلثي عدد السكان النشيطين بعدما لم تكن تتعدى خلال عهد الاستعمار خمس هؤلاء السكان.

وبشكل مواز لهذا التطور دخلت الصناعة بالدار البيضاء مرحلة الارتباط العضوي بمختلف فصائل الرأسمال عن طريق اندماجها في مجموعات مالية كبرى ذات تشعبات وطنية ودولية ومتعددة الروابط بالمرافق الاقتصادية الأخرى. ويرجع ذلك إلى ارتباطها المبكر والمتزايد في آن واحد بالتصدير وبالسوق الداخلية، كما أن الصناعة بالدار البيضاء نتاج تراكم زمني طويل لم تحد من توسعه كل محاولات اللامركزية التي قامت بها الدولة. فالصناعة التي ظهرت بالدار البيضاء منذ العقد الأول من الاحتلال قد طبعت المجال الحضري بشكل قوي. ورغم تخصص الأحياء الشمالية الشرقية في الصناعة وسكن اليد العاملة، فإن ذلك لم يمنع من انتشار هذا النشاط عبر مختلف أنحاء المدينة. ولا أدل على ذلك من كون 60٪ من الوحدات الصناعية توجد خارج الأحياء الصناعية.

ويتجلى أيضاً تأثير الصناعة من خلال تعدد الأحياء الصناعية (لا جيروند وعين برجة ولافيليت والصخور السوداء وعين السبع الشمالي وعين السبع الشرقي وسيدي مومن والمعاريف...). وبذلك أصبحت الدار البيضاء تشكل محيطا صناعيا يجلب الاستثمارات وقوة العمل في آن واحد بحكم توفر كل متطلبات الصناعة من سوق للشغل وسوق للاستهلاك وللخدمات. وفضلاً عن ذلك فالدار البيضاء تشكل المدينة الوحيدة بالمغرب التي تعرف تكاملا وارتباطا متصاعدين بين مختلف فروع الصناعة بها، وهنا يكمن سر قوتها ونفوذها الذي جعلها تنافس المدن الأخرى حتى بالنسبة للصناعات الصغيرة التي يسهل استقرارها خارج الدار البيضاء. وهذا ما جعل الصناعة تشكل عنصراً حيوياً في اقتصاد المدينة وفي نشاط جزء مهم من ساكنتها.

تعتبر التجارة والخدمات (أي القطاع الثالث) من أهم المرافق الاقتصادية بالدار البيضاء. ورغم تراجع حصة هذا القطاع من السكان النشيطين أمام توسع الصناعة والبناء (القطاع الثاني) فإنه يحتفظ بمكانته وأهميته على العديد من المستويات.

	1960	1971	1982
القطاع الأول	2.2٪	2.5٪	2.3٪
القطاع الثاني	34.6٪	40٪	46.5٪
القطاع الثالث	63.2٪	57.5٪	51.2٪

تطور توزيع السكان النشيطين حسب القطاعات الاقتصادية

ولا ترجع هذه الأهمية فقط إلى عدد وحجم المؤسسات بهذا القطاع بل ترجع إلى تداخل فروعه بمختلف فروع القطاعات الأخرى وإلى دوره على الصعيد الوطني. فالدار البيضاء لا تحتضن فقط ما يزيد عن 2.500 تاجر للجملة، أي حوالي ثلث هؤلاء التجار بالمغرب، بل إن تجار الجملة بها هم الذين يوزعون البضائع على نظرائهم بباقي جهات المغرب. فسوق الجملة للخضر والفواكه بالدار البيضاء يغطي 40٪ من حاجيات باقي جهات المغرب. وتجارة المواد الغذائية والملابس تجعل درب عمر يشكل نقطة انطلاق

لمعدل 350 شاحنة في اليوم نحو كل جهات المغرب. وارتباط تجارة الجملة بحركة التصدير والاستيراد يجعل منها قوة اقتصادية ذات تأثير قوي على مختلف المرافق الاقتصادية بما فيها الهياكل الإنتاجية.

وترجع أيضاً أهمية التجارة إلى كون الدار البيضاء تشكل أكبر سوق استهلاكية بالمغرب من حيث الحجم وتنوع مستويات العرض والطلب بها، وإلى دورها كمحطة عبور يمر بها يومياً معدل30.000 مسافر منْ وإلى مختلف جهات البلاد. وهذا ما يجعل التجارة تستأثر بثلثي العاملين بالقطاع الثالث. وترتبط أهمية التجارة باحتضان الدار البيضاء لمقرات المؤسسات البنكية ولحوالي 30٪ من وكالاتها. هذا بالإضافة إلى احتضانها لمقر معظم باقي المؤسسات المالية من شركات المساهمة ومؤسسات القرض والتمويل والإيجار وشركات التأمين. ويؤدي هذا التركز المالي والتجاري إلى احتلال المدينة لمكانة متميزة في ميدان الخدمات سواء منها الموجهة للمقاولات أو للأفراد، وذلك من حيث تنوعها وتعددها. كما تعزز قطاع الخدمات بتطور التنظيم الإداري للدار البيضاء الذي أدى إلى إعادة هيكلة المصالح العمومية تبعا لتعدد الكيانات الإدارية.

يتأثر المجال الحضري البيضاوي بالحضور القوي للمصانع وبتعدد التجمعات التجارية ومرافق الخدمات عبر مختلف أجزاء المدنية. ويترتب عن ذلك كثافة حركة المرور ونتقلات السكان. فأصبحت المرافق الاقتصادية، وخاصة منها الصناعية، تشكل عامل ضغط قوي في ميدان حاجيات المدينة من الأراضي الصالحة للبناء. وهذا ما يجعل دينامية وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء تفرزان مشاكل عويصة على العديد من المستويات وتتطلبان تدخلا مكثفا ومستمراً للدولة.

لذلك تكون الدار البيضاء المدنية الوحيدة بالمغرب التي شهدت خلال القرن العشرين أربع محاولات للتخطيط العمراني. وأعطت المخططات العمرانية الثلاثة التي طبقت بها هيكلة عامة تستجيب لتنطيق واضح. فقد ظلت الأجزاء الشمالية الشرقية من المجال لحضري خاصة بالصناعة وما يرتبط بها من سكن لليد العاملة. وظلت الأحياء الجنوبية الغربية خاصة بسكن الفئات الغنية. وحافظت النطاقات الوسطى على ارتباطها بالتجارة والخدمات وسكن الفئات الوسطى. وبذلك ظل المجال الحضري يتهيكل وظيفيا وعمرانيا واجتماعيا وفق التنطيق الذي فرضته المبادرة الحرة عند إنشاء مدينة جديدة إلى جانب النواة القديمة في بداية هذا القرن. وظل توسع الأحياء الصناعية نحو الشمال الشرقي أي اتجاه مدينة المحمدية يشكل الاتجاه الرئيسي لدينامية المجال الحضري.

وتأثرت دينامية وهيكلة المجال الحضري بالوضع الإداري الخاص الذي أعطي للدار البيضاء، خلال وبعد عهد الاستعمار. وفي هذا الإطار دخلت الدار البيضاء ابتداء من سنة 1976 في مسلسل من التقسيم الإداري أدى إلى فقدانها لوحدتها. انطلق هذا التقسيم من 5 جماعات حضرية لتصبح 21 جماعة حضرية و7 عمالات سنة 1994. وبذلك شكلت الدار البيضاء أول مجموعة حضرية أنشئت بالمغرب وأكبر المجموعات الموجودة لحد الآن. ولم يمنع تعدد الكيانات الإدارية من تفاقم مشاكل التعمير، الشيء الذي أدى إلى إنشاء الوكالة الحضرية سنة 1984 كأداة لتطبيق المخطط التوجيهي ومن أجل الحفاظ على مركزية القرار في ميدان التعمير. ولنفس الغاية أنشئت أول ولاية على الصعيد الوطني بالدار البيضاء.

رغم كثافة تدخل الدولة وخاصة في ميدان التأطير العمراني والإداري والاجتماعي تظل الدار البيضاء تعاني من العديد من التفاوتات السوسيومجالية. ويرتبط ذلك بطبيعتها كمدينة للمبادرة الحرة وبحجمها الاقتصادي الذي يجعل منها حقلا للتحولات الاجتماعية. فهي كقطب اقتصادي تشكل مدينة للمأجورين الذين لم تنزل نسبتهم منذ عهد الاستعمار عن 75٪ من مجموع السكان النشيطين. وكمركز صناعي فهي تشكل مدينة عمالية بحيث ارتفعت بها نسبة العمال من 35٪ سنة 1951 إلى 52٪ من الساكنة النشيطة سنة 1982. وهي بذلك تشكل حقلاً لتحويل المهاجرين القرويين إلى عمال ولتوسع الفئات الوسطى من خلال توسع مرافق التجارة والخدمات والوظيفة العمومية. وفي هذا الصدد فإن عدد الموظفين الذي لم يكن يتجاوز 400 سنة 1931 قد بلغ 44.220 سنة 1992. وانتقلت نسبهم من 35٪ من السكان النشيطين سنة 1960 إلى 7٪ سنة 1982. وتظل هذه النسبة مرشحة للارتفاع مع تفكيك المدينة إلى كيانات إداية متعددة.

كما تشكل الدار البيضاء حقلا لإعادة إنتاج الفئات الغنية التي ترتبط بتطور التجارة والصناعة وميدان الأعمال. وهذا ما يجعل المجال الحضري البيضاوي يحمل بصمات كل هذه التحولات ويصبح التفاوت يشكل أبرز سماته. ولا تنحصر هذه التفاوتات في ميدان السكن بل تمتد لتشمل العديد من الميادين.ففي العاصمة الاقتصادية للمغرب لا تتعدى مساحة المجالات الخضراء 300 هكتار أي بمعدل متر مربع للفرد. غير أن تركز حوالي 65٪ من هذه المجالات بعمالة الدار البيضاء - أنفا يجعل سكان وسط المدينة والأحياء الغربية أوفر حظا (4م^2 للفرد) من سكان الهوامش (0.5م^2) وبالتالي يصبح العجز في هذا الميدان كبيراً جداً. وفي الواجهة العصرية للمغرب مازال ما يزيد عن 250.000 من السكان يتكدسون بأحياء الصفيح سنة 1992. فالدار البيضاء التي شهدت نشأة أحياء الصفيح بالمغرب تظل تعاني من هذا الإرث الثقيل. فرغم القضاء على العديد من هذه الأحياء ورغم تراجع عدد سكانها بحوالي50.000 نسمة ما بين 1982 و1992 فإن ذلك لم يحد من أهمية هذه الظاهرة التي اتجهت نحو اكتساح ضواحي

المدينة. ويرتبط هذا الاكتساح بالتوسع السريع للمجال الحضري.

فالدار البيضاء لتي لم تكن مساحتها الحضرية تتعدى 50 هكتاراً سنة 1907 قد أصبحت سنة 1992 تمتد على مساحة 14816 هكتار.

المصطفى شويكي، *إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء*، أطروحة دكتوراة الدولة، 3 أجزاء، ص. 671، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1995.

A. Adam, *Casablanca, Essai sur la transformation de la société marocaine au contact de l'occident*, Paris, 1968, 2 vol. ; N. Benslimane, *Les équipements commerciaux de détail à Casablanca. Leur rôle dans l'organisation de l'espace*, thèse, 3ème cycle géo. Paris II, 2 t., 1982 ; M. Chouiki, *Système de santé et inégalités socio-spatiales à Casablanca, RGM*, vol. 13, n° 1, 1989 ; M. Ecochard, *Casablanca : le roman d'une ville*, Paris, 1955 ; A. El Mountasser, *La croissance urbaine de Casablanca, Etude des facteurs économiques et psycho - sociologiques*, thèse 3ème cycle, Paris VIII, 1980 ; K. Joumady, *Casablanca, métropole économique du Maroc*, Thèse d'Etat, Bordeaux III, 1988 ; D. Noin, *Casablanca. La Documentation française* N° 3797 - 98, 1971 ; H. Prost, *Le plan de Casablanca*, Rev. France - Maroc, n° 8, 1911.

المصطفى شويكي

** من الناحية التاريخية كانت المدينة تسمّى قديماً "أنفا" ورد ذكرها في كتب الإخباريين والجغرافيين والرحالة. واحتلت أنفا الصدارة بين حواضر تامسنا في عهد إمارة برغواطة وفي عهد الدولة المرينية.

وساهم موقع المدينة وأهميتها التجارية ومشاركتها في الجهاد بالأندلس في توجيه الأطماع البرتغالية إليها، فقد هاجمها أسطول برتغالي يقوده الدون فردناند أخو الملك الفونصو الخامس وخربها في سنة 1468 حين لم يتمكن المهاجمون من احتلالها. وظلت أنفا على حالتها المخربة لعجز الحكم الوطاسي، وللصراع الذي شغل المغاربة ضد الغزو البرتغالي. ووصف الحسن الوزان (ليون الإفريقي) ما بقي في أنفا المخربة من آثار عمرانية، كما وصفها مارمول.

وقد عاد البرتغاليون إلى أنفا سنة 1515 وبنوا فيها بعض البناء، وسموها منذ ذلك الحين كازا بلانكا (Casablanca). وقيل إنهم لما عادوا، شاهدوا داراً بيضاء سلمت من التخريب أو بناها المغاربة، فسموها كزا بلانكا.

وهناك رواية أخرى ترجع اسم الدار البيضاء إلى أسطورة السيدة البيضاء. وهي أسطورة مرتبطة بتطور المدينة وبأهميتها التجارية. وملخص الاسطورة أن موقع الدار البيضاء الذي كان وسط أرض كثيرة الأشجار والعيون وكان موقع تبادل تجاري بين بعض التجار والعالم الخارجي وكان البدويون يعتمدون على المركز الذي يسكنه بعض البحارة والتجار للتزود بما يحتاجونه، خاصة في أوقات الأعياد والمواسم القبلية. وقد استقر بالمرسى تاجر تونسي اسمه سيدي علال القيرواني. وكانت داره في مكان ضريحه المعروف اليوم بالمدينة القديمة. كان سيدي علال القيرواني يتعاطى للتجارة بمساعدة زوجته للا البيضاء التي كانت امرأة فاضلة وجميلة.استغنى الزوجان وكسبا ثروة كبيرة وكانا يغدقان عطاياهما على الناس. وكانت لهما دار كبيرة للسكنى ولوضع البضائع التجارية متميزة عن غيرها.

عند اقتراب الأعياد كان البدويون يقصدون الدار لشراء البضائع المستوردة، وكانوا يقولون عندما تحين مناسبة التبضّع : "هيا نَتَسوَّق من دار البيضاء" ! وهذا هو الاسم الذي عرفت به دار سيدي علال القيرواني وهو أصل تسمية المدينة بالدار البيضاء.

وفي كل الأحوال، فإن الثابت هو أنّ المدينة ظلت مهملة نظراً لتخريبها واحتلالها من طرف البرتغاليين إلى عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757 ـ 1790)، الذي جدد بناءها بعد أن أتم بناء مدينة الصويرة، وأحيا مرساها في إطار توجه سياسي جديد هدف إلى توسيع علاقات المغرب مع الدول الأوربية للاستفادة من تطورها الاقتصادي.



أنفا القديمة، رسم وضع سنة 1572 (كتاب Casablanca rétro)

ومن مظاهر تجديد المدينة في هذا العهد أن السلطان وضع بها قوة عسكرية من العبيد، وأنشأ بها عدة مصالح عامة. ومنذ هذا العهد اشتهرت المدينة باسم الدار البيضاء وكان ذلك حوالي 1784.

وبالجملة، فسواء ارتبط اسم الدار البيضاء بعودة البرتغاليين للمدينة التي خربوها والبناء فيها في بداية القرن السادس عشر، أو بتجديدها خلال القرن الثامن عشر في عهد السلطان محمد بن عبد الله ؛ أو أطلق عليها اسم السيدة البيضاء ؛ فإن مرد الاسم ومنطلقه، هو تجديد بناء مرسى المدينة الذي كان نقطة تبادل تجاري نشيط مع الخارج. فبنيت فيه الدور الكبيرة والمخازن العظيمة لخزن البضائع بهدف تصديرها أو توزيعها.

وبالفعل، ازدهرت حركة التجارة والملاحة بمرسى الدار البيضاء في عهد محمد بن عبد الله الذي منح لشركتين إسبانيتين، إحداهما من مدريد والأخرى من قادس، امتياز شراء الحبوب وتصديرها من الدار البيضاء. واستقر وكلاء الشركتين بالمدينة وكذلك بمدينة فضالة المجاورة، حيث تعاطوا لاكتيال الحبوب وخاصة القمح بكميات هائلة. وقد شبه الضعيف الرباطي كثرة القوافل الحاملة للحبوب من المناطق الداخلية إلى مرسى الدار البيضاء بالسحاب في قوله : "وكانت الإبل تأتي إليها كأنها السحاب ليلا ونهاراً". كما أشار إلى أن الفلاحين كانوا يقدمون الهدايا للتجار النصارى لأجل شراء منتجاتهم الفلاحية.

استمر ازدهار الدار البيضاء بعد وفاة محمد بن عبد الله، بيد أن عهد ابنه مولاي سليمان (1792 . 1822)، شهد أحداثا أثرت على هذا الازدهار وأو قفته بعض الوقت. فلما ولى المولى سليمان ابن عمه عبد الملك بن إدريس عمالة الشاوية والدار البيضاء، بدأ الوالي الجديد يمنح أعيان قبائل الشاوية أموالاً من مداخيل المرسى الوفيرة تأليفاً لهم. ويبدو أنه تعدى في هذا الأمر الحدود المسموح بها من السلطان. وربما أغرته ثروة المدينة وباديتها بالتمرد عن تعليمات سيده ؛ فما كان من هذا الأخير إلا أن انتقل للشاوية، حيث قضى على بوادر التمرد في مهدها. وقد ترتبت عن هذه الحادثة قرارات أثرت في مصير مرسى الدار البيضاء. فقد عمد السلطان إلى إغلاقها في وجه التجارة الأوربية ونقل التجار الأجانب إلى مدينة الرباط.

تطور الدار البيضاء خلال القرن التاسع عشر : سرعان ما عاد مرسى الدار البيضاء لنشاطه التجاري المعتاد في عهد مولاي عبد الرحمان (1822 — 1859) الذي رخص للمؤسسات التجارية الأوربية في الاستقرار بالمدينة. ومع تطور العلاقات المغربية الاوربية خلال القرن التاسع عشر، تطورت الدار البيضاء وازداد نشاطها التجاري وتزايد عدد سكانها الأوربيين والمغاربة.

والواقع، أن وتيرة التطور الاقتصادي عرفت تصاعداً لا



توقف بعده منذ أواسط القرن. ولاشك في أن ذلك التطور قد ارتبط بالتطور الصناعي والتجاري بأوربا وبالمبادلات مع المغرب. إن الثورة الصناعية وما نجم عنها من توسع في النشاط التجاري والمبادلات كانت وراء اندفاع الدول الأوربية لغزو الأسواق الخارجية. وبما أن المغرب يقع على أبواب أوربا، وبما أنه كان يتوفر على ثروات طبيعية كبيرة، فقد أصبح محط اهتمام القوى الصناعية. ومنذ احتلال الجزائر 1830، أضحى المغرب موضوع تنافس بين الدول الأوربية المعنية بقضايا البحر المتوسط.

ومما يفسر اندفاع أوربا نحو فتح المغرب للمبادلات التجارية، دخول دولها في ظرفية اقتصادية واجتماعية صعبة منذ 1848، بالإضافة إلى ظروف الصراع العسكري بين دولها. وهكذا عرفت مدينة الدار البيضاء استقرار التجار الأوربيين واتخاذها مركزاً لشراء وتصدير الحبوب والأصواف التي ازداد الطلب عليها نتيجة للظرفية المشار إليها ونتيجة لرخص أثمانها بالمغرب.

وقد كانت المؤسسات الفرنسية سباقة إلى الاستقرار بالدار البيضاء خلال القرن التاسع عشر، مثل مؤسسة "فريو" (فَرْيُول)P. Ferrieu ومؤسسة البارون سيلييرB. Seillière (1847)، والشركة الفرنسية للوديفي (1852) Compagnie Française de LODEV.

اهتمت هذه المؤسسات بتصدير الأصواف الجيدة إلى مرسيليا ولندن ومدن أوربية أخرى وكانت حافزاً لاستقرار تجار أوربيين آخرين.

وقد مثل استقرار أول قنصل بريطاني بالدار البيضاء سنة 1857، أي سنة واحدة بعد توقيع المعاهدة المغربية البريطانية (1856)، مؤشراً على أهمية الدار البيضاء الاقتصادية. وبالفعل حصل التجار البريطانيون بمقتضى المعاهدة على امتيازات عديدة سواء في ميدان الجمارك أو الملاحة أو السكنى. وحددت واجبات الجمارك في 10٪ من قيمة البضاعة المستوردة وحددت واجبات معينة على الصادرات، ومنح القناصل حصانة دبلوماسية لهم ولمن يخدمهم.

وبمقتضى المعاهدات المماثلة التي عقدت مع إسبانيا (1860 ـ 1861) وفرنسا (اتفاقية السماسرة 1863)، توسعت امتيازات الأجانب إلى الميادين القضائية (محاكم قنصلية) والسياسية (الحمايات القنصلية والمخالطات). كل ذلك ساهم في تزايد توافد التجار الأجانب والرعايا الأوربيين إلى المراسي المغربية وخاصة إلى الدار البيضاء. وهذا التطور نفسه كان يساهم في تسارع وتيرة هجرة البدويين إلى المدينة لأن استقرار تاجر أجنبي بالمدينة كان يعني الحاجة إلى مستخدمين ووكلاء مشاركين في الأعمال الفلاحية.

إن هذه الأهمية التجارية المتعاظمة للدار البيضاء دفعت الباحثين الأوربين إلى تأكيد دور التجارة الأوربية ودور العامل الخارجي في تطور المدينة.

والواقع أن أصول ازدهار الدار البيضاء ينبغي البحث عنها في المزايا الطبيعية والاستراتيجية والاقتصادية لموقع المدينة. فمن حيث الموقع، كان يعتبر مرسى الدار البيضاء الميناء الوحيد الذي يستطيع استقبال السفن الكبيرة التي لم تعد الموانئ النهرية قادرة على استقبالها بعد تطور المواصلات البخارية. كما أن توسط موقع المدينة بين جنوب المغرب وشماله وفّر إمكانية جلب المحاصيل من الحوز والغرب زيادة على انفتاح المدينة على أغنى المناطق الفلاحية مثل الشاوية وتادلا حيث يتوفر الإنتاج الزراعي والحيواني. زد على ذلك أن الدار البيضاء تتحكم في الطريق الرابط بين عاصمتي المغرب مراكش وفاس وتقع على الساحل الأطلسي الذي أصبحت له أهمية استراتيجية كبيرة في زمن التوسع الأمبريالي والتنافس الاستعماري على القارة الإفريقية.

كل هذه المزايا تفسر سرعة تطور الدار البيضاء وليس الرغبة الأجنبية التي كانت في الحقيقة رهينة لتلك المزايا. وعلى كل حال، فإن تضاعف المبادلات التجارية بالمدينة بأكثر من ثلاث مرات بين سنتي 1848 ـ 1855، يبرز بوضوح التطور السريع للمدينة خلال القرن التاسع عشر. وقد احتلت الدار البيضاء الصف الأول بين الموانئ المغربية الثمانية : تطوان، طنجة، العرائش، العدوتان، الدار البيضاء، الجديدة، أسفي، الصويرة. وأهم البضائع التي كانت تصدر منها : الحبوب، الأصواف، الجلود، القطاني مثل الحمص والفول والحلبة، ثم القزبور والشمع الطبيعي والعظام ومنتجات الصناعة التقليدية. أما الواردات عبر مرسى الدار البيضاء، فكانت الصابون، السكر، الكتان، المنتجات القطنية، التوابل، الأصباغ، الشاي، الگاز (كيروسين) الزجاج ـ الكاغد (الورق).

والملاحظ أن المدينة سرعان ما تحولت مع نهاية القرن التاسع عشر، إلى مركز لتوزيع البضائع المستوردة في كل أنحاء المغرب، ومركز لتجميع المنتجات الموجهة للتصدير، ولهذا هاجر إليها تجار كثيرون من فاس والرباط وسلا وغيرها من المدن.

والجدير بالذكر أن مداخيل الجمارك بالدار البيضاء، كانت تساهم بقسط كبير في توازن بيت مال الدولة المغربية، نتيجة لانتظامها ووفرتها، زد على ذلك أن مستفادات المدينة كانت بدورها تساهم في مداخيل المخزن مثلها في ذلك مثل مستفادات المدن العريقة، فخلال القرن التاسع عشر، كان المخزن يعتمد على جبايات المدينة الموزعة على الأبواب، والجوطية، وسوق بيع الزيت، وسوق بيع الفاخر والرماد، وسوق العود والحطب، والمجزرة، وسوق البقر والغنم، ورحبة الزرع، وطابع الفضة، والكبريت، وسوق الجلد النيء، ومهراس القهوة، والصاكة، وسوق الجمال والخيل والحمير. يضاف إلى هذه المنافع مداخيل القوارب

المستعملـة في شحن السفن الكبـرى ونقل البضـائع من الأرصفـة. ثم مداخيل الجزيـة وأبي المواريث، وأملاك المخزن المكتـراة للتجار الأجـانب، زيـادة على مستفادات أسـواق بوادي المدينة.

وعلى كـل حـال، أصبحت الـدار البيضـاء من المراكـز الحضريـة والاقتصادية التي تساهم في اقتصاد البلاد، وفي تـوازنـات بيت المال، وضمـانـة القـروض الخارجيـة، مثل اقتراض 1904.

إن هـذه الأهميـة الاقتصـاديـة، بـالإضـافـة إلى أهميـة الموقع، جلبت انتبـاه الأوسـاط الاستعمـاريـة الفرنسيـة التي بـدأت تهتم بـالسـاحل المغربي وتـراقبـه منـذ 1906. وقد اعتبرت كثيـر من التقارير الفرنسيـة، العلميـة والعسكـرية، أن مـركـز الـدار البيضـاء يعتبـر أهم مـوقـع استـراتيجي يمكن لقـوة أجنبيـة الانطلاق منـه في أي عمل عسكري يستهـدف عاصمتي المغرب فاس ومراكش.

فحسب التقـاريـر العسكـريـة، فإن الـدار البيضـاء هي المدينـة الـوحيدة التـي يمكن النزول فيهـا خلال أوقـات السنـة كلهـا وهي أحسن مـوقـع يتحكم في عزل جبـوب المغـرب عن شماله.

وهكـذا، أدى الاهتمـام الفـرنسي المتـزايـد بـالمدينـة إلى احتلال التجارة الفرنسيـة الصف الأول بها سنة 1906 بنسبة 39,99٪ أمام بريطانيا 34,01٪، في هذه السنة كذلك.

م. الضعيف الربـاطي، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العمـاري، 1986، *كنانيش الخزانة الحسنية، وثائق الخزانة الحسنية* ؛ العهـد الحسني والعزيزي22 ـ 178 ـ 258 ـ 397 ـ 400 ؛ أ. النـاصـري، *الاستقصا*، ج. 8 ،9 ؛ م. السليمـاني، *اللسان المعرب عن تهافت المعمرين حول المغرب*، م. خ. ح.، 297 ؛ ع. الخديمي، *أثر استقرار الأجانب بالدار البيضاء خلال القرن التاسع عشر*. أعمال ندوة الدار البيضـاء، نشر كلية الآداب، 1982،1 ؛ *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب* (حادثة الدار البيضـاء واحتلال الشاويـة) 1894 ـ 1910 ـ 1904. 1906. 1908. 1991.

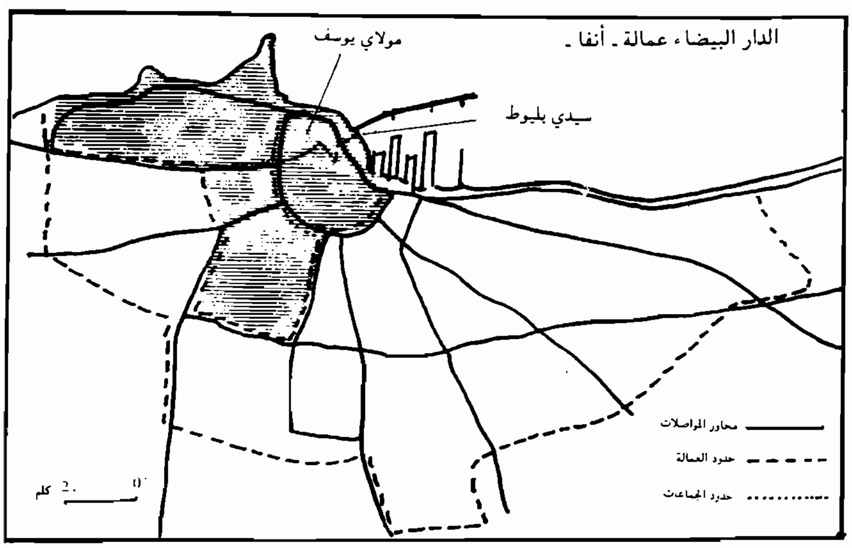
Archives de Guerres Vincennes, 1904 - 1906 - 1908 ; A. Adam, *Histoire de Casablanca, des origines à 1914*, Aix-en-Provence, 1968 ; A. Bernard, *Une mission au Maroc, rapport à Mr. le Gouverneur Général de l'Algérie*, Paris, 1904 ; V. Berti, *Les événements de Casablanca, 5 août 1907*, *France outre-mer*, Août - Sept. 1953 ; G. Bourdon, *Ce que j'ai vu au Maroc, Les journées de Casa, 1908* ; M.H.G. Conjeaud, *Histoire militaire de la Chaouia depuis 1894*, Casa, s.d. ; Flandrin, *Casablanca de 1889 à nos jours*, Casa 1948 ; J. L. Miège, *Les origines du développement de Casablanca au XIXème siècle*, *Hesp.*, 1953 , J.L. Miège et E. Hugues, *Les européens à Casablanca au XIXème siècle, 1856 - 1906*, Paris, 1954 ; Sans Barthelony, *Légende marocaine au sujet de Dar el Beida nom arabe de Casablanca*, *Bull. trim. Société de géo. et d'archéo. d'Oran*, T. XLV, 1925 ; Tarriot, *Monographie de Casablanca de 1907 à 1914*, Casa, 1924 , *Villes et tribus du Maroc, Casablanca et les Chaouia*, Paris, 1915, 2 vol.

علال الخديمي

الدار البيضـاء ـ أنفا (عمـالة ـ)، إحدى عمـالات ولاية الدار البيضـاء التسع، تمتـد على مساحة 3.350 هكتار وتضم 523.279 نسمة، أي 22,5 من مساحة المدينة وحوالي 20٪ من سـاكنتهـا. تغطي مـركـز المدينـة والأحيـاء الجنـوبيـة الغربيـة الممتدة من الميناء إلى حي أنفا وعين الذئاب. وترجع تسميتها إلى تشكلها سنة 1981 من جماعـة سيدي بليوط (مركز المدينـة) وجماعة أنفا ثم جماعة المعاريف. وبفصل جماعـة مولاي يـوسف سنة 1992 عن جمـاعـة سيـدي بليوط أصبحت العمالة تتكون من أربع جماعـات حضرية. ولعمالة الدار البيضـاء ـ أنفـا سمـات خـاصـة في الميدان العمـراني والاقتصادي والاجتماعي.

باستثنـاء المدينـة القديمة التي تتكون من السكن المغربي التقليـدي، تتميـز هـذه العمـالـة عمـرانيـا بتشكل معظم أحيائها من نـوعين من الإطار المبني : العمارات والفيلات. ويرجع ذلك إلى تركيبهـا من الأحيـاء التي كانت مخصصـة للأوربيين خلال عهـد الاستعمـار. وتـزداد بهـا أهميـة أحيـاء العمـارات من جـراء التـوسع العمـودي الـذي تشهـده هـذه العمـالـة مع تحول أحيـاء الفيلات إلى أحيـاء للعمـارات انطلاقا من المركز وفي كل الاتجاهات. ولا يعبر هذا التحول فقط عن إحلال نـوع من السكـن محل آخر بقدر مـا يجسـد أيضاً توسع مركز المدينة ومـا يرتبط به من تزايد الحاجة إلى المكـاتب ومقرات المؤسسـات الاقتصـاديـة ومحلات التجـارة والخدمات.

تعتبـر الـدار البيضـاء ـ أنفـا على المستـوى الاقتصـادي محرك المدينة ككل، باحتضانها للقطب القيادي المتكون من مركـز الأعمال، بـالإضافة إلى الميناء والتجمعات التجـارية الكبرى والراقية ومراكز تجارة الجملة والتصدير والاستيراد. وفي هذا الإطار تحتكر عمالة الدار البيضـاء ـ أنفا 76٪ من تجار الجملة بالدار البيضـاء. ويحتضن المركز بمفرده 96٪ من المؤسسـات الماليـة و74٪ من مقـرات الشـركـات والمقاولات



الاقتصادية. وتزداد أهمية هذا التركز الاقتصادي مع احتضان المركز لأكثر من 76٪ من الخدمات الموجهة للمقاولات الاقتصادية. ونتيجة لذلك يوفر المركز بمفرده الشغل لما يزيد عن ثلث السكان النشيطين بالمدينة ويجلب أكثر من ثلث تنقلات العمل بها. وتحتكر عمالة الدار البيضاء ـ أنفا حوالي ثلثي خطوط الهاتف بالمدينة ككل. وهذا ما يزكي وضعية باقي العمالات كهوامش تابعة لها، ويبرز دورها القيادي على المستوى الاقتصادي الذي ترمز إليه تسميتها التي تجمع بين مركز الأعمال وأحياء الفئات الغنية.

يتجلى الفرق أكثر بين الدار البيضاء ـ أنفا وعمالات الهوامش على المستوى الاجتماعي. فباستثناء عمالة عين السبع ـ الحي المحمدي التي تضم معظم الأحياء الصناعية بالمدينة تتشكل عمالات الهوامش من أحياء سكنية شعبية في معظمها. هذا فضلاً عن تبعيتها لعمالة الدار البيضاء ـ أنفا التي مازالت تحتكر معظم الخدمات والتجهيزات الاجتماعية. ولا أدل على ذلك من استمرار هذه العمالة في احتضان حوالي 75٪ من الموظفين بالمدينة، وتوفرها على 70٪ من الأطباء و67٪ من أسرة المستشفيات بالقطاع العمومي، وحوالي ثلث الثانويات بالمدينة. فالعمالة الأم مازالت تلعب دوراً كبيراً في ميدان التأطير الإداري، وتحتكر جزء مهماً من البنيات الأساسية والتجهيزات الاجتماعية، سواء منها التابعة للقطاع العمومي أو للقطاع الخاص. هكذا فعمالة الدار البيضاء ـ أنفا لا تعتبر فقط العمالة الأم على المستوى الإداري، ولاحتضانها لمقر الولاية، بل تشكل أم العمالات على كل المستويات. فالفرق واضح بين عمالة تضم معظم أحياء الفيلات والعمارات العصرية بالمدينة وعمالات تتشكل في معظمها من أحياء السكن الاقتصادي والشعبي.

المصطفى شويكي، *إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء*، دكتوراة الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 3 أجزاء، 671 ص.

M. Chouiki, *Système de santé et inégalités socio-spatiales à Casablanca, RGM*, vol. 13, n° 1, 1989 ; Ministère de l'Intérieur, *Schéma Directeur de Casablanca, Rapport Justificatif*, Avril, 1984.

الدار البيضاء (جهة) أو الدار البيضاء الكبرى.

ترجع تسمية الدار البيضاء الكبري إلى نهاية عهد الحماية عندما تم التخطيط لتوسيع مدينة الدار البيضاء في إطار محيطها الجهوي المباشر. وبالتحديد عندما وضع المهندس ميشيل إكوشار (M. Ecochard) سنة 1950 مخططا للتعمير ربط فيه المدينة بالجماعات القروية المحيطة بها وجعل من المحمدية الوجهة الأساسية للتوسع الحضري. ومنذ ذلك الحين أصبح مفهوم الدار البيضاء الكبرى يستعمل للدلالة على الدار البيضاء وضواحيها المباشرة بما في ذلك مدينة المحمدية والمراكز التي تدور في فلكها. ويطابق هذا المفهوم اليوم ولاية الدار البيضاء المحدثة سنة 1981 وجهة الدار البيضاء الكبرى المحدثة سنة 1997 المكونتين حاليا من 9 عمالات و29 جماعة حضرية و6 جماعات قروية.

العمالات التسع لولاية الدار البيضاء الكبرى ـ جهة ـ :

- الدار البيضاء ـ أنفا
- الحي المحمدي ـ عين السبع
- الحي الحسني ـ عين الشق
- بن مسيك ـ سيدي عثمان (مولاي رشيد)
- بن مسيك ـ مديونة
- الفداء ـ درب السلطان
- مشور الدار البيضاء
- سيدي البرنوصي ـ زناتة
- المحمدية

(انظر كل عمالة على حدة في مكانها من *المعلمة*)

ملاحظة : عمالة بن مسيك ـ سيدي عثمان تم تقسيمها سنة 1998 إلى عمالتين :

- مولاي رشيد ـ سيدي عثمان
- بن مسيك ـ مديونة

وإلى بداية القرن العشرين لم يكن موجوداً بهذه الجهة سوى المدينة القديمة للدار البيضاء وقصبة مديونة. وخلال العقدين الأولين للحماية تشكلت نواة جهة حضرية تدور في فلك مدينة عملاقة. وهذا ما دفع إلى تأطير التوسع الحضري بواسطة مخطط جهوي. ولم يأت مخطط إكوشار كغاية في حد ذاته بقدر ما جاء من أجل خلق نواة حضرية صلبة لمشروع محور الدار البيضاء ـ القنيطرة. فجاء الجيل الأول من المراكز الحضرية المكونة لهذه النواة شديد الارتباط بمدينة الدار البيضاء مجاليا ووظيفيا. وخلال عقدي الأربعينيات والخمسينيات تشكل جيل ثان من التجمعات الحضرية وسع من حجم ورقعة الجهة الحضرية للدار البيضاء. وخلال النصف الثاني من القرن العشرين تطور جيل جديد من المراكز زاد من حجم ودينامية هذه الجهة. ونتيجة لذلك تراجعت مكانة مدينة الدار البيضاء داخل جهتها بحيث انتقلت نسبتها من السكان الحضريين من94.5٪ سنة 1931 إلى 93٪ سنة 1960 لتنزل إلى مستوى 89٪ سنة 1994.

إن التوسع الحضري الذي تشهده الدار البيضاء الكبرى مكنها كتجمع حضري من أن ترقى إلى مستوى جهة إدارية. ويعزى هذا التوسع إلى التراكمات التي حققتها مدينة الدار البيضاء على العديد من المستويات. فدورها كعاصمة اقتصادية للمغرب وكأكبر مدنه وأسواقه جعلها تفرخ المراكز والتجمعات السكانية وتدمجها ضمن منظومتها الإنتاجية والهياكل الضرورية لتوسع وظائفها وأدوارها. وبذلك لم تعد وظيفة العاصمة الاقتصادية حكرا على مدينة الدار البيضاء بل أصبحت وظيفة جهة الدار

البيضـاء الكبـرى ككل. وبـالتـالي فإن المنظـومـة الحضـريـة والاقتصـادية للدار البيضـاء الكبرى قد وسعت كما وكيفا من دور الـدار البيضـاء كقطب للمحـور السـاحلي. وبـذلك حافظت الدار البيضـاء الكبـري على مكـانتهـا كأكبـر تجمع حضري بالمغرب إذ أن نسبتها من مجموع السكان الحضريين ظلت جد مرتفعة (14٪ سنة 1931 و30٪ سنة 1960 ثم 22٪ سنة 1994).

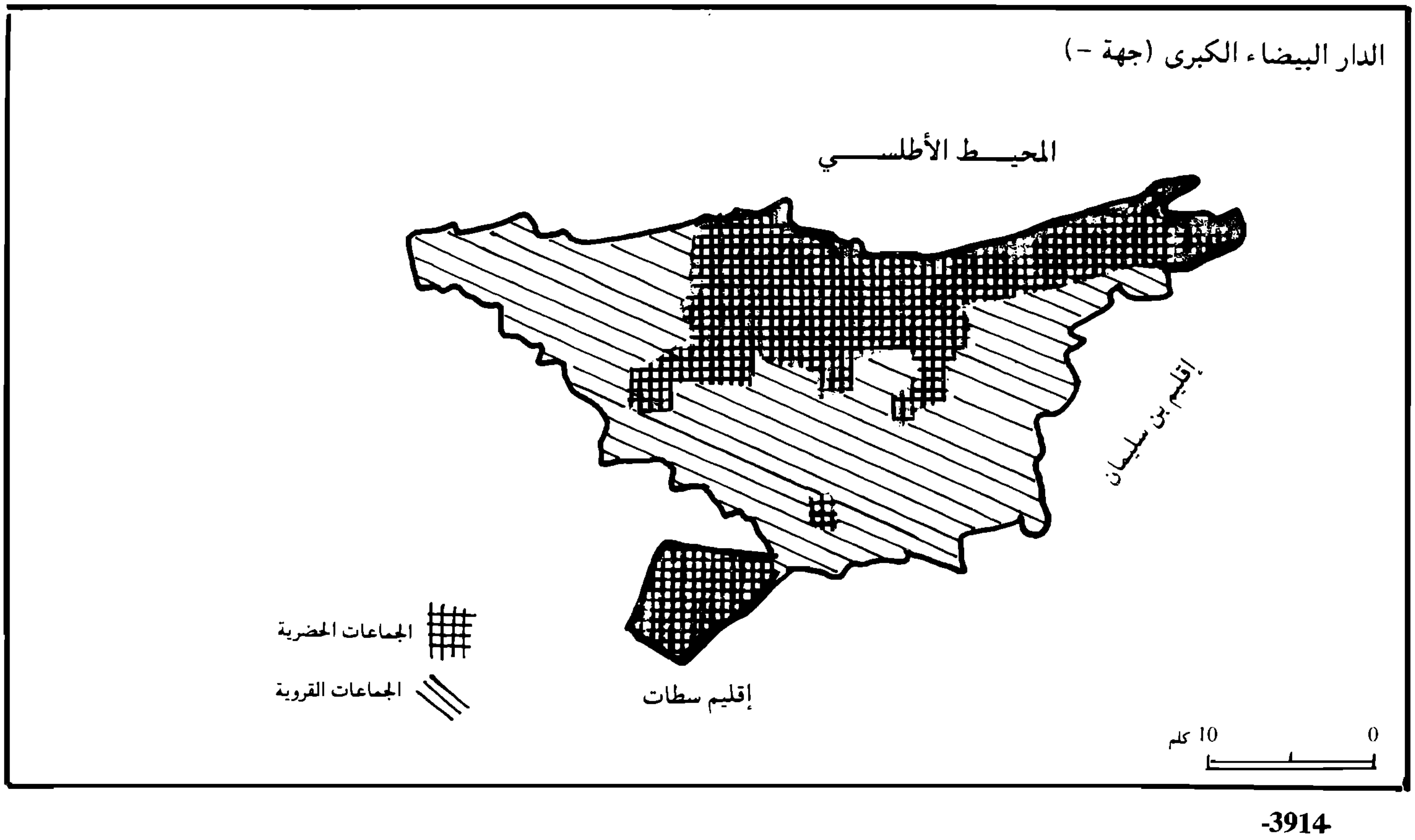
تشكلت جهـة الـدار البيضـاء الكبـرى من نـواة الجهـة المحدثة سنة 1913 والتي ظلت تحمل اسم جهـة الشـاويـة إلى غاية 1935 لتصبح ما بين 1935 و1956 تحمل اسم جهة الدار البيضـاء. وعلى إثر إحداث الجهات الاقتصادية السبع سنة 1971 أصبحت تحمـل اسم الجهـــة الـوسطى. أي أن الـــدار البيضاء الكبرى التي تطورت خلال القرن العشرين كعاصمة لجهة جد شاسعة أضحت اليوم جهة قائمة الذات.

تضم جهـة الـدار البيضـاء حسب إحصـاء1994 : 1 3 مليـون يشكل الحضـريون نسبـة5٪.95 منهم. وتمثـل حصـة مدينة الدار البيضاء 85٪ من مجموع السكـان. سنة 1994. ويـرتبط ذلك بتشكل تجمعـات حضـريـة تتـزايـد أعـدادهـا وأحجـامها بشكل مضطرد. ويتمثل أهمها في عين حرودة ولسـاسفـة وسيـدي معـروف وبـوسكـورة والنـواصـر ومـديـونـة وتيط مليل. وقد تجاوز الحجم الديمغرافي للثلاثة الأولى 000 20 نسمة.

تشكل الدار البيضـاء الكبري الجهة الإداريـة الـوحيـدة بالمغرب التي تطابق جهة حضرية. وفي ذلك امتداد للوضع الإداري الخاص الـذي تميـزت بـه الـدار البيضـاء منـذ أن أصبحت عاصمة اقتصادية للمغرب في بداية عهد الحماية. ونتيجـة لهـذا الـوضع لم تعـد الـدار البيضـاء تظهـر على مستوى الوثائق الرسمية كمدينة واحدة لأن التعـامل معها كجهـة أصبح يحظى بـالأولـوية على التعـامل معهـا كمجـرد مدينة.

إذا كـانت الـدار البيضـاء الكبـرى تتميز بكـونهـا الجهـة الوحيدة التي تتألف ساكنتها أساسا من الحضريين فإنها في ذات الـوقت تمثل الجهـة الـوحيـدة التي يـرتكـز اقتصـادهـا أسـاسـاً على الصنـاعـة والتجارة والخدمـات. ويعـزز ذلك اندمـاج الضواحي وساكنتها في المنظومة الإنتاجيـة للجهة. ويشكل انتشـار الصنـاعـة بضـواحي الـدار البيضـاء ظـاهـرة قديمة لكنهـا اتخذت أبعاداً كبيـرة منذ عقد السبعينيـات. وواكب ذلك تحول في بنيـة الشغل بهـذه الضـواحي حيث تراجعت بها نسبة الفلاحة من حوالي 70٪ سنة 1960 إلى 33٪ سنة 1982 من مجموع السكـان النشيطين. وفي مقابل ذلك تطورت نسبـة الصناعـة من 11٪ إلى 28 خلال نفس الفتـرة. ويتجلى أيضـاً تـراجع مكـانـة الفلاحـة بجهـة الـدار البيضـاء الكبرى من خلال تقلص مسـاحـة زراعـة الحبـوب والخضروات على السواء.

وإزاء ذلك أصبحت مـدينـة الدار البيضـاء تلعب دوراً متصاعداً في التوافدات السكانية بضواحيها. ويتجلى ذلك من خلال تزامن انتشـار الصناعة مع تراجع نسبة المهاجرين مباشرة من البـوادي نحوهـا من 78٪ من مجموع المهاجرين قبل 1960 إلى34.5٪ مـا بين 1971 و1982. وفي المقـابل انتقلت نسبة الوافدين من الدار البيضاء نحو ضواحيها من



10٪ قبل 1960 إلى 49٪ من مجموع المهاجرين إلى الضواحي ما بين 1971 و1982. وبذلك تتحول الضواحي من محطة هجرة نحو الدار البيضاء إلى مجال لاستقبال قوة العمل التي تجلبها هذه المدينة. ومع استقبالها لجزء من الطاقة الإنتاجية يتضح سير جهة الدار البيضاء الكبرى نحو توزيع للأدوار بين المدينة وضواحيها لا مثيل له في سائر جهات المغرب. ويتجلى أيضاً هذا التوزيع من خلال الدور المسند للضواحي في ميدان إيواء ساكنة المدينة مع تصاعد انتشار سكن الفئات الميسورة بالضواحي الجنوبية من خلال تشييد المغاني والقصور. وتشكل التجمعات السكنية الخاصة بهذه الفئات مثل أنفا الثانية قرب بوسكورة. هكذا لم تعد الدار البيضاء تنحصر في مدارها الحضري بل تمتد في شكل ضواحي متناثرة ومتباينة ومتعددة الوظائف لكنها كلها مرتبطة بالمدينة. وبذلك يتأكد الطابع الحضري للدار البيضاء الكبرى.

إن الدار البيضاء الكبرى التي تعزز باستمرار مكانتها كقطب اقتصادي وطني وكتجمع حضري وبشري ضخم قد رسخت أدوارها ووظائفها مع ترقيتها إلى مستوى جهة قائمة الذات. فعلاقاتها بالجهات المحيطة بها وبكل أنحاء المغرب تزداد متانة وتشعبا.

المصطفى شويكي، *إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء*، أطروحة دكتوراة الدولة، 3 أجزاء، ص. 671، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1995.

A. Adam, *Casablanca, Essai sur la transformation de la société marocaine au contact de l'occident*, Paris, 1968, 2 vol. ; N. Benslimane, *Les équipements commerciaux de détail à Casablanca. Leur rôle dans l'organisation de l'espace*, Thèse, 3ème cycle géo. Paris II, 1982, 2 t. ; M. Chouiki, *Système de santé et inégalités socio-spatiales à Casablanca, RGM*, vol. 13, n° 1, 1989 ; M. Ecochard, *Casablanca : le roman d'une ville*, Paris, 1955 ; A. El Mountasser, *La croissance urbaine de Casablanca, Etude des facteurs économiques et psycho - sociologiques*, Thèse 3ème cycle, Paris VIII, 1980 ; K. Joumady, *Casablanca, métropole économique du Maroc,* Thèse d'Etat, Bordeau III, 1988 ; D. Noin, *Casablanca. La Documentation française* N° 3797 - 98, Paris, 1971 ; H. Prost, *Le plan de Casablanca, F.M.,* n° 8, 1911.

المصطفى شويكي

الدار البيضاء ــ قصور ثلاثة بفاس ومراكش ومكناس. فقصر الدار البيضاء بفاس من عمل السلطان المولى الحسن الأول. وكان المقيم العام الفرنسي في عهد الحماية ينزل به كلما حل بفاس. وفي هذا الصدد يقول المؤرخ عبد الرحمان بن زيدان في *الدرر الفاخرة* : "وأسس الدار البيضاء البديعة الشكل، العجيبة الصنع، مسكن المقيم العام الآن عندما يزور فاساً".

وقد وردت كلمة الدار البيضاء في *تاريخ الدولة السعدية* لمؤلف مجهول بمعنى فاس الجديد، حين تحدث عن المعركة التي نشبت بين الأمير زيدان السعدي وابن أخيه عبد الله فقال : "*فقاتلهم في الدار البيضاء* قتالا شديداً، انهزم فيه مولاي زيدان". وأطلق من قبلُ كذلك اسم الدار البيضاء على أحد قصور بني مرين بفاس.

وقصر الدار البيضاء بمراكش في غاية الفخامة ومن جملة القصور الملكية العلوية التي تمثل تراثا حضاريا عريقا ومعمارا تاريخيا بالمغرب. ومن المرجّح أن يكون تأسيسه من عمل السلطان محمد بن عبد الله وتجديده على يد السلطان محمد بن عبد الرحمان.

تحول هذا القصر في عهد الحماية إلى مستشفى عسكري للفرنسيين واتخذ الضباط العاملون به قبه الواقعة في الطابق العلوي سكنى وظيفية. وفي نهاية 1960 تسلمته الإدارة المغربية وجرت به حفلات رسمية بمناسبة عيد العرش. أما قصر الدار البيضاء بمكناس فهو من تأسيس سيدي محمد بن عبد الله، وهو مقر المدرسة العسكرية الآن المعدة لتعليم الضباط المغاربة.

ومن بين توابع هذا القصر مسجد يتوفر على مرفقات خاصة به، وبجهته الشرقية مدرسة، كما ضم هذا المركب الاجتماعي التعليمي الديني مربعاً فسيحاً عرف باسم أݣدال، وفي وسطه قبة غاية في الإبداع والإتقان بإزائها حمام وكل ما يحتاج إليه من منافع.

وأعد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757 ـ 1790) هذه القبة لفسحته، والجلوس لسماع مظالم رعيته ـ على حد قول ابن زيدان ـ. كما أعد البسيط المترامي الأطراف أمامها لرعي إناث الخيل لما كان له من ولع بتربية هذا النوع من الجياد. وأحاط هذا القصر وكل توابعه بمجموعة من الجنانات وهي جنان أسوفيط الكبير والصغير وجنان باب القزدرير ـ مكان كليتي الآداب والعلوم ـ وجنان ابن حليمة وعرصة السنطرجية والبحراوية ـ الݣولف حالياً ـ. وأثناء احتلال القوات العسكرية الفرنسية لمدينة مكناس يوم الخميس 8 يونيه 1911، اتخذت قيادتها من قصر الدار البيضاء مقراً لها، واستقرت هذه القوات في هذا القصر الذي كان وقتئذ مربطا للأفراس والنعامات الملكية وبه بعض التحف والأسلحة كالمدافع من مختلف الأنواع.

وبعد عقد معاهدة الحماية الفرنسية على المغرب يوم 30 مارس 1912، أصبحت مدينة مكناس تمثل عاصمة التمهيد لاحتلال الجيوش الاستعمارية لجبال الأطلس المتوسط ومنطقة تافيلالت، نظراً لأهميتها الاستراتيجية. فتم التركيز على المدينة عسكريا، وفي هذا الإطار تحول قصر الدار البيضاء إلى مدرسة حربية لتكوين الضباط "الأهالي" كما جاء في رسالة الجنرال ليوطي المقيم العام بالمغرب بتاريخ 18 يناير 1919 إلى السلطان مولاي يوسف الذي لبى طلبه.

وكانت هذه المدرسة خاصة بأبناء الموظفين السامين خدام حكومة الحماية والجهاز المخزني من القواد والباشوات

والأعيان والشرفاء وكل من له حظوة داخل البلاد.

ونظراً لأهمية هذه المدرسة في التكوين وإعادة التكوين للجتود القدماء، كان ليوطي يطلق عليها سان سير Saint Cyr المغرب تشبيها بالمدرسة الأم بفرنسا التي تخرج منها أقطاب الضباط العسكريين الفرنسيين. وعين على رأس إدارتها الرائد كتان Quetin أحد قدماء الحرس الشريفي، في حين عين نقيب الشرفاء العلويين بمكناس عبد الرحمان بن زيدان نائباً للمدير، أو المدير العربي للمدرسة كما كان يلقب.

فتحت أبواب المدرسة الحربية بمكناس في وجه التلاميذ الضباط ابتداء من شهر يونيه 1919، وكانت مدة الدراسة بها سنتين، لذلك تخرج أول فوج منها وعدد طلابه أحد عشر ضابطاً في شهر يونيه 1921.

وقد عين هؤلاء الضباط في إدارات مختلفة مدنية وعسكرية. والملاحظ أن عدد المقبولين في المدرسة الحربية بقصر الدار البيضاء بمكناس بقي على ما هو عليه لا يتجاوز أصابع اليدين إلا نادراً، وهكذا وصل هذا العدد سنة 1934 إلى 62 ضابطاً.

وبقي أمر المدرسة المذكورة قائماً إلى عهد الاستقلال، فتحول اسمها إلى الأكاديمية العسكرية الملكية التي مازالت لحد الآن تؤدي نفس المهمة التي نشأت من أجلها لكن بأهداف وطنية وأطر مغربية.

مجهول، *تاريخ الدولة السعدية الدرعية التاگمدرية*، ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، الدرر الفاخرة، ص. 53 و82 ؛ إتحاف، ج 1، ط 1، المطبعة الوطنية، الرباط، 1929 ؛ دوفردان، *مراكش من التأسيس إلى سنة 1912* ؛ م. المنوني، ورقات من الحضارة المغربية ؛ بوشتى بوعسرية، *مكناس المدينة الجديدة، التأسيس، البنيات الإدارية، التناقضات*، 1911 ـ 1939 ؛ أطروحة دولة، 1995، كلية الآداب بالرباط.

محمد ماگمان وبوشتى بوعسرية

الدار البيضاء، قلعة بالريف تُعرف أيضاً برباط سبتة، أُحدثت لتكون مركزاً لقيادة الحركة الجهادية ضد المدينة المحتلة ولحراسة الحدود الغربية احترسا من اغتصاب الإسبان المزيد من التراب المغربي. تقع على بعد خمسة كيلو مترات من سبتة على سفح جبل بليونش عند المكان الذي كان يُعرف سنة الاحتلال بجبل غمارة، وهو المسمى منذ القرن الثالث عشر (19 م) لدى الإسبان بجبل التاج. اختير موضعه على ارتفاع 290 متراً، نظراً لعلوه الذي يكشف النظر لمجموع الأرض الممتدة شرقا في اتجاه سبتة. ويسميه الإسبان سيرايو Serrallo، والاسم مشتق من كلمة Sarraceno، وهي صيغة محولة عن اسم عربي يراد به لفظ "الشرقي" حسبما هو معروف في القواميس الإسبانية، يستعمل لتحقير المراد به.

تعود أولى الإشارات الصريحة لتأسيس الدار البيضاء إلى ما ذُكر عن الحاجة لإيجاد سكنى الباشا علي بن عبد الله الحمامي الريفي، حاكم تطوان ورئيس الجيش الجهادي المكلف بحصار مدينة سبتة ما بين 1694 و1727، وذلك خلال السنوات الأولى من بدء الحصار. شيد الدار البيضاء ليُفهم الإسبان أنه عازم على البقاء بجوار المدينة محاصراً لها، تعبيراً على عدم رحيله إلا بعد استرجاع المدينة.

تكونت الدار البيضاء من محيط محصن يشبه القلعة، بني بجوارها مسجد، أحيطت بها مخيمات المجاهدين من عبيد البخاري والمخازنية والمتطوعين الوافدين من قبائل الشمال الغربي المغربي بطريقة النوبة المتغيرة على رأس كل شهر. وهناك خريطة تعود إلى سنة 1766 تبيّن بوضوح أن هناك محيطا عمرانيا يظهر في شكل شبه مستطيل غير منتظم، دل عليه بحرف F، وأشير في التعليق إلى أنه المكان المهم الذي تحتله الحراسة المغربية.

وبعد وفاة القائد علي استقر بها ابنه الباشا أحمد إلى سنة وفاة المولى إسماعيل، حيث غادرتها القرات المخزنية إثر تصاعد موجات الاضطرابات الأهلية. وفي 16 نوفمبر 1717 كانت قوات الباشا أحمد بن علي بلغت في الدار البيضاء نحو 1500 فارس يساعده أخوه القائد خلوف.

وقد سجلت الوثائق وجود القوات المخزنية بالدار البيضاء على عهد المولى عبد الله بن إسماعيل، إلا أن الأمر تغير بعزله وتولية أخيه مولاي علي وتشبث الباشا أحمد الريفي بطاعة المولى عبد الله، مما اضطره إلى الالتجاء إلى طنجة في مستهل سنة 1149 / 1736، تاركا الميدان خاليا. وهذا هو الظرف التي أتاح لجنود سبتة التوجه إلى الدار البيضاء وهدمها في السنة الموالية.

بانتهاء هيمنة أسرة الباشا أحمد على تطوان يبدو أن الإشراف على تنظيم الحراسة انتقل إلى قبيلة أنجرة، إذ أنها هي التي كانت تديرها، تحت إشراف قائد القصر الصغير الواقع تحت إمرة باشا طنجة، باعتبار أن الأراضي التي توجد بها هي تابعة للقبيلة.

ولسنا ندري الوضع الذي كانت عليه الدار البيضاء على عهد محمد بن عبد الله، فقد أشارت الوثائق الإسبانية إليها على أنها القاعدة الأساسية للحراسة، وتشوف حكام سبتة لمد الحدود المطلوبة إليها. نعرف من قوادها سنة 1181 / 1767 محمد بن بلا، ابن باشا الشياظمة.

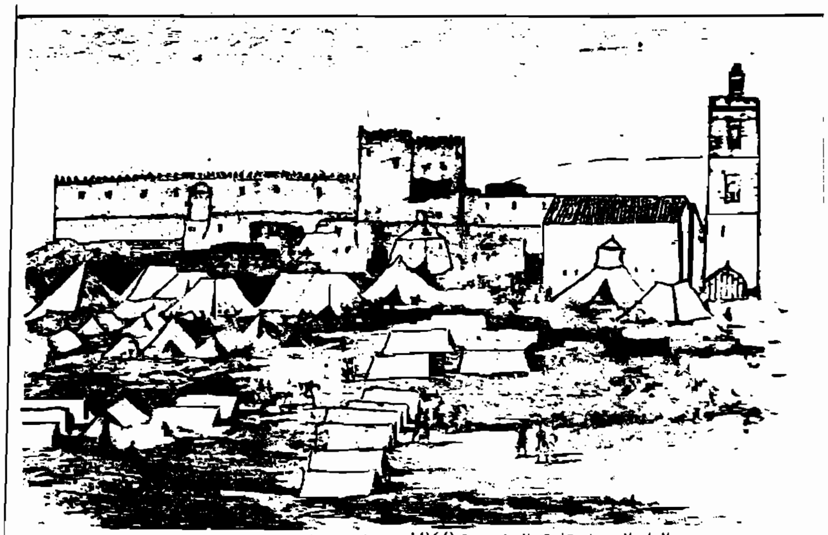
ويبدو أن قلعة الدار البيضاء كانت قد عجزت عن استرجاع هيكلها العمراني السالف الذكر، فهذا هو ما يفهم من الأمر الذي تلقاه قائد القصر الصغير محمد الصريدي في صيف 1199 / 1784 لإعادة بناء الدار قصد إيواء فيلق متكون من ستين مخزنيا بين فارس وراحل.

نعتقد أن قلعة الدار البيضاء كانت سليمة خلال حصار سبتة من طرف المولى اليزيد، فقد استطاعت أن تؤوي عدد الجنود المرابطين حول الحدود مدة سنتين. ولكننا لا نعلم شيئاً عنها على عهد المولى سليمان وبداية عهد المولى عبد

الرحمن على الرغم من استمرار وجود الحراسة. وسنعرف بعد ذلك أن الدار البيضاء كانت سنة1256 / 1840 في حاجة ماسة إلى إعادة البناء، إذ أن أكثرها كان متضرراً بسبب الإهمال وعرض مبانيها لتأثير الرياح والأمطار، فأكثر ما تضرر منها هي السقوف والأبواب والنوافذ وما أصاب الجدران من التهدل. هذا هو ما عبرت عنه مراسلة 27 أكتوبر سنة 1840 حينما تساءل حاكم سبتة عن الغاية من مشروع البناء الذي يقبل عليه المغاربة بجبل بليونش. وبالفعل كان الأمر في تلك السنة متعلقا بالمعاينة والدراسة والتقويم، غير أن المشروع لم ينفذ إلا في سنة 1260 / 1844.

بدت الدار البيضاء للسلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، لما كان عازما عليه من إحياء سنة الجهاد ضد الوجود الأجنبي بالثغور المغربية المحتلة، من المحطات الحيوية المستوجبة للعناية، فبناؤها بالنسبة إليه "إرغام للعدو الكافر وزيادة في الاحتراس وأخذ الأهبة والاستعداد، لأنها شجى في حلق الكفار وقذى في أعينهم".

تكلف بالإشراف على عملية البناء عامل تطوان وناحيتها محمد أشعاش لتسقيفها وعمارتها بالمجاهدين.. وهذا بدوره وضع المهمة بيد بوسلهام بن علي أزطوط، حسب مراسلة 6 ربيع الثاني 1260.



الدار البيضاء قلعة بالريف سنة 1860 عن (P. A. de Alarcon)

وأراد المولى عبد الرحمن أن يتم البناء سريعا، بدءاً من تسقيف الدار التي كانت وسط محيط السور علاوة على المسجد كمرحلة أولى، ثم الإقدام بعد ذلك على إصلاح الباقي. وكثرت المراسلات التي حثت على الإسراع في البناء، سواء من ابن علي إلى أحمد الرزيني أو من بوسلهام إلى أحمد الرزيني لتفقد إرسال العمال وإحضار الإقامة الخاصة للبناء والإصلاح، بينما تكلف أشياخ أنجرة بنقل تلك المواد إلى المكان المطلوب. ويبدو أن الإصلاح استمر إلى أن ظهرت الدار البيضاء على حالها في الرسم المرفق المعاصر لسنة احتلال مدينة تطوان 1860 مكتملة البنيان.

وفي سنة 1860 كان الإسبان قد حققوا آملهم الذي راودهم منذ زمن بعيد، فتمكنوا من حصن الدار البيضاء واتخذوا منه موقعا منيعا، يوجد في الوقت الراهن داخل الحدود المغتصبة.

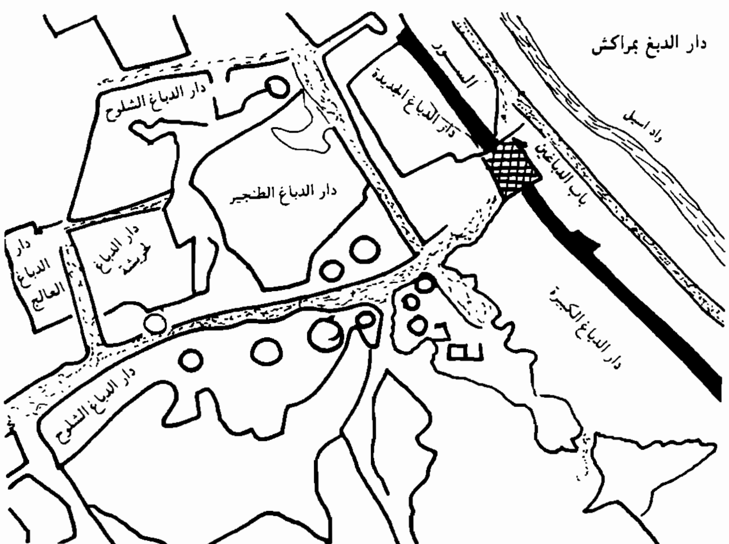
وثائق الخزانة الحسنية ومديرية الوثائق الملكية ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، الجزء التاسع ؛ *معلمة المغرب*، الجزء الأول.

SIHM, France 2° série filalienne, t. 6 ; Archivo General Central en Alcala de Henares ; *Cuadernos del Archivo Municipal*, Ceuta, 2 / 1988 ; R. Lourido Diaz, M. Arribas Palau, *En torno al ensanche de Ceuta, Hesp.*, 1982.

حسن الفكيكي

دار الدّبغ أو الدِّباغة التقليدية. تتكون دار الدبغ عادةً في مراكش مثلاً، من مساحة مكشوفة فيها أحواض تحيط بها دكاكين مكونة من طابق أو طابقين، يُستعمل سقفها لتعليق الجلود المدبوغة. من هذه الدكاكين ما هو في ملك الأحباس ومنها ما هو في الملك الخاص ولكل دكان توابع تسمى"لـمّاعَنْ" وهي عبارة عن أحواض وصهاريج صغيرة، يفصلها عن الدكاكين ممرّ، منها المستطيل والمربع والدائري. طول المستطيل منها بين 1،70م و2 م. وبعرض من 1 م إلى 1،30 م وبعمق يصل إلى 0،70م. أما المربع منها فيصل ضلعه إلى 1،20 م بعمق 0،75 م. هذان النوعان يطلق عليهما اسم مشترك هو "المجيار" لاحتوائه على خليط من الماء والجير. أما ما جاء على شكل دائري فقطره بين 1م و1،50م وبعمق يصل إلى أكثر من 0،75 م. ويسمى بالقصْرية. "ج. لقصاري". وبها تتم مراحل الدباغة الفعلية. وتطلق القصرية أيضاً على مجموع الجلود المراد دبغها في كل مرفق من هذه المرافق. والملاحظ كذلك أن "لـمّاعَنْ" الخاصة بدباغة جلود البقر والجمال تكون أكبر حجماً. كما يتم الحرص على فصل "المجايير" عن "القصاري" لأن الجير إذا وصل إلى الجلود - وهي في قصرية

دار الدبغ بمراكش



الدباغة ـ يفسدها. فتصبح غير صالحة تماماً. وعموماً فإن كل هذه الأحواض بمختلف أنواعها، قد بنيت بشكل جعل جوانبها الداخلية وقعرها رطبة، لتسهيل تنظيفها، مع وضع عتبة على هذه الجوانب لتفادي وضع الرجلين على الجلود.

هذه المرافق الخاصة بكل دكان لا تنفي وجود أخرى عامة؛ تخضع للاستعمال المشترك بالتناوب من أهمها :

ـ إفرضْ : وهو عبارة عن حفرة أبعادها غير متساوية وبعمق يفوق المترين في الغالب يستعمل لتجميع المياه المستعملة ويستخدم كذلك لتعويم جلود الجمال والبقر والماعز. ويتم إفراغه وتنظيفه بعد مدة.

المركَلْ : حوض شكله مستطيل طوله 1،50 م وعرضه 1،20 م وعمقه 1،10 م بالتقريب. رطب الجوانب والقعر. فيه يتم ركل الجلود وغسلها من الجير، يتم إفراغه من الماء المستعمل بواسطة ثقب في جانبه الأسفل.

ـ أزگي : صهريج صغير فيه تتم عملية "تشقيف" الجلود كما يسميها أهل الحرفة. وتهدف تسريح وإزالة ما بقي عالقا بها، من الشحم واللحم، بواسطة آلة يدوية حادة أو بالموسا.

ـ أفرْدو : عبارة عن آلة الهرس مصنوعة من الحجر ؛ ومغروسة في الأرض "مهْراز" لدق قشرة الرمان الحامض، وتحويلها إلى مسحوق بواسطة عمود خشبي صلب يسمى "أساكُوم".

ـ أسفْسَرْ : فضاء عار معزول عن مرافق الدباغة تنشر فيه الجلود المدبوغة لتجفيفها بعد تلوينها.

ـ الطنجير : أو الطنجرة قدر صنع من النحاس حجمه ضخم يستعمله الدباغون الذين لهم "النوبة" أي الحق في استعماله بالتناوب حتى ولو كانوا لا ينتمون إلى دار الدباغ التي يوجد فيها وفيه تصبغ جلود البقر المعروفة عندهم "بالعجلي" ولا يوجد إلا في "دار الدباغ الطنجير".

ـ البئر : خاضع للاستعمال المشترك وكانت بعض دور الدباغة تتوفر على بئرين حسب حجمها. وكان البئر يشكل المصدر الوحيد للمياه المستعملة وإلى حدود منتصف القرن العشرين أي قبل إدخال قنوات الماء الصالح للشرب التابع للمصالح البلدية آنذاك. وكان التزود بهذه المادة الحيوية يتم بصعوبة أي بواسطة الدلو أو السطل والحبل في مراكش مثلاً عكس ما كان عليه الحال في دور الدباغة بفاس حيث يتم الحصول على الماء بسهولة".

ومن المعلوم أن الدباغ يعد من أهم المواد الأساسية التي ترتكز عليها دباغة هذه الجلود. وهو أنواع مثل : الرباطي والبلدي وميموزا. ويتم جلبه من غابة المعمورة الواقعة شمال مدينة سلا ومن بعض مناطق الأطلس الكبير، لونه يميل إلى الحُمرة. وكانت هذه الأنواع توضع في أكياس خشنة تنقلهاالجمال والحمير والبغال. هناك نوع رابع يعرف بتاگاوُت، أو تاكوت لونه يميل إلى الاصفرار وعلى شكل حبوب أصغرها في حجم حبات الحمص وأكبرها في حجم حبات الزيتون. يؤتي بأجود هذا النوع من تافيلالت، أقله جودة من ناحية تدغة. وقبل استعمال هذه الأنواع، كانت تمر بمراحل التنقية والنشر لتسهيل طحنها في مطاحن تقليدية، كانت توجد بحي الدباغين الذي يضم أيضاً سوقا لعرضها للبيع، غير أن جل هذه الأنواع أصبحت تطحن في المطاحن الكهربائية منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين.

من المواد التي يتم الاعتماد عليها في هذه الحرفة نجد الجير، وهو من أصل حجري يُصهر في أفران تقليدية. هناك كذلك حتّى الحمام "البْزق" الذي يمهد هو أيضاً لدباغة الجلود. يقتنيه الدباغون من الذين يقومون بجمعه من نواحي الحوز ومن دكالة وغيرها.

يلاحظ أن طريقة دباغة الجلود التي تعتمد على هذه المواد الأساسية، تختلف من نوع إلى آخر رغم وجود بعض المراحل المتشابهة التي تعد قاسما مشتركاً بينها.

1 ـ دباغة جلود الماعز : الزواني. تنطلق العملية باقتناء هذه الجلود من السوق على شكل وحدات تتألف كل واحدة من ست جلدات تسمى "الطّريحة". وقد يصل عددها إلى عشر أي 60 جلدة فأكثر. وكان ينقلها حمالون من أصل فيلالي. ويضع كل معلم علامة خاصة به على أحد أطرافها تكون معروفة عند باقي المعلمين والصناع في دار الدباغة، حتى لا يقع خلط بين الجلود التي يمتلكها كل واحد منهم. كل مجموعة تسمى عندهم قصرية يقوم المعلم بحزم جلودها بحبل. وتوضع في ماء إفرض ـ مدة يوم واحد صيفا وثلاثة أيام شتاء ــ ثم تسحب منه لتخضع "للتكعيب" بهدف تنقيتها من الطين والوحل والملح، ثم تمر بعد ذلك إلى عملية التكليط ـ وهي تبليط الوجه الخلفي للجلود بمادة لكلاطة، مكونة من خليط الرماد ونبات وماء لتسهيل عملية إزالة الشعر بالموسا يسمونها التقليع ـ ويتم بيع هذا الشعر في سوق خاص مكون من عدد من الدكاكين في قلب حي الدباغين.

بعد هذه العمليات التمهيدية تدخل جلود الماعز في مرحلة التهييئ الانتقالي وتبتدئ بوضعها في المجاييرْ أي الأحواض التي تحتوي على خليط الجير والماء، وهي أربعة أنواع.

يلقى بجلود القصرية بكاملها في النوع الأول المسمى لخضَرْ ولمدة أسبوع لضعف تأثيره وتهييء الجلود لتقبل مفعول الجير. بعد ذلك تحول إلى النوع الثاني هو أمسرّبْ لتبقى فيه مدة أربعة أيام ـ مفعوله أقوى نسبيا ـ. النوع الثالث يعرف بلحرشْ لتأثيره القوي على الجلود إذ فيه تكسب نوعاً من الصلابة وتفقد ما بقي عالقا بها من الرائحة الكريهة. وقبل نقلها إلى المجيار الموالي تخضع للتمريس وهي عملية تهدف إزالة ما بقي من الشعر الذي يسمى بوخنازْ يبيعه الصانع إلى النساء ليصنعن به نوعاً من الحبال.

أما النوع الرابع والأخير فهو القاطع يطلق عليه هذا

الاسم لاحتوائه على الجير الجديد بعد خلطه بالماء تنقل إليه الجلود من لحرشْ وتبقى فيه لمدة أسبوع تقريباً غير أنها تخضع للمراقبة من وقت لآخر خاصة في فصل الصيف. في هذا المرفق تكتسب الجلود لوناً يميل إلى البياض وتصبح فيه أكثر صلابة مما كانت عليه. كما أنها تخضع لعملية أوْلاَمْ، وهي إخراجها من الجير وتقطيرها وإنزالها فيه مرة ثانية، لتمكينها من امتصاص هذه المادة بالقدر الكافي. وبالاستعمال المتكرر تحول هذه المجابير من الأكثر إلى الأقل فعالية، أي من القاطع إلى لحرش وإلى امسرب ثم إلى لخضرْ الذي يهرق محتواه في قنوات تصريف المياه عندما يصبح غير صالح للاستعمال. بعد قضاء المدة المطلوبة في القاطع تستخرج الجلود منه وتنقل إلى المركلْ حيث يتم ركلها وغسلها بالماء النقي ثلاث مرات حتى ينقطع منها أثر الجير. ويتم ذلك بتراتيل دينية مثل التهليل والتكبير. وأثناء مراحل هذا الغسل تخضع للتساوي أي إزالة الشحم وبعض بقايا اللحم من وجهها الخلفي لتدخل بعد ذلك في مرحلة تؤهلها مباشرة للدباغة، إذ يتم غمرها في قصرية تحتوي على خليط من ختّى الحمام ـ لبزق ـ والماء لتبقي فيه مدة يومين صيفاً وأسبوع شتاء. فبقاؤها في هذه المادة يعيد لها لونها ويزيل منها ما بقي فيها من رواسب الجير. ثم تعرض للغسل من جديد وتوضع في قصرية أخرى تحتوي بدورها على خليط من نخالة القمح والتين والماء لتبقى فيه أقل من أسبوع. دور هذا الخليط هو إزالة رائحة لبزقْ منها، وفتح الثقوب الدقيقة فيها ؛ الشيء الذي يجعلها تمص تاكاوْت إضافة إلى أنه يكسبها نوعاً من النعومة والطراوة. وبمجرد إخراجها من النخالة، يتم إنزالها مباشرة ودون غسلها في قصرية خاصة، تضم الماء النقي وقدراً كافياً من تاكاوْت التي سبق إعدادها بالتنقية والغسل والتجفيف والدهن بالزيت والطحن. وكانت النساء يقمن بعملية تهييء هذه المادة مقابل أجرة نقدية وذلك قبل ظهور المطاحن الكهربائية الحديثة.

تترك الجلود في تاكاوتْ لمدة ثمانية أيام خلالها تخضع لعملية أولاَمْ أي تخرج وتقطر ويتم إنزالها وغمرها من جديد في الخليط نفسه. وعندما يتأكد المعلم من جودة دباغتها يتعاون مع الصانع والمتعلم، على إخراجها من هذه المادة وعصرها إما على دفعات من طريحتين أو ثلاث أي من 12 إلى 18 جلدة، فيقومون بفتحها وتسريحها وإزالة أوساخها. ويطلق على هذه العملية ـ التشقافْ ـ بعدها يقومون بتلوينها الواحدة بعد الأخرى بخليط من مسحوق قشرة الرمان الحامض، الذي كانوا قد قاموا بدقها في "أفرْدُو" مهراز من الحجر. وأثناء عملية التلوين يدلكونها ويرشونها بقطرات من الزيت ليكتسب وجه الجلدة لمعانا وبريقا.

هذا الخليط كان مستعملا في فترات مضت أما الآن فقد حلت محله صباغة صفراء. بعد ذلك تنشر الجلود في فناء عار هو أَسَفْسَرْ وعلى غطاء من التبن وبطريقة تجعل وجهها الخلفي معرضاً لأشعة الشمس. وعندما تجف فإن المتعلم هو الذي يتولى عادة جمعها ونقلها إلى الدكان، حيث تبدأ مرحلة التهييء الأخيرة وتنطلق برشها بالخليط نفسه وطيها لمدة قصيرة، لتصبح لينة. فيقوم الصانع بتسريحها على خشبة منتصبة داخل الدكان، على ارتفاع (60 سنتم) تقريباً من الأرض تسمى لخطر لصقل وجهها الخلفي أو ما يسميه الدباغون لَبْشيرْ، ويتم بآلة حديدية تسمى بالصدرية، سُميت هكذا لأن جزءها الأعلى يوضع على الصدر والجزء الأسفل الحديدي على الجلدة، فيقبض الصانع أو المعلم الذي يباشر هذه العملية على عمود من خشب بيده اليمنى يفصل بين الجزئين الأعلى والأسفل وبيده اليسرى على الجلدة بعد شدها كذلك بفخذيه على لخطر. كل ذلك يتطلب مهارة ومجهوداً عضلياً متواصلا وشاقا. ثم تمر الجلود إلى مرحلة التمرين وهي حك ظهر كل جلدة باليد على آلة من طين تعرف بتبلاط وهي تشبه القدر، يحتوي وجهها على خطوط بارزة. وقد يستمر الحك عدة مرات بالنسبة للجلدة الواحدة إلى أن تبرز حبيبات دقيقة على وجهها تكسبها نعومة ونضارة. ثم تعلق من أحد أطرافها، في حبلين مشدودين إلى الحائطين المتقابلين في الدكان. فيقوم المعلم بمسحها بقطعة من الثوب الصوفي ليزيدها لمعانا ويقطع الأطراف الزائدة من حواشيها لإخراجها في شكل مقبول وإعطائها منظراً لائقا. تُجمع الجلود الواحدة فوق الأخرى بعد أن أصبحت جاهزة، وتسمى آنذاك الطلوع فتُحمل إلى السوق الذي كان يعقد في مكان سوق الجلد كل يوم مباشرة بعد صلاة العصر، ماعدا يوم الجمعة وبذلك تنتهي هذه السلسلة المعقدة من العمليات الصعبة. ولهذا يقولون : "والله كلْ ما لعبتْ المعزا في قرونْ الجبال حتى تخلْصُو في دار الدباغ".

2 ـ بالنسبة لدباغة جلود الأغنام فهي سهلة نسبيا فعندما يقتنيها المعلم يضعها مباشرة في الماء لغسلها ثم تمر من محطات الجير ولبزقْ والنخالة لتبقى فيها مدة تتراوح ما بين 4 إلى 6 أيام لكل مادة من هذه المواد. ثم يتم تحديد اللون الذي يجب أن تأخذه. فالجلود البيضاء توضع في تاكوت والحمراء في الدباغ البلدي وميموزا لأن ذلك يكسبها اللون الأحمر. وعندما يتحقق المعلم من جودة دباغتها يقوم بشقها وتلوينها بخليط من الماء والشب. ترش بالزيت فتنشر تحت أشعة الشمس، حتى تجف ثم ترش بالخليط نفسه دون استعمال الزيت. ثم تخضع لعملية لبشير، أي إزالة القشرة الغليظة من وجهها الخلفي. فتسرح من جديد وهو ما يسمى ـ بأفتاحْ ـ فتصبح جاهزة للبيع بعد أن تجمع الطلوع فتحمل إلى سوق النعال الذي كان يعقد ابتداء من العاشرة صباحاً طيلة أيام الأسبوع باستثناء يوم الجمعة. أما الجلود الحمراء فتستخرج من الدباغ وتشق. وترش هي أيضاً بالزيت ودون أي خليط آخر وتخضع للعمليات نفسها تقريباً.

أما دباغة جلود البقر الذي يعرف بالعجلي فبماشرة بعد وضعها في إفرضْ وانتشالها منه بعد خمسة أيام تقضيها فيه، تحول إلى مجيار لحرش لتبقى فيه ثلاثة أسابيع لتسهيل إزالة الوبر ووضعها في القاطع لمدة شهر مع مراقبتها ـ أولاّم ـ ومنه تنقل إلى المركل لإزالة الشحم من وجهها الخلفي ـ التساوي ـ ويجدد عليها الماء لمدة ثلاثة أيام فتمر إلى ـ لبزق ـ ثم إلى النخالة لمدة شهر في كل مادة من المادتين. بعد ذلك توضع في قصرية الدباغ البلدي لمدة شهرين.

تصبغ بعدها في الطنجير باللون الوردي فتنشر وتجفف وتمر بعملية لبشير والمسح فتصبح جاهزة للاستهلاك.

وتمر دباغة جلود الجمال بمحطات الجير التي تمر منها جلود البقر وإزالة الوبر والشحم والغسل. لكنها تنتقل مباشرة إلى النخالة ولمدة شهرين تنقل بعدها إلى قصرية الدباغ البارد أفضلي. ودون المرور بلبزق ثم إلى الدباغ الجديد. ثم تطلى مرة أخرى بمسحوق الدباغ من جديد لتبقى فيه ستة أشهر. يتم بعدها إخراجها منه بالتدريج حسب ما يرغب المعلم في بيعه منها. فتتعرض للدلك بحجرة وخليط من مسحوق الصنوبر يكسبها لمعانا وحمرة زاهية. فتعرض للبيع في سوق "النعال".

أبو عبيد البكري، *المسالك والممالك*، بغداد، ص. 153 ؛ مجهول، *كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية*، الدار البيضاء، ص.90 ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار*، الدار البيضاء، ص. 209 ؛ البيدق، *أخبار المهدي بن تومرت*، الرباط، 71 ص.64 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، قسم الموحدين، ص. 27 ـ28 ؛ علي الجزنائي، *جنى زهرة الآس*، ط. الثالثة، الدار البيضاء، 91 ص44 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 4 : 342 ؛ 5 :40 ؛ 8 : 473 ؛ *البحث الميداني*.

R. Le Tourneau et L. Paye, *La corporation des Tanneurs et l'industrie de la tannerie à Fès, Hesp.* T. XX, fax. 2, 1935 ; Lagdim Soussi Moulay Brahim, *Les activités artisanales à Marrakech et leurs retombées économiques. Etude géographique*, Université François Rabelais, Tours. 1984.

عبد السلام السعيدي

دار الدبيبغ، هو القصر الذي بناه السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل ابتداء من سنة 1154 / 1742 جنوب مدينة فاس العتيق. لكنه صار يطلق لدى أهل فاس على المدينة العصرية التي أقيمت في جوار القصر ومن حوله حتى أصبح اليوم يتوسط أحياءها الجديدة (انظر مادة أولاد الدبيبغ في مكانها من هذه *المعلمة*).

أما هاهنا فنكتفي بالحديث عن القصر أو القصبة وعن أسباب تشييدها يوم كان السلطان المولى عبد الله (1729 ـ 1757) يحاول إثبات حكمه بمساندة أخواله من قبائل الأوداية القاطنين في أحواز فاس. وكان في مطلع الأربعينيات من ذلك القرن قد نفر من المقام في قصور والده في مكناس لما كان بينه وبين جيش العبيد من الصراع. ولذلك فضل المقام بين أخواله على مقربة من فاس دون أن يسكن القصور السلطانية الواقعة داخل أسوار المدينة. وكان أهل فاس بايعوه أول الأمر ثم ثاروا عليه. فكان في حاجة إلى إقامة قصر محصن يقيه ثورات أهل فاس ويمكنه من مهاجمتهم كلما اقتضت الضرورة ذلك. فاختار بقعة على نشز من الأرض غاية في التبصر الاستراتيجي على بضعة كيلومترات من الأسوار، تمكن السلطان من التحصن ومن مراقبة الوارد من فاس والقاصد إليها. وبالرغم مما يوجد عليه قصردار الدبيبغ اليوم من الخراب، إلا أن هندسته العامة مازالت ماثلة للعيان توحي بطبيعة القصور السلطانية من حيث شكلها وتوزيع المرافق الخصوصية والعمومية بداخلها.

وهي على شكل قصبة مربعة متساوية الأضلع بالتقريب، طول الضلع منها لا يقل عن سبعمائة متر، محاطة بسور مرتفع مسنن على الطريقة التقليدية لتمكين الرماة من الرماية والاحتماء من رصاص العدو. وهي على ربوة تنسرح العين فيها في كل اتجاه في سهل سايس، يوم كانت مدينة فاس لم تزل منحصرة عند وهدها الواقع في سفح جبل زلاغ. وزيادة في تيسير المراقبة أقيمت أربعة أبراج على علو مرموق في كل ركن من الأركان الأربعة تتخللها منافذ كانت تطلق منها المدافع.

وتنقسم القصبة ككل القصور السلطانية إلى عدة دور متصلة وإلى ساحات وأحواش متميزة. فهناك أولا المشور المفضي إلى قاعة الاستقبالات العمومية، بحذائه من جهة الشمال الأروى المتصلة بما كان حديقة للحيوان، ومن جهة الجنوب ساحة كانت مخيما للعساكر المكلفة بالدفاع عن القصر. وفوق تلك القاعة غرفة تنمّ رغم الدمار والخراب عن الشموخ والتأنق في الزخرفة، وهي على شكل ما يسمى عند المغاربة "مَنْزهاً" ترى منها العين مفاتن سهل سايس والجبال. ومن هذه الغرفة يطل المرء على دار الحريم بكل ملحقاته من غرف وحمامات ومطابخ وهي في السفلي جهة الشمال.

فهذه هي القصبة المسماة بدار الدبيبغ التي أضحى اسمها يطلق على المدينة الأوربية التي أقامها الفرنسيون في جوارها ومن حولها ابتداء من العشرينيات من القرن العشرين يوم فضلوا السكن منفصلين عن المدينة العتيقة. وقد كانت مقر أول معسكر لهم في فاس يوم دخلتها جيوش الجنرال موانيي في ربيع سنة 1911. ثم إنهم أسكنوا فيها قدماء من كان يقاتل في صفوفهم من الجنود المغاربة لتطويع المناطق المستعصية من المغرب. ولذلك أصبحت القصبة عرضة لكل أنواع التآكل والتلاشي من جراء الضغط الديموغرافي. مع أنها مفخرة من مفاخر الهندسة المغربية، واضحة المعالم الجمالية والعمرانية. وليست أكبر القصور في العهد العلوي ولكنها من أشدها وضوحا لمن

يريد أن يطلع من أول وهلة على شكل تلك القصور وعلى وظائفها وأساليب العيش بداخلها. وقد أقام بها المولى عبد الله إلى أن وافاه الأجل المحتوم. كما أقام بها المولى الحسن (1873 ـ1894) كلما مر بفاس، وكذلك ولي عهده وخليفته على العرش المولى عبد العزيز (1894 ـ 1907).

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، الرباط، 1986 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، ج. 7 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 4، فاس، 1932.

D. Madras et R. Maslow, *Fès capitale artistique de l'Islam*, Casablanca, 1948 ; P. Azan, *L'expédition de Fez*, Paris, 1924.

إبراهيم بوطالب

دار الدريوش، مركز حضري حديث في إقليم الناظور. يوجد على الضفة اليسرى لوادي كرت، على الطريق الرئيسية التي تربط بين الناظور والحسيمة حيث يعتبر محطة طرقية مهمة في المنطقة.

عرف المركز تطورا سريعا منذ دخول الاستعمار الإسباني الذي جعل منه مقرا لثكنة عسكرية كبيرة انطلق منها لإخضاع المناطق الموجودة إلى الجنوب والغرب. وبعد الاستقلال، أخذ الدور العسكري لدار الدريوش يتقلص وتحول تدريجيا إلى مركز حضري عرف نموا مطردا، خاصة في السنوات الأخيرة نتيجة للهجرة الدولية، ويتجلى ذلك بالخصوص، في تطور عدد سكانه الذي عرف نموا كبيرا بين سنتي 1982 و1994 يقدر بـ165٪ وهي من أعلى النسب في إقليم الناظور.

يضم المركز مقر عدة مصالح إدارية (دائرة وقيادة وجماعة الدريوش)، وصحية واجتماعية تمتد صلاحيات بعضها إلى المناطق المجاورة كدائرة الريف، كما يقدم عدة خدمات إضافة إلى كونه مقر سوق أسبوعي مهم ينعقد يوم السبت، وهو من أكبر وأنشط الأسواق الأسبوعية في إقليم الناظور.

J.J. Baraton, *Bassin et littoraux du Rif oriental : Evolution morphoclimatique et tecnotique depuis le néogène supérieur,. Etudes méditerranéennes*. Poitiers, 1989 ; P.R. Bossard, *Mouvements migratoires dans le Rif oriental : le travail en Europe. Aspect contemporain majeur des migrations dans la province de Nador*. Thèse de 3ème cycle, Montpellier, 1978 ; Centre de travaux agricoles de Driuch, *Données monographiques des communes rurales de Driuch et Dar Kabdani*.

حسن العباسي

دار السكة المغربية يتبلور تاريخها في القطع النقدية المضروبة في إحدى تلك الدور. وحسب النقود التي وقع العثور عليها قديماً وحديثاً في مختلف المراكز المنتشرة فيما كان يسمى موريطانيا الطنجية (المغرب الأقصى) والتي توجد الآن مجموعات منها في بعض متاحفنا حيث يتجلى أن المغاربة استعملوا النقود الفينيقية والقرطاجية والرومانية والوندالية، كما استعملوا نقود الدول الأوربية المجاورة للبحر المتوسط مثل الدولة الإسبانية والغالية والإيطالية، وكلها نقود ضربت بدور السكة الأجنبية، ولا شك أنها كانت تروج إلى جانب نقود مغربية ضربت محليا بدور السكك المغربية غير أننا لا نتوفر على معلومات عن نقود محلية أقدم مما عرّف به جان مازار J. Mazard في كتابه عن *النقود المغربية* وخاصة دار السكة في ليكسوس (شماس) قرب مدينة العرائش، وقد ضربت نقوداً في عهد الملك بوكوس (45 ـ 33 ق.م) وفي عهد يوبا الثاني (25 ق.م إلى 23 م) وقد برز في تلك النقود التأثير الروماني بشكل واضح. ومع الطلائع الأولى للفتح الإسلامي بدأ المغاربة يستعملون النقود الأموية المسكوكة في الشرق والتي ضربها ولاتهم بطنجة منذ عهد موسى بن نصير كما يدل على ذلك فلس نشره حسن حسني عبد الوهاب، ثم ولاتهم في الأندلس. ولاشك أن هناك دوراً للسكة أنشأتها الإمارات الأمازيغية قبل الإسلام من قبائل مصمودة وصنهاجة وزناتة ثم بعد ذلك أصبحت دار السكة من اختصاصات الدول المغربية المتعاقبة على الحكم منذ الدولة الإدريسية إلى الآن.

وقد اجتهد كثير من الباحثين للتعريف بهذه المؤسسة التي تعتبر من المؤسسات الغامضة التي تحسبها الدولة من بين أسرارها الخاصة التي لا ينبغي إطلاع الغير عليها، زيادة على اعتبار أن السكة من أهم شارات الملك. ومن هذا الجانب تدرك الصعوبة الكبرى في التعريف بهذه المؤسسة التي كان الصناع المسلمون واليهود يضربون السكة فيها أحيانا أثناء الليل إمعانا في السرية، كما أن أغلب "المعلمين" لا يكتبون، ولذلك لم تخلف عن هذه المؤسسات وثائق تذكر، وضاع كثير من وثائق الأمناء وسجلاتهم فانطمست بذلك كثير من المعلومات عن جوانب كثيرة من هذه المؤسسة، الأمر الذي جعل الباحثين يتجهون إلى القطع النقدية القديمة كمصدر للحصول على معلومات عن الصناعة النقدية وعن ضبط كثير من الأحداث والوقائع السياسية والاجتماعية والاقتصادية بواسطتها.

وقبل الإدلاء بلوائح دور السكة المعروفة لدى مختلف الدول المغربية المتعاقبة على حكم المغرب نورد صورة لما كان عليه العمل داخل دار السكة من حيث إدارتها، ومن حيث عمليات التصنيع الجارية بها حسب وصفها في الكتابات التاريخية.

"فدار السكة عبارة عن مبنى يقام ـ أحيانا ـ إلى جانب قصر السلطان على هيئة مكان مربع محاط ببعض الحجرات الصغيرة مخصصة لعمال دار السكة، وفي وسط هذه البناية

يقع مكان ناظر الدار مع العدول والكتاب، وبالقرب من هذه الدار توجد دكاكين الصياغين مع الأمين الذي تعرض عليه المصوغات ويضعُ طابعه على المقبول منها" فحينما عرضنا هذه الفقرة على أحد الرسامين المغاربة تفضل بالتعبير عن تصور العاملين بدار السكة أثناء عملية ضرب النقود كما يظهر في الصورة المرفقة، وتتميماً لهذه الصورة نورد وصفا للاطار البشري الذي يمكن تمييزه إلى قسمين : حيث يختص قسم بالتسيير الإداري والقسم الآخر بمباشرة عمليات الإنجاز، ومن القسم المسيّر :

ـ أمين دار السكة، وله السلطة المباشرة على العمال، ويقوم بتنظيم عمليات الضرب وإعداد "الإقامة"، ويحدد مقادير "الطريحة".

ـ ناظر الدار (المقدم) ويدعى أيضاً الأمين الثاني، يعمل على حفظ ومراقبة السبائك ودفع أجور الضرّاب وغيره من العَمَلة.

ـ العدول والكتاب، وهم الذين يقومون بالإشهاد وتسجيل معاملات الدار واعداد التقارير.

أما بالنسبة للإطار الذي يباشر إنجاز النقود، فيتكون من مجموعة من :

ـ "المعلمين" وأغلبهم من اليهود ولهم خبرة في العمليات الكيميائية ويحتفظون بأسرار الصنعة، وهم حريصون على "أن لا يُدخلوا معهم في صناعتهم أجنبيا".

ـ الصناع و "المتعلمين" ويعتبر "المتعلمون" دون الصناع خبرةً، ويقوم هذا الإطار بوظائف متعددة منها : وظيفة "النقاش" وهو الذي يصنع الأختام التي تضرب بها السكة الفضية بحفر كتابات عميقة مقلوبة على قطع من الحديد، كما يصنع القوالب التي تفرغ فيها الفلوس النحاسية (لوحة رقم 2). ووظيفة "السبّاك" وهو الذي يقوم بخلط المعادن بمقادير معينة وتحديد عيارها ومراقبة سبكها في "الأبواط" : (البوتقات). ووظيفة "الضراب" أي : الذي يُعدُّ صفائح الفضة أو يضرب على الخاتم. ثم وظيفة "صاحب القطع" ويعرف بصاحب المزبرة (المقص) ويقوم بإعداد قطع مستديرة من الفضة.

ويهيمن على هذا القطاع في دور السكة بالمغرب عدد كبير من "المعلمين" اليهود وهي هيمنة قديمة. وقد أوردت رسائل مديرية الوثائق الملكية المتعلقة بالقرن الثالث عشر (19 م) كثيراً من المعلومات عن كفاءتهم، وعن ممارساتهم السلبية أحيانا داخل هذه الدور، مثل القيام بالإضرابات من أجل المطالبة بزيادة الأجور، وكذا القيام بأنواع من التدليس، مما جعل تلك الرسائل تنبه على الحذر "ورد البال" تجاههم.



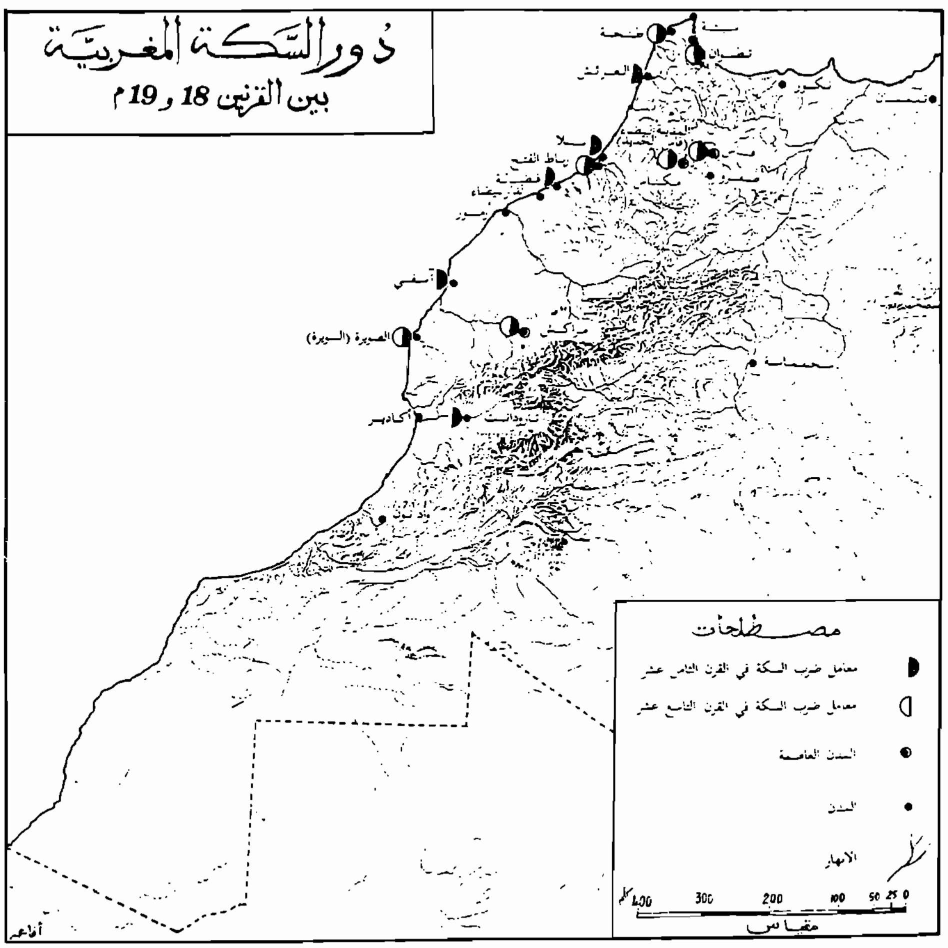
دار السكة المغربية

أما إنجاز القطع النقدية بدار السكة، فإنه يتطلب اجراء كثير من العمليات، خاصة منها ما يتعلق بمعالجة المعادن وبهندسة النقود وأوزانها، ونكتفي في هذه الدراسة بأن نسوق ذلك على سبيل الإجمال :

فحينما يقبل السلطان النماذج المكتوبة للدراهم والدنانير، تُدفع للنقاش، فيقوم إما بحفرها على الأختام المعدة للضرب في حالة نقود الذهب والفضة، أو بصنع قوالب الإفراغ في حالة النقود النحاسية (لوحة 2). وحينما تسبك المعادن بعد خلطها بمقادير معروفة، تدعى العيار أو العدة، وتحول إلى قضبان، ثم تُطرق لتتحول إلى صفائح، ثم تقطع على شكل قطع مستديرة، هي التي تصبح نقوداً بعد ختمها وضبط وزنها. هذا بالنسبة للنقود الفضِّية، أما بالنسبة للنقود النحاسية فإن المعدن عندما يتم سبكه بالانصهار، يصبُّ في قوالب الإفراغ، ثم يترك ليبرد، فيستخرج من القالب على هيئة قطع نقدية جاهزة. وهناك عمليات عديدة تجرى على المعادن النقدية لا نرى ضرورة تقديم شروح عنها هنا، مثل : التخليص والتشحير والتشليل والتشبيب وغيرها، ويمكن الرجوع إليها في مظانها مثل كتاب *الأصداف المنفضة* للجزنائي.

وعن التوزيع الجغرافي لدور السكة المغربية عبر عهود الأسر الحاكمة بالمغرب، فإننا نوردها بناء على ما توصلنا إليه اعتماداً على الأسماء الواردة على القطع النقدية، وإنما نورد الأهم منها فابتداء من عهد الدولة الإدريسية عرف عدد الدور انتشاراً واسعاً بلغ عشرين داراً للسكة، وهي على التوالي. طنجة وأصيلا. وتهليط والبصرة وورغة وإجرهان ووطيط - وليلة والعالية وسبو وورزيعة وإيكم وبهت وتاگراگرا ومريرت، وزقور ومهنا وزيز وتدغة. ولقد درسنا مجموعة من القطع النقدية، وفّرت لنا ملاحظة مدى تطور الخط الكوفي عبر هذه الدور في مستويات متفاوتة ووضعنا خريطة لمواقع هذه الدور مع ابراز حدود تلك التفاوتات. (انظر الخريطة).

وإذا كانت هذه الدور في العهد الإدريسي مركزة في مجال جغرافي محدود، فإن دور السكة في عهد الدولة



خريطة : 1

المرابطية عرفت امتداداً في مجال أوسع تبعا لاتساع الامبراطورية نحو المغرب الأوسط ونحو الأندلس يتجلى ذلك في اللائحة التالية حيث توجد دور السكة في مدن سجلماسة، مراكش أغمات، نول لمطة، فاس، سبتة، سلا، الوليجة على وادي ورغة، وفي الجزائر : تلمسان، وفي الأندلس : قرطبة وإشبيلية وغرناطة ومالقة وبلنسية والمرية والجزيرة الخضراء ولوشة ودانية وجيان ومرسية، وهناك دور أخرى أقل أهمية.

وفي العهد الموحدي بقي نفس الاتساع، فهي في : مراكش وفاس، ومكناس وسبتة وسجلماسة ورباط الفتح، وأزمور. وفي الأندلس في اشبيلية وقرطبة وبلنسية وجيان ومرسية، وفي الجزائر في تلمسان وبجاية وكذا في تونس.

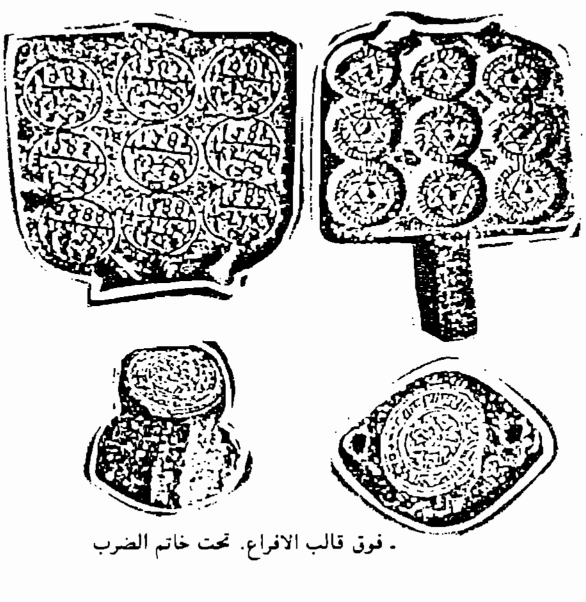
وفي العهد المريني عرفت دار السكة استمراراً من حيث الصناعة النقدية وتألقا في النقوش والخطوط، ولكن مع تراجع من حيث عدد الدور، ونذكر من بين الدور المعروفة دور سكة فاس وسجلماسة وسبتة ومراكش وتطوان ومكناس وأزمور. وفي الجزائر : تلمسان وبجاية والمنصورة والجزائر المدينة. أما في العهد السعدي فقد بلغت دار السكة أوج ازدهارها أيام أحمد المنصور الذهبي، وكانت أهم دار الضرب السكة هي سجلماسة والمحمدية : (تارودانت) ثم بعد ذلك انتشرت دور السكة هي كل من فاس ومكناس ومراكش وتافيلالت وسوس ودرعة وأكتاوة وإفران وتدعي سكة إفران بالأطلس الصغير، السكة الغيرانية أو الكهوفية (انظر الوثيقة : *بيان السكك الجارية في الغيران - مجلة تاريخ المغرب*، 1998، ص. 32).

أما في القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 - 19 م) وإلى الآن فان معامل السكة تعتبر امتداداً لما كانت عليه المعامل القديمة وذلك لعراقة هذه الصناعة في المغرب، لكن المتتبع لتطور هذه المعامل - على الأقل منذ العهد السعدي - يلاحظ أن أعداد هذه المعامل تتقلص بمرور الزمن، تتقلص من الجنوب نحو الشمال ومن المراكز الصغرى إلى المدن الكبرى. فبعد اندثار المعامل القديمة الواقعة عند التخوم الصحراوية، مثل : نول لمطة وسجلماسة وتدغة... عرف هذان القرنان استمرار ضرب السكة في عدد لا يستهان به من المعامل، وكانت توجد في كل من تارودانت والصويرة ومراكش وأسفي وفضالة والرباط وسلا ومكناس وفاس والعرائش وأصيلا وطنجة وتطوان.

غير أن هذه المؤسسات لم تشتغل - في نفس الوقت - بهذا العدد، بل كان عددها يزداد وينقص تبعا لاختيارات ملوك الدولة العلوية بناء على مدى ما وصل إليه نفوذهم السياسي وتطلعاتهم الاقتصادية. وقد استخلصنا من خلال المجموعات النقدية السالفة الذكر، إحصاءً يبين عدد المؤسسات المشتغلة في عهد كل ملك، كما يبين خطوط الاستمرار والانقطاع بالنسبة لكل مؤسسة، مما نقدمه في الجدول التالي :

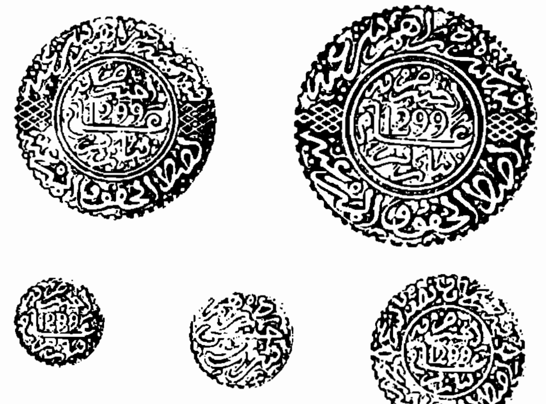
السلطان	دور السكة في عهده	عددها
مولاي رشيد	• مراكش - فاس - رباط الفتح - سجلماسة	4
مولاي إسماعيل	• مراكش - فاس - رباط الفتح - سجلماسة - مكناس - أزمور - أسفي	7
م. أحمد بن محرز	• مراكش - سجلماسة	2
م. عبد الله بن إسماعيل	• مكناس - رباط الفتح - سلا	3
سيدي محمد بن عبد الله	• مراكش - فاس - رباط الفتح - مكناس - أسفي - تطوان - طنجة - البيضاء - العرائش - سلا - فضالة - الصويرة - ردانة	13
مولاي اليزيد	• فاس - تطوان	2
مولاي سليمان	• مراكش - فاس - رباط الفتح - مكناس - أسفي - تطوان - العرائش - الصويرة	8
مولاي هشام	• مراكش - أسفي - الصويرة - مولاي إبراهيم	4
م. عبد الرحمان بن هشام	• مراكش - فاس - رباط الفتح - مكناس - تطوان - ضا (وجدة) - سلا - أسفي	8
سيدي محمد عبد الرحمان	• مراكش - فاس - رباط الفتح - تطوان - حوز (تطوان)	5
مولاي الحسن	• مراكش - فاس	2
مولاي عبد العزيز	• مراكش - فاس	2

ويتضح من خلال هذا الجدول أن عدد هذه المؤسسات بلغ أوجه في النصف الثاني من القرن الثاني عشر (18 م) في فترة السلطان محمد بن عبد الله. وبحلول القرن الثالث عشر (19 م) وقع الاستغناء شيئاً فشيئاً عن الكثير من هذه الدور ولم يبق مشتغلاً سوى دار السكة بالصويرة والرباط ومكناس وفاس وطنجة وتطوان، بل تناقص هذا العدد، في النصف الثاني من هذا القرن، حين تركزت عمليات الضرب - خاصة بعد حرب تطوان - في أربعة دور



- فوق قالب الافراغ. تحت خاتم الضرب

فقط، هي : دار السكة بمراكش والرباط ومكناس وفاس. ثم توقف العمل فيها تدريجيا، بعد سنة 1881، لما اختار السلطان الحسن الأول ضرب النقود المغربية في أوروبا وبقي معملان فقط هما دار السكة بمراكش وفاس اللذان توقفا نهائياً سنة 1901. وصارت السكة المغربية تضرب بدور السكة في كل من فرنسا وأنجلترا وألمانيا.

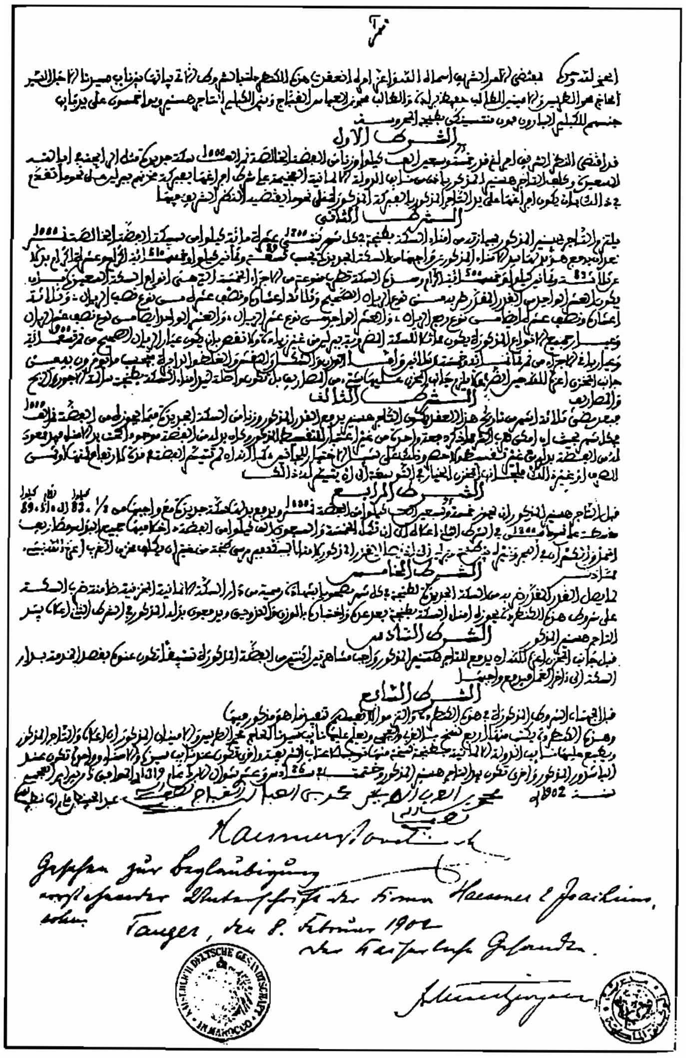


نقود حسنية ضربت في باريس

والمتبع لأطوار التاريخ المغربي، يجد أن هذا الضمور والتناقص ثم الاختفاء الذي عرفته مؤسسات ضرب السكة بالمغرب تتداخل أسبابه، فهو يسير موازيا لضمور النفوذ المخزني في المراكز الجنوبية، التي تتحكم في الطرق نحو إفريقيا الغربية : (السودان) التي تنتهي إليها تجارة القوافل. تلك المراكز التي كان يرتبط بها الكيان السياسي لمختلف الأسر المتعاقبة على الحكم بالمغرب.

كما يتواتر هذا الضمور مع طبيعة المخزن ووضعيته في الداخل، وأحوال المجتمع المغربي واقتصاده في هذه المراحل، بالإضافة إلى الأوضاع الخارجية، وما جد من تطورات في العالم الأوروبي، منذ القرن العاشر (16 م) إلى الثالث عشر (19 م). وهذه إشارات لسنا هنا بصدد تعميقها، ولكننا نؤكد أن التغلغل الأوربي فرض على المخزن أن يعيش مواجهة عنيفة ـ وليس انفتاحا ـ. تلك المواجهة التي أدت إلى نشر الوهن في كثير من مؤسساته، بل والقضاء عليها، ولم تكن مؤسسات دار السكة سوى أمثلة من ذلك.

وهكذا فقد توقفت دار السكة بالمغرب عملياً منذ الإصلاح الحسني سنة 1887 وتكبد المغرب من جراء ضرب النقود بأوروبا متاعب لا حصر لها (*مسألة النقود*، ص. 236) واستمر ضرب النقود خارج المغرب فيما بين 1881 و1987 خلال قرن كامل من الزمن، أبرم المغرب خلاله العديد من "الكنطرادات" مع دور السكة الفرنسية في باريس، والإنگليزية في لندن وبرمنگهام، والألمانية في برلين. وعلى الرغم من كون المغرب استقل سياسياً منذ سنة 1956، فان استقلال سيادته النقدية لم تتم إلا بعد ثلاثين سنة من عهد



نموذج كنطردة(*) السكة في عهد مولاي عبد العزيز 1319 (1902)

الاستقلال عند ما أسس دار السكة المغربية بسلا من جديد فاضطلعت بصناعتنا النقدية منذ سنة 1987.

الكرملي أنسطاس، *النقود العربية والإسلامية وعلم النميات*، ط 2، القاهرة، 1987 ؛ حلاق حسان علي، *تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي*، بيروت، 1978 ؛ *حول تاريخ النقود المغربية في عهد المرابطين والموحدين والمرينيين*، مجلة كلية الآداب، عدد 23 سنة1999، ص. 109 ـ 230 ؛ ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر*، منشورات، كلية الآداب، أگادير، 1988 ؛ ع. أفا، *النقود المغربية في القرن الثامن عشر*، الدار البيضاء، 1993 ؛ ع. أفا، *النقود في العهد السعدي ـ نماذج بيليوغرافية*، مجلة *تاريخ المغرب*، عدد 7 ـ 8، سنة 1998 ؛ *ملامح من تطور الخط المغربي من خلال الكتابة على النقود*، مجلة كلية الآداب بالرباط، عدد 18 سنة 1993 ؛ ابن الرفعة نجم الدين الأنصاري، *الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان*، دمشق، 1980 ؛ أ. حمدون الجزنائي، *الأصداف المنفضة في أحكام صناعة الذهب والفضة*، مخطوط ؛ ع. بن عبد العزيز الگرسيفي، رسالة

في *تحرير السكك المغربية في القرون الأخيرة*، ملحق كتاب *النقود المغربية في القرن الثامن عشر* ؛ ع. بن عبد العزيز الگرسيفي، *رسالة في تحقيق اوزان النقود سوس*، ملحق بكتاب *النقود المغربية في القرن الثامن عشر* ؛ ابن جزي، *القوانين الفقهية*، الرباط، 1962 ؛ لومبا رموريس، *الإسلام في مجده الأول*، ترجمة إسماعيل العربي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1990.

Banque du Maroc, *Caractéristiques des monnaies marocaines en argent frappées entre 1881 - 1920* (ronéotypé) ; Sidbon, B. B., *La question monétaire au Maroc*, Paris, 1921 ; Michaux-Bellaire, *Les crises monétaires au Maroc, R.M.M.*, vol. 38, mars 1920 ; Marty J. A., *Le franc marocain*, Paris, 1951 ; D. Eustache, *Corpus des monnaies alawites*, Rabat 1984 ; *Corpus des dirhams idrisites et contemporains*, Rabat, 1970 ; *Etudes numismatiques et de metrologie musulmanes, H. T.* vol. 10, fasc. 1 - 2, 1969 ; *Histoire de la monnaie et sa metrologie*, Rabat 1970 ; J.D. Brethes, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques*, Casablanca, 1939 ; H. Lavoix, *Catalogues de monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale*, Paris, 1891, T. II, III ; J. Mazard, *Corpus nummorum numidiae mauretaniaeque*, Paris, 1955 ; Hassan Housni Abdul - Wahab, *Un témoin de la conquête arabe de l'Espagne*, Revue Tunis d'institut de Cartage, 1932.

عمر أفا

دار السلطان، قصر قديم بمدينة أسفي كان معداً فيما مضى لاستقبال الملوك والأمراء. موقع هذه الدار بالقصبة العليا في مكان مرتفع، وهي مشرفة على المدينة القديمة والبحر من جهة وعلى المدينة الجديدة ومحيط أسفي البري من جهة أخرى. وعن تاريخها يقول الفقيه الكانوني : "ويظهر أنها قديمة جداً، كانت موجودة في منتصف القرن الثامن الهجري إلاّ أنها خربها البرتغال فيما خربوا من المدينة لما أخلوها وأوقدوا فيها النيران، ثم أسسها الملوك السعديون، ويغلب على الظن أن مؤسسها منهم هو أبو عبد الله محمد الشيخ المهدي حوالي منتصف القرن العاشر الهجري... وكان بعد ذلك الملوك يتعهدونها بالإصلاح كالسلطان سيدي محمد بن عبد الله فإنه نزلها لما كان خليفة عن والده على الحوز، فخلّد بها آثاراً منها داره المعروفة بالباهية وأودعها من النقش والتخريم ما يجذب القلوب وتستحسنه الطباع. وله المنتزه العالي المشرف على البحر والبر. وتوجد بها أماكن عديدة ودور وأهرية مما هو من ضروريات الملوك، وفي وسطها مسجد من محدثات ذلك العصر..." لكن جل المؤرخين الأوروبيين يرجعون تاريخ بناء هذه الدار إلى عهد الاحتلال البرتغالي. وقد أعيد ترميمها ترميماً جيداً عدة مرات خلال هذا القرن. ويوجد بها الآن المتحف الوطني للخزف.

م. الكانوني، *أسفي وما إليه قديماً وحديثاً* ؛ *دراسة ميدانية*.

عبد الرحيم العطاوي

دار الصّناعة، مؤسسة صناعية مختصة في صنع أنواع مختلفة من السفن صغيرة وكبيرة، تجارية وعسكرية. ودار الصناعة كلمة عربية الأصل انتشر استعمالها في العالم الإسلامي خلال العصر الوسيط، كما استعملت بصيغ أخرى منها : دار الصّنعة بفتح الصاد وكسرها ودار الإنشاء. ومن اللغة العربية انتقل هذا المصطلح إلى لغات البحر المتوسط اللاتينية ثم حرف إلى كلمات تفرعت عن اسم مشترك بين هذه الشعوب هو : Darse أو Arsenal، وهكذا نجد : darsena في اللغة الإيطالية والقشتالية وdarsanale وdarsena في اللغة الكطلانية وTarzana في اللغة المالطية وarsenal في اللغة الفرنسية.

وقد عرف المغرب الأقصى منذ بداية تاريخه الإسلامي إنشاء مراكز لصناعة سفن التجارة والنقل الصغيرة التي كانت تجوب عبر مسافات قصيرة بعض موانئ البحر المتوسط وكذلك المحيط الأطلسي. غير أن الانطلاقة الحقيقية لإنشاء دور الصناعة الكبيرة لم تبدأ إلا مع الدول الكبرى التي حكمت المغرب في العصر الوسيط كالمرابطين وتطورت بشكل خاص وأصبح لها صيت عالمي مع الموحدين لتعرف بعض التراجع مع بني مرين ثم لتسترجع قوتها ونشاطها مع السعديين والعلويين. وأشهر دور صناعة السفن المغربية ست أنشئت بموانئ كان لها دور رائد سواء في التجارة أو في الجهاد تجاه الأندلس وباقي موانئ السواحل الأوربية المتوسطية المشهورة.

• **دار الصناعة ببادس**، حدد الوزان موقعها خارج القصبة بجوار البحر، وهي دار صغيرة كانت تصنع فيها الزوارق والسفن الشراعية والمراكب التي كان الأهالي يعتمدونها في حملاتهم وهجوماتهم على سفن النصارى في البحر، كما كانوا يستعملونها في تنقلاتهم عبر السواحل المجاورة لمدينتهم وكذلك للتجارة خاصة في المناطق القريبة. ويذكر أن الخشب الذي كان يستخدم في صناعة السفن كان يأتي من الجبال المحيطة ببادس وهو يتميز بجودته العالية وبوفرته.

• **دار الصناعة بسبتة**، وتعتبر من أقدم دور الصناعة التي عرفها المغرب حيث تزايدت أهميتها مع تزايد حيوية المدينة وخطورة موقعها الإستراتيجي مما جعلها تتعامل مع هذا المعطى على المستويين التجاري والعسكري. ولذلك اشتهرت هذه الدار بصناعة السفن التجارية والحربية التي ذاع صيتها أيام المرابطين والموحدين والمرينيين سواء في محاربة سفن النصارى بالبحر أو في نقل الجنود إلى الأندلس. وإذا كان الزمن لم يترك أي أثر لهذه الدار يحدد موقعها في المدينة فإن كتاب *اختصار الأخبار* احتفظ لنا بإشارة فريدة تفيد بأن هذا الموقع كان بمضرب الشبكة بين ما يعرف ببحر بسول وبحر الرملة.

• **دار الصناعة بسلا**، توجد بالجانب الغربي للمدينة من جهة القبلة. لم يبق اليوم من هذه المنشأة الحضارية إلا بابان

يدلان على ضخامة البناء واتساع رقعة هذا الورش البحري.

ليس من اليسير الحسم في تاريخ بناء دار الصناعة بسلا، بسبب قلة المعلومات في المصادر، وما توحي به من اختلاف أيضا. فإذا رجعنا إلى مؤرخ سلا الفقيه ابن علي الدكالي نراه يؤكد أن هذه الدار من بناء السلطان يعقوب ابن عبد الحق المريني، وأن المشرف على بنائها هو المهندس محمد بن علي بن عبد الله بن الحاج الإشبيلي المتوفى بفاس سنة 714/ 1314. وهذه الرواية صحيحة في الغالب نظرا لما اشتهر به هذا السلطان من حرص على الجهاد، وقيامه بعدة جوازات إلى الأندلس. على أن أهم ما يؤكد الرواية هو ما يتصل بحادثة استيلاء القشتاليين على المدينة سنة 658/ 1260. وما بذله السلطان المذكور من جهد من أجل تحرير المدينة وطرد النصارى. وبالرجوع إلى المصادر المعاصرة لهذا الحدث، نجدها تتفق على أن المدينة لم تكن مسورة من جهة نهر أبي رقراق منذ العهد الموحدي، وأن السلطان أبا يوسف المريني قد أمر ببناء السور وشارك بنفسه في ذلك، وأن المهندس المذكور قد قام ببناء دار الصناعة، علاوة على أن السلطان أبا سعيد الأول كان قد أمر سنة 711 ببناء المراكب الجهادية بدار الصناعة بمدينة سلا.

وفي نفس الاتجاه ذهبت بعض الأبحاث الأثرية المعاصرة إلى تأكيد الطابع المريني لبابي هذه المنشأة، اعتبارا لطبيعة النقوش الموجودة عليها والكتابات المكونة من آيات قرآنية وبسملة وتصلية، وهي من سمات الفن المريني. فضلا عن كونها كانت محرمة في العمارة الموحدية.

جميع هذه الحجج تؤكد إذن الأصل المريني لما تبقى من دار الصناعة. غير أن هذا لا يمنع من إبداء رأي مكمل في هذه المسألة يتصل بإشارة غير واضحة وردت في بعض المصادر المرينية. ذلك أنه حينما تمت الإشارة إلى بناء السور الغربي لسلا على يد السلطان أبي يوسف أشير إلى أن مبتدأ ذلك كان من دار الصناعة إلى غاية البحر : "فسار في بنائه فبناه من أول دار الصناعة إلى البحر" حسبما ذكره صاحب *القرطاس*، وهي إشارة توحي بأن دار الصناعة كانت موجودة حينها بهذا المكان، وأن بناء السور الغربي للمدينة كان مناسبة ربما لبعض الإضافات من بينها البابان المتبقيان إلى اليوم.

وما دمنا بصدد الحديث عن بابي دار الصناعة فمن المرجح أنهما يمثلان منفذي هذا المرسى الداخلي. فقد أشار الفقيه ابن علي إلى أن المياه كانت تأتي من النهر بواسطة ترعة عميقة وتدخل من الباب المقابل لجامع حسان، فإذا صنعت سفينة جديدة بهذا المحل وأريد إرسالها في الوادي فتحت الترعة المذكورة فيدخل الماء وتعوم السفينة، فتخرج من الباب القبلي سابحة على وجه الماء إلى أن تقع في الوادي ولذلك ارتفع قوس الباب القبلي جدا نحو مائة قدم (حوالي 30 مترا) ليخرج المركب منشور القلاع.

ومعلوم أن الخشب المستعمل في صنع المراكب كان يأتيها من غابة البلوط بالمعمورة، وهناك إشارات أخرى تفيد بنقل أخشاب الأرز عبر نهر سبو إلى الساحل، وحرص السلطان أبي الحسن على التوجه بنفسه إلى جبال جاناته (غرب قبيلة زمور) ليباشر قطع الخشب للإنشاء. هذا زيادة على ما كان المغاربة يحصلون عليه من لوازم وقطع غيار السفن عن طريق التجارة.

تأثرت دار الصناعة بسلا، كغيرها من أماكن صنع السفن، بفتور عمليات الجهاد وضعف الدولة منذ عهد السلطان أبي الحسن. فهجرت وتوقف الاعتناء بها مما يفسر قيام السلطان عبد المالك السعدي بترميم باب المريسة وإصلاح قوسها، لكن ذلك لا يعني عودة دار الصناعة إلى سابق نشاطها، بل الملاحظ أن هذا المرسى قد أهمل انطلاقا من القرن الحادي عشر الهجري (17 م) بسبب تحول الأنشطة البحرية الجهادية إلى الضفة اليسرى لنهر أبي رقراق بعد هجرة الموريسكيين واستقرارهم بالرباط. وسيقع الاهتمام بدار الصناعة من جديد في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي أراد تجديدها بواسطة بعض أهل الخبرة من الدولة العثمانية، فلما عاينوا المكان قالوا إن ذلك يتطلب عشرين سنة من الإصلاح، فتخلى عن الفكرة وقرر بناء مدينة الصويرة.

وقد تحولت دار الصناعة ابتداء من سنة 1222 / 1808 إلى حارة لسكنى اليهود الذين تم نقلهم من ملاحهم داخل المدينة لأسباب استوجبت ذلك. ومعنى هذا أن الرمال كانت قد غمرت المكان وسمحت بالبناء.

• **دار الصناعة بطنجة**، يظهر أنها كانت زمن الموحدين من أنشط الدور في إنشاء المراكب الخاصة بنقل المسافرين والبضائع سواء في اتجاه موانئ مغربية أخرى أو في اتجاه الأندلس، وقد نبه الإدريسي إلى أهمية المدينة كمركز إقلاع وحط وإنشاء المراكب.

• **دار الصناعة بفاس**، أنشأها الخليفة عبد المومن الموحدي بالموضع المعروف بالحبالات من أرض ابن عبودة التي بقرب ملتقى وادي فاس مع وادي سبو. وقد تخصصت هذه الدار في إنشاء القوارب والسفن الصغيرة عندما كان الخليفة يستعد لفتح المهدية بأفريقية سنة 552 هـ. وقد استمرت هذه الدار في نشاطها حتى في عهد بني مرين حيث نجد السلطان أبا عنان يأمر بإنشاء جفنين أحدهما شيطي والثاني شلير. ويظهر، حسب ابن الخطيب، أن هذه الدار تعرضت سنة 762 هـ لحريق مهول أتى على جميع محتوياتها. وتجدر الإشارة إلى أن دار الصناعة هذه هي الوحيدة من نوعها التي تشير إليها مصادر العصر الوسيط كدار أنشئت على واد يخترق مدينة داخلية، في حين جرت العادة أن تكون دور الصناعة في مراسي مدن ساحلية. وتفيد نفس المصادر بأن المراكب والسفن التي كانت تصنع بهذه الدار كان يلقى بها في وادي سبو لتعبره حتى تصل إلى المعمورة عند المصب وتدخل البحر المحيط لتصبح بعد ذلك جاهزة للعمل.

• **دار الصناعة بالقصر الصغير** أو قصر مصمودة، ولعل موقع المدينة الاستراتيجي على بحر الزقاق كان له دور كبير في بنـاء دار لصنـاعـة السفن خـاصـة المراكب والـزوارق والحراريق، ويتأكـد هـذا إذا علمنـا أن المدينـة كـانت خلال العصر الوسيط معبرا مهما للجيوش المغربية ومحطة إقلاع للمسافرين والبضائع نحو الأندلس. وقد اعتمد نشـاط هذه الدار على خشب الغابـة التي تغطي جبل أنجرة القريب من المدينة.

الإدريسي، *وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية* (مقتطف من *نزهة المشتاق*)، نشر هنري بيريس، الجزائر،1957، ص. 108 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط1973، ص. 301، 398 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972، ص. 94 ؛ ع. الحق البـادسي، *المقصد الشريف*، تح. أ. أعراب، الرباط، 1982، ص. 52، 61، 74، 75، 96،95، 134 ؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، تح. أ. مختار العبادي، الدار البيضاء،1985، الجزء الثـاني، ص. 273 ؛ ع. الجزنائي، *جنى زهرة الآس*، الرباط، 1991، ص. 37 ؛ ابن بطوطة، *تحفة النظار*، بيروت، د. ت.، ص. 435 ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة*، بيروت،1988، ص. 312 ـ 317 ؛ *العبر*، بيروت، 1978، الجزء السابع، ص. 544 ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار*، الرباط، 1983، ص.51 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، بيروت، 1983، الجزء الأول، ص. 322، 325 ـ 326 ؛ أ. ابن القـاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص.45، 288 ؛ أ. النـاصـري، *الاستقصا*، 1955، الجزء الثالث، ص.22 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح. م. بوشعراء، الرباط، 1986، ص. 63 ـ67 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط، 1979، ص. 76، 77، 78 ؛ *العلوم والآداب والفنون*، الرباط،1977، ص. 253 ـ 255 ؛ ع. الهادي التازي، *الأسطول المغربي عبر التاريخ*، *مجلة البحث العلمي*، الرباط، العدد 33، نونبر 1982، ص. 15 ـ 47 ؛ ع. سالم وأحمد مختار العبادي، *تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس*، بيروت، 1969.

Encyclopédie de l'Islam, Nouvelle édition, Leiden, 1977, T. 2, pp. 132 - 134 ; M. Lombard, *Arsenaux et bois de marine dans la Méditerranée musulmane (VIIe - XIe s.)*, dans *le navire et l'économie maritime du moyen âge au XVIII siècle*, Travaux du 2ème colloque international d'histoire maritime, Paris, 1958 ; H. Terrasse, *Les portes de l'arsenal de Salé*, *Hesp.*, 1922 ; G.S. Colin, *Fès, port de mer*, *B.E.P.M.*, n° 183, 1945 ; R. Dozy et W.H. Engelmann, *Glossaire des mots espagnols et portugais dérivés de l'arabe*, Beirut, 1974 ; G. B. Pellegrini, *Terminologia marinara di origine araba in italiano e nelle lingue europee*, in *La navigazione mediterranea nell Alto medioevo*, Settimane di studio del centro italiano di studi sull' Alto medievo, XXV, Spoleto, 1978, Tomo secondo.

رشيد السلامي ومحمد فتحة

دار الضمانة لقب لمدينة وزان بعـد أن اتسعت وكثـر عمرانها حين استقر بها مولاي عبد الله الشريف العلمي اليملحي وأسس بها زاويته الشهيرة في النصف الثاني من القرن الحادي عشـر (17 م). وبـذلك أصبحت مـدينـة وزان نقطة التقـاء لقبائل بني مسارة من الشرق، ومصمودة من الغرب والجنوب، واغزاوة ورهونة من الشمـال. وغدا زوار مولاي عبد السلام ابن مشيش والتجار القادمون من داخل المغرب وجنوبه في اتجاه الشمال، أو العائدون منه، يخترقون مجال زاوية وزان ويسيرون في حماية دار الضمانة.

بالإضافة إلى موقع وزان عند قدم جبل بوهلال الذي أعطاه ميزة خاصة في الامتداد السكاني وتطوره اقتصادياً وعمرانياً. وشجّع شيوخ وزان الاقتصاد بهذه المدينة، وسمح سيـدي أحمد بن علي الشيخ السـادس للزاويـة بـاستقـرار اليـهود فيـهـا تنشيطاً لحركـة التجارة، فكـان تجار اليـهود يعيشون بأمان في وزان دار الضمانة.

وبمزيد انتشـار نفـوذ زاويـة وزان في أرجـاء المغـرب وخارجـه، اتسـع مجال دار الضمـانـة وشمل حتى نـزاعـات القبائل وتمردها على المخزن، فكان اللجوء إلى شرفاء وزان (دار الضمـانـة) مـن هـذا الطرف أو ذاك لإصلاح ذاك البين وإعادة المياه إلى مجاريها.

ح. الطاهري، *تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان*، ط. حجر فـاس، 1324 ؛ ع. اللـه الـوزاني، *الروض المنيف في التعريف بأولاد مولانا عبد الله الشريف*، مخطوط؛ العياشي السربوت، *دار الضمانة*، *مجلة أبعاد فكرية*، ع 2، 1989.

G. Drague, *Esquisse*, Paris.

العياشي السربوت

دار الطراز، أو دار الـديبـاج، وهي مشغل ووظيفـة مخزنيـة خـاصـة بـالملوك، وقد كـانت لعظمـاء الملوك منذ التاريخ القديم صناعة خاصة بملابسهم وأثوابهم ؛ وانتقلت هذه الـوظيفـة في العهـد الإسلامي مع تعديل فـي زخارف الأثـواب والألبسـة فبـدل صـور الملوك أو الأشكـال والصـور المعينـة أدخل ملـوك الإسلام على منسـوجـاتهم وملابسهم أسمـاء وحكمـاً وكلمـات مميـزة، وقـد كلفوا بهـذه الخطة أو الـوظيفة أقـرب الناس إليهم أو من حظي بثقتهم وعـرف في العصـر الوسيط بصـاحب الطراز (*العبر*، ج. 1 ؛ *المقدمة*، 266 و267) وكانت مهامه تنحصر في الإشراف على العمال وأجورهم وصيـانة الآلات والأدوات وإصلاحها وتـوفير المواد التي تـدخل في النسيج من صبـاغ وصـوف وكل ما تحتـاجـه المهنـة. عـرفت الـدولـة الإسلاميـة في المشـرق هـذه الـوظيفـة وعـرفتهـا الـدولـة الأمـوية بـالأنـدلس وملوك الطوائف ؛ ومن الملاحظ عند استعراض الدول مشرقـا ومغربا وعند النصارى أن دور الطـراز كـانت تحظى بعنـايتهـا بـل وتحرص على تكـوينهـا فهـي من أبهـة الملك، وكمـا قـال ابن خلـدون في *المقدمة*، ص. 267 : "...كـان ذلك فـي الـدولتين من أبهـة الأمور وأفخم الأحوال".

لم تتخذ الدولة الموحدية في المغرب، وهي في عظمتها، دار طـراز لا لسـذاجتهـا كمـا قـرر ابن خلـدون وتـشـددهـا

الديني، ولكنها دولة انبنت على القوة ومحاربة التبذير والبذخ (*البيان المغرب*، 144 و145) والميل إلى الخشونة في المأكل والملبس والمظاهر، ويلاحظ ذلك في آثارهم وما تركوه من مباني (الكتبية بمراكش وصومعة حسان بالرباط كنماذج).

وفي عهد بني مرين تم إحداث هذه الوظيفة خاصة في الفترة الأولى وهي فترة القوة والشموخ متأثرين في ذلك بملوك بني الأحمر في غرناطة (*المقدمة*، 267). ولأخذ فكرة عن مكونات دار الطراز أو محتوياتها فقد عاصر ابن الخطيب مثل ابن خلدون فترة من فترات قوة المرينيين وعظمتهم. ويصف ابن الخطيب حرائق نشبت في القصر السلطاني بفاس المعروف بقصر أبي قير أتت على المخازن وامتدت إلى دار الطراز. يقول ابن الخطيب في (*نفاضة الجراب*، 273) : "...اتصلت بدار الديباج فالتهمت من الحديد والأثواب وآلات النسيج وضخام المناول وألواح الرسوم وحبال التمويح وعقار الصبغ وغزل الذهب ما لا يأخذه الوصف".

ومن الأسباب الأخرى التي لم يذكرها ابن خلدون والتي جعلت كبار سلاطين بني مرين يهتمون بدار الطراز، شيوع الاحتكار التجاري وتعاطي بعض السلاطين وأشياخ بني مرين وموظفيهم الكبار له، وكانت المنسوجات الرفيعة من أهم سلع التبادل التجاري مع السودان وغيره من البلدان أي أنها كانت سلعة لجلب الذهب، إضافة إلى اهتمام المرينيين بالعلاقات الخارجية مع الدول الإسلامية وغير الإسلامية، وتوجيه هدايا فاخرة إلى حكامها ومن ضمنها المنسوجات (*القرطاس*، 387 ؛ *المسند*، 193 و452).

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج. 1 ؛ *المقدمة*، بيروت، د. ت. ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، بيروت، 1948 ؛ ابن الخطيب السلماني، *نفاضة الجراب*، تح. أ. مختار العبادي، القاهرة، د. ت. ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ابن مرزوق التلمساني، *المسند الصحيح*، الجزائر 1981.

محمد حجاج الطويل

دار ابن **العامري**، "مركز فلاحي حديث من المراكز الهامة ببني حسن في منطقة الغرب. يقع على ضفة وادي بهت على بعد 50 كلم من الخميسات و8 كلم من سيدي سليمان. تزدهر به فلاحة البساتين والحوامض، وبه عدة ضيعات نموذجية" بهذا عرّفه الصديق بن العربي في كتابه *المغرب*. واشتهر مركز دار بن العامري أكثر بمعامل تقطير *الزهر (زهر الليمون) وتعليبه في قنينات مختلفة الأحجام* تغطي الأسواق المغربية في جميع الجهات.

تنسب دار ابن العامري إلى القائد محمد بن العامري عامل السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام على وجدة، وهي أهم العمالات في ذلك العصر لموقعها على الحدود مع الجزائر التي احتلها الفرنسيون آنذاك. وقد ورد اسم ابن العامري في بعض المعاهدات المبرمة بين هذا السلطان وفرنسا.

ص. بن العربي، *المغرب*، ط. 2، بيروت، 1984 (ص. 129) ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 5 : 159 و228.

محمد حجي

دار العدة بفگيگ، عبارة عن خزانة علمية كبرى، أسسها الشيخ الإمام عبد الجبار بن أحمد بن موسى البرزوزي الذي عاش ما بين (820 ـ920 هـ). وهي خزانة علمية خصص لها داراً بجانب مسجده وجعل نواتها ما كان قد اجتمع بين يديه من مصنفات في مختلف ميادين المعرفة آنذاك، جمعها خلال مدة دراسته وجولاته بين مختلف مدن المغارب، كفاس وتلمسان وبجاية والقيروان ومن مصر وغيرها. ولم يطلق عليها اسم "دار العدة" اعتباطا بل كان يعي أن طالب العلم والباحث عن المعرفة يحتاج إلى عدة من كتب يعتد بها كما يحتاج المحارب إلى عدة السلاح والزاد للحرب والمواجهة. ولا يمكن أن تكون دار العدة في مستوى ذلك الوصف إلا إذا كانت عامرة بكل ما يروي نَـهَم الطالب والعالم الباحث في زمانه. وقد تطورت محتويات هذه الخزانة بما أضافه أبناؤه وحفدته من بعده، سواء بما صنفوه وألفوه من كتب ومذكرات أو بما جلبوه إلى خزانتهم أثناء جولاتهم الدراسية، خاصة منهم أبناءه العلماء الثلاثة : محمد وأحمد وإبراهيم، وحفيده أبا القسم بن محمد وغيرهم.

ومن جملة المخطوطات التي ألفها الإمام عبد الجبار وبنوه وأضيفت إلى خزانتهم على سبيل المثال : *تفسير القرآن* في اثني عشر مجلدا، و*مختصر حياة الحيوان*، و*روضة السلوان* وهي *أرجوزة في علم الصيد* لابنه إبراهيم، و*نظم مختصر الشيخ خليل* لحفيده أبي القاسم بن محمد، وكتاب *الحاوي المنوط بالفتاوي* له أيضا، وكتاب *الفريد في تقييد الشريد وتوصيد الوبيد* كذلك.

ومما يدل على حجم هذه الخزانة وأهميتها ليس فقط في ذلك المجال الصحراوي فحسب بل على مستوى الخزانات المغاربية، شهادات عدد من الرحالة الحجاج العارفين والعلماء الزائرين ممن قصدها للاطلاع على كنوزها العلمية، منهم مفتي الجزائر الشيخ سعيد قدورة (ت. 1066/ 1656). وأبو سالم العياشي في طريقه إلى الحج عام 1072 /1662. لكنه لم يتيسر له الدخول إليها معلقا على ذلك : "...وطلبت الدخول إلى خزانة كتبهم فلم يتيسر لغيبة الذي عنده المفتاح". كما زارها شيخ الزاوية الناصرية أحمد بن ناصر الدرعي عندما مر بفگيگ إلى الديار المقدسة عام 1096 وعام 1121 وقد أبدى إعجابه وأسفه في نفس الوقت مما رأى حيث يقول : "... ورأيت عندهم (آل عبد الجبار)

كتبا غريبة وهي إلى الاندثار قريبة". وأبدى الهشتوكي نفس الانطباع صحبة شيخه أحمد ابن ناصر بقوله : "ودخلنا إلى خزانتهم العظيمة وتبركنا بها ورأينا فيها كتبا غريبة، غير أنها لعدم من يعتني بها للاندثار قريبة".

ولم يكن نقصان ما بالخزانة من كتب بسبب الإهمال وإفساد الأرضة فحسب بل كان بعض أفراد أسرة آل عبد الجبار يأخذون منها الكتب من حين لآخر لبيعها خارج البلدة الفگيگية، وهذا ما حدا بفقيه منهم اسمه عبد القادر بن محمد بن عبد الجبار أن يطلب من القاضي محمد بن إبراهيم بن عبد الجبار الجمالي الودغيري تحرير وثيقة وقف، لما بقي من كتب الخزانة سواء ما كان باقياً بدار العدة نفسها أو ما تم جمعه من أفراد الأسرة وغيرهم وإرجاعه إلى الخزانة. وقد جاء في رسم الحبس الذي كتب في أواسط ربيع النبوي عام 1165 ما يلي :

"... هذا وإن ما جمعه الوالد المذكور (الإمام عبد الجبار) وأولاده في صدر القرن العاشر من خزانة الكتب بدار العدة المشهورة ببلاد فجيج من أجل خزائن المدن وأكبرها وليس الخبر كالعيان حبسٌ على من ينتفع بها من الذرية وغيرهم بالنظر فيها والانتساخ منها إن كان أهلا لذلك ثم ترد بعد ذلك لمحلها، معقّبٌ مؤبد ووقفٌ صحيح مخلد لايباع ولا يورث حسبما شهد به الجم الغفير (...) من أهل بلدة فجيج خلفا عن سلف".

ورغم هذا الجهد المبذول لجمع شتات هذه الخزانة العلمية العظيمة، فإن ذلك لم يمنع محمد بن عبد السلام بن ناصر شيخ الزاوية الناصرية الذي زارها في طريقه إلى الحج عام 1196/ 1781 أن يقول عنها : "كانت لهذا الإمام (العلامة عبد الجبار) وبنيه من بعده خزانة كتب عظيمة احتوت على دواوين غريبة ثم تلاعبت بها أيدي الحدثان (...) فتفرقت شَذَرَمَذَر حتى لم يبق منها إلا الأثر". وبالفعل اندثرت هذه الخزانة وتفرقت شذرمذر ولم يبق منها غير الأثر حسب تعبير ابن ناصر الدرعي، ويتمثل هذا الأثر الآن فيما يقارب الأربعين أو الخمسين مخطوطا بعضها كامل والبعض الآخر عبارة عن أضابير وأوراق متناثرة يحمل بعضها عناوين كتب مفقودة لا أثر لها. وقد تم جمع هذا الأثر منذ بضع سنين في خزانة خشبية بضريح العلامة عبد الجبار كشاهد على هذه الخزانة الجليلة المقدار التي كانت في فترة من فترات التاريخ المغربي منارة للعلم في الجنوب المغاربي.

أبو سالم العياشي، *ماء الموائد* (رحلة العياشي)، ط. حجر فاس ؛ أحمد بن ناصر الدرعي، *الرحلة الناصرية*، ط. حجر فاس ؛ أ. الهشتوكي، *هداية الملك العلام*، مخطوط خ. ح. ؛ م. بنعلي بوزيان، *واحة فگيگ*، 1987 ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية*، 1977 ؛ *وثائق خاصة*.

أحمد مزيان

دار عْديــّل بفاس، تقع بحومة المعادي في فاس القديم (فاس المدينة). ويرجع تاريخ تأسيسها إلى أواسط القرن الحادي عشر (17 م) (*الإتحاف*، ج. 2، ص. 126). وكانت أسرة عْديّل التي شيدت هذه الدار تتولى عادة أمانة جباية مكوس فاس. وكانت إدارة هذه الأمانة، قبل عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757 ـ 1790) تتمركز في فندق النجارين القريب من ضريح المولى إدريس الثاني (*L'organisation des finances au Maroc*, p. 223). إلا أنه بعد نكبة الحاج الخياط عْديل وإخوانه على عهد هذا السلطان صودرت أموالهم ودارهم لفائدة المخزن. ومنذ ذلك التاريخ انتقلت أمانة جباية المكوس من فندق النجارين إلى دار عديل (*L'organisation des finances au Maroc*, p. 223).

وفي عهد الحماية استغلت هذه الدار في مآرب إدارية متنوعة. فقد تحولت إلى سجن لتأديب العصاة من أهل فاس في مرحلة، ثم تمّ تحويلها في مرحلة لاحقة إلى وكالة بنكية، وبعد ذلك أصبحت مقراً ومخفراً للشرطة (رواية شفوية). وتعتزم وزارة الثقافة الآن استغلالها كمرفق لتدريس الموسيقى الأندلسية حيث بدأت الاستعدادات الأولية لتحقيق ذلك.

تتكون دار عديل من طبقين فسيحين في غاية من الجمال المعماري. وقد تم ترميمها سنة 1419 الموافق 1998 بالتعاون بين وزارة الثقافة ومنظمة اليونسكو وبتمويل من الحكومة الإيطالية، وتم تدشينها يوم فاتح ذي القعدة 1419 الموافق 18 فبراير 1999 (*لوحة تذكارية توجد بمدخل دار عديل*).

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، الجزء الثاني، الرباط، 1930.
E. Michaux-Bellaire, *L'organisation des finances au Maroc*, *A.M.*, Vol. XI, 1905.

العربي اكنينح

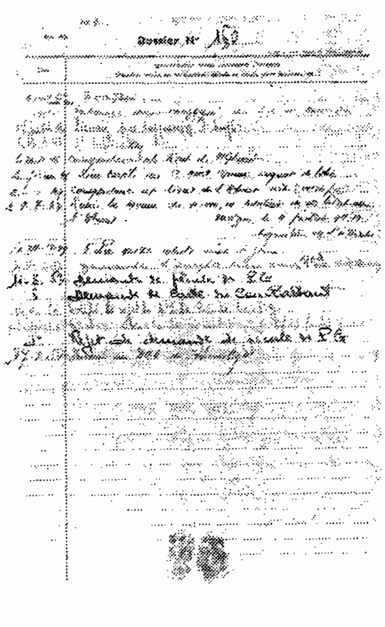
دار العسكري، في 13 مارس 1935، أسس المارشال فرانشي Franchet d'Espérey بباريس "لجنة الصداقة الإفريقية"، ذات صبغة جمعوية على شاكلة هيئات الصليب الأحمر. وحددت أهدافها في تقديم الدعم المادي والمعنوي للمنخرطين في سلك الجندية الفرنسية سواء كانوا فرنسيين أو من أبناء المستعمرات...

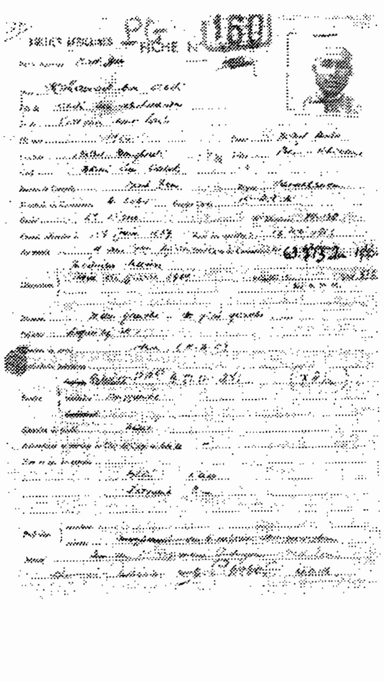
واهتمت هذه اللجنة بقضية قدماء المحاربين المغاربة، فأنشأت لهذا الغرض سنة 1936 مؤسسة "دار العسكري"، وهي مؤسسة وسيطة اهتمت بقضايا هؤلاء وتابعت وضعياتهم... وكانت في نفس الوقت أداة تنفيذية للأعمال الاجتماعية على المستوى المحلي. وفي نفس السنة فتحت بعض ديار العسكري أبوابها في مدن فاس ومكناس وتازة... ثم شملت منذ سنة 1937 مدنا أخرى كالرباط والدار البيضاء والقنيطرة والصويرة ووزان وميدلت... وفي

15 دجنبر 1937، كان عدد *المسجلين بهذه الديار* : 4.632 عسكريا. واهتمت هذه المؤسسة بتوفير المعلومات العسكرية والإدارية والقانونية... مع تقديم الإرشادات الضرورية والإسعافات الطبية والمساعدات الغذائية والمدرسية لفائدة قدماء الجنود وعائلاتهم، دون أن تفصح في ذلك عن أغراض سياسية أو طائفية. وعملت هذه المؤسسة كذلك على تشغيل قدماء المحاربين، كلما أتيحت الفرصة، في أوراش العمل المختلفة. وفي هذا الإطار تم التنسيق مع البلديات ومكاتب المراقبة المدنية لتوفير الشغل لهذه الشريحة، وتقديم الخدمات الصحية لأعضائها بالمجان. كما ارتبطت بعلاقات تنسيق وتعاون مع بعض المصالح الاجتماعية كاللجان المحلية للصداقة الإفريقية والمكتب المغربي لقدماء المحاربين ولجنة الصليب الأحمر والمصلحة الاجتماعية للجيش... وشكلت هذه المصالح طرفا ممولا لمؤسسة "دار العسكري".

وبلغت عدد أيام العمل الممنوحة لقدماء المحاربين : 64.259 يوم عمل، بمبلغ إجمالي قدر بـ : 364.600 فرنك، مع تقديم 700 وجبة من الحساء يوميا. وفي سنة 1952، بلغ عدد قدماء المحاربين بالمغرب : 140.000 محارب. ويلغ عدد ديار العسكري 28 داراً في سنة 1954، انخرط فيها 112.000 عسكري. وفي سنة 1955 ارتفعت نفقاتها إلى 40 مليون فرنك.

كان يشرف على التسيير الإداري والمالي لكل "دار عسكري" : مدير وكاتب ومحاسب... وكانت بناياتها تتمركز بالثكنات العسكرية أو بالإدارات التابعة للمراقبة المدنية. وفتحت دار العسكري أبوابها لجميع أصناف العسكريين المغاربة بغض النظر عن رتبهم وعن نوع الجندية التي كانوا يمارسونها، وبغض النظر عن نوع تقاعدهم ومعاشهم...





ووضعت لكل منخرط جذاذة تضمنت رقما خاصا، واسم المدينة التي تنتمي إليها دار العسكري، وصورة للمنخرط ومعلومات شخصية حوله، كالاسم والعنوان ورقم البطاقة العسكرية ونوع المعاش والحالة العائلية، ونوع الوظيفة العسكرية والأقدمية... كما منحت للمنخرط بطاقة تعريف خاصة. وكانت دار العسكري تحتفظ في أرشيفاتها بملفات هؤلاء العسكريين وتتضمن كل الوثائق التي تهم المنخرط ووضعيته وجميع مراسلاته...

وخضعت ديار العسكر المحلية لنيابة جهوية وجد مقرها المركزي بمديرية الشؤون السياسية بالرباط. ولعب النائب الجهوي دور المنسق بين هذه الديار ودور المفتش لها، وفي نفس الوقت لعب دور الوسيط بين لجنة الصداقة الافريقية بباريس وديار العسكري بالمغرب.

بعد الاستقلال، تراجع دور ديار العسكر سنوات، إلى أن توقفت سنة 1965 بسبب صعوبات مختلفة كتلك التي تتعلق بالكفالات والتعويضات.

Bulletin d'information et de documentation du Maroc, Mercredi 15 décembre 1937 ; P.L. Sebault, *Les amitiés africaines et les Diar el Askri du Maroc*, *C.H.E.A.M.*, n° 717 ; Col. Serieyx, *L'œuvre des amitiés africaines, la Nouvelle Revue Française d'outre-mer*, n° 6, Juin 1955.

صالح شكاگ

دار الفارس، تقع بدكالة وراء الجرف الأصفر، كانت مثل قرى سايس وتَارْتير تابعة لقبيلة مشنْزاية البربرية، وهي ميناء صغير كان يُصدر منتجات محلية، ومنه أخذ البرتغاليون قبل احتلالهم لمدينة أسفي يقتنون الحبوب، كما كانوا يفعلون ذلك في الموانئ الصغيرة الأخرى التي كانت تزدحم فيها مراكبهم. يقول الرحالة البرتغالي بَرْبرا : "يوجد هنا كثير من القمح والشعير، وغالبا ما تأتيها السفن لشرائها...". وتؤكد بعض الإيصالات هذه الحقيقة. وكان الوسطاء يدفعون سلعا مستوردة مقابل تلك الحبوب.

وفي سنة 1502 وعد يحيى الزيات الذي تم طرده من أسفي في سنة 1498 البرتغاليين بتسليمهم ميناء دار الفارس مقابل إعطائه السلطة على قبائله قرب أسفي، ولكنه خاب في مسعاه.

وبعد أن رفعت القبائل الحصار الذي ضربته على مدينة أسفي في سنة 1510، طلب سكان مدينة الغربية الأمان من القبطان البرتغالي، لكنه رفض هذا الطلب، فالتجأوا إلى الحاخام أبرهم ليشفع لهم لدى الملك، ولكنه استغل خوفهم ليطلب منهم التنازل للملك عن حصن تارتير وميناء دار الفارس.

أ. بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي*.

R. Ricard, *La côte atlantique*.

محمد الشياظمي

دار القاضي أو دار الحاج علي نْ القاضي بحاحة، اشتهرت محلياً بالأمازيغية (تيكمّي ن لوضا) أي دار السهل لأنها حصن صغير يقع في سهل منبسط تحيط به جبال عريضة بمثابة أسوار حول حمى الحصن الذي يشرف على السهول والربى المجاورة شرقي الطريق الرئيسية بين الصويرة وأݣادير عند نقطة مركز سميمو على بعد حوالي 40 كلم جنوب الصويرة.

هذا الحصن الشهير بحاحة الشمالية بـ (دار القاضي) أو (تكمي ن لوضا) تعود أسباب شهرته إلى أنه كان مسرحا لأحداث مؤلمة ظلت منقوشة في الذاكرة الشعبية بعضها وقع في عهد الحسن الأول والبعض الآخر ارتبط بأول زحف للجيوش الفرنسية على منطقة حاحة في اتجاه سوس والجنوب.

ذلك أن هذه الدار المنيعة بأسوارها كانت من بناء أسرة الحاج علي نْ القاضي الذي تولى قيادة قبيلة ايداوسارن الحاحية في أوائل عهد السلطان الحسن الأول، ولكنه سرعان ما تعرض لهجمات جاره القائد مبارك أنفلوس الطموح إلى أن يجمع كل قبائل حاحة الاثنتي عشرة تحت نفوذه وحده دون غيره ممن وزع عليهم السلطان الجديد تركة القائد الكبير الحاج عبد الله أُبهي الحاحي الذي امتد نفوذه على حاحة كلها وسوس فأصبح يهدد السلطة المركزية.

وعندما اشتد الصراع بين صاحب الدار الحاج علي نْ القاضي ومنافسه القائد مبارك أنفلوس أمر السلطان بالقبض عليهما والزج بهما في السجن إلى الأبد، وهناك توفي صاحب الدار الحاج علي ن القاضي عام 1299 / 1881 وتعرضت أسرته للضياع والتشرد فأصبحت الدار خالية لا يسكنها إلا البوم. وبعد ثلث قرن من التهميش والنسيان قفزت دار الحاج علي نْ القاضي إلى صدارة الأحداث التاريخية في المغرب وفرنسا سنة1331 / 1912 وكتبت بأحرف بارزة في مقدمات الصحف الباريزية والدولية بعد ما تمت محاصرة قبائل حاحة للجيوش الفرنسية الزاحفة من مدينة الصويرة إلى مدينة أݣادير قرب هذه الدار الحصينة، وعندما أقبل الليل واشتد الحصار على الفرنسيين الذين كانوا ينتقلون بعربات تجرها الخيول، فلم يجدوا بدا من الدخول إلى هذا الحصن كملجأ يقيهم من ضربات الأهالي التي تنهال عليهم من كل الجهات بعد ما تخلى عنهم القائد محمد أنفلوس الذي وعدهم بأن يساعدهم ويحميهم حتى يصلوا إلى ميناء أݣادير لوقوع سوء تفاهم بينهم. بل أرسل رسله إلى القواد والقبائل يحثهم على استنفار المجاهدين ضد النصارى لمحاصرتهم بدار القاضي. فصار المنادون ينادون في الأسواق لحث الناس على الجهاد بدار الحاج علي ن القاضي. ودام هذا الحصار من يوم 17 / 12 / 1912 إلى يوم 24 / 12 / 1912. ثم استمر القتال بين المجاهدين بقيادة القائد محمد أنفلوس النكنافي والقائد عبد الرحمان الݣيلولي من جهة وبين الفرنسيين بقيادة (اليوتنان البيرت) والقبطان ما سوتي ومن معهم من قواد الحوز الموالين لهم كالقائد عبد المالك المتوݣي والقائد خبّان والأݣلاوي وغيرهم كثير.

وقد اضطرت الجيوش الفرنسية أثناء الحصار بداخل هذه الدار إلى ذبح الخيول لأكل لحومها وامتصاص ما تبقى في بطونها من ماء لإطفاء جمرة عطشهم القاتل، وذلك قبل أن تقوم الطائرة بإمدادهم بما يحتاجونه من طعام وشراب ترميه من السماء فوق الحصن المطوق من كل جهة، وقد سقط في معركة دار القاضي الشهيرة عدد كثير من قتلى الجانبين. قدر الفرنسيون ضحاياهم بـ 76 قتيلا وأكثر من ذلك سقط من المجاهدين الأهالي. وقد حرص الفرنسيون على إقامة نصب تذكاري لجندية فرنسية ماهرة في الرماية تمكن أحد المجاهدين الحاحيين من قتلها رميا وهي داخل الحصن فدفنت بمكان مصرعها وفوق قبرها على جدار الحصن رخامة بيضاء كتب عليها اسمها. إلا أن هذه الرخامة تعرضت للكسر والإتلاف فلم يبق إلا مكانها وأخبارها يرويها الرواة.

وكان حرص الشاعر الشعبي الحاحي المدعو إيشّو قوياً على تخليد هذه المعركة بما نظمه من أشعار نضالية تحثُّ على الجهاد مازال معظمها متداولاً بين الناس باللسان الأمازيغي كقوله :

1 - تيكمي لوضا ا غ ئيگا ورومي تاغويّتْ
2 - ئيشّا مضْروسْ، ئيشّا گيسْ تيفيّ ن ئيسَانْ
3 - تامونت ايركازن زرع أسيف ئيمون

ترجمة لتقريب المعنى :

1 - في دار السهل يصرخ النصراني مستنجداً
2 - وفيها اضطرّ إلى أكل الجيف من الخيول
3 - اتحدوا يارجال، فإني رأيت عظمة النهر في تجمُّع مياهه

محند أيت الحاج، مظاهر الحياة الثقافية بحاحة وايداوتنان خلال القرن 14، د. د. ع. مرقون ؛ *تقارير بعض الضباط الفرنسيين محفوظة بدائرة تمنار حول هذه الأحداث* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 3، ص. 407.

محند أيت الحاج

دار القايد التونسي، موقع بدكالة يقع على بعد 90 كلم جنوب شرق مدينة الجديدة و13 كلم جنوب مركز أربعاء العونات وستة كلمترات غرب الزاوية التونسية.

وقد أخذ هذا الموقع شهرته من محطة القطار التي كانت موجودة به خلال السنوات الأولى من فترة الحماية، زمن أول خط للسكك الحديدية بالمغرب، والمعروف بالخط العسكري أو الخط الضيق. وقد بدأت عملية تشييد شبكة السكك الحديدية العسكرية انطلاقا من الدار البيضاء في اتجاه مراكش سنة 1911، حيث وصلت إلى دار القائد التونسي سنة 1915.

واعتبرت محطة دار القائد التونسي، آنذاك، نقطة التقاء بين الدار البيضاء ومراكش وبين الجديدة عبر سيدي بنور. ومازالت هناك، حاليا، بقايا قنطرة على وادي الفارغ انطلاقا منها كان يتفرع الخط في اتجاه سيدي بنور، إضافة إلى بقايا خزان ماء مازال تاريخ بنائه منقوشا عليه (28/ 11 /1919). وبالقرب من هذا الخزان توجد بقايا منازل مهدمة تحمل طابعا معماريا فرنسيا، تبرز من بينها دار رئيس المحطة ودار رئيس ثكنة، وغير بعيد عنها بقايا مصنع للحَلْفاء.

إضافة إلى هذا ارتبط هذا الموقع باسم القائد سيدي أحمد التونسي الذي عينته فرنسا سنة 1912 قائدا على قبيلة العونات والذي كان، آنذاك، زعيما للزاوية التونسية، التي تأسست في بداية القرن الثاني عشر (1126 /1714)، من طرف الشيخ التونسي بن مبارك الذي ينتسب إلى قبيلة بني سبع بمنطقة الحوز والمتتلمذ على سعيد أحنصال مؤسس *الزاوية الحنصالية.*

تحريات ميدانية.

E. Bouasla, *La zaouia tunisienne des Doukkala, Histoire sociale et économique* (XVIIIe - XXe siècles), *H.T.*, vol. XXVIII, 1990 ; J. Bouquerel et F. Joly, *Chemins de fer, Atlas du Maroc, Notices explicatives, Section Géographie Economique* ; *Voies de communication, Planche n° 44a*, Comité de Géographie du Maroc, Rabat, 1955 ; M. Michaux-Bellaire, *Villes et tribus du Maroc*, Vol. 10, *Région de Doukkala*, tome 1 : *Les Doukkala*, Paris, 1932.

إسماعيل خياطي

دار القايد الحاجي أو قصبة الحاجي، أحد المعالم التاريخية والعمرانية بإقليم أسفي. صادف بناؤها تاريخ تعيين أول قائد من أسرة الحاجي المسمى "سليمان البيري السباعي"، الذي شغل في ذات الوقت منصب باشا مدينة الصويرة. وحسب ما توصلنا إليه، فإنها لعبت أدوارا هامة، سياسية، واجتماعية، ودينية، خلال النصف الأول من القرن الحالي.

عندما نتحدث عن دار القائد الحاجي نقصد ذلك التجمع العمراني المحصّن بسور، له مدخلان رئيسيان "النخيلة والبئر"، كما كان يطلق عليهما زمن القائد، يؤديان إلى وحدات عمرانية وتجهيزات مرفقية متميزة بأقصى الجهة الجنوبية لإقليم أسفي. وبداخل الدار يوجد المسجد وكتّاب كان يُدرس فيه القرآن للأطفال وقسم للزاوية التجانية، كان يتلو فيه المريدون الأوراد، ثم المنصة المرمرية التي كانت تتخذ مكانا للقضاء يستقبل فيه القائد شكايات سكان القبائل التي كانت تدخل في حوزته، ثم هناك مجموعة من المرافق المرتبطة بالدار، كمطبخ كبير يضم أفرنة مختلفة الأحجام كان يشتغل به حوالي ثلاثين خادمة، وحمامات تقليدية وتسعين خزانا أرضيا للحبوب، ثم رباط للخيل يسع حوالي خمسين حصانا، ومطحنة تقليدية مصنوعة من الحجر الصلب تديرها الدواب، ومخزن لزيت الزيتون. هذا فضلا عن الشكل المعماري المتميز الذي توجد عليه مجموعة الدور التي تتكون منها دار القائد الحاجي، وبإحداها تبدو الرياض التي أعد تصميمها بطريقة تتلاءم مع عاداتنا الإسلامية، وحجرة الضيوف التي تكون قريبة من المدخل، وحجرة أخرى بالداخل يظهر أنها كانت مخصصة لاستقبال الضيوف طولها عشرة أمتار وعرضها حوالي ثلاثة أمتار أحيطت "بمضرّبات" محشوة بالصوف الخالص، أغلفتها مازالت تحتفظ بألوانها الزاهية، وفي الوسطى فرشت زربية يظهر أنها من صنع محلي، وبالداخل تشكل بقية الحجرات محاطا يتوسطه فناء واسع تحيط به الأبهاء المرفوعة بالسواري المكسوة بالزليج الملون مع وجود طابقين بهذه الدار زينت بعض غرفها بنوع من النقوش المعروفة في تاريخ العمارة الإسلامية.

وقد عرفت دار القائد الحاجي قبل الحماية وبعدها بمحافظتها على الشخصية المغربية. وشاركت في الحركة الوطنية بما كانت تقدمه من مساعدات مادية ومعنوية للوطنيين مثل ما قدمه القائد أحمد الحاجي من سلاح ومؤن للثائر أنفلوس، مما تسبب في نفيه بمدينة الصويرة بعدما تبين للمستعمر الفرنسي تضامنه الوطني، كما كان الاتصال على أشده بين القائد والسلطان بواسطة الرسل، أو عن طريق الاتصال المباشر، وأعدت المواطنين للانخراط في العمل الوطني.

ومن الشخصيات العلمية التي زارت هذه الدار نذكر : محمد المختار السوسي، الذي خصها بالحديث في أحد مؤلفاته، والمؤرخ عبد الرحمان بن زيدان وشيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، وفقهاء آخرين من جامع القرويين بفاس ومن جامع ابن يوسف بمراكش...

ولا يفوتنا الحديث عن الجانب الترفيهي الذي كانت تمثله هذه الدار، حيث كانت تتوفر على جوق نسوي للموسيقى الأندلسية، يقوم بإحياء الحفلات، وجدير بالذكر أن هذا الجوق كان في معظمه يتكون من النساء منهن ريحانة والطرينجة وعود الصباح الخ، وكان يرأس هذا الجوق رجل يدعى أبا هشوم من مراكش.

تحريات ميدانية.

علال ركوك

دار القيطون بفاس، تقع بجوار جامع الشرفاء المقابل لباب الحفاة من ضريح المولى إدريس الأزهر. ذكر ابن أبي زرع في سبب بناء هذه الدار أن المولى إدريس أسس أولاً عدوة الأندلس عام اثنين وتسعين ومائة (808 م) وأدار بها السور واستقرّ بها، ثم شرع في بناء عدوة القرويين في سنة ثلاث وتسعين، وكان موضعها شعراء وغياضاً ملتفة فبقي يقطع الشجر والخشب ويبني في موضعه، وأعجبه ما رأى

من كثـرة العيـون فيهـا وتـدفق الأنهـار، فـانتقل مـن عـدوة الأندلس إليهـا، ونزل منهـا بموضـع يعرف بـالمقرمـدة، وضرب فيه قيطونه، وأخذ في بناء الجامع وهو المسجد المعروف الآن بجـامع الشـرفـاء وأقـام فيـه الخطبـة ثم أخذ في بنـاء داره المعروفة الآن بدار القيطون التي يسكنها الشرفاء الجوطيون من أولاده" (ص. 38).

والجوطيون الذين يشير إليهم ابن أبي زرع هم الطالبيون المنسـوبـون إلى جـدهم يحيى الثـاني الجوطي حفيـد إدريس الأزهر. الذي خرج في غمـرة محنـة الأدارسـة بعـد انقراض ملكهم من فـاس إلى جوطـة، وهي مـدينة منـدثرة كـانت تقع على الضفة الجنوبية لوادي سبو في بلاد الخلط.

وكـان الطـالبيـون سـدنـة ضـريـح جـدهم المولى إدريس ويسكنون لـذلك دار القيطون إلـى أن أُجلوا عن فـاس. وبعد انتهاء المحنـة كان الطـالبيون أول مَنْ رجع من الأدارسة إلى فـاس وسكنوا دار القيطـون من جديد إلـى أن أخرجهم منهـا أبـو الحسن المريني أو ابنـه أبـو عنـان بسعي من الخطيب ابن مرزوق التلمساني صهر العمرانيين، فانتقل الطالبيون لدرب السعود والصفّاح من عدوة الأنـدلس وعُـوضوا عن فتوحات ضـريح جدهم بفتـوحات ضـريح سيـدي علي بـوغـالب، وبقي فـريـق العمرانيّــين الــذين أصبحــوا يُــدعون الإدريسيين القيطـونيين يعتمرون دار القيطـون ويتـولـون سدانـة الضـريح الإدريسي إلى الآن.

ع. ابـن أبـي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ع. القـادري، *الدر السني في بعض من بفاس من أهل النسب الحسني*، ط. حجر فاس، 1308؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، ط 2، المحمدية، 1999، ج. 2 : 5041 ؛ م. حجي، *بوطالب أو الطالبيون الجوطيون*، *معلمة المغرب*، 5 :1738.

محمد حجي

دار الكبداني، (جماعة ومركز حضري بإقليم الناظور)، تكـوِّن إحدى الجمـاعـات السبع التي يشملهـا تـراب دائـرة الدريوش وتبلغ مسـاحتها حوالي 97 كلم^2 أي ما يعـادل 6٪ فقط من مجمـوع المسـاحـة الإجمـاليـة للدائـرة، الشي الـذي يجعل منهـا ثـاني أصغـر جمـاعـة في الدائـرة بعـد جمـاعـة تازغين.

يتميز سطحها بوجود وحدات تضاريسية متنوعة تتمثل في الجبال والهضـاب ثم السهـول. تحتل الجبـال حوالي 27٪ من المسـاحـة الإجمـاليـة للجمـاعـة وهي جبـال متـوسطـة الارتفـاع. أما الهضـاب فتمتد على مسـاحة أوسع وتتكـون أسـاسـا من سطوح ارتبط ظهورهـا بتطورات الزمن الـرابع، وهي عبارة عن سطوح متقطعة تتخللها مجموعة من خطوط الشبكـة المائيـة الموسميـة الجريـان. وتكـوّن السهـول الـوحدة الثـالثـة ممتدة أسفل السطوح السـابقة على جوانب المجاري المائية الكبيرة.

عـرف حـوض الكبـداني تطـورات على مستـوى بنـاء السطح، وتعـود أهم فتـرات تكـوينـه إلى الـزمن الثـالث، خـاصـة فتـرة النيـوجين الأعلى التي شهـدت توضّـُع مـواد طَـفلية سميكـة انتهت بتـوضع مواد خشنـة عبـارة عن رمـال وحصى يزيد سمكهـا أحيانا على عشرة أمتـار، كمـا شهدت هذه الفترة نشـاطـا بركـانيـا مهمـا سـاهم في بنـاء المنطقة. وعـرف الحوض خلال الزمن الرابع مجموعة من التطورات خلفت عـدة أشكـال سطحيـة يتمثـل أهمهـا في المستـويـات الـربـاعيــة المنبسطـة، كمـا تـركت عـدة أجيـال من المواد السطحيـة والأتـربة المتنـوعـة بعضهـا غني جدا ويلعب دورا مهمـا على مستوى النشاط الفلاحي.

وعلى عكس مـا هـو عليـه الحال في بعـض الجمـاعـات (الدريوش مثلا)، فإن المواد القادرة على خزن المياه الجوفية كـالكلس البحيـري تكـاد تنعدم فـي الحوض، الشيء الـذي يـؤثـر على الموارد المائيــة البـاطنيــة التي تتميـز بضعف كميـاتهـا وبعمق فـرشاتهـا الـذي يتـراوح بين 25 م و80 م، ويكون هذا العنصر عائقا كبيرا أمـام استغلالهـا. من جانب آخر سـاعد وجود سحنـات طفلية هشة وسميكـة على نشـاط التعـرية التي أدت إلى إتلاف مسـاحات مهمـة من الأراضي القابلة للاستغلال.

على المستـوى المنـاخي، تتلقى جمـاعـة دار الكبـداني حوالي 350 ملم موزعـة على 35 يوما كمتـوسط، وهي غير كـافيـة لضمـان قيـام نشـاط فلاحي مهم، كمـا أنهـا غيـر منتظمة في توزيعها السنوي والبيسنوي.

يعيش على مساحـة الجماعة 11.400 فرد حسب إحصـاء 1994 مــوزعين على 2.629 أسـرة. وتبلـغ كثـافـة السكـان 117،5 نسمـة في كلم^2 وهي من أعلى الكثـافـات في إقليم الناظـور. وقد عـرف سكـان الجمـاعة تطـورا سلبيا بين سنتي 1982 و1994 حيث تراجع عددهم بنسبة 15٪ نتيجة النزوح القروي والهجرة الدولية.

يعتمـد سكـان الجمـاعـة في عيشهـم على مجمـوعـة من الأنشطـة أهمهـا الفلاحـة والهجـرة والتجـارة. تبلغ المسـاحـة الصـالحة للزراعـة حسب تقديـرات مـركـز الأشغـال الفلاحيـة بالدريـوش حوالي 6.370 هكتـار أي مـا يعـادل65،6٪ من مجموع أراضـي الجماعـة منها 6.220 هكتار بوريـة وحوالي 150 هكتـار مسقيـة. وتتـوزع بـاقي الأراضي على الغـابـات بنسبة20،6٪، والمراعي بنسبة 7،6٪ والأراضي غير الصـالحة للاستغلال بنسبة 6،5٪.

تستغل المسـاحـة القـابلـة للزراعـة في إنتـاج الحبـوب وتعـود ملكيتهــا إلى حـوالي 2.000 فلاح (17،5٪ مـن مـجموع السكـان) يملك جلهم (حـوالي 75٪) أقـل مـن 5 هكتارات.

بالإضـافة إلى الزراعة، تحتل تربية الماشية موقعا مهما في حيـاة السكـان. غيـر أن هذا النشاط يعرف حاليـا تراجعا مستمـرا في الجمـاعـة، مثل مـا هـو عليـه الحال في بـاقي

الجماعات الأخرى في المنطقة. ويقدر عدد رؤوس الماشية بحوالي 10.500 رأس، تحتل ضمنها الأغنام المرتبة الأولى.

إلى جانب النشاط الفلاحي تعرف الجماعة هجرة دولية نشيطة حيث تشير بعض التقديرات (Bossard, 1978) إلى أن عدد المهاجرين يمثلون ما بين 5 و10٪ من مجموع السكان يساهمون عن طريق تحويلاتهم المالية في الرفع من المستوى المعيشي في الجماعة وذلك من خلال تقوية القدرة الشرائية لدى سكانها. ويؤدي ذلك أيضا إلى إنعاش النشاط التجاري الذي يقوم أساسا على تداول البضائع المهربة من مدينة مليلة القريبة.

وقد ارتبط نمو دار الكبداني كمركز بالوجود الاستعماري الإسباني الذي اتخذ منه قاعدة عسكرية لإخضاع ومراقبة المناطق المجاورة. ويعرف حاليا تطورات سريعة تحوله تدريجيا إلى مركز حضري مهم. غير أن موقعه وبعده عن المحاور الطرقية المهمة يجعلان هذا النمو بطيئا، عكس ما هو عليه الحال بالنسبة للمراكز المجاورة كابن الطيب والدريوش وميضار.

يقدم المركز عدة خدمات للسكان باعتباره مقراً للعديد من المصالح الإدارية (مقر الجماعة وقيادة بني سعيد) والصحية والاجتماعية. كما يتوفر على أحد أهم الأسواق في إقليم الناظور هو سوق الثلاثاء.

تحريات ميدانية.

J.J. Barathon, *Bassins et littoraux du Rif oriental, Evolution morphoclimatique et tectonique depuis le Néogène supérieur, Etudes méditerranéennes.* Poitiers, 1989 ; P.R. Bossard, *Mouvements migratoires dans le Rif oriental : le travail en Europe. Aspect contemporain majeur des migrations dans la province de Nador.* Thèse 3ème cycle, Montpellier ; Centre de travaux agricoles de Driuch, *Données monographiques des communes rurales de Driuch et de Dar Kebdani.*

حسن العباسي

الدار الكبرى أو الكبيرة بمكناس، عبارة عن قصور إسماعلية، كُتب على بابها الأصلي تاريخ الفراغ من بنائها سنة 1090 (1680 م) وتحتوي على قصور عديدة، تتخللها أزقة ذات شكل مستطيل مقبوة السقوف بها نوافذ للإضاءة.

تمتد الدار الكبرى من قصر الستينية المحاذي لساحة لالة عودة وتنعطف يسار الحي الإسماعيلي وحي سيدي النجار ثم تذهب موازية لمر الدربية حتى قصر النصر المجاور للستينية. وأشار الزياني في كتابه *الترجمان* إلى هذه الدار فقال : "ثم أسس الدار الكبرى بجوار ضريح الشيخ المجذوب".

ومن بين قصور الدار الكبيرة، قصر الستينية الفسيح الذي يزيد طوله على مائة متر وعرضه على خمسين، وقصر النصر الذي بناه المولى إسماعيل أيام خلافته لأخيه مولاي رشيد بمكناس (1664 ـ 1672) وعرف هذا القصر فيما بعد بدار لالة باني، ثم هناك قصر مولاي زيدان، وقصر الشعشاع، وكلها ذات طراز هندسي رفيع ولا يخلو أي منها من مسجد وأهمها مسجد الرخام أو مسجد القصبة والجامع الأخضر.

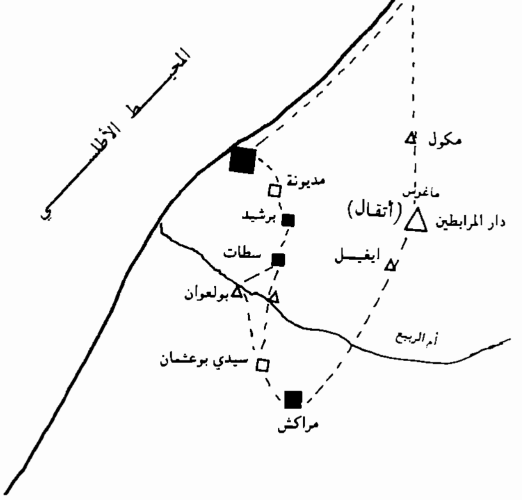
ومن قصور الدار الكبرى ذات الأهمية، قصر الكشاشين وكان معداً للطبخ وشؤونه وخزن لوازمه وسكنى القيمات بمباشرة ذلك. وأحاط السلطان مولاي إسماعيل (1672 ـ 1727) هذه الدار بأسوار ضخمة وأبراج عالية، حتى صارت كأنها قلعة حربية، وكانت تسمى دار الخلافة، وقد استغرقت مدة بنائها ثمانية أعوام 1672 ـ 1680، وتغيرت معالمها حاليا بفعل الهدم الذي لحق بعض قصورها والإضافات المعمارية التي شوهت المعالم الأثرية الأصلية.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط 1929، الجزء الأول ؛ م. المنوني، *دليل القصبة الإسماعيلية*، مجلة *دعوة الحق*، العدد 4، السنة 1967 ؛ تحريات ميدانية.

بوشتى بوعسرية

دار المرابطين وردت في النصوص الوسيطية بهذا الاسم وباسم انقال (*نزهة المشتاق* 3 : 237) وأنكال (*الروض المعطار*، 35)، وحاول الدارسون لهذه النصوص وللآثار الأركيولوجية توطين الموقع (القرية) لكن محاولاتهم بقيت مجرد اجتهاد وتخمين. ورسم ماسينيون في كتابه *المغرب في السنوات الأولى من القرن السادس عشر* خريطة في موقع قصبة مديونة (خارطة تامسنا (الشاوية) ونظن أن موقع دار المرابطين قريب من مدينة الكارة الحالة وسط سهول الشاوية.

وإذا رجعنا إلى النصوص الأصلية وقرأنا بإمعان استبعدنا هذا الافتراض فالشريف الإدريسي يقول في *نزهة المشتاق* (3 : 237) "... من أم ربيع إلى قرية إيغيسيل مرحلة [عيون كثيرة دفاقة بالماء بين صخور صلدة وهذا الماء يتصرف في سقي كثير من زروعهم] ومنها إلى قرية أنقال مرحلة ويقال لها دار المرابطين أيضاً..."



يتبين من هذا النص أن دار المرابطين (أنقال) تبعد عن إيغيسيل ـ التي هي گيسر الحالية ـ حسب محقق كتاب *التشوف* ـ بحوالي 30 كلم، وإذا تتبعنا الإدريسي منذ خروجه من مدينة مراكش نلاحظ أن دار المرابطين شكلت المرحلة السادسة بعد تونين وتقطين وغفسيق وقرية أم ربيع وايغيسيل وقرية انقال (دار المرابطين) ثم مكول وإكسس فسلا.

إن دار المرابطين واقعة ما بين إيغيسيل : گيسر الحالية، وهي مقر جماعة قروية تابعة لإقليم سطات (على الطريق الثانوي سطات ـ قلعة السراغنة) وما بين مكول وهو مكان معروف إلى اليوم على مقربة من جمعة مليلة وهي مقر جماعة قروية تابعة لإقليم بنسلمان وواقعة على الطريق الثلاثية الرابطة ما بين مدينة بنسليمان ومدينة الگارة. أي أننا نسير حسب الشريف الإدريسي في خط شبه مستقيم ابتداء من قرية أم ربيع، أما القول بأنها مديونة فبعيد جداً لأن مدينة مديونة منحرفة كثيراً عن الطريق التاريخي.

ومن القرائن التي تقربنا من التحديد الصحيح لموقع دار المرابطين كون نص الإدريسي دقَّق في مسألة المراحل فجعل قرية دار المرابطين (أنقال) وقرية مكول في مرحلة واحدة مما يعني أن القريتين كانتا متقاربتين، ونقدر بناء على نص الإدريسي الذي قد تؤكده التنقيبات الأثرية لو توفرت الإمكانيات، وبنسبة كبيرة من اليقين أن قرية انقال (دار المرابطين) هي قرية ماغوس التي وردت أوصافها في *رحلة* لسان الدين ابن الخطيب من فاس إلى مراكش مروراً بتامسنا وبمراعاة الفارق الزمني بين رحلتي الشريف الإدريسي (ت. 548 ـ 1154) ولسان الدين ابن الخطيب (ت. 776 ـ 1379) الذي يزيد على قرنين غيّر كثيراً من معالم القرية، فتطورت حتى أصبحت حاضرة ثم بدأت تتدهور حتى أصبحت كما وصفها ابن الخطيب : "... وعند الصباح شرعنا في الارتحال، وعين الشمس بمرض الضباب مفتقرة إلى الاكتحال، فسلكنا خندق هارون، فحص خراز، ومأزق براز، ومظان احتراز، إلى دشر مكول، وهو إلى الفناء موكول، وبرجل الخراب من الأعراب مركول. ولما رأينا جنابه غير مأنوس، وقد امتاز بلبوس البوس، جزناه إلى ماغوس، دشار الزاوية، ومركز الخطوط المتوازية، ومناخ الرفق السارية، وحاضرة تامسنا حيث مجلس قاضيها، وتشاجر ساخطها وراضيها، وحمام متوضيها، دشاركبير، يأكل من هري ويشرب من بير، فقد النضارة، وعدم مرافق الحضارة، إلا أنه على الاختزان أمين، ولحفظ الحبوب ضمين، ما لم تعث شمال للفساد ويمين، فاتخذ به مسجد شان النقصُ من مناره، لقصور درهمه وديناره، فمنظره شنيع، وحماه غير منيع..." (*نفاضة الجراب*، 89).

أما الشريف الإدريسي قبله فقال عنها "... بها عين عليها أقباء وماؤها معين، كثيرة الزرع والمواشي والإبل والبقر، وقبالتها فحص طويل قد انحشرت إليه طيور النعام..."(*نزهة المشتاق*).

حسب الوصفين ونص الرحلتين والدراسات الطوبونيمية فالمكان المقصود موجود ما بين مكول ومدينة الگارة إن لم يكن الگارة نفسها، والفحص المذكور عند الشريف الإدريسي هو سهل المذاكرة من سهول الشاوية الخصبة.

أما الإشكال والالتباس الذي أوقعنا فيه اجتهاد ماسينيون وسواه فيتعلق بالخلط ما بين طريقين أو مسلكين مختلفين ربطاً ما بين مدينة مراكش ومدينة سلا : الطريق التاريخي (الخليفي الذي بقي مسلوكاً حتى عهد المرينيين ؛ والطريق المعدل الذي أصبح أكثر أهمية في العهد السعدي والعلوي. فالطريق الأول ينطلق من مراكش إلى تونين (سيدي بوعثمان) ومن هذا المفترق يسير باتجاه نهر أم ربيع حيث يتم قطع النهر قرب قرية أم ربيع ثم يسير باتجاه ايغيسيل (گيسر) فأنقال (دار المرابطين) فمكول ... وهكذا.

أما الثاني فينطلق من مفترق تونين (سيدي بوعثمان) لكنه يسير باتجاه بولعوان حيث يقطع وادي أم ربيع ثم يتجه نحو سطات فبرشيد ثم مديونة وهو الطريق الرئيسية الحالية (مراكش ـ الدار البيضاء ـ سلا.

بقي أن نشير في الختام إلى أن الاسم الأصلي للقرية (أنقال أنكال) اسم بربري، أما دار المرابطين التي ذكرها الإدريسي فمحدثة، وهذا يحيلنا على فترة الصراع ما بين المرابطين والموحدين من جهة والبرغواطيين من جهة أخرى ؛ وقد أدرك الشريف الإدريسي بقايا الأزدهار الفلاحي الذي كانت عليه تامسنا في العهد البرغواطي، ولاشك أن الصراع أفرز تهجير العناصر الأصلية من موطنها (أنقال) واجتمعت فيه العناصر المحاربة للبرغواطيين من المجندين والمتطوعين (المرابطين) فاتخذوا من القرية معسكراً ورباطاً لهم.

الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، الطبعة الايطالية، المعهد الشرقي بنابولي، د. ت. الجزء الثالث ؛ ع. المنعم الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1957 ؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، الدار البيضاء، 1989 ؛ ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1984 ؛ م. حجاج الطويل، *النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط*، أطروحة، مرقونة، بكلية الآداب بالرباط، 1998 ؛ *تحريات ودراسة ميدانية*.

L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du 16ème siècle*, Alger, 1906 ; Martin [et al], *Géographie du Maroc*, Paris - Casa, 1967 ; Allain, *Une organisation agricole Almohade, Hesp.*, 2è - 3è trim., 1954.

محمد حجاج الطويل

دار ابن **مشعل**، قرية كانت توجد بجبال بني يزناسن على بعد عشرة كيلو مترات غرب بركان وسبعين كيلو مترا جنوب شرق مليلة، بأراضي قبيلة بني اورمش، ظلت قائمة

البنيان إلى حدود سنة 1690 حيث اندثرت معالمها الحضارية في ظروف غامضة فتضاربت الأقوال بشأنها وسيطر الخيال القصصي على الواقع التاريخي، فلا مناص لاستجلاء حقيقة الأمور من استعراض ما نتوفر عليه من الثوابت.

ورد ذكر دار ابن مشعل، أول مرة، في رسالة للكونت دي ألكوديتي (Comte de Alcaudete) الوالي الإسباني على وهران في ما بين 1534 و1558، يخبر فيها بوصول قائد من لدن الشريف السعدي إلى دار ابن مشعل من أراضي تلمسان، وورد ذكرها أيضاً في رسالة إسبانية أخرى بتاريخ 15 شتنبر من سنة 1595 تخبر بثورة المولى الناصر ضداً على عمه المنصور الذهبي وتفيد أن الأمير الثائر اعتصم بجبال بني يزناسن بعد انهزامه، وتثبت أن دار ابن مشعل قرية كبيرة بين تلمسان ومليلة على بعد عشرين فرسخا من مليلة، وجاء أيضاً في وثائق إسبانية يتراوح تاريخها بين 1609 و1614، أن الحروب التي قامت، غداة وفاة المنصور الذهبي بين أولاده وحفدته، كانت قد ألزمت ولده أبا فارس وحفيده عبد الله ابن الشيخ المامون بالاعتصام بدار ابن مشعل، وذلك بعد انهزامهما على يد المولى زيدان.

ولما انقرضت الدولة السعدية وبزغ فجر الدولة العلوية، تحركت الأقلام الأجنبية لنقل بعض ما كان قد بلغ إلى علم أصحابها من صدى الأحداث، فجاء في تقرير لمجهول انجليزي، سنة 1669، أن المولى الرشيد بطش بشيخ يهودي كان من الأغنياء، نزل ضيفاً عليه، ثم قتله واستولى على كنوزه، ويتأكد من رسالة لبعض أعضاء سفارة أنجليزية لدى المولى الرشيد سنة 1670 أن هذه الواقعة جرت بدار ابن مشعل.

أما الفرنسي مويت (Mouette) الذي كان أسيراً لدى المولى الرشيد والمولى إسماعيل، والذي نشر كتاباً عن تاريخ قيام دولتيهما صدر سنة 1683، فإنه قال عن المولى الرشيد إنه أراد أول الأمر أن يتحصن ببعض الحصون فباغت قلعة دار مشعل (كذا) بحجة زيارة عاملها، ثم أمر بتعذيبه ليقر له بمخابئ كنوزه، وانتزع من يهودي كان يسكن بنفس القلعة أزيد من مائتي مثقال، وهو ما يساوي المليون من سكتنا، مما كان قد تجمع لديه من تجارة تلك الجهات التي كانت كلها بيده. كما ذكر مويت هذا دار ابن مشعل بصفة كونها قرية منيعة، لدى تعرضه لثورات المولى أحمد بن محرز على عمه المولى إسماعيل.

وفيما يرجع للمصادر العربية يبدو أن المؤلف المجهول صاحب *تاريخ الدولة السعدية*، هو أول من ذكر دار ابن مشعل، علماً بأن هذا الكتاب لا يمكن أن يكون قد وضع قبل اعتلاء آخر الملوك السعديين عرش المغرب سنة 1654 ولا بعد وفاة المؤرخ اليفرني في حدود سنة 1740، ولقد قال هذا المؤلف المجهول عن المولى عبد الله بن الشيخ المامون إنه هرب إلى دار ابن مشعل مع عمه مولاي أبي فارس، وقال أيضاً : "ولما استقر مولاي عبد الله وعمه أبو فارس بدار ابن مشعل، اجتمعت عليه رؤساء العرب مع محلة شراقة"، وهو ما يثبت أقوال الوثائق الإسبانية السابق ذكرها.

وحيث إن اليفرني نهل مباشرة من هذا المؤلف، فإنه ثاني من ذكر دار ابن مشعل من المؤرخين المغاربة، قال في *نزهة الحادي* عن المولى الرشيد : "ولم يزل يجول في البلدان طمعاً في اقتناص الملك إلى أن أدته خاتمة الجولان إلى قصبة ابن مشعل، فوجد فيها يهودياً من أهل الذمة، له أموال طائلة وذخائر نفيسة، وله على المسلمين صولة واستهزاء بالدين، فلم يزل مولانا الرشيد ينظر في كيفية اغتيال ذلك اليهودي إلى أن مكنه الله منه في قضية يطول جلبها، فقتله وأخذ أمواله وذخائره، وفرقها فيمن تبعه وانضاف إليه، فتقوّى بذلك عضده".

ثم كتب محمد بن الطيب القادري صاحب *نشر المثاني* فقال عن المولى الرشيد إنه خرج من تافيلالت ثاني وعشرين من شوال سنة 1069 إلى تدغة، ثم إلى الزاوية، ثم إلى دار ابن مشعل، هكذا وجدت مقيداً عن الحافظ الفاسي، وقال لدى ذكر اتصال المولى الرشيد بالشيخ اللواتي : "فبينما هو مقيم عنده، إذ رأى رجلاً بهيئة من خيل وأتباع ومماليك، وهو يصطاد كهيئة الملوك، فسأل عنه من هو، فقيل ابن مشعل من يهود تازا"، فثارت لدى الأمير الناهض ثائرة الغيرة على الإسلام، واستعان بطلبة زاوية الشيخ اللواتي لإنقاد الإقليم من طغيان ذلك الذمي. إلا أن القادري عاد ليثبت، وهو يلخص أحداث قيام الدولة العلوية، أن المولى الرشيد بويع ببلاد أنگاد والضهرة وتافرطة ومسول وزناتة، وملك دبدو ودار ابن مشعل وكارت والريف، كما أثبت أن المعركة بين مولاي مَحمد ومولاي الرشيد دارت في دار ابن مشعل وأن مولاي مَحمد دفن في دار ابن مشعل بعد مقتله.

وهذه الرواية هي الراجحة لدى أبي القاسم الزياني الذي كتب في *الترجمان* عن مقتل المولى مَحمد قائلاً : "ولما وقف الرشيد على أخيه حمله وتوجه به ليدفنه ببني يزناسن، فطرق دار ابن مشعل ببني يزناسن فقتله وأخذ ماله وما عنده وتقوى به ... ودفن أخاه في دار ابن مشعل ورجع لوجدة". مما يجوز أن يفهم منه أن دار ابن مشعل كانت وحدة حضرية أو أنها لم تكن سوى منزل يهودي يحمل ذلك الاسم، وكلا القولين لهما ما يبررهما لدى هذا المؤرخ، فإنه ذكر في معرض حديثه عن حركات المولى أحمد بن محرز في *الترجمان*، أن المولى إسماعيل بلغه أن الترك جاؤوا بمحلتهم واستولوا على بني يزناسن وعلى دار ابن مشعل وأن كلامهم مع ابن أخيه أحمد بن محرز، لكنه في *البستان الظريف* وفي *الروضة السليمانية* عاد فقال عن المولى الرشيد إنه احتاج إلى مال وكان أخذ ولد الذمي ابن مشعل معه فجاءت أمه تطلب فداءه، فتعلل عليها وتفرس فيها وقال لها لا أعطيه إليك حتى تدليني على مال زوجك أو أقتل هذا الولد، فأنعمت له بذلك وركب معها إلى الدار

فدلته على خزانة في بيت، فنقب عليها فوجد فيها خوابي مالا ذهبا وفضة. والذي يدعو إلى أخذ أقوال الزياني بعين الاعتبار أنه استُعمل على تلك الأقاليم في دولتي سيدي محمد بن عبد الله وولده المولى سليمان، كما أنه أقام برهة من الزمان بمدينة تلمسان. وبالرغم من تدوينه لتلك الأحداث بعد مرور أزيد من قرن كامل عليها، فإنه ذكر بتفاصيل مثيرة للانتباه مجهودات المولى إسماعيل للتمكن من بني يزناسن إذ كانوا شيعة للاتراك وفي ولايتهم، ونقله لقبائل الشبانات وزرارة من الحوز، للتضييق عليهم، وإقامته لثلاث قصبات حول تلك السلسلة الجبلية لمحاصرتها، وهي قصبات الرقادة وسلوان والعيون. وجرى كل هذا خلال الثمانينيات من القرن السابع عشر الميلادي، وكان ولاشك من وقائعه الحاسمة أمر المولى إسماعيل بدك قلعة دار ابن مشعل على الإطلاق، وذلك في حدود سنة 1690، حسبما جاء في تقييد للرِّبي السموئل بن دانان الذي كان معاصراً للأحداث وذكر أن سكان دار ابن مشعل من اليهود انتقلوا إلى دبدو.

خلاصة القول إذن، أن دار ابن مشعل كانت قرية أو قلعة منيعة بداخل أوعار جبال بني يزناسن، وأنها كانت كجميع القرى المغربية تضم جالية يهودية وافرة، ولاشك أن أشهر تجار تلك الجالية هو الذي قتله المولى الرشيد وحاز أمواله. ولما آلت الأمور إلى المولى إسماعيل، وتوالت عليه ثورات بعض إخوته وابن أخيه المولى أحمد بن محرز، وكانت جبال بني يزناسن لمناعتها واتصالها بالإيالة الجزائرية، ملجأ للثوار، فإنه أمر بهدم قلعة دار ابن مشعل وعوضها بقصبات مخزنية تراقب المنطقة. ولا سبيل إلى إثبات كون اليهودي الذي قتل على يد المولى الرشيد كان يسمى أو لا يسمى بابن مشعل.

مجهول، *تاريخ الدولة السعدية*، تح. كولان (Colin) ؛ م. الصغير الإفراني، *نزهة الحادي*، ط. فاس الحجرية، 1307 ؛ م. بن الطيب القادري، نشر المثاني، تح. م. حجي و أ. التوفيق ؛ أبو القاسم الزياني، *الترجمان*، ط. باريس1888 ؛ *البستان الظريف*، مخطوط خ ع1577 ؛ مجهول، *الروضة السليمانية*، مخطوط خ ع 1275 ؛ م. أكنسوس، الجيش العرمرم، ط. فاس الحجرية، 1336 ؛ أ. أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956.

Les Sources Inédites de l'Histoire du Maroc, 1ère série, *Espagne*, T. I, p. 208 ; 2ème série, *France*, T. II, p. 1-200 *(Relation de Mouette)* ; L.Chenier, *Recherches sur l'histoire des maures*, Paris, 1787 ; Slousch, *Les juifs de Debdou, R.M.M.*, 1913 ; Cenival, *La légende du juif Ibn Mechaal et la fête du sultan des Tolba à Fès, Hesp.* 1925 ; H. Hirschberg, *A history of the jews in North Africa,* 2ème éd., Leiden, 1974.

إبراهيم بوطالب

دار النيابة بطنجة، كانت بمثابة وزارة للشؤون الخارجية في مغرب ما قبل الاستعمار. تأسست في عهد المولى عبد الرحمان بن هشام (1822 ـ 1859)، واختيرت طنجة مقرا لها لبعدها عن العاصمتين السياسيتين (فاس ومراكش)، ولكونها المقر الدائم لرؤساء البعثات الدبلوماسية الأجنبية المعتمدين سابقا في المغرب. كان على رأس دار النيابة موظف سام يلقب بنائب السلطان، تنحصر اختصاصاته في القيام بدور الوسيط بين السلطان والهيئة الدبلوماسية، فيتولى باسمه، ونيابة عنه مهمة التفاوض معها في كل ما يتعلق بالعلاقات المغربية الخارجية. ويعتبر محمد الخطيب التطواني أول نائب استقل بأشغالها. وكان في بداية تعيينه سنة / 1851 يجمع بين وظيفتي النيابة وباشوية طنجة ؛ وبناء على طلبه، تم فصل الوظيفتين سنة 1854، فعين محمد بن عبد المالك باشا على المدينة، واستقل الخطيب بمنصب النيابة، واكتملت بذلك معالم المؤسسة الجديدة التي أصبحت تعرف بـ"دار النيابة السعيدة بطنجة". وكان مقرها في حي القنصليات الذي عرف فيما بعد بـ"السوق الداخل".

تعاقب على رأس المؤسسة، بعد محمد الخطيب، أربعة نواب آخرون : محمد برگاش (1862 ـ 1886) ؛ الحاج محمد ابن العربي الطريس (1886 ـ 1908) ؛ محمد الجباص (1908 ـ 1913)، ثم في الأخير الحاج محمد التازي الذي تولى مهامها في عهد الحماية إلى أن تم إلغاؤها سنة 1942.

أما المهام التي اضطلعت بها، فهي صفحة مثيرة من المواجهة الدبلوماسية بين بلد مغلوب على أمره، وهو المغرب، وبين ممثلي الدول الأجنبية الطامعة في غزوه. ففيها جرت المفاوضات للتوقيع على المعاهدات الثنائية (معاهدة 1856 مع بريطانيا، ومعاهدة 1861 مع إسبانيا، ومعاهدة 1863 مع فرنسا) ؛ وفيها جرت المفاوضات التمهيدية لمؤتمر مدريد المنعقد في العام 1880. بالإضافة إلى ذلك، كانت "دار النيابة" على اتصال مستمر بممثلي الدول الأجنبية، سواء لتبليغهم احتجاجات المخزن على الانتهاكات الترابية للحدود المغربية، أو للنظر في القضايا التي كانوا يطرحونها.

لم يكن النائب السلطاني يتمتع بأي تفويض لاتخاذ القرارات، وكان عليه الرجوع إلى المخزن في كل قضية مهما كانت أهميتها. لكنه أصبح ـ تحت ضغط الظروف ـ يعالج مباشرة كثيرا من القضايا ؛ وبذلك لم يعد يتراسل مع السلطة المركزية فحسب، وإنما أيضا مع مختلف الموظفين والولاة.

باتساع مهام "دار النيابة"، تحولت من جهاز بسيط إلى جهاز إداري معقد يضم الكتاب والعدول والمترجمين. وفي عام 1896 عين اللَّبادي خليفة للنائب، وتم تعويضه في عام 1898 بأحمد الطريس (الابن). وأمام تزايد الحاجيات، أصدر المولى عبد العزيز ظهيرا في 24 جمادى الأولى 1318/ 30 غشت 1900 أدخل بمقتضاه إصلاحا جذريا على المؤسسة، يتلخص في تشكيل مجلس لإدارة أشغالها بكيفية جماعية، يتكون من الحاج محمد الطريس "كبير المقام ورئيسه"، ومن خمسة نواب مساعدين له ؛ كما تم تعيين قاض بها، وعدلين، ومترجمين، وثمانية كتاب.

كان الغرض من هذا الإصلاح جعل "دار النيابة" في مستوى الدور المنوط بها. إلا أنها كانت في الواقع شبحا هزيلا أمام تزايد نفوذ الهيئة الدبلوماسية التي تمكنت، في شتى المناسبات، من أن تنتزع منها كثيرا من الامتيازات بدون إذن السلطان أو إشعاره.

مجلة دار النيابة، طنجة، المطابع المغربية والدولية، الأعداد 1 إلى 28 (صدر أول عدد منها في العام 1984).

محمد الأمين البزاز

دار ولد زيدوح في تادلا، من بين أقدم المراكز الموجودة في قبيلة بني وجين التي تشكل جزءا من قبيلة بني موسى المستوطنة للضفة اليسرى لنهر أم الربيع. تقع دار ولد زيدوح غرب قطاع بني موسى على بعد نحو خمسين كيلومترا جنوب غرب بني ملال في موضع محاذ لنهر أم الربيع.

يتشكل سكانها في أغلبيتهم الساحقة من العنصر العربي الذي استوطن المنطقة بشكل مكثف منذ القرن السادس (12 م). وبناء على ذلك فإن سكان دار ولد زيدوح ينسبون أصلا إلى بني جابر المتفرعين عن بني جشم المنحدرين من بني هلال الوافدين من إفريقية. غير أن المركز بحكم انفتاحه تلقى عناصر بشرية متنوعة الأصول، إلا أن الطابع الغالب هو الطابع العربي.

ويبدو أن النمط الذي كان مهيمنا على حياة السكان، في أوائل تعميرهم للمنطقة هو الخيمة والشاة. حيث "تحيزوا إلى سفح الجبل بتادلا وما والاها يجاورون هناك صناكة من البربر فيُسهلون إلى البسيط تارة ويأوون إلى الجبل في حلف البربر وجوارهم أخرى..."

كان الطابع الغالب على سكان المنطقة قديما هو التنقل حسب ما يوفره لهم مجال استقرارهم من سبل العيش التي كانت ترتكز بالأساس على الترحال بحثا عن التكامل الرعوي بين السهول والجبال المجاورة لها. وقد ظل مجال تنقلهم هذا في بداية الأمر يمتد من قدم سلسلة الأطلس المتوسط إلى الحدود الشمالية والغربية لسهل تادلة قبل أن تقتسم مختلف فرقهم ــ بما فيهم قبيلة دار ولد زيدوح والمسماة أيضا بأولاد إبراهيم ــ هذا المجال فيما بينها وتستقر كل فرقة في حيز محدود أصبح بحكم التطور الزمني خاصا بها.

وكنتيجة لذلك ظل السكن يغلب عليه طابع التنقل ويتجسد ذلك في الخيام حيث يسهل معها التنقل والانتجاع بالقطعان. ومما يدعم هذا أن الأهالي في البوادي مازالوا إلى اليوم ينعتون الدار بـ"الخيمة" فكانت المساكن المشيدة تمثل جزرا وسط محيط من الخيام، يشار إليها بالبنان، وتقتصر على الأغنياء والأعيان.

اشتهر من بين هؤلاء محمد بن أحمد زيدوح المعروف بولد زيدوح آتي الترجمة وهو من أكبر "الكسابة" الأغنياء بالمنطقة.

غير أن التحول الحاسم في حياة هذا المركز اقترن بأحد أبناء محمد بن أحمد وهو بوعبيد. حيث ظهر أول مرة ككاتب لدى ولد الراضي قائد أولاد عزوز (بين الفقيه بن صالح وخريبگة). ثم تمكن بنباهته وسمعة والده أن يتقرب من أحد وزراء السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام فتم تعيينه قائدا على دار ولد زيدوح ليتحول بذلك من "قصر" إلى قصبة فقيادة كبيرة يشمل نفوذها بالإضافة إلى بني موسى، بني مسكين وورديغة.

كما أن أهمية دار ولد زيدوح تُعزى أيضا لعامل الموقع الجغرافي، فهو يقع في الوسط بين شمال المغرب وجنوبه بدليل أن المعركة التي دارت بين الوطاسيين والسعديين عام 943/ 1536 نصت على اقتسام المغرب بينهما جاعلين نهر أم الربيع حدا فاصلا بين مملكتيهما، هذا النهر الذي يمر بمحاذاة دار ولد زيدوح. والمعركة دارت رحاها في نفوذ هذا المركز : أبي عقبة حوالي 10 كلم من دارولد زيدوح.

وفي نفس المكان، على مقربة من دار ولد زيدوح دارت معركة أخرى بين محمد الحاج الدلائي وبين السلطان محمد الشيخ بن زيدان السعدي انقشع غبارها عن هزيمة هذا الأخير سنة 1048/ 1638.

وفي سنة 1085 /1674 وقع بمشرع أبي عقبة بدار ولد زيدوح صدام بين السلطان المولى إسماعيل وابن أخيه مولاي أحمد بن محرز كانت فيها الهزيمة على ابن محرز.

لكل هذه الاعتبارات أصبح مركز دار ولد زيدوح محطة من محطات الطريق الرابط بين فاس ومراكش بدليل أن كثيرا من السلاطين العلويين تعودوا النزول به أثناء تنقلاتهم بين الشمال والجنوب، ومن أشهر هؤلاء السلطان الحسن الأول الذي نزل به وهو في طريقه من مراكش في اتجاه جبال فازاز ففاس. وكان ينوي التنكيل بأيت سخمان ومن تحالف معهم من أيت إسري غير أن المنية وافت الحسن الأول بدار ولد زيدوح ليلة الخميس 3 حجة عام 1311 / 7 يونيو 1894.

ومما لا شك فيه أن أهمية موقع وموضع دار ولد زيدوح هي التي دفعت الفرنسيين عندما سيطروا على المنطقة ابتداء من 13 ـ3 ـ 1914 أن يتخذوا من هذه القرية مركز إدارتهم المدنية والعسكرية والتي شمل نفوذها مساحة شاسعة من بني موسى وبني عمير وأجزاء أخرى من تادلا حتى مشارف بني ملال وخريبگة. فمنها كانت الأوامر الاستعمارية تصدر إلى إحدى عشرة قيادة.

ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 6 ؛ ع. العزيز بن عبد الله، *معلمة المدن والقبائل* ؛ ع. الوهاب بن منصور، *قبائل المغرب*، الجزء الأول ؛ م. بن البشير بوسلام، *تاريخ قبيلة بني ملال 1854 1916* ؛ *تحريات ميدانية*.

بوشعيب العكرود

ابن دافال، عيسى بن عمران المكناسي من قبيلة مكناسة تازا من بني وردميش، حلاه صاحب التكملة بقوله : (كان من الراسخين في العلم، قائماً على الأصول الفروع، أديباً شاعراً خطيباً فصيحاً مفوهاً مدركاً، من رجال الكمال..).

ولد عام 512 / 1215، روى ببلده عن الحسن بن عبد الله بن الخراز وغيره، وقدم الأندلس طالباً للعلم، فأخذ بالمرية عن أبي القاسم بن ورد، واختص به وأكثر عنه، ولقي بأغمات وريكة قاضيها أبا محمد سبط بن عبد البر فسمع منه، وبمراكش عن حجاج بن يوسف وتفقه به. فكان فقيهاً أديباً شاعراً.

استقضى باشبيلية مدة، ثم ولي قضاء الجماعة بعد موت أبي الحسن بن أبي جنون، فكان في ولايته مشكور السيرة، جزلاً في تنفيذ الأحكام، معروفاً بالعدالة والنزاهة، ولم تطل مدته في قضاء الجماعة، إذ توفي وهو يتولى هذا المنصب عام 578 / 1182.

التكملة 17، قسم الغرباء ؛ أ. ابن القاضي، جذوة ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 9 : 399، *الجذوة*، 503، بغية الملتمس، 404.

أحمد متفكر

دالبيز Dalbiez, Denis، (جنرال فرنسي)، ولد يوم 18 يونيه 1852 في بيوانيون Peyoignon بمقاطعة البيريني الشرقية التحق بفيلق المشاة 82 كجندي بتاريخ 23 نونبر 1870 بعد تخرجه من مدرسة سان سير Saint Cyr وتقلب في عدة مناصب عسكرية بفرنسا والجزائر إلى أن سمي جنرال اللواء سنة 1911.

وفي يوم 2 ماي من نفس السنة انتقل دالبيز إلى المغرب، حيث التحق بحلة موانيي التي فكت الحصار عن فاس واحتلت مكناس. ثم عينه الجنرال موانيي قائدا عاما للجيوش المرابطة في مكناس وفاس وبوتي جان ـ وبقي في هذا المنصب يسهر على العمليات العسكرية والمعارك التي جرت في إقليم مكناس إلى تاريخ 5 نوفمبر 1913، فخلفه في نفس المهمة الجنرال هنريس Henrys، والتحق دالبيز بفرنسا حيث شارك في الحرب العالمية الأولى. وفي يوم 31 مارس 1915 وضع رهن إشارة المقيم العام بالمغرب لأن عطاءاته العسكرية في أوربا لم تكن في المستوى المطلوب، فعاد إلى المغرب الذي كانت له دراية بوضعيته.

وبعد تسلم دالبيز قيادة مركز مكناس، واتخاذه للإجراءات التنظيمية الأولى بالمدينة الأهلية التي ضاقت رحابها بالقوات العسكرية التي نزلت بداية بقصر الدار البيضاء وجامع الأنوار، اتجه نظره إلى الانتقال للضفة اليمنى لوادي بوعماير على هضبة حمرية لإقامة النواة الأساسية للثكنات العسكرية الفرنسية بمكناس التي أصبحت منذئذ مركزاً لتمهيد احتلال البلاد تحت قيادة الجنرال دالبيز.

توفي الجنرال دالبيز في المستشفى المختلط بمدينة نيس يوم 10 غشت 1929.

بوشتى بوعسرية، *مكناس المدينة : التأسيس ـ البنيات الإدارية ـ التناقضات*، 1911 ـــ 1939، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ، مرقونة بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

Service historique de l'armée de terre. (S.H.A.T.), Château de Vincennes, Paris, n° F217. Etat des services de Mr. Dalbiez.

بوشتى بوعسرية

دالوين، إيرنيست Ernest Dalwin، كان أول أمره نائباً قنصلياً لبلجيكا بمدينة قادس بإسبانيا. وقد قام برحلة استطلاعية إلى المغرب دوّن خلالها مشاهداته و نُشرت نتائجها سنة 1855. وفي السنة الموالية عين قنصلا لبلاده في طنجة، ثم سمي قنصلا عاماً بشاطئ إفريقيا الغربية سنة 1866. وفي سنة 1877 رقي إلى رتبة وزير مقيم للملكة البلجيكية.

كان ديبلوماسيا نشيطا وذكيا فاستطاع أن تكون له علاقة طيبة مع المخزن إلى أن ظفر في يونيو 1862 بإبرام معاهدة مع المخزن حصلت بلاده بموجبها على الامتيازات المخولة لبريطانيا العظمى سنة 1856 ولإسبانيا سنة 1861، وعمل على أن يكون لبلكيجا وزن دولي ونشاط تجاري، فعين في الكثير من الثغور الشاطئية قناصل ووكلاء أصالة أو نيابة.

جمع ثروة طائلة من تجارته مع المخزن فكان يبيع له أسلحة قديمة وفاسدة في بعض الأحيان، وكان يملك في طنجة وحدها تسعة منازل. وقد أحيل على المعاش ومات بأوربا سنة 1884 وخلفه البارون فيطنال Whetnall.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج. 2 ص. 640 ؛ *وثائق مخزنية*.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome I, p. 96 ; Tome II, p. 275 ; Tome III, p. 454 ; P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc : 1870 - 1905*, p. 16 et 29.

مصطفى بوشعراء

الدالية "شجرة العنب" الكرْم بالعربية أو "ادليلت" أو "أضيلْ" بالأمازيغية، أسماء لنبات فيتيس فيتيفيرا Vitis vinifera الذي ينتمي إلى فصيلة الكرميات Vitaccae وAmpelidaceae. وهي شجرة خشبية متسلقة، من الممكن أن تمتد امتدادا كبيرا أفقيا وعموديا، أو شجيرة صغيرة بسبب التقليم الجائر الذي يجعل قطر ساقها ينمو بشكل كبير. لها محاليق تمكنها من التسلق. أوراقها كبيرة راحية، نفضية. أزهارها صغيرة غير واضحة، ذات رائحة طيبة. ثمارها متجمعة في عناقيد كبيرة وجد متفرعة. ثمار

العنب بيضية أو كروية الشكل، ومختلفة الألوان حسب الأصناف. فهي إما سوداء، أو بيضاء (خضراء) أو حمراء. مذاقها حلو.

وُجدت الدالية طبيعية في المغرب بجانب الأودية الرطبة ومجاري المياه في المناطق المنخفضة كما هو الشأن في جميع الأنحاء المعتدلة من حوض البحر المتوسط من المحيط إلى بلاد الفرس. وفي أمريكا كذلك. ومن المحتمل جدا أن تكون الدالية قد انتشرت انتشارا واسعا بواسطة الطيور قبل أو بعد ظهور الإنسان.

تعتبر الدالية من أقدم النباتات التي زرعت على وجه الأرض. ومن المحتمل أن تكون بداية زراعتها في شرق حوض البحر المتوسط. وقد ورد ذكرها في كل الكتب السماوية. من المعروف أن زراعتها في مصر نشأت منذ ستة آلاف سنة. ثم تطورت وتحسنت وتوسعت بدرجة كبيرة بواسطة الحضارات الإغريقية والرومانية والعربية وما بعدها حتى أصبحت حاليا زراعة العنب معروفة في كل المناطق المعتدلة من القارات الخمس.

استنبطت أصناف العنب المزروعة اليوم من الأصناف الأوربية والمتوسطية والأمريكية. لكن الأصناف الأوربية والمتوسطية المحسنة تتعرض بسهولة للإصابات بأنواع مختلفة من الفطريات والحشرات خاصة قملة الجذر "فلُوكْسيرا". ولهذا تستخدم الأصناف الأمريكية كأصول أو جذور تطعم عليها الأصناف الأوربية والمتوسطية.

أشهر أصناف العنب المغربية المستعملة في الزراعة التقليدية في الحدائق والبساتين القريبة من المنازل هوصنف "أحْمَرْ بُوعْمَرْ" الذي له نكهة ومذاق يجعلانه من أحب أصناف العنب لدى المغاربة.

عرفت زراعة الكروم تطورا كبيرا منذ دخول الفرنسيين لصناعة الخمر بالإضافة إلى إنتاج عنب المائدة والزبيب.

وهكذا انتشرت زراعة أصناف ونماذج عديدة من الدالية في جميع السهول والسفوح الجبلية المغربية. وأشهر السهول المغربية التي تنتج كميات كبيرة من العنب هي تريفة وسايس والشاوية ودكالة حيث تغرس الكروم بدون سقي إلا استثنائيا، فوق أتربة مفككة خفيفة وجيدة الصرف. والبيومناخات المطابقة لزراعة العنب بدون سقي هي البيومناخ شبه الرطب وشبه الجاف. أما في المناطق الأكثر جفافا فإن الدالية تسقى كما هو الشأن في سوس أو في الواحات.

ينتج المغرب كميات كثيرة جدا من العنب وأكبر قسط منه يُعصرخمراً، وذلك من بقايا الاستعمار الفرنسي. يصدر القسط الكبير من الخمور إلى أوربا وآسيا. لكن المساحات الشاسعة من كروم النبيذ أصبحت تتقلص منذ بداية الاستقلال لتترك المجال لزراعة كروم العنب الطري للمائدة أو كمصدر للزبيب الذي يؤكل نيئا أو مطهواً في شتى المأكولات المغربية.

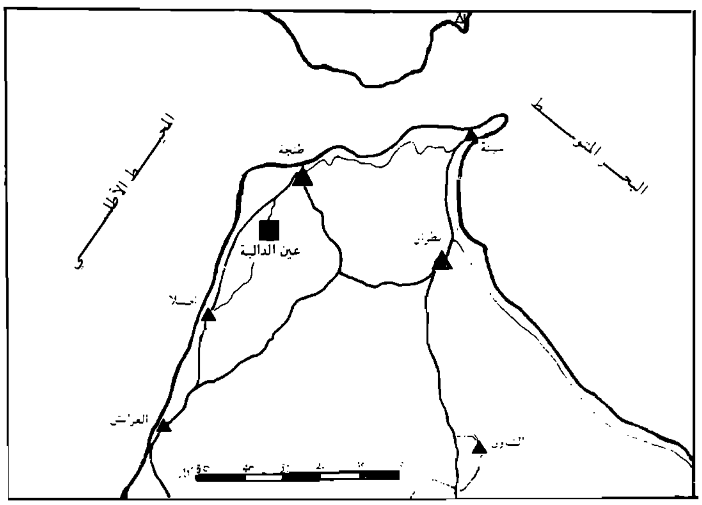
ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، تر. د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة، 1962 ؛ *أبحاث شخصية*.

Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

الدالية (عين -) موقع أثري يوجد في الشمال الغربي لشبه الجزيرة الطنجية على هضبة جنوب مدينة *طنجة*، بمحاذاة جبل "زهيرو". وتبعد عن هذه المدينة ببضعة كيلومترات. وقد اكتشفت فيها وفي أماكن متفرقة أخرى بمنطقة طنجة مدافن لعصور مختلفة.

وبعد دراسة وتحليل ما عثر عليه بداخل هذه المدافن من أدوات فلاحية وأخرى منزلية وأسلحة وحلي وغيرها، اتضح أنه بين القرن السابع والخامس قبل الميلاد كان يعيش في هذه المنطقة سكان اختلط بهم الفنيقيون وساهموا في تحويل طريقة عيشهم وتوسيع آفاقهم. وفي هذا الصدد يقول الباحث الأركيولوجي "م. پونسيش" M. Ponsich : "إنه لمن المستحيل، إذا كانت استنتاجاتنا عن العهد البرونزي صحيحة، أن لا يكون البحارة الفنيقيون، الذين كانوا يجوبون السواحل الأطلنتية، قد أغفلوا هذه الأرض الخصبة وهذه القرى المزدهرة التي وصل أهلها قدراً لا يستهان به من التطور، فلم يدخلوا معهم في مفاوضات ولم يؤسسوا [ببلادهم] مراكز للتبادل التجاري".



وعن طريق هذه المدافن أيضاً استطاع العلماء أن يؤرخوا بداية فترة القرطاجنيين مع القرن السابع قبل الميلاد وأن يتأكدوا من وجودهم بالمنطقة ومن أن المغاربة كانوا يتعاملون معهم في جو يطبعه التفاهم، حتى إنهم تبنوا لغتهم وديانتهم دون اندماج كلي معهم. وانتهت فترتهم في آخر حكم "بتوليمي" Ptolemée. يقول "ج. كركوپينو" J. Carcopino في سيطرة الرومان على المغرب : "ابتداء من 146 قبل الميلاد انتقلت ممالیك الأهالي دون أن تعلم إلى الهيمنة الرومانية التي عوضت بكل بساطة ووضوح

الوصاية القرطاجنية".

ولا نجد دليلاً على إنشاء مدينة طنجة، إلا أربع طرق قديمة تنطلق من المكان المعتقد أنه طنجة القديمة في اتجاه باديتها. واحدة من هذه الطرق توجد في الجنوب، تحاذي مقبرة "بوكشكاش" تؤدي إلى عين الدالية.

وفي الترجمة الحالية لمراحل المسالك الرومانية التي وردت في "نهج أنطونان" *L'itinéraire d'Antonin* للباحث المصطفى مولاي رشيد في مقاله *طنجة والمسالك الرومانية*، يقول : "فيما يخص المسافة طنجيس ـ سلا، عند مغادرة المدينة الأولى، تتخذ الطريق نفس اتجاه المسار الحالي الفاصل بين طنجة وأصيلة، عابرة وادي المهرهر، الرافد الشمالي لوادي تاهدارت قرب عين الدالية..." "ومن هنا تتأكد أهمية هذا الموقع، فالطريق الرئيسية التي تتجه من طنجة إلى المستعمرات الرومانية بالجنوب تمر بعين الدالية، ومن هذه الطريق كانت تمر خيرات سهل لوكسوس وسهل الغرب متجهة نحو طنجة. فكان لابد من وضع نقط حراسة عليها لتسهيل مرور المنتجات، فربما كانت عين الدالية إحدى هذه النقط.

وإذا بحثنا في معرفة بداية نشأة عين الدالية فإن الخزف الموجود بها يدل على قدم المكان والاستيطان به منذ مدة زمنية بعيدة تمتد من القرن الأول قبل الميلاد إلى السابع عشر بعده. وحسب "ش. تيسو" Ch. Tissot يظهر أنها كانت دون شك معسكراً محصنا. ويرى "م. بونسيش" رغم أن الاطلال لا تقدم الشكل التقليدي للنقط العسكرية، ورغم عدم وجود ما يثبت ذلك، فإن هناك أسواراً عريضة وكثيرة إضافة إلى قاعدة عمود وأجزاء لرؤوس أعمدة وبقايا جرات وأدوات منزلية وقبور يرجع تاريخها إلى العصر الروماني، وأنها كانت منشأة بدوية أسست منذ القرن الأول قبل الميلاد، وأن المنطقة كانت منذ ذلك الوقت مستغلة ومحروسة، ويستشهد بضيعة "الضاية" القريبة جداً منها والتي كانت محصنة وموجودة قبل القرن الأول بعد الميلاد، وهي الفترة التي أحرقت فيها. ويضيف فيقول : "ومن الممكن أن "ش. تيسو" قد وجد خلال اكتشافه للمكان آثاراً محفوظة بكيفية جيدة سمحت له أن يؤكد أن عين الدالية كانت معسكراً محصناً، ويغلب الاعتقاد بأن الأمر كان يتعلق بمنشأة فلاحية مهمة، تحولت بعد قانون "ديوكليتيان Diocletien إلى نقطة تعزيز للدفاع العسكري في ناحية طنجة، الشيء الذي يفسر بسرعة تحويلها بصفة استعجالية..." وهذا ما يذهب إليه "ش. تيسو" الذي يرى كما سبق ذكره أن عين الدالية كانت معسكراً محصناً.

المصطفى مولاي رشيد، *طنجة والمسالك الرومانية*، في مجلة دار *النيابة*، العدد العاشر، ربيع 1986، ص. 31.

Ch. Tissot, *Itinéraire de Tanger à Rabat*, *Bul. de la Soc. de Géographie*, Paris, 1876 ; *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, *mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, IX, 1878 ; *Sur les monuments mégalithiques et les populations blondes du Maroc*, *revue anthropologique*, V, 1876 ; M. Ponsich, *Exploitations agricoles romaines de la région de Tanger*, *B.A.M.*, V, 1964 ; *Le Musée Michaux-Bellaire à Tanger*, *B.A.M.*, IV, 1960 ; *Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région*, Paris, VIIè, 1970.

الهادي بجيبجو

داماد هوبير Hubert Damade جنرال فرنسي وُلد بمدينة تولوز في 24 دجنبر 1856. وعمل في الهند الصينية وإفريقيا الجنوبية.

وفي 26 دجنبر 1907 عينته الحكومة الفرنسية خلفا للجنرال درود Drude في قيادة جيش الاحتلال الفرنسي بالشاوية. وتولى مهمته في المغرب ابتداء من 6 يناير 1908، وظل في تلك المهمة إلى بداية 1909.

وبالرغم من الإمدادات التي عززت قوات الاحتلال ورفعت عدد رجالها إلى 15.000 جندي، وبالرغم من التفوق الساحق لجيش الاحتلال في الإمكانيات والعتاد الحديث، أمام قبائل لا تملك إلا بنادق خفيفة، فإن داماد لم يتمكن من حسم المعركة لصالحه بسرعة، بل نجد المغاربة يُفشلون خططه في معركتي برابح وفخفاخة يناير ـ فبراير 1908.

ويبدو أنه نتيجة لاستمرار القتال مع المغاربة في سهول الشاوية، بدأت الشكوك تساور الحكومة الفرنسية في كفاءة القائد الجديد لقواتها بالمغرب، لذلك تقرر إرسال بعثة عسكرية للتفتيش بالشاوية ولتقرير الخطة التي ينبغي اتباعها ترأسها الجنرال ليوطي.

وقبيل وصول البعثة، بذل قائد قوات احتلال الشاوية أقصى جهده للقضاء على مقاومة المغاربة فارْتكب أعمالا إرهابية شنيعة ليثبت تفوق القوات الفرنسية.

توفي في ضيعته Pontus à Fronsac. وفي 1951 نقل رفاته إلى مدفن الانفليد Les invalides بباريز.

ع. الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب*، الطبعة الثانية، 1994.

Archives de guerre, Vincennes, Paris ; *La Koumia*, n0 108, Mars 1988 ; *Afrique Française* (bull. de L') 1908 - 1909 ; A.G.P. Martin, *Le Maroc et l'Europe*, 1927.

علال الخديمي

الدَّامُوسْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Zdemug-Adamuz وهو اسم مدينة إسبانية.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 652.

الدَّامُون، محمد بن عبد القادر قائد كان يرأس

جماعة من المجاهدين من قبيلته أهل سريف. انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها مولاي أحمد الريسوني. شارك في المؤتمرات التي عقدتها الثورة في عين الدالية يوم 11 ماي 1913 وبضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913 وفي قرية الزوة بقبيلة جبل حبيب يوم 11 يناير 1915 ؛ كما شارك في 23 معركة.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

الدانق، وحدة من وحدات الوزن وهو لفظ معرب عن اللغة الفارسية القديمة يجوز فيه فتح النون وكسرها جمع دوانق، وهناك إِجماع علي أنه سدس الدرهم الشرعي وذلك نظراً لأن 4 50 -6 =84) وعليه فمقدار الدانق هو ثمان حبات من الشعير وخمسا حبة ووزنه 0,4853 غ مما ينطبق على وزن سدس الدرهم النقدي الشرعي، وتتفاوت أوزان الدانق حسب الدنانير والدراهم العرفية التي أصدرتها دور السكة المغربية خلال العهود التاريخية المختلفة (انظر الدرهم والدينار من *المعلمة*). كما يختلف الدانق من وزن النقود على الدانق من الأوزان الطبية المتداولة.

ع. أفا، *النقود المغربية في القرن الثامن عشر*، ص. 152 ؛ ع. بن عبد العزيز الكرسيفي، *رسالة في تحرير أوزان النقود في سوس*، تح. عمر أفا، أنظر ملحق 2 من كتاب *النقود المغربية في القرن 18 م*)، ص. 137 ـ 152 ؛ ح. ابن الجزائري، *كشف الرموز في بيان الأعشاب*، الجزائر، 1928، ص. 5.

عمر أفا

الدانمارك والمغرب. يرجع تاريخ العلاقات بينهما إلى الربع الأول من القرن السابع عشر عندما كانت الدانمارك تخوض مع غيرها من الدول الأوربية غمار تلك الحرب الدينية المعروفة بحرب الثلاثين سنة بين البروتستانتيين والكاثوليكيين.

ففي سنة 1037 / 1627 قامت جماعة كبيرة من المجاهدين البحريين السلاويين والرباطيين على متن ثلاث سفن حربية وتحت إمرة مغامر هولاندي يدعى مراد الرايس ويسمى في الأصل يان يانس Jan Jansz بغزو جزيرة إيسلاندا الواقعة إلى الجنوب الشرقي من البسيط الجليدي گروينلاندا بالقطب الشمالي، تلك الجزيرة التي كانت تابعة للمملكة الدانماركية قبل أن تصبح سنة 1918 جمهورية مستقلة.

وأثناء تلك الغارة على بعض الأماكن المنعزلة منها أسروا أربعمائة من الأطفال والنساء والرجال ونهبوا العاصمة ريكيافيك واستولوا على مؤن وبضائع مثل الفراء والجلود والأسماك المبخرة وساقوا الجميع إلى مرسى العدوتين الرباط وسلا.

كان لهاته الواقعة الجريئة صدى واسع لدى الدول الأوربية التي كانت ماتزال تتذكر انتصار المغرب في معركة وادي المخازن وانهزام البرتغال سنة 1578 وفتوحات أحمد المنصور السعدي بالسودان بعد ذلك.

أسماء هؤلاء الأسارى مازالت محفوظة بجامعة هاسكولي Haskoli بالعاصمة الإسلاندية حسبما أخبرني بذلك بسلا يوم 10 مارس 1999 الأستاذ بتلك الجامعة وهو أُولفار طورمودسن Thormodsson الذي جاء للبحث عنهم، وأفادني أن ثلاثين منهم فقط هم الذين رجعوا إلى بلادهم بعد سنوات من الأسر، طالباً مني إعانته في الكشف عنهم. وقد تبين من الاستقراء الذي أجريته أن هؤلاء الإيسلانديين أرسلوا إلى الجزائر للتبادل بآخرين مع قراصنتها، وذلك بقصد تضخيم مال الافتداء بتعدد الوسائط، حتى إذا لم يظهر مطالب بهم بيع الأسارى بيع القِنّ في أسواق النخاسة، فاستخدم الأطفال والنساء في المنازل وعهد للرجال بالأشغال الشاقة أو اللينة في البحر أو في البر. وعلى هذا يكون مصيرهم الانصهار وسط المجتمعات الإسلامية بشمال إفريقيا.

فماذا كان موقف المملكة الدانماركية من هذه الحادثة الأليمة ؟ مما لاشك فيه أن فكرة افتكاكهم كانت تراود الدانماركيين والإيسلانديين، لكن الذي ثنى عزم الحكومة الدانماركية هو ما علمته من وعورة الطريق ومخاطرها بحراً وما ستعلمه أو ما قد علمته من انهيار كيان الدولة السعدية بموت آخر سلاطينها في الثلث الأول من القرن السابع عشر، فلا تجد مخاطباً لها، فطويت الصحف عن هاته القضية.

وبعد نحو 120 سنة تقوت دولة الدانمارك بعلاقات مع الدولة المغربية، وذلك أواسط القرن الثامن عشر الميلادي، فقد كانت الوثائق المغربية تسمي الدانمارك : الدّين مَارك وأهلها : الماركيين، فدخلت سجل التاريخ المغربي من أجل ذلك.

ربط السلطان سيدي محمد بن عبد الله أثناء خلافته علائق وطيدة مع الدول الأجنبية ومنها الدانمارك، وتبادل مع ملكيْها فريدريك الخامس ثم كريستيان السابع رسائل وسفارات وهدايا، وسمح لها باستيطان تجارها وتعيين قناصلها ونوابها في شتى الموانئ المغربية.

يوم 13 يوليوز 1751 وصلت إلى مرسى آسفي بعثة عينها الملك فرديريك الخامس برئاسة ي ب ده لونكفيل J.B. de Longueville. فأقام بالمدينة مدة. لكنه لما رفع راية بلاده فوق مقر عمله ساءت علاقتُه بالمخزن فوقع عزله لعدم استئذانه في ذلك.

ولم تلبث الأمور أن عادت إلى نصابها باستيطان تجار دانماركيين مدناً مغربية ووصول خبراء دانماركيين في الهندسة وفي الفنون الحربية والبحرية إلى حضرة السلطان، واكتست التجارة نوعاً من الأهمية خلال عهد سيدي محمد

ابن عبد الله ولا سيما عند عقد معاهدة صداقة وتجارة واستيطان يوم 16 شعبان 1166 / 18 يوليوز 1753 تنص على تأمين السفن الدانماركية القادمة للمراسي المغربية ومديد المعونة إليها. وكان الذي تفاوض من أجلها هو إيتيان ري E. Rey والذي بدأ تنفيذ بنودها هو القنصل الدانماركي الجديد لوتزوف Lützuw.

بدأت التجارة والمبادلات تعرف نمواً وازدهاراً على يد الشركة الدانماركية الإفريقية برئاسة شالتنبراند. ولكنها انتكست بإفلاسها، ولا سيما عند ما قرر السلطان بعد بناء الصويرة نقل التجارة لهاته المدينة سنة 1767، لكن في 26 يوليوز منها (28 صفر 1181) تجددت المعاهدة المغربية الدانماركية، فوصل يانس كوسطروب J. Kaustrup وشرع في تطبيق فصولها التي يقضي أحدها بتجديد مبلغ الإتاوة التي بدأت تدفعها الدانمارك مثل دول أوروبية أخرى بالشمال، ولم تكف عن ذلك إلا بعد ثمانين سنة وذلك بمعاهدة إلغائها سنة 1845. وسلمت حكومة الدانمارك عدداً من البواخر الحربية بمقتضى هاته المعاهدة أيضاً. وقد لبث كوسطروب سنتين، إذ في سنة 1769 انتقل إلى خارج المغرب. وكانت الدانمارك تدفع سنوياً للمغرب في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله 51.000 ويكسدال، أي أزيد من ربع مليون فرنك، (*المعجم التاريخي*، ص. 26).

أما السلطان فقد عين سنة 1759 القائد الحاج التهامي ابن علي أمَدُّون (= مَدُّون) سفيراً لدى الملك فريدريك الخامس حاملاً مطالب المغرب المثلة احتمالاً في بعث سفن حربية وعتاد إليه، فاستقبله أحسن استقبال وعين كاس Kass لمفاوضته.

كما أنه أوفد في صفر 1203 / نونبر 1788 سفيراً آخر إلى ملك السويد - النرويج وملك الدانمارك يحمل رسالتين إلى كل منهما ومعه هدايا إليهما. وكان هذا السفير هو الحاج الطاهر بن عبد الحق فنيش السلاوي الذي توفي سنة 1215 والذي كان عاملا على الصويرة وغيرها مثل طنجة وسلا.

ولا بد أن أشير إلى نائب قنصلي مشهور بكتابته عن المغرب وهو جورج هوست George Höst الذي كان صديقاً للسلطان ومرافقاً له طيلة حياته، بحيث أصدر في حقه ظهيراً في 2 قعدة 1179 / 12 أبريل 1766 بتوقيره وإيصاء الولاة به خيراً. فقد ألف هوست عدة كتب ترجم بعضها من الدانماركية إلى لغات أخرى مثل الفرنسية التي عرب منها مؤخراً أحد كتبه عن السلطان.

وبوفاة سيدي محمد ضعفت العلاقة بين البلدين، واستمرت كذلك طيلة القرن التاسع عشر، فكانت المملكة الدانماركية ممثلة بغيرها من نواب الدول كالمملكة المتحدة. ولم يكن لها دور بارز في أحداث المغرب، فحضرت بالنيابة لا بالأصالة في مؤتمر الجزيرة الخضراء لسنة 1906، وذلك لقلة مصالحها بالمغرب حيث لم يكن لها من المحميين طيلة القرن التاسع عشر سوى سبعة أشخاص، ولم يكن لها تجار ومستوطنون، لكن يشار إليَ ورود سائح دانماركي سنة 1885 اسمه غير مضبوط كتبته الوثائق المغربية هكذا : خورخي يريگط الريط، فسكن فاساً بعد أن "تزيّا بزي المسلمين وصار يدخل المساجد والأضرحة والحُرم، فوقع بينه وبين الصبيان مشاجرة في حال تزييه بزي المسلمين وتخلله المساجد".

هذا، وبعد استقلال المغرب اتفق البلدان على ربط علاقات ديبلوماسية واقتصادية وثقافية مازالت سارية المفعول إلى الآن.

جورج هوست، *تاريخ إمبراطور المغرب سيدي محمد بن عبد الله*، عربه عن الفرنسية عبد الرحيم حُزَل ونشر تباعاً في جريدة "العلم"، ابتداءً من 4 أبريل، 1990 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *المعجم التاريخي*، آخر كتاب تاريخ المغرب، الدار البيضاء، د. ت. ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، ج. 2 و ج. 3 صفحات مختلفة، وج 4، ص.1543 ؛ ع. الهادي التازي، *التاريخ الديبلوماسي للمغرب*، ج9 ص. 243 وما بعدها ؛ *مجلة الوثائق*، ج. 4 ص. 133 وما بعدها ؛ مذاكرة مع أولفار طورمودسن الإسلاندي يوم 10 مارس 1999 بسلا بواسطة ترجمانه عبد السلام بنين الحسناوي أصلا السلاوي منشأ المقيم منذ 36 سنة رفقة أولاده بعاصمة إسلاندا إلى الآن.

R. Coindreau, *Les Corsaires de Salé* ; B. Bennassar et L. Bennassar, *Les Chrétiens d'Allah - L'histoire extraorinnaire des renégats. XVIe et XVIIe siècles* ; *Villes et tribus du Maroc*, Rabat, tome I, p. 127 ; *Lettre du Ministère des Affaires Etrangères et de la Coopération,* Rabat (Direction de la Coopération Culturelle et Scientifique), en date du 26 février 1999, adressée à la Bibliothéque Sbihi de Salé.

مصطفى بوشعراء

داهية أو ديهيا (Dihya)، أو الكاهنة، ملكة حكمت المغرب الأوسط خلال نهاية القرن الأول الهجري (7 م) ويلاحظ الباحث في تاريخ هذه الشخصية نقصاً كبيراً في المصادر والمراجع التي تحدثت عن هذه الفترة. ويشكل ابن عذاري وابن خلدون والرقيق القيرواني أهم المصادر التي أشارت إلى هذه الشخصية إشارة مقتضبة وتقريباً متشابهة، وذلك في إطار حديثهم عن الفتوحات الإسلامية لشمال إفريقيا. هذه المصادر صورت ديهيا ككاهنة وساحرة يهودية استطاعت بسحرها أن تهزم جيوش حسان بن النعمان. وجاءت صورتها، في مجلمها، أقرب إلى الأساطير منها إلى الواقع. أما المراجع الأجنبية فقد صورت ديهيا كبطلة وزعيمة القومية الأمازيغية في شمال إفريقيا، واعتبرت نهايتها بمثابة نهاية المقاومة المسلحة الأمازيغية ضد العرب (G. Camps, 132).

وما بين الرواية الشرقية والكتابات الغربية، نجد الداهية كشخصية تاريخية، ظهرت على مسرح التاريخ بعد مقتل كسيلة في خضم الحروب التي وقعت أثناء فتح شمال إفريقيا سنة 686، وانتقل إليها حكم الأمازيغ بعد ذلك

التـاريخ. واتخـذت منطقـة الأوراس المحصنـة مقـراً لهـا. وحسب ابن خلدون فإن داهيـة قـد تكون يهـودية الديـانة، ولكن ليس هنـالك مـا يـؤكـد ذلك. وتـذهب بعض المراجع الأخرى إلى أنها مسيحية. وتشيـر الروايـات العربيـة إلى أنها امـرأة شجاعـة مقدامـة في الحروب رغم تقدمهـا في السن. وعنهـا يقـول ابـن عـذاري : "... لما دخل حسـان القيـروان أراح بها أيـاماً ثم سأل أهلهـا عمن بقي من أعظم ملوك افريقيا ليسير إليـه فيبيده أو يسلم. فدلوه على امرأة يقال لها الكاهنة، وجميع من بإفـريقيا (...) منها خائفون" (ابن عذاري، *البيان*، 28). وفي خلال الحروب التي خاضتها ضد القـائد حسـان بن النعمان، انتصرت في معـارك كثيرة، منها معركـة واد نيني على بعـد 16 كلم من عين البيضـاء، ويطلق المسلمون على هذا الوادي "واد البلاء". (Haddadou, 87). وبعـد ذلك استطـاعت أن تحكم إفـريقيـا لمدة خمس سنـوات قبـل أن تصل الإمـدادات العسكـريـة لحسـان من الشـرق، بأمر من الخليفـة الأمـوي مروان بن الحكم. ثم بعد ذلك عـاد حسـان إلى محـاربـة ديهيـا سنـة 78، فلم تجد بـداً أمـام جيـوش حسـان التي قـدرت بأربعين ألف جنـدي، إلا التحصن في معقلهـا بجبال الأوراس حيث انتهت حـركتها بموتها سنة 78 / 701. وبخصوص نهايتها، فإن الروايات لا تتفق حولها، فمنها ما ذهب إلى أن الكاهنة انتحـرت، بعد أن أعطت الأوامـر لأبنـائهـا بـالانضمـام إلى الجيـوش الإسلامية، ومنها ما ذهب إلى أنها قُتلت من قِبَـل حسان ابن النعمـان، وأرسل رأسهـا إلى الخليفـة في دمشق، وعين أبناءها قواداً لجيشه.

اشتهـرت ديهيـا بسيـاسـة الأرض المحروقـة حسب مـا أشـارت إليـه معظم تلك المصـادر. ويـذكـر القيـرواني أن الكـاهنة قد ملكت افـريقيـة خمس سنين منذ هـزمت حسـان، فلما أبطأ العرب عنها قالت للبربر إن العرب إنما يطلبون من إفـريقيـة المدائن والـذهب والفضـة ونحـن نطلب منهـا المزارع والمراعي فأحرقوا كل شيء. هذه القولـة كررها ابـن خلدون. وأصبحت ديهيـة مشهورة بسيـاسـة "الأرض المحروقة". غيـر أن هنالك من شكك في وجود هذه السيـاسة، واعتبر ما جاء عند المؤرخين العـرب شيئاً مبـالغاً فيـه، لأن المنـاطق التي حكمتها ديهيـا، كانت قـد تعرضت للتفقير منذ وقت سابق بسبب حروب الفتوحات. (M. A. Haddadou, *Guide de la culture*, 87).

وهنـالك من ربط ذلك التخـريب بعـوامل أخـرى تتعلق بالظروف الاجتماعية التي عـرفتها المنطقة آنذاك، والصراع بين الحواضر والبوادي (J. Brignon, *Histoire du Maroc*, 50) ومـهـمـا يكن مـن أمـر غـمـوض هـذه الشخـصـيـة، فإن تـاريخ شمـال إفـريقيـا أدخل هـذه المرأة في تـاريخ المرأة المغاربية.

ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، الجزء الأول، تح. كولان وليفي بروفانسال، الطبعة الثانية،1980، بيروت ؛ ع. ابـن خلدون، *العبر*، بيروت، 1979.

J. Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Casa, 1994 ; G. Camps, *Berbères aux marges de l'histoire*, Paris, 1980; M. A. Haddadou, *Guide de la culture et de la langue berbères*, Alger, s.d.

محمد حنداين

ابن داود، أسرة تطوانيـة أصلها من الأنـدلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عـائلتهـم بـالحروف اللاتينيــة هكــذا Benavit، وقـد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

ابن داود، أحمد قـائد شـارك في معركـة وادي المخازن بجـانب السلطـان عبد الملك السعـدي، ويقـول عنـه الطبيب اليهودي (الذي كان يعالج السلطـان المذكور) إنه كان قائداً بجيش السلطان مولاي أحمد المنصور الذهبي.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، تطاون 1999، والمراجع العربيـة والأجنبيـة التي ذكرها في الرقم 234.

Fr. Bernardo da Cruz, *Chronica de El Rei don Sebastian*, Lisboa, 1837 - y 1903.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن داود، سليمان بن أعـراب العسكـري، كـان كبيـراً في قـومـه بني عسكـر حلفـاء بني مـريـن، قـاد عـدة حملات عسكرية لقمع المتمردين على المخزن المريني وشغل مناصب هـامة كمـا تعرض لنكبات كثيـرة أثـرت على مجـرى حياتـه السيـاسيـة خاصـة فـي الفترة الممتدة بـين سنـة760 / 778 بسبب مواقفه المنحازة أثناء انتقال الحكم من أمير إلى آخر. لكن قبل ذلك بـرز نجم ابـن داود كقـائـد عسكـري وسيـاسي محنك مما جعل السلطان أبا عنان يقر به إلى حاشيته ويعينه عاملاً على مدينة رُندة بالأندلس ثم بعد ذلك - أي سنة 756 - على جبل الفتـح وسـائـر ثغـور الأنـدلس مكـان عيسـى بن الحسن الثـائـر على السلطـان. وعنـد رجـوع أبـي عنـان من حملتــه علـى إفــريقيــة استـدعـى ابن داود من الأنــدلس فـاستـوزره وجعلـه قـائـداً على الجيش المريني العـائـد إلى إفريقية سنة 759 لوضـع حد لهجومـات عرب الـدواودة على ضواحي قسطنطينة. لكن ذيوع خبر وفاة السلطان أبي عنان المفاجئ أثر في معنـويات الجيـش المريني مما اضطـر سليمان للانسحاب من قسطنطينة والعودة إلى المغرب.

عرف المغرب بعـد وفاة أبي عنان مرحلة سيـاسية متقلبة استمرت حتى نهاية دولة بني مرين سنة 868، ولعل أبرز ما يميز هذه المرحلة تولية ملـوك وأمراء ضعاف إما لصغر سنهم أو لقلـة درايتهم بشـؤون الحكم، واستبـداد الـوزراء الـذين كـانوا الحكـام الفعليين. فبعـد وفاة أبي عنـان استبـد الوزيـر الحسن بن عمر بالأمر وحجـر على ولي العهد الأمير السعيد وهو مـا يزال صبيـاً فنصبه للملك وحتى يعطي لهذا الاجراء

بعض المشروعية استقدم أبناء السلطان أبي عنان من كل جهات المغرب للمبايعة. غير أن صاحب مراكش الأمير محمد المعتمد بن أبي عنان رفض القدوم إلى فاس تحت ضغط وتشجيع شيخ هنتاتة عامر بن محمد بن علي، وقد دفع هذا الموقف بالوزير الحسن بن عمر إلى تجهيز حملة عسكرية بقيادة سليمان بن داود وبعثه سنة 760 إلى مراكش فحاصرها بينما فر أميرها هو وعامر إلى جبل هنتاتة ليتحصنا فيه. غير أن تحول الأوضاع بفاس وخروج منصور بن سليمان على السلطان المريني بها اضطر ابن داود لرفع الحصار عن مراكش والعودة إلى فاس لمشايعة منصور ابن سليمان ومساندته في حركته التمردية ضد السلطان السعيد، فكافأه بتعيينه وزيراً للجند. ولما استولى أبو سالم على الملك سنة 760 استقدم ابن أخيه محمد المعتمد ووزيره عامر شيخ هنتاتة من الجبل الذي كانا لاجئين إليه ورد لهما اعتبارهما، كما عين سليمان بن داود وزيراً له إلى حدود سنة 762 عندما ثار عمر بن عبد الله بن علي بن سعيد الياباني على السلطان أبي سالم ونادى بخلعه وتنصيب الأمير تاشفين بن أبي الحسن مكانه سلطاناً جديداً على المغرب يأتمر بأوامره ويخضع لاستبداده، وقد حاول أبو سالم ووزيره ابن داود وبعض حاشيته وخاصته حصار فاس الجديد بهدف استعادة زمام الأمر إلى يده. غير أن محاولته تلك باءت بالفشل الذريع فسقط قتيلاً بينما اعتقل وزيره سليمان بن داود ومن كان معه. وقد أمر الوزير الثائر عمر بن عبد الله بأن يكون معتقل ابن داود بدار قائد النصارى غرسية بن انطوان ثم نقل بعد ذلك إلى بعض دور فاس الجديد إلى أن عفى عنه وقربه من حاشيته وعينه والياً على مدينتي سبتة وطنجة، إلا أن الأمور لم تستقر على هذا الحال، إذ سرعان ما انقلبت الأوضاع وتمكن مرشح جديد هو الأمير عبد العزيز من حسم الصراع على السلطة لصالحه، فبويع سنة 768 وبادر باعتقال الوزير المستبد وخصمه اللدود عمر بن عبد الله وثلة من خاصته ومؤيدي حركته كان على رأسهم سليمان بن داود ومحمد بن موسى ابن إبراهيم الملقب بالسبيع، فقتل عمر وأودع الأخرين السجن حتى عفا عنهما بفضل وساطة لسان الدين ابن الخطيب وزير ابن الأحمر.

ويستفاد من المصادر أن سليمان بن داود كان حاضراً مرة أخرى وبقوة في الأحداث التي أدت إلى بروز شخصية الأمير أبي العباس أحمد بن أبي سالم كمرشح قوى للحكم، كما شارك مشاركة فعالة إلى جانب الوزير محمد بن عثمان ابن الكاس في استيلاء الأمير على السلطة وليصبح سلطانا على المغرب. وقد حفظ الملك الجديد لابن داود هذه المساعدة فعينه سنة 776 في منصب صاحب الشورى ورئيس مشيخة بني مرين. وفي عهد هذا السلطان بلغ سليمان شأوا كبيراً فكان إلى جانب الوزير ابن الكاس الآمر والناهي، فاستغل سلطته ونفوذه لينتقم من عدوه اللدود لسان الدين بن الخطيب. وقد اتفقت المصادر على أن سبب العداوة بين الرجلين يعود إلى موقف صارم كان ابن الخطيب قد اتخذه من سليمان عندما وعد ابن الأحمر هذا الأخير بأن يوليه على مشيخة الغزاة بالأندلس متى أعيد إلى ملكه وعرشه الذي ضاع منه. وعندما استعاد ابن الأحمر حكم غرناطة ذكّره سليمان بن داود بما قطع له من وعد لكن ابن الخطيب عارض بشدة تنفيذ الوعد معللاً موقفه بأن منصب شيخ الغزاة بالأندلس موكول وموروث لأعياص الملك من آل عبد الحق، لأنهم يعسوب زناتة، فتذمر سليمان من ذلك ورجع خائباً وأسرّها في نفسه إلى أن حانت فرصة للانتقام من غريمه ابن الخطيب، فتربص به وحاك حوله مؤامرة دنيئة انتهت بقتله. بدأت تفاصيل هذه المؤامرة عندما تمكن السلطان أحمد بن أبي سالم من السيطرة على الحكم فاتح سنة 776 واستقر في دار ملكه فاس الجديد، في هذه الأثناء استغل الوزير سليمان بن داود مكانته وحظوته لدى السلطان فأغراه بالقبض على لسان الدين ابن الخطيب تلبية لرغبة سلطان غرناطة ابن الأحمر ووزيره أبي عبد الله ابن زمرك. وبعد اعتقال لسان الدين سافر ابن زمرك إلى فاس واستقبله سلطانها ثم أحضروا ابن الخطيب وأقاموا له محاكمة في مجلس الخاصة وأهل الشورى الذي كان يرأسه ابن داود، واتهموه بأفكار خطيرة وردت في بعض ما كتبه فامتحن وعذب في سجنه، فتشاور المجلس في شأنه وأفتى الفقهاء بقتله غير أن سليمان بن داود ولشدة كراهيته لابن الخطيب أراد التخلص منه بأسرع ما يمكن والانتقام منه شخصياً فدس إليه من قتله في سجنه خنقا ثم أحرق و"عجب الناس من هذه الشنعاء التي جاء بها سليمان واعتدوها من هناته، وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته" (*العبر*، ج. 7، ص. 709) وأمام تزايد غضب الناس من فعلة سليمان اضطر إلى الفرار بجلده إلى الأندلس عند ابن الأحمر سنة 778 واستقر بغرناطة حيث عين في مجلس الشورى إلى أن توفي هناك سنة 781.

ابن بطوطة، *تحفة النظار*، بيروت، د. ت، ص. 437 ؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، تح. أحمد مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، الجزء الثاني، ص. 274، 278، 304 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، الجزء السابع، ص. 614ـ 615ـ 620ـ 621ـ 625ـ 631. 651. 654ـ 672ـ 707ـ 711 ؛ *يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد*، نشر، ألفريد بيل، الجزائر، 1903 ـ 1910 ـ الجزء الثاني، ص. 21 ـ24 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين في دولة بني مرين*، الرباط،1962، ص. 28 ـ 31 ؛ *النفحة النسرينية واللمحة المرينية*، تح. عدنان محمد آل طعمة، دمشق، 1992، ص. 52 ـ56 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، الرباط، 1978، الجزء الأول، ص. 229 ـ 231 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 1955، الجزء الثالث، ص. 200 ـ 203 ـ 204، الجزء الرابع، ص. 3 ـ 6 ـ38 ـ42 ـ 62 ـ 64 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط، 1979، ص. 60.

رشيد السلامي

داود بن **عبد المومن** بن محمد الشيخ أمير سعدي أو كل إليه عمه مولاي عبد الملك قيادة جيش الغرب ووجهه لمراقبة تحركات البرتغاليين بمدينة الجديدة (التي كانت آنداك بيد البرتغال)، ثم شارك في معركة وادي المخازن بجانب عمه المذكور، وبعد المعركة عينه عمه مولاي أحمد المنصور الذهبي عاملاً بمكناس لمدة قصيرة ؛ وفي شهر صفر 988/ أبريل 1580 ثار ضد عمه بسوس، وقد توفى سنة 997 / 1589.

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا*، تح. كريم، الرباط، 1972، ص. 48 و55.

Ojeda, Luis de, *Comentario que trata de la infolice jornada del Rey Don Sebastian* (*S.I.H.M., France* I, p. 575 - 627) ; J. Franchi Consetaggio, *L'union du Royaume de Portugal a la Couronne de Castille*, (*S.I.H.M.*), *France*, p. 506 - 574 ; Lope de Vega, *Tragedia del Rey Don Sebastian*, Madrid 1618 y 1898 ; Medico Judio, *Carta a su hermano*, (*S.I.H.M.* , Angleterre, t. I, p. 312 - 321).

محمد ابن عزوز حكيم

داود، محمد بن أحمد (الحاج –) بن محمد التطواني، الأستاذ الأديب المؤرخ. ولد بتطوان ليلة الاثنين 12 ذي الحجة 1318 / 1.4.1901 من أم من عائلة داود أيضاً. حفظ القرآن وما تيسر من المتون العلمية على العادة الجارية وهو دون البلوغ، وفي عام 1330 / 1912 شرع في الأخذ عن علماء هذه البلدة إلى عام 1338 / 1920 حيث انتقل إلى فاس فأتم على علمائها دراسته وقضى بها سنتين. ثم عاد إلى مسقط رأسه فزاول التدريس والعدالة والكتابة في الصحف خصوصاً جريدة الأهرام المصرية الذائعة الصيت في العالم، فكان مراسلها الخاص نشر بها تفاصيل عن حرب التحرير التي تزعمها البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي باسم مستعار.

وفي عام 1342 / 1923 نال جائزة التاريخ في الأسواق الأدبية التي أقيمت في سبتة لأدباء اللغتين العربية والإسبانية.



وبتاريخ 1343 / 1925 أسس مع رفقائه : المدرسة الأهلية وتولى إدارتها والتدريس بها نحو اثنتي عشرة سنة. وكانت أول مدرسة عربية إسلامية حرة أسست بشمال المغرب في عهد الحماية. فكانت النواة الأولى للحركة العلمية الحديثة والوطنية الاستقلالية بهذه البلاد ومن تلاميذها مؤسسو حزب الإصلاح الوطني.

وفي عام 1347 / 1928 أسس شركة المطبعة المهدية وانتخب رئيساً لمجلس إدراتها. وكانت أول مطبعة عربية كبرى في الشمال. وفي نفس السنة نال الجائزة لأولى في الأسواق الأدبية بسبتة أيضاً مع الزهرتين الطبيعية والأدبية. وكانت مشاركته بقصيدة نونية في الوصايا والحكم نشرت *بمجلة الاتحاد* سنة 2 عدد 17.

وفي عام 1350 / 1931 انتخب عضواً بالمجلس البلدي بتطوان باقتراع حر في عهد الجمهورية الإسبانية. وصدر بذلك قرار وزيري مؤرخ في 22 جمدى الأولى 1350 / 5.10. 1931.

وفي عام 1352 / 1933 أسس مجلة *السلام* وتولى إدارتها وتحريرها، وهي أول صحيفة حرة وطنية. صدر منها عشرة أعداد، وقد مَنَعت الإدارة الفرنسية دخولها لمنطقة حمايتها بقرار نشر بالجريدة الرسمية عدد 1125 بتاريخ 18 / 5 / 1934. وقد احتال الأستاذ داود لدخولها المنطقة الممنوعة بتغيير اسمها باسم "العزيمة" فنجحت الحيلة.

وفي عام 1353 / 1934 أصدرت مندوبية طنجة وحاكمها قراراً بنفيه من طنجة ومنطقتها معتبراً وجوده بها خطراً على الأمن العام. وظل ممنوعاً من دخول طنجة بضع عشرة سنة.

ثم نفته الإدارة الفرنسية من الرباط وأصدرت أمراً بمنعه من دخول المنطقة كلها. وفي نفس السنة أيضاً عين عضواً في المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي بشمال المغرب.

وحج في نفس السنة وزار نجداً والعراق وشرق الأردن وفلسطين ومصر ومنعته فرنسا من دخول سورية ولبنان لكونهما تحت انتدابها يومئذ. واستغرقت هذه الرحلة ستة أشهر.

وفي عام 1354 / 1936 أصدر جريدة *الأخبار* وكانت أول جريدة حرة وطنية تصدر بالمغرب. وقد أصدرت الإدارة الفرنسية أمراً بمنعها من دخول منطقة حمايتها. وفي عام 1355 / 1937 عين مفتشاً عاماً للتعليم الإسلامي بشمال المغرب بظهير خليفي. وهو أول وظيف حكومي تولاه في حياته. وبمجهوداته أسست سبعة معاهد دينية وكثير من المدارس العصرية التي ما تزال قائمة إلى اليوم. ووضع مناهجها العربية الإسلامية.

ثم عين نائباً لرئيس المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي وعضواً بالمجلس الأعلى للأوقاف الإسلامية بشمال المغرب، ثم مديراً للمعارف بالشمال.

وبعد الاستقلال عين عضواً في اللجنة الملكية لإصلاح التعليم بالمغرب، وعضوا بالمجلس الوطني الاستشاري، وفي لجنة مدونة الأحوال الشخصية.

وللمترجم ولَع بالتدوين وجَلَد على الكتابة والتقييد نسخ كثيراً من الكتب وملأ الدفاتر والكنانيش، ثم توجه للعناية بالتاريخ متأثراً بشيخه الفقيه الرهوني مؤرخ تطوان. وكان له به مزيد اختصاص، وله عليه دالّة ونسخ لنفسه كثيراً من مؤلفاته وعلى رأسها تاريخه : عمدة *الراوين في تاريخ تطاوين*، وهو في خزانته معظمه بخطه. وأهم مؤلفاته *تاريخ تطوان* في عشرة أجزاء، طبع منها ثمانية. في الخمسينيات بعد الحرب الكونية الثانية. ومنها كتاب *المجتمع التطواني من خلال الأمثال المغربية*. مقارنة بالأمثال العربية والمحلية من العالم العربي. وقد أتمه في نحو أربع مجلدات، ومنها *مذكراته* (على رأس الأربعين) وفيها التاريخ المفصل لحياته وما أحراه بالنشر ! ولتاريخه لتطوان مختصر أحرز على جائزة المعهد الحسني بتطوان فطبع بها في مجلد، *والعملة المغربية خلال أربعة عشر قرناً*. أما أبحاثه ومقالاته ومحاضراته فلا تحصر، ولو جمعت لجاءت في عدة أجزاء. وكان معنياً بالتحف والنوادر فجمع مجموعات من طوابع البريد ومن العُملات المختلفة. ومن صُور البلاد والأشخاص الشيء الكثير. وقد وُفق رحمه الله في شيخوخته لبناء مسجد لصقَ داره، وبجواره وفوقه مكتبة حبسها على طلبة العلم وأهله. كان يعتكف فيها للتسجيل والتنظيم واستقبال الزوار. وظل كذلك إلى أن أسندت إليه مديرية المكتبة الحسنية بالرباط. فسَار فيها مرضي المعاملة مثنيا عليه إلى أن هاجمه المرض فعاد لمسقط رأسه متأثراً. زرتُه وهو مريض فوجدته يعمل في انجاز ما كان ناقصاً من مشاريعه العلمية. فأظهرت له الإشفاق مما هو فيه فاستغفر - رحمه الله - وألح علي في الدعاء له. فدعوتُ ودعوتُ ونحن نبكي معاً. وبعد هذه الجلسة بأيام معدودة لبى داعي ربه في رابع عشر رمضان عام1404 / 4 /6 / 1984 ودفن بمصلى الجنائز بمدخل باب المقابر بتطوان رحمه الله تعالى.

م. داود نفسه، *ترجمته الشخصية* بقلمه بآخر المجلد الأول من *تاريخ تطوان*، طبع تطوان ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين، في تاريخ تطاوين*، ج 6 مخطوط ؛ محمد أرسلان، *حاضر العالم الإسلامي*، حواشي الأمير شكيب،2 / 45 /47 ؛ *أستاذ الجيل الرائد الكبير المرحوم محمد داود*، [illegible] التأبين ط تطوان الكتاب كله.

محمد الأمين بوخبزة

ابن داود، محمد بن قاسم الفخار الصديقي السلامي. كان عالما جليلا وفقيهاً محدثاً وشاعراً مكثراً، وكان خلا وصديقاً للسان الدين ابن الخطيب السلماني لما كان مقيماً بسلا، ونوه به في إحدى قصائده العينية. وقد عين للتدريس بالمدرسة المرينية التي بطالعة سلا. خلف بعض التآليف ومنها *ديوان في السيرة النبوية* في أكثر من ثلاثة آلاف بيت، محفوظ بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 360 ك، وعنوانه : *نوادر الظلام في شرف سيد الأنام* وكانت وفاته بمسقط رأسه سنة800 للهجرة / 1397 م.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، ج 3، ص. 281 ؛ م. ابن علي الدكالي، *تقييد عن المدرسة المرينية* ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج 4، ص. 378 ؛ جعفر الناصري، *ابن الخطيب* بسلا، ص. 66 ؛ *كناشة محمد التطواني*، مخطوط، الورقة، 34.

مصطفى بوشعراء

أيت داود، مدينة تاريخية عريقة في القدم، تقع بقبيلة إداو بوزيا الجبلية قي قبيلة حاحة بعيدا عن البحر، تنسب إلى داود بن خالد بن يحيى بن زكرياء الذي يقال إنه أول نزيل في ذلك المحل وأنه جاء من (منى) بالحجاز في القرن السادس وهو الجد الخامس للشيخ الصوفي سعيد بن عبد النعيم صاحب الزاوية المشهورة هناك.

وقد ذكر صاحب *وصف إفريقيا* مدينة أيت داود من بين مدن حاحة العامرة في مطلع القرن العاشر (16 م) بقوله : (أيت داود مدينة عتيقة بناها الأفارقة على جبل شامخ، إلا أن بقمته سهلا في غاية الجمال... وفي وسطه عيون جارية كثيرة ماؤها بارد جدا. وليست ضواحيها سوى صخور وغابات غريبة موحشة، وتنبت بين هذه الصخور كمية وافرة من الأشجار. في هذه المدينة عدد كثير من الصناع اليهود من حدادين وإسكافيين وصائغين. يقال إن السكان الأقدمين لهذه المدينة يهود من سلالة داود، أسلموا بعد أن فتح المسلمون هذه البلاد).

وقد لاحظ الوزان أثناء مروره بهذه المدينة في مطلع القرن العاشر أن سكانها يكثر فيهم المتضلعون في الفقه ويستظهر معظمهم النوازل والأحكام، لذلك أصبحت هذه المدينة في حاحة بمثابة محكمة شرعية ترفع إليها جميع الخصومات، فتسوى فيها المطالبات القضائية والاستدعاءات والاتفاقات والعقود... ولذلك يقصدها جميع الناس من الأماكن المجاورة. وقد نوه الحسن الوزان بغزارة علم شيخين جالسهما في هذه المدينة حوالي عام 919، ولا نستبعد أن يكون أحدهما هو العالم المتصوف المشهور سعيد بن عبد المنعم الحاحي المتوفي سنة 935 هـ، إذ قال عن الأول (وقد عرفت منهم شيخا يحفظ كتاب *المدونة* عن ظهر قلب، يعني مجموع القوانين ويشتمل على ثلاثة أجزاء، تتناول بالدرس أصعب المسائل الفقهية، وتبين رأي الإمام مالك فيها).

وثانيهما التقى به الوزان بدار وكيل شرعي في هذه المدينة حيث اجتمع عدد من فقهائها ذات مساء، وبعد تناول العشاء بدأت المناقشة حول معرفة ما إذا كان يجوز بيع

ملك الخواص إذا احتاجت الأمة واقتضته المصلحة العامة، وكان من بين الحاضرين شيخ كبير حاز شرف الفصل في المسألة وحسم الخلاف فيها، وكان يدعى الجزار، لأنه يمتاز بإصابة مفاصل النوازل الشرعية.

وكل هذا يدل على ما لهذه المدينة العتيقة من أهمية حضارية كمركز إشعاع علمي وديني، وكرباط حصين بالجبال يحتمي به المجاهدون ضد التغلغل البرتغالي الذي استهدف عددا من القرى والمدن الحاحية فقتل وشرد أهلها وخرب ديارها، ودك أسوارها كما ذكر المؤلف، فلم يبق منها اليوم إلا هذه المدينة ومدينة تفضنا الواقعة غربها على المحيط الأطلسي. وأيت داود اليوم عبارة عن مركز لقيادة وجماعة وقبيلة إيداو بوزيا القروية يعمر فيه سوق أسبوعي يوم الجمعة وبه مدرسة علمية إزاء زاوية أحفاد الشيخ المذكور سيدي سعيد بن عبد المنعم (تـ. 935) والذين يتمتعون بنفوذ روحي وعلمي بين سكان قبائل حاحة وسوس إلى اليوم.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ج. 1، ص. 83 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 19 :72 ؛ *تحريات ميدانية*.

محند أيت الحاج

الداودي، أسرة فاسية كبرى تشتمل على خمس فرق : الفرقة الأولى ـ كما جاء في *رفع الالتباس* ـ : أصلها من تلمسان يدعون الشرف. أول قادم منهم على فاس الشيخ الجليل الحاج الداودي ـ اسماً ـ بن العربي التلمساني المتوفى سنة إحدى وسبعين ومائتين وألف شارح الهمزية ومحشي السعد إلى غير ذلك من التآليف، ومنهم حفيده القاضي الحسن بن ناصر بن الشيخ الداودي المذكور، المتوفى سنة ست وستين وثلاثمائة وألف المشارك الأديب الشاعر.

والفرقة الثانية كان لها ذكر بفاس، شرفاء يعرفون بأولاد ابن العياشي. قال في *الدرر البهية* (2 : 55) "كان سكناهم بنواحي الشرابليين وكانت لهم هناك رباع كثيرة والآن قد انقرضوا وإليهم ينسب جنان بالمرج باب الخوخة".

والفرقة الثالثة شرفاء أيضاً ويُعرفون بالهرغيين نسبة إلى هرغة قبيلة عظيمة من قبائل المصامدة من السوس الأقصى، أهل معاش وحرفة وطلب، وآخرُ من أدركنا منهم ـ يقول عبد السلام ابن سودة ـ يشار إليه بالطلب العلامة الموثق الطاهر بن إدريس الداودي المتوفى أواسط العشرة السادسة وثلاثمائة وألف.

والفرقة الرابعة من الجبل من قبيلة متيوة وليسوا من الأشراف وان صار البعض منهم يدعي ذلك الآن. أهل تجارة ومال وطلب ومعاش وحرفة ظهر بالعلم منهم الآن عبد الله ابن عبد الرحمان الداودي من أكبر المدرسين بالقرويين وله اليد الطولى في الافتاء ؛ وابنه عبد الكريم آتي الترجمة.

والفرقة الخامسة من بلاد الريف مرابطون من نسل الداودي المجاهد دفين بلاد النكور في الريف. ظهر منهم أخيراً الشيخ الوقور المهدي بن الحسن الداودي المتوفى عام 1360 كان يُعد من العلماء، وتولى أخيراً قيادة قبيلة الحياينة.

ع. السلام ابن سودة، *رفع الالتباس*، مرقون.

محمد حجي

الداودي أو أولاد داود أو الداوديون، أسرة قلعية قديمة الاستطيان بهضبة تازوطا، تدل أولى الوثائق المعروفة لدينا وهي مؤرخة بربيع الثاني عام 730 على أنهم كانوا مستقرين بالمكان منذ وقت سابق يصعب تحديده، ويمكن الرجوع به على الأقل إلى دخول بني مرين ناحية قلوع كرط (قلعية) سنة 610.

تعلقت الوثيقة بالمدعو الجروم أو أيروم الوغمراني الذي احتاج إلى رسم يثبت به ملكيته على الأرض الكائنة بهضبة تازوطا، مبدؤها من باب الحصن لتعود إليه بعد الاستدارة، إذ أن الداوديين كانوا سند قائد تازوطا في الجهاد ضد مليلة خلال القرن العاشر (16 م) وما بعده . وقد أعيدت المصادقة على نفس الوثيقة بتاريخ تاسع شوال عام 1158 ثم بتاريخ أول ذي القعدة عام 1286.

واعتماداً على ما بيد الداوديين من وثائق، فإن الأسر الداودية المتفرعة ما بين 730 و1295 هي المعروفة بكنيات أيروم ويومزوغ وأينار والداودي.

وثائق القائد الحاج محمد بن الهادي الداودي ؛ *وثائق السيد الوردة* ؛ *وثائق الخال الطاهر محمد عالوش* ؛ *وثائق ميمون المختار الداودي* ؛ وثائق خ. ح. ومديرية الوثائق الملكية ؛ *معلمة المغرب*، *تحر ميداني*.

حسن الفكيگي

الداودي، أحمد بن حدو، مقاوم كان يرأس جماعة من المهاجرين من قبيلته كبدانة انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يرأسها الشريف مَحمد أمزيان ضد التدخل العسكري الإسباني بناحية الناظور ؛ وقد شارك في عدة معارك وسقط أسيراً في المعركة التي جرت يوم 28 جمادى الأولى 1330 (15 ماي 1912) والتي استشهد فيها زعيم المقاومة الشريف مَحمد أمزيان.

محمد ابن عزوز حكيم

الداودي، البشير، مقاوم من مواليد سنة 1926 بمدينة العيون. شب على مبادئ الوطنية والكفاح، وكان من الرعيل الأول للمقاومة والمؤسسين لفرق جيش التحرير بالصحراء المغربية برتبة قائد. شارك في عدة معارك منها : معركة الدشيرة، وتافودارت والعيون ولبلاية وغيرها من

المعارك التي دارت رحاها بالصحراء.

توفي في شهر أبريل 1995 بمدينة العيون.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

الداودي، التقي بن عمر، مقاوم ولد سنة 1928 بطانطان. نشأ في أسرة متواضعة وعرف عنه كرهه الشديد للاستعمار الشيء الذي دفعه بعد اشتداد عوده إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير بالمقاطعة الثالثة عشرة قيادة قاضي ملال وذلك بتاريخ 12 / 11 / 1957، امتاز بإخلاصه وتفانيه في العمل حيث كان مثالا حسنا بالنسبة لباقي إخوانه المجاهدين، شارك في عدة معارك خاضها جيش التحرير ضد المستعمرين : الإسباني والفرنسي، نذكر منها معركة تيلوين واصضر وابريغيت وأخيرا معركة افران، وكانت مشاركته فعالة ومثمرة طيلة الفترة التي قضاها في صفوف جيش التحرير إلى أن استشهد في المعركة الأخيرة بتاريخ 20 / 11 / 1958.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين، *شهداء الاستقلال*، 4 :24.

الداودي، الجيلالي بن الرغاي، من قبيلة أولاد سيدي بنداود، إحدى قبائل الشاوية الجنوبية المكونة لقسم أولاد بورزق. تولى القيادة على قبيلته في عهد مولاي الحسن الأول، وشمل نفوذه بعض فرق أولاد بوزيري المجاورين. وقد استمر الجيلالي الداودي في القيادة إلى عهد الاحتلال الفرنسي.

لم يتعرض القائد الجيلالي بن الرغاي الداودي لأي أذى عندما انتفضت قبائل الشاوية ورفضت قوادها منذ 1903. ويظهر أن القائد انغمر مع أسرته ضمن الانتفاضة حيث كان أخوه وخليفته القرشي بن الرغاي من زعماء الانتفاضة ومقدمي جماعاتها.

حارب القائد الجيلالي الفرنسيين، ولما تمت سيطرة المحتلين هاجر بلاده. وقد عدته استخبارات جيش الاحتلال من زعماء المقاومة.

وقد اتصل القائد الجيلالي بالألمان ونال حمايتهم. وبتلك الحماية أراد الرجوع لبلاده. الأمر الذي أثار خلافات بين قيادة جيش الاحتلال في شخص الجنرال مواني Moinier الذي رغب في أن يقدم له المجاهد المغربي طلب الأمان، وبين السلطات الدبلوماسية الفرنسية بالمغرب التي قبلت الأمر الواقع. وقد عاد الجيلالي الداودي لقبيلته دون أن يطلب الأمان من الجنرال قائد جيش الاحتلال.

علال الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، 1894 ـ 1910*، الدار البيضاء، 1994 ؛ *وثائق الحربية الفرنسي*.

الداودي، حمامو الشاوي من أبطال الجهاد الذين ذاع صيتهم أثناء مقاومة قبائل الشاوية للاحتلال الفرنسي خلال سنة 1907 ـ 1908. ينتمي لقبيلة أولاد سيدي بنداود التي خرج منها كثير من الأبطال الذين اشتهروا بالشجاعة والفروسية.

خاض معارك الجهاد، حول الدار البيضاء وسطات ضد جيش الاحتلال الفرنسي وكان يتقدم الصفوف حاملا لواء قبيلته، مثله في ذلك مثل القرشي بن الرغاي الداودي.

لما تغلبت القوة العسكرية، وخضعت كل قبائل الشاوية للسيطرة الفرنسية، ألقي القبض على حمامو الداودي كغيره ممن عارض الاحتلال ودافع عن بلاده من مجاهدي الشاوية. وأبقته القوة الغاشمة حبيس السجن إلى أن وافاه أجله في تاريخ غيرمحدود.

العربي العزوزي، *نشر المحاسن والمآثر لرجال الشاوية المشاهير*، مخطوط.

علال الخديمي

الداودي، سعيد، مقاوم ولد سنة 1916 بدوار أيت بوجو فوم أودي دائرة واويزغت إقليم أزيلال. اختار الكفاح المسلح في صفوف الحركة الوطنية حيث نفذ العديد من العمليات الفدائية فألقي عليه القبض في شهر يونيو سنة 1951، وعند خروجه استمر في كفاحه بصفوف المقاومة المسلحة ليلقى عليه القبض للمرة الثانية حيث تم نقله من سجن تونفيت بإقليم أزيلال إلى سجن سيدي سعيد بمكناس ومنه إلى سجن الدار البيضاء فمراكش وأخيراً سجن بويزكارن بالصحراء المغربية وبه استشهد داخل زنزانته خلال شهر نوفمبر سنة 1953.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 3 : 116.

الداودي، عبد الكريم بن محمد بن عبد السلام. ولد بمدينة فاس عام 1334 / 1916 وأدخله والده في سن السابعة إلى الكتّاب بحي سيدي أحمد الشاوي قرب سكناه، فقضى فيه نحو سبعة أعوام وانتقل بعد ذلك إلى المدرسة الناصرية الحرة التي كان يديرها الفقيه محمد غازي



بتوجيه من عمه أحمد الذي كان يسكن مدينة مراكش. وقد تلقى في هذه المدرسة دروساً في النحو والفقه والسيرة والحساب والجغرافيا، انتقل منها إلى جامعة القرويين التي تأسس فيها آنذاك التعليم النظمي المكون من ثلاثة مراحل : ابتدائية وثانوية ونهائية، فانخرط في النظام وأخذ عن الشيوخ : عبد العزيز العراقي، وأحمد العمراني ومحمد بن العربي أشرقي وغيرهم، كما أخذ خارج النظام عن عبد الرحمن الغريسي ومَحمد بن عبد المجيد أقصبي ومحمد بن عبد الكبير ابن الحاج.

يمثل هؤلاء الأساتذة مختلف مراحل تعليمه كما يمثلون جوانب شتى من أخلاقه وسلوكاته، وكان أكثرهم غير راض على الوضع الاستعماري الذي فرضته الحماية على المغاربة وكذلك على الوضع الفكري الذي يسود بعض الفئات في المجتمع، فنشأ عبد الكريم الداودي متحمساً للفكر الإصلاحي، وظهر ذلك في مواقفه الوطنية حيث دخل إلى السجن مرات، كما ظهر في خطبه أيام الجمعة وفي خلايا حزب الاستقلال الذي كان ينتمي إليه.

ومن أبرز مواقفه الإصلاحية دعوته إلى إدماج المرأة في المجتمع وإلى وجوب تعليمها وتوعيتها، وكان يعقد جلسات خاصة في منزل الوطني أحمد مكوار يحضرها نساء واعيات يقدم إليهنّ الأصول الشرعية في وجوب مشاركة المرأة في المجال التربوي ويحمِّلهن مسؤوليتهن في تعميم هذه الأفكار داخل المجتمع المغربي.

وكانت أفكاره هذه واضحة أثناء تكليفه بتقديم الدروس النهائية لقسم البنات بجامعة القرويين، حيث تخرج على يده الفوج الأول من العالمات المكون من السيدات حبيبة البورقادي وفطومة القباج، وزهور الزرقاء، وعائشة بنت مَحمد السقاط والسعدية الحمياني.

ومنذ تخرج عبد الكريم الدودي وهو يعمل في إطار التعليم، فكان أستاذاً بجامعة القرويين وببعض المدارس الحرة بفاس، وحظي بشعبية كبيرة في المجتمع الفاسي إذ كان الناس يُقبلون عليه لاستفتائه في كثير من قضاياهم الدينية وللاستماع إلى خطبه أيام الجمعة سواء أثناء قيامه بها بمسجد سيدي أحمد الشاوي أو بعد أن انتقل إلى جامع القرويين. وكان يجيب في كثير من الأحيان عن أسئلتهم في ركن المفتي بالتلفزة المغربية.

ويعدّ عبد الكريم الداودي أحد أعضاء المجلس العلمي بفاس، اختير لإلقاء بعض الدروس الحسنية الرمضانية، منها درس بعنوان *فضيلة الغرس والزرع في الإسلام* انطلاقا من حديث البخاري (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة) ؛ ودرس في *فضيلة العلم والحكمة والبذل من أجل الصالح العام* انطلاقا من حديث البخاري في كتاب العلم باب الاغتباط في العلم والحكمة.

التزم رحمه الله بالقيام بواجبه دون أن يستسلم لعجز أو مرض لأنه كان يرى أن الإنسان مسؤول عن أعماله ما دام حياً، ولهذا نجده منذ نشأته إلى آخر يوم من حياته منكباً على التعلّم والتعليم وعلى الاستفادة والإفادة، ويكفينا دليل على ذلك أنه توفي يوم الجمعة عشرين ذي القعدة عام 1415 / 21 أبريل 1995 بنوبة قلبية وهو عائد من الرباط إلى مدينة فاس بعد أن سجل بدار التلفزيون حصة من حصص ركن المفتي.

وقد أقامت له كلية الشريعة بفاس في اليوم التاسع من يونيه 1995 حفلا تابينيا شارك فيه عدد من العلماء والأدباء. ومما ينبغي ملاحظته أن عبد الكريم الداودي رغم نشاطه العلمي الدؤوب ومشاركته في شتى ضروب المعرفة الإسلامية لم يشتغل بالتأليف والتدوين بحيث لم أقف له إلا على *كناشة علمية* بها تقاييد تتعلق بالأحكام الشرعية وبقواعد الأصول، وفيها بعض القصص والنتف الشعرية وتاريخ حوادث شخصية ووطنية.

وذكر له ابن الحاج في ترجمته مجموعة من التآليف لم يتيسر لي الاطلاع عليها منها *شرح على لامية الأفعال* لابن مالك قال : إنه مازال في مسودته، و*تعليقات على كتاب مفتاح السنة* للشيخ محمد عبد العزيز الخولي في الحديث، وعلى كتاب *لباب اللباب* في الفقه، و*تلخيصات في تاريخ المغرب*.

ع. الكريم الداودي نفسه، *كناشة علمية تحتوي على تسع وأربعين ورقة في ترجمته الذاتية* ؛ م. ابن الحاج، *إتحاف ذوي العلم والرسوخ*، الدار البيضاء، 1978 ؛ *دعوة الحق*، العددان 305 ـ 306، عام 1394.

محمد بن عبد العزيز الدباغ

الداودي، القرشي بن الرغاي، مجاهد شهير بقبائل الشاوية، ينتمي لقبيلة أولاد سيدي بنداود، المجاورة لأولاد بوزيزي إلى الجنوب من مدينة سطات.

ينتمي القرشي إلى أسرة تولت القيادة بقبيلته، ويبدو أنه كان خليفة لأخيه القائد الجيلالي بن الرغاي. ويظهر أن أسرة القرشي بن الرغاي كانت مرتبطة بالجماعة ارتباط تقديم وزعامة، ولهذا انخرط القرشي بن الرغاي في انفتاضة 1903 بالشاوية وتزعم جماعة قبيلته التي واجهت الاستغلال الرأسمالي للتجار الأجانب واليهود وسيطرة قواد المخزن.

وظل القرشي يتزعم إخوانه، إلى أن تحولت الانتفاضة إلى جهاد ضد الاحتلال الفرنسي لمدينة الدار البيضاء إثر حوادث 1907.

اشتهر القرشي بن الرغاي كقائد حربي شارك في معسارك الدار البيضاء والشاوية وخاصة في المعارك التي دارت في الشاوية الجنوبية، وقد استشهد في إحدى هذه المعارك التي جرت بمدينة سطات في 15 يناير 1908.

ع. الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، 1894 ـ 1910*، الدار البيضاء، 1994 ؛ *وثائق الحربية الفرنسية*.

علال الخديمي

الداودي محمد بن **لخضر**، مقاوم ولد سنة 1930 بمدينة وجدة. دفعت به أفكاره الوطنية إلى العمل ضمن صفوف المقاومة السرية المغربية بوجدة وفاس، وشارك في تنفيذ عدة عمليات فدائية مع أحمد عمر والحاج بوبو من سنة 1953 إلى غاية سنة 1954.



ومن جملة الأعمال التي نفذها اغتيال بعض الخونة المتعاملين مع سلطات الاستعمار الفرنسي.

ألقي عليه القبض وسجن بمدينة فاس وحاولت الشرطة استنطاقه إلا أنه فضل الانتحار بدل البوح بأسرار المقاومة واستشهد رحمه الله سنة 1954 بفاس.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 2 : 178.

الداودي، محمد بن **الهادي** الشكري القلعي، قائد المولى الحسن على خمس بني شكر القلعي. كان في بداية أمره شيخ فرقة بني بوغمارن المندرجة في خمس بني شكر، ثم أصبح أول قائد للقبيلة على عهد المولى الحسن بعد تفكيك نظام القيادة الموحدة التي كانت بيد المختار ألغم منذ عهد محمد بن عبد الرحمن (*المعلمة*، 10 / 3193). ومن هناك جاءت نزاعاته مع المختار ألغم والسعي للإطاحة به.

تولى القيادة على بني شكر حوالي سنة 1291. وهي السنة التي قرر فيها المولى الحسن أثناء زيارته لقبيلة قلعية اعتماد النظام الجديد القاضي بتطبيق نظام تعدد القيادات داخل القبيلة الواحدة، تلافيا لكثرة النزاعات وضبطا لاستخلاص الواجبات المخزنية.

تكونت قبيلة بني شكر آنذاك من تجمعات واد المدور من أعلاه إلى أدناه ومن أهل كتلة شبه جزيرة هرك. وفرقة بني بوغمارن من الفرق الرئيسية بالقبيلة، قاعدتها قلعة تازوطا. وإذا أخذنا على سبيل المثال ما جاء في مراسلتين، الأولى بتاريخ 12 شعبان عام 1291 والثانية بتاريخ فاتح صفر 1297، فإن القائد الحاج محمد بن الهادي وجب عليه من الأعشار ما تراوح بين 2.800 ريال في السنة الأولى و1484 ريال في السنة الثانية.

ودار القائد محمد بن الهادي الداودي كائنة بمدشر أولاد داود، من فرقة بني بوغمارن، المستقر على السفح الجنوبي من كتلة جبل أكركور القلعي بجوار إحدادن السبت، حيث ما يزال أحد أحفاده يسكن هذه الدار، وهو المدعو الطويلي الداودي.

كانت قبيلة بني شكر الخمس الأول المنفصل عن القائد المختار ألغم الجواوي، سابق الترجمة وأصبحت مثالا يحتذى لباقي أخماس قبيلة قلعية. كان مدبر الحركة ضده هو بنو شكر بقيادة محمد بن الهادي الداودي، الأمر الذي أدى إلى استمرار النزاع معه إلى أن تم القبض على المختار الغم وإيداعه في سجن العرائش.

شارك الحاج محمد بن الهادي الداودي بأمر من المولى الحسن قواد قلعية في حل مشاكل حدود مليلة التي كان يثيرها عادة رجال حامية مليلة مع أهل قبيلة مزوجة. وكان منها المشكل البارز منذ 23 رجب 1300 : المترتب عن شكاية عسكر مليلة بقتل أحد الجنود، اتهم به المسمى حمو بن الطاهر النصري المزوجي، مضافا إلى دعاوي أخرى.

ولتلك الغاية وجه المولى الحسن القائد الرحالي العمري الذي بقي بقصبة جنادة سبعة عشر يوماً للإشراف على فض دعاوي الحدود، وهي مثلما أبرزتها الوثائق : دعوى حم بن الطاهر النصراوي المتهم بقتل جندي إسباني وسرقة أهل خمس مزوجة الحلاليف والزروع ودعوى قتل الإسبان لأحد الشكريين بالحدادة. وحينما قدر ما ضاع من الخسائر بنحو مائتي وسبعين ريالاً، تم توزيع هذا المقدار على الأخماس، فكان المطلوب من بني شكر هو دفع سبعين ريالا، تكلف الحاج محمد بن الهادي الداودي بجمعها وتسديدها. تم هذا الفصل في مستهل رئاسة مبارك بن علي الدوبلالي، المعين في 21 شوال 1300 قائداً على الحدود وواسطة بين قلعية وحاكم مليلة فيما يرجع لمشاكل الحدادة، بدل القائد حميدة ابن علي الشركي المنقول إلى قصبة عيون سيدي ملوك.

لم ينج محمد بن الهادي الداودي من النزاعات التي كانت تشب بين القواد وأمناء القبائل، ونعرف أن أمين بني شكر هو المسمى الحاج محمد بن عبد الله الشكري. والخلاف بين الأمناء والقواد كان في العادة مركزاً حول الاستقلال بشؤون مالية القبيلة وعدم تدخل القائد في أمرها.

هذا هو ما علمناه من خلال مراسلة 29 جمادى الأولى 1305 مما وقع بينه وبين بني شكر من البارود ومقتل بعض إخوانه وإخراجه من داره وهروبه إلى مزوجة. ولم تكن هذه نهاية الحاج محمد بن الهادي الداودي بل استمر علمنا بوجوده على رأس القبيلة إلى 26 جمادى الأولى 1307/ 18 يونيه 1890، وهو التاريخ الذي أمر به للتدخل في الصلح بين مسطاسة وبني كميل من قبائل الريف الغربي، وإلى متم شوال 1307 / 18 يونيه 1890 حين أخبر القائد السلطان

المولى الحسن بمقتل المقدم الحضري، ثم أخفت عنا الوثائق أخباره ابتداء من هذا التاريخ.

وثائق القائد الحاج محمد بن الهادي الداودي ؛ وثائق السيد الوردة ؛ وثائق الخال الطاهر محمد عالوش ؛ وثائق ميمون المختار الداودي ؛ وثائق خ. ح. ومديرية الوثائق الملكية ؛ معلمة المغرب، تحر ميداني.

حسن الفكيگي

الداورة (واد -)، هو أحد الأنظمة الهيدروغرافية المغربية الرئيسية ذات الجريان الحبيس، النازلة عبر سفوح الأطلس الكبير الأوسط، والمخترقة لوحدة هضاب وحمادات المغرب الجنوب الشرقي، وتغطي أراضيه مساحة واسعة من الدائرة الترابية لإقليم الرشيدية.

يشكل واد الداورة حاليا المجرى الأسفل لثلاثة أحواض نهرية كبرى هي حوضا زيز وغريس المنطلقان من السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط المعروف بالأطلس الكبير الكلسي، وكذلك حوض المعيدر الذي يقوم بتصريف مياه التخوم الشرقية للأطلس الصغير. ينطلق واد الداورة من نقطة التقاء هذه الأودية الثلاثة عند حاسي الرملة ليستمر نحو الجنوب مخترقا حمادة الكمكم ثم حمادة كير قبل أن تتلاشى وتختفي معالمه عند حمادة توناسين المترامية الأطراف.

على الرغم من أهمية التغذية المائية التي تتميز بها أحواضه العليا المنطلقة من الأطلس الكبير الأوسط، فإن واد الداورة بسبب امتداده الواسع نحو الجنوب في اتجاه العروض الصحراوية الجافة، وبسبب اختراقه للحمادات الشاسعة المكونة من صخور كاربوتانية في الغالب تتميز بنفاذية عالية، وبسبب الحقول والعروق الرملية التي تتخلل عناصره الهيدروغرافية وتنهك مجراه الرئيسي، لا يعرف إلا جرياناً متقطعاً ولحظياً يرتبط في الغالب بالأمطار العاصفية المحلية، ولا تصله مياه العالية إلا نادراً على النحو الذي حدث سنة 1965 بسبب فيضانات أحواض العالية. وحتى هذه الأتاوات المائية الفيضية الممكنة فقد تضاءلت إمكانية وصولها خصوصا بعد تشييد سد الحسن الداخل عند الراشيدية على واد زير أحد الروافد الرئيسية لواد الداروة. وفي حالة حدوث الجريان فإن المياه التي يتم تصريفها سرعان ما تجد طريقها نحو السبخات التي تتخلل سطح الحمادات مثل سبخة الداورة، أو نحو الجرف لتغذي الفرشات الجوفية المختلفة التي يستغل رحل المنطقة مياهها عبر سلسلة من الأبار المتفرقة، مثل حاسي تماسنت وحاسي محرز وغيرها.

إن الظروف المناخية الحالية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تفسر تطور هذا النظام الهيدروغرافي المغربي الواسع الامتداد. فإن تطوره في الواقع يعود إلى فترات مناخية رطبة قديمة كانت تسمح بتوفير المياه الكافية وبشكل مستمر لتنشيط الجريان واشتغال التعرية المائية النهرية، التي مكنت من تشكيل حوض هيدروغرافي مترامي الأطراف، يمتد وسط حوضين كبيرين مماثلين هما حوض درعة الممتد عند الطرف الغربي وحوض الساورة الممتد عند الجانب الشرقي والذي يتميز حاليا بنفس خصائص حوض الداورة.

من الناحية البشرية، فإن امتداد واد الداورة عند المجال الصحراوي القاحل يجعل منه منطقة فراغ سكاني حقيقي، لا تتجاوز عنده الكثافات السكانية 5 نسمة/ كلم في أحسن الأحوال، تتركز فيه الحياة البشرية المعتمدة على الترحال المرتكز على نمط الرعي الخفيف حول نقط الماء التي تختفي تدريجيا في اتجاه الجنوب بسبب تزايد درجة شح المياه وتقدم تدهور جودتها.

الحسن المحداد

داوينة Davina، واد ذكره الجغرافي الرافيني *La Géographie de Ravenne*، الذي وضع كتابه في أواخر القرن السابع أو بداية القرن الثامن الميلادي. وهو آخر ما وصلنا من المصادر اللاتينية حول جغرافية المغرب القديم. إن الكاتب يسمي المغرب القديم أحيانا بموريطانية الطنجية، وأخرى يدعوه موريطانية الگاديسية Mauretania Gaditana، نسبة إلى مضيق جبل طارق الذي يدعوه Septem Gaditanum، وهو بدوره ينتسب إلى مدينة گاديرة Gadera أو گاديس Gades في إسبانيا.

تحدث الكاتب عن وادي داوينة في مجال موريطانية الطنجية (الفقرة التاسعة من الفصل الثالث). فبعد إحصاء المدن التي أدرجها في هذا السياق وعددها 18 موقعا، أضاف ما يلي : "إن هذا البلد تسقيه وديان من بينها توربولنتا Turbulenta، الذي يدعى أيضا داوينة". والملاحظ أن ما أورده الكاتب في هذا السياق من المدن والنهر، لا نجد له ذكرا في بقية المصادر المعروفة حول تاريخ المغرب القديم باستثناء مدينة طنجيس Tingis.

والكاتب نفسه تحدث في سياق آخر عن المغرب القديم (الفقرة الحادية عشرة من الفصل الثالث والفقرة الرابعة من الفصل الخامس)، وذكر بعضا من وديانها المعروفة في مصادر أخرى، وبعض المدن التي وردت في مسالك أنطونينوس *Itinéraire d'Antonin*، حيث نتعرف على المحطات والمدن التي تخترقها الطرق الرومانية في القرن الثالث الميلادي.

وأغلب الظن أن الكاتب أخطأ في إدراج الوادي المذكور بموريطانية الطنجية. وهذا ما لاحظه الباحث موريس أوزينا عن المدن الثمانية عشرة التي وردت في المصدر، في السياق الذي ورد فيه واد داوينة (انظر مادة دراكونيس).

وأيا ما كان الأمر، فهناك ملاحظة حول هذا الوادي الذي يحمل اسمين : توربولنتا ـ داوينة. إن هذه الظاهرة

معروفة في نصوص أخرى قديمة بالنسبة لبعض الوديان. يتعلق الأمر بواد ديريس Dyris، وهو غير معروف حاليا، قيل *إنه ينبع من جبال الأطلس ويدعى أيضا أكير* Agger (Vitruve, 8, 2, 6). ثم وادي دارا Dara (هو درعة الحالي) الذي يدعى أيضا نهول Nuhul (Orose, 1, 2, 13).

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; M. Euzennat, *Remarques sur la description de la Maurétanie Tingitane dans Pline, H.N.*, V. 2 - 18, *Antiquités africains*, 25, 1989.

محمد مجدوب

دايْ مدينة قديمة بوسط المغرب اندثرت وقامت على أنقاضها مدينة بني ملال الحالية. والمعروف عند الرحالة والمؤرخين العرب في تسميتها أنها مثل "داء" وزناً ومعنى، لما عُرفت به من وخم الهواء وتعدد الأمراض لكثرة ما بها من عيون وشلالات، وما يتبع ذلك من مستنقعات. مثل ما نجده عند الحسن اليوسي في *المحاضرات* من قصص وإنشادات، كقوله :

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلــةً ... بسهب الشنين أو بسهب بني وَرَا
وهل تعبُرَنْ نهرَ العبيد ركائبـي ... وهل تتركُنْ داياً وأدواءَ هــا وَرَا

إلى أن جاء أخيرا المستشرق گوتيي Gauthier ونشر سنة 1926 في مجلة *هسبريس* مقالا بعنوان *مدينة أوداي* أي مدينة اليهودي، وراج هذا الافتراض على ما به من تمحل.

أما عن تاريخ "داي" فالمشهور أنها من إنشاء المرابطين في القرن الخامس (11 م) إلا ما ذكره البكري في *المسالك والممالك* أن يحيى بن إدريس اختص بداي وما حولها من البلاد بعد وفاة إدريس الثاني وتوزيع الأقاليم على أبنائه سنة 213 وإذا صحت هذه الرواية فيكون المرابطون قد جددوا داياً حتى لكأنهم أنشؤوها إنشاء. وهناك مَن يخلط بين داي ومؤسسة عمرانية مرابطيّة أخرى في تادَلا هي تاكرارت القريبة منها. حسبهما بعضهم شيئاً واحداً، وزعم آخرون - اعتماداً على رواية شفوية عاميّة - أن يوسف بن تاشفين خرّب داياً وبنى على أنقاضها تاكرارت. والواقع أن مدينة داي وقلعة تاكرارت عمارتان متجاورتان مستقلتان كانتا معاً قائمتين في عهد المرابطين والموحدين. فداي كما وصفها الشريف الإدريسي في *نزهة المشتاق* واقعة "في أسفل جبل خارج من جبل درن... وهي صغيرة لكنها كثيرة العامر، والقوافل عنها واردة صادرة" ويبدو أنها التي يعني صاحب *الاستبصار* بقوله : "وبنى فيها - تادلا - الملثمون حصنا عظيما منيفا وهو الآن معمور فيه الأسواق والجامع"، في حين كانت تاكرارت قلعة عسكرية أقرب إلى الجبل كما تقتضيه طبيعتها. وهناك نص البيذق في *أخبار المهدي* الذي لا يدع مجالا للشك في وجود المؤسستين معاً، إذ وصف عن مشاهدة استيلاءَ الموحدين على تاكرارتْ ثم على دايْ.

وعن نهاية مدينة داي يحدِّدها نص *التشوف* في سنة 559 / 1163 ويقول إنه طرأ على أهلها في هذه السنة ما طرأ وافترقوا في البلدان. وإذا كان سبب خراب داي غير معروف *فقد افترض الأستاذ أحمد التوفيق - أخذاً* من إشارات متناثرة في *التشوف* - أن يكون ذلك بسبب ثورة المريدين المتوافرين في تادلا وتأييدهم للمسمى "عتاب" الذي قد يكون رام انتزاع السلطة من يد الموحدين بعد موت عبد المومن في السنة السابقة. وأُضيفُ تأييداً لهذا الافتراض أمرين : الأول ما عُرف من كراهة أهل دادي لنحلة الموحدين وخروجهم عليهم المرة تلو الأخرى، وذلك ما يُفهم من تكرر فتح تادلا وداي في عبارات ابن القطان في *نظم الجمان*، كقوله في أنباء سنة ست وعشرين وخمسمائة : "ثم تحرك رضي الله عنه إلى داي مرة ثانية وردّ سرية إلى بلد هزرجة وهم غافلون، فقتلهم قتلا ذريعا". الثاني ما يُستشفُّ من مختلف المصادر التاريخية أن السنتين المواليتين لوفاة عبد المومن يحيط بهما الغموض لشدة الاضطرابات وتوالي المؤامرات حتى من طرف أبناء عبد المومن أنفسهم، بحيث لم يبايع أبو يعقوب يوسف بيعة الجماعة إلا يومَ الجمعة ثامن ربيع الأول عام560 / 22 يناير 1165.

هكذا تكون داي عاشت كحاضرة لتادلا نحو مائة وسبعين سنة، تمتعت خلالها برفاهية العيش بسبب موقعها الاستراتيجي وسط البلاد، وعلى الطريق الرئيسية بين الشمال والجنوب وحاضرتيهما فاس ومراكش، وبسبب خصب تربة أراضيها ووفرة مياهها، كما امتازت بوفرة علمائها وصلحائها، فغدت بذلك المركز الثقافي اللامع في منطقة تادلا، واشتهر أعلامها بنسبتهم التادلية، ولم يُنسبوا إلى داي مباشرة، ربما لما يُشعر به هذا الاسم من داء ووباء، فيقال للواحد منهم تادليّ من دادي، أو تادليّ أصلُه من داي. وقد عم إشعاع مدينة داي الفكري والديني كل مراكز تادلا المحيطة بها كمدينة تادلا العتيقة على مرحلة منها، وعين الحوت في شمالها الغربي، وقلعة تاكرارت التي تدعى أيضاً محلة داود نسبة إلى القائد المرابطي داود بن عائشة، ويسميها البيذق تاكرارت متاعْ داود. وقرية نضير المعروفة اليوم بدوار أولاد عبد الله. كل هذه المراكز وغيرها من مواقع التجمعات السكنية في تادلا كانت على صلة قوية أو ضعيفة بداي، تستمد منها وتلتجئ إليها في التعليم والتربية الروحية والأحكام الشرعية.

قد تكون داي هي مسقط رأس الصوفي الكبير يوسف بن يحيى التادلي ابن الزيات مؤلف *التشوف*، فوالده العالم الصالح يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن التادلي قضى حياته في داي، ولم يغادرها إلا عندما وقعت الواقعة التي شتتت شمل أهلها، وتدل رواياته وأخباره وإنشاداته في *التشوف* على معرفة واطلاع ودقة ملاحظة لمدينة داي. ثم التحق مع من التحق من أهلها بمراكش حيث تجمّعوا في

جانبها الشرقي، ومعهم علماؤهم وصلحاؤهم أمثال أبي يعقوب يوسف بن عبد الله بن مصباح التادلي، ومحمد بن تميم الزناتي التادلي، ويحيى بن أبي بكر عبد الله التادلي الذي قرأ عليه هناك الصبيُّ المهاجرُ يوسفُ بن يحيى التادلي الذي سيخلّد في *تشوفه* أخبار الصالحين في داي وتادلا ودكالة ومراكش وسائر الجنوب المغربي.

أ. البكري، *المسالك والممالك*، بيروت، 1992 ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، ليدن ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ مجهول، *الاستبصار*، تح. سعد زغلول عبد الحميد الاسكندرية، 1958 ؛ ي. التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، ط 2، الدار البيضاء ؛ م. الحميري، *الروض المعطار*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1978 ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات*، تح. م. حجي وأ. الشرقاوي إقبال، بيروت، 1982 ؛ الملتقى العلمي لمنطقة تادلا، *تادلا، التاريخ، المجال، الثقافة*، أبريل، 1992، منشورات كلية الآداب بني ملال، الدار البيضاء، 1993.

E.F. Gautier, *Medinat - ou - Daï*, *Hesp.*, 1926.

محمد حجي

الداي ولد سيدي بابا، ولد في مدينة أطار بموريتانيا سنة 1340 /1921 ، وبها تعلم وتربى في بيت صلاح وعلم وأدب، فدرس القرآن الكريم ومختلف العلوم السائدة في ذلك الوقت على يد علماء أجلاء، كما درس اللغة الفرنسية والعلوم العصرية بالمدارس التي كان الاستعمار قد أنشأها. وكان شغوفا بالمطالعة لا يفتر عنها ليل نهار، وخصوصا فيما يتعلق بكتب التاريخ. ولما أصبح شاباً يافعاً، دفعته غيرته الوطنية إلى المساهمة في النضال الوطني الشاق الذي كان يخوضه أبناء موريتانيا من أجل



التحرير من الاستعمار وتحقيق الوحدة مع المغرب.

وكان الداي ولد سيدي بابا يؤمن إيماناً قاطعاً بوحدة المغرب من طنجة إلى نهر السينغال، لذا فهو بعد عودة محمد الخامس من المنفى والتوقيع على وثيقة الاستقلال، كان متيقنا، كما أكدّ لي ذلك، أن باقي أطراف المغرب في الجنوب لا محالة ستلتحق بشماله، فكان ذلك سببا في وفوده إلى الرباط سنة 1958، لمتابعة الكفاح، بعيدا عن المناورات الاستعمارية.

وبمجرد قدومه، عينه محمد الخامس مستشاراً بوزارة الخارجية، ولم يمض عليه في هذا المنصب سوى سنة واحدة حتى رُقي إلى رتبة مدير لقسم إفريقيا سنة 1959 بنفس الوزارة ؛ ثم عين سفيراً للمغرب بغينيا سنة 1961 وظل يشغل هذا المنصب إلى أن تمّ تعيينه سنة 1963 سفيراً مساعداً للمندوب الدائم لدى الأمم المتحدة ومُمثلاً للمغرب بمجلس الأمن الذي أسند له سنة 1964 رئاسة لجنة التحقيق في حوادث الحدود بين الفيتنام والكامبودج، ثم عُيّن، بعد ذلك، من قبل نفس المجلس، عضوا في لجنة الخبراء المكلفة بالتحقيق في مشكلة العنصرية بإفريقيا الجنوبية ؛ ثم رُقيَ ابتداء من 1965 إلى منصب ممثل دائم للمغرب لدى الأمم المتحدة، بينما قامت الجمعية العامة للأمم المتحدة في السنة التالية بانتخابه نائباً لرئيسها.

بعد ذلك، عاد السيد الداي إلى المغرب حيث عُيّن وزيراً بالديوان الملكي، وبقي يشغل هذا المنصب إلى أن وقع تعيينه سنة 1971 سفيراً لبلاده بالمملكة العربية السعودية، ثم عاد إثر ذلك إلى المغرب سنة 1972 ليتقلد منصب مدير للديوان الملكي.

وفي شهر ماي 1973، أسندت إليه وزارة التربية الوطنية، ثم في سنة 1974، عين وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية، وظل يعمل بها إلى غاية سنة 1977، حيث تقدم للانتخابات البرلمانية بصفته عضواً في اللجنة التنفيذية للتجمع الوطني للأحرار، فانتخب نائباً برلمانياً، ثم انتخب رئيساً للبرلمان، وظل يشغل هذه الرئاسة طيلة ست سنوات.

كان السيد الداي بذكائه وطيبوبته واستقامته محطّ إعجاب كل من عاشروه أو عملوا معه، كما كان يُشهد له بالباع الطويل في الميدان الديبلوماسي، وبالإخلاص للواجب الملقى على عاتقه في جميع المناصب العليا التي شغلها.

ومما قاله المرحوم الحسن الثاني لأبناء السيد الداي حينما جاؤوا يعزونه في فقدان والدهم : "إن المثال الذي ضربه السيد الداي يعزّ نظيره سواء حينما اختار المجيئ للمغرب وسمح في الشيء الذي كان يمكنه أن ينتظره في مكان آخر، أو بعد التحاقه بالمغرب من خلال سيرته التي بقي محافظاً عليها عشرات السنين، والحقيقة أن السيد الداي كان يحظى باحترام الجميع... لقد كانت له بالفعل

مكانة فريدة من حيث النزاهة الفكرية والمادية، وكان قبل كل شيء رجلا لا يسعى إلا وراء الفضيلة...".

توفي *السيد الداي ولد سيدي بابا* إثر مرض طويل يوم 21 ربيع الأول عام 1413/19 سبتمبر عام 1992 ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط.

بحث ميداني ومعرفة شخصية ؛ جريدة الميثاق الوطني.

محمد الشياظمي

الدايْري، ويكتب الدّيري. أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Aldeire ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون من سنة 1483 إلى سنة 1900*، تطاون 1999 ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 655.

الدايز أو ابن الدايز، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، حيث ما زال هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Adaiz ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان ولم يبق منها إلا زقاق يعرف بالسماط الدايز يقع بحومة السويقة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون من سنة 1483 إلى سنة 1900*، تطاون 1999 ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 656.

محمد ابن عزوز حكيم

الدب الأسمر بالمغرب، حيوان ثديي لاحم من فصيلة الدببيات Ursidae، كبير وثقيل يزن 250 ـ300 كيلوغرام، ويبلغ ارتفاعه عند الغارب 125 سم. يمشي على أخمص أقدامه. يُجمع على دببة وأدباب. يسمى علميا أورسوس آركتوس Ursus arctos Linneaus, 1758. كان يعيش في مغارات جبال الريف وجبال الأطلس ويُحتمل انقراضه في المغرب خلال القرن الثالث عشر (19 م)، الناتج عن شدة مضايقته من طرف الإنسان. يسمى بالأمازيغية أبوّاز وأبابّاز وبالفرنسية Ours brun وبالإنجليزية Grizzly bear و Brown bear وبالإيطالية Orso bruno.



الدب الأسمر

ذُكر الدب الأسمر من بين وحيش المناطق المغاربية لأول مرة في *التاريخ من طرف الباحث شاو* Shaw سنة *1800*. وقد أعطى Blyth سنة 1941 وصفا علميا دقيقا لهذا الدب من خلال جثة عثر عليها في سفوح جبال تطوان ولم يحتفظ بجلده. وقد أدت مراجعة هذا الوصف بالعالم Schinz سنة 1844 إلى تمييز ضرب جديد للدب الأسمر وأطلق عليه الاسم العلمي Ursus arctos crowtheri. يبقى هذا المقال الدليل الوحيد لوجود الدب الأسمر بالمغرب يتعامل به بعض الباحثين في مجال علوم الحيوانات، إلا أن العالم Lataste يشك في هذا المقال ويسانده في ذلك Cabrera (1932) الذي ينفي قطعا وجود الدب على التراب الوطني خلال القرون الأخيرة بعد أن تيقن من عدم ذكر هذا الحيوان في تقاليد المغاربة ولا في مذكرات الصيادين المعاصرين للقرن الثالث عشر.

وقد أكدت علوم الحفريات وجود الدب الأسمر في المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ، وخاصة منها أواخر عهد الحجر المنحوت Paléolithique supérieur ويحتمل انقراضه في عهد الحجر المصقول Néolithique.

يوجد بحدائق الحيوانات العمومية الوطنية بعض العينات من الدب الأسمر الأوربي الأصل.

S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*. Rabat, 1986 ; A. Cabrera, *Los Mamiferos de Marruecos*. Trab. *Mus. Nac. Cien. Nat., Série Zoolog.*, 57 ; E. Ennouchi, *Les Ursidés marocains. Bull. Soc. Sc. Nat. Maroc*, 37 ; E. Blyth, *Letter from...*, Poc. Zool. Soc. London, 9 ; G. Shaw, *General zoology or systematic natural history, Mammalia*, 1 : 311 - 312.

نجاة الخياطي ومحمد رمضاني

الدبّاغ، أسرتان شريفتان حسنيتان يتصل نسب كل منهما بإدريس بن إدريس. تتصل الأولى به عن طريق ولده داود، ولعلها اتسمت بهذا اللقب عن طريق احتراف أحد أبنائها بحرفة الدباغة فلصقت به وبأولاده من بعده، وإليها ينتمي الشيخ عبد الواحد الدباغ المتوفى سنة إحدى وسبعين ومائتين وألف، المنتسب إلى الطائفة الدرقاوية، وصاحب الزاوية بحي السياج إزاء درب ابن زيان بفاس قبالة سيدي أحمد ابن ناصر قريبا من سويقة ابن صافي.

أما الثانية فيرتفع نسبها إلى عيسى بن إدريس بن إدريس الذي كان واليا على شالة وسلا وأزمور وتامسنا وما يتصل بها.

قدم هؤلاء الدباغون من غرناطة إلى مدينة سلا في أواخر المائة السابعة، وكان أول قادم منهم هو جدهم أبو العباس أحمد بن أبي القاسم محمد بن إبراهيم بن عمر.

وأبو القاسم محمد المذكور هو الذي تصدرت به شجرتهم المقيدة في أواسط القرن السابع والمتسلسلة على

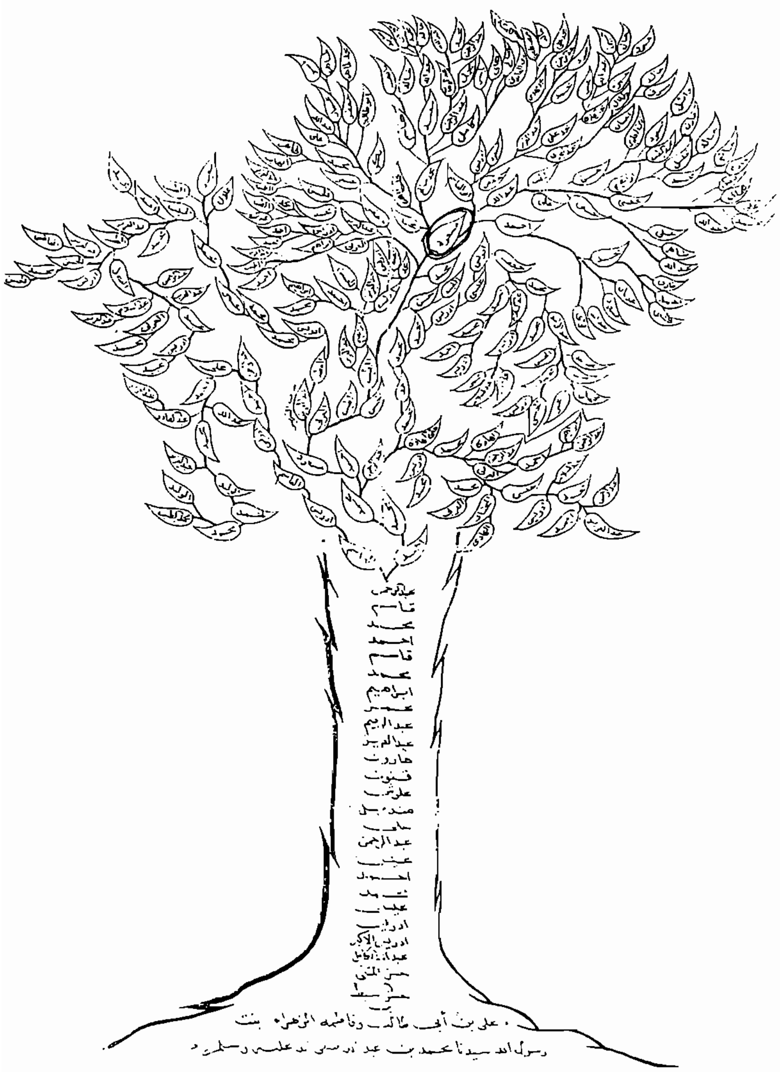
النحو التالي : فهي مبدوءة بمحمد بن أبي إسحق إبراهيم بن عمر ابن عبد الرحيم بن عبد العزيز بن هرون بن حيون (أو جنون) بالكاف المعقودة بن علوش بن منديل بن علي بن عبد الرحمن بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن إدريس بن إدريس.

ولما قدم أبو العباس إلى مدينة سلا لقي ترحاباً كبيراً من لدن أهلها ومن أمراء الدولة المرينية وأكرموه وبنيه إكراما جزيلا، ووفروا لهم الإقامة ومنحوهم بعض الجرايات التي يستعينون بها على مواجهة الزمان ومقاومة الغربة. وكان من بينها مستفاد دار الدبغ بهاته المدينة فنسبوا إليها منذ ذلك الحين وأصبحوا يعرفون بالدباغين، ولما ارتحلوا من مدينة سلا إلى مدينة فاس ومدينة مراكش صاروا يعرفون بالشرفاء الدباغين والشرفاء السلاويين، وكانوا حريصين على تقديم الوثائق الكفيلة بإثبات نسبتهم وحصر أفراد أسرتهم معتمدين في ذلك على ما نقلوه من الشهادات والاعترافات المضبوطة ضبطا توثيقيا، ومجددين لها من لدن أهل المعرفة والعدالة، ولقد أشار سليمان الحوات في كتابه الذي خصه للتعريف بالدباغين الذين سكنوا حي العيون بمدينة فاس المسمى *بقرة العيون في الشرفاء الدباغين القاطنين بالعيون* إلى أنه رأى بأيديهم رسما مؤرخا بزمن إقامتهم في سلا شهد لهم فيه بالنسب الشريف جماعة من أعيان المغرب وخصوصا عدول طنجة وفيه تسجيل قاضي طنجة وإعلامه بإعماله لقضاة الوقت وهو الشيخ الفقيه العالم علي بن عبد الله بن طاهر، وتسجيلات أخرى تتضمن إعلامات بالاستقلال والإعمال وحق الخطاب لقضاة الوقت من أهل بلدان متعددة.

والشرفاء الدباغيون حينما خرجوا من سلا توجه بعضهم إلى مدينة مراكش وبعضهم إلى مدينة فاس ويتعلق الأمر بأحد حفدة أحمد بن أبي القاسم العائد وهو عبد الرحمن بن القاسم بن القاسم، مرتين، بن محمد بن أحمد المذكور. فإنه خلف ولدين أحدهما يسمى القاسم وهو جد الشرفاء الدباغين الذين ارتحلوا إلى مدينة مراكش والآخر يسمى أحمد وهو جد الشرفاء الدباغين المتوجهين إلى مدينة فاس، وتفرعت عن هذه الشجرة شجرة أخرى ذات فروع مختلفة واكتسبت شهرتها من كون القطب الصوفي عبد العزيز بن مسعود ينتمي إلى أحد أفرادها، خصوصا بعد أن ألف أحمد بن مبارك السجلماسي حوله كتابه المشهور *"الابريز في مناقب المولى عبد العزيز"* وبعد أن ألف فيه أيضا الفقيه محمد بن محمد بن عبد العزيز المرابطي السجلماسي كتابه *"تيسير المواهب في ذكر بعض ما للشيخ أبي فارس من المناقب"*.

وكان للشيخ عبد العزيز أخ اسمه العربي يعتبر الجد الأعلى للأسرة الدباغية التي توجهت إلى الحجاز فإليه يرجع نسب السيد مسعود بن الطيب بن الحسن بن الطيب ابن العربي الذي توجه هو وأولاده إلى الحجاز فأقاموا هناك وتناسلوا وصاروا ذوي جاه وهيبة، وهم الآن يمثلون أسرة من الأسر الشريفة ذات الشان. ففي المجالات العلمية والسياسية والاقتصادية، نذكر منهم على سبيل المثال السيد عبد الله محمد علي وزير الزراعة سابقا ورئيس مجلس عائلة الدباغ والسيد اللواء الطبيب الدكتور محمد طاهر مسعود الدباغ والسيد العقيد مصطفى الدباغ، أحد المسؤولين عن الأمن في المدينة المنورة، والسيد محمد الطيب بن حسن عبد الله الدباغ المكلف بالأوقاف المغربية هناك، وهو الذي جمع الشجرة الموجودة عندهم المنقولة عن وثيقة النسب الأصلية المكتوبة بالخط المغربي المحفوظة لدى السيد محمد مهدي بن عبد العزيز الدباغ.

ولهؤلاء الدباغين الحجازيين مجلس عائلي يتداولون فيه شؤون الأسرة ويتكلفون بحل مشاكلها وإعانة محتاجيها ويجددون فيه الربط مع أقاربهم وأصهارهم، وصاروا في الوقت الحاضر يفكرون في توسيع اختصاص هذا المجلس وذلك بإدخال بعض أبناء عمومتهم بالمغرب فيه، وإحياء الروابط الأسرية الجامعة بين الدباغين بالمغرب والدباغين بالمملكة العربية السعودية. ولا يفرقون في ذلك بين من كان



شجرة آل ... محمد الطيب بن حسن الدباغ

ينتمي من الدباغيين إلى داود بن إدريس، أو بين من كان ينتمي منهم إلى عيسى بن إدريس، وتلك ميزة كبرى تهدف إلى تحقيق الدور الأساسي من التكافل الاجتماعي الذي ينبغي أن تتحمله كل أسرة على حدة للتخفيف من الأعباء التي تلقى عادة على المسؤولين، وقد كتب رئيس ملجس العائلة الشريف عبد الله محمد علي في 4 مارس سنة 1992 رسالة إلى كاتب هذا البحث أقتطف منها ما يلي : "إن أسرة آل الدباغ في السعودية انحدروا من الجد السيد مسعود بن الطيب بن الحسن بن الطيب الدباغ الذي انتقل إلى الحجاز واستقر بها إلى أن توفاه الله، ويبلغ عدد أفراد هذه الأسرة وأقاربهم ما يقرب من أربعمائة نسمة يتم لقاؤهم في اجتماع سنوي عام يعقد عادة في اليوم الثاني من شهر شوال خلال إجازة عيد الفطر ليتمكن أكبر عدد منهم حضور هذا الاجتماع الذي يهدف في المقام الأول إلى صلة الرحم وتبادل الرأي في كل ما يعود على الأسرة بالخير، وحيث إننا نرغب في توثيق الاتصال ودعم الأواصر بين أفراد الأسرة بالمملكة العربية السعودية وبين أقربائهم في المغرب فإنه يسعدنا أن نستضيفهم لاجتماع الأسرة هذا العام" الخ...

وهناك شرفاء دباغيون نزحوا من المغرب واستقروا في شرق الأردن وفي فلسطين وفي الكويت وفي مصر وهم أيضا يحنون إلى ربط صلتهم بأصولهم، يوجد منهم الأستاذ حسن علي الذي وجه إليّ سنة 1958 رسالة أبدى فيها رغبته في تمتين الأواصر بينه وبين أصوله في المغرب وهذا الشريف كان يعمل أستاذاً محاضراً مساعداً للغة العربية في معهد الدراسات الشرقية التابع لجامعة درم (The Durham college).

وعلى كل حال فإن الأسرة الدباغية اشتهرت في المشرق والمغرب، إذ أنها كانت قدوة في العلم والصلاح، أذكر منها على سبيل المثال الفقيه عبد القادر الدباغ مفتي الديار المراكشية الذي كان أستاذا للملك محمد بن عبد الرحمن، وأخاه السيد عبد الخالق الذي توجه إلى الصحراء في وفد خاص للاتصال بأحمد البكاي رئيس الطائفة المختارية، والشريف محمد بن عبد الحفيظ بوطربوش الذي كان له كرسي بضريح المولى إدريس بفاس لسرد *الشفا* والتعليق عليه، وغيرهم ممن سنخصص لهم ذكرا أثناء التعرض للتعريف بهم في هذه *المعلمة*.

م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. حجر فاس، 1300 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، ج. 2 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 1، ص. 222 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، تح. م. الهاشمي الفيلالي، الرباط ؛ *معلمة المغرب*، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ج. 1، ص. 217 مادة *الأدارسة* ؛ *قرة العيون في الشرفاء الدباغيين القاطنين بالعيون*، مخطوط ؛ أ. السجلماسي، *الإبريز* ؛ ل. بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء*، تر. عبد القادر الخلادي ؛ أ. الشباني، *مصابيح البشرية في أبناء خير البرية* ؛ عيسى العربي، *قبيلة أيت عتاب*، البيضاء ؛ م. م. بن عبد العزيز المرابطي السجلماسي، *تيسير المواهب في ذكر بعض ما للشيخ أبي فارس من المناقب*، مخطوط.

محمدع. العزيز الدباغ

ابن **الدبّاغ**، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر وكان جل أفرادها بحارة بحامية تطوان سنة 1246 / 1830 وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999 ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 236.

محمد ابن عزوز حكيم

الدبّاغ، أحمد بن علي من الشرفاء الدباغيين المراكشيين، اعتقده السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام جريا على عادته في التبرك ببعض أهل الخصوصية والانتساب، كما هو الحال بالنسبة إلى اعتقاده في الشريف الدباغ المعروف بمحمد البركة المتوفى بالوباء في يوم واحد مع أحمد بن علي المذكور.

دفن أحمد بن علي بباب أغمات أحد أبواب حمراء مراكش ودفن محمد البركة بروضة باب الدباغ قبلة العين الجارية هناك.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 2، ص. 409 ؛ ج. 6، ص. 294.

الدبّاغ بوطربوش، **إبراهيم** بن الشيخ محمد بوطربوش الدباغ آتي الترجمة قال عنه في *إتحاف المطالع* : "كان علامة مشاركاً محدثاً، له *فهرسة* جمع فيها أشياخه".

توفي رابع قعدة عام 1329 / 27 أكتوبر 1911. ودفن بروضتهم بالقباب.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2864.

الدباغ بوطربوش، **محمد بن عبد الحفيظ** اشتهر بلقبه بوطربوش، علم من أعلام التصوف أواخر القرن الثالث عشر (19 م)، اشتهر بأخذه عن الشيخ عبد القادر العلمي دفين مكناس، كان حادّ الذكاء، كثير العبادة، قادرا على توليد المعاني من النصوص رغم كونه كان أميا، وهذه ظاهرة يسجلها المؤرخون عن عدد من أفراد أسرة الدباغ.

قال عنه محمد بن جعفر الكتاني في *سلوة الأنفاس* : "إنه كان رحمه الله أميا، وكان مع ذلك يتكلم في حقائق التصوف وأسرار الكتاب، فياتي في ذلك بما يدهش العقول ويحير الألباب. "وقال عنه إدريس الفضيلي في *الدرر*

البهية : "إنه كان آية باهرة في المذاكرة وحسن المحاضرة وله فهم ثاقب في الحديث، على أنه لم يلازم في صغره مجالس علم، ولا عانى تعلم نحو ولا غيره مما يعين على تحصيل ذلك، إلا أنه لازم سرد الحديث والسير وكتب القوم حتى صار له في ذلك رسوخ قدم وطول باع، مع الإكثار من الأذكار والأوراد، آناء الليل والنهار".

ورغم كونه كان قدوة حسنة في سلوكه، ومربيا مرشدا لكثير من أصحابه فإنه لم يرد أن يجعل لنفسه زاوية خاصة، وإنما كان يلتقي بمريديه في المساجد والدور والبساتين، ويكثر الجلوس بمسجد القرويين والضريح الإدريسي وزاوية سيدي عبد القادر الفاسي. وأخذ عنه جماعة من العلماء والفضلاء منهم من أخذ الجانب الصوفي كمولاي الكامل بن عبد الله الأمراني الذي استمد منه الطريقة الناصرية ومنهم من أخذ عنه دروسا موضوعية في التفسير والحديث وقد نبه إلى بعض هذه الدروس العلمية الشيخ محمد بن عبد الواحد الكتاني.

ومن المجالس العلمية التي كان يقوم بها مجلس للبخاري يسرد عليه بزاوية عبد القادر الفاسي أشار إليه محمد بن جعفر الكتاني في *السلوة* وقال بعد ذكره : "وكنا نجالسه فنسمع من الكلام على الأحاديث وآيات القرآن وكلام القوم ما يبهر العقول". ومن المجالس التي كان يقوم بها مجلس لتدريس *موطا* الإمام مالك وقد استفاد من هذا المجلس الفقيه محمد الطاهر بن عبد الكبير الفاسي.

توفي يوم الثلاثاء سابع محرم عام 1291 / 24 فبراير 1874 ودفن بضريح عبد القادر الفاسي، ولم يودع الحياة إلا بعد أن خلف ستة أبناء اشتغلوا بتحصيل علمي الظاهر والباطن. ومازال عقبه حتى الآن بفاس يعرفون بأولاد بوطربوش الدباغ حسب ما هو مدون في سجلات الحالة المدنية.

م. الكتاني، *سلوة*، ج. 1، ص. 329 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، ج. 1، ص. 152 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 7، ص. 142 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2650 ؛ م. المنوني، مجلة *المناهل*، العدد 36.

الدبّاغ، عبد الخالق بن أحمد، من أفراد الأسرة الدباغية القاطنين بمدينة مراكش، كان فقيها صالحا ومدرسا نافعا، انتسب إلى الطريقة المختارية الكنتية وترأس زاويتها بهذه المدينة، وكانت بينه وبين أحمد البكاي حفيد المختار الكنتي الجد علاقة وطيدة زادت رسوخا حينما توجه إلى الصحراء، واستمد منه الورد وأتى به إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بن هشام.

كان في غالب الأحيان يتولى نشر آراء صاحبه أحمد البكاي في مختلف المجالات، ويتلقى منه الرسائل المتعلقة بالتصوف وغيره، ومنها رسالة تشتمل على إظهار موقف أحمد البكاي من الكتاب الذي ألفه محمد بن أحمد أكنسوس في تاريخ العلويين المسمى *بالجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولاي علي السجلماسي*، فقد لاحظ فيه وجود بعض الهفوات، وارتأى تسجيلها في وريقات وأرسلها إلى السيد عبد الخالق ليتولى تقديمها للمؤلف، ولما بلغه أن المؤلف لم يستسغها كتب ردا آخر سماه *فتح القدوس في الرد على الكنسوس*.

والظاهر من هذا العنوان أن البكاي لم يكن عنيفا في رده بخلاف ما جاء في بعض الردود التي قام بها بعض المعارضين للمؤلف، فإنها كانت تتسم بالعنف كالرد المسمى *الطالع المنحوس في الرد على الكنسوس* وكالرد المسمى *الحسام المشرفي لقطع لسان الساب العجروفي، الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن أكنسوس*.

والغالب أن السيد عبد الخالق الدباغ لم يكن يحمل عداء لأكنسوس في إبراز بعض ما جاء في رد أحمد البكاي من الجزئيات العلمية الخالصة التي لا تصل إلى حد الإضرار بشخصية المؤلف.

ومن هذه الجزئيات كونُ المؤلف كان يخطئ أحيانا في تحديد أسماء بعض المؤلفات أو في تحديد مضمونها. فمن النوع الأول ما ذكر من أن محمد الصغير اليفرني ألف كتابا في تاريخ المولى إسماعيل سماه *الظل الظليل في مفاخر مولانا إسماعيل* في حين أن الاسم الذي سماه به مؤلفه هو *الظل الوريف في مفاخر مولانا إسماعيل الشريف* أو *روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف* ومن النوع الثاني عده كتاب *صفوة الأدب* لأبي العباس الجراوي من كتب التاريخ، في حين أنه كتاب أدب جامع لمنتخبات من الأشعار على نسق كتاب *الحماسة* لأبي تمام.

والواقع أن مثل هذه الهفوات يمكن معالجتها بالنقد النزيه دون أن يصل إلى حد السباب والتجريح، ولعل السيد عبد القادر الدباغ كان من أنصار هذا الاتجاه نظراً لما عرف به من سداد الرأي وحب النصيحة ونشر الأخوة بين الناس، وليس له يد فيما قام به أولئك المعارضون الأشداء الذين واجهوا المؤلف بالشتم والسباب.

وكان للمترجم أخ عالم شهير يعرف بسيدي عبد القادر الدباغ حدد المؤرخون وفاته سنة 1265 / 1848 ، أما مترجمنا هذا فلم تحدد المصادر التي اطلعت عليها تاريخ وفاته.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 7، ص. 11 ؛ ج، 8، ص. 53 ؛ ج. 89، ص. 266 ؛ *ندوة البيعة والخلافة في الإسلام*، ج. 2، إعداد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ص. 534.

محمدع. العزيز الدباغ

الدباغ، عبد العزيز بن مسعود الفاسي، الشيخ الصالح الشهير عُرف بالصلاح والنسبة إلى التصوف

والمشيخة، شريف إدريسي حسني، ذكر مؤلف *الدر السني* أن شهرة أهله بالدباغين ليست نسبة إلى حرفة صنع الدّباغ، أو دبغ الجلود، وإنما السبب هو كون أجداده قد عين لهم أمراء من بني مرين مرتبا من دار الدباغ لما كانوا بسلا بحسب ما ورد في ظهير ينص على ذلك مؤرخ بعام 790 / 1388. ويذكر نفس المصدر أن قدوم هذه الأسرة على فاس كان أول المائة التاسعة. (نشر، 3 : 245).

كتب أحمد بن مبارك اللمطي (ت. 1156 / 1743) من كبار علماء فاس في النصف الأول من القرن الثاني عشر (18 م) كتاباً عنوانه *الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز* أو *الإبريز في مناقب سيدي عبد العزيز* أورد فيه معلومات عن نشأة هذا الشيخ وعن مشيخته وعلاقته معه كمريد له بصفة خاصة، والأسئلة التي ألقاها عليه والأجوبة التي تلقاها عن تلك الأسئلة فيما يتعلق بمواضيع حيّرت علماء "الظاهر" مما يتصل بالحديث والقرآن وكلام شيوخ التصوف والأخرة وقضايا تتعلق بالظلمانية والنورانية الباطنيتين ولا سيما دور الباطن النبوي والمقام المحمدي في احتواء أسرار الأحوال والمقامات التي يتحدث عنها الصوفية.

أراد العالم اللمطي أن يبين أن شيخه الدباغ وهو الرجل الأمّيُّ قد أوتي علما لدنيّا، وذلك من خلال آراء إما أنها توافق ما ذهب إليه كبار العلماء أو أنها تأتي بتفسير ظواهر لم يصل بشأنها العلماء إلى توضيحات مقنعة. فجاء هذا التأليف سجلا فريداً من نوعه لقضايا قلّما صرح بمثلها الصوفية السابقون أو المتأخرون أو قلما تناولوها بأسلوب عادي مثل الأسلوب المباشر الخالي من الألغاز كما في كتاب *الإبريز*.

يظهر الشيخ الدباغ من خلال *الإبريز* ودودا لطيفا فطريا فياض الخاطر واثقاً بما يتكلم عنه. وقد تضمنت مقدمة الكتاب إشارات إلى بداية تعلقه بعالم الروحانية على يد شيخ دبّر تزوج أمّه فارحة بوالده متنبّئاً لهما بمولود توفي هو قبل مجيئه، وهو عبد العزيز هذا الذي تلقى تركة من الشيخ المذكور هي عبارة عن شاشية وحذاء سنة 1109. بحث الدباغ عن الشيوخ واتصل بعدد منهم إلى أن لقي شخصاً لقنه سنة 1121، وعرف فيما بعد أنه الرجل المعروف عند الصوفية بالخضر. وبعد أربع سنوات وقع له الفتح، أي في سنة 1125. وفي نفس السنة اجتمع به ابن مبارك اللمطي. وفي عام 1129 بدأ هذا التلميذ العالم في وضع تقاييد عن محاوراته وعلاقته مع الشيخ فحصل منها كتاب *الإبريز*.

يذكر الدباغ من شيوخه أسماء أشخاص لقيهم بطريقة غير عادية، ومنهم رجل اسمه عبد الله البرنوي ليس هو شيخ أحمد اليمني المتقدم عنه.

يظل الأثر النفيس للدباغ هو كتاب *الإبريز*، وإن كان له مريدون في وقته، فهو لم يخلف طريقة مشهورة. ولكن الكتاب نموذج لمحتوى شفوي يتحول إلى نص مكتوب، كما أن علاقة اللمطي بالدباغ علاقة تتلمذ عالم اصطلاحي على رجل أمي، لا تتلمذ باطن فحسب بل في أمور تتصل بالمعرفة الاصطلاحية. لذلك فالاعتناء بهذا الكتاب اعتناء واضح يظهر في تعدد مخطوطاته وطبعاته.

توفي عبد العزيز الدباغ بفاس عام 1132 / 1720 ودفن خارج باب الفتوح قرب روضة الأنوار بين دراس بن إسماعيل وعلي صالح. وبنيت عليه قبة.

أ. اللمطي، *الإبريزمن كلام سيدي عبد العزيز الدباغ*، بيروت، لبنان؛ نشر أيضاً بتحقيق ؛ م. عدنان الشماع، في جزأين، دمشق، 1984 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، ج 3، 245 - 246 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ج 2، 197 - 204.

زكية ازوانات

الدبّاغ، عبد القادر بن أحمد الحسني، من علماء مراكش في القرن الثالث عشر الهجري، كان مدرسا بارعا، وموجها موفقا، له خبرة بالفقه وقدرة على الإفتاء، وكان من أشياخ السلطان محمد بن عبد الرحمن في قراءة *الصحيح* في الأشهر الثلاثة الفاضلة وقت خلافته الصغرى.

استفاد طلبة العلم من مجالسه التي كان يدرس في بعضها التفسير والفقه، ويحلل في بعضها حكم *ابن عطاء الله*. أخذ عن جماعة، منهم علي بن الفاضل بن مريدة السرغيني المنتمي للزاوية الدرقاوية المتوفى عام 1304 / 1886 دفين بباب أغمات.

ومما يذكر في ترجمته أن القاضي مَحمد بن محمد بن عاشور قاضي الجماعة بمراكش كان رغم ما اشتهر به من اعتداده بنفسه يتوجه إليه ويستفهمه في بعض القضايا النازلة ويحكم بمقتضاها.

توفي عام خمسة وستين ومائتين وألف / 48 ـــ 1849 ودفن يمين قبة سيدي يوسف بن علي خارج باب أغمات.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 8، ص. 456 ؛ ج، 6، ص. 255+ 381 ؛ ج. 9، ص. 297 ؛ م. ابن الموقت، *السعادة الأبدية*، ج. 1، ص. 48.

محمدع. العزيز الدباغ

الدباغ، عبد الله بن **عبد الواحد** بن علال ابن إدريس الحسني الفاسي. ولد في حدود عام 1190 / 1776 واشتغل بتحصيل العلم الظاهر والباطن "كان عالماً ولياً صالحاً خيّراً ديناً، له كرامات وأتباع". أخذ عن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي وكان من أشهر تلاميذه الذين نشروا الطريقة الدروقاوية من بعده. وأخذ عنه كبار علماء هذه الطريقة، وألّف فيه وفي شيخه مولاي العربي الدرقاوي منهم المهدي بن عبد الواحد ابن القاضي الفاسي كتاب *النور القوي في ذكر شيخنا المولى ابن عبد الواحد*

وشيخه *المولى العربي الدرقاوي* ؛ وأبو بكر بناني الرباطي كتاب *الفتح الوهبي في التعريف بشيخنا مولاي ابن عبد الواحد وشيخه مولاي العربي.*

توفي بفاس عند طلوع فجر يوم السبت ثامن عشر ربيع الأول عام 1271 / 9 دجنبر 1854. ودفن أولاً بزاوية الشيخ الجمل العمراني ثم نقل بعد عامين إلى محل اتخذت له فيه زاوية بحومته السياج قريباً من سويقة ابن صافي.

المهدي ابن القاضي، *النور القوي في ذكر شيخنا المولى ابن عبد الواحد وشيخه المولى العربي الدرقاوي*، مخطوط ؛ أبو بكر بناني، *الفتح الوهبي في التعريف بشيخنا مولاي ابن عبد الواحد وشيخه مولاي العربي* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 7، 2601.

محمد حجي

الدبّاغ، عبد الهادي بن عبد الرحمان، من فرع أولاد عيسى بن إدريس، كان من أعيان مدينة فاس وصلحائها. انتدبه محمد بن عبد الله ليكون أحد النقباء الاثني عشر الذين عينهم بمدينة فاس لمراجعة الوثائق والظهائر المتعلقة بإثبات النسب الشريف لمن يدلي به، ليكون ذلك سبيلا إلى تصحيح النسبة أو إبطالها. وقد رسم لهم الملك في ظهير تعيينهم الخطة لتي يسيرون عليها، وأمرهم بالتثبت واتباع الشريعة ونبذ الشهوات وإمعان النظر فيما يرجع للخطة المذكورة من الجزئيات والكليات، وجعل قرارهم إلزاميا. وأرخ هذا الظهير بأواخر جمادى الأولى من عام واحد وسبعين ومائة وألف.

وعلى كل حال فإن السيد عبد الهادي كان موفقا في مهمته وهو لم يختر لها اعتباطاً وإنما كان اختياره مبنيا على دراية دقيقة لسلوكه وأخلاقه ونزاهته ومعرفته بأنساب الناس.

توفي في حدود عام 1200 / 1785.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 3، ص. 234، ص. 349 ؛ أ. الشبيالي، *مصابيح البشرية في أبناء خير البرية*، ص. 156.

الدباغ، عبد الواحد بن علال الحسني، كان من أهل المعرفة والصلاح، حريصا على الإفادة، راغبا في تربية المريدين. ولد في حدود التسعين ومائة وألف، ذكره محمد بن جعفر الكتاني في *سلوة الأنفاس* وقال عنه إنه أخذ عن الشيخ محمد بن بكار تلميذ أخيه أبي العلاء، إدريس، وبعد وفاته أخذ عن عبد القادر بن أبي جيدة الفاسي تلميذ أخيه المذكور أيضا، وبعد وفاته عن محمد بن إبراهيم تلميذ العارف العربي الدرقاوي وخليفته على فقرائه بفاس. ولم يزل في صحبته وخدمته إلى أن قدم لفاس مولاي العربي من بني زروال فجدد عليه الورد وسلبه الإرادة.

وبعد اتصاله بمولاي العربي صار حجة في الطريقة الدرقاوية، وأصبح له من المريدين العدد الكثير، منهم أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد السلام بناني الفاسي أصلا الرباطي دارا ومولدا، المعروف بالدباغي نسبة إلى عبد الواحد المذكور.

وقد كان هذا الفقيه متفانيا في حب شيخه متمسكا بطريقته، ملبيا لرغباته. شرح بأمر منه الصلاة المشيشية في كتاب سماه *الفتوحات الغيبية في شرح ألفاظ الصلاة المشيشية* وقد طبع بمصر عام 1331 / 1912 بهامش كتابه *مدارج السلوك إلى مالك الملوك.*

ومن المعروف عن عبد الواحد أنه كان يربي مريديه على أساس من الشرع متين، بحيث يرى أن الالتزامات الشرعية ضرورية لا مجال لأحد في إهمالها أو تحويرها أو التكاسل في تطبيقها، وكان يرى أن المسلم مطالب بنصيحة أخيه امتثالا لقول رسول الله ﷺ الدين النصيحة، وكان يكثر من ذكر هذا الحديث ويقول لمريديه : "الفقير إما ذاكر أو مذكر أو متفكر وإلا فهو غافل".

توفي في شهر ربيع النبوي من سنة 1271 / نونبر - دجنبر 1855، ودفن بالرميلة بضريح سيدي علي الجمل، ثم نقل منه بعد عشرين شهراً من موته إلى المحل الذي جُعل له زاوية بحي السياج، وبه يوجد قبره الآن وعليه دربوز، وفوق ضريحه نقش يبين نسبه ويحدد تاريخ وفاته.

ونظراً لارتباطه بشيخه مولاي العربي مؤسس الطريقة الدرقاوية فإن أتباع هذه الطريقة كانوا يجعلونه في نفس درجة شيخه. وقد ألف في هذا الشأن تلميذه محمد بن المهدي بن محمد ابن القاضي كتاباً سماه *النور القوي في ذكر شيخنا عبد الواحد الدباغ وشيخه مولاي العربي الدرقاوي*، وهو كتاب اعتمد عليه الذين ترجموا لهذين الصوفيين المغربيين.

م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج. 1، ص. 258 ؛ ج. 3، ص. 361 ؛ ليفي بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء*، تر. ع. الخلادي، ص. 246 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 1، ص. 222 ؛ النقش الموجود على ضريحه ؛ أ. ابن الخياط، *مقدمة رسائل الشيخ محمد بن العربي الدرقاوي*، 1318.

الدباغ، علي بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن عبد العزيز، من أشهر قراء مدينة فاس وصلحائها، له دراية بالقراءات القرآنية، أخذها عن المقرئ أحمد المدعو حا بن عبد العزيز بن عمر الصديقي السوسي المتوفى بالمدرسة المصباحية بفاس عام 1285 / 1868. وكان له حظ من النظر في أسرار الحروف كوالده واعتقده الناس كثيرا وهاموا في محبته وتقربوا إليه وتبركوا به.

حج في آخر عمره وتبادل المعرفة مع جماعة من علماء الحجاز واستجاز بعض من لقيهم هناك كمحدث المدينة الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد الهندي وابن أخيه الشيخ محمد مطهر بن أحمد سعد شيخ الطريقة النقشبندية والعارف أحمد بن منصور الرفاعي ومحمد حسين بن الشيخ محمد صالح جمل الليل الشافعي المكي النقشبندي.

وافته المنية بالمدينة المنورة عام 1290 / 1873 ودفن بالبقيع.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 9، ص. 240.

الدبّاغ، عمر بن محمد بن إدريس ابن عبد العزيز، من علماء فاس في القرن الثالث عشر (19 م) عاش في حقبة كان فيها علماء الدين في المغرب ينالون تقديرا كبيرا من الملك العلوي مولاي سليمان، يجالسهم ويستمع إليهم ويمنحهم من عطاياه ما يعينهم على مواجهة مشاق الحياة.

كان حريصا على المعرفة جاداً في الطلب، له خبرة بالفقه واللغة، أخذ عن أشهر علماء عصره كأبي محمد عبد القادر ابن شقرون، وحمدون ابن الحاج فنال بسبب ذلك جاها كبيرا، تولى الخطابة والإمامة بمسجد الديوان فكان المصلون يعجبون بأسلوبه الجذاب، وبصدق لهجته وسعة علمه وقوة تاثيره في نفوسهم وسلوكهم.

اشتهر بحسن أخلاقه وسلامة طويته، ورغبته في توجيه الخلق إلى طريق الحق. كان يتلقى أذكاره وأوراده من بعض أهل الصلاح إلى أن بلغ إلى مسمعه أمر الدعوة السنية التي يدعو إليها الشيخ أحمد التيجاني فكتب إليه يطلب الورد فأذن له فيه.

وقد أشار أحمد سكيرج في كتاب *كشف الحجاب* إلى أن المترجم له يعد من خواص أصحاب الشيخ التيجاني فهو ممن حضر معه نقش الاسم الأعظم بزاوية فاس بالسارية المعروفة بالسارية الميمونة أو سارية الذهب وهي الثانية من الجهة اليسرى من ضريح الشيخ، دلني عليها مقدم الزاوية المذكورة كما أشار إليه أيضا في الربع الرابع من كتابه *رفع النقاب بعد كشف الحجاب* ووصفه فيه بالتواضع وعدم الأنانية وعدم الاتكال على ما كان له من الفضل والجاه في مجتمعه.

وعلى كل حال فإن هذا الفقيه الصوفي يمثل صورة من صور الاتجاه الفكري السائد في المغرب أثناء هاته الحقبة التي عاشها، وظل وفيا لأفكاره وسلوكه إلى أن توفاه الله في رابع عشر رجب عام 1260 / 30 يوليوز1844 ودفن بضريح جده الشيخ عبد العزيز بالقباب خارج باب الفتوح.

أ. سكيرج، *كشف الحجاب*، ص. 420 ؛ *رفع النقاب*، الربع الرابع، ص. 165 ؛ سليمان الحوات، *قرة العيون في الشرفاء الدباغيين القاطنين بالعيون*، مخطوط ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، ج. 2 : 150، (مطبعة حجرية) ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. حجر فاس، 1300، ج. 2 : 205.

الدبّاغ، محمد بن **إدريس** بن عبد الهادي الحسني الفاسي، قال عنه الفضيلي في *الدرر البهية* "إنه من خيار جنسه وأهل المروءة فيهم، ملازم لشانه، مقبل على نفسه وما يدنيه من ربه، وأنه لا ولد له". تنبئ هذه الأوصاف عن حقيقة هذا الرجل الذي كانت الحياة بالنسبة إليه لا قيمة لها إلا بالعمل الصالح والسلوك الطيب، وهو يعد من الأفراد القلائل الذين تلقوا تربيتهم عن طريق الاتصال المباشر بأهل المعرفة الربانية، كما يعدُ من الأفراد الذين استمدوا بعض العلوم الدينية عن طريق المخالطة



والمصاحبة للعلماء، والفقهاء، وإلاّ فهو لم يتلق دراسة رسمية، ولم تكن له دراية بقواعد اللغة، بحيث إذا كتب بخطه شيئا ظهرت عليه مخايل الضعف في الصورة وفي الرسم، إلاّ أنه حينما يعبر عن خواطره وابتهالاته ومكنون محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه ينطلق لسانه بالتعبير الرائع والأسلوب الجذاب، ويتجلى ذلك في كتاب صغير ألفه على شكل *دلائل الخيرات* وقسمه إلى سبعة أحزاب سماه *مفتاح الأسرار فيما يتعلق بالصلاة على سيد الأبرار*، ومهّد له بمقدمة في فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، واعتمد في محتواه على آيات قرآنية، وأحاديث نبوية صحيحة، ونسخته الأصلية مكتوبة بخط جميل هو خط الشريف مولاي إدريس الدباغ الأعرج، وقع الفراغ منها في أواخر ربيع الثاني عام اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف. وقامت جماعة من المحسنين المغاربة بطبعه سنة 1983 ومهد له محرر هذه الترجمة بمقدمة صغيرة ذكر فيها أن المؤلف رغم قدرته على التاليف فإنه كان لا يحسن القراءة والكتابة. إلاّ أنني بعد ذلك تبيّن لي من خلال الاطلاع على كتاب مخطوط كان في ملكه قبل أن ينتقل إلى ورثته أنه ليس أميا بالمعنى المعروف المتداول، فهو قد سجل في بعض أوراقه المضافة بخطه المهلهل ما يدل على أنه لم يكن على خبرة بقواعد اللغة ولكنه لم يصل إلى حد الأمية.

ومن خلال ما كان يسجله يتبين لنا أنه كان متتبعا

للأحداث ويحرص على عدم تفويت الفرص من أجل تقييد الفوائد، فمن ذلك مثلا إشارته إلى وقوع زلزال عظيم يوم الجمعة ثامن ربيع الثاني عام 1324 بعد طلوع الفجر بخمسة أقسام وقع بسببه هرج عظيم وارتفعت الأرض من محلها وتكلمت خراص دفة البيت ووقع لطف كثير.

ومن ذلك إشارته إلى اليوم الذي خلع فيه المولى عبد العزيز وبويع أخوه عبد الحفيظ فقد قال : "عزل المولى عبد العزيز في يوم الجمعة قبل الصلاة في 28 ذي القعدة عام 1325 وخطب الناس بالصحابة رضي الله عنهم وفي ويوم السبت 29 من الشهر المذكور نُصر مولاي عبد الحفيظ بعد صلاة الظهر وأرسلت له البيعة.

ومن ذلك ما سجله في الصفحة الأخيرة من أنه منّ الله عليه بسبحة الولي الصالح والغوث الواضح مولانا عبد العزيز بن مسعود الدباغ، على يد الفقيه عبد الغني بن المدني بنيس في تاسع رجب عام 1323.

وكان من الموهوبين في نظم قصائد الشعر الملحون، يتغنى المنشدون بشعره، ويتنافسون في حفظه، ومن أشهر قصائده القصيدة المسماة (الغزال زهيرو) التي يقول فيها :

ما لك على الارسام غافلة يا لغزال زهيرو غيثني يا راية النصر
شرع الله معك واش العشير يدوز عشيرو ؟ والفايت يحييه ما صدر

توفي بفاس بعد أن عمر طويلا حوالي عام 1350 / 1931. ودفن بالقباب خارج باب الفتوح بجوار قبة القطب المولى عبد العزيز الدباغ رحمه الله.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، ج. 2، ص. 153 ؛ م. الدباغ، *مفتاح الأسرار فيما يتعلق بالصلاة على سيد الابرار*، الدار البيضاء، 1989 ؛ م. المرابطي السجلماسي، *تيسير المواهب في ذكر بعض ما لأبي فارس من المناقب*، مخطوط ؛ الفوائد والإشارات المكتوبة بخط المؤلف في آخر هذا الكتاب.

الدبّاغ، محمد ← **بَلْحسن** (الفقيه -)

محمد بن محمد المراكشي

الدباغ، محمد بن **الحسن** الحسني، من فقهاء فاس، درس بمصر، وتولى الإمامة والخطابة والافتاء بمسجد باريس بعد تأسيسه على يد السلطان المولى يوسف، وكانت له معرفة بعلوم البلاغة والتوقيت علاوة على الفقه والحديث، اختير ليكون شيخ الجماعة بمدينة مراكش وحمل الأمانة بصدق وإخلاص وجهر بالمعارضة لما كان يقوم به الفرنسيون من محاولة التضييق على الحريات والتقليل من شان الشريعة الإسلامية، فألقوا القبض عليه سنة 1937 وسقطت سن من أسنانه إثر ركلة من أحد جنود المستعمرين ولم يحترموا سنه التي كانت قد بلغت التاسعة والسبعين ونفوه بعد ذلك إلى تارودانت ومازال ذكره يتردد بين مؤرخي الحركة الوطنية.

توفي في حدود عام 1360 / 1941.

عبد الله إبراهيم، *نداء الحرية بين المغرب العتيق والمغرب الحديث* (نونبر 1995) ؛ *دعوة الحق*، عدد 268 مارس 1988، مقال تحت عنوان فكرة *تأسيس مسجد باريس بين اقتراح المولى محمد بن عبد الله وتنفيذ المولى يوسف* للأديب الباحث محمد بنعبد الله.

الدباغ، محمد بن **عمر** بن محمد بن إدريس بن القطب المولى عبد العزيز. كان من فقهاء فاس إلا أنه كان يتوجه إلى مدينة مراكش ويقضي بها مع أبناء عمومته أكثر أيامه.

غلب عليه الاهتمام بأسرار الحروف وعلم الأسماء وكتابة الزيارج فكان مقصد الراغبين في معرفة هذه العلوم التي يعسر تعليلها ويصعب تحديدها لأن التصرف فيها غالبا ما لا يعود إلى قوانين ثابتة وإنما يرجع إلى قوى نفسية خارقة للعادة يهبها الله لمن يشاء من عباده. وقد حاول ابن خلدون في مقدمته أن يحدد موضوعها ويبين الفرق بينها وبين السحر فكان تحديده صعب المنال رغم الدقة التي عرف بها في تعريفاته وحدوده ومقابلاته.

ورغم صعوبة تناول هذه العلوم من الناحية الموضوعية فقد تلقاها عنه الفقيه عبد السلام ابن ريسون واستعملها أيضا ومزج بعض قوانينها بشخصيته الذاتية القابلة لذلك.

توفي صبيحة يوم السبت خامس عشر محرم من عام 1285 / 8 ماي 1868 ودفن مع والده داخل قبة جده المولى عبد العزيز خارج باب الفتوح بفاس.

ع ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 6، ص. 320.

محمد بن عبد العزيز الدباغ

الدباغ، محمد المراكشي، ولد بمراكش ونشأ بها وتعلم، فتخرج فقيها محدثاً، حلاّه في *إتحاف المطالع* : "بالفقيه الأجل، العلامة الأفضل، القاضي الأعدل، المحدث الأكمل، الحاج الأبر، الناسك المعتمر. مَنْ محبتُه امتزجت في الجسد والرأس والدماغ، سيدي محمد الدباغ، قاضي ثغر أجدير وغيره". ولم يترجم له العباس بن إبراهيم المراكشي في *الإعلام*.

توفي في حدود عام 1210 / 1795.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 7 : 2456.

الدباغ، محمد بن **مسعود** الحسني الفاسي، الفقيه الصوفي الخير الذاكر المتعبد الصالح الوقور بقية السلف. أخذ عن مشيخة فاس في عصره كمحمد بن المدني گنون، وأحمد بن أحمد بناني كلاًّ، وعبد المالك العلوي الضرير.

ترك علم الظاهر وانغمر في علم الباطن، وله في ذلك أنظام وأزجال، أشهرها *منظومة في الطرق الصوفية* شرحها

الشيخ أحمد بن محمد بن الخضير العمراني بشرح سماه *سعد الشموس في مكارم الأخلاق وقمع النفوس*. تتلمذ له بعض أعلام فاس، ومنهم عبد السلام ابن سودة الذي خصه بترجمة في فهرسة شيوخه.

توفي بفاس عام 1340 / 1921 ودفن بروضتهم بالقباب.

م. العمراني، *سعد الشموس في مكارم الأخلاق وقمع النفوس*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 8 : 2928.

محمد حجي

الدباغ، محمد بن الهادي الحسني، من أولاد عيسى بن إدريس، كان من أتباع الطريقة المختارية الكنتية الصحراوية التي كان لها ذيوع وانتشار في عهد الملك العلوي مولاي عبد الرحمان وولده محمد الرابع.

وكانت هذه الطريقة من أقوى عوامل الربط بين شمال المغرب وجنوبه، وعمل المنتسبون إليها على لم شتات البلاد، وتأليف قلوب العباد، وكانت تتوفر على زوايا في مختلف المدن المغربية، ولعل من أكبر رؤسائها الشيخ محمد بن أحمد بن دحو الأزموري، فهو الذي سافر إلى الصحراء وأخذ الإذن مباشرة من السيد المختار بن محمد بن المختار الكنتي، وعند رجوعه بنى زاوية أزمور، وأعطى الإذن لمريديه في بناء زوايا أخرى داخل البلاد المغربية، ومن بين هؤلاء المريدين محمد بن الهادي الدباغ المترجم، فقد التحق بهذه الطريقة وشرع في بناء زاوية بفاس في حي العيون قرب ضريح سيدي علي بن أبي الذئاب، وهي الزاوية التي دفن فيها بعد موته في حدود عشري جمادى الثانية عام 1284 / 19 أكتوبر 1867 واتخذها الناس مقبرة فيما بعد.

م. الكتاني، *سلوة*، ج. 1، ص. 283 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 2، ص. 242 ؛ ج. 6، ص. 317 ؛ م. المنوني، *ندوة البيعة والخلافة في الإسلام*، ج. 2، ص. 543 ؛ الشنقيطي، *الوسيط*، ص. 361.

الدبّاغ، مسعود بن الطيب بن الحسن بن الطيب بن العربي، من أولاد عيسى بن إدريس القاطنين بمدينة مراكش، تلقى دراسته أولا بمدينة مراكش وأخذ فيها عن الشريف مولاي محمد العلوي الصفريوي، وعن الحاج الهاشمي بن عبد الله الدرقاوي، تشوق إلى البقاع المقدسة فقرر الهجرة إليها هو وأبناؤه وأهله، وسكن أولاً بالمدينة المنورة ثم انتقل إلى مكة.

استأنس بالصوفي محمد بن علي السنوسي وليد مستغانم وأخذ عنه بالزاوية التي أقامها بأبي قبيس.

وهكذا فالدباغيّون الموجودون بالمملكة العربية السعودية أصلهم من المغرب وهم من سلالة مسعود الدباغ المترجم.

توفي بمكة المكرمة في شهر شعبان عام 1311 / فبراير - مارس 1894.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، ج. 2، ص. 151 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 7، ص. 267 ؛ م. الطيب الدباغ، *شجرة الأسرة الدباغية* ؛ *دائرة المعارف الإسلامية*، ج. 12، ص. 292 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، بيروت، ج. 3، ص. 1040 تحت رقم 589 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 8 : 2796.

محمد بن عبد العزيز الدباغ

الدباغ، يعقوب بن عبد الله بن علي. ترجم له ابن عيشون في *الروض* لكنه لم يورد ما يفيد في تحقيق شخصيته، بل ذكر فقط أنه مدفون خارج باب الجيسة. وذكره المدرع في *منظومته* في صلحاء فاس، وعنهما نقل الكتاني ترجمته في *سلوة الأنفاس* وأضاف إليها معلومات ذكر أنه عثر عليها بهامش بعض الكتب وجاء فيها أن اسمه يعقوب الدباغي بن عبد الله بن علي بن عبد الرحمان بن عيسى بن أحمد بن عيسى بن إدريس، وأن ضريحه بفاس وله ابن يدعى محمد بن يعقوب وضريحه بتادلة. ونسبه الكتامي للقرن الخامس أو السادس وأوضح أن لقب الدباغي يفيد أنه من الشرفاء الدباغيين بفاس، إلا أن انتماءه للقرن المذكور يطرح إشكالاً.

ذكر الكتاني، اعتمادا على ما أورده القادري في *الدر السني* حين تعرض لنسب الشرفاء الأدارسة، وعد منهم الشرفاء الدباغيين القاطنين بحومة العيون من فاس، أن هؤلاء الشرفاء كانوا من جملة الأدارسة الذين غادروا فاسا في اتجاه الأندلس حين انقرضت دولتهم بالمغرب وذلك سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ومكثوا بها إلى أن قدموا لسلا في المائة الثامنة ومنها انتقلوا لفاس أول المائة التاسعة أو قرب وسطها، ولذلك استبعد أن يوجد واحد منهم بفاس خلال القرن المذكور إلا أن يكون قد رجع إليها في ذلك الوقت أو لم يحصل له أصلا انتقال منها، وهذا ما جعله يتردد بينه وبين شخص آخر يدعى أبا يوسف يعقوب الشريف دفين خارج باب الشريعة الذي يعتقد أيضا أنه من الشرفاء الدباغيين بفاس.

ويقربنا من هذه الحقيقة ما ذكره الكتاني حول اطلاعه على ظهير للسلطان أبي عبد الله محمد الشيخ الوطاسي المتوفى عام عشرة وتسعمائة (910 هـ) مؤرخ بشهر رجب من نفس السنة، وبنص على تولية أحد الشرفاء الدباغيين ويدعى أحمد بن علي بن عبد الرحمان الشريف الإشراف على روضة الولي يعقوب الدباغ والنظر في مصالحها جريا على عادة أسلافه من الدباغيين، مما قد يفيد على أن المقصود به صاحب الترجمة ويؤكد على صحة انتسابه

للشرفاء الدباغين بفاس وليس لأهل حرفة الدباغة بفاس مثلما تردد على ألسنة البعض من أصحاب هذه الحرفة.

ويستفاد من التاريخين المذكورين كذلك أن صاحب الترجمة عاش خلال القرن التاسع (15 م).

ع. ابن خلدون، العبر، ج. 6، ص. 292 ؛ ع. السلام القادري، *الدر السني*، ص. 414 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ص. 211 ؛ ابن عيشون، *الروض العطر الأنفاس*، ص. 285 وص. 361 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج. 1 ص، 105.

زهراء النظام

باب **الدّباغين** بمراكش أو "باب الدباغ" ويرجع أصل التسمية إلى مجاورة الباب لدور الدباغة منذ تأسيسه.

يقع باب الدباغين وسط الواجهة الشرقية من سور مراكش، وهو واحد من الأبواب الثلاثة لهذه الواجهة : باب أيلان وباب ينتان ويرجع تاريخ تأسيسه إلى زمن بناء سور المدينة على عهد حكم المرابطين حيث وردت إشارات متعددة عنه ضمن أخبار ترجع إلى هذه الفترة (*أخبار المهدي*، 40/ 60 ؛ نظم الجمان، 159). ويمكن إجمال الجانب التاريخي لهذا الباب في محورين هما :

1 ــ محور سياسي ــ عسكري : لعل من بين أبرز الأحداث السياسية العسكرية التي كان لها ارتباط بباب الدباغين هي :

أ ــ عمليات البحيرة : 524 / 1130 : جرت هذه العمليات بما فيها الحصار والمواجهات خارج شرق سور المدينة على ميدان تمتد رقعته بين باب الدباغين وباب ايلان (*نظم الجمان*، 159).

ب ـ حصار 541 / 1145 : كان باب الدباغين واحداً من بين ثلاثة أبواب اختار قادة جيش الموحدين المكلفين بتدبير عمليات الحصار اقتحام المدينة منها وهي باب دكالة في الغرب وباب ينتان وباب الدباغين في الشرق وأسندت مهمة الاقتحام من هذا الباب بالذات إلى فريق من الجند، يبدو أنه كان يتمتع بخبرة عسكرية عالية ويتعلق الأمر بعبيد المخزن مدعوما بجند من صنهاجة (*أخبار المهدي*، 64).

جـ ـ تصفية عام 548 / 1154 : أمر عبد المومن في سياق هذه التصفية للمناوئين والمعادين للمخزن الجديد بقتل عيسى أخي المهدي بن تومرت كواحد ممن شملتهم حملة تصفية الناكثين وجرى تنفيذ الأمر قرب باب الدباغين (*البيان* : قسم الموحدين، 50 ـ 51).

2ـ محور ديني :

يمكن اختزال بعض عناصره البارزة في الجوانب الأربعة التالية :

أ ــ الجانب الشرقي : يقع باب الدباغين ضمن مجال الجانب الشرقي الذي عُرف بكثافة النشاط الصوفي به في العاصمة الموحدية.

ب ـ الاستسقاء : أورد ابن الزيات أخباراً تهم موضوع صلاة الاستسقاء بمراكش، وضمنها حدد مكان أداء هذه الصلاة مرة خارج باب الدباغين (*أخبار أبي العباس*، 467) ومرة خارج باب اغمات، (*أخبار أبي العباس*، 474) ولعل في هذا التحديد ما يوحي بأفضلية المكان، وقيمته الخاصة عند السكان.

حـ ـ الكرامات : يستفاد من كتابات ابن الزيات أن عدد الكرامات التي جرت وقائعها في أبواب مراكش، بلغ تسع كرامات موزعة بين أربعة أبواب هي : باب فاس (*ا لتشوف*، 304 ـ 305) باب ينتان (*أخبار أبي العباس*، 470) باب أغمات (*التشوف*، 306) وباب الدباغين (*التشوف*، 300 ــ 341 ــ 346 ــ 442 ــ 446 ؛ *أخبار أبي العباس السبتي*، 469 ـ 470) ومن هذا المجموع كان باب الدباغين مجالا لثلثي الكرامات المشار إليها.

د ــ مقبرة الباب : تقع خارج الباب وتحده من الشمال وفيها دفن عدد من صوفية المدينة.

لوحة لمتصوفة دفنوا بمقبرة باب الدباغين من خلال *التشوف*

المتصوف	أحواله	تاريخ الوفاة
أبو إبراهيم إسحاق بن محمد المزوجي	من الأفراد	1189 / 585
أبو يعقوب يوسف بن عبد الله بن مصباح التادلي المعلم	كان عبدا صالحا ورعا	1196 / 592
أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم التينملي	كان زاهدا في الدنيا وأهلها	1196 / 592
أبو عمران موسى بن عيسى الدرعي الأسود	جمع القرآن في مدة يسيرة	1198 / 594
هنية بنت ميون الدكالي	من الأفراد	1199 / 595
أبو هارون عبد السلام بن وجوط العزفي فاضل	حزين دائم البكاء	1205 / 601
أبوعبد الله محمد بن تميم الزناتي	كان عبدا صالحا مجاب الدعوة	1211 / 607
أبو العباس أحمد بن خالص الأنصاري	من أهل المجاهدة والتجرد والزهد	قبل عام 601 / 1209
أبو الحسن علي بن يسمور الدكالي المعروف بالعربي	كان عبدا صالحا	1216 / 612
أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر الزناتي	كان عبدا صالحا	1218 / 614

الخصوصيات المعمارية : يعتبر باب الدباغين واحداً من بين مجموعة أبواب سور المدينة التي تتوفر على بابين أحدهما خارجي والآخر داخلي ويلاحظ بالنسبة لهذا الباب وجود تباين واضح بين بابيه في التصميم والحجم والزخرفة يمكن إجماله في المقارنة التالية :

عناصر المقارنة		الباب الداخلي	الباب الخارجي
المقاييس	العلو	أكبر	أصغر
	العرض	أكبر	أصغر
المدخل		أكبر	أصغر
الواجهة		ذات مستويات خمسة متدرجة	ذات مستوى واحد
الزخارف		موجودة ومتنوعة	غير موجودة
النوافذ		غير موجودة	نافذة واحد وفتحات

لعل تأمل عناصر هذه المقارنة يقدم الانطباع بقوة حضور المشاغل الأمنية في هندسة الباب الخارجي والملاحظة تدعمها عدة مؤشرات يمكن حصرها في أربعة هي :

1 ـ عدم انفتاح الباب على نفس الاتجاه الذي يقابل السور، وبالمقابل انفتح على الاتجاه الموازي للسور في اتجاه الشمال، ولعل مما يسهم في فهم هذا التوطين ووظيفته الأمنية كون باب الدباغين يعتبر الباب الشمالي للواجهة الشرقية من سور المدينة، ويبعد موقعه عن النهاية الشمالية لهذه الواجهة بما يقرب من نصف مسافة الواجهة كلها، ولعل مراقبة ما يجرى خارج هذه المسافة الطويلة، وأمام عدم وجود باب فيها يقتضي توجيه مدخل الباب نحو الشمال.

2 ـ إحاطته ببرجين الأول شمال الباب والثاني في جنوبه تعلوهما شبكة فتحات صغيرة، منها المربعة ومنها الطويلة تسمح فقط بالرؤية ومن خلالها المراقبة الكلية للمحيط الخارجي للباب شمالاً وغرباً وجنوباً.

3 ـ ضيق مدخل الباب الخارجي مقارنة بمدخل الباب الداخلي ودعمه بباب آخر يغلق ويفتح يقع مباشرة بعد الدخول من الباب الخارجي. وبوابة ذات مدخل ضيق وبسقف منحدر في شكل قوس لا تسمح بالمرور المريح.

4 ـ تتميز المسافة الفاصلة بين الباب الخارجي والباب الداخلي بمجموعة من العناصر المعمارية تلتقي في تكامل وظيفتها الامنية المشركة وهي :

أ ـ يتم المرور من الداخل إلى الخارج أو العكس، بطريقة ملتوية عبر منعرجات ستة وهذه الخاصية جعلت من باب الدباغين نموذجاً فريداً بين باقي أبواب سور المدينة، وأعقدها في تصميمه وأصعبها في اقتحامه.

ب ـ وجود ساحة مستطيلة الشكل مكشوفة، يشرف عليهـــا من الأعلى سطح بــــه ستــــارة، لعل من بين استخداماته، استعماله كمركز للهجوم المباغت ضد كل من أمكنه الإفلات من الباب الأول والآخر المجاور له ولبوابته، وهو آخر نقطة دفاعية داخل باب الدباغين قبل دخول المدينة.

ي. ابن الزيات، *التشوف وأخبار أبي العباس السبتي*، تح. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1984 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. محمود علي مكي، بيروت، 1990 ؛ البيدق، *أخبار المهدي بن تومرت*، الرباط، 1971 ؛ ابن عذاري، *البيان*، قسم الموحدين، تح. محمد إبراهيم الكتاني، محمد زنيبر، محمد بن تاويت، عبد القادر زمامة، الدار البيضاء، 1985 ؛ *التحري الميداني*.

C. Allain et G. Deverdun, *Les portes anciennes de Marrakech*, *Hesp.*, XLIV, 1957.

محمد رابطة الدين

ابن **دبّوس**، أسرة فاسية أصلها من بني يفرن الزناتيين. استوطنت مدينة فاس عند ما كون بنو يفرن إمارتهم فيها. واشتهرت بالثروة والنباهة والعلم خلال عصري المرابطين والموحدين. وكان أحد أزقة مدينة فاس يعرف بها هو "عقبة ابن دبوس" ومازال إلى اليوم. أنجبت عدداً من العلماء تولى بعضهم قضاء مدينة فاس خلال عصر المرابطين. ثم انقرضت أواخر العصر الموحدي. منهم :

ابن **دبّوس**، **أحمد** بن عبد الله اليفرني الفاسي فقيه مشارك، لم تورد له كتب التراجم ترجمة مستقلة، ومن النبذ المتفرقة عنه نعرف أنه كان أول قضاة أسرته، ولي قضاء مدينة فاس في العصر المرابطي بعد وفاة قاضيها العالم الورع أبي يعقوب يوسف بن عيسى ابن الملجوم الازدي سنة 498، لكنه ما لبث أن عزل بعد مدة قصيرة سنة 500، وولي مكانه الفقيه المحدث أبو القاسم هشام بن يوسف ابن الملجوم.

توفي أحمد ابن دبوس بفاس سنة 507 / 1113.

ابن **دبوس**، **عبد الله** بن أحمد بن عبد الله اليفرني الفاسي، لم تفرد له كتب التراجم القديمة ترجمة مستقلة، وترجم له من المتأخرين الكتاني في *سلوة الأنفاس* وعبد السلام بنسودة في *قضاة فاس*. ومنهما ومن مجموع الأخبار المتناثرة عنه يستفاد أنه كان قاضياً بمدينة فاس وإماما بجامع القرويين. ونقف في ترجمة الصوفي الشهير أبي الفضل ابن النحوي (تـ. 513) على إشــارة إلى خصومة وقعت بينه وبين قاضي فاس ابن دبوس الذي منعه من تدريس علم الكلام بجامع القرويين، فاضطر إلى مغادرة المدينة بسبب ذلك. لكن القاضي ابن دبوس نفسه كان من مريدي الشيخ ابن النحوي.

ألف عبد الله ابن دبوس كتاب *الإعلام بالمحاضر والأحكام وما يتصل بذلك مما ينزل عند القضاة والحكام*، وهو في أدب القضاء واختصاصات القاضي، وحل بعض الإشكالات الفقهية التي تعترض القضاة في المسائل العويصة، اعتمد فيه على مصادر الفقه المالكي المشهورة *كموطإ* الإمام مالك *وواضحة* ابن حبيب *ومدونة* سحنون *والعتبية والموازية ونوادر* ابن أبي زيد القيرواني *ومنتخبة* ابن لبابة *ومنتخب الأحكام* لابن زمنين *وتبصرة اللخمي ووثائق ابن العطار*.

وكان له ولد يسمى عبد الحق ابن دبوس، كان عالماً جليلا من علماء فاس توفي سنة 557 أو 578، وكذا عبد الخالق بن عبد الحق كان من علماء المدينة، وتوفي سنة

597، ولم يكن له عقب، وبوفاته انقرضت أسرة بني دبوس.

ع. الله، ابن دبوس، *الإعلام بالمحاضر والأحكام وما يتصل بذلك مما ينزل عند القضاة والحكام*، تح. إدريس السفياني، د. د. ع. كلية الآداب بالرباط، 1994، مرقونة ؛ القاضي عياض، *مذاهب الحكام في نوازل الأحكام*، تح. م. بنشريفة، بيروت، 1990، ص. 12 ؛ ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الرباط، 1984، ص. 99 ؛ ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 26 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، 2 : 388 ـ 390 ؛ ع. السلام ابن سودة، *قضاة فاس*، نسخة مرقونة على الآلة الكاتبة ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، فاس، طبعة حجرية، 1316، 3 : 294 ـ 295 ؛ مجهول، *نبذة من تاريخ المغرب الأقصى*، مخطوط، خ. ع، رقم 2152د، ص. 119.

محمد المغراوي

أبو **دبوس** (آخر ملوك الموحدين) ← **إدريس** بن **محمد بن عبد المومن**

دبدو، مدينة جبلية صغيرة تقع في الجهة الشرقية من المغرب على بعد 160 كلم جنوب غرب مدينة وجدة و52 كلم جنوب مدينة تاوريرت، وهي إحدى الباشويات الثلاث التي تشكل إقليم تاوريرت وتضم أربع جماعات قروية (سيدي لحسن والعطف وأولاد مَحمد وسيدي علي بلقاسم) إضافة إلى الجماعة الحضرية لدبدو.

تعتبر هذه المدينة لدى الكثيرين قديمة مع أنها لم يُذكر اسمها قبل القرن الثامن (14 م) حيث ذكر ابن خلدون أنه لجأ إلى جبل دبدو سنة 774 وقد يفهم من هذا عدم وجود المدينة آنذاك إذ لم يشر إليها كثير من الكتاب الذين سبقوه رغم أن الوزان ذكر في كتابه *وصف إفريقيا* أنها مدينة قديمة أسسها الأفارقة، كما أشارت بعض المراجع إلى ظهورها أيام عبد الحق المريني. فهذا الاسم يطلق أيضاً على جبل يشرف عليها من الناحية الغربية وعلى الوادي الذي يمر بجوارها. ونسبة إلى الكلمة يقال "دبدوبي" و "دبادبة" مما قد يرجح أن يكون أصلها "دبدوب" التي تعني مكانا يصدر دبدبة وهي كل صوت أشبه صوت وقع الحافر على الأرض الصلبة وهو المكان الذي بنيت فيه إمارة بأمر من الحكام المرينيين بفاس، إلا أن هناك ميلاً إلى الاعتقاد بأن أصل كلمة "دبدو" أمازيغي قد يرتبط بكلمة "بادو" أو أبادو" وتعني الحاجز بين حوضين مسقيين أو بكلمة "ربدو" التي تطلق على نوع من الكثبان، وكلتا الكلمتين تدلان على شكل يوحي به "جبل دبدو" وامتداده الذي يفصل بين وادي دبدو وسهول تفراطة.

وتذكر بعض الروايات الشفوية المتوارثة والمتداولة بقوة أن "فاطمة بنت عبد الحق المريني مولت بناء القصبة (إمارة دبدو) بمال صداقها !" حسب كتابات وجدت على أحد الأسوار، وقد تكون هذه الرواية عارية عن الصحة لغياب ذكرها في أي من المصادر، إلا أن المؤكد هو تأسيس دبدو إبان قيام عبد الحق المريني (592 ـ 614 / 1196 ـ 1218) بتقسيم مجال دولته بين فروع قبيلته الكبرى، فكانت دبدو معقلا من نصيب بني ورتاجن (قبيلة زناتية) لصد هجمات بني عبد الواد التلمسانيين والحد من أطماعهم، وهذا ما عرَّضها للاجتياح والتدمير على يد ملك تلمسان سنة 766/ 64 ـ 1365. بينما تذكر المصادر أيضاً أن أحد زعماء بني ورتاجن تمكن من تأسيس إمارة صغيرة بدبدو حوالي سنة 833 / 1430 بلغت ذروة ازدهارها خلال هذا القرن حيث استطاعت أن تبسط نفوذها وأن تفرض نفسها على امتدادات محيطها رغم المناوشات التي كانت تقودها ضدها القبائل المجاورة لها، بل إنها استطاعت أن تثبت استقلالها عن سلطة الوطاسيين بعد أفول نجم المرينيين وحاولت انتزاع تازا من مَلِك فاس مما عرضها لمتاعب أعادتها إلى فلك العاصمة نفسها، ومع استتباب الأمر للسعديين بفاس حوَّل عبد الله الغالب دبدو إلى مجرد باشوية سنة 970 / 1563 تؤوي محلة عسكرية لمواجهة أي زحف محتمل للأتراك من الناحية الشرقية. وبهذا انكمشت دبدو على نفسها وتعاطى أهلها للتجارة بين البدو والحضر محليا، ومع فاس ومليلية وتلمسان ووهران والواحات الصحراوية جهويا لتسويق الصوف والزرابي والزيت والزيتون والحبوب، واستقرت فيها طائفة من اليهود أصبحوا يملكون ضيعا وبساتين وأراضي ومواشي كسائر مواطنيهم من المسلمين.

قد يكون تزامنُ ازدهار إمارة دبدو مع بداية تهجير يهود الأندلس مفسراً لاستقطاب طائفة منهم تشير بعض المراجع إلى أصولها الإشبيلية المهجرة منذ سنة 1391 وتذكر أنه بين سنتي 1440 و1470 تم استقرار العائلات اليهودية الأولى في دبدو التي سميت أيضاً "إشبيلية"، ومازالت بها حاليا عين تحمل اسم "اشبيلية"، غير أن بعض المراجع الأخرى تتحدث عن وجود قديم لجالية يهودية مغربية في هذه المدينة كانت لبعض عناصرها منافسة مع اليهود الأندلسيين، كما تحدثت عن هجرة مبكرة لليهود في اتجاه فلسطين نشطت منذ مجاعات فترة 1779 ـ 1807. تفجرت هذه المنافسة مع اندلاع ثورة بوحمارة التي انقسمت حول مساندتها مختلف قبائل وطرائف المنطقة إذ انضم إليها سنة 1904 أحد اليهود الذي كان قد عين قائداً على دبدو ويدعى دودو بن حيدا بعد أن حاول أن يستقل بها أحد السكان الأمازيغ وهو المسمى بوحصيرة، فعمت الفوضى وهاجر بعض اليهود إلى تلمسان ووجدة ومليلة سنة 1894 إثر وفاة الحسن الأول وتولي عبد العزيز زمام الأمور وقيام ثورة بوعمامة على الزحف الفرنسي في التخوم المغربية الجزائرية وانقطاع القوافل، ولم يعد "الهدوء" إلى المنطقة إلا مع الاحتلال الفرنسي سنة 1911 إثر زحف عسكري عنيف واجهته مقاومة شديدة برزت فيها قبيلتا علوانة وبني

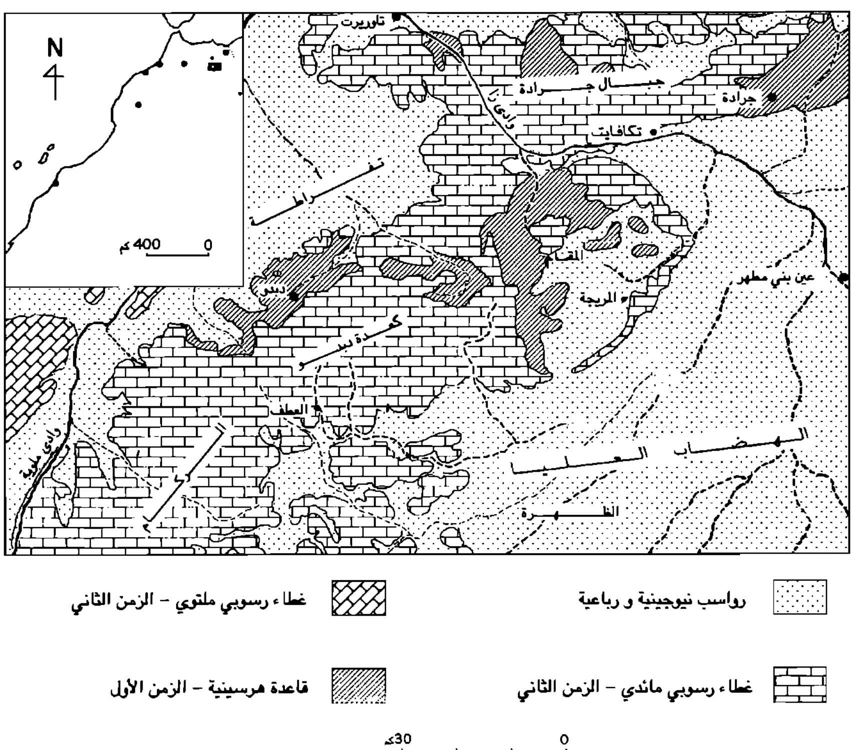
ريّس.

يتعذر إذن إثبات ظهور دبدو خارج السياق الذي تأسست فيه إمارة تم بناؤها في شكل قصبة لازالت بقاياها قائمة إلى الآن في موقع استراتيجي بين فاس غربا وتلمسان شرقا وعلى الطريق التي تصل مليلة شمالا بالواحات الصحراوية جنوبا، وفي موضع حصين يبلغ ارتفاعه 1260م. فوق درجة صلبة بين مسيلين على سفح وعر ينساب إليه الماء من عين دافقة عالية تسمى "تافرنت" بينما تنبثق عين أخرى تدعى "اشبيلية" في قدم السفح على ارتفاع 1000 حيث يمتد مركز دبدو فوق حادور ضيق على الضفة اليمنى من الوادي الذي يحمل الاسم نفسه. يصرف هذا الوادي منخفضا يبلغ عمقه حوالي 700 م من الجنوب الغربي في اتجاه الشمال الشرقي حيث ينفرج على سهول تفراطة الشاسعة التي يخترقها قبل أن يترافد مع وادي ملوية في الشمال الغربي. ويعتبر هذا المنخفض من بين أودية التعرية التراجعية التي وجهتها انكسارات انطلاقا من تفراطة في اتجاه الهامش الشمالي الغربي للهضاب العليا الذي يقترب ارتفاعه من 1700 م. بينما لا يزيد ارتفاع هذه السهول عن 650 م.

يضم مركز دبدو عدة أحياء قديمة تصنف تقليديا إلى : الكَيادية وأولاد يوسف وأولاد عمارة وقبيين إضافة إلى الملاح (الحي اليهودي) وحي القصبة (حي يمتد داخل بقايا أسوار الإمارة القديمة) وكذلك الحوش وهو حي حديث ارتبط ظهوره بانتشار التوسع نحو السافلة حول بعض البنايات التي شيدتها الإدارة الفرنسية خلال فترة الحماية وقبالته ينفرد حي المصلى بموضع على الضفة اليسرى في قدم سفح وعر ضيق.

وتتميز الأحياء القديمة بسكن تقليدي يغلب فيه الطابع القروي ويلتف حول أزقة ضيقة لا تخضع لأي تصميم أو تخطيط، وهو مبني بالحجارة والطين المضغوط (التابية أو اللوح) على أرضية من القشرة الكلسية والشيست ومسقوف بأخشاب العرعر المجنح (الطاكًا) وجذوعه، وقد يحتوي أحيانا على أكثر من طابق. أما المباني الحديثة فلا تنتظم بدورها في أي تصميم أو تجزئة، وتستعمل فيها المواد العصرية من إسمنت مسلح وغيره مع الآجرّ والحجارة، وهي مواد يعتمد عليها أيضاً في ترميم السكن القديم وتجديده. فالقصبة المرينية لم يبق منها سوى المسجد وبعض ملحقاته وأجزاء من سورها والخندق المحيط به إضافة إلى السكن ذي الطابع الريفي الذي يبدو أنه أقيم على أنقاض معمار القصبة وهو مأهول جزئيا. أما دبدو فما زالت تحتفظ بالكثير من المباني القديمة ذات الخصوصيات التي تمتزج فيها النفحات المغربية والأندلسية الإسلامية واليهودية.

تعتبر دبدو من المدن القديمة الصغيرة ذات النمو البطئ إذ بلغ عدد سكانها 1751 نسمة سنة 1936 بأغلبية يهودية بلغت 917 نسمة (52٪) وانتقل العدد الاجماعي للسكان إلى 2213 سنة 1952 ثم ارتفع إلى 3564 سنة 1960 وبعدها انخفض إلى 2644 (26٪) سنة 1971 بسبب هجرة اليهود إلى فلسطين إثر الحرب العربية الاسرائية (يونيو 1967). ورغم أن هدد السكان ارتفع من جديد إلى 4013 نسمة سنة 1982 (52٪) فالنمو بقي بطيئا مع إحصاء سنة



1994 إذ لم يتجاوز 12٪ مع 4477 نسمة، أما اليهود فقد غادر آخرهم المدينة قبل نهاية القرن العشرين بعد أن تقلص عددهم إلى 5 أسر فقط في سنة 1978. لا يمثل سكان بلدية دبدو سوى نسبة 14٪ من مجموع سكان الدائرة التي بلغ عدد سكانها 31990 نسمة سنة 1994 والتي تضم أيضاً قيادتين (الكعدة والزوي) تشمل كل منهما جماعتين قرويتين وهما على التوالي العطف وأولاد مَحمد ثم سيدي لحسن وسيدي علي بلقاسم. وتعدو أصول سكان دبدو ومحيطها إلى قبائل عربية وأخرى أمازيغية معربة. وعرف سكان دبدو أنشطة دينية إسلامية كانت تؤطرها مختلف الزوايا والطوائف وأخرى يهودية وقد اضمحلت مع مرور الزمن ولم يعد هناك أي نشاط يذكر حاليا.

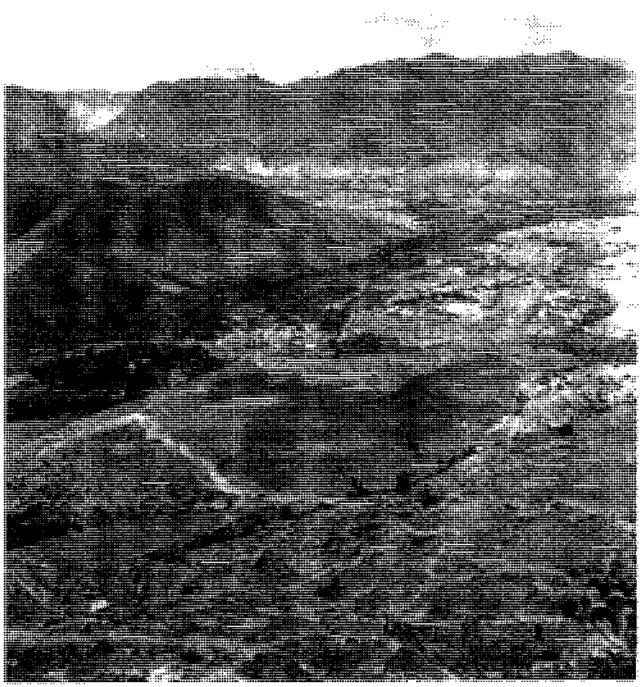
يتضح إذن أن دبدو لا تستقطب سكان باديتها إلا مرحليا ولا تحقق نموا ذاتيا مهمّاً بسبب النزوح المستمر منها نحو المدن. وتنتج هذه الهجرة عن انعدام تنمية تواجه العزلة ومحدودية الموارد وضعف البنية التجهيزية وتقلص وظيفتها التجارية والحرفية التقليدية التي أصبحت لا تنتعش سوى أيام الأربعاء مع انعقاد السوق الأسبوعية. تتوفر دبدو على شبكة جزئية للواد الحار وعلى شبكة للتزويد بالماء الشروب عانت كثيراً مع استفحال ظاهرة الجفاف قبل أن يتم إنقاذها بالتزود من تفراطة. ويخترق المركز شارع وحيد ينتظم على جانبيه عدد من الدكاكين جلها مغلق إضافة إلى بعض مشاغل الحرفيين. وقد اشتهرت دبدو بنسيج الأغطية الصوفية المعروفة "الدبدوبي" والخياطة وصناعة الحصائر وبعض الأواني من الحلفاء وبصناعة الأدوات الفلاحية التقليدية والحدادة والخرازة والخزف والصياغة وإنتاج الزيتون وزيته.

تربطُ دبدو بمحيطه طريقٌ وحيدة جهوية (605) تنطلق من مدينة تاوريرت شمالا إلى دبدو جنوبا لتستمر عبر منعرجات منحدرة وعرة في اتجاه قرية العطف جنوبا وبعدها تصبح عبارة عن مسلك يوصل إلى تندرارة، وتتفرع منها طريق سيدي لحسن وعين بني مطهر وعدد من المسالة غير المعبدة. ويتوفر مركز دبدو على ثلاث مدارس وثانوية ومستوصف ومركز بريدي ووكالة بنكية، وأصبح مؤخراً يتوفر على بيوت حديثة للإيواء السياحي أقيمت بجوار "عين تافرنت" على درْجة مشرفة على مشاهد طبيعية جميلة. وقد عُرفت دبدو أيضاً بغاباتها الوارفة الظلال (البلوط والعرعار والعتم والصنوبر) وما تؤويه من وحيش ونباتات طبية تعاني كلها من التدهور. أما الفلاحة فيعتمد عليها غالبية السكان بمن فيهم ساكنة المركز وتقوم أساسا على تربية الماشية خاصة منها الماعز نظراً للطبيعة الغابوية الجبلية إلى جانب قطع الأخشاب والزراعات البورية الاحتمالية، إذ أن الزراعات المسقية محدودة في المكان والزمان، وقد لا تتعدى الفصل المطير والمثلج أحيانا بسبب معاناتها مع طول فترات الجفاف الذي يقلص من انصباب العيون.

دبدو (كتلة) : اصطلح على إطلاق هذا الاسم على وحدة مرفوبنيوية تمثل الجزء الأكثر ارتفاعا في الهضاب العليا (1691 م) تنتصب شامخة في حافتها الشمالية الغربية المشرفة على سهول تفراطة الممتدة بحوض گرسيف. وتتشكل هذه الكتلة التي تقع مدينة دبدو في قلبها من أعراف جبلية متصلة بهضبة متماسكة، وقد جزءتها أودية عميقة نتجت عن الحت التراجعي الذي انطلق من جرف انكساري يتجاوز مداه الأقصى 1000 م.

وتتكون هذه الكتلة من غطاء رسوبي تسود فيه الضخور الكلسية والدولوميتية الجوراسية (الزمن الجيولوجي الثاني) وهي قليلة السمك نسبيا، توضعت فرق أساس تشكله القاعدة الهرسينية (الزمن الجيولوجي الأول) المكونة من صخور حولها الاختراق الغرانيتي إلى شست وكوارتزيت. وبسبب الميل المبكر لهذه الكتلة نحو الارتفاع شكلت قعراً مرتفعا لم يغمره البحر خلال الزمن الجيولوجي الثاني إلا في مرحلة متأخرة وتراجع عنها في وقت مبكر.

تعتبر هذه الكتلة حاجزاً تضاريسياً وعراً يفرض تصاعداً اضطراريا للكتل الهوائية مما يجعل الرطبة منها تُمطر وتثلج بمعدل يفوق 500 مم في الأجزاء المرتفعة (الكعدة) مما جعلها مكسوة بغابة متوسطية تتدرج فيها المستويات البيومناخية من شبه القاحلة إلى شبه الرطبة تشمل البطم والعُتم والعرعار والصنوبر والبلوط والضرو، تكتسحها الحلفاء باستمرار بسبب التدهور. ورغم أن هذه الكتلة تُشكّل جزيرة خضراء برطوبتها في وسط يتميز



بالقحولة فإنها لا تتوفر على وديان دائمة الجريان نظرا لضعف سمك الغطاء الرسوبي النفيذ وضخامة القاعدة غير النفيذة إضافة إلى طول الفصل الجاف.

ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، ج 7، ص 546، طبعة، 1992 ؛ أ. شحلان، 1998، "*مدن مغربية في كتابات عبرية، صفرو ومكناس ودبدو*" ؛ *متنوعات محمد حجي*، بيروت، مارمول كربخال، *إفريقيا*، تر. محمد حجي وآخرين، الرباط، 1984، ص. 270 ـ 272 ؛ ح. الوزان الفاسي (ليون الافريقي)، *وصف إفريقيا*، تر. محمد حجي وم. الأخضر، بيروت، 1983، ج 1، ط، ص. 351 ـ 354 ؛ ع. الرحمان الحرادجي، 1986، *ملاحظات حول البيئة الجغرافية لكتلة دبدو* "ندوة المغرب الشرقي بين الماضي والحاضر" وجدة، ص 29 ـ 33.

Ch. De Foucault, *Reconnaissance du Maroc*, Paris, 1988 ; J. Desnottes et J. Celerier, *La vallée de Debdou, La Géographie*, Paris, T. 50 ; A. El Harradji, *Le Massif de Debdou, Etude géodémographique*, Thèse Doct. 3° cycle, Univ. Paris I, Panthéon-Sorbonne, Inst. Géogr., Paris, 1985 ; *Morphodynamique, activité anthropique et environnement dans le massif de Debdou-Mekkam, (Maroc Oriental)*, actes du symposium, *Dynamique de l'environnement en Afrique*, 2° congrès des Géographes Africains, Rabat, 19 - 25 avril 1993, pp. 103 - 112 ; *Structure géologique et évolution géomorphologique du massif de Debdou (Maroc Oriental), R.G.M.*, 1996 ; *Dubdu, E.I.*, vol. 2.

عبد الرحمان الحرادجي

الدبْدي، أسرة تطوانية أصلها من غمارة وقد انقرضت بتطوان حيث كانت بالمدينة دار بحومة الطرانكات تعرف بدار الدبدي سنة 1257 / 1841.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1614.

محمد ابن عزوز حكيم

الدّبْس، لغةً : عسل التّمر وعصارته والعامّة تُطلقه على عسل الزبيب. وجاء في كتاب *المقصد الشريف* في معرض حديثه عن يحيى بن مخلوف من فخذ بني يغمراسن من قبيلة بقوية : "فخرجت لأسوق شيئاً من الدبس في الجبل الذي فوق داري المشرف على الوادي الهابط إلى أبي سكور" (*المقصد*، 122) ويتحدث الحسن الوزان عن الدّبس في : "جبل بني گرير يسكنه فرع من غمارة فيه غابات وكروم وبساتين الزيتون وسكانه فقراء مذقعون يلبسون الثياب الحقيرة ولا يملكون من الماشية إلا القليل ويصنعون كثيراً من الخمر والدبس..."، وعن جبل بني بوشيبت قال بعد أن وصف مزايا الجبل الطبيعية وخصائصه المناخية ونشاط السكان الفلاحي : "... ويقتات الناس بالدبس المطبوخ وحساء الفول ويعتبرونها أحسن قوت، ويأكلون هذا الدبس مع الخبز..." (*وصف إفريقيا*، 1 : 259، 260).

برجوعنا إلى النصوص التاريخية الموحدية ومقارنة ما جاء فيها عن شراب الرُّب نستطيع القول إن الدبس هو الرُّبّ نفسه مع تغيير طفيف يتعلق باللزوجة، فالرّب وهو الأصل يتخذ من عصير العنب المطبوخ ويترك على النار إلى أن يتبخر أكثر من نصفه، أما الدبس فهو الناتج عن تبخر ما يحتويه العنب من الماء حتى يصبح لَزجاً مثل العسل، وربما جُفف أكثر حتى يصبح صلباً يقضم.

الاختلاف الكبير بين الرُّب والدِّبس يتعلق بالغاية من تناول المادتين وكلتاهما تستهلك في المناطق الجبلية الشديدة البرودة (*الاستبصار*، *وصف إفريقيا*، 259 ـ 260) إلا أن الرُّب مادة مُسكرة إذا بولغ في استهلاكها وانتشر في المغرب كله وتشرب عادة بعد الأكل والشبع (*المن بالامامة*، 433).

أما الدّبس وكما جاء عند البادسي والحسن الوزان فهو مادة غذائية أساسية إلى جانب الخبز أو حساء الفول، إلا أن الاكثار من تناوله يؤدي إلى نفس السكر والتخدير الذي يعطيه شراب الرب.

بقي أن أشير في الختام إلى أن كلمة دبْس المستعملة إلى اليوم في الدارجة المغربية تعني اللون الأسمر العسلي، وقد أخذت المادة المتحدث عنها اسمها من هذه الخاصية. ويُعرف الرّبّ باسم "الصامت".

ع. الحق البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ مجهول، *الاستبصار*، 1958 ؛ ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن *بالإمامة على المستضعفين*، بيروت، 1964.

محمد حجاج الطويل

الدبلوماسية المغربية، دبلوماسية قطر من الأقطار هي ارتباطه بغيره وشبكة علاقاته مع العالم، وهي التعبير عن المنزلة التي يتبوؤها في هذا المضمار حيث لا غنى لأمة ولا لقطر عن الاتصال بما حولهما من الأمم والأقطار ولا عن الاتصال بالعالم أجمع في عصرنا هذا، عصر التواصل والتقدم التقني. والتاريخ الدبلوماسي بهذا المنظور مرآة تعكس تحرك قطر مّا ودرجة تفاعله مع أنداده سلباً وإيجاباً وما يحققه في مجال الحضارة الإنسانية عبر العصور.

والباحث في التاريخ الدبلوماسي أو بعبارة أخرى في السياسة الخارجية لأمة من الأمم كالواقف أمام جبل جليدي أربعة أخماسه تحت الماء، فلا تُرى إلا قمته. وكذلك الدبلوماسية أو السياسة الخارجية فإنها عادة ما تتسم بالتكتم عن الخفايا والخلفيات. فعدة عوامل تتخللها، منها طبائع صانعي القرار والفاعلين، وتأثير من حولهم من

القوى الضاغطة على اختلاف أنواعها، وتأثير الرأي العام، والظروف السائدة في الداخل والخارج الخ.. وقد لا تتجلى كل هذه العوامل بوضوح فيضطر الباحث في الدبلوماسية إلى الافتراض والتأويل في كثير من الأحيان. وبالتالي فإن علم التاريخ ليس من العلوم الدقيقة.

الجهاز المكلف بتسيير الدبلوماسية هو وزارة الشؤون الخارجية وهو من أهم أجهزة الدولة وأكثرها حساسية. لهذا كثيراً ما تكون هذه الوزارة تابعة لرؤساء الدول الذين بيدهم الحل والعقد أو لرؤساء الحكومات في الدول الراسخة القدم في الديمقراطية.

هذا الجهاز في المغرب كان يسمى "وزارة البحر" خاصة بعد قيام الدولة السعدية لأنه الجهاز الذي كان يعالج شؤون المغرب لما وراء البحار أي "المفاهمة مع الدول وعقد المعاهدات والاستصدار والاستيراد وفض المشاكل التي تعرض في بعض الظروف" كما جاء في كتاب *الإتحاف* للنقيب عبد الرحمن بن زيدان.

الدبلوماسية المغربية وإن كانت نشأت منذ قيام الدول والممالك التي تعاقبت على الحكم قبل الفتح الإسلامي، إلا أنها لعبت دوراً لا يستهان به في عهد المرابطين والموحدين ونشطت أكثر منذ العهد السعدي إلى أن بلغت الأوج في عهد الدولة العلوية وسلاطينها العظام بدءاً من المولى إسماعيل ومحمد بن عبد الله والحسن الأول.

وقد احتفظ التاريخ ببعض أسماء "وزراء البحر" إذ ذاك وأسماء بعض السفراء في شتى أقطار العالم. منهم من كانوا مقيمين في البلاد التي كانوا معتمدين بها ومنهم من أسندت لهم مهام ظرفية. وهكذا كان للمغرب اتصالات بالباب العالي وبلاد الشرق وأوربا بما فيها إسبانيا والمقاطعات التي تكونت منها ايطاليا فيما بعد وفرنسا وانجلترا وروسيا وكثير من أقطار أمريكا وآسيا. وإذا كان قليل من سفراء الدولة المغربية كتبوا مذكراتهم عما شاهدوه، فقد ترك بعضهم كتابات عن ارتساماتهم في ما وقفوا عليه بفرنسا والولايات المتحدة أثناء حرب انفصالها عن بريطانيا وغيرها. يضاف إلى ذلك ما كتبه ممثلو الدول الذين كانوا معتمدين في المغرب، وكان أغلبهم قناصل تركوا مؤلفات مهمة عن بلادنا وأحوالها.

منذ اعتلاء الدولة العلوية الحكم وفي عهد المولى إسماعيل (1674 ـــ 1727) شهدت الدبلوماسية المغربية نشاطاً متنامياً بسبب الأخطار التي كانت تتعرض لها البلاد من حدودها الشرقية من لدن الأتراك، ومن الشمال بسبب الغارات الإسبانية والبرتغالية ونشاط القرصنة البحرية وما كان يترتب عليها من مشاكل الأسرى، وغير ذلك. وهكذا تبادل المغرب السفراء مع انجلترا (أحمد بن حدو) ومع فرنسا (الحاج محمد تميم وبالأخص عبد الله بن عائشة) على سبيل المثال. وقد بلغ الأمر بمولاي إسماعيل أن فاوض لويس الرابع عشر على عقد حلف ضد إسبانيا. لكنه لم يتم بسبب انتماء الدولتين للعقيدة المسيحية بالرغم من نزاعهما إذ ذاك.

خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر (17 و18 م) أبرمت الدبلوماسية المغربية على سبيل المثال معاهدات لا تحصي مع انجلترا في (1030 ـــ 1760) ومع الدانمارك (1757) ومع إسبانيا (1767 و1780 و1799) ومع الولايات المتحدة الأمريكية (1787) ومع فرنسا (1630 و1682 و1767) ومع هولندة (1600 و1651 و1683) ومع إيطاليا (1762 و1765) ومع البرتغال (1772 و1799) ومع السويد (1763).

لكن الدبلوماسية المغربية اضطرت إلى مراجعة أساليبها وإعادة تنظيمها بعد الأزمات الداخلية التي وقعت بعد وفاة مولاي إسماعيل وبسبب تغير الظروف الناشئة عن احتلال فرنسا للجزائر (1830) وتطلع الدول المسيحية إلى غزو المغرب بعد هزيمته في إيسلي (1844) ضد فرنسا و(1860) ضد إسبانيا. وقد أفاد المغرب اتفاقه مع انجلترا التي كانت تمتلك مضيق جبل طارق منذ (1704) وتحرص على بقاء توازن القوى في البحر المتوسط.

وبلغت الدبلوماسية المغربية ذروتها على عهد المولى محمد بن عبد الله، فأصبحت طنجة مقر الدبلوماسيين الأجانب وكانوا يتصلون بوزير الخارجية المغربي من عاصمة المملكة بفاس بواسطة ممثله بطنجة. وتوثقت العلاقات مع تركيا والحجاز والدول الأوروبية الآنفة الذكر والولايات المتحدة الأمريكية.

وقضى على سياسة الاستطيان والحمايات القنصلية للرعايا المغاربة من لدن الدول الأجنبية وان كانت استؤنفت من بعد نظراً لضعف الدولة، وافتكاك الأسرى المسلمين إلى غير ذلك. وقد اقتفى أثر محمد بن عبد لله حفيده السلطان مولاي الحسن الأول فزاد في تحسين العلاقات الدبلوماسية مع الدول الأجنبية وحفظ التوازن في ظروف بدأت تلك الدول تشره خلالها لانتقاص المملكة من أطرافها والاستيلاء عليها. وقد أبرم اتفاقية في مدريد (1880) مع ثلاث عشرة دولة عقدت هناك مؤتمراً يتعلق بالمغرب، فنجحت الدبلوماسية المغربية في الحد من أطماع بعض تلك الدول وما كانت تتطلع إليه من تجاوزات وامتيازات على حساب المغرب.

لكن نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين شهدت امتداد الاستعمار الغربي وبالتالي تآمر الدول الاستعمارية خاصة فرنسا وإسبانيا على المغرب وتحالف بقية الدول الغربية المجاورة وضعف المملكة لمغربية وعزلتها على عهد السلطان عبد العزيز والسلطان عبد الحفيظ. فلم تستطع الدبلوماسية المغربية رد المد الاستعماري على الرغم من انعقاد مؤتمر الجزيرة (1906) الذي نص على المبادئ الثلاثة : سيادة واستقلال المغرب. ووحدته الترابية والمساواة في الاتجار معه بين الدول لمثلة في المؤتمر.

سعياً وراء الاستيلاء على المغرب أبرمت فرنسا سلسلة من الاتفاقات مع إيطاليا (1902) مقابل إطلاق يد هذه في طرابلس، ومع انجلترا (1906) مقابل التسليم لها باحتلال مصر، ومع إسبانيا (1904) مقابل التنازل لها على المنطقة الشمالية من المغرب، وأخيراً مع ألمانيا (1911) مقابل التغاضي عن موطئ قدم لها في الكونغو وقطعة من إقليم تشاد. فكانت الضربة القاضية بالرغم عما كان بين ألمانيا والمغرب من علاقات ود طوال عهود، ورغم ما بذلته الدبلوماسية المغربية في هذا السبيل لاتقاء مطامع فرنسا. وكان من نتائجها زيارة الامبراطور غليوم الثاني لطنجة في مايو 1905 مؤكداً استقلال المغرب، وانبعاث سفينة حربية "بانطير" بعد ذلك.

قضي الأمر وأمكن لفرنسا فرض حمايتها على المغرب في 30 مارس 1912. وكان من نتائج غياب الدبلوماسية المغربية طوال أربع وأربعين سنة إلي إعلان الاستقلال سنة 1956، تلك الدبلوماسية التي شهد لها أحد خبراء وزارة الخارجية الفرنسية إذ ذاك السيد شوفي Chouvet في كتابه *Notion d'Etat et de nationalité au Maroc* حين قال : "تاريخ المغرب الدبلوماسي يدل على أن سيادة سلاطين المغرب كانت لهم منذ زمن طويل فرصة البروز في المحافل الدولية".

وفي غياب الدبلوماسية المغربية أثناء الحماية أصبح المقيم العام الفرنسي في منطقة الجنوب ملكفاً بعلاقات المغرب مع الخارج، وكذلك الشأن في المنطقة الشمالية التي أصبحت تحت الحماية الإسبانية. لكن محمد الخامس بعد خروجه من الحجر ما فتئ ينادي بعودة الدبلوماسية المغربية إلى سالف عهدها وهو القائل : "منذ الآن لن يضيع حق من حقوق البلاد، بل سأسعى لاسترجاع ما ضاع". فكان يركز في خطبه بمناسبة عيد العرش كل سنة وفي تصريحاته على استعادة السيادة المغربية، خاصة في خطاب طنجة بمناسبة رحلته التاريخية في أبريل 1947 وفي خطابه الأخير سنة 1952 بمناسبة عيد العرش الفضى قبل خلعه ونفيه.

دبلوماسية المغرب كما كان يراها بطل التحرير ترتكز على دعائم أربع : وفاق وتعاون مع جميع الدول، علاقات متميزة مع الدول الصديقة، ارتباط متين مع الدول العربية، تعاون وثيق مع الدول الإسلامية. ففي تصريح للصحافة بطنجة أعلن محمد الخامس : "أن المغرب حريص على أن يكون له في المستقبل علاقة ودية مع كل الأقطار التي دافعت عن الحرية والتي تواصل الدفاع عنها.. ولنا أمل وطيد في بلوغ كل ما نطمح إليه". وعند مقابلته للسلك الدبلوماسي بطنجة صرح قائلاً : "إن مساهمة المغرب في الحرب تعطيه الحق في المطالبة بنصيبه في الانتصار واسترجاعه حقوقه التي هي حقوق جميع الشعوب". وصرح على لسان ولى العهد الحسن الثاني الذي تولى الملك بعده: "إن العالم العربي وطننا، وإن اللغة العربية لغتنا وإحدى ركائز شخصيتنا، وإن العرب أشقاؤنا وسنسعى لتوثيق عرى الروابط التي توحدنا مع أشقائنا يجب أن تتجلى الوحدة والتعاون بين جميع ذوي النيات الحسنة".

ثم أكد الحسن الثاني عند اعتلائه العرش في إحدى خطبه مرجعية الدبلوماسية المغربية مصرحا : "أن موقع المغرب الجغرافي وتاريخه الحافل يجعله مطوقاً بمسؤوليات وأمان جسام. إنه يقع في ملتقى البحرين، فعليه إذاً أن يفكر في السياسة الأطلسية وسياسية البحر المتوسط. إن المغرب جاء قريباً من أوربا، فعليه أن يفكر في سياسته بالنسبة إليها وللقارة الإفريقية التي هو منها. وإن المغرب بلد عربي، فعليه أن يفكر في سياسة تجاه العرب، وأخيراً إن المغرب دولة إسلامية، فعليه أن يفكر في سياسة تجاه الدول الإسلامية". وقد ذكّر الحسن الثاني مراراً بأن جذور المغرب توجد بإفريقيا وأن أغصانه تمتد إلى أوربا.

على هذا الأساس خطط الملك الراحل سياسة خارجية للمغرب المستقل وظل مشرفاً عليها موجها لها خلال ثمان وثلاثين سنة قضاها على العرش، ولم يكن وزراء الخارجية رغم وفرة عددهم في تلك الفترة إلا منفذين للنهج الذي وضعه هو ووالده من قبل.

لقد سبق أن نص التصريح المشترك في 2 مارس 1956 بين محمد الخامس وحكومة الجمهورية الفرنسية الخاص بإعلان استقلال المغرب وسيادته على "أن حكومة الجمهورية الفرنسية تؤكد علانية اعترافها باستقلال المغرب الذي يقتضى بالأخص دبلوماسية.. كما تؤكد عزمها على احترام وحدة المغرب المضمونة بالمعاهدات الدولية وتعمل على احترامها". وفي 4 أبريل 1956 توجه محمد لخامس إلى مدريد وصدر في أعقاب محادثاته مع الجنرال فرانكو تصريح مشترك تعترف فيه الحكومة الإسبانية باستقلال المغرب ووحدة ترابه كذلك.

ولم تكن الحكومة المغربية الأولى التي تألفت يوم 7 دجنبر 1955 تشتمل على وزير للشؤون الخارجية حيث لم تحدث الوزارة إلا في 26 أبريل 1956 وأسندت إلى الحاج أحمد بلافريج الأمين العام لحزب الاستقلال في الحكومة الثانية بعد الاستقلال، فتحملت أكبر الأعباء في التأسيس والتدبير حيث نشأت من فراغ بخلاف الوزارات الأخري التي تأسست خلفاً لإدارات الحماية في المناطق الثلاث وتوسعت تبعاً لمقتضيات الظروف وضرورة الحاجة.

أصبحت القضايا المطروحة بإلحاح على الوزارة الناشئة كثيرة تتعلق بتثبيت وترسيخ السيادة المغربية بجميع مظاهرها بعد التصريحين المشتركين اللذين ألمحنا إليهما. فكان أول عمل قامت به الدبلوماسية المغربية في عهد الاستقلال إلغاء النظام الدولي علي طنجة في 29 أكتوبر 1956 على يد محمد الخامس الذي قام برحلة إليها وحطم بيده الحاجز الذي كان يفصلها عن بقية أجزاء المغرب. وكانت الدبلوماسية المغربية تحرص في كل الاتفاقيات على

تضمين وجوب تحرير جميع الأجزاء المغتصبة ووحدة التراب المغربي والتحفظ في شأنها. فلا يخفى أن فرنسا سبق أن اقتطعت مناطق بكاملها في الجنوب الشرقي وجنوب المغرب ووضعت يدها عليها في غيبة السيادة المغربية. ومثل ذلك فعلت إسبانيا بموجب تواطئها مع فرنسا حيث وضعت يدها على أقاليم كثيرة : الصحراء المغربية (الساقية الحمراء ووادي الذهب وبوجدور وإيفني وطانطان) بالإضافة إلى سبتة ومليلية والجزر الجعفرية التي احتلتها في القرن السادس عشر.

وقد شخص محمد الخامس إلي محاميد الغزلان بوابة الصحراء الغربية في فبراير 1958 ومنها وجه الخطاب إلى سكانها معلناً أن الإقليم جزء لا يتجزأ من المغرب ومؤكداً أنه سيعمل كل ما في وسعه لتحرير أجزاء الصحراء وإعادتها إلى الوطن. وقد كان لهذا الخطاب صدى بعيد في الصحراء حيث تحرك أبناؤها لتحريرها.

كما اهتمت الدبلوماسية المغربية بحدود المغرب الشرقية والأجزاء التي كانت تحت قبضة الاستعمار الفرنسي، وكانت حرب ضارية تجري بين جبهة التحرير الجزائرية وفرنسا فأرجأت الحكومة المغربية التفاوض في شأنها إلى ما بعد استقلال الجزائر مع حكومتها إذ ذاك، وأبرمت في هذا الشأن اتفاقية مع الحكومة لجزائرية المؤقتة التي كان يرأسها فرحت عباس.

استرجعت الدبلوماسية المغربية بعد جهد جهيد طرفاية وطانطان في أبريل 1958 وإفني في يونيو 1969 من يد الاستعمار الإسباني. ثم جاء دور الصحراء المغربية، فبعد مفاوضات طويلة ومضنية مع الحكومة الإسبانية واتفاق مع موريتانيا ومحادثات مع الحكومة الجزائرية التي دخلت طرفاً في النزاع على الصحراء المغربية وقرار محكمة العدل الدولية التي أصدرت قرارها بوجود "علاقات ولاء بين المغرب والصحراء مغربية" أعطى الحسن الثاني انطلاقة المسيرة الخضراء في 6 نوفمبر 1975 والتي ضمت ثلاثمائة وخمسين ألف شخص للمسير إلى الصحراء التي دان شيوخها له بالولاء. وهكذا ضم هذا الإقليم إلى المغرب. ولم يبق تحت احتلال إسبانيا إلا سبتة ومليلية والجزر الجعفرية. وقد جرت اتصالات ومساع في شأنها، واقترح الحسن الثاني تكوين خلية تفكير مزدوجة لحل مشكلتها. لكن الحكومة الإسبانية لم تستجب لهذا الاقتراح. ومن القضايا الكبرى التي اهتمت بها الدبلوماسية قضية جلاء القوات العسكرية الفرنسية وتصفية القواعد الأمريكية. وقد جرت مفاوضات مع فرنسا استمرت نحو خمس سنوات، وكانت حكومة باريس تصر على عقد حلف عسكري. لكن الأمر انتهى بالجلاء التام في مارس 1961. واستنكر لمغرب استعمال الحكومة الفرنسية للصحراء التي كانت ألحقتها بالجزائر في غياب الدبلوماسية المغربية في تفجير قنابلها النووية، فسحبت تجهيزاتها. أما القواعد الأمريكية فقد سبق أن صفيت في 22 دجنبر 1959 بموجب اتفاقية وقعها محمد الخامس والرئيس إيزنهاور بمناسبة الزيارة التي قام بها هذا الأخير للمغرب. ومعلوم أن تلك القواعد كانت من رواسب عهد الحماية حيث وقع الاتفاق على إقامتها بين حكومتي باريس وواشنطن.

نشطت الدبلوماسية المغربية في هيئة الأمم المتحدة والمؤسسات التابعة لها وأخذ المغرب مقعده بين دول عدم الانحياز، وكان من مؤسسي هذه الحركة بحضور الحركة الوطنية في مؤتمر باندونغ دجنبر 1954. وقد مثل الحسن الثاني المغرب على رأس وفد كبير في المؤتمر التاريخي الذي عقدته الحركة ببلغراد وحضره سبعة وعشرون رئيس دولة في سبتمبر 1961.

وكان بناء وحدة المغرب العربي من أولويات اهتمام الدبلوماسية المغربية انطلاقاً من مؤتمر طنجة الذي انعقد في أبريل 1958 وحضره ممثلو دول شمال إفريقيا بمن فيهم وفد عن ليبيا وآخر عن منظمة التحرير الجزائرية التي كانت تخوض الحرب ضد فرنسا.

كما كان اهتمام الدبلوماسية المغربية منصباً منذ البداية على وحدة الدول الإفريقية وشؤون القارة السوداء بوجه عام. وقد دعا محمد الخامس إلى عقد مؤتمر حضره رؤساء أغلب الدول الإفريقية المستقلة بالدار البيضاء في يوليوز 1958 وأسفر عن الميثاق المعروف بميثاق الدار البيضاء الذي كان له صدى بعيد. وحصلت انقسامات في صفوف الدول الإفريقية، نشأ عنها فريق تقدمي وفريق محافظ. ومع ذلك فقد برزت إلى الوجود منظمة الوحدة الافريقية في مايو 1963 وكان المغرب من مؤسسيها. وترأس الحسن الثاني وفد بلاده في أول مؤتمر لقمة الوحدة الافريقية انعقد بالقاهرة في يوليوز 1963.

وفي طليعة اهتمامات الدبلوماسية المغربية تضامن الدول العربية. فمنذ انخراط المغرب في الجامعة العربية غبّ استقلاله، بذل جهداً كبيراً لمراجعة ميثاقها، ولم يدخر الحسن الثاني وسعاً في السعي لتوحيد كلمة العرب أثناء المؤتمرات التي دعا إليها في المغرب والدفاع بالأخص عن القضية الفلسطينية التي كانت وما تزال القضية المركزية للدول لعربية. وكان للمغرب دور كبير في الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد في مؤتمر القمة الذي انعقد بالدار البيضاء 1974.

كما قامت الدبلوماسية بدور كبير في تأسيس وتفعيل منظمة المؤتمر الإسلامي حيث كان الحسن الثاني الداعي لعقد القمة الأولى سنة 1969. وتعددت بعد ذلك اجتماعات القمة ودورات وزراء خارجية الدول الإسلامية في المغرب، وكان العاهل الراحل من أكبر المشرفين عليها. وبمناسبة نهاية العشرية الأولى وانعقاد مؤتمر القمة بالمغرب الذي حضره أغلب رؤساء الدول الإسلامية الخمسين أسندت للحسن الثاني رئاسة لجنة القدس تقديراً واعتباراً.

هذه بإيجاز كبير بعض المهام التي اضطلعت ومازالت الدبلوماسية المغربية ممثلة في زارة الشؤون الخارجية والتي أضيفت إليها مهمة التعاون.

وللمغرب كذلك تمثيل واسع في الخارج يبلغ :

1) 148 سفارة

2) 76 قنصلية

80 من المثلين الدبلوماسيين مقيمون في الأقطار التي هم معتمدون فيها و68 يمثل كل واحد منهم المغرب في عدة أقطار ويقيم كل واحد منهم في أحد تلك الأقطار.

أما القنصليات فكلها مفتوحة في القارات الخمس. وكل القناصل المغاربة مقيمون في البلاد التي هم معتمدون فيها.

وللمغرب تمثيل في مآت المنظمات الدولية والحكومية.

ويجدر أن نشير إلى أن للمغرب علاقات صداقة وأخوة وتعاون وحسن جوار مع مائة وخمس عشرة دولة ممثلة بسفراء أغلبهم مقيمون بالرباط. وهم موزعون على القارات الخمس : 33 سفارة إفريقية و30 سفارة آسيوية و30 سفارة أوربية و20 سفارة من أمريكا و2 من الأقيانوس بالإضافة إلى 29 قنصلية و20 منظمة دولية وتمثيلية للمفوضية الأوربية.

كما تجدر الإشارة إلى أن عدد الوزراء الذين تعاقبوا على وزارة الشؤون الخارجية منذ الاستقلال ومن ضمن 24 حكومة تولّى مقاليد الأمور ثلاثة عشر وزيراً وهم على التوالي : الحاج أحمد بلافريج، عبد لله إبراهيم، إدريس المحمدي، أحمد رضا أكديرة، أحمد الطيبي بنهيمة، محمد الشرقاوي، أحمد العراقي، عبد الهادي بوطالب، يوسف بن العباس، عبد اللطيف الفيلالي، مَحمد بوستة، عبد الواحد بلقزيز، محمد بنعيسى.

كما توالى على الوزارة تسعة كتاب دولة وهم :

مَحمد بوستة، محمد بن العربي العلمي، عبد الله الشرفي، أحمد الشرقاوي، عبد الرحمن بادو، عبد الحق التازي، الطيب الفاسي الفهري، عبد السلام زنيند، عائشة بلعربي.

ومن المتوقع أن يزيد نشاط الدبلوماسية المغربية في عهد محمد السادس نظراً للتحولات التي تعرفها بلادنا والظروف العالمية والتحديات التي تواجهها الأقطار التي هي في مثل وضعها.

ق. الزهيري، *الدبلوماسية المغربية في خدمة الاستقلال*، تقرير في 26 صفحة (من أرشيف وزارة الخارجية والتعاون) ؛ ع. الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم*، (عشرة أجزاء) ؛ إصدار إدارة البروتوكول في وزارة الخارجية والتعاون بالمغرب.

Le Maroc : avant le protectorat, sous la protectorat, faillite du protectorat ; C. A Julien, *Le Maroc face aux impérialismes 1415 - 1956* ; *Annuaire du corps diplomatique et consulaire et des organisations internationales*.

قاسم الزهيري

الدبْلُون، قطعة ذهبية إسبانية Doblon ضربت في إسبانيا بعد نهاية الدولة المرابطية وقد انتشر الدبلون في المغرب وفي بلدان شمال إفريقيا كما انتشر في بلدان الشرق في مصر والعراق وسوريا.

ففي المغرب كان يصرف الدبلون في القرن الثالث عشر (19 م) بمقتضى التسعيرة الواردة في ظهير السلطان عبد الرحمان ابن هشام سنة 1288 / 1852 بـ 32 مثقالاً فضياً مغربياً أي ما يعادل 16 ريالا فضياً إسبانياً. ورغم ما استنتجناه من رسالة السلطان الحسن الأول من أن الدبلون بعد ثلاثين سنة أي في سنة 1882 كان يصرف بنفس التسعيرة وهي 16 ريالاً إسبانياً. فإن ذلك لا يعني ـ كما قد يُتوهم ـ جمود صرف الدبلون الذهبي الإسباني، وإنما يعني استقراراً في العلاقة بين العملة الإسبانية الذهبية وعملتها الفضية. ونفهم هذا إذا علمنا أن الدبلون الذي كان يساوي 16 ريالاً إسبانيا كان يمثل 32 مثقالاً مغربيا أي 320 أوقية قضية مغربية في الوقت الذي كان يصرف الريال الإسباني بـ 20 أوقية على حين ارتفعت قيمة الدبلون من 32 مثقالاً مغربياً إلى 143 مثقالاً سنة 1882 حيث بلغ صرف الريال الإسباني حوالي 89،5 أوقية مغربية. وهذا يفسر مدى تصاعد قيمة صرف العملة الإسبانية واستمرار تدهور العملة المغربية منذ حرب تطوان والديون المترتبة عنها وكذا عواقب التدخل الأجنبي وعوامل أخرى متعددة جعلت العملة المغربية أقل أهمية، وتهافت الناس على العملة الإسبانية الدبلون والفرنسية بعدها وهي اللويز التي حجبت الدبلون عن التداول فلم يكد يظهر الدبلون إلا قليلاً بعد الثمانينيات من القرن الثالث عشر (19 م) بالمغرب.

ع. أفا، مسألة *النقود في القرن التاسع عشر*، ص. 136 ـ 401 ؛ أ. الناصري، الاستقصا، ج. 9، ص. 64 ؛ *رسالة السلطان مولان الحسن إلى محمد بركاش*، فاتح جمادى الثانية 1299 / 20 أبريل 1882، انظر ملف السكة بمديرية الوثائق الملكية ؛ ع. أفا، *الوثائق المخزنية الخاصة بمسألة النقود في القرن التاسع عشر*، ملف مديرية الوثائق الملكية، *مجلة كلية الآداب بالرباط*، عدد 13 سنة 1987 ؛ الكرملي أسطاش، *النقود العربية وعلم النميات*، ص. 183 ـ 256.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe 1830 - 1894*, Paris, 1961, T. 3.

عمر أفا

أولاد **الدبيبغ** ذكرهم ابن سودة ضمن سكان مدينة فاس في كتابه *إزلة الالتباس* قائلاً : "كان لهم ذكر بفاس وعز ومال وإليهم تُنسب دار الدّبيبغ ببلاد زواغة محل المدينة الجديدة الآن بفاس وقد انقرضوا. وقفت على رسم في رق غزال مؤرخ بعام سبعة *وستين وتسعمائة* ذكر فيه الموثق أن المرأة عائشة بنت الحاج عبد الرحمن الدبيبغ

توفيت فورثها زوجها محمد الصنهاجي وعصّبها جماعة المسلمين، فعلى هذا انقرضت أولاد الدبيبغ في هذه السنة وقد بقي ذكر هذه العائلة بسبب البقعة الأرضية الكبرى التي ما زالت تُنسب إليهم إلى الآن المدينة الجديدة بفاس.

ع. ابن سودة، *رفع الالتباس*، مرقون.

محمد حجي

دبيلة، علال بن الحاج محمد بن التهامي، أحد أعلام مدينة أسفي صدر القرن الرابع عشر (20 م) وهو ينحدر من أسرة دبيلة الأسفية العريقة. تولى الخلافة عن عامل المدينة وكان يخطب بالجامع الفوقاني نيابة عن الفقيه عبد الرحمان بن الحسين المطاعي.

توفي عام 1350 / 1931.

م. الكانوني، *أسفي وما إليه*.

عبد الرحيم العطاوي

الدجاج كما هو في الدارج والمعاجم، جنس طير أهلي من رتبة الدجاجيات (Gallianceae, Galliformes) والفصيلة التدرجية Phasianidés فيها سلالات كثيرة نتجت عن تجانسات كان الإنسان من ورائها. يسمى علمياً Gallus gallus ويسمى الذكر الديك والأنثى دجاجة والصغار كتاكيت وفلاليس. وفي هذا الجنس أنواع كدجاج بنخيوه ودجاج جاوي ودجاج سرنديب ودجاج براهما ودجاج كوشين ولونشان brahma, cochin et langshan وكل هذه السلالات تلد قليلاً من البيض وقامتها كبيرة. أما الدجاج الأهلي فمجهول الأصل ويعتقد أن سلالته المعروفة تولدت من تسافد أنواع وحشية عديدة وكان الإنسان من وراء انتشارها في جميع القارات.

تعتبر السلالات المتوسطية التي تضم انكونا Ancona والأندلسية andalouse ومنوركا ولوغورن Leghorn البيضاء White leghorn à crête simple من بين الدجاج الاهلي الأكثر شعبية في المغرب. تتميز هذه السلالات باستهلاك كمية قليلة من الأكل وببيض أبيض كبير مقارنة مع أجسامها الصغيرة.

ويرجع تدجين الدجاج الأهلي المعاصر ابتداءً من الدجاج الوحشي الأسيوي الاشقر Gallus gallus ويرجع ذلك ما بين 2000 و3500 قبل الميلاد. ومع مرور العصور انتشر هذا الطائر في جميع بقاع العالم وتغير لون ريشه وحجمه بواسطة التجانس والانتقاءات العرقية التي كان الإنسان يسعى إليها بحثاً عن مزيد من الإنتاج والتكاثر.

يربى الدجاج لأكل بيضه ولحومه، وفي زمننا هذا تطورت تقنيات التربية وأسس ما يفوق 500 وحدة إنتاج صناعية بداخل الوطن تنتمي إلى القطاع الخاص وتنتج سنوياً 650 مليون بيضة مما يشكل 44٪ من الإنتاج الوطني ويشكل الإنتاج التقليدي حوالي 56٪. تنتج الوحدات الصناعية حوالي أربعة ملايين من فراخ الدجاج.

الدجاج الأصلي الذي تولد منه الدجاج الأهلي مجهول، ويظن أن مهد هذا الدجاج الأصلي في آسيا الاستوائية الجنوبية كجاوى وسيلان حيث توجد أنواع وحشية من الدجاج كنوع الدجاج الوحشي الأشقر. ريش الديك من هذا النوع ناعم ولامع يشبه ريش التدرج. يكثر صياحه في بداية الصباح الباكر مما جعل سكان البدو يستعملونه كمؤشر للوقت. غالباً ما يكون ديك وسط مجموعة من الإناث.

يتكون غذاؤه من الحبوب والديدان والحشرات والأعشاب. يعرف الدجاج توزيعاً شاملاً على بقاع اليابسة حيث دجنه الإنسان وتوسع في تطوير إنتاجه فنجد منتجين مختصين في إنتاج بيض التفريخ ومنتجين مختصين في إنتاج بيض الاستهلاك اليومي وعدة مؤسسات مختصة في انتاج لحوم الدجاج إلى جانب الإنتاج التقليدي المعروف في البوادي المغربية.

عدد البيض غير محدود عند الدجاج ويختلف حسب السلالات فهناك السلالة التي تبيض طول السنة، تزن البيضة 60 ـــ 80 غرام ويختلف لونها وحجمها حسب السلالات. ينحصر وزن الدجاج ما بين 1 ـ 4 كيلو غرام تدوم مدة الحضانة 21 يوماً.

مصطفى يعرف والشيخ النواني، *البيض، معلمة المغرب*، ج. 6، ص. 1949 ـ 1950، 1998 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ المعلوف أمين، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

محمد رمضاني

* * تقل الإشارات التاريخية إلى الدجاج، لذلك نتساءل عن الأسباب، فهل كان الدجاج موجوداً بكثرة حتى إنه لا يستحق الاهتمام أم العكس أن ندرته جعلت الملاحظين لا ينتبهون إليه ؟ وكيف ما كان الجواب فالدجاج ـ حسب العديد من الإشارات في المصادر الوسيطية ـ إنتاجاً واستهلاكاً ارتبط بعوامل عديدة بعضها طبيعي وبعضها بشري ؛ فمن العوامل الطبيعية انتشار الأمراض والأوبئة، والدجاج من الحيوانات السريعة التأثر بها، ومنها كذلك الجفاف والقحط الشديد مما يجعل الإقبال على الدجاج أمراً لا مفر منه عند الموسرين والمعسرين على السواء. وهذا العامل الطبيعي البشري نجده في فترات الخصب ينعكس فيصبح الإقبال على الدجاج من أجل بيضه أكثر سواء في التغذية أو في التجميل والعناية بالشعر. يقول الشريف الإدريسي متحدثاً عن أهل السوس : "... وعلى رؤوسهم الشعور الكثيرة ولهم بها اهتمام وحفظ وذلك أنهم يصبغونها في كل جمعة بالحناء ويغسلونها في كل جمعة مرتين برقيق البيض والطين الأندلسي..." (*نزهة*، 3 : 228).

استهلاك البيض في التغذية في الظروف العادية عند المصامدة كان قليلاً، بل ويكره إن لم نقل يمنع أكله في الفطور، وهذه عادة ما تزال موجودة عند السوسيين. تفسر كثيراً من الجوانب المتعلقة بالدجاج والبيض الواردة في القوانين والديانة البرغواطية، فالبرغواطيون من صميم المصامدة (*العبر*، 1 : 659 ـ 14).

ويستنتج من قراءة تحليلية للديانة البرغواطية وقوانينها التي ركز عليها البكري في *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب* (139) وكذا الدراسات اللاحقة سواء منها الاركيولوجية في منطقة تامسنا (المجال برغواطة) أو الانطربولوجية في منطقة سوس (مصامدة منحدرين من العهد البرغواطي) يستنتج أن البرغواطيين حرموا أكل الدجاج لأغراض تاكتيكية حربية. يقول البكري : "والبيض عندهم حرام والدجاج والدجاجة مكروهة"

فإذا كان تحريم أكل الديكة واضحاً ومعللاً عند البكري فإن تحريم أو تكريه أكل الدجاج لا يفسر إلا بما ذكرت ؛ فمعروف أن البرغواطيين منذ نشأتهم وهم في حروب ولم تستطع الإمارات المتعاقبة على حكم بلاد الغرب الإسلامي ولا الدول العظمى آنذاك (فاطميين وأمويين في الأندلس) لم يتمكنوا من هزيمة البرغواطيين لأسباب متعددة ما تزال حسب تقديري لم تدرس بعد، ومنها استغلالهم للمجال الترابي استغلالاً دقيقاً ومنه استغلال الدجاج لاستدراج العدو إلى الكمائن والأراضي الوعرة للقضاء عليه، إذ يربى الدجاج وينقل في أخمام ليوضع في أماكن محددة ومداخل وممرات وسط الغابات فيعتقد العدو أن المكان مأهول ومسكون ودليله في ذلك زقاء الديوك والدجاج السارح بكتاكيته فيتوغل في المكان وهو على يقين بأنه سائر إلى تجمع سكني.

ما عدا ذلك وجدت في المصادر إشارات عن استهلاك الدجاج إلا أنه استهلاك غير عادي فأهل البوادي يقدمونه هدية غالية لضيوفهم عند انصرافهم، وذبح الدجاج سواء في البادية أو المدينة يعتبر ترحيباً واحتفاءً بالضيف، وهذه عادة بدأت ربما منذ العصر الوسيط (*نفاضة الجراب*، 43 ؛ *وصف إفريقيا*، 1 : 110) لتتسع بعد ذلك عمودياً وافقياً ولكنها بقيت عادة تتعلق بمستوى معاشي متوسط وعالٍ، ويستدل على ذلك بأثمنة الدجاج المرتفعة، فقد أشار صاحب *مسالك الأبصار* إلى أن ثمن "طائر الدجاج ثلاثة دراهم صغيرة".

ومن الطريف أن مرق صغار الدجاج (فلوس، عتوگة) (أي الأنثى التي لم تبض بعد) يستعمل للتداوي من بعض الأمراض، وهي عادة منحدرة إلينا من العصر الوسيط (*المقصد*، 124)، إضافة إلى الدجاج كدواء ارتبطت به عدة أمثلة وطرائف، من ذلك قولهم عن بلد جنيارة (ما بين فاس وطنجة) : مثلها : "مثل الدجاجة أن أصابها ديك أتت بالديك وأن لم يصبها ديك اتت بالبيض، تحتك بالغبار وتلد". (*الاستبصار*، 188)، ومن طرائف سكان المناطق المنتجة للتين المجفف (الشريحة) أن الدجاج يُعيق عملية التجفيف التي تتم عادة على السطوح القصديرية الثنائية الميل في المناطق الشمالية (بلاد جبالة) ولمنع الدجاج من تسلق هذه السطوح والعبث بالتين، تضع النساء على أرجل الدجاج شبه أحذية من قشور اليقطين اليابس (القرع السلاوي) مشدودة بخيوط فلا يستطيع الدجاج الصعود ولا العبث بأرجله بالمواد المراد تجفيفها زبيب العنب وزبيب التين وزبيب الصبار (الهندي).

الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، الطبعة الإيطالية المعهد الجامعي الشرقي بنابولي، د. ت. ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، د. ت.؛ البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب الجزائر*، 1911 ؛ ع. الحق البادسي، *المقصد الشريف*، تح. سعيد أعراب، الرباط، 1982؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، تح. أحمد مختار العبادي، القاهرة، د. ت. ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1980 ؛ ع. ابن فضل الله، *مسالك الأبصار*، الجزائر، 1924، ضمن مقتطفات (بالفرنسية) ومقتطفات كودفرى دومومبين، *شمال إفريقيا بدون مصر* (بالفرنسية)، باريس، 1928 ؛ م. المنوني، وورقات عن حضارة المغرب في عهد بني مرين، الرباط، 1979 ؛ مجهول، *الاستبصار*، 1958 ؛ م. حجاج الطويل، *مذكرات خاصة عن زيارات ميدانية للريف وجبالة*.

محمد حجاج الطويل

دحّان، إبراهيم بن محمد بن أحمد بن الفقيه لحسن بن لحسن مكرراً من شرفاء بوگرفة من قبيلة أيت إعْـزّا الباعمرانية المنفصلة عن قبيلة أيت عبلاً بظهير حسني سنة 1299. عُرف هذا الرجل بالشجاعة إلى حد التهور، فصار من أعيان القبيلة وفرسانها، وكان يعتز بالعرف القبلي ويسهر على تطبيقه، ولطموحاته قام ضده أعيان القبيلة تنفيذاً للعرف الذي يؤمن به فحورب بنفس سلاحه.

لذلك صار شبه منفصل عن قبيلته أيت إعْـزّا، فأعلن أنه مع قبيلة أيت الخمسْ القوية، وأنه محمي من طرفها، فحدث أن عثر على رجلين من خصومه في بستانه فقتلهما، فرحل عن البلاد فباعت القبيلة ممتلكاته حسب العرف لعمه لحسن، وما كاد يسمع بذلك حتى استنفر قبيلة أيت الخمس بقيادة الشيخ بريك بن سعيد السيموري، فقامت الفتنة بين القبيلتين وانتهت بمعاقبة المشتري وردّ الأملاك إلى مترجمنا هذا بقوة السلاح ضاربا عرض الحائط بالعرف والشرع معا.

وقد شارك في معركة إيكالْفن ضد حملة الباشا حيدا ابن مايْـس سنة 1917 وغنم منها بغلة في حملها عدة بندقيات ودراهم صحبة ملازمه أوحَـاميدُون من أيت الخمس، كما شارك في معركة تيزي الأولى 1917 ضد

الجنرال دولاموط وقد حفظ عنه الناس قوله "تْگيسْ فرانسا وُخْسان نايتْ باعمران = إنّ فرنسا أزالت أسنان الباعمرانيين بقتلها شجعانهم في معركة تيزي وقد ساهم مترجمنا هذا في دفن شهداء تلك المعركة لقربها من منزله وذكر أن عددهم حوالي ستمائة شهيد، بينما ذكر الإگراري في *روضة الأفنان* (ص. 102)، فقال "فقتل منهم نحو ثلاثمائة رجل على ما قيل منهم القائد محند بن بي نالشيخ همّو..."

ونظراً لاستشهاد أصدقائه الشجعان في تلك المعركة ولخوفه على نفسه هاجر إلى مدينة فضالة سنة 1934 وتوفي بعد ذلك بقليل.

معلمة المغرب، ج ص. 1837 ؛ تعيين القائد أحمد أصواب على قبيلة أيت إعزا سنة 1299 ؛ استجواب مع عائلة دحان، سنة 1989.

الحسين جهادي

دحّو، محمد بن محمد مقاوم ولد سنة 1926 بقصر زناكة إقليم فيگيگ انضم إلى منظمة الهلال الأسود بالدار البيضاء في أواخر غشت 1953.

وقد عرف بين رفاقه في المنظمة بإخلاصه وغيرته الوطنية فقام بعدة أعمال فدائية تستهدف مصالح المستعمر، كما كان يقوم بصنع القنابل التي كانت سببا في استشهاده إذ انفجرت فيه إحداها أثناء تركيبها وذلك بتاريخ 4 يناير 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

ابن **دحمان**، أسرة موجودة في أنحاء شتى من المغرب، وكان منها بسلا عدول وفقهاء وحرفيون وموظفون في المصالح الإدارية والمخزنية. منهم :

ابن **دحمان، الطاهر** كان سنة 1292 / 1875 من رجال الطبجية بمدينة سلا، وصار سنة 1318 / 1901 رئيساً لهم.

م. بوشعراء، *التعريف*، ج 2، ص. 149 و260.

ابن **دحمان، الطيب** بن **محمد**، كان سنة 1206 من عدول سلا القائمين بالشهادة وكان سنة 1232 ما يزال بقيد الحياة.

ابن **دحمان، الطيب** - آخر - من عدول سلا سنة 1271، وكان فقيهاً مدرساً، وولي قضاء الدار البيضاء قبل 1294. وكانت وفاته سنة 1302.

م. بوشعراء، *التعريف*، ج 2، ص. 57 و164، ورسوم الخزانة الصبيحية.

ابن **دحمان، العربي** من أهل طنجة، كان موظفاً بدار النيابة حوالي 1312 / 1895 وبعدها، وكان يشتغل بالترجمة، ويكلف بأعمال خارج طنجة.

وثائق مكتبة تطوان.

ابن **دحمان، العربي** بن **الطيب**، وكان من عدول سلا سنة 1305.

وثائق آل بنسعيد.

ابن **دحمان، محمد** (الحاج -) كان سنة 1184 بقيد الحياة وكان من عدول سلا.

رسوم الخزانة الصبيحية.

ابن **دحمان، محمد** بن **الطيب** بن **محمد** وهو من فقهاء مدينة سلا، احترف خطة العدالة، وكان سنة 1307 بقيد الحياة.

رسوم الخزانة الصبيحية ووثائق شخصية ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، ج 1، ص. 45.

مصطفى بوشعراء

ابن **دحمان، محمد** بن **محمد** السلوي، قال عنه ابن علي الدكالي في الإتحاف : "كان أديباً شاعراً متقناً" وقف له على قصائد في أغراض مختلفة وأثبت مقتطفات من قصيدة طويلة من روى الزاي في مدح الشيخ أبي يعزى. وفي الخزانة العلمية الصبيحية رسوم عدلية فيها شهادات للحاج محمد بن دحمان. آخر سنة 1184 توفي بعد سنة 1184.

م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996 ؛ رسوم عدلية في خ. ص.

محمد حجي

الدحماني، بلقاسم بن المعطي، مقاوم ولد سنة 1905 بدوار الدخّامنة قبيلة بني سمير ناحية وادي زم. شارك في المظاهرة الشعبية يوم 20 غشت 1955 واستشهد في نفس اليوم.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

ابن **دحية، عثمان** بن حسن الكلبي السبتي يكنّى أبا عمرو ويعرف أيضاً بابن وجيه أخو أبي الخطاب ابن دحية (*لسان*، 4، 133 ؛ *بغية*، 2، 133). أخذ عن علماء بلدته سبتة ورحل إلى الأندلس طالباً العلم فتتلمذ عن أبي عبيد الله وعن غيره من العلماء الوافدين على

سبتة وأخذ بقرطبة عن ابن بشكوال، وبإشبيلية عن أبي بكر بن الجد أبي عبد الله ابن زرقون (*صلة*، 82). يُذكر أن الحافظ ابن الجد كان يبره ويحسن إليه رفقا بزهده (*لسان*، 4، 133). رحل إلى الشرق حاجاً إما بصحبة أخيه (*صلة*، 82 ؛ *التكلمة*، 446) أو منفرداً لاحقاً به (*وفيات*، 3، 450 ؛ *لسان*، 4، 133). انتهت رحلته الشرقية بأن حط رحاله بالقاهرة حيث عينه الملك الكامل مدرسا في دار الحديث الكاملية محل أخيه أبي الخطاب المعزول (*وفيات*، 3، 450 ؛ *نفح*، 2، 94 ؛ *لسان*، 4، 133).

صُنّف أبو عمرو ضمن طبقة اللغويين النحاة، وهو الميدان الذي نبغ فيه. كما عرف كفقيه محدث، ذاكر للجرح والتعديل والأسانيد والرجال(*صلة*، 82) يذكر ابن حجر العسقلاني نقلاً عن ابن نقطة في إطار مقارنته مع أخيه أبي الخطاب أنه "أربى على أخيه بكثرة السماع كما أربى أخوه عليه بالفطنة" (*لسان*، 4، 133 ؛ *بغية*، 2، 133). شهد له الذهبي وغيره بإمامته في الحديث وبالعدالة والمعرفة لكن يؤخذ عليه ولوعه بالتقعير في كلامه (*بغية*، 2، 133 ؛ *صلة*، 82). كما كان يحدث دون اعتماده على الأصل. يذكر ابن نقطة أنه رآه بالأسكندرية عند قدومه عليها في حلقة علمية والناس مجتمعون حوله يوم جمعة وكان يقرئهم *جامع الترمذي*. فسئل عن الأصل، فأجاب إنه لا يحتاج إلى أصل لأنه يحفظه. وقال إنه يمكنهم أن يقرأوا من أية نسخة شاؤوا، وتطاول في كلامه على أئمة الفقه والحديث مثل مالك بن أنس والشافعي ـ يضيف ابن نقطة أنه عند ذلك الحين لم يجتمع به. يؤكد ابن الآبار من جهته أن أبا عمرو أصاب في تهجمه حتى بعض أساتذته مثل ابن بشكوال. ويذكر ابن واصل أنه كان يُستثقل لما كان يستعمله من حوشي اللغة في رسائله (*وفيات*، 3، 450 ؛ *لسان*، 4، 133 ؛ *صلة*، 82).

ألف أبو عمرو كتباً عدة يذكر ابن حجر العسقلاني أنه وقف على واحد منها في *(الجهر والبسملة)* ويلاحظ عليه عدم معرفته بهذا الفن (*لسان*، 4، 133). كما له منتخب في الأحكام لقد ظل يمارس الأستاذية بدار الحديث الكاملية إلى أن توفي يوم الثلاثاء 13 جمادى الأولى من سنة 634/ 12 يناير 1237 عن سن تناهز 88 سنة، ودفن بسفح المقطم بالقاهرة (*وفيات*، 3، 450 ؛ *لسان*، 4، 133 ؛ *نفح*، 2، 94).

ابن الآبار، *التكملة* ؛ ابن حجر العسقلاني، *لسان الميزان*، طبعة حجرية، (د. ت.) الجزء الرابع ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، تح. إحسان عباس، بيروت، المجلد الثالث ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، القسم الرابع، تح. عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، فضالة، 1414 / 1994 ؛ ع. السيوطي، *بغية الوعاة*، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، 1399 / 1979، الطبعة الثانية ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1408 / 1988، المجلد الثاني.

ابن **دحْيَة**، عمر بن الحسن بن علي السبتي يكنى أبا الخطابَ، وهو إحدى الشخصيات الفكرية التي عاصرت الفترة الموحدية في القرن السادس وبداية السابع (12 ـ 13م). لهذا كان يُعرِّف نفسه "بذي النسبين دحية والحسين". كما كان يكتب عن نفسه "سبط أبي البسام" (*وفيات*، 3 : 449).

ولد في مستهل ذي القعدة من سنة 546. ويعتبر أبو الخطاب من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء الذين أنجبتهم مدينة سبتة، كان متقنا للحديث وفروعه (*برنامج*، 20) ظاهريّ المذهب، عالماً باللغة والنحو وأيام العرب وأشعارهم. برهن في مناسبات عدة عن كفاءته العروضية ومقدرته البيانية. لكنه اختص في طلب الحديث وتدريسه بالمغرب والمشرق في رحلته العلمية الطويلة التي لم يعد منها والتي لم يخلف لنا آثارها على غرار ما فعله بنو جلدته من العلماء السبتيين من أمثال التجيبي وابن رشيد.

روى بسبتة عن أبي محمد بن عبد الله ورحل إلى الأندلسي وأخذ بها عن عدد من الأشياخ منهم الحافظ أبو بكر بن الجدّ وأبو عبد الله بن زرقون وأبو العبّاس بن خليل. كما أخذ عن ابن بشكوال (*صلة*، 73 ؛ *عنوان*، 160) وتولى قضاء دانية مرتين، ثم صُرف عنها ـ يقول المقري لسيرة نعتت عليه (*نفح*، 2 : 104) ثم عاد إلى بر العدوة. ونزل بمراكش والتقى بعلمائها (*صلة*، 73) رحل إلى بجاية وأقام بها أيام حكم أبي عبد الله ابن حوشتي يرمور (*عنوان*، 228). ثم نزل بافريقية سنة 595 / 1199 واشتغل بها محدثا قبل أن ينتقل إلى الديار المصرية حيث سمع عن البوصيري (*عنوان*، 160). ومنها تابع رحلته إلى الشام والحجاز والعراق. فأخذ في بغداد عن بعض أصحاب ابن الحصين. وقرأ بواسط على أبي الفتح محمد بن أحمد ابن الميدائي. وواصل رحلته إلى "عراق العجم" وخراسان ومازندران وغيرها. وأخذ بأصبهان عن أبي جعفر الصيدلاني وبنيسابور عن منصور بن عبد المنعم الفراوي وأبي سعيد ابن الصفار والمؤيد الطوسي. كل ذلك طلباً في علم الحديث وبهدف الاستماع والاجتماع بأئمته (*نفح*، 2، 104 ؛ *وفيات*، 3 : 449).

وعند وصوله إلى مدينة إربل في سنة 604 / 1208 وهو في طريقه إلى خراسان استقبله صاحبها الملك مظفر الدين بن زين الدين، وقد كان مولعا بتخليد ذكرى المولد النبوي عظيم الاحتفال به، فأنجز له أبو الخطاب مؤلفا سماه *التنوير في مولد السراج المنير* ختمه بقصيدة طويلة.

يقال إنه كان للكتاب وقع طيب لدى الملك الذي كافأ صاحبه بألف دينار. إذ يذكر ابن خلكان أنه سمعه عليه الملك مظفر الدين في ست مجالس في جمادى الآخرة من سنة 625 / 1228 (*وفيات*، 3، 449).

وبالديار المصرية ذاع صيت أبي الخطاب وعظمت شهرته فاقتربت منه العامة والخاصة. فتبوأ منزلة خاصة لدى ملكها الأيوبي الكامل ناصر الدين عينه كأول أستاذ لدار الحديث

الكاملية التي أقام بنيانها سنة 622 / 1225 بالقاهرة. وفي ظل بني أيوب ارتقى إلى أحسن المراتب. وقد رد أبو الخطاب الجميل بأن نظم في الكامل ابن العادل قصائد رنانة تنم عن المحبة والعطف اللذين كان يكنهما لصاحب النعم عليه.

يذكر المقري أنه كانت له مع الملك الكامل مخاطبات نثرية وشعرية تعكس مشاعر الود التي كانت تربط بين الرجلين (*نفح*، 2، 100 ؛ *وفيات*، 3، 450 ؛ *صلة*، 73) إلا أن جفوة حدثت فيما بعد بين الرجلين : يذكر أبو العباس الغبريني أن أبا الخطاب كان مثل ابن عنين في الشعراء يتطاول على علماء المسلمين ويقع في أئمة الدين، ففقد أنصاره وانفض الجمع حوله. ولما انكشف أمره لدى الكامل عزله عن دار الحديث (*عنوان*، 160) وعين مكانه أخاه أبا عمرو الأكبر منه سنا (*وفيات*، 3، 450). يضيف أبو العباس الغبريني أن أبا الخطاب عقب الإهانة التي لحقته من ملك مصر - رحل إلى دمشق. فتقرب إليه الوزير ابن شكر. وبدمشق أجرى مناظرة مع الشيخ تاج الدين الكندي انتهت بطعن الكندي في نسب أبي الخطاب وتشكيك الحضور في نسبه إلى دحية الكلبي مستعينا بشعر ابن عنين.

صنف أبو الخطاب مؤلفات كثيرة منها كتاب *التنوير في مولد السراج المنير* بمدينة إربل بمناسبة المولد النبوي سنة 604 / 1208 . كما ألف *العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور و الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات* وله أيضاً كتاب *شرح أسماء النبي صلى الله عليه وسلم* وكتاب *النبراس في أخبار خلفاء بني العباس* وكتاب *الإعلام المبين في المفاضلة بين أهل صفين* (*نفح*، 2، 104). كما له كتاب آخر بعنوان *المطرب* خصه للتعريف بالأدباء الأندلسيين (*نفح*، 2، 104، إحالة 1). ولعل أهم ما تميز به أبو الخطاب في كتاباته هو اعتماده حوشيّ اللغة إذ أن معظم كتاباته مغلقات مقفلات، وربما تعمد ذلك - يقول المقري - حتى ينفرد بنوع يشتهر به دون غيره على النحو الذي سار عليه كثير من الأدباء حين تركوا طريق المعرب وانفردوا بالطريق الآخر (*نفح*، 2، 99).

يبدو أن أبا الخطاب عاد إلى القاهرة حيث قضى بقية حياته إلى أن توفي بها يوم الثلاثاء 14 ربيع الأول من سنة 633 / 27 نونبر 1235 عن عمر يُناهز سبعاً وثمانين سنة ودفن بسفح المقطم (*عنوان*، 161 ؛ *وفيات*، 3، 450 ؛ *نفح*، 2، 103).

التجيبي، *برنامج التجيبي*، تح. عبد الحفيظ منصور، ليبيا - تونس، 1981 ؛ أبو جعفر ابن الزبير، *صلة الصلة*، تح. عبد الحي الكتاني، 1937 ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء الزمان*، تح. إحسان عباس، بيروت، المجلد الثالث ؛ أبو العباس الغبريني، *كتاب عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية*، تح. رابح بونار، الجزائر ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1388 / 1968، الجزء الثاني.

زليخة بنرمضان

دخيسة، قبيلة تنحدر من عرب بني معقل. وقد تحدثت المصادر التاريخية لأول مرة عن دخيسة منذ وصولها إلى المغرب في أواسط القرن الحادي عشر (17 م). وكانت تنتجع في هذا التاريخ في الصحراء الجزائرية الحالية، قرب الأغواط وعين ماضي، فعندما خرج مولاي مَحمد الشريف في عام 1060 / 1650 إلى نواحي تلمسان فاتحاً وعرج على طريق الصحراء، قدمت إليه قبيلة دخيسة ورحبت به ثم بايعته ودلته على مواطن قبائل تلك النواحي وقراها (*الاستقصا*، ج 7، ص. 21). وقد رحب مولاي مَحمد الشريف بهؤلاء الأعراب وأكرم وفادتهم. ويظهر أن هذه القبيلة في ذلك الوقت لم تكن تشكل سوى فرقة صغيرة من عرب معقل. فتاريخ ابن خلدون الذي أتى بالوصف على جميع فصائل عرب بني معقل، وتحدث بتفصيل، عن أماكن استقرارها في القرن الثامن (14 م)، لم يذكر دخيسة في بيانه (*العبر*، ج. 6، ص. 118 وما يليها). ويبدو أيضاً أن تسابق هذه القبيلة إلى مبايعة مولاي مَحمد بن الشريف والدخول في طاعته كان يستهدف حماية جلدها وتعزيز مكانتها وسط القبائل القوية المحيطة بها والتي كانت لا تخضع لأي سلطان، في الوقت الذي اضطربت فيه أحوال المغرب الأوسط وتطلعت بعض قبائله إلى خلع بيعة الأتراك من عنقها والانتقاض عليهم. (*الاستقصا*، ج. 7، ص. 21). وعندما عاد مولاي مَحمد ابن الشريف إلى سجلماسة التحقت به دخيسة وأولاد نصير وعززوا جانبه والتفوا حوله في واحات تافلالت (Arnaud Louis (commandant), *Monographie de la région de Meknès*, p. 66).

وقد استقر هؤلاء القوم مدة طويلة في هذه المنطقة ولم ينزلوا إلى هضبة سايس إلا في مطلع القرن الثالث عشر (19 م) في عهد مولاي سليمان (1792 - 1822)، وبأمر منه لمواجهة خطر القبائل البربرية التي كانت تهدد مدينة مكناس وحكم الأسرة العلوية نفسها، بعد ظهور حركة أبي بكر امهاوش في الأطلس المتوسط، وخروج الكثير من القبائل عن نفوذ السلطة المركزية (*Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc*, 1942, p. 43).

وقد تعرضت قبيلة دخيسة منذ استقرارها في سايس لضغوطات كثيرة من قبل القبائل المجاورة. كما خضعت لإجراءات تأديبية من قبل المخزن المركزي الذي كان يسعى إلى إيجاد حالة من التوازن السياسي والبشري في المنطقة. ففي سنة 1850، كان هؤلاء الناس يحتلون جزءاً مهماً من هضبة سايس (*Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc*, 1942, p. 43) وعند ما جاء سيدي محمد بن عبد

الرحمان (1859ـــ1873)، نقلهم إلى منطقـــة الحوز (Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc, 1942, p. 43).

وبعد مدة من الزمن عادوا خفية إلى ناحية الغرب (Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc, 1942, p. 43) وعندما تولى الحسن الأول السلطة في البلاد (1873 ـ 1894) أنزلهم في سنة 1874، في بلاد مجاط بعد نفي هـؤلاء إلى منطقـة الغـرب (Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc, 1942, p. 43) وفي سنـة 1905 اضطرت دخيسة وأولاد نصير إلى إخلاء المجال لمجاط الذين عادوا إلى موطنهم الأول، واضطروا على إثر ذلك، إلى الاستقرار شمال غرب مكناس، على قدم جبل زرهون حيث ما زالوا يقيمون في هـذه المنطقة إلى الآن (Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc, 1942, p. 43).

أ. الناصري، *الاستقصا*، الجزء السابع، الدار البيضاء، 1956 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1956ـ 1959.

L. Arnaud (commandant), *Monographie de la région de Meknès, Bulletin de la Société de Géographie du Maroc*, n° 2, 1916 ; (*Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc*), Nouvelle Série, Tome II, Année 1942 (rapport anonyme).

العربي اكنينح

الدخيسي، محمد، من عدول مدينة سلا القائمين بالإشهاد بين الناس، وكان سنة 1219 بقيد الحياة.

رسوم الخزانة الصبيحية.

الدخيسي، محمد بن **عبد القادر** مقاوم ولد سنة 1916 بدوار تنيسان عين الصفا إقليم وجدة كان من العناصر الفاعلة في صفوف الحركة الوطنية بالمنطقة الشرقية، شارك في عدة عمليات فدائية ضد المستعمر الغاشم الأمر الذي عرضه للاعتقال والتعذيب حيث حكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة أشهر.

توفي بتاريخ 2 فبراير 1996 بمدينة احفير.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال.*

الدخيل، عـزاز محمد، مقاوم من مواليد سنة 1929 انخرط في صفوف المقاومة السرية منذ سنة 1953 ضمن فرقة عباس القباج بمدينة گولمين، ثم بعد ذلك انضم إلى صفوف جيش التحرير تحت مسؤولية إدريس بن بوبكر بدرسان. وقد كانت مشاركته مشاركة فعالة في عدد من المعارك التي دارت رحاها سواء ضد السلطات الإسبانية أو الفرنسية كأم العشار ومركالة وغيرها إلى أن احرز المغرب على استقلاله.

وقد توفي خلال شهر ذي القعدة عام 1415 / أبريل 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال.*

الدخيلة (سد -) هذا هو السد الثاني في مركب عبد المومن المائى المشيد على واد إسن أحد روافد حوض سوس المنحدر عبر سفوح الأطلس الكبير. وقد شيد عند الموضع المعروف بالدخيلة (جمعة الدخيلة، دائرة أولاد تايمة، إقليم تـرودانت) على بعـد 20 كلم عند سافلة سد عبد المومن الرئيسي المشيد عند موقع تامزاورت، قبيل خروج واد إسن إلى سهل سوس.

سد الدخيلة عبارة عن سد صغير خطط له لتنظيم وتحويل المياه المعبأة عند سد عبد المومن الكبير نحو مختلف القطاعات الفلاحية الواقعة بسهل سوس الأسفل على مساحة 13 ألف هكتار. وقد أنجزت هـذه المنشأة لتوفير مياه السقي لقطاعات فلاحية مستحدثة ولإنقاذ قطاع الحمضيات بأولاد تايمة الذي ظل لفترة طويلة يعاني من خصاص حاد في مياه السقي بسبب الاستغلال المفرط للمصادر المائية لجوفية وما ترتب عنه من نزول حرج لمستوى سطح الفرشة المائية المحلية.

وقد تم اختيار موضع الدخيلة لبناء هذا السد نظراً لكونه يشرف بفارق ارتفاعي مهم على القطاعات السقوية التي ستستفيد من مياهه، مما سيساعد على نقل المياه بشكل طبيعي عن طريق الجاذبية وضغطها داخل شبكة الري المعتمدة على الرش. وفي ذلك توفير مهم لتكاليف ضخ المياه وضغطها في شبكة التوزيع.

بُني هذ السد بين سنتي 1983 و1986، على شكل حاجز مركب من 9 دعامات خرسانية بعلو 32 متر، ويحصر حقينة تمتد على مساحة 18.5 هكتار قابلة لحجز حوالي 750 ألف متر مكعب من المياه. انطلاقا من قاعدة السد ينطلق رواق باطني على مسافة 2000 متر يقوم بدور تحويل المياه إلى القناة المتوجهة القطاعات السقوية.

ومنذ سنة 1985، وبسبب تزايد حاجيات مدينة أگادير الكبرى واشتداد الضغط على حقولها المائية الجوفية، تم التحول نحو سد الدخيلة الذي أصبح يزود محطة سيدي بوسحاب المعالجة المياه الصالحة للشرب بحوالي 10 مليون مكعب في السنة، وذلك قصد توجيهها نحو مختلف مراكز أگادير الكبرى.

ح. المحدد، 1999، *الماء بحوض سوس : إسهام في دراسة نظام هيدلوجي مغربي جنوب ـ أطلسي*، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا، 740 صفحة.

الحسن المحداد

ابن **دَدَاه، عثمان** بن طالب مَحمد، مقاوم ولد سنة 1913 بالساقية الحمراء، وانخرط في صفوف جيش التحرير

بالصحراء المغربية سنة 1956 ضمن فرقة المقاطعة الثامنة مركز الساقية الحمراء تحت قيادة ابا الشيخ بن السالك.

وقدعرف عثمان بن دداه بإخلاصه وتفانيه في الدفاع عن حوزة بلاده حيث شارك في عدة معارك أبلى فيها البلاء الحسن إلى أن استشهد في معركة وادي الصفا بتاريخ 9 شعبان عام 1376 / 11 مارس 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

دَدُّوش، محمد بن عمر، مقاوم ولد سنة 1920 بتمسمان - إقليم الناضور - انضم إلى صفوف جيش التحرير وكافح ضمن الوحدة التي كانت مرابطة بتيزي وسلي ونواحيها، تحت مسؤولية السيد الغابوشي محمد لجدان (كزناية).



شارك في عدة اشتباكات مسلحة ضد العدو وحضر في بسكور، سيدي علي بورقبة، تيزي انتيذي تيزي اذان، أزرو، اقشار، وبقي يدافع حتى استشهد أثناء هجوم على العدو بتايناست بضواحي تازة يوم 28 / 3 / 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

الدراجني عزوز ← **تيلزارْتْ**

الدّرادر، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسرة إسبانية تحمل نفس الاسم : Adradas وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 662.

محمد ابن عزوز حكيم

أبو دْرَارْ، محمد، موسيقي من مواليد مدينة سلا عام 1937 التحق بمدارس محمد الخامس حيث تابع دراسته الابتدائية والثانوية. كما التحق بالمعهد الوطني للموسيقى بالرباط، فتابع دروس الصولفيج والعزف على البيانو.

وفي بداية استقلال المغرب انقطع عن متابعة الدراسة العامة ليتفرغ للعمل في مجال الموسيقى، فاشتغل محرراً ومسؤولاً عن الصفحة الفنية التي كانت تصدرها جريدة العلم كل يوم أربعاء، وعمل مساعداً بقسم الموسيقى التابع لمصلحة الشباب والرياضة، فشارك في التأطير المحلي للتداريب التي أقامتها هذه المصلحة لفائدة الشباب الموسيقي، كما شارك في البعثات التي أوفدتها إلى الخارج لحضور اللقاءات والتداريب والمؤتمرات الموسيقية : التدريب على طريقة مارتُونو بباريز في شتنبر 1957 اللقاء الدولي للمجموعات الصوتية الكورالية في فيزون لارومين Vision La Romaine غشت 1959 مؤتمر الشبيبة الموسيقية في برلين صيف 1960.

وفي عام 1961 انتقل إلى فرنسا ممنوحا من طرف البعثة الثقافية الفرنسية لاستكمال تعليمه الموسيقي، فانخرط في المدرسة الوطنية العليا للموسيقى بباريز حيث درس قيادة الاركسترا على يد الأستاذ جان فورني Jean Fournier والتحق بلاسكالا كانتوروم La Scala Cantorom بباريز حيث درس علم التطابق على يد دانيال لوسور Daniel Lesur، كما انخرط في المعهد الوطني العالي للموسيقى بباريز حيث قضى ثلاث سنوات في دراسة الهارموني مع جورج هوگون Georges Hugon، وقيادة الاركسترا مع روبير بلوت Robert Blot.

ومن جهة أخرى عزز أبو درار دراسته الموسيقية بحضور مجموعة من التداريب، خاصة في مجال تلقين التحليل الموسيقي بواسطة السماع (المعهد التربوي في مارلي لوروا)، والتدريب على منهاج كارل اورف Carl Orff في برلين، ودروس التخصص في قيادة الاركسترا ومسابقات في القيادة الموسيقية بمدينتي بوزاسُون وهيلڤيرسوم بهولاندا.

وبعد تخرجه أسندت إليه عدة وظائف تربوية وثقافية، فعمل منتجاً ومحرراً لبرامج موسيقية بدار الإذاعة والتلفزة الفرنسية بباريز واشتغل مدرساً للتأهيل الموسيقي للأطفال حسب الطرق الحية، وأستاذاً للايقاع والناي والأركسترا بكل من المعهد البلدي للدائرة السادسة بباريز، ومعهد فيتري سورسين Vitry-sur Seine. وعهدت إليه الإدارة التقنية لتدريب موسيقي مخصص للأطفال المعوقين والمرضى بباريز بسالبتريير Salpetrière.

وبالإضافة إلى هذه المهام، اشتغل أبو درار أستاذاً لقيادة الأركسترا في الشعبة الخاصة بالأجانب التابعة للمعهد الوطني العالي للموسيقى بباريز، وقدم دروساً في التقنية الموسيقية (69 - 72).

وقد عاد أبو درار إلى المغرب عام 1974، فالتحق بوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية في شتنبر من هذه

السنة، وتعاقب على عدة مسؤوليات تتراوح بين التدريس بالمعهد الوطني للموسيقى بالرباط والمعهد الموسيقي بالقنيطرة، وإدارة الجوق السنفوني للوزارة، ورئاسة مكتب الموسيقى بمصلحة التعليم الفني.

وقد وافته المنية بعد مرض عضال في 16 جمادى الثانية عام 1402/ 11 أبريل 1982.

وللمترجم إنتاجات موسيقية، هي على ندرتها تكشف عن ذوق جميل ودراية عميقة بقواعد التأليف والهارموني. ومن أجمل أعماله توزيعه الموسيقي للنشيد الوطني الذي مطلعه :

نحن إخوان الصفـــا   نحن أصحاب الحميّـــة

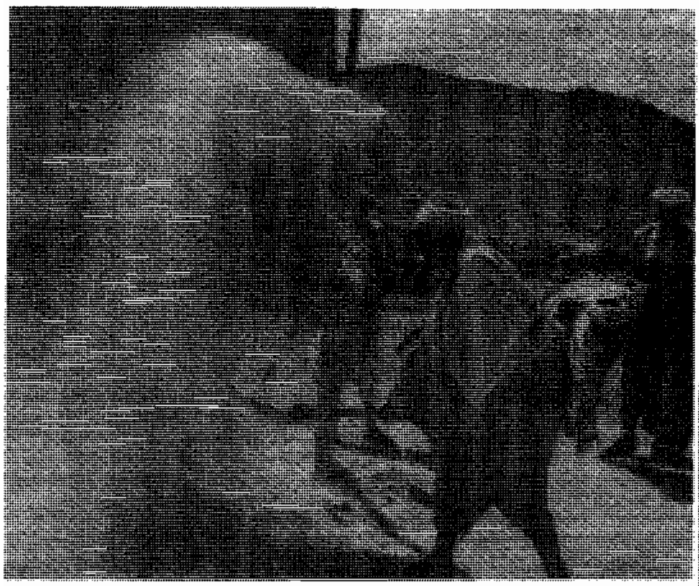
قسم الأرشيف بوزارة الشؤون الثقافية، الرباط، *بطاقة معلومات عن المترجم.*

عبد العزيز بن عبد الجليل

الدْرَاس، يقصد بـه المرحلة الأخيرة في الموسم الفلاحي التقليدي. فبعد مرحلة الحصاد يتم تجميع المحصول الزارعي في البيادر على شكل أكوام مصففة. كل كومة تحوي محصول استغلالية معينة حتى يضبط الفلاح مردودها مقارنة مع المصاريف. أو يكوم المحصول حسب نوع الحبوب : شعير، قمح صلب...

يستغل المكان الفاصل بين الأكوام كي يكون حيز الدراس (الگاعة، ج، گيع)، فيتم دكه جيداً حتى لا يتأثر بحوافر الدواب. ويطلى أكثر من مرة بخثي (روث) الأبقار المذاب في الماء (الخضار) كل صباح يقوم الفلاح بدفع قسم من المحصول إلى البيدر، ويتم تقليبه بالمذراة بين الفينة والأخرى حتى يمتص أكبر قدر ممكن من أشعة الشمس بعد ذلك يشرع في الدراس عن طريق دواب مختلفة (الرْوَى) وخاصة من الخيول والحمير... فيتم شدها بحبل إلى عمود مدقوق في الوسط، أو يقف الدرّاس في الوسط ويشد الحبل ليتحكم في دوران الدواب. وتسمى الدابة المجاورة له بـ"بوگيْدى" لأنها تقيد وتشد باقي الدواب نحو الداخل، أما الدابة التي توجد في الطرف الخارجي فتسمى "الطرّاد" لأنها تجر باقي الدواب نحو المزيد من السرعة. وإذا كانت الدواب تتكون فقط من الخيول فإن الدرّاس يغير مجرى اتجاهها كل حين، فيصبح الطراد مكان بوگيدى ليأخذ قسطا من الراحة والعكس صحيح. وكلما تبين أن الجزء الأعلى من "الدرسة" قد أصبح دقيقا، تخرج الدواب خارج البيدر، وتقلب الدرسة رأسا على عقب، وتتم هذه العملية بمعدل ثلاث مرات في اليوم.

تكون الكمية المداسة قد أصبحت دقيقة مع العصر تقريبا . وإذا توفرت الرياح "الغربي" اللازمة يشرع في التذرية ليفرز الحب عن التبن. وعندما يصبح الحب هو الغالب يشرع في التصفية النهائية عن طريق الرفش (البالة، بتفخيم الباء واللام)، ومكنسة خاصة تصنع من نبات محلي (زمُّورَة). في النهاية توضع الحبوب في أكياس، وتضبط كمياتها بمقاييس محلية تتوحد في القنطار. وعندما تجمع الكمية اللازمة من التبن أو في نهاية عمليات الدرس، يُجمع التبن حسب النوع في أكوام (نوادر، مفرد نادرْ) تدك جيداً وتطلى بالسياع (الوحل الممزوج بالتبن).





إلا أن كلمة الدْرَاسْ تعني كذلك في العامية المغربية نوعاً من عقال الغنم. ولا يتم ذلك إلا في حالتين، أثناء حلب الشياه، بحيث تربط مجموع النعاج المراد حلبها بشكل متقابل، متعاكسة الرؤوس والأعناق حتى يسهل حلبها. أو في الحالة التي ينوي فيها الكساب بيع عدد من رؤوس الغنم، فيقوم بدرس قطيعه حتى يسهل عليه ضبطها ومراقبتها أثناء البيع، وفي نفس الوقت يسهل على المشتري التأكد من جودة العرض وحرية الاختيار دون إزعاج للقطيع أو انزعاج من دفع وجر. وقد تكون لهذه

الكلمة علاقة بالكلمة الفرنسية (Dressage) وتنطق في جهات أخرى بـ "الدْراز".

Georges S. Colin, *La vie marocaine*, Paris, 1953; V. Loubignac, *Textes arabes des Zaër*, Paris, 1952.

صالح شكاگ

دراكونيس Dracones، مدينة ذكرها الجغرافي الرافيني Le Géographe de Ravenne، ضمن مواقع أخرى ثم أشار إلى أن الكتّاب الذين نقل عنهم ينسبون هذه المدن لموريطانية الطنجية. يعد هذا المصدر آخر ما وصلنا حول تاريخ المغرب القديم قبيل الفتح الإسلامي، حيث إن الكتاب وُضع في أواخر القرن السابع أو بداية القرن الثامن للميلاد.

يتضح أن الكاتب اعتمد أساساً على مسالك أنطوننوس *Itinéraire d'Antonin* الذي يرجع إلى القرن الثالث للميلاد، ويتضمن جرداً للمواقع التي تخترقها الطرق الرومانية في موريطانية الطنجية انطلاقا من مدينة طنجيس. والجغرافي الرافيني انطلق أيضاً من طنجيس في الحديث عن المواقع التي وردت معها مدينة "دراكونيس"، في الفقرة التاسعة من الفصل الثالث وعددها 18 مدينة. لكن هذه المواقع لم يرد لها ذكر في بقية المصادر القديمة التي وصلتنا حول المغرب القديم، باستثناء طنجيس. أما المدن التي نقلها عن مسالك أنطونينوس فقد وردت في الفقرة الحادية عشرة من الكتاب الثالث. ومدينة دراكونيس وردت عند الرافيني في الرتبة الخامسة بعد مدينة طنجيس الواردة في الرتبة الأولى (انظر مادة داوينة).

إن الكاتب حسب الباحث موريس أوزينا، وقع في خلط بالنسبة للمدن التي تحدث عنها في هذا السياق. وأعطى الدارس مثال المدن الخمسة الأولى، على أنها مواقع معروفة في موريطانية القيصرية (في غرب الجزائر). يتعلق الأمر بالأسماء التالية : أولاً Tingis ثم Cadum Castra ثم Castra Nova وبعدها Tasacora وأخيراً Dracones.

ويعرفنا أوزينا بالمواقع التي تطابق في موريطانية القيصرية تلك المدن التي نسبها الجغرافي الرافيني للمغرب القديم وهي : أولاً Castellum Tingitanum ثم Gadaum Castra ثم Castra noua وبعدها Tasacura وأخيراً Ad Dracones.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 : M. Euzennat, *Remarques sur la description de la Maurétanie Tingitane, dans Pline*, H.N., V. 2 - 18, *Antiquités Africaines*, 25, 1989.

محمد مجدوب

الدراوي، علال من القواد الرئيسيين في عهد سيدي محمد بن عبد الله تميز بتكليف السلطان إياه بسفارة دبلوماسية بمعية قدور البرنوصي وعبد السلام عديـل إلى مالطا سنة 1777 بمهمة التفاوض من أجل افتكاك الأسرى الأتراك، محملاً بمبلغ 274.000 ريال لاستعماله في ذلك.

إلا أن رفض السلطات المالطية الاستجابة للعرض المغربي، ورغبة من السلطان سيدي محمد في مواصلة عمليات افتكاك الأسرى الأتراك، طلب من قائده التوجه بسفارته إلى القسطنطينية، وتسليم المبلغ المذكور إلى السلطان العثماني عبد الحميد الأول. وجريا على عادة رجال الدولة بالقسطنطينية، في طلب "البقشيش" اضطر القائد الدراوي إلى صرف 14.000 ريال لتسهيل مهمته، إلا أن ذلك سيجعله يتعرض لمساءلة وزير البحر العثماني حسن باشا، بخصوص بقية المبلغ الموجه من قبل ...دي محمد بن عبد الله، ولطرده هو وبقية الو... من القسطنطينية. وقد فضل القائد المذكور ومرافقو... وجـ... إلى المشرق بدل العودة إلى المغرب خوفاً من رد فـ...ل سيدي محمد بن عبد الله.

أ. الزياني، *الترجمانةالكبرى*، ص. 83.

حسن أميلي

الدراوي، علي ← **الدرعي، علي** بن عبد **الرحمن**

الدراوي، مسعود بن محمد ولي شهير وعارف كبير، له أصحاب كثيرون.

أخذ أولاً عن أبي المحاسن يوسف الفاسي، ثم أوصله لشيخه عبد الرحمان المجذوب فأخذ عنه واشتهرت نسبته إليه، وكان لا يفتر لسانه عن الصلاة على النبي ـ عليه السلام ـــ وفي *الممتع* أن الشيخ كان يستأجر الأجراء ويجلسون ويصلون عن النبي (ص) وهو يشاهد ذلك ويسمعه.

توفي سنة 1011 / 1602 ـــ 1603 ودفن خارج باب فتوح بمقبرة سدي حماموش وبجوارهما مصلّى تقام به صلاة العيدين بالنسبة لعدوة فاس الأندلس.

م. العربي الفاسي، *مرآة*، ع. الرحمان الفاسي، *ابتهاج*، 265 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع*، م 19، ص. 8 ؛ ابن عيشون الشراط، ص. 226 (د. د.ع مرقونة) ؛ م. *الإفراني*، *صفوة*، ص. 56 ؛ م. القادري، نشر، ا : 78 ـ 85 ؛ *الاكليل*، ص. 384 (د. د.ع مرقونة) ؛ *التقاط*، ص. 39 ؛ *الزهر الباسم*، مخطوط، 33 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 235.

ماريةدادي

الدراوي، موسى بن سعيد كان أسود اللون. من أهل الولاية، ذا حال قوي وشوكة، شديد الشكيمة على الظلمة، ظهرت له في ذلك كرامات وآيات. اشتغل في أول أمره ربَّاعا عند شيخه أحمد الشاوي لمدة ثلاث سنين. وكانت

له زاوية في حياة شيخه عن إذنه بمدشر تاغزوت بموضع قرب صفرو لـه أتباع وأصحاب من قبيلتي أولاد ثاير وأولاد عباد. ذكره محمد بن الطيب القادري في كتابه *نشر المثاني* ضمن من توفوا سنة 1014، ودفن بروضة شيخه أحمد الشاوي بحومة الجرف بعدوة القرويين من فاس.

م. القادري، *نشر المثاني*، 1 : 133 ؛ م. ابن عيشون الشراط، *الروض العطر الأنفاس*، ص. 258 ؛ م. جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 1 : 281.

زهراء النظام

الدربوز، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الغربية الواقعة قرب مدينة أصيلا. ومنهم محمد بن أحمد الدربوز الذي زاول خطة العدالة سنة 1261 / 1845.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1616.

محمد ابن عزوز حكيم

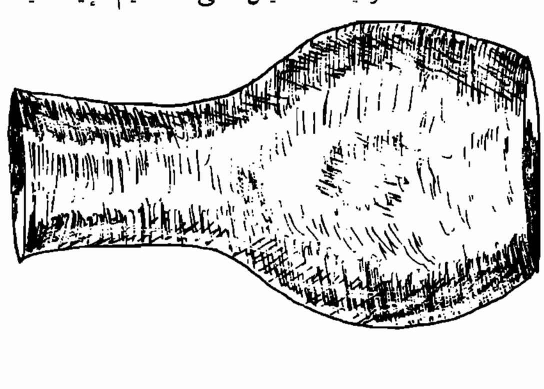
الدربوكة، آلة موسيقية تستخدم لضبط الإيقاع بواسطة النقر عليها باليد. وتصنع غالباً من الفخار، وأحياناً من المعدن، على شكل كأس مفتوح الطرفين، غلف أوسعهما بقطعة مشدودة من الجلد.

وقد جاء ذكر هذه الآلة في *ألف ليلة وليلة* مما يدل على شيوع استخدامها في المشّرق العربي منذ عهد مبكر.

أما بالنسبة للمغرب فالظاهر أن استعمالها حديث لعله يرجع إلى فترتين متفاوتتين :

أولاهما كانت على عهد الاحتلال العثماني للجزائر. وفيها تسرب استعمالها إلى بعض المجموعات الشعبية بالمغرب، وثانيتهما كانت في العقد الثالث من هذا القرن، وذلك عن طريق مجموعات الموسيقى العصرية بتأثير من الأجواق الشرقية. وفي هذه الفترة بدأ استخدام الدربوكة يتسرب أيضاً إلى حظيرة أجواق الموسيقى الأندلسية.

وقد واكب استخدام الأجواق الأندلسية للدربوكة تبني المصطلحات الشرقية للتدليل على المفاهيم الإيقاعية، فشاع استخدام الدمة والتكة والاس كبدائل للندف والزنج والفاصلة، وخاصة بين رواد الأجواق العصرية.



الدربوكة

ويعتبر دور الدربوكة ثانويا بالنسبة للطر، فهي تساعده على ضبط الإيقاع، وذلك بواسطة نقرها باليد على إحدى الطرائق التالية :

الدم، وهو نقرة بكف اليد اليمنى في وسط الجلد. ويرمز للزمن القوي.

التك وهو نقرة باليمنى في طرف الجلد ويرمز للزمن الضعيف.

الاس، أو السكتة، وهو نقرة باليسرى في جانب الجلد ويعرف أيضاً بالفاصلة.

ح. نصار، *الموسيقى والغناء في ألف ليلة وليلة*، منشورات اقرأ، ص. 56 ؛ *بحث ميداني*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الدَّرْبي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازال هناك أسرة إسبانية تحمل نفس الاسم : Adarbe ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 665.

محمد ابن عزوز حكيم

الدَّرْج في موسيقى الآلة له مفهومان : الأول : يراد به أحد الميازين الخمسة التي تتكون منها النوبة، وهي البسيط، والقائم ونصف، والبطايحي، والدرج، والقدام. وهو عبارة عن مجموعة من المعزوفات الآلية والمقطعات الغنائية، يجري أداؤها على نسق لحني وإيقاعي معين. وقد أكد الباحثون أن أهل الأندلس حصروا النوبة في أربعة ميازين، فلما كان عهد السعديين أضاف المغاربة ميزانا خامسا هو "الدرج".

وقد كان لرجال الزاوية المغربية الفضل في ابتكار الأدراج، فكانوا يتغنون بصنعاتها ضمن ميازين البطايحي، ومن ثم قيل : إن الدرج اكتسب تسميته من كون صنعاته أدرجت في ميزان البطايحي. وقد عبر عن هذه الحقيقة أحمد بن العربي أحضري في مقدمة كتابه عندما أدرج الدرج في ميزان البطايحي "لأنه محسوب عليه".

غير أن أرباب الموسيقى الأندلسية وقفوا من الأدراج موقف الرفض، وذلك بحكم وفائهم لتقاليد المدرسة الغرناطية الأصيلة. وانعكس هذا الموقف على كناش محمد بن الحسين الحايك، فجاء خالياً منها.

وعندما أقدمت لجنة الوزير محمد بن العربي الجامعي عام 1303 / 1885 على مراجعة *كناش الحايك* كان من جملة ما أنجزته تبني الصنعات المدرجة في البطايحيات وتنسيقها في ميازين مستقلة عرفت منذئذ بالأدراج،

وإضافتُـها إلى النـوبـات الاحـدى عشـرة، غيـر أن صنيع اللجنة ظل - فيما يبدو - منحصراً تداولُـه في أوساط المدرسة الفـاسية ردحا من الزمن قبـل أن تتبناه - بدورها - المدرسـة التطوانيـة الشفشاونيـة. ويدل على هذا أن حواضـر الشمال ظلت وفيـة حتى العقـد الرابع مـن هذا القـرن لمستعملات كنـاش الحايك الأصلي، من خلال اعتمـادهـا على النسخ الأصلية كنسخة ورثـة الرقيوق الطنجي، وكـان قد تم الفراغ من نسخها عام 1325 / 1907 والتي مـازالت حتى اليـوم معتمـد فناني الشمـال ومـرجعهم كلما طرأ خلاف أو إشكـال حول بنية صنعة من الصنعات.

ويبدو هذا الوفـاء في مدونـة الأصبهان التي أنجزها في بداية الأربعينيـات المستشرق الإسبـاني أركـاديو دي لاريـا بـالاثين بمسـاعدة الفنان الشفشـاوني الأصل عبـد السلام بن الأمين العلمي مدير القسم العربي بالمعهد الإسبـاني المغربي بتطوان، والعياشي الوريـاغلي رئيس الجوق وعازف الرباب، وأحمـد البـردعي عـازف الكمـان، وغيـرهم، فقـد وضعت صنعـات الدرج التسعـة في مقدمـة القسم المهزوز من ميـزان البطايحي.

الثـاني : يراد بـه أحد أصنـاف الإيقـاعات الخمسـة التي تضبط حركة الصنعات المتعاقبة في ميـازين النوبة. ويُعبِّر عنـه بـ"الدور" الـذي هـو بمثـابـة الـوحدة الأسـاسيـة للهيكل الإيقاعي الذي يتحكم في ميزان النوبة.

لم يهتم الحايك بذكر الدرج ولا ببيان إيقاعه لموقفه الذي أوضحنـاه. وقـد اعتبره أحضري في كتـابـه "*ديوان الأمداح النبويـة وذكـر النغمـات والطبـوع وبيـان تعلقهـا بـالطبـائع الأربعة* "متفرعا عن ميزان البطايحي أما الدراسات الحديثة فهي تقابله بميزان 4/4 في صورتيه الموسعة والمهزوزة :

الصورة الموسعة :

الصورة المهزوزة :

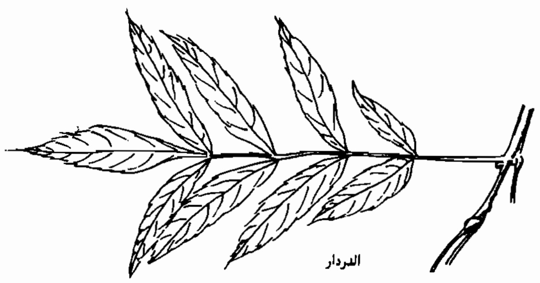
أ. أحضـري، *ديوان الأمـداح النبويـة وذكر النغمـات والطبـوع*، مخطوط، ص. 12 ـ 13 ؛ أركاديودي لمريا، *نوبة الصبهان*، دار الطباعة المغربية، تطوان، 1956، ص. 29 ـ 31 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 2 : 446، 2061.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الدرحم، احماد ← الدرهم، احماد

الدردار، اسم فـارسي تعـرَّب فـاستعمل في المغـرب والمشرق العربي ليدل على أشجار تسمى بالأمازيغية "اسلَن أو "تـوزلْت"، وتخص هذه الأسمـاء أنـواعـاً نبـاتيـة شجـريـة، منهـا اثـنـان طبيعيـان بـالمغـرب وهمـا فراكسينُـوسْ أنكواستيفـوليـا Fraxinus angustifolia وفـراكسينـوس ديمورفا Fraxinus dimorpha. بالإضافة إلى أنـواع أخرى أدخلت للزينة. تنتمي هذه الأنواع إلى فصيلة الزيتـونيات Oleaceae. مواقع عديدة بالمغرب توجد بها "دردارة" سميت بهذا الاسم.

يتراوح علو شجرة فراكسينُوسْ أنكوستيفوليـا ما بين 10 و20 م. تـاجهـا كبيـر وكـروي الشكل. قشـرة جـذعهـا ملسـاء ورمـاديـة في الصغـر، ثم تشقق وتسـودّ في الكبـر. بـراعمهـا سمراء وصغيـرة. أوراقهـا نفضيـة، معنقة، مـركبـة ريشية مكـونة من 5 إلى 13 زوجا من الوريقـات الطويلة الشكل والمسننة، إزهـراراتها عنقـوديـة تظهـر قبل الأوراق. ثمـارهـا يـابسـة وحيـدة البـذرة، لا تتفتـح، ولهـا جنـاح رقيق وطـويل يشبـه لسـان العصـافيـر كمـا جـاء عن ابن سينـاء في وصفه لهذه الشجرة.



يصـادف هـذا النـوع بحـوض البحـر المتـوسط. أمـا في المغـرب فنجده ينمـو طبيعيـاً بجـانب مجاري الميـاه في جميع المنـاطق المغربيـة في البيـومنـاخـات الرطبـة جداً والرطبـة وشبه الـرطبـة واستثنـائيـا شبـه الجـافـة. وفي الطـوابق النبـاتيـة للمتـوسطي الدافـئ والمتـوسطي وفـوق المتـوسطي والجبلي المتوسطي. أمـا من حيث التـربـة فإنه يتطلب أراضـي خصبة وسميكة. أما النوع الثاني فراكسينوس ديمورفا فهو يختلف عن الأول بعلـوه المتـواضع الـذي يتـراوح مـا بين 8 و12م، وغـالبـاً مـا يـكـون عـلى هيئـة شجيـرة أو شجـرة صغيـرة، وبأوراقـه غيـر المعنقـة والتي تختلف فيمـا بينهـا : أوراق الأغصـان الصغيـرة والسفلى تتركب من 2 إلى 4 أزواج من الوريقـات الصغيرة الحجم. أمـا أوراق الأغصـان العليـا فإنها تتركب من 3 إلى 5 أزواج من الوريقات الكبيرة نسبيـاً.

يصـادف النـوع الثـاني في إفـريقيـا الشمـاليـة مـن المغـرب إلى تونس وكذلك في أفغـانستـان وجبـال الهيمـالايـا الغـربيـة. أمـا في المغـرب فهـو يعيش في الغـابات والأحـراج الجبليـة من الأطلس المتــوسط والأطلس الكبيــر وقليلاً في الأطلس الصغيـر. إنـه يتـلاءم مع أقصى البـرودة وأقصى الجفـاف. ولهـذا نجده يقطـن المنـاطق البيـومنـاخيـة الرطبـة وشبه الرطبة وشبـه الجافة والجافة، والطوابق النبـاتيـة للمتـوسطي الدافـئ والمتـوسطي، وفـوق المتـوسطي، والجبلي المتـوسطي وفـوق الجبلي المتوسطي. إنـه لا يبـالي من حيث النـوعيـة الصخـريـة أو التـرابيـة إذ نجده يعيش على أراض مختلفة كلسيـة أو غير كلسية سميكة أو سطحية.

يعطي الدردار خشب الصناعة ذا القيمة الرفيعة نظراً لمرونته وانطوائه وصلادته ومتانته وجموده وثقله، وقوة تحمله، وذا اللون الأبيض المائل إلى الوردي. كما يستعمل لصناعة الأثاث الرفيع التي تصنع من خشب الأشجار المعمرة ذات الأخشاب التي تتميز بجمال تعريقها وجودتها. تصنع من خشب الدردار الآلات الزراعية مثل المحاريث الخشبية والعربات ومقابض الأدوات وموائد الجزارة والرقائق والآلات الموسيقية. من جهة أخرى تعتبر أوراق الدردار من أحسن الأعلاف للحيوانات إضافة إلى كل هذه المزايا يستعمل الدردار للزينة وبجانب الطرق والشوارع وفي شتى المجالات من التطبيب التقليدي.

أبحاث شخصية ؛ ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، 1962، ترجمة د. ع. زاهر وآخرين، المكتبة الأنجلو مصرية القاهرة.

Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaitre*, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

الدرحم، احماد ← الدرهم، احماد

دردورة، (باب وقنطرة بمكناس) يعدّ باب دردوة أحد أبواب مدينة مكناس الستة التي تحدث عنها ابن غازي حين ذكر أن السور المرابطي المحيط بالمدينة ينفتح على الخارج بواسطة ستة أبواب من بينها باب دردورة الذي كان يقع في الشمال الشرقي للقلعة المرابطية (تاگرارت)، وكان يعرف أيضاً بباب الصفا" (*الروض الهتون*، ص. 31).

وقد طالته التغييرات التي أحدثها المولى إسماعيل في مدينة مكناس حيث هدم وشيد إلى القرب من موصعه باب تيزمي وأما قنطرة دردورة، فهي التي تربط بين المدينة القديمة وحمرية من ناحية الفخارين.

وقد أمر المولى إسماعيل بإقامتها خارج باب دردورة على الطريق المؤدية إلى تطوان في إطار القناطر التي أقامها على مختلف المحاور المنطلقة من مدينة مكناس لتنشيط الحركة التجارية، وكانت تعرف أيضاً بقنطرة ابن يشُّو لإشرافه على بنائها سنة 1101 / 1689 . وهو علي ابن يشُّو اليازغي قائد أهل ديوان مولاي إسماعيل وعامله على البربر ورئيس عماله - وأنشئت بهذه القنطرة سقاية كانت مثار عناية السلطان لدرجة أنه حبس عليها عدة أوقاف من رباع وعقار، وكانت تعرف بسقاية الذهب، كما حبس عليها القائد ابن يشو أوقافا أخرى، واندثرت السقاية المذكورة ولم يعد لها أثر.

والظاهر أن قنطرة دردورة هي التي أصبحت تعرف في عهد الحماية الفرنسية بقنطرة البرتغال أمام - باب تيزمي - الرابطة بين المدينتين القديمة والجديدة من جهة الفخارين.

م. ابن غازي، *الروض الهتون*..، ص. 31 ؛ *حوالة أحباس المساكين*، رقم 3 ص 10 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 1، ص. 158.

رقية بلمقدم وبوشتى بوعسرية

الدردوري، أحمد ولد سنة 1349 / 1930 في قرية نائية داخل جبال سوس تدعى أنوز في منطقة سيدي عمرو، وهو صالح مدفون هناك.

دخل الكتاب وعمره سبع سنوات، وفي نفس الوقت كان يساعد أخاه الأكبر في العمل داخل الحقل. وتشاء الأقدار أن يرحل والده إلى مدينة مراكش صحبة القائد الدردوري الذي كان يحكم منطقة أولوز، ليستقر مقام الأسرة بحي للاعـويش، فيلتحق الطفل بكتاب سيدي اليمنى بحي القصور.

وبعد وفاة والده لم تسمح له ظروفه المادية بمتابعة دروسه، وتلبية طموحه، فالتحق للعمل عند إسكافي بحي الصباغين مع ملازمة الدروس بجامع ابن يوسف.

وفي سنة 1378 / 1958 حصل على شهادة أهلته للاشتغال في التعليم. فعين معلما بمنطقة ابن جرير لكن طموحه دفعه لإتمام دراسته بالقرويين، فعين أستاذاً للسلك الثاني بثانوية المنصور الذهبي بمراكش. وتقلب في عدة وظائف إدارية وتعليمية بناحيتي مراكش وأگادير وكانت له موهبة في نظم الشعر فساهم في كثير من التظاهرات الثقافية والأمسيات الشعرية، متحديا معاناته وآلامه، وترك نتاجا شعرياً موزعاً بين أصدقائه، لم تتمكن أسرته من جمعه. إذ كان يشكو من مرض القلب الذي لم يمهله كثيراً.

توفي يوم 26 جمادى الثانية عام 1404 / 28 مارس 1984، وأقبر بمقبرة الإمام السهيلي.

أ. متفكر، *أعلام مراكش*، (ذيل)، مخطوط.

أحمد متفكر

ابن **الدرّاج، محمد** بن عمر بن محمد بن عمر الأنصاري السبتي، من أبرز الشخصيات العلمية في العصر المريني بالمغرب، الأستاذ المتفنن الفقيه المحدث الصوفي الأديب الكاتب الشاعر ذو الخط البارع تولى الكتابة الخاصة للملك أبي يعقوب المريني بفاس، ثم ولاه بعدها قضاء مدينة سلا. قال القادري : وهؤلاء ينسبون إلى الفقيه الخطيب الولي الصالح أبي محمد عبد الله الدراج الأنصاري، وقد عرّف به أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحضرمي في تأليفه *الكواكب الوقادة والسلسل العذب الأصلي*، ووصفه فيه بالأنصاري ورأيت بخط عم والدنا أن الدراج المذكور من أهل سبتة، ومن ذرية عبادة بن الصامت.

ولد محمد ابن الدراج ونشأ بمدينة سبتة التي كانت يومئذ من ألمع مراكز العلم والمعرفة لا في المغرب وحده بل

في العالم العربي بما أنجبت من أعلام في مختلف فروع المعرفة ولا نعرف تاريخ ولادته بالضبط. وأخذ عن أهل بلده وعلى رأسهم الأمير العالم أبو القاسم العزفي ووالده أبو العباس. فعليهما تخرج، وبهما سما قدره ولع نجمه ولاسيما الأول الذي رشحه لتولي منصب الكتابة الخاصة بالبلاط المريني وقضاء سلا. ومن شيوخه اللامعين في علوم اللسان أبو الحسين عبد الله بن أبي الربيع النحوي الشهير، وأبو الحسن علي بن عبد الله المتيوي، وأبو يعقوب بن موسى الغماري الحساني، وأبو بكر الفهري، وأبو القاسم ابن الزبير، وأبو العباس أحمد ابن فرتون السلمي وغيرهم. ولا شك أن مشيخة الرجل طويلة، لكننا لم نجد له ترجمة كافية، ولولا تلميذه الأثير القاسم التجيبي وبرنامجه الذي طبع مؤخراً بتونس بعد أن اكتشفه الأستاذ إبراهيم الكتاني، لبقي الرجل مطوي الذكر في عالم النسيان والإهمال، فقد زودنا التجيبي بمعلومات قيمة عن أستاذه المترجم له، وكذلك ابن رُشيد السبتي الذي استجاز ابن الدراج ونقل عنه في رحلته *ملء العيبة* قصيدة طويلة. ومن تلاميذه الكبار كاتب العلامة في الدولة المرينية عبد المهمين الحضرمي، وأبو الحسن علي بن عتيق وغيرهم. ولم نجد في النتف القليلة التي وقفنا عليها ما يشير إلى رحلته إلى الأندلس لطلب العلم أو غير ذلك. وإن كنا نستبعد عدمها فقد كانت من السهل الميسور لقرب الدار، واستمرارها من لدن الفتح من الطلبة والمجاهدين والتجار، كما لم نعرف إن كان طلب العلم بفاس أو غيرها من مدن المغرب. أما التدريس والإقراء فلم ينفك عنه في معظم أطواره، فكان يعقد المجالس بسبتة وفاس وغيرهما كان مقصودا لتدريس *تهذيب المدونة* للبرادعي و*مختصر الطليطلي*. وإسماع الحديث وروايته، وله به مزيد اهتبال، وبأسانيده ورجاله جرحا وتعديلا وضبطاً وتحقيقاً كامل العناية والاحتفال، ويتجلى بعض هذا في تسمية مروياته وأسانيده، ومناقشة أدلة تحريم الغناء في كتابه *الامتاع والانتفاع*.

كان ابن الدراج يطمح إلى الرحلة للحج والرواية كبلدييه ابن رشيد والتجيبي إلا أن هذين نالا بغيتهما، ولم ينل هو أمنيته. ولاشك أن للمترجم له تآليف إلا أننا لم نعرف منها إلا اثنين : *الامتاع والانتفاع، في مسألة سماع السماع* أو *الكفاية والغناء في إحكام أحكام الغناء*. والرد على من نغص على المسلمين بتحريم ما أبيح لهم منه في مظان المسرة والهناء أو حال اجتماع أرباب التهمم بالسماع ليتبعوا أحسنه أحسن الاتباع وأولي الاعتناء) وقد طبع هذا الكتاب بعنوان مختصر هو : *كتاب الإمتاع والانتفاع، بمسألة سماع السماع*. بتحقيق محمد ابن شقرون. والكتاب الثاني في الخيل ويسمى : *نيل الأمل المؤمل النيل، في معرفة ما يجب من أمور الخيل*، وهو من مسموعات التجيبي عن شيخه المترجم له، ولاندري مصير الكتاب.

والرجل أشعري العقيدة مالكي المذهب كمعظم أهل عصره صوفي عارف في المواجيد ينحو نحو أهل الوحدة ويردد أنغامها، ومن صريحها قوله من مخلع البسيط.

كل مكان بـه اراكـــا — والله لا أشتكي هواكـــا
وكيف أشكو وكل شـيء — تراه عيني فأنت ذاكـــا

وكان مستهتراً بالسماع قائلاً بإباحة آلاته عارفا بأنواعها ولا يبعد أن يكون ماهراً في استنطاقها، يستروح إلى الرقص ويؤثره.

وبعد حياة حافلة بالمتع بلغ النهاية فأسلم الروح بمسقط رأسه عام 693 / 1293 ودفن بمقبرة المنارة.

م. ابن الدراج نفسه، *الإمتاع والانتفاع في مسألة سماع السماع*، تح. م. ابن شقرون ؛ م. الحضرمي، *الكواكب الوقادة* ؛ السلسل العذب، سلا ؛ أ. التجيبي، *برنامج الشيوخ*، تونس ؛ م. ابن رشيد، *ملء العيبة*، تح. بلخوجة.

محمد الأمين بوخبزة

دراس بن **إسماعيل** الجراوي الفاسي، أبو ميمونة، فقيه حافظ نظار محدث من أهل فاس، من أحفظ أهل زمانه لمذهب مالك وأصحابه. واشتهر إضافة إلى علمه بصلاحه وورعه ودينه المتين. ذكره القاضي عياض في *المدارك* في الطبقة الأولى من علماء فاس. وبدأ به التميمي كتابه *المستفاد* ونسب له بعض الكرامات. درس ببلده وسمع من شيوخه الذين لم تحتفظ المصادر باسم أي منهم. ورحل إلى الأندلس طالباً فزار قرطبة ولقي فقهاءها.

خرج في رحلة إلى الحج فزار الإسكندرية ولقي فقهاءها، وسمع من علي بن عبد الله بن أبي مطر (ت. 339 / 950) *كتاب ابن المواز* في الفقه المالكي. ولا نملك معلومات أكثر عن البلدان التي زارها وعن العلماء الذين لقيهم في رحلته المشرقية هذه التي اتصل فيها بكبار علماء المذهبين : المالكي والأشعري في وقت كان حاسما في تاريخ تطور المذاهب السنية. ودخل القيروان وسمع من ابن اللباد وغيره. كما حدث بها بكتاب *ابن المواز* فأخذه عنه من علمائها أبو الحسن القابسي (ت. 403 / 1013) وأبو محمد ابن أبي زيد القيرواني (ت. 386 / 996) الذي كان نزوله بالقيروان عنده.

نقل القاضي عياض عن المالكي القيرواني قوله : "كان أبو ميمونة من الحفاظ المعدودين والأئمة المبرزين، من أهل الفضل والدين، ولما طرأ إلى القيروان اطلع الناس من حفظه على أمر عظيم، حتى كان يقال : ليس في وقته أحفظ منه... وظهر تقصيره بعلماء القيروان وشفوفه على كثير منهم". وقد شعر علماء القيروان بتفوقه في الفقه فحدثت له بسبب ذلك أحداث مع شيخه أبي بكر بن اللباد ومع الشيخ أبي سعيد خلف بن عمر.

دخل الشيخ دراس سبتة فحدث عنه عدد من علمائها كأبي عبدالله محمد بن علي ابن الشيخ، وأخيه حسن بن

علي، وعمر بن ميمون بن بكر القيسي، وحمود بن غالب الهمداني، وعبد الرحمن بن العجوز الكتامي.

وكان من فئة العلماء العاملين، الذين جمعوا بين العلم والورع والجهاد، فقد كان يتردد إلى الأندلس متطوعا للجهاد في سبيل الله بالثغر الأعلى منها. وكان يساهم في نفس الوقت في نشر فقه المذهب، فسمع منه *كتاب ابن المواز* من الأندلسيين أبو الفرج عبدوس بن محمد الثغري وخلف ابن أبي جعفر، وغيرهما.

ارتبط اسم دراس بن إسماعيل بالجهود التي بذلها في نشر وتركيز مذهب مالك بفاس، إلى درجة أن بعض المصادر بالغت حينما نسبت له الدور الحاسم في ذلك. وعلى كل حال فإن دوره كان متميزا في ترسيخ الثقافة المذهبية المالكية، فقد اعتبر أول من أدخل *مدونة سحنون* إليها. وساهم أيضا في التمهيد للمذهب الأشعري، حيث كان أشعريا متحمسا، تنسب له *رسالة في الدفاع عن الأشعرية*.

وتفرغ لتدريس الفقه بفاس، فكان له بحومة مصمودة بعدوة الأندلس مسجد يعرف به، يجتمع عليه الطلبة فيه للدراسة كل يوم بعد صلاة الصبح.

توفي في ذي الحجة سنة 357 / أكتوبر - نونبر 968 ودفن خارج باب الفتوح. وقد جدد السلطان أبو عنان المريني قبره سنة 754 / 1353، ووضع عليه مربعة رخام منقوشة باسمه وتاريخه. واعتبر من أولياء مدينة فاس، وظل الناس يزورون ضريحه ولهم اعتقاد في أن الدعاء عنده مستجاب.

أبو الوليد ابن الفرضي، *تاريخ علماء الأندلس*، القاهرة، 1966، ص. 146 ؛ القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، تح. سعيد أعراب، المحمدية، 1981، 6 : 81 - 82 ؛ ابن عميرة الضبي، *بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس*، القاهرة، 1967، ص. 292 ؛ أبو زيد الدباغ، *معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان*، ج. 3، تح. محمد ماضور، تونس، ط. 2، 1993، ص. 100 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، دار المنصور، 1973، ج. 1، ص. 194 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، طرابلس، 1989، ص. 175 ؛ ابن عيشون الشراط، *الروض العطر الأنفاس*، تح. ز. النظام، منشورات كلية الآداب بالرباط، ص. 49 — 55 ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، القاهرة، مكتبة دار التراث، 1396، ج. 2، ص. 111 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية*، بيروت، ص. 103.

محمد المغراوي

الدرّاعة، يأخذ البحث في تاريخ العادات والتقاليد كل أهميته من داخل حقل المناهج السوسيولوجية دون أن يبعد نفسه طبعا من إجراءات الخضوع للبعد الزمني الذي تجري فيه الظاهرة، ومن ثمة ضرورة تطبيق التداخل المفاهيمي الذي تهيمن عليه خصوصيات وإجراءات العمل الانثروبولوجي، وهكذا يعتبر اقتحام وولوج ميدان الملابس مثلا شاهدا على هاته المشاغل مع التذكير مبدئيا بالإشكالات الواضحة التي يطرحها هذا الموضوع ليس فقط من حيث حداثته وتشتت النتف المعلوماتية الخاصة به، ولكن أيضا باعتبار أن الإمساك بمركباته يرسم ويشخص تعقد معطيات المواد الأولية ومراحل التحضير والانجاز اليدوي، مع التركيز بالمقابل على تداخل ذلك مع بنيات وواقع التراتبية الاجتماعية والأنماط الثقافية المرتبطة بهيكل الذهنيات والسلوكات (Braudel. 271).



ونأخذ هنا نموذج الدراعة الذي يتطلب ما في ذلك شك محاولة الانفصال والتجرد الآنيين والكشف عن أهم الإشارات التاريخية والدلالات الانثرومجالية لهذا اللباس الصحراوي الشهير، وتسعفنا المعلومات التي أوردها الإخباريون والرحالة نسبيا في رصد هذا المسعى واستكماله إذ معهم نصادف بواكر أولى واضحة لهذا التشابه مادامت المقاييس التي يتم إيرادها تأتي لتزكية الاعتبار بأن الدراعة تنتصب بقوة كلباس صنهاجي قديم، على الرغم من التمايز الطبيعي للقبائل والفصائل الصنهاجية في أشكال الملابس، فلقد سبق أن ذكر الإدريسي مثلا صناعة نسيجية مبكرة بنول لمطة في القرن الثاني عشر الميلادي حيث "تباع بها الأكسية المسماة بالسفسارية والبراس التي يساوي الزوج منها خمسين دينارا وأقل وأكثر" (الإدريسي، 66)، بينما يلبس أهل أزكَى أردية تميل إلى الكندورة مع إشارات إلى قبائل أخرى تعتمد في أرديتها على الجلود. تلك الصناعات الصوفية تحيلنا للالتفات إلى ضرورة جرد جغرافية للأنسجة، يحتل القطن فيها مكانة بارزة منذ العصر الوسيط على الأقل في حين يتم توريد المنسوجات الصوفية إلى إفريقيا الغربية مع التوسع التجاري القافلي لتتحول مصنوعاته إلى سلع وامتيازات نخبوية، وفي القرن السادس عشر تصلنا مدونات الحسن الوزان لتحدد المعالم الأخيرة المبكرة للدراعة حين تحدث عن اللباس ذي الأكمام

العريضة المصنوعة من نسيج أزرق اللون والتي تأخذ مراحلها النهائية بمنطقة السودان الغربي، في وقت تستورد قطع الثوب من المغرب (Puigaudeau, 415). مادام نفس الإخباري قد أوضح الأهمية التجرية التي حظيت بها مدينة تاگاوست عاصمة وادي نون آنذاك في إنتاج قطع النسيج لتغطية الطلب عليه بما أن نفس التخصص قد نتجت عنه أسواق متخصصة للنساجين بمالي على سبيل المثال (الوزان، 165).

وتتكون الدراعة من قطعة واسعة من الثوب، شُكلت بوسطها [من ناحية القمة] فتحة كبيرة وضيقة لإيلاج الرأس، بينما تمتد من ناحية الكتفين بأكمام واسعة متدلية إلى ما وراء أصابع اليدين. تنفتح باتجاه الأسفل حيث يتم جمع طرفي النسيج من جهة الكعبين، تتوسطها قطعة مثلثة الشكل تقريبا ومن نفس الثوب تناهز العشرين سنتمتراً على مستوى العرض تمثل الجيب الوحيد الذي يميز الدراعة، على أن الرسومات والنقوش التي تزينه تنجز مستقلة ومن مواد خاصة يتخصص فيها أهل السودان والنيجر إلى حد الآن، مما يشهد بجلاء على التطور الكبير الذي يشهده هذا الرداء بدءاً من تنوع واختيار تطابق المواد الأولية (Mauss, 70)، ويختلف طول الدراعة باختلاف قامة الحامل لها مع تحول ملموس إذ تميل حاليا إلى أن تكون متجاوزة للكعبين مع ضرورة التصريح ضمنيا إلى تداخل هاته الميزة مع الانتماءات الاجتماعية والوظيفية لحاملها فنجدها قصيرة لدى الرجل أو المشتغلين مع احتفاظها بطابع نخبوي طويل لدى المستقرين أو الفئات العليا في الهرم الاجتماعي، ويتم طيها من عند الكتفين بشكل آلة الأكورديون أو ربطها في بعض الحالات بحزام من الوسط (Puigaudeau, 417).

ثم إن الدراعة انطلاقا من لونها وشكلها لا يتأتى فهمها خارج المعطى الإيكولوجي المحدد طبعا للاختيارات التي لا تترك مجالا للصدفة أو العشوائية، فما دامت الصحراء تتسم بطابع الحرارة المفرطة (الوزان، 148) فإن التقطيع والرسم المورفولوجي للدراعة البينة الاتساع والمفتوحة من الجانبين تسمح بضمان التهوية أي تنقل ومرور دورة هوائية كما يقي امتداد الأكمام وتحركها المستمر من لسعات الحشرات التي تكثر بالمناطق الحارة، على أن اللون الأزرق الذي يطبع هذا اللباس لا ينفلت بدوره من الاستجابة لهذا المعطى، فالأبيض مثلا إن كان يلائم المناخ الصحراوي فإن اعتماده يظل هامشيا لكونه عاكساً قويّاً للأشعة في حين يمتاز اللون الأزرق بتصدره للألوان من خلال اعتباره الأكثرها برودة (*Dictionnaire*, 209) أي أحد المتطلبات الضرورية وسط المناطق الصحراوية.

ونحن إن أكدنا على أقدمية هذا الرداء وتجذره بالصحارى الصهناجية فأن اعتباره الآن أحد خصوصيات الانتماء العربي لا يأخذ إطلاقا قيمته من أية مرتكزات أو حقائق تاريخية، وإنما يبين أهمية التوسع والامتداد الأعرابي على المحاور الجنوبية والتخوم الشمالية للصحراء الأطلسية، كما يعد احتكار بعض المحاور التجارية الممتدة على طول المنطقة توفيرا لامتياز حقيقي للاستحواذ على السلع التي تأتى على رأسها الدراريع (ج. دراعة).

وبالتالي فإن المتغيرات السياسية كما حصل هنا تبين بوضوح خلخلة المجتمعات المستقرة لصالح التشكيلات الاجتماعية الجديدة أو الصائرة في طريق التشكل على امتداد القرون الأخيرة الماضية ليس فقط بموريطانيا بل حتى ببلاد تكنة، ويصبح اللباس في مثل هاته الحالات شاهدا على نسبة هامة من درجات التراتب الاجتماعي (Braudel, 272)، ثم وضوح سيطرة كبار الرحل والتجار أو بشكل آخر فصائلهم على مستوى عام أو أيضا داخل القبيلة ذاتها بامتلاك آليات التمايز كاللباس إلى جانب اللغة، وفوق هاته الوظائف المصغرة للدراعة فإنها تأخذ كينونتها بتمييزها للإنسان الصحراوي بل ولأن حضورها أيضا يتعالى على التخصيص ليصب في جوهر الطقوس والممارسات المجتمعية الخاصة بالمنطقة، فمادامت العلاقات بين الرجال والنساء تشكل الخلايا الجوهرية المؤسسة للمجتمع فإن الفصل بينهما مع ذلك يظهر انطلاقا من الاستقلالية النسبية التي يحظى بها كل طرف وتكون الملابس إحدى الآليات البارزة لهذا الفصل (Haulotte, 165). فالدراعة مثلا يختص بها الرجال لذلك يعتبر إلباسها لامرأة في مناسبة أو أثناء الرقص ترجمة رمزية ممهدة للعلاقة تملك المرأة فيها إمكانية رفضها أو قبولها كما قد يعني ذلك التحاما بين الجنسين في شكل يُعيد الفصل بين الملابس إنتاج بعده الجنسي (Westermarck, 190) على أن ارتداء الدراعة في حفلات الزفاف في وادي نون والصحراء يأتي ليزكي هذا الطرح باعتبارها تحيل في مثل هاته المناسبة على مفاهيم الرجولة (تورگزة) كما أنها تحظى داخل الحقل الثقافي الشعبي برصيد هام من الأشعار والأحاديث المروية.

إننا هنا نود لفت الانتباه إلى توسع التخصص وأهمية التنقيب في الخصائص والمكونات الثقافية لحقل وفضاء الموقع الصحراوي حيث يُمكِّن ذلك لا محالة من استكشاف المتغيرات التاريخية بتنويع مفهوم الوثيقة ذاته وتجاوز الضعف والفقر المعلوماتي اللذين يعيقان البحث المونوغرافي الضيق.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، ط. I، الرباط، 1982.

Al-Idrissi, *Le Maghreb au 6° siècle de l'hégire*, Trad. M. Sadok, Paris, 1983 ; F. Braudel, *Civilisation materielle, économique et capitalisme XV-XVIIIè siècles*, Tome I, Paris 1979 ; J. Chevalier, *Dictionnaire des symboles*, Vol. I,6° éd., Paris, 1973 ; E. Haulotte, *Symbolique des vêtements*, Lugduni, 1964 ; M. Mauss, *Manuel d'ethnographie*, Paris, 1967 ; A. de Puigaudeau,

Arts et coutumes des Maures, *H.T.*, fasc. 3, 1968 ; E. Westermarck, *Histoire du mariage*, vol. IV, Trad. A.V. Gennep, Paris, (sans date).
أحمد جوماني

الدّرّاق، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الأخماس، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عروز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1615.

محمد ابن عزوز حكيم

الدّرّاق (أسرة سوسية ـ فاسية) ← **أدرّاق**

الدّرّيج، أسرة تطوانية تنتمي إلى الأنصار من أصل أندلسي. انتقلت أولا إلى برّ العدوة لتتخذ من سبتة سكناً لها. وتستقر أخيراً في تطوان بعد سقوط سبتة في يد النصارى عام 818.

ومن تطوان انتقل بعض أفرادها إلى فاس، ليصبح لأسرة الدريج حضور بين الأسر الأندلسية بكل من حاضرتي فاس وتطوان.

ويتفق الذين تحدثوا عن هذه الأسرة، بأن سلسلة نسبها يتصل بجدهم الأعلى، الشيخ أبي يعلى طلحة بن عبد الله الدرّيج، السبتي النشأة، دفين تطوان، وصاحب الضريح المشهور بها (كان حيا عام 832).

وقد ثبت هذا النسب حسب سليمان الحوات "في الكثير من صدقاتهم، التي هي بخط جملة من أعيان العدول، بالحضرتين الفاسية والتطوانية، أهل الضبط والتحري من العلماء الموثقين بهما". ولذلك أورد الحوات في تقييد سلسلة هذا النسب، بتسمية رجاله إلى حدود الجد الأعلى لأسرة الدرّيج، الشيخ أبي يعلى طلحة الدريج.

غير أن الذين تحدثوا عن هذه الأسرة يذكرون أن الشيخ سيدي طلحة من نسل قاضي سبتة وخطيبها العلامة المحدث ولي الله أبي محمد عبد الله الدراج الأنصاري دون تحديد علاقة هذه القرابة إن كان طلحة ينزل فيها ابناً للمذكور أو حفيداً من أحفاده.

وقد اجتهد الحوات في تفسير التحول الذي حدث في اللقب وانتقاله من صيغة الدراج إلى الدريج.

وفي تقييد بخط المؤرخ عبد السلام بنسودة نقلا عن بعض الطرر الموثقة، يرد لقب هذه الأسرة منذ البداية بصيغة الدرّيج. وهي تقييدة تعرف بهذا القاضي وتذكر أحواله بما نصه : "قاضي مدينة سبتة وديار جبالها السبعة الشيخ الإمام الفقيه المالكي النوازلي الخطيب البالغ الصوت المحدث الولي الصالح والذرية الصالحة أبو محمد عبد الله المعروف بالدريج، من عقب عبادة بن الصامت، أحد النقباء، الخزرجي الأنصاري، الغرناطي الأصل، الأندلسي ثم السبتي، المتوفى بها قاضيا في أوائل المائة الثامنة، ودفن بخارجها. وقبره بها مشهور يتبرك به". من خط محمد بن علال القادري.

ومعلوم أن القاضي أبا محمد عبد الله الدريج الذي تعنيه هذه التقييدة هو غير القاضي أبي عبد الله محمد بن عمر ابن الدراج السبتي الأنصاري (ت. 693) الكاتب الأديب المؤلف لكتاب *الكفاية والغناء في أحكام الغناء*، وغيره من المؤلفات الأخرى. فهذا الأخير وإن كان سبتيا وأنصاريا، فأصوله ترجع إلى تلمسان، وليس إلى الأندلس كسابقه، وقد تولى في مرحلة من عمره قضاء سلا، واشتهر بكنية سلفه ابن الدراج، كما اشتهر بهذه الكنية أبناؤه من العلماء بعده. (انظر ابن الدراج).

ويتبين مما سبق أن الولاية والصلاح كانتا الميزة التي عرفت بها أسرة الدريج، وهي ما تزال في سبتة مع قاضي سبتة الشيخ عبد الله الدريج الذي وصف بالولاية والصلاح ؛ أو حين استقرارها بضاحية تطوان، مع الشيخ سيدي طلحة، الذي جمع بين الولاية والصلاح والعلم والجهاد. وقد تسلسل بعض هذه الصفات في عقبه المستقر بكل من حاضرتي تطوان وفاس.

ولفضل هذه الأسرة، وجلالة موقعها العلمي والاجتماعي، ألّف الشيخ سليمان الحوات، تقييده الشهير في بني الدريج، اعترافا لما أحرزوا عليه من "جلالة المنصب، علماً وولاية، بكل من عدوتي المغرب [والأندلس، إذ] لهم فيها الزوايا الواسعة الحرمة، والمزارات التي تنكشف عندها عن الزائر الغمّة".

فأصل هذه الأسرة كما ألمعنا قبل، من الأندلس، وبالضبط من حمراء غرناطة. نزحت إلى سبتة من برّ العدوة لتستقر بها إلى حين. وقد ظل انتماؤها الأندلسي ثابتاً يذكر في أنساب المتأخرين من أبنائها، بل إن أسرة الدريج بعد تشييد مدينة تطوان، تصبح ضمن الأسر الأندلسية الشهيرة بها، فتحتل بذلك، وبما ورثته من علم وولاية، مركزا مهما في بيئة تطوان الاجتماعية، وبين أسرها، " فصاروا في عداد البيوتات الأندلسية بتطوان المحروسة، ومن أهل الحرمة التي أبقاها السلف للخلف، مع التخلق بالعلم والعمل، والتعلق بعوامل الحسب والنسب".

ومما يلاحظ أن هذه الأسرة رغم فضلها لم تتسع فتكثر بيوتها. بل ظلت محدودة الأفراد، حتى إن الشيخ أبا الربيع الحوات وهو يجمع تقييده في هذه الأسرة، يعدد حسب علمه الموجودين من أبناء الدرّيج على عهده في تسعة أنفار. اثنان منهم بتطوان، هما : الفقيه أبو حامد العربي بن عبد السلام الدريج، وابن أخيه الطالب محمد ابن الفقيه الأجل أبي الحسن علي بن عبد السلام الدريج. وسبعة منهم بحضرة فاس، وهم من عقب الفقيه الأديب محمد بن محمد الدريج (ت. 1126) الذي انتقل إلى سكنى فاس أواخر

القرن الحادي عشر للهجرة.

ويذكر محمد داود أن أسرة الدريج قد انقرضت من تطوان، وأن الموجود منهم الآن بتطوان، إنما هم ممن ورد عليها من فاس حوالي منتصف القرن الرابع عشر (20 م).

س. الحوات، *تقييد في بني الدريج*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 3 : 217 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 77 ؛ 3 : 14 ؛ ع. ابن سودة، *كناشة عبد السلام بنسودة*، مخطوطة ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، 3 : 43 ؛ التجيبي، *برنامج التجيبي*، 167 ؛ *برنامج الوادي آشي*، 130 ؛ *الوافي بالوفيات*، 2 : 141 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 248 ؛ م. المنوني، *ورقات*، 345 ؛ ابن الحاج النميري، *مذكرات*، [نسخة مرقونة] ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 2 : 298 ؛ 3 : 14 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط، 4 : 53.

الدُّرَيج، طلحة بن عبد الله السبتي، يكنى أبا يعلى، الأندلسي الأصل، السبتي النشأة، دفين تطوان وصاحب الضريح المشهور بها. أصل سلفه من غرناطة. ثم انتقلوا إلى سبتة حيث نشأ بها الشيخ أبو يعلى طلحة الدريج.

لا يعرف له بالضبط تاريخ ولادة ولا تاريخ وفاة، غير أنه كان حياً في النصف الأول من القرن التاسع (15 م).

فيرد ذكره بشكل صريح سنوات 830 و831 و832 وهو يتزعم المجاهدين فيقود الحملات ضد النصارى لمحاصرة بلده سبتة المحتلة، والعمل على تحريرها.

ولاشك أن الشيخ طلحة كان ممن شاهد مأساة سقوط بلده سبتة في يد النصارى عام 818.

وقد تحدث الذين ترجموا له عن نشأته بسبتة واستفادته من شيوخها وعلمائها، حتى إذا ما ظهر فضله، وبان علمه، انتقل إلى بعض البوادي القريبة من سبتة بطلب من أهلها، وباستئذان من أمير سبتة العزفي آنذاك.

وحسب سليمان الحوات في التأليف الذي خصّ به أولاد الدريج، فإن البادية التي انتقل إليها الشيخ طلحة هي نفس المدشر الذي كان به استقراره، ومدفنه، حيث يوجد اليوم ضريحه بتطون من أعلاها.

وعندي أن انتقال الشيخ طلحة إلى مستقره الجديد يكون في الأغلب غداة سقوط بلده سبتة في يد النصارى. ففي أسلوب الحوات وقد نقل عمن سبقه بالترجمة للشيخ المذكور ما يفيد أن نزول الشيخ بهذا المحل حيث مدفنه الآن - كان بهدف تنظيم العملية الجهادية بتعبئة المجاهدين والإغارة على النصارى المحتلين لسبتة. "..ثم لما ظهر أمره... وكانت بادية سبتة القريبة منها خالية من أمثاله، لا جرم طلبوه من بعض أمرائها العزفيين ليهتدوا بأنواره ويستجيروا بجواره، فأجابهم إلى ذلك في الحين رغبة في إصلاح حالهم بالعلم والدين وإعلاء كلمة الله بالاستعداد إلى قوة الرباط في ثغور الجهاد. وأنزله رضي الله عنه في محلتهم بمجشر واسع العمارة يقال له خندق الفرجة، فيه عين من الماء الغزير. وكان قويا، شهما، كميا، قرنا، طويل القامة، أسمر اللون، يلبس جبة خضراء، له فرس يركبه للجهاد ويقتحم به أعداء الله في كل واد. وتخلق أهل المنزل بأخلاقه من النجدة والبأس ورباط الخيل لإرهاب عدو الله وعدوهم. فكانوا يركبون معه في خمسين فارسا، كل منهم في الحرب أسد هصور... إلى أن توفي رحمه الله ودفن بمتعبده من المجشر المذكور حيث روضته الآن".

أما المقصود بالأمير العزفي الوارد في هذا النص فهو القائد صالح بن صالح العزفي، وهو الذي كان يتولى سبتة عند سقوطها في يد النصارى. وقد ظل فيما بعد يتزعم قيادة المجاهدين لأجل تحريرها. وسيصبح فيما بعد أيضا واليا على طنجة من قبل السلطان المريني وسيكون له تأثير في هزيمة البرتغال عند محاصرتهم طنجة عام 841، والتفاوض معهم لأجل التنازل عن سبتة، مقابل السراح للأمير البرتغالي الأسير دون فيرناندو، الذي كان قد نقل رهينة إلى فاس.

يؤكد هذا ما ورد في نقول وتقاييد جمعت في كتيب أسماه صاحبه "*الاستبصار والتفكر والاعتبار، في أهم ما ورد من الاخبار، عن كفاح المجاهدين الأبرار، من أجل مطاردة النصارى الكفار، عن جميع المدن والأمصار*". عند الحديث عن السنوات التي أعقبت سقوط سبتة ومحاولات المجاهدين لاسترجاعها بما نصه : "... ثم قال صاحب *الكناشة* : إنه وجد بتقييد مجهول صاحبه بأنه عند انسحاب جيوش السلطان لم يرتفع الحصار البري على المدينة، بل واصله أهل القرى المجاورة لها طيلة سنة 822 ، وأنه في سنة 823 تزعم هذا الحصار القائد صالح بن صالح العزفي، وهو الذي كان يحكم سبتة عند سقوطها بأيدي النصارى. واستمر الحصار إلى منتصف سنة 829 بدون انقطاع رغم الإمدادات التي كانت تصل إلى النصارى من البرتغال".

وقد ظن محمد داود حين اطلاعه على قول أبي الربيع الحوات السابق الذكر أن المقصود بالأمير العزفي هو أحد العزفيين ممن حكموا سبتة في دولتهم خلال النصف الثاني من القرن السابع (13 م)، وتبعا لذلك رجح كون الشيخ أبي يعلى طلحة الدريج هو من رجال القرن السابع. والواقع أن الرجل من رجال القرن التاسع (15 م).

وينفرد الكتيب المذكور وفي نفس السياق بنقل تقاييد تاريخية على جانب كبير من الأهمية، تلقي مزيدا من الأضواء على شخصية أبي يعلى طلحة الدريج ونشاطه في الجهاد فيقول : "... ونقلا عن نفس المصادر يقول صاحب *الكناشة* : إنه في سنة 860 تزعم الرباط على سبتة الولي الصالح الشريف البركة سيدي طلحة الدريج صاحب الضريح المشهور بتطاون، ويقول : إن هذا الرباط ابتدأ في شهر ربيع الأول من سنة 830، وكان عدد المرابطين يفوق الأربعمائة رجل. ويقول إن أهم العمليات التي قام بها

سيدي طلحة، كان الهجوم الذي قام به ضد المدينة في شهر ذي القعدة سنة 831، وآخر وقع في شهر شوال سنة 832".

ورغم أن هذه التقاييد استمرت تتحدث عن نشاط المجاهدين بعد هذا التاريخ فإنه غاب عنها ذكر سيدي طلحة مما يترجح معه أن وفاة الرجل حدثت في وقت قريب من ذلك.

والملاحظ أن الذين ترجموا للمجاهد طلحة نوهوا بولايته وصلاحه وبركته. ولا يذكر اليوم إلا بهذه الصفة، فيشار فضله في ذلك وتذكر كراماته، ولا سيما حين يصبح ضريحه مقصد الزيارة والانتفاع، حتى إن الشيخ أحمد الرهوني حين يترجم له بين صلحاء تطوان في كتاب *عمدة الراوين*، يركز على كرامته في مداواة زائري ضريحه من المرض بالحمى.

س. الحوات، *تقييد في أولاد الدريج*، مخطوط ؛ الفقيه الشراط، *الاستبصار*، 30 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 4 : 53، مخطوط ؛ محمد داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 77 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 4 : 95 ؛ م. ابن عـزوز حكيم، *لماذا نطالب باسترجاع مدينتي سبتة ومليلية*، تطوان، 1979.

عبد الله المرابط الترغي

الدّريج، محمد بن مَحمد (الحاج -)

الأندلسي التطواني ثم الفاسي، الفقيه النزيه النبيه الصالح العابد الناسك المقرئ المجوّد. ينتسب إلى الولي الصالح الشهير طلحة الدريج. من حفدة الفقيه القاضي المحدث أبي عبد الله الدراج الأنصاري السبتي من ذرية الصحابي الجليل عبادة بن الصامت.

ولد بتطوان ونشأ بها وأخذ عن علمائها. وكان من مريدي الشيخ أحمد بن عبد الله مَعن الأندلسي وحج معه، كما صحب أحمد اليمني حتى صار من أهل التثبت والإتقان في طريق العرفان.

توفي عام 1126 / 1714 بفاس، ودفن قرب قبة سيدي مَحمد بن عبد الله معن خارج باب الفتوح.

م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 2 : 298 ؛ القادري، *نشر المثاني*، 2 : 110 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 4 : 53 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 14.

محمد الأمين بوخبزة

درسة (جبل يشرف على تطوان) ← **درقة**.

درعة (نهر ومدينة وإقليم)، اكتسبت كلمة درعة من خلال كتابات مؤرخي العصور الوسطى وجغرافيي ورجالاتهم المدلولات الثلاث الآتية :

أ ـ مدلول النهر : كانت كلمة درعة، تطلق في عرف كتاب العصور الوسطى، على النهر الكبير، الذي تنبع روافده الأساسية (نهر دادس، نهر ورزازات) من جبال الأطلس وجبل سيرّوا، وبعد رحلة طويلة عبر سلسلة من الواحات بالأطلس الصغير يصب في المحيط الأطلسي شمال مدينة طان طان الحالية. وأقدم إشارة مكتوبة بهذا المعنى وردت في جغرافية الفزاري، أحد كتاب البلاط العباسي في أواخر القرن الثاني (8 م)، فقد صنف هذا الجغرافي نهر درعة ضمن أنهار "سوس وأعظمها وأكبرها.. يخرج من جبل البقرة ويمر على سجلماسة ثم درعة قبل أن يصب في البحر الأعظم" (*جغرافية الفزاري*، 4) ولاشك أن قول الفزاري إن نهر درعة يمر على سجلماسة خطأ بين، مرجعه اعتماد صاحب الكتاب على السماع من الغرباء ورواد الآفاق في تدوين الأخبار. وفي القرن الخامس (11 م) باتت المعلومات عن نهر درعة أكثر دقة مع أبي عبيد البكري الذي ذكر بأن منبعث نهر درعة من جبل درن وجريته من الشرق إلى الغرب (*المغرب*، 155).

وبالرغم من هذه الدقة في معلومات البكري عن نهر درعة فإن الشريف الإدريسي في القرن السادس (12 م) يقع في نفس خطأ الفزاري حيث ذكر أن نهر درعة يمر على سجلماسة (*وصف إفريقيا الشمالية*، 38). وقد نقل صاحب *الاستبصار* معلوماته عن درعة عن أبي عبيد البكري دون أن يضيف أي جديد (*الاستبصار*، 206).



وأصبحت معلومات ابن خلدون عن نهر درعة أكثر وضوحا ودقة، حيث ذكر بأنه النهر الأعظم المنحدر من جبل درن إلى القبلة (الجنوب) مغربا إلى الصحراء والرمال ويمتد إلى أن يصب في البحر ما بين نون وودان (شمال موريطانيا الحالية) وحفا فيه قصور لا تحصى، شجرتها النخيل (ابن خلدون، 6 : 88). وبنفس المعنى ورد وصف نهر درعة عند الحسن الوزان في مطلع القرن العاشر(16 م). إذ يؤكد أن هذا النهر يفيض في فصل الشتاء حتى كأنه بحر، ثم يجف طوراً آخر حتى يمكن عبوره على الأقدام (*وصف إفريقيا*،

2 : 118) أما مارمول الغرناطي في أواسط القرن العاشر. فقد جاء بنفس المعلومات التي وردت عند الوزان، وعوَّض كلمة درن بكلمة جبال الأطلس عند إشارته إلى منبع نهر درعة (*إفريقيا*، 3 : 144).

ب : مدلول المدينة : وردت كلمة درعة كمدينة عند مؤرخي وجغرافيي العصور الوسطى الإسلامية، إلا أن هؤلاء لم يتفقوا على اسم هذه المدينة وموقعها، وأقدم إشارة مكتوبة عن مدينة درعة ترجع إلى القرن الخامس (11 م)، فقد ورد عند البكري "بأن مدينة درعة يقال لها تيُومتينْ وهي قاعدة درعة.. آهلة عامرة بها جامع وأسواق جامعة ومتاجر رابحة وهي في شرف من الأرض (*المغرب*، 155 ـ 156).

وقد علق صاحب *طليعة الدعة* في القرن الثاني عشر (18 م)، على ما ذكره البكري فقال : إن مدينة تيومتين، لا أظنها الآن في عرفنا والله أعلم إلا بلد تمتيك، ويدل على ذلك آثار مدينة خالية بها، في شرف من الأرض لم يبق إلا أساس سورها وأبراجها وهي في نهاية من الكبر ومقبرتين عظيمتين قد اندثرتا، تدلان على عمارة المدينة وكثرة الناس بها" (*طليعة الدعة*، 3).

أما الشريف الإدريسي فذكر أن درعة ليست مدينة يحوطها سور، وإنما هي قرى متصلة وعمارات متقاربة.. وهي على نهر سجلماسة (*وصف إفريقيا الشمالية*، 38).

ويذكر ابن القطان في القرن السادس (12 م) أيضاً، أن مدينة درعة في زمنه هي حصن تزاگورت (*الجمان*، 93) أما صاحب *الاستبصار* في أواخر نفس القرن، فقد اكتفى بذكر مدينة درعة، ليتكلم لنا عن درعة ككل (*الاستبصار*، 206).

وفي القرن السابع (13 م) يذكر ياقوت الحموي في *معجم البلدان* أن درعة مدينة صغيرة بالمغرب بينها وبين سجلماسة أربعة فراسخ أكثر تجارها اليهود (*معجم البلدان*، 2 : 451) أما ابن خلدون الذي عاش في القرن التالي فذكر بأن مدينة درعة هي تادنست، بلد كبير يقصده التجار للسلم في النيلج وانتظار خروجه بالصناعة (*ابن خلدون*، 6 : 89) وعلق صاحب *طليعة الدعة* بأن مدينة تدنست قد تكون هي تيدري بالمدخل الشمالي لواحة اكتاوة، أو تيدسي وسط واحة ترناتة، لأن في هاتين البلدتين من درعة من الخراب ما يدل على عمارتها وحضارتها سابقا (*طليعة الدعة*، 2).

ونرجح أن تكون مدينة درعة في عصر ابن خلدون هي تيدسي القديمة وسط واحة ترناتة، وما تزال أطلال هذه المدينة قائمة إلى اليوم بالقرب من قصر تيدسي الجديد، وتعرف هذه الأطلال بالقصر الخالي، ولعل ما يؤكد ما ذهبنا إليه أن اسم تيدسي قد ورد في بعض نسخ تاريخ ابن خلدون (*حضارة وادي درعة*، 132) كما أننا عثرنا على وثيقة بزاوية سيدي أحمد بن علي جبار المكسور بترناتة، تؤكد على أنه في القرن التاسع (11 م) كان يوجد بالقرب من أطلال تيدسي سوق كبير، تلتقي فيه القوافل التجارية من كل الجهات، ومايزال مكان هذا السوق في براح من الأرض يعرف اليوم بحدبْ سيدي الحاج عبد الله.

وقد غاب الحديث عن مدينة "درعة" في مصادر ما بعد ابن خلدون، مما يؤكد أن كتاب العصور الوسطى كانوا يعتمدون على السماع من الغرباء ورواد الآفاق لجمع معلوماتهم عن هذه الجهة أو تلك، وتدوينها في مصنفاتهم دون التدقيق في صحتها.

وفي مطلع القرن العاشر (16 م) تحدث الحسن الوزان عن القرى الكبيرة المبنية على حفافي نهر درعة (*وصف إفريقيا*، 2 : 118) وتحدث مارمول الغرناطي في أواسط نفس القرن، عن أكثر من ثماني مدن بدرعة تتجاوز ساكنة كل مدينة منها أربعة الآف نسمة (*إفريقيا*، 3 : 146 ـ 151) فهل ازداد عدد سكان هذه القرى، بفضل جهود السعديين في توفير ظروف الأمن والاستقرار بدرعة حتى تحولت إلى مدن صغيرة بمفهوم ذلك العصر ؟ خاصة أن مارمول كان شاهد عيان حيث زار بلاد درعة غير ما مرة على ما يبدو، في عهد السلطان محمد الشيخ وابنه عبد الله الغالب.

ج : المدلول الثالث : ويتركب من ثنائية تجمع كلمة درعة إلى ما أسندت إليه مثل بلاد درعة، إقليم درعة أو عمالة درعة نصادف هذه الثنائية في كتب الإخباريين الذين كانوا يدونون أخبار سلاطين الدول التي تعاقبت على حكم المغرب أثناء عملياتهم العسكرية بالمنطقة، كما نصادفها في المراسلات الرسمية والخاصة وفي الظهائر السلطانية وأحياناً في بعض الوثائق المحلية، كما نصادفها في كتب الرحلات السفارية والحجية وكتب المناقب والتراجم، حيث كان أصحابها يرصدون أخبار الفقهاء وأهل الصلاح ببلاد درعة. وقد أصبح هذا المدلول يطلق في عرف المؤرخين الرسميين. والمخزن المغربي منذ العهد المرابطي إلى مطلع القرن العشرين على المنطقة التي تمتد من أفَلاً ندري (أعلى درعة) بالمدخل الشمالي لواحة مزگيطة إلى المدخل الجنوبي لواحة المحاميد على مشارف الصحراء الكبرى.

معطيات جغرافية : تتشكل بلاد درعة من ست واحات تمتد بشكل مسترسل على حفافي نهر درعة على طول يقدر بحوالي 200 كيلو متر، وهي من الشمال إلى الجنوب : مزگيطة، تينزولين، ترناتة فزواطة، اكتاوة ثم المحاميد. وتحتل هذه الواحات موقعاً متميزاً في الجنوب الأوسط من المغرب ضمن مجال الأطلس المتوسط. تجاورها غرباً بلاد سوس ومن الناحية الشرقية وادي تازرين وتاغبالت وحمادة قم ـ قم وزگدو، ومن الناحية الشمالية بلاد دادس وهسكورة ووزازات وتنفتح جنوبا على الصحراء الكبرى وبلاد إفريقيا الغربية. وتكتنف بلاد درعة جبيلات متوسطة الارتفاع أهمها جبل كيسانْ الذي يشرف على واحة مزگيطة وجبل

بوزروال وتودما بواحة تينزولين. ويشرف جبل باني على كل الواحات الجنوبية من ترنانة إلى المحاميد، ويمتد هذا الجبل على شكل قوس كبير يحتضن هذه الواحات، وتتخلله مجموعة من المسالك والممرات الطبيعية يطلق عليها محليا اسم "فم" أو تيزي (ثنية) مثل فم تانسيخت الذي يفصل بين واحتى تينزولين ومزگيطة، وفم تيدري الذي يفصل بين واحتي محاميد الغزلان واكتاوة، وفم ورتي الذي يربط بين بلاد درعة وبلاد دادس وتيزنتا فيلالت التي تربط بين درعة وبلاد تازرين... الخ

وتكتنف بلاد درعة هضاب شاسعة وقاحلة من جهات الغرب والجنوب ومن أهم هذه الهضاب هضبة لگرارة وكدية أولاد يحيى في مستوى واحتي تينزولين ومزگيطة وتشرف كدية الفانجية وحمادة درعة وقم وقم على باقي الواحات الجنوبية من جهات الغرب، والجنوب والجنوب الشرقي.

وقد تشكلت على شاطئ نهر درعة سلسلة من السهول الرسوبية الضيقة، وهذه السهول عبارة عن شريط زراعي يساير نهر درعة في منعرجاته من أفلاندرى جنوباً إلى أقصى نقطة بواحة المحاميد على مشارف الصحراء. وبفضل هذا الشريط الرسوبي الخصب ووفرة المياه بنهر درعة اشتهرت بلاد درعة خلال العصور الوسطى بمنتجاتها الزراعية الوفيرة. ومن أهمها الحنا والكمون والتمور والكرويا والنيلة وغيرها من المنتجات التجارية التي يتجهز بها إلى كل الجهات (*وصف إفريقيا الشمالية*، 38).

ولن نبالغ في شيء إذا قلنا إن هذه المنتجات الزراعية كانت وراء ارتياد تجار الآفاق للمنطقة، حيث كانت الأسواق تعقد على مدار الأسبوع بمختلف القصور المتناثرة على شاطئ الوادي (*المغرب*، 152 ـ 155).

ويظهر من إشارات الشريف الإدريسي أن الحركة العمرانية كانت مزدهرة بدرعة خلال العصور الوسطى، إلا أن المنطقة قد تعرضت في عصور لاحقة لخراب هذه العمارة نتيجة تعاقب دورات الجفاف الحادة، وتعرض المنطقة للأوبئة والأمراض الفتاكة، التي لا تكاد ترفع عن جهة، حتى تنزل ضيفا ثقيلا على جهات أخرى من البلاد (*الدرز المرصعة*، 121) ولعل ما يؤكد خراب عمران بلاد درعة هو وجود الأطلال المتعددة في غير ما واحة من واحات درعة (*طليعة الدعة*، 5 ـ 6).

السكان الأصليون بدرعة : تفيدنا بعض المصادر التاريخية أن السكان الأقدمين ببلاد درعة، كانوا من الكوشيين أو الإثيوبيين لسواد لون بشرتهم (Les recherches, 34) وكان هذا النعت يطلق في العصور القديمة على المجموعات البشرية السوداء التي كانت تنتشر بالأطراف الشمالية للصحراء الكبرى وبمناطق الواحات التي تمتد جنوب جبال الأطلس من توات شرقاً إلى وادي نون غربا (*Le Maroc Saharien*, 2 : 160 - 188). ويلاحظ أن هذه العناصر السوداء ببلاد درعة، قد امتزجت ببعض الطارئين على المنطقة من البيض، فنتج غن هذا الامتزاج عنصر مولد يجمع بين خصائص العنصرين، وهذا العنصر الخلاسي يعتبر أهم عنصر بشري استوطن بلاد درعة على مر العصور ليس من حيث العدد فحسب وإنما أيضاً من حيث الارتباط بالأرض وقدرته العالية على التكيف مع كل المستجدات التي كانت تطرأ على المنطقة بوصول موجات من قبائل البدو الصحراويين أو الجبليين، ويرى عدد من الباحثين بأن هذه المجموعات البشرية الخلاسية هي أسلاف الحراطين الذين لا يزالون يشكلون إلى اليوم أهم التجمعات السكانية بوادي درعة، ويعللون ذلك بشكل البناء الجسماني للحراطين وبالسمات العامة لملامح الوجه ونوعية شعر الرأس، ومجمل العادات والتقاليد التي تضرب بجذورها في عمق الصحراء وإفريقيا الغربية (*Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 1 : 294)

تعتبر القبائل الأمازيغية من الصنهاجيين والزناتيين من أهم المجموعات البشرية التي استوطنت بلاد درعة في العصور التاريخية واستبدت بالمجموعات السوداء أو الخلاسية، وقد وصل الأمازيغيون، إلي واحات درعة على دفعات متتالية :

الصنهاجيون : ينحدر الصنهاجيون من أصول غامضة ومبهمة، ويرى عدد من الباحثين مثل كاسربيل كامبس (G. Camps) وسطيفان گزل (Gsell) أن الصنهاجيين ينحدرون من قبائل المازيك التاريخية، وقد كانت هذه القبائل تنتشر في عدة مناطق جنوب جبال الأطلس الكبير إلى التخوم الصحراوية (*Libyca*, 27) ولعل ما يؤكد أن قبائل المازيك هي أسلاف القبائل الصنهاجية أن هذه الأخيرة تؤكد وبنوع من السند المتواتر أن جدها الأعلى هو مازيغ بن كنعان (*الترجمانة الكبرى*، 58) ومازالت قبائل أيت عطا التي تعتبر من صميم صنهاجة الصحراء تفتخر على أندادها من القبائل الأخرى أنها تنحدر من الأمازيغيين (*Les Aït Atta du Sahara*, 30) وتدل كل المعطيات التاريخية على مجالات انتشار القبائل الصنهاجية خلال العصور الإسلامية هي نفس المناطق التي كانت تنتشر فيها في العصور القديمة (*قبائل المغرب*، 1 : 329) حيث ما تزال آثار هذه القبائل مطبوعة على أسماء الأعلام والمواقع الجغرافية.

الزناتيون : كانت القبائل الزناتية تتجاور مع القبائل الصنهاجية من الناحية الشرقية (الصحاري الشرقية بشكل خاص) وتعتبر القبائل الزناتية هي المنافس التاريخي والتقليدي" للقبائل الصنهاجية، حيث كانت المجموعتان تتغالبان على مواطن الكلأ والرعي وتتبادلان السيطرة على المسالك التجارية الصحراوية، وكان من نتائج هذا التدافع بين الصنهاجيين والزناتيين تداخل مجالات انتشارها في الجنوب الأوسط والجنوب الشرقي من البلاد إلى درجة أن جل الباحثين كانوا يرتبكون في العودة ببعض البطون الأمازيغية الصغرى بمناطق الواحات إلى أصولها الكبرى.

ونستفيد من بعض الإشارات التاريخية أن الرومان قد تقدموا بقواتهم في بداية العقد الخامس من القرن الميلادي الأول إلى منطقة گير جنوب الأطلس الكبير *Histoire du* (*Maroc*, 1 : 51) فشردت القبائل الزناتية المنتشرة بهذه الجهات أمام القوات الرومانية، وتقدمت نحو بلاد درعة، إلا أن هذه الدفعة من الزناتيين ما لبثت أن ذابت في القبائل الصنهاجية واندمج بعضها في القبائل الدراوية من المستقرين.

وفي القرن الثالث الميلادي قام الرومان على عهد أسرة سيڤر (Severe) بعمليات الترحيل القسري والطرد الجماعي للقبائل الزناتية من رعاة الإبل من الأراضي الزراعية الخصبة والدفع بها نحو المناطق الصحراوية القاحلة فوصلت أعداد كبيرة من هذه القبائل إلى واحات درعة (*تاريخ إفريقيا الشمالية*، 1 : 219).

كانت القبائل الزناتية الطارئة على وادي درعة في أوج عنفوانها البدوي، فاستبدت بقبائل المستقرين ودفعت بالقبائل الصنهاجية نحو التخوم الصحراوية *Esquisse* (*d'une histoire du Sahara*, 43 - 46) ويعزى إلى القبائل الزناتية إدخال مجموعة من المؤثرات الحضارية إلى وادي درعة، حيث ما تزال آثار هذه المؤثرات قائمة إلى اليوم في الأساليب الزراعية وأسماء النباتات وطرق الري.

ولما وصل الإسلام إلى الجنوب المغربي في العقود الأخيرة من القرن الهجري الأول، وجد القبائل الزناتية في أوج قوتها ويظهر أن سابقة هذه القبائل بالشمال الإفريقي وانتظام عدد من رجالها ضمن جيش الفاتحين (*فجر الإسلام بالأندلس*، 40 - 50). قد لطف من غلواء الروح البدوية لهذه القبائل وبات شيوخها وأهل السابقة منهم في الإسلام يتطلعون إلى تعزيز وتقوية دور قبائل زناتة بواحات زيز ودرعة، وقد تحقق للزناتيين ما أرادوا بعد قيام إمارة الخوارج الصفرية بتافيلالت سنة 140. اضطلعت القبائل الزناتية بدور أساسي في بسط نفوذ هذه الإمارة على بلاد درعة، وفرض أمراء سجلماسة الخمس على ما يستخرج من معادن بالوادي (*الخوارج في بلاد المغرب*، 124) وظلت القبائل الزناتية مستبدة بكل مرافق بلاد درعة إلى أن فاجأتهم حركة المرابطين بقيادة عبد الله بن ياسين في أواسط القرن الخامس الهجري. وقد أنهت الحركة المرابطية هيمنة القبائل الزناتية ببلاد درعة لتحل محلها القبائل الصنهاجية من جديد.

بلاد درعة في العهدين المرابطي والموحدي : خرجت مناطق الواحات بزيز ودرعة، منهوكة القوى من الحروب الطاحنة والصراعات السياسية التي دارت بهذه الجهات طيلة القرن الرابع (10 م) (*أعمال الأعلام*، 145 ـ 151) وكانت القبائل بهذه المناطق هي التي أدت ثمن هذه الصراعات من أموالها وأرواح رجالها، فلما تمكن بنو خزرون المغراويون، من بسط سيادة القبائل الزناتية على سجلماسة وبلاد درعة أساؤوا السيرة مع السكان وأفرطوا في استحلاب الأموال.

وكانت قبائل مسوفة وسرتة وتارگة الصنهاجية من أكثر القبائل المتضررة من السياسة الجبائية لمسعود بن وانودين المغراوي، الذي تولى الحكم مع بداية العقد الثاني من القرن الخامس الهجري، وبلغ به عسفه أنه احتكر مراعي بلاد درعة لإبله ومنع قبائل الرعاة الصنهاجية من ارتيادها، فاستصرخوا عبد الله بن ياسين الذي وجدها فرصة سانحة للزحف على درعة وإنهاء هيمنة القبائل الزناتية بها.

لاشك أن بلاد درعة، نظراً لموقعها الجغرافي المتميز بين المجال الجبلي والمجال الصحراوي، كانت تشكل محطة أساسية في الخريطة السياسية للمشروع المرابطي، خاصة أن عوامل الزمن لم تستطع أن تقضي نهائياً على الروح العصبية والوشائج الدموية والعرقية لبقايا القبائل الصنهاجية بدرعة، وتعلقها بأخواتها بالمجالات الصحراوية، لذلك نلاحظ أن الدولة المرابطية بعد تمكنها، كانت تخص بلاد درعة بحكام من خلص القبائل الصنهاجية وكبار القادة في سلم مسؤولي الدولة مثل داود بن عائشة اللمتوني (*روض القرطاس*، 142).

ويتضح من خلال التطورات الاجتماعية والاقتصادية التي طرات على واحات درعة خلال النصف الثاني من القرن الخامس (11 م)، أن الدولة المرابطية، قد أولت عناية خاصة لهذه المنطقة، ويرجع ذلك في اعتقادنا إلى أهمية المنافذ التجارية بالوادي ولما ينتج فيه من مزروعات مثل التمور والحنا والنيلة وغيرها، وهي مواد مطلوبة في التبادل التجاري بإفريقيا جنوبي الصحراء.

ونستشف من إشارات أبي عبيد البكري، أن سكان درعة قد ارتفع عددهم بشكل ملموس إبان العهد المرابطي فانتشر العمران لمسافة سبعة أيام وازدهرت الزراعة على حفافي النهر وعم الرخاء، وكانت الأسواق تعقد على مدار الأسبوع (*المغرب*، 155).

وإذا كان من شيء يستخلص من إشارات البكري، فإن ذلك يتجلى في نجاح الدولة المرابطية في توفير ظروف الأمن والاستقرار ببلاد درعة، وأن هذا الاستقرار ساهم في الرفع من المنتجات الزراعية خاصة المنتجات المطلوبة في التبادل التجاري محلياً وجهوياً.

وما كاد المهدي بن تومرت يعلن عن دعوته ويكشف عن مشروعه السياسي في أواسط العقد الثاني من القرن السادس (12 م) حتى قاد بنفسه الغزاة الثامنة إلى بلاد درعة فاستولى على حصن إسليمْ بواحة مزگيطة، ثم توجه إلى تزاگورت بالمدخل الجنوبي بواحة ترناتة فدخلها وسبى بها عدداً من العبيد ضمّهم إلى العبيد الذين أسرهم بأسليم وأسماهم عبيد المخزن (*أخبار المهدي*، 70) ويظهر أن المرابطين قد تمكنوا من استرجاع تزاگورت من الموحدين فأحاطوها بسور خارجي، إلا أن هذا السور لم يمنع عبد المومن بن علي الگومي من اقتحام تزاگورت سنة 526

وقتل عاملها يدرين ويجوط. وقد غابت عنا أخبار بلاد درعة بعد هذه العملية لما يزيد على عقد ونصف من الزمن، حيث وجه عبد المومن بن علي الكومي حملة عسكرية إلى وادي درعة والمناطق الجنوبية بقيادة أبي حفص الهنتاتي لوضع حد لتشغيب قبائل درعة سنة 541 وبعد انتهاء هذه العملية التمهيدية عين عبد المومن بن علي موسى بن عبد الصمد عاملاً على درعة، فاتخذ من تزاگورت مقراً لولايته، وبالرغم من الشدة التي سلكها في إرغام قبائل المنطقة على الخضوع لظل الدولة، فإن عمليات التشغيب ما لبثت أن تجددت فاضطر عبد المومن إلى أن يقود بنفسه حملة ردعية سنة 544 فأعدم حوالي ستمائة رجل من أعيان القبائل ورؤوس الفتنة بدرعة : (*Le Maroc Saharien*, 1 : 257).

ويظهر أن الموحدين نجحوا بعد هذه الحملة في توفير ظروف الأمن والاستقرار ببلاد درعة، ذلك أن الشريف الإدريسي الذي كان معاصراً للدولة الموحدية، يؤكد على انتشار العمران على حفافي نهر درعة من خلال سلسلة من القرى المتصلة والعمارات المتقاربة والمزارع الكثيرة التي تنتج بعض المزروعات التي يتجهز بها إلى كل الجهات (الإدريسي، 38).

ويؤكد صاحب *الاستبصار* نفس المعلومات، فيشير إلى وجود الجنات الكبرى، التي يستنبت فيها جميع الفواكه، خاصة التمور والزيتون، وحبّات التاكوت التي تستخدم في دباغة الجلود، إضافة إلى استخراج بعض المعادن بالمنطقة (*الاستبصار*، 206 ـ 208).

الهجرات العربية إلى بلاد درعة : تعتبر القبائل العربية آخر موجة بشرية عمرت بلاد درعة وأثرت بشكل كبير في الأرضاع الاجتماعية والاقتصادية بالوادي. ويسود الاعتقاد أن القبائل العربية وصلت إلى وادي درعة في موجتين :

أ ـ الموجة الأولى : قد تكون من المهاجرين العرب وصلت إلى وادي درعة خلال القرن الثاني (8 م) خاصة بعد قيام دولة بني مدرار بسجلماسة، ويرجح أن تكون هذه العناصر وراء محاولة تأسيس إمارة محلية بدرعة على غرار إمارة سجلماسة (*الخوارج في بلاد المغرب*، 124) وبعد فشل هذه المحاولة ذابت العناصر العربية المهاجرة في النسيج القبلي المحلي، ولم يكن لها أي تأثير يذكر.

ب : الموجة الثانية : وتتشكل من قبائل بني معقل التي ظلت تتدفق على واحات درعة منذ وقت مبكر من القرن السابع إلى غاية مطلع القرن العاشر (16 م). وتعتبر قبائل بني معقل أهم تجمع بشري من القبائل العربية نزح إلى بلاد درعة، وساهم في تعمير المنطقة إلى جانب قبائل الخلاسين (قبائل دراوة) والمجموعات الأمازيغية.

بدأت طلائع القبائل المعقلية تتدفق من الصحاري الشرقية إلى واحات زيز ودرعة منذ مطلع القرن السابع (13 م) ويظهر أن سواد بني معقل قد وجدوا في هذه الواحات ما يغري على التوسع والانتشار وممارسة الغزو. الذي يعتبر من السلوك اليومي عند هذه القبائل البدوية، وقد نتج عن هذا التدفق المعقلي صدام عنيف بين القبائل الصنهاجية والقبائل المعقلية التي كانت تتطلع إلى انتزاع المراعي الشاسعة بين تافيلالت ودرعة من يد القبائل الصنهاجية التي كانت تهيمن على المنطقة منذ العهد المرابطي، وقد أيقظ هذا الصدام المعلقي الصنهاجي ما كان كامنا في نفوس فلول القبائل الزناتية بمناطق الواحات، فانحاشت إلى بني معقل لتثأر من الصنهاجيين. وقد تمكن التحالف المعقلي ـ الزناتي من دحر العصبية الصنهاجية.

انشطر التجمع الصنهاجي إلى شطرين، تراجع أحدهما إلى المجابة الكبرى مشكلاً صنهاجة الصحراء في حين أن الشطر الآخر التحق بالمناطق الجبلية (*Esquisse d'une histoire du Sahara*, 68 - 69) أما بقايا الفلول الصنهاجية التي عجزت عن الظعن، فقد تحولت إلى الاستقرار والارتباط بالأرض ثم ما لبثت أن اندمجت بدورها في المجتمع المحلي شأنها في ذلك شأن فلول كل القبائل التي عبرت بلاد درعة في مختلف العصور.

ونستفيد من إشارات ابن خلدون، أن قبيلة أولاد حسين من فرع ذوي منصور المعاقلة، كان لها شفوف وظهور بوادي درعة، وقد كانت هذه القبيلة منذ أواسط القرن السابع (13 م)، تستغل بُعد واحات درعة عن عاصمة الدولة فتنطلق في عمليات تشغيب على سلاطين الدولة المرينية حيث تمارس غزو القصور والاستيلاء عليها بالقوة، ويذكر ابن أبي زرع أن السلطان أبا يوسف يعقوب المريني خرج سنة 669 / 1271 إلى بلاد درعة لغزو عرب المعقل الذين ملكوا حصونها وقلاعها وأبادوا بالنهب والقتل أهلها وأموالها (*القرطاس*، 307) ورغم هذه الحملة الردعية فإن بني معقل لا يكادون يخضعون حتى يثوروا من جديد. فقد ذكر ابن خلدون أن السلطان أبا يعقوب يوسف اضطر سنة 686 / 1287 إلى أن يقود بنفسه حملة ردعية قوية ضد بني معقل ببلاد درعة لما أضروا بالعُمران وأفسدوا السابلة فاستكثر من قطع رؤوس المشاغبين، وقد عُلقت هذه الرؤوس بشرفات مراكش وفاس وسجلماسة (*تاريخ ابن خلدون*، 7 : 290).

وبالرغم من هذه الحملات الردعية التي كان سلاطين الدولة المرينية ينظمونها ضد قبيلة أولاد حسين بدرعة، لإرغامها على الانضباط والدخول تحت ظل الدولة، فإنها لا تكاد تستقيم على الطاعة حتى تثور من جديد. وقد ظلت هذه القبيلة مصدر تشغيب على الدولة، ومصدر تعب ومشقة بالنسبة للمستقرين بدرعة.

وفي أواسط القرن الثامن (14 م) عين السلطان أبو عنان عبد الله بن مسلم الزردالي عاملاً على وادي درعة، فأدرك بحنكته السياسية وخبرته بتدبير شؤون القبائل أن معالجة مسألة قبيلة أولاد حسين ببلاد درعة، تكمن في

إشراك شيوخ هذه القبيلة في تدبير شؤون هذه الواحات، فاستصدر أمراً سلطانيا من أبي عنان يفوض لشيوخ هذه القبيلة أمر تحصيل اللوازم الجبائية من سكان الوادي، وأقطعهم بعض الأراضي بواحتي أكتاوة ومحاميد الغزلان. إلا أن سياسة إشراك قبيلة أولاد حسين في تسيير أمور الوادي، كانت له عواقب وخيمة على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، ذلك أن تشدد شيوخ أولاد حسين في استجلاب الأموال دفع بعدد كبير من المستقرين إلى التخلي عن الإنتاج الزراعي أو الهجرة من المنطقة.

ونستشف من إشارات ابن خلدون أن الجنوب المغربي، خلال النصف الثاني من القرن الثامن (14 م)، قد انفلت كلية من ربقة الأحكام، فاشتعلت الفتن بمناطق الواحات، وكان لقبيلة أولاد حسين دور بارز في هذه الفتن (*تاريخ ابن خلدون*، 7 : 424).

وتدل كل القرائن على أن قبيلة أولاد حسين نجحت إلى حد كبير في فرض مراقبتها على بلاد درعة، وباتت تتحكم في الأسواق المحلية والمسالك التجارية التي كانت تربط بين واحات وادي درعة وبلاد السودان، حيث كانت تفرض على قبائل الواحات المزيد من الإتاوات والوضائع، وعلى قوافل التجار التي تجوب المسالك الصحراوية وتطرق أسواق درعة ما كان يعرف في حينه بحق المرور أو حق الطريق.

وفي بحر القرن التاسع (15 م)، خاضت قبيلة أولاد حسين والقبائل المتحالفة معها حروباً طاحنة ضد حلف قبائل أيت واوزگيت التي بدأت تفرض وجودها بواحتي مزگيطة وتينزولين، وقد نجحت قبائل أيت واوزگيت في كبح جماح قبيلة أولاد حسين ومن على شاكلتها.

كان من عواقب هذه الحروب غياب سلطة الدولة المركزية بدرعةخلال القرن التاسع (15 م) وظهور المشيخات الكبرى بمختلف واحات درعة، وكانت مشيخة المزواريين بتينزولين من أهم وأبرز المشيخات الكبرى بدرعة على الإطلاق (*معلمة المغرب*، 7 : 2214) ولن نبالغ إذا قلنا إن مشيخة المزواريين قد تحولت في نهاية القرن التاسع (15 م) ومطلع العاشر (16 م) إلى إمارة حقيقية تمكنت بفضل ما توفر لها من أموال وقوة عسكرية من بسط هيمنتها على المنطقة الممتدة من أفلاً ندري بعالية مزگيطة إلى إيمي نتزاگورت جنوب واحة ترناتة.

وبعد نجاح الأشراف السعديين في اقتطاع المناطق الجنوبية من مملكة الوطاسيين (*استقصاء*، 4 : 151) انزعَجَ المزوار بن عمرو شيخ المزواريين بتينزولين في إبانه من استقلال السعديين بالجنوب وعول على محاربتهم ومنعهم من السيطرة على درعة، إلا أن أحمد الأعرج وبعزيمة أشد صلابة عول بدوره على إخضاع وادي درعة لسلطته مهما كلفه ذلك من ثمن، وهكذا اجتاز أحمد الأعرج جبال الأطلس سنة 944 / 1537 فجاس بخيله بلاد تافيلالت ثم عرج إلى درعة وأناخ بجيشه على مشيخة المزواريين، ولم يغادر الوادي إلا بعد استسلام المزواريين وإعلان بيعتهم للاشراف السعديين (*Le Maroc Saharien*, I : 457).

درعة على عهد السعديين والعلويين : بالرغم من أن الأشراف السعديين ينحدرون من وادي درعة فإن اهتمامهم العملي بهذه المنطقة لم يتحقق إلا بعد إخضاعهم للمزواريين سنة 944 / 1537 ، ومنذ هذا التاريخ أصبح وادي درعة يشكل محطة أساسية في المشروع السعدي.

وبعدما تمكن محمد الشيخ من أخيه أحمد الأعرج وأصبح سيد المغرب الأول ابتداء من سنة 951 / 1544 (*الاستقصا*، 5 : 17). عيّن ابنه عبد الله عاملاً على وادي درعة، فقرب إليه شيوخ قبيلة أيت واوزگيتْ، وركز كل جهوده على توفير ظروف الأمن والاستقرار بالوادي، فارغم قبيلة أولاد حسين ومن في لفها على الخضوع والانصياع لأوامر الدولة.

ولما تولّى أحمد المنصور السعدي أمر السلطنة بعد معركة وادي المخازن سنة 986 / 1578 وجه عنايته للمناطق الجنوبية بصفة عامة وواحات درعة بصفة خاصة. فأعاد تنظيم هذه العمالة وجدد تحصيناتها العسكرية واستحدث قصبات أخرى شحنها بالجيش والعتاد الحربي كما تشدد في معاملة القبائل المترحلة التي دأبت على التشغيب بهذه الجهات، وفي إطار هذه العناية الخاصة بدرعة كان السلطان يعهد بحكم المنطقة إلى أقربائه أو الخلص من رجال دولته.

وبعد فتح السودان سنة 998 / 1591، ازدادت أهمية وادي درعة وأصبحت طرقها تعج بقوافل التجار التي كانت ترتاد أسواق المنطقة من سوس وتافيلالت وشمال المغرب كما تحولت واحة محاميد الغزلان إلى مركز تجاري تتجمع فيه القوافل التجارية قبل توجهها إلى بلاد السودان تحت حماية جيش الدولة السعدية.

وبعد وفاة السلطان أحمد المنصور السعدي سنة 1012 / 1603 دخلت واحات درعة مرحلة من الصراعات السياسية والاضطرابات الاجتماعية استمرت ما يزيد على خمسين سنة انهار خلالها كل ما بناه أحمد المنصور. وهكذا انطلق الثائر أحمد بن أبي محلي من تافيلالت فاستولى على وادي درعة بعد ما هزم جيش زيدان السعدي بقيادة عبد الله الزيدة (*الاستقصاء*، 5 : 30).

وبعد مقتل ابن أبي محلي بمراكش سنة 1022 / 1613 تطلع يحيى الحاحي إلى الاستيلاء على وادي درعة بتنظيم غارات خاطفة على سكان الوادي، ورغم كثافة غارات قوات يحيى الحاحي على درعة، فإن الحاحي لم يتمكن من تحقيق هدفه في إخضاع الوادي إلى نفوذه.

وبعد وفاة يحيى الحاحي سنة 1035 / 1625 أصبحت طريق درعة عبر تارودانت مفتوحة أمام أمير تزروالت أبي حسون السملالي الذي كلف قائد جيشه عبد الله بن سعيد المراكشي بالهجوم على درعة والاستيلاء عليها، ولم يتمكن عبد الله بن سعيد من الاستيلاء على قصبة المخزن بواحة تينزولين إلا بعد ثلاث سنوات من الحصار وبعد نفاد

الأقوات عند الحامية السعدية بالقصبة (*إيليغ*، 59) ويظهر أن سيطرة أبي حسون السملالي على وادي درعة، قد ألحقت أضراراً كبيرة بالحركة التجارية وبعدد من القبائل التي كانت تستفيد من تجارة القوافل بين درعة وبلاد السودان، لذلك كانت القبائل تنظم غارات خاطفة على قوات السملاليين وترغمها على الاحتماء وراء أسوار القصبات التي تسيطر عليها (*إيليغ*، 86).

كان أبو حسون السملالي بعد تمكنه من السيطرة على الطرق التجارية بوادي درعة يتطلع إلى بسط نفوذه على محور تافيلالت فاستغل الماحكات التي ظهرت بين الأشراف السجلماسيين ومنافسيهم أولاد ابن الزبير بقصر تابوعصامت، ليتدخل في شؤون المنطقة، وبالرغم من أن السملالي جاء إلى تافيلالت لنجدة الأشراف العلويين، إلا أنه انقلب عليهم واعتقل عميد الأسرة إبانه الشريف بن علي وساقه أسيراً إلى إيليغ.

ومهما كانت الأسباب التي جعلت السملالي يعتقل الشريف بن علي فإن هذا الحادث قد أتاح الفرصة لمولاي مَحمد بن الشريف ليعلن عن رغبته في الإعلان عن ميلاد الإمارة العلوية.وقد استجابت قبائل تافيلالت والمناطق المجاورة لها لدعوة مَحمد بن الشريف (*إيليغ* ، 149) فتمكن من بسط نفوذه على واحات وادي زيز وإنهاء نفوذ السملاليين بها.

انزعج أبو حسون السملالي لهذا التطور الذي عرفته الإمارة العلوية مع مولاي مَحمد بن الشريف، وأدرك أنها باتت تشكل خطراً على نفوذه بدرعة، خاصة أن الأخبار التي بدأت تصل إلى إيليغ تؤكد على الاستعدادات الجارية بتافيلالت للانقضاض على وادي درعة، لذلك نلاحظ أن أبا حسون السملالي شكل في نهاية سنة 1049 / 1639 قوة عسكرية وأرسلها إلى وادي درعة لحماية المنطقة من أي هجوم علوي محتمل، وقد أحجم مولاي مَحمد بن الشريف على الدخول في مواجهة مباشرة مع السملاليين بدرعة، واكتفى بإرسال وفد عنه إلى إيليغ للتفاوض، وكان الوفد المشكل من بعض الأشراف العلويين قد حدد مسبقا النتائج التي ستنتهي إليها المفاوضات في انسحاب السملاليين من درعة، وألا يفكّروا في العودة إلى تافيلالت لأن العلويين قد أخذوها قهراً بحد السيف.

تأكد لأبي حسون السملالي ما كان يتوقعه من إمارة تافيلالت، وفي الوقت الذي كان فيه السملالي يخطط للمواجهة مع مولاي مَحمد بن الشريف كان هذا الأخير يحرك بعض أنصاره بدرعة لتأليب القبائل على السملاليين، وهكذا قامت قبائل أهل مزگيطة وحلفائها سنة 1050 / 1640 بالهجوم على قوات السملاليين بدرعة وألحقوا بها خسائر فادحة (*إيليغ*، 117).

اهتزت إمارة إيليغ لهذا الحدث، فشكل أبو حسون السملالي قوة عسكرية توجه بها إلى واحة مزگيطة لتأديب القبائل المشاغبة، فهدم عدداً من القصور وخرب السواقي، واستنفر أهل مزگيطة حُلفاء هم من قبائل إمغران وألحقوا خسائر فادحة بالسملاليين في معركة تمنوگالت، وأرغم أبو حسون السملالي على الرجوع إلى إيليغ وهو شبه مهزوم وذلك في الشهور الأولى من سنة 1051 / 1641.

كان المستفيد الأول من هذه الأحداث هو مولاي مَحمد ابن الشريف الذي استغل تراجع نفوذ السملاليين بدرعة، فوجه قواته التي اشتبكت مع السملاليين في معركتي بُودهيرْ وزاگورة بواحة ترناتة، ونستشف من بعض الرسائل الموجهة من مولاي مَحمد بن الشريف إلى أبي حسون السملالي أن معارك أخرى وقعت بين الإمارتين (*إيليغ*، 123) ورغم أننا لم نتمكن من تحديد تواريخ هذه المعارك، فإن كل الدلائل تؤكد أن أبا حسون السملالي خسر وادي درعة وأن المنطقة أصبحت منذ سنة 1061 / 1650 وبصفة نهائية ضمن مجال نفوذ إمارة العلويين بدون منازع.

تولى السلطان مولاي إسماعيل الأمر بعد وفاة أخيه الرشيد سنة 1082 / 1675 ، وقد ظل طيلة العقدين الأخيرين من القرن الحادي عشر (17 م) منشغلاً بمشاكل الثوار والخارجين على سلطة الدولة، وكان يكتفي بتعيين خليفة له بسجلماسة، ومنها تتوجه الأوامر إلى جهات الجنوب مثل توات وتيگورارين ووادي درعة وهذا يعني أن الوادي كان خاضعاً إدارياً لنفوذ الخليفة السلطاني بسجلماسة. ويظهر أن خليفة السلطان مولاي المامون بن إسماعيل قد عجز عن ضبط حركة القبائل من بقايا بني معقل وأيت عطّا، فاضطر السلطان في مطلع القرن الثاني عشر (18 م) إلى إحداث "محلاّت" عسكرية متنقلة لشد عضد الخليفة السلطاني ومد العون له لردع قبائل الرحل وحماية المسالك التجارية (*إلى ولدي المامون*، 12، 18، 21). إلا أن أسلوب المحلات العسكرية فشل في توفير ظروف الأمن والاسقرار لسكان وادي درعة فقرر السلطان استحداث عمالة خاصة بالوادي وذلك سنة 1111 / 1699 وعين على رأس هذه العمالة ابنه عبد الملك الذي استقر بقصبة أغلان بواحة ترناتة ورتب معه ثلاثة آلاف من الخيل (*الاستقصا*، 7 : 89).

لم تمض إلا ثلاث سنوات على ولاية مولاي عبد الملك بدرعة حتى فوجئ بثورة أخيه مولاي أبي النصر الذي هزم أخاه واستولى على درعة ونواحيها (*الحلل البهية*، 109)، فعين السلطان ابنه مولاي الشريف على درعة وزوده بجيش قوي، فتمكن من هزيمة أبي النصر واسترجاع المنطقة إلى حظيرة الدولة بعد فرار أخيه الثائر إلى الفيافي الصحراوية. إلا أن السلطان لم يكن راضياً عن الطريقة التي سمح بها مولاي الشريف لأخيه الثائر بالانفلات من عقاب السلطان، فعزله عن عمالة درعة سنة 1114 / 1702.

وغابت عنا أخبار وادي درعة طيلة عشر سنوات تقريبا عادت فيها القبائل إلى ممارسة اللصوصية وقطع الطريق

على السابلة كما يشير إلى ذلك صاحب رحلة *الوافد* الذي زار بلاد درعة في عام 1121 / 1710 (*رحلة الوافد*، 166) وفي سنة 1124 / 1712 عين السلطان كاتبه الخياط بن منصور عاملا على درعة، ولأسباب غير واضحة أمر السلطان بقتل الخياط بن منصور في نفس السنة وعين مولاي الشريف للمرة الثانية على وادي درعة، فنجح مولاي الشريف إلى حد كبير في ضبط أحوال الوادي وتوفير ظروف الأمن والاستقرار بالمنطقة. إلا أنه فوجئ سنة 1135/ 1722 بثورة قبلية عارمة بواحة محاميد الغزلان كرد فعل لتشدد عبيد المخزن في استحلاب أموال السكان، وقد اضطر مولاي الشريف إلى الاستنجاد بالجيش السلطاني لإخضاع القبائل وإنهاء ثورتهم بعد سبعة أشهر من المواجهات العنيفة ذهب ضحيتها آلاف القتلى من الجانبين (*Relation de Th. Pellow*, 118 - 120). وقد كانت لهذه الثورة عواقب اجتماعية واقتصادية وخيمة نتيجة الانهيار الدمغرافي، وتوقف الإنتاج الزراعي واضطراب الحركة التجارية، الأمر الذي سمح لقبائل الرحل التي كانت تجوب هوامش بلاد درعة بالقيام بعمليات غزو واسعة للواحات، خاصة أن المنطقة باتت تعاني من الفراغ السلطوي بعد وفاة مولاي إسماعيل سنة 1139 / 1727.

كانت وفاة السلطان مولاي إسماعيل إيذانا بدخول واحات درعة مرحلة حرجة من تاريخها ما فتئت تلقي بظلالها القاتمة على سكان الوادي لمدة تزيد على قرن ونصف من الزمن، ذلك أن فترة وفاة مولاي إسماعيل، قد تزامنت مع انطلاق قبائل أيت عطا في عمليات غزو واسعة للواحات الممتدة جنوب جبال الأطلس، ورغم الحركات العسكرية التي كان سلاطين الدولة العلوية يرسلونها إلى درعة لردع قبائل أيت عطا، فإن هذه القبائل لا تكاد تنصاع لأوامر الدولة حتى تثور من جديد، وهكذا لم تمض على وفاة مولاي إسماعيل إلا ثلاث سنوات حتى وجه السلطان مولاي عبد الله حملة عسكرية بقيادة موسى الجراري إلى وادي درعة سنة 1142 / 1730، لمعاقبة قبائل أيت عطا التي كانت تهجم على المستقرين وتقطع الطريق على القوافل التجارية، إلا أن الحملة باءت بالفشل الذريع وقتل عدد من رجالها واضطر الناجون للعودة إلى الشمال دون تحقيق أهداف الحملة، الأمر الذي جعل مولاي عبد الله يعاقب عدداً من المسؤولين العسكريين عن الحملة (*Districts et tribus*, 66).

وفي خضم الصراع على السلطة بين المتطلعين للسلطنة من أبناء مولاي إسماعيل ما بين 1142 و1170 / 1730 - 1757، تُركت بلاد درعة لمصيرها وظلت تعاني من الفراغ السلطوي. ويستفاد من بعض إشارات محمد المكي بن موسى الناصري، الذي عايش أحوال وادي درعة إبان هذه الفترة، أن واحات درعة كانت تعيش حالة من الاضطرابات الاجتماعية حيث كانت القبائل من أيت عطا والروحة وأولاد يحيى تتغالب على الأراضي الرعوية ومصادر المياه، وتستولي على قصور المستقرين من دراوة وغيرهم، ومن العواقب الوخيمة لهذا الوضع السياسي والاجتماعي المضطرب تراجع خطير في الإنتاج، فانتشر الجوع بين السكان وتخربت العمارة "وبلغ السعر مبلغا عظيما، فالمدّ من التمر بخمسة مثاقيل، والمدّ من القمح بأربعة وعشرين مثقالا، والمد من الشعير باثني عشر مثقالا... وكثرت الأموات في الطرقات والله غالب على أمره" (*طليعة الدعة*، 18) وتؤكد لنا الوثائق المحلية كبطائق المداينة ورسوم الأملاك العقارية هذه الحقيقة حيث كان الناس بدرعة يبيعون ممتلكاتهم بحفنات قليلة من الشعير أو التمر للتغلب عل ظروف المجاعة (*وثائق محلية*).

وفي سنة 1172 / 1758 وجه السلطان سيدي محمد بن عبد الله في إطار إعادة هيبة الدولة بمناطق الأطراف إلى وادي درعة القائد أحمد التينغراسي على رأس حركة عسكرية لردع قبائل أيت عطا وإرغامها على مغادرة القصور التي احتلتها بالقوة إلا أن الحركة كسابقاتها لم تحقق أهدافها المرسومة لها فعاد التينغراسي أدراجه إلى الشمال بعد ما ترك قبائل أيت عطا وغيرها تعيث فساداً في الوادي.

ويظهر أن سكان القصور ملوا من هذا الفراغ السلطوي لذلك نرى وفداً من أهل درعة يتوجه إلى العاصمة حيث طلب من السلطان سيدي محمد بن عبد الله أن يبعث معهم من يتولى أمرهم ويقوم بأمور المخزن فوجه معهم سنة 1183 / 1770 الباشا سعيد بن العياشي، فنزل بقصبة المخزن بأغلان بواحة ترناتة، ودشن عمله باعتقال رؤوس الفتنة مثل محمد الحيَوني الكراوي وعلي الأكتاوي. إلا أن زوجة محمد الحيوني ذبحت على قبائل أيت عطا والروحة وأولاد يحيى، فقامت هذه القبائل بمحاصرة قصبة أغلان، ولم يستطع سعيد بن العياشي التخلص من الحصار إلا بتدخل شيخ زاوية تامكروت في وقته يوسف الناصري فرجع إلى عاصمة الدولة (*الضعيف*، 92).

ثم غابت عنا أخبار بلاد درعة لأكثر من ثلاثة عقود من الزمن تمكنت خلالها قبائل أيت عطا من التحكم بقوة في الواحات الجنوبية (المحاميد، أكتاوة، فزواطة) وفي سنة 1216 / 1801 وجه السلطان مولاي سليمان كاتبه أبا العباس التينغراسي إلى وادي درعة فأخرج قبائل أيت عطا والروحة وأولاد يحيى من القصور التي اغتصبوها ومهد تلك النواحي حتى صار ما بين درعة وسوس والفايحة مجالا للتجارة وممرا آمنا لأبناء السبيل (*استقصاء*، 8 : 108) وبعث التينغراسي إلى السلطان ثلاثين قنطاراً من المال وست عشرة من الإماء وأربعة عبيد وحملين من التمر ومثلهما من الحناء.

وفي إطار تأكيد هيبة الدولة بوادي درعة عين السلطان مولاي سليمان سنة 1218 / 1803 ابنه مولاي محمد عاملاً

على درعة ووجه إلى المنطقة صحبته مفرزة عسكرية بقيادة محمد الزعري، ثم وجه رسالة إلى عامل سجلماسة في وقته القائد حمان الصريدي للتوجه إلى درعة صحبة الأمير مولاي محمد، وكانت مهمة الصريدي تنحصر في إرهاب القبائل واشعارها بأن حضور مولاي محمد إلى درعة هو تأكيد المخزن على استعادة نفوذه بالمنطقة وإلزام القبائل على دفع مستحقاتها من اللوازم الجبائية للمخزن.

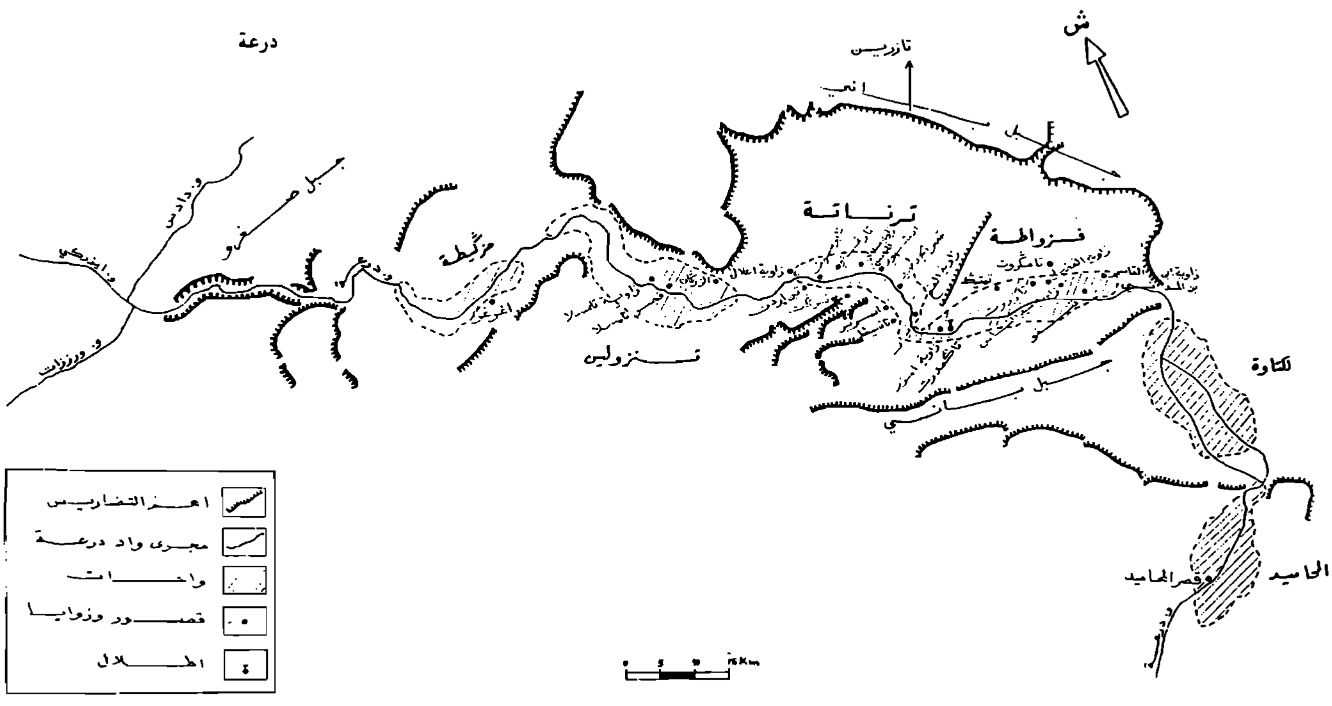
وقبل أن ينهي حمان الصريدي مهمته بمختلف واحات درعة غادر مولاي محمد المنطقة بشكل مفاجئ والتحق بمراكش في ظروف غامضة سكتت عنها المصادر التاريخية.

وهكذا ما كاد خبر مغادرة مولاي محمد لدرعة ينتشر بين السكان حتى أعلنت القبائل العصيان وامتنعت عن دفع ما تبقي من الجبايات، إلا أن حمان الصريدي واجه هذا العصيان بحزم وقوة فاعتقل عدداً كبيراً من شيوخ وأعيان القبائل ووجههم مكبلين بالأصفاد إلى سجون تافيلالت ثم رحل في إثرهم. وفي ثنية تافيلالت نصبت قبائل أيت عطا عدة كمائن لحمان الصريدي، فاضطر إلى التخلي عن المدافع والأثقال، والإفلات بأموال المخزن وماخف من متاع حيث تمكن من الوصول سالماً إلى سجلماسة.

وبعد فشل كل المحاولات التي قام بها المخزن في ردع القبائل عامة بدرعة وقبائل أيت عطا بصفة خاصة، عمد مولاي سليمان إلى تدشين سياسة القواد المحليين، فعين القائد إبراهيم الستوري قائداً على واحتي فزواطة وترناتة *(وثائق محلية)*.

في حين ثبت الشيوخ التقليديين في مراكزهم تحت نظر المخزن في باقي الواحات الأخرى. وقد عمل السلاطين العلويون بعد مولاي سليمان على تطوير هذه السياسة المحلية التي أثبتت فعاليتها ووفرت على السلطة المركزية الكثير من الرجال والأموال، فبرزت خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) بعض العائلات المخزنية مثل عائلة القائد التمنوگالي بمزگيطة، والقائد العربي اليحياوي، ودار المزواريين بتنزولين، والقائد الحمدوني والقائد الباردي بواحة ترناتة وهكذا. وقد كان المخزن المركزي خاصة في عهد السلطانيين سيدي محمد بن عبد الرحمان ومولاي الحسن يسهر على تنسيق الأمور المخزنية بالوادي بين هؤلاء القواد والحيلولة دون تدهور العلاقات فيما بينهم، ويتدخل بقوة كلما دعت الضرورة إلى ذلك. وموازاة مع دعم القواد المحليين، كان المخزن العلوي يجد في شيوخ الزوايا الصوفية خاصة شيوخ زوايا تامگروت وتينمسلا وسيدي صالح المساند القوي لتلطيف العلاقات بين المخزن والقبائل، وكان هؤلاء الشيوخ يمارسون نوعاً من المراقبة على سلوك القواد المحليين ويبلغون السلطان نصائحهم بذلك مقابل حصولهم على ظهائر التوقير والاحترام التي تجعلهم في منأى عن سلطات القواد المحليين.

بالرغم من أن أسرة الأگلاوي تطلعت إلى حكم منطقة الأودية (وادي دادس، وادي تودغة، وادي درعة) منذ أواسط القرن الثالث عشر (19 م) فإن حلم هذه العائلة لم يتحقق إلا في السنوات الأخيرة من حكم السلطان الحسن الأول، فقد كان السلطان عائداً من إحدى رحلاته من تافيلالت إلى مراكش سنة 1311 / 1893، فأدركه الثلج



بثنية تيشكا بالأطلس الكبير فهب قائد تلوات إبانئذ المدني الأگلاوي لإسعاف المحلة السلطانية، ويذكر صاحب *الإعلام* أن المدني الأگلاوي "أظهر على القيام بالمحلة ما لم يكن يترقب منه.. فحصلت له بذلك التفاتة من جانب السلطان، ومن هناك طنت حصاته وطار له طائر الاشتهار (*الإعلام*، 7: 236) ويتضح من هذه الإشارة أن المدني الأگلاوي عرف كيف يستغل هذه الفرصة لصالح آل الأگلاوي، فقد نجح في اقناع السلطان بالالتحاق بقصبة تلوات حيث وفر له ولحاشيته كل لوازم الراحة والضيافة، ولم يغادر السلطان قصبة تلوات حتى سلم للمدني الأگلاوي ظهير تعيينه خليفة للسلطان على الإيالات الجنوبية *Kitab A'yæne Al Maghrib*) وهذا يعني إطلاق أيدي آل الأگلاوي بمناطق الواحات.

قوبل تعيين المدني الأگلاوي خليفة للسلطان على الجنوب بمعارضة قوية بوادي درعة، فقد قام القائد عبد الرحمان التامنوگالي بإحياء التحالفات التقليدية بين أهل مزگيطة وقبائل إمغران وأيت عطا في محاولة للتصدي لنفوذ المدني الأگلاوي بالوادي. وقد تجنب المدني الأگلاوي المواجهة المباشرة مع قبائل هذا الحلف وفضل الاعتماد على سياسة فرق تسد لإضعاف موقف عبد الرحمان التامنوگالي وحرمانه من أي سند محلي، فقرب إليه شيوخ المزواريين بواحة تينزولين، وربط اتصالات سرية مع القائد محمد بن العربي (الجد) شيخ قبيلة أولاد يحيى، ثم عمل على تأجيج نوازع العداوة التقليدية بين قبائل أهل مزگيطة وأولاد يحيى، ولم يمض وقت طويل حتى وجد القائد عبد الرحمان التامنوگالي نفسه وحيداً في مواجهة آل الأگلاوي، فقرر مراجعة موقفه قبل فوات الأوان إلا أن المنية عاجلته سنة1322 / 1904 ، وقد عمل خلفه القائد محمد التامنوگالي على فتح صفحة جديدة مع المدني الأگلاوي، فأرسل كتيبة من أهل مزگيطة لتنضم إلى قوات المدني الأگلاوي لمناصرة مولاي عبد الحفيظ في مواجهته مع أخيه مولاي عبد العزيز.

وفي سنة 1327 / 1909 استغل المدني الأگلاوي منصبه كصدر أعظم في السلطنة الحفيظية، فعين ربيبه وابن أخيه، القائد حمّو الأگلاوي خليفة على الجنوب كله من تلوات إلى محاميد العزلان.

وبالرغم من السطوة التي كان يتمتع بها آل الأگلاوي، فإن القائد حمّو لم يجرؤ على الدخول بقواته في مناطق الواحات تحاشيا لمواجهة مباشرة مع قبائل أيت عطا وغيرها من القبائل الصحراوية المتمرسة بالحروب الخاطفة، وكانت هذه القبائل ترفض الانصياع لأوامر آل الأگلاوي، لتشدُّدهم في استحلاب الأموال، وتعارض نفوذهم إلى حد الكراهة والتحالف مع الشيطان ضدهم.

فوجئت فرنسا بعد توقيع معاهدة الحماية بالمغرب بالإعلان عن الحرب العالمية الأولى سنة 1333 / 1914، وكانت سياسة اليوطي المقيم العام الفرنسي إبانه بالمغرب، الحفاظ على موقع فرنسا بالبلاد اعتماداً على القواد الموالين وعلى رأس هؤلاء التهامي الأگلاوي، باشا مراكش، الذي أصبح سيد الجنوب المغربي دون منازع، خاصة أن فرنسا فتحت أمامه مخازن الأسلحة بمراكش ووضعت رهن إشارته عدة قطع مدفعية وبعض الضباط، لضمان التفوق الميداني على القبائل بالجنوب بعد ظهور الحسين التوزونيني بناحية تافيلالت وبدأت حركته تهدد نفوذ الأگلاوي بمناطق دادس وتودغة ودرعة (*المعسول*، 16 : 262). وبفضل هذا الدعم العسكري نظم الباشا التهامي الأگلاوي وابن أخيه القائد حمّو حملة عسكرية إلى وادي درعة سنة 1337 / 1919 فأناخ بجيشه على قصبة تامنوگالت بواحة مزگيطة، فهب لاستقباله أعيان بعض القبائل من فزواطة وترناتة وتينزولين وتخلف عن لقائه أعيان قبائل أكتاوة ومحاميد العزلان.

وبالرغم من أن الحملة لم تواجه بأية مقاومة، فإن التهامي الأگلاوي قنع في هذه الحملة بتعيين عدد من الشيوخ الموالين له مثل عبد الرحمان المزواري بتينزولين، والقائد اليحياوي على قبيلة أولاد يحيى، وعيّن الحاج محمد العسري خليفة بواحة ترناتة. وقد تشدد الحاج العسري في استحلاب أموال القبائل وألزم السكان بدفع "ألف مد من الشعير، وستمائة مد من القمح ومائة كبش، وستة قناطر من السكر، وقنطار من الأتاي وقنطار من الشمع وستمائة مد من التمر، وثلاثين صاعا من السمن وألف غرارة من التبن" (*تاريخ بن لحبيب*، 23)، وقد أدت هذه المطالب المجحفة إلى ثورة القبائل وبدأت الاستعدادات لمواجهة مسلحة محتملة مع آل الأگلاوي.

حاول القائد حمو باعتباره الحاكم العام للجنوب، تدارك هذا الموقف الذي خلفته سياسة العسري، فعزله وعين مكانه أحمد بن لحسن أمزدو خليفة بترناتة، فاعتقل الحاج محمد العسري، وأركبه على بغل أعرج مبالغة في التشنيع ورغبة في تهدئة الخواطر ولو إلى حين. إلا أن أمزدو ما كاد يستقر به المقام حتى ألزم أهل ترناتة بدفع حوالي سبعة عشر ألف ريال حسنية على الفور (*تاريخ ابن لحبيب*، 24). هذه السياسة التفقيرية التي سلكها آل الأگلاوي وخلفاؤهم بالجنوب، دفعت بقبائل وادي درعة أن تعلن عصيانها العام ضد المخزن وآل الأگلاوي، فنشطت أسواق الأسلحة وبدأ الناس يعدون العدة لمواجهة قد تطول مع آل الأگلاوي ويذكر الطيب بن لحبيب أن أهل توغمار (بواحة تينزولين) طردوا خليفة الأگلاوي، وأن قبائل ترناتة خرجوا عن طاعة الشيوخ الموالين للأگلاوي، وجعلوا ذعائر ثقيلة على كل من يصل إلى دار خليفة الأگلاوي أو ضيف مخزني (*تاريخ ابن لحبيب*، 20). انشغل الفرنسيون وآل الأگلاوي لهذا التطور الخطير الذي عرفته الحركة الاحتجاجية للقبائل، لذلك قرر الأگلاوي تنظيم حملة جديدة إلى وادي درعة، وزودته فرنسا بمئتي ألف ريال

وستة مدافع ميدانية وعشرة صناديق من الذخائر الحربية (Le Glaoui, 117). وفي يوم 22 محرم عام 1343 / 23 أكتوبر 1924 وصلت حركة القائد حمو الأكَلاوي إلى مشارف قصبة تامنوكَالت بواحة مزكَيطة، وأمام الضغط النفسي والمعنوي الذي كانت تمارسه الحركة على سكان قصر تامنوكَالت خرجت السيدة عائشة بنت الشيخ أحمد الورزازي، زوجة القائد علي التمنوكَالي إلى فسطاط القائد حمو الأكَلاوي الذي هو ابن اختها "وطرحت له صبيا كان عندها في حجره وتشفعت به (*تاريخ بن لحبيب*، 45). وبالرغم من أن القائد حمو قد قبل شفاعة خالته وأعرض عن تهديم قصر تامنوكَالت، فقد ألزم سكان القصر بتوفير المؤونة لرجال الحركة وقد حددها الطيب بن لحبيب كما يلي : "كل يوم ألف مد من الشعير، أربعمائة شليف من التبن لعلف الخيل والجمال، وأربعمائة كبش، وأربعمائة مائدة من الخبز ومائة صاع من السمن، ومائة صاع من الزيت ومائة كاغد من الشمع وما يكفي من الحطب والفحم (*ابن لحبيب*، 46). ولم يكتف القائد حمو بما فرض على السكان كل يوم بل أطلق أيدي رجال الحركة في البلد فنهبوا المزروعات وتحولوا إلي لصوص حقيقيين في الطرقات وكل من غفَّلوه أكلوا ثيابه على حد تعبير الفقيه الطيب بن لحبيب. وقبل أن تتحرك الحركة جنوبا ألزم القائد حمو أهل مزكَيطة بدفع مائة ألف ريال ذعيرة لعصيانهم، ثم نزع خيلهم وبغالهم وكل ما يملكون.

وبمنطقة أيت سدرات (المدخل الجنوبي لمزكيطة) اعتقل القائد حمو بعض أعيان أيت سدرات وهدم دورهم ثم توجه جنوبا إلى تينزولين فأمر باعتقال حوالي سبعين من الروحة خاصة من قصور أخلوف وبوناتة والدويرات، وبعث بهم مكبلين في الأصفاد إلى زنازن تلوات واغبالو بالأطلس الكبير. ويذكر الفقيه الطيب بن لحبيب الذي كان حاضرا ضمن حاشية القائد اليحياوي إلى جانب حمو الأكَلاوي أن هذا الأخير فرق المخازنية على ديار قبائل الروحة فنهبوا ما بها من الغلة والأثاث وحملوا كل ذلك إلى فسطاط القائد حمو، ثم أطلق أيدي رجال الحركة في بلادهم واستولوا على ما فيها من الخرثي والنفيس (*ابن لحبيب*، 48) ولم يتركوا لهم إلا جدراناً تبكي بأغزر دمعة (*رحلة الناصري*، 16). وبعدما جمع القائد حمو كل ما وصلت إليه يد رجاله من الغنائم والأسلاب شكل عدة فرق من المخازنية المقربين، ومع كل فرقة لوائح محددة بمستحقات كل قبيلة من الذعائر والغرامات، وعين أحمد بن لحسن أمزدو منسقا للفرق ومشرفا على تجميع الأموال وحملها إلى قصبة تلوات. فكان نصيب قبائل ترناتة ثمانية وعشرين ألف ريال حسني، ومثل ذلك لكل من قبائل واحتي أكتاوة وفزواطة، وعشرين ألف ريال فقط لواحة محاميد الغزلان، وإذا كانت قبائل ترناتة قد عجلت بدفع الأموال تحت طائلة التهديد بإرسال رجال الحركة على قصورها. فإن قبائل فزواطة انقسمت على نفسها، فمنها من أدى ومنها من لم يؤد. أما قبائل أكتاوة ومحاميد الغزلان فقد رفضت رفضا تاما أن تؤدي ولو فلسا واحداً وهددت المخازنية بعد اعتقالهم بالقتل إن هم عادوا للمنطقة بعد إطلاق سراحهم. انزعج القائد حمّو لعصيان قبائل أكتاوة ومحاميد الغزلان واكتفى بالتهديد والوعيد وأنذرهم بالعقاب الشديد. ودون سابق إعلان قرر القائد حمو مغادرة واحة تينزولين على رأس حركته عائداً إلى تلوات، وإذا كان الفقهاء المرافقون لهذه الحركة مثل الطيب بن لحبيب والمهدي الناصري قد سكتوا كلية عن الأسباب الحقيقية التي جعلت حمو الأكَلاوي يغادر فجأة واحة تينزولين، فإن الروايات الشفوية التي التقطناها بدرعة تفيد وبنوع من التواتر، أن القائد حمو أصيب بمرض خطير أرغمه على التعجيل بالعودة إلى تلوات.

وتعتبر حركة القائد حمو إلى درعة آخر حركة قادها آل الأكَلاوي إلى الوادي قبيل التدخل الفرنسي. فهل كانت الحركة في الواقع عملية تمهيد لوصول القوات الفرنسية ؟ وهل كانت سلطة الحماية تريد جس نبض القبائل قبل التدخل المباشر ؟

على كل فإن أسرة الأكَلاوي لم تتمكن رغم ما توفر لها من عتاد حربي ودعم مادي ومعنوي من سلطة الحماية من توفير ظروف الأمن والاستقرار، إذ لم يكد القائد حمو يغادر الوادي، حتى تفجرت الصراعات القبلية بشكل خطير وعانت القبائل التي تعاونت مع آل الأكَلاووي الأمرين سواء داخل وادي درعة أو في المناطق المجاورة، حيث كانت القبائل الثائرة تتصيد كل من يمت بصلة لآل الأكَلاوي وأنصارهم في الطرقات ما بين دادس ودرعة، وما بين هذا الأخير وورزازات، ولم ينته هذا الوضع إلا مع وصول طلائع الاحتلال الفرنسي إلى وادي درعة حوالي 1929 ـ 1930.

م. المكي بن موسى الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ *طلعة الدعة*، مخطوط ؛ *الرياحين الوردية في الرحلة المراكشية*، مخطوط، خ. ع رقم د، 1864 ؛ المشرفي، *الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية*، مخطوط، خ. ع رقم د، 1463 ؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ*، مخطوط، خ. ع د، 660 ؛ الطيب بن لحبيب الملولي، *تاريخ درعة*، مخطوط ؛ *دار القائد اليحياوي* ؛ الفزاري، *كتاب جغرافية الفزازي*، مخطوط ؛ *قصبة تامنوكَالت* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج. 6 ـ 7، بيروت، 1981 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تطوان، د. ت. ؛ البكري، *المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب*، جزء من مسالك البكري، 1957 ؛ الزياني أبو القاسم، *الترجمانة الكبرى*، تح. ع. الفيلالي، الرباط، 1967 ؛ البيدق الصنهاجي، *أخبار المهدي بن تومرت*، الجزائر، 1974 ؛ إيف لاكَوست، *العلامة بن خلدون*، ترجمة، ميشل سلمان، بيروت، 1974 ؛ ش. الإدريسي، *وصف إفريقيا الشمالية والصحراء* (جزء من *نزهة المشتاق*، الجزائر، 1957) ؛ حسين مؤنس، *فجر الأندلس*، القاهرة، 1959 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 4، 5، 6، 7، 8، الدار البيضاء، 1954 ؛

مولاي إسماعيل، *إلى ولدي المامون*، الرباط، 1967 ؛ م. المختار السوسي، *إيليغ قديماً وحديثاً*، الرباط، 1966 ؛ *المعسول*، ج 16، الدار البيضاء، 1961 ؛ مارمول كاربخال، *إفريقيا*، ج 3، الرباط، 1984 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ج. 2، الرباط، 1980 ؛ م. الزرهوني، *رحلة الوافد*، 1992 ؛ محمود إسماعيل، *الخوارج في بلاد المغرب*، الدار البيضاء، 1976 ؛ ع. الوهاب بنمنصور، *قبائل المغرب*، ج. 1، الرباط، 1968 ؛ ع. ابن إبراهيم المراكشي، *الإعلام*، ج. 4، الرباط، 1977 ؛ شارل اندري جوليان، *تاريخ إفريقيا الشمالية*، تر. محمد مزالي والبشير بن سلامة، تونس، 1952 ؛ مجهول، *الاستبصار*، الدار البيضاء، 1984 ؛ ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، ج. 2، بيروت، 1955 ؛ *معلمة المغرب*، المجلد السابع ؛ م. المنوني، *حضارة وادي درعة من خلال الوثائق والآثار*، *دعوة الحق*، ع. 1973.

E. et M. Gouvion, *Kitab Ayane El Maghreb*, Paris, 1939 ; D.J. Meunié, *Le Maroc Saharien des origines au 16s*, Paris, 1982 ; G. Camps, *Libyca*, Tome VIII, Paris, 1960 ; *Recherches sur les origines des cultivateurs noirs du Sahara*, *R.O.M.M.*, T. 3, 1970 ; J. Leprévost, *El Glaoui*, Paris, 1968 ; Spillmann, *Districts et tribus du la haute vallée du Draa*, *A.M.*, V. 9, Paris, 1931 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1948 ; F. de la Chapelle, *Esquisse d'une histoire du Sahara Occidental*, *Hesp.*, XI, 1930 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T. I, Paris, 1921.

أحمد البوزيدي

* * وفي (التاريخ القديم)، تدخل منطقة درعة ضمن ما يسميه الكتاب الإغريق والرومان بليبيا الداخلية ؛ وهو المجال الممتد جنوب الأطلس الكبير، ونظرا لبعد هاته المنطقة عن متناول هؤلاء الكتاب، ولعدم تمكنهم من زيارتها، اكتفوا بما كان يصلهم عنها شفويا من معلومات، ولهذا السبب لا نجد عندهم إلا إشارات مقتضبة وقليلة، ولكنها مفيدة ؛ إذ تمكننا من معرفة أسماء أنهار المنطقة وموانئها الطبيعية، وأسماء ساكنتها، وتعطينا كذلك فكرة عن نمط عيش هاته الساكنة، وعن الحيوانات الموجودة بها.

فانطلاقا من القرن الثاني ق. م. نجد لدى المؤرخ الإغريقي بوليب Polybe إشارة لنهري ماسة Masasat ودرعة Darat، احتفظ بها بلين الشيخ (Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, V, 5, 10).

وخلال حكم الإمبراطور الروماني أوكتافيوس أغسطس، وضع الجغرافي أگريپا Agrippa خريطة لـ"المغرب" سيعدِّلُها في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي الجغرافي المدعو بحار صور (P. Schmitt, *La plus ancienne carte*..., pp. 80 - 81). وهاته الخريطة المعدلة هي التي اعتمدها الجغرافي كلود پطوليمي Ptolemée، الذي وصلت معه المعارف الجغرافية حول منطقة درعة قديما أوجَهَا ؛ بحيث يشير في الفقرة المخصصة لليبيا الداخلية إلى أسماء سبعة أودية ما بين الأطلس الكبير ورأس جوبي، ومن بينها نهر نويوس Nouios، وهو وادي نول، ونهر درعة. كما يشير إلى أسماء أربعة موانئ طبيعية بالمنطقة : ميناءين بين نهري نويوس وماسة ؛ وهما بگزاس Bagzas شمالا ويرزيطاس Iarzithas جنوبا. وميناءين جنوب نهر درعة ؛ وهما الميناء الكبير، وميناء بابا (Ptolemée, Baba *Géographie*, IV, 6).

وفي القرن الخامس الميلادي ؛ حوالي 417 م ؛ يتطرق بول أوروز بدوره لنهري درعة Dara ونول (P. Orose, Nuhul *Contre les paiens*, I, 2, 29 - 31).

بالإضافة إلى هاته الأسماء احتفظت الكتابات القديمة ببعض أسماء سكان المنطقة ؛ إذ يشير بوليب عند كلامه عن المنطقة الممتدة جنوب الأطلس الكبير ؛ وبالضبط بعد روسادير، إلى الماسيين Masates، والإثيوبيين البيرورسيين Ethiopiens Perorses، والفاروسيين Pharusiens، والجيتوليين الدرعيين Gétules Dariens، والإثيوبيين الدرعيين. ونفس هاته الأسماء، مع اختلافات طفيفة، نجدها لدى أغلب الكتاب الذين عاشوا بعد بوليب، ومنهم الجغرافي پطوليمي الذي يوطن الدرعيين بمصب النهر الذي يحمل نفس الاسم، ويشير لهم باعتبارهم أكبر شعوب ليبيا الداخلية (Ptolemée, IV, 6, 6).

أما سترابون Strabon وبومبونيوس ميلا Pomponius Méla فيضيفان إلى الشعوب سابقة الذكر مجموعة النگريتيين Nigrètes، وهم جيران الإثيوبيين ويؤكد سترابون أن بعضهم كان يعيش في المغارات Troglodytes (Strabon, *Géographie*, XVII, 3, 7).

وما يثير الانتباه بخصوص أسماء شعوب منطقة درعة هو ذاك التمييز بين الدرعيين الإثيوبيين والدرعيين الجيتوليين. وهو تمييز مرتبط باختلاف نمط عيش المجموعتين الدرعيتين ؛ فهو تمييز بين المستقر والمترحل.

فبالنسبة للإثيوبيين فهم ليسوا بزنوج ولا بسود، فالكلمة، وأصلها إغريقي، تعني الوجوه التي لفتحتها الشمس، أي ذوي البشرة السمراء. بل أكثر من هذا فپطوليمي يتكلم في جغرافيته عن إثيوبيين بيض (Ptolemée, IV, 6, 6). أضف إلى ما سبق أن الصورة التي يقدمها نص بسودوسكيلاكس Pseudo-Scylax - الذي يرجع إلى القرن الرابع ق. م. - عن إثيوبيي جنوب المغرب وأنشطتهم، لا تمت بصلة إلى الإنسان الأسود البشرة أو الزنجي، بحيث يظهرون فيه بشعور طويلة، ويركبون الخيول، ويغرسون الكرمة (P. Scylax, 112). فعبارة الإثيوبيين بالنسبة لمنطقة درعة تتعلق أساسا بنمط عيش مرتبط بالزراع الصحراويين، الذين كانوا يتعاطون الزراعة، ويهتمون بتربية الخيول، ويستعملون العربات. ويتقنون استخدام النبال (Strabon, XVII, 3, 5)، وخصوصا سكان الواحات (P. Trousset, *L'image de nomade*..., p. 98 ; G. Camps, *Berberes*..., p. 112)، وهاته الجماعة هي التي كانت تتاجر مع الفنيقيين حسب نص بسودوسكلاكس المذكور أعلاه.

أما الجيتوليون فهم شديدو الصلة بمجال شاسع شبه صحراوي يمتد من تونس إلى المغرب (S. Gsell, *H.A.A.N.*, t. V, pp. 109 - 110)، يميزهم الترحال والعيش في السباسب (P. Trousset, *L'image*..., p. 98). وهكذا

فالجيتوليون الدرعيون هم الرحل الذين كانوا يعيشون بهاته المنطقة، ويرجّح أنهم كانوا صلة وصل بين منطقة درعة وجنوب الصحراء.

كانت توجد داخل هذا المجال كذلك مجموعة مهمة من الحيوانات التي انقرض أغلبها ؛ بحيث لم تبخل المصادر القديمة بالإشارة إلى بعضها، مثل الزرافات والأسود والفيلة... (Strabon, XVII, 3, 5).

هاته الصورة التي تقدمها لنا المصادر الأدبية تعززها التحريات الميدانية التي عرفتها المنطقة ؛ بحيث تم رصد عدد مهم من النقوش الصخرية Gravures rupestres ؛ التي أُرخت بالألف الأول قبل الميلاد (R. Mauny, *Au tout*..., p. 742) ؛ بكل من فم الحصن، وجبل باني (A. Ruhlman, *Les recherches*..., p. 52)، وإيشت تمنارت (A. Jodin, *Les gravures*..., p. 78)، وأقا وطاطا، وأسيف تواندال ونجد فيها صوراً لصيادين ونبالة، ورسوما لعربات وخيول ولطائر النعام، وللفيلة والأسود والظباء.

كما أكدت هاته التحريات التي أجريت في صحراء كل من موريطانيا ومالي والنيجر، أن درعة شكلت قديما منطقة عبور لا محيد عنها بين المغرب وجنوب الصحراء، وصلة وصل بين الثقافة المتوسطية والثقافة الصحراوية ؛ فقد أكد علم الآثار بما لا يدع مجالا للشك وجود طريق صحراوية قديمة استعملها الإنسان منذ أقدم العصور في تحركاته، تربط بين جنوب المغرب وحوض النيجر مرورا بموريطانيا، تابعة لقط الماء. وكانت هاته الطريق بعد وصولها إلى درعة تعرج غربا في اتجاه المحيط نحو مصب نهر درعة ونول، ونحو سوس.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T. 5, 1928 ; A. Ruhlman, *Les recherches de préhistoire dans l'extrême sud marocain, Pub. de Ser. d'Ant. Mar.*, fas. 5, 1939 ; R. Mauny, *Autour de la répartition des chars rupestres du Nord-Ouest Africaine, Congrès paramfricaine de préhistoire, Actes de la 2ème session, 1952* ; A. Jodin, *Les gravures rupestres du Yagour (Haute Atlas), Analyse stylistique et thématique, B.A.M.* T. 5, 1964 ; P. Schmitt, *La plus ancienne carte géographique du Maroc, B.A.M.*, T. 11, 1977 - 78 ; G. Camps, *Berbères aux marges de l'histoire*, 1982 ; P. Trousset, *L'image de nomade saharien dans l'historiographie antique, Bul. de l'équipe de l'écologie et anthropologie des sociétés pastorales*, C.N.R.S., n° 10, 1982.

عبد العزيز أكَرير

الدرعي، أحمد بن **حمّو**، قائد شارك في معركة الركن التي جرت بالقرب من فاس يوم 16 ذي الحجة 983/ 17 مارس 1576 بجانب السلطان المتوكل، ويقول عنه كل من الإفراني والناصري إنه كان حاجبا للسلطان المذكور.

م. الإفراني، *نزهة*، ط. 2، الرباط، د. ت.، ص. 59 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، ج. 5، ص. 58.

Fr. Bernardo da Cruz, *Chronica de El Rei don Sebastian*, Lisboa 1837 - y 1903.

محمد ابن عزوز حكيم

الدرعي، أحمد بن **محمد** الكاملي الضرير، ينحدر من أسرة تنتسب إلى جعفر بن أبي طالب (*العقود الجوهرية*، 77)، وقد اشتهرت هذه الأسرة التي استوطنت منطقة أفلاً ندرى (أعلا درعة) شمال واحة مزگيطة بالعلم والصلاح وممارسة القضاء.

ولد أحمد الضرير في أواسط القرن الثالث عشر (19 م) ودرج في أول مدارج العلم بين يدي بني قومه بمزگيطة، فحفظ القرآن الكريم برعاية والده مُحمد بن مَحمد الكاملي، وأخذ مبادئ اللغة العربية وأوليات المتون الفقهية على علماء وفقهاء مزگيطة. وقد كشف أحمد الضرير عن ذكاء وقاد وحافظة قوية ونجابة لا تطال بين الأقران وهو لا يزال غضا طريا فأرسله والده إلى زاوية تامگروت بفزواطة (*أعلام درعة*، 80) فأخذ عن عدد من علماء هذه الزاوية أمثال محمد بن علي السملالي، وأحمد بن طلحة الناصري وقريبه مَحمد بن علي الناصري.

ثم رحل أحمد الضرير لإتمام تعليمه إلى مراكش، حيث أخذ عن الفقيه محمد بن المدني السرغيني، والفقيه محمد بن أحمد أگنسوس (*الإعلام*، 2 : 429). ويظهر أن شهرة أحمد الضرير كشاعر مفلق وأديب بارع، وصلت إلى مسامع خليفة السلطان بمراكش، الأمير مولاي علي بن عبد الرحمان، الذي كانت تربطه علاقات خاصة بأهل درعة (*وثائق آل ابن حاجي*)، فضمه إلى مجالسه العلمية ومسامراته الليلية (*الإعلام*، 9 : 249).

قضى أحمد الضرير مدة من الزمن رحل بعدها إلى مدينة فاس للأخذ عن علماء القرويين لكن دون تحديد الفترة الزمنية التي قضاها بالعاصمة العلمية.

وبعد هذه الرحلة العلمية إلى مراكش وفاس عاد أحمد الضرير إلى مسقط رأسه بمزگيطة، إلا أن الظروف السياسية والاجتماعية المضطربة أنذاك بوادي درعة، وفتور الهمم في طلب العلم وتقدير أهله، دفعته إلى مغادرة وادي درعة والتوجه إلى سوس، وانتهت وجهته إلى أگلميم، وكانت هذه القرية تعتبر بوابة الصحراء وملتقى القوافل التجارية الصحراوية المختصة في جلب الذهب والجلود ومنسوجات بلاد السودان.

وبالرغم من أن أحمد الضرير أملى أخبار سياحاته خارج المغرب، فإن أخبار هذه الرحلات قد ضاعت، وربما ما يزال بعضها في رحم الزمان بدرعة أو مراكش. فقد انطلقت سياحته من أگلميم نحو بلاد السودان، أو ما يعرف اليوم بأفريقيا الغربية، ويُرجح أن يكون وقت هذه الرحلة خلال العشر الأواخر من القرن الثالث عشر (19 م).

كان أحمد الضرير يُستقبل بحفاوة من لدن علماء

إفريقيا الغربية، وكانت مجالسه العلمية معهم مجالس إفادة واستفادة، وقد منحه الله قبولا في القلوب وإقبالا للأخذ عنه، وقد طارت شهرته بهذه الأصقاع التي كانت آنذاك تضطرم بالحركة التجديدية التي قادها الحاج عمر الفوتي، وقد احتفى الحاج عمر وأبناؤه بأحمد الضرير، ونفحه ملوك بلاد السودان بأموال كثيرة سمحت له بالتوجه إلى المشرق، وبعد ما أدى مناسك الحج تجول في بلدان الشرق العربي فكان يقيم في كل بلدة أياما ثم يرحل عنها (*الإعلام*، 2 : 430). ثم توجه إلى الهند والتقى بالشيخ داود الكلكتي، شيخ الطريقة التجانية بالهند وجدد على يده عهد الطريقة التجانية. ثم رجع إلى المغرب فاستقر بين ظهراني قبيلة تجاكنت بتيندوف وقضى هناك حوالي عشر سنوات من سنة 1299 إلى سنة 1309، ولم نتمكن من تحديد المكان الذي رحل إليه أو استقر به بعد رحيله من تيندوف سنة 1309 وبعدها يظهر بمراكش سنة 1313 حيث وافته المنية سنة 1315 ودفن بزاوية شرقاوة بحومة بنّاهض.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 2 و9 ؛ م. ابن لحبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية في الأنباء الدرعية*، مخطوط ؛ المهدي الصالحي، *أعلام درعة* ؛ *وثائق محلية في حوزة الكاتب*.

الدرعي، الحسن بن محمد بن مسعود الهراجي الشهير بين أهل فاس بالدراوي. علامة جليل وصوفي كبير موصوف بالصلاح والولاية، ينحدر من قبيلة الهراج من ذوي عبيد الله المعقلية، ولد في مكان غير معروف بدرعة سنة 943 هجرية (*الدرر المرصعة*، 117)، أخذ مبادئ القراءة والكتابة بمسقط رأسه، ثم تجول بمختلف المدارس العلمية التي كانت تزخر بها واحات درعة خلال القرن العاشر (16 م)، فتخرج عالما متبحرا لا يجارى في العقائد وأصول الفقه متضلعا في علوم العربية، وله شفوف على الأقران في المنطق والقراءات مع كمال التحقيق والفهم والتدقيق (*الزاوية الدلائية*، 94). تصدر الحسن الدرعي بعد تخرجه لإفادة المتعلمين فنفع الله به كل من جلس بين يديه لنيته الصالحة ورغبته الصادقة في نشر العلم الشريف.

ولأسباب غير معروفة غادر وادي درعة حيث حط الرحال بالزاوية الدلائية وهي ما تزال في بداية أمرها، ولا مبالغة إذا قلنا بأنه من المؤسسين الأوائل للحركة العلمية بهذه الزاوية، خاصة أن أبا بكر الدلائي قد اعتنى به عناية خاصة وقدره حق قدره، كما كان يلاحظه بعين التجلة والاحترام تقديراً لعلمه ومكانته الدينية (*الحركة الفكرية*، 2 : 503). ويظهر أن الفقيه الحسن الدرعي وجد الاستقرار النفسي والروحي بين جدران الزاوية الدلائية، فشمر عن ساعد الجد لإفادة رواد حلقاته التدريسية من أبناء الشيخ أبي بكر وطلاب العلم الآخرين، فكان يلقي دروسا عالية في العقائد وأصول الفقه وعلوم العربية والمنطق والبيان والقراءات، وكان من أبرز من تخرج عليه من أبناء الزاوية مَحمد بن أبي بكر الدلائي (*الزاوية الدلائية*، 76).

رحل الفقيه الحسن الدرعي من الزاوية الدلائية في أواخر أيامه إلى مدينة فاس، ويذكر صاحب *الدرر المرصعة* أنه كان يحضر مجالس العلم بجامع القرويين حيث أخذ عن أحمد المنجور وأبي الحسن بن آبهلول ورضوان الجنوي وغيرهم (*الدرر المرصعة*، 118). وتصدر بعد ذلك للتدريس بجامع القرويين فأخذ عنه الجم الغفير من العلماء من أمثال أبي مهدي عيسى السجتاني ومحمد بن يوسف التملي، وأبي الحسن البطيوي وأحمد بن محمد بن جلال وعبد الوهاب الحميدي (*نشر المثاني*، 1 : 64).

أخذ الحسن الدرعي طريق القوم عن أبي المحاسن الفاسي، وتقديرا لصلاحه وزهده وعلمه، اقترح عليه الشيخ الفاسي عقد الأخوة في الله، فتعاقدا على ذلك، وقد كان الشيخ كثيرا ما يباسط الفقيه الدرعي ويقول له مرحبا بشريكي (*مرآة المحاسن*، 12). ومن الآثار العلمية للفقيه الدرعي *شرح حسن على صغرى السنوسي وشرح على متن لامية الإمام المجراد* السلوي في قواعد الجمل (*الحركة*، 2 : 503).

ظل الحسن الدرعي مواظبا على التدريس بفاس دؤوبا على إفادة المتعلمين، لا يُرى إلا قارئا أو مجودا للقرآن الكريم إلى أن وافاه الأجل بالطاعون في أواسط شعبان سنة 1006/ أواسط مارس 1598، ودفن بباب فتوح وعلى قبره قبة ما تزال قائمة إلى اليوم.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ م. ابن الطيب القادري، *نشر المثاني*، ج. 1 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 9 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجرية بفاس ؛ م. حجي، الحركة الفكرية، ج. 2 ؛ الزاوية الدلائة، (ط. 1).

أحمد البوزيدي

الدرعي، علي بن **إبراهيم**، سماه ابن المؤقت ـ خطأ ـ بأبي علي إبراهيم الدرعي، وسماه العباس بن إبراهيم ـ تبعاً لذلك ـ بالحسن بن علي بن إبراهيم الدرعي، والذي في شاهد قبره الماثل إلى اليوم في قاعة الصلاة التي أحدثت مؤخرا في صحن ضريح سيدي ابن سليمان الجزولي، وهي التي اعتمدها كل من ابن المؤقت والعباس بن إبراهيم فيما كتباه عن المترجم له، "أبا الحسن سيدي علي بن إبراهيم".

أخذ عن أبي عمر الفلالي المعروف بالعناية (*السعادة الأبدية*، 2 : 38 ؛ *الإعلام*، 3 : 148). حلي في شاهدة قبره بما يلي : "الولي الصالح، الزاهد الورع". ثم جاء فيها : والسيد المذكور مشغول الهمة لملازمته الصلاة على النبي ﷺ مدة ثلاث وسبعين سنة، وقد رأى رسول الله ﷺ غير ما مرة، وأكثر ما يجري على لسانه (قل الله ثم ذَرْهُم في خوضهم يلعبون).

ويقصد الزوار إلى اليوم قبر المترجم له للتبرك به، وقد أحدثت في رخامة قبره ثلاثة ثقوب أطمست بعض الكلمات المنقوشة عليها.

قال ابن المؤقت : "توفي رحمه الله يوم عرفة سنة تسع وسبعين وتسعمائة ودفن بصحن ضريح الإمام الجزولي بإزاء قبة الإمام اليفوري، وقبره مزدج في حائطه رخامة وفاته" ونقل عنه هذا الكلام العباس بن إبراهيم (*السعادة الأبدية*، 2 : 39 ؛ *الإعلام*، 3 : 148). غير أن الذي في شاهدة قبر المترجم له هو : "توفي في ثلاثة وسبعين من الهجرة بعد تسعمائة في شهر الله ذي قعدة يوم الخميس ووري في قبره ليلة الجمعة".

شاهدة قبر المترجم له ؛ م. ابن المؤقت، *السعادة الأبدية*، ج. 2، طبعة فاس،1335 هـ ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 3، الرباط، 1980.

حسن حافظي علوي

الدرعي، علي بن **بار** بن الحسين، مقاوم بوادي درعة، انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956 بالمقاطعة الثامنة بمركز تافودارت تحت قيادة فاضل الهاشمي وشارك في عدة معارك بالصحراء المغربية ووادي الذهب إلى أن استشهد بمعركة واد الصفا، بتاريخ 11 مارس 1958.

المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

الدرعي، علي بن **عبد الرحمان** الملقب بالدراوي. ولد في ثاني عشر جمادى الثانية عام 1018/ 1609 بإحدى قرى خمس مزگيطة من وادي درعة (*مباحث الأنوار*، 187). نقل صاحب *الإعلام* (9 : 208) وصفه فقال : "كان ربعة للطول، معتدل القامة، جميل الوجه، أكحل العينين، كث اللحية وافرها، يعلوها شيب، معتدل الأعضاء، عذب المنطق، لين الجانب، حسن الهيئة كريم الأخلاق...". ويصفه الولالي قائلا : "وكان ـ رضي الله عنه ـ واسع الأخلاق، حسن المعاملة، لا يعاشره أحد إلا ألفه، وكان إذا وعظ بكى..." (*مباحث*، 192).

نشأ علي بن عبد الرحمان وتربى في درعة حيث قرأ القرآن الكريم (*دوحة البستان*، 14). والتقى بشيوخها آنذاك، أمثال عبد الله بن حسين الرقي، وأحمد بن إبراهيم الأنصاري، ومَحمد بن ناصر الدرعي (*مباحث*، 188 ؛ *نشر المثاني*،2 : 290). بعد ذلك غادر درعة، وانطلق سائحا ؛ فألقى عصى التسيار أولا ببلاد سوس، حيث لقي الشيخ الزاهد محمد السوداني، فلازمه مدة وأخذ عنه ما تيسر من العلوم (*الإعلام*، 2 : 208 و218).

ولما نما خبره إلى أبي حسون السملالي استقدمه إلى إيليغ "وأسند إليه النظر في أمور خزائنه" (*التقاط الدرر*، 219 ؛ *الإعلام*،9 : 218). وبعد مدة ارتحل مواصلا سياحته، فزار ضريح الشيخ أبي يعزى ؛ ثم انتقل إلى الزاوية الدلائية، حيث مكث فيها ما شاء الله، وانتهى به الأمر إلى "المشارطة" عند أهل أگرض. فلبث فيهم مدة يقرئ الطلبة ويعلم الصبيان، ويصلي بالناس. ومن أگرض انتقل إلى تانغملت حيث لقي الشيخ عبد العزيز بن موسى البوگمازي (*الإعلام*، 9 : 221) بعد ذلك طرق سمعه خبر الشيخ محمد بن محمد بن الحسن الدادسي صاحب واوزغت، فتاقت نفسه إلى زيارته والأخذ عنه، فقصده وأخذ عنه الطريقة الجزولية، ولازمه مدة طويلة. فكان ذلك الشيخ عمدته في السلوك الصوفي. ولم يزل في خدمته حتى توفي عام 1062 /1651 (*ممتع الأسماع*، 84). فتصدر بعده للتربية الصوفية بزاوية واوزغت قبل الانتقال إلى تامجوت. ولعله في هذه الزاوية أخذ عنه كبير إحنصالن، الشيخ أبو عثمان سعيد (*الإعلام*، 9 : 213)، الشيء الذي يجعلنا نطرح التساؤل حول العلاقة بين تامجوت وإحنصالن.

وبالرغم عن ذلك فإن شهرة الشيخ علي بن عبد الرحمان ظلت محدودة حتى انتقل إلى تامجوت، وأسس بها زاويته (*المعلمة*). "فتصدر لتربية المريدين ورفع الراية للزائرين" (*النشر*، 2 : 290).

وكانت طريقته الصوفية شاذلية من الطريقين المشهورين : طريق الجزولي عن أبي بكر الدلائي ومحمد بن محمد الدادسي، عن عبد الله بن حسين صاحب تامصلوحت، ثم طريق أحمد زروق عن عبد الله بن حسين الرقي. وبذلك تكون طريقته شاذلية ـ جزولية ـ زروقية (*الإعلام*، 9 : 211)، "وله ـ رضي الله عنه ـ أوراد وأحزاب وأذكار... فزاوية مكناس يقرأ فيها أصحابه وظيفة الشيخ زروق، وزاوية فاس يقرأون فيها أوراد سيدي رضوان الجنوي، ومن أوراده الحزب الكبير، والمسبعات، ووظيفة المغرب عنده أولها حزب الفلاح للشيخ الجزولي، ثم سيد الاستغفار، ثم ذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني، ثم صلاة حضرة الأسرار، ثم الصلاة المشيشية، ثم الفاتحة مرتين... ووظيفة الصبح، حزب الفلاح أيضا ثم المسبعات العشر ثم الحزب الكبير..." (*الإعلام*، 9 : 211).

يتضح من هذه الفقرة أن وظيفة الشيخ علي بن عبد الرحمان الدرعي كانت تتضمن بعض الأوراد القادرية بالإضافة إلى الشاذلية. لذلك كله ترادفت على أبوابه الركاب من الحواضر والبوادي، "فقصده الناس بالهدايا الجليلة والعطايا الجزيلة، فجمع من ذلك أموالا عريضة،، وعبيدا وإماء وحرثا ونسلا ونساء..." (*النشر*،2 : 290). كما اشتهر بكثرة إطعام الطعام (*مباحث*، 192) ؛ حتى كان يطعم الألوف في المرة الواحدة، كما ينقل ذلك صاحب *الإعلام* (9 : 219، 220)، قائلا : "وقد بات عنده ليلة سبعة عشرة ألفا". بل لقد أفرد "داراً لليتامى والأرامل"، حتى انقطع بزاويته عدد كبير من حملة القرآن والعلماء، من بينهم محمد بن أحمد المغزازي، ويعقوب التواتي، وعلي الملقب بالجب. وهؤلاء مدفونون بتامجوت (*الإعلام*،9 : 214). أما تلاميذه فيعدّون بالآلاف، منهم علماء كبار،

كالأخوين العكاريين محمد والحسن الرباطيين، والحسن بن مسعود اليوسي، وسعيد بن محمد البوزيدي، وعبد الله شكلانطو الرباطي، ومحمد بن عبد العزيز التواتي، ومحمد بن عطية السلاوي، وغيرهم. ومنهم المتصوفة كأبي عثمان سعيد أحنصال (*دوحة*، 97 ؛ *الإعلام*، 9 : 214 ـ 215 M. Morsy, 56 ;).

وخصه محمد بن علي الزبادي بتأليف سماه *دوحة البستان ونزهة الاخوان في مناقب الشيخ علي بن عبد الرحمان*" عرف به وبابتداء أمره وسيرته، وطريقته وشيوخه، وجمع بعض كلامه (*دوحة* ؛ *المقدمة*).

وقد عرفت طريقته انتشارا واسعا في المدن والبوادي، وتأسست زوايا تابعة له في كل من مراكش والرباط ومكناس وتطوان والتسول وفاس (*النشر*، 2 : 292 ؛ *الإعلام*، 9 : 211).

وبسبب انتشار أمر الشيخ علي بن عبد الرحمان، واجتماع الناس عليه، امتُحن من قبل سلاطين الوقت. فقد أمر السلطان الرشيد بنهب زاويته مرارا، واستقدمه إلى مراكش، حيث فرض عليه شبه إقامة إجبارية، حسب الإفراني (*صفوة*، 184). ولعله ظل على تلك الحال حتى وفاة ذلك السلطان سنة 1082/1672.

أما الزبادي فإنه يؤكد أن السلطان أودعه السجن، حيث مكث "أياما قلائل" ثم أخرجه وأمر بطرحه "في بئر خارج باب الجديد، قرب الصالح سيدي عبد الرحمن القرشي". ويدخل ذلك كله في إطار المحنة التي لاقتها الزوايا في ذلك العهد.

ومهما يكن من أمر فالمؤكد أن عليا بن عبد الرحمان الدرعي امتحن من قبل السلطان وأن زاويته نهبت. لكن من المحتمل أنه واصل نشاطه الصوفي بعد ذلك. ذلك أن القادري (*النشر*، 2 : 292) أشار إلى أن السلطان إسماعيل أمر "بأخذ داره...". وأغلب الظن أنه ينفرد بهذا الخبر. كما يشير الولالي (*مباحث*، 195) الذي تردد إلى زاوية تامجوت عدة مرات، أنه : "وقعت له فتنة مع ملك من ملوك الوقت، فانتقص تقصف الناس عليه، ثم أنجاه الله تعالى منه، فعاد الأمر كما كان أولا من ترادف الناس عليه للأخذ والزيارة إلى أن توفي..."

توفي علي بن عبد الرحمان الدرعي، بالوباء في منتصف شهر ربيع الأول، حسب الضعيف (*تاريخ*، 63)، وفي 21 منه حسب الإفراني، (*الصفوة*، 184) عام 1091/1680، ودفن بزاويته الموسومة بتامجوت من بلاد تادلا.

أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، تح. عبد العزيز بوعصاب، 1987 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، طبعة حجرية ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، تح. محمد الحبيب نوحي،1988 ؛ م. الزبادي، *دوحة البستان*، مخطوط، خع 390 د ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1980، الجزء 9 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*...، الرباط، 1964 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري، الرباط، 1986 ؛ *التحري الميداني*.

De La Chapelle, *Le Sultan My Ismaïl, A.M*, 1927 ; G. Grague, *Esquisse*, Paris, 1951 ; M. Morsy, *Les Ahansal*, Paris, 1972.

أحمد عمالك

الدرعي، علي بن **عمر**، تتلمذ على أبي الحسن علي ابن العطار، ثم قدم إلى مراكش، وتوجه إلى مكة، فأدى الفريضة، وعاد إلى بلده بوادي درعة (*التشوف*، 411 ؛ *الدرر المرصعة*، 216). كان عبدا صالحا صاحب مجاهدة وأحوال، وكان يواظب على الصيام طيلة أيام الأسبوع، لا يفطر إلا من يوم الجمعة إلى يوم الجمعة (*التشوف*، 411 ؛ *الإعلام*، 9 : 62). وكان إذا غلب عليه الحال سال دمه من أنفه لشدة وجده.

توفي بدرعة عام 608 / 1211 (*التشوف*، 411 ؛ *الإعلام*، 9 : 62 ؛ *الدرر المرصعة*، 216). قال المكي الناصري : "قلت وقبره شهير بالزاوية بقرية اغرغر من مزگيطة، وقد زرته مرات، ويعرف الآن عند العامة بل وبعض الخاصة بسيدي لحسن" (*الدرر المرصعة*، 216).

ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أ.د التوفيق، الرباط، 1984 ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 9، الرباط، 1980.

حسن حافظي علوي

الدرعي، علي بن المقدم المحمودي، ينتسب إلى إحدى القبائل العربية التي كانت تستوطن الواحات الجنوبية من درعة الوسطى (*العقود الجوهرية*، 74)، ولد على الترجيح في السنوات الأولى من القرن الثالث عشر (19 م).

وبالرغم من أننا لا نتوفر على ما يفيدنا حول تكوينه العلمي فلاشك أنه حفظ القرآن الكريم وأخذ مبادئ الفقه واللغة العربية بمسقط رأسه، وبعد ذلك رحل في طلب العلم بمختلف قصور الوادي فلازم مجالس أهل العلم بفزواطة ومزگيطة حتى تخرج مقرئاً بالعشر وفقيهاً مبرزاً لا يطار تحت جناحه. وعلى عادة جل علماء وادي درعة توجه علي ابن المقدم في زمن غير معروف إلى المشرق فأدى فريضة الحج، وأثناء عودته جاور بالأزهر الشريف حيث أخذ عن ثلة من علماء مصر مثل الباجوري وطبقته (*الإعلام*، 9 : 254) وبعد عودته إلى المغرب عينه السلطان مولاي عبد الرحمان ابن هشام قاضياً على وادي درعة، فكان يمارس وظيفته أولا بزاوية شرقاوة بواحة مزگيطة ثم بقصر تارغليل بواحة ترناتة. ويظهر أن الكفاءة العلمية التي كان يتمتع بها علي ابن المقدم جعلت السلطان يفوض له أمر تعيين نواب عنه لممارسة القضاء بمختلف واحات درعة والمناطق المجاورة (*وثائق محلية*) ونستشف من خلال جملة من الوثائق

المهورة بتوقيع الفقيه علي بن المقدم، أن مدة ولايته كقاض بدرعة قد استمرت أكثر من عقدين من الزمن، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على ما كان يتمع به هذا الفقيه من ثقة سواء بالنسبة للمخزن أو بالنسبة للسكان بالمنطقة. وماتزال جملة من الوثائق ورسوم الأملاك العقارية تزخر بتعاليق وتوقيعات الفقيه علي ابن المقدم، حيث كانت أحكامه لا ترد لقوة الدلائل والحجج الفقهية التي كان يسوقها لإفحام بعض الفقهاء المتصدرين للإفتاء ونقض الأحكام، خاصة فقهاء قصر استور، وفقهاء قصر أولاد أوشاح من آل حاجي (*وثائق محلية*).

وفي سنة 1286 عين السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان الفقيه على بن المقدم قاضياً بمدينة أسفي، ولم تطل مدته بهذه المدينة حيث أعفى سنة 1287 (*الإعلام*،9 : 254).

استقر علي بن المقدم أخيراً بمدينة مراكش، وقد أحيى الله به قراءة العشر بهذه المدينة، كما أقبل على تدريس الفقه حيث أخذ عنه الجم الغفير من علماء المدينة، ومن آثاره : *حاشية على شرح المرشد الصغير* وصفه صاحب *الإعلام* بأنه يشتمل على أبحاث حسنة وفقه كثير. وقد توفي سيدي علي بن المقدم عن سن عالية بمدينة مراكش مع بداية العشرة الأخيرة من القرن الثالث عشر / أوائل سنة 1875.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 9 ؛ م. بن لحبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط ؛ *وثائق محلية* في حوزة الكاتب.

أحمد البوزيدي

الدرعي، علي بن **يوسف** بن أحمد بن عبد الحليم التمازري أصلا، الأگتاوي داراً ومولداً. قال الجزولي في *إنارة البصائر* : "وخروج أسلافه من سوس من بلدة نبي الله أو ولي الله تعالى سيدنا دانيال المسماة تاگمت المنسوبة لبني يعقوب الآن (*الدرر المرصعة*، 222).

تتلمذ على الشيخ مَحمد بن أبي بكر الدلائي، وحضر مجالس العلماء المتوافرين في الزاوية الدلائية، ثم عاد إلى درعة واشتغل بالتدريس في أكتاوة وتسرگات حيث لازمه الشيخ مَحمد ابن ناصر (*الحركة الفكرية*،2 : 544 و*الزاوية الدلائية*، 55 و59 و*الروض الزاهر*، 193).

كان لتتلمذ مَحمد ابن ناصر على علي بن يوسف أثر كبير في شهرة هذا الأخير وحفظ أخباره في كتب التراجم التي اعتنت بأعلام الزاوية الناصرية كـ*الدرر المرصعة والروض الزاهر وطلعة المشتري*.

استقر المقام بالمترجم له بعد عودته من الزاوية الدلائية في زاوية سيد الناس بتامگروت (*الحركة الفكرية*، 2 : 544 و542) واشتغل بالتدريس بها، وكان يستعين بأعمال أخرى على معاشه. ذكر أحمد بن خالد الناصري أن محمد بن ناصر ابتدأ بتعلم العربية واللسان والفقه وما التحق به على أبي الحسن علي بن يوسف الدرعي ولازمه مدة مديدة إلى أن نال منه مراده، مع ما كان عليه الفقيه المذكور من عدم المداومة على القراءة لاشتغاله بمعاشه، فربما قرأ في بعض الأيام بيتاً أو بيتين من *الخلاصة* وربما لم يقرأ، وكان ذلك كله لا يصد سيدي مَحمد عن التعلم عليه (*طلعة المشتري*، 1 : 127).

وقال محمد حجي : "وكان أبو الحسن هذا كثيراً ما يضيق ذرعا بضنك عيش تامگروت، ويقصد شيخه أبا بكر في الدلاء فينال من عطاياه وهداياه ما ينقلب به إلى أهله مسرورا".

احتفظت مؤلفات الناصريين بأخبار تؤكد ما عاني منه المترجم له من ضيق سعة ذات اليد، ومن تلك الأخبار القصة التي جرت له مع تلميذه مَحمد بن ناصر ودونها أبو العباس الجزولي في *إنارة البصائر* ثم نقلها عنه المكي الناصري في *الدرر المرصعة والروض الزاهر* وأحمد الناصري في *طلعة المشتري*. ذلك أن أم الشيخ مَحمد بن ناصر نسجت له ثوباً جديداً جيداً واسعاً سابغاً، فآثر به شيخه علي بن يوسف على نفسه، رصده إلى أن دخل بيت الاغتسال فوضع ثوبه الجديد مكان ثوب شيخه وأخذ هو البالي. ولما علم الشيخ بذلك استعظم ذلك منه ودعا له. قال المكي الناصري : "فنال به الشيخ رضي الله عنه ما اشتهر عنه من علم ودين وعمل صالح ودنيا وافرة وذرية صالحة والجاه والاستقامة وإقبال الخلق عليه للنفع والعلم والبركة (*الدرر المرصعة*، 222 و223 و*طلعة المشتري*، 1 : 127 و128). ومنها أيضاً أنه كان يرغب في ضيافة طلبته له. قال الشيخ محمد بن ناصر قال سيدي علي بن يوسف : قول الطلبة ليس على الفقيه من ضيافة هو عذر يقيمونه. ثم قال بعد ذكر كلام شيخه سيدي علي : بل الفقيه أولى بالضيافة والكرم لأنه هو الذي يرى فضل ذلك (*الروض الزاهر*، 192).

كان أبو الحسن علي بن يوسف مبرزاً في جملة من العلوم العقلية والنقلية قال أحمد في *فهرسته* : وجل استفادته ـ الشيخ ابن ناصر ـ في العلوم الظاهرة عن العالم المتواضع الأبرك الولي الصالح الأكبر سيدي علي بن يوسف (*الدرر المرصعة*، 226 و*الروض الزاهر*،111 و*اقتفاء الأثر*، 117 و*نشر المثاني*،2 : 211). وقد كثر الآخذون عنه في مختلف جهات تامگروت وبذلك عد إمام المعقول والمنقول في هذه البقعة من درعة (*الحركة الفكرية*، 2 :544).

لم نقف على تاريخ وفاة علي بن يوسف فيما اعتمدناه من مصادر وذكر محمد حجي أنه توفي حوالي 1045 / 1635 (*الحركة الفكرية*،2 : 544) ودفن باركّو (*الزاوية الدلائية*، 54).

م. المكي الناصري، الدرر المرصعة، مخطوط ؛ الروض الزاهر، تح. المهدي الغالي، د. د.ع. في التاريخ، كلية الآداب، الرباط، 1998 - 1999 ؛ أبو سالم العياشي، اقتفاء الأثر، تح. نفيسة الذهبي،

الرباط 1996 ؛ م. ابن الطيب القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط 1982 ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري*، ج. 1، الدار البيضاء 1978 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، ج. 2، فضالة، 1978 ؛ *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

حسن حافظي علوي

الدرعي، أبو القاسم بن عبد الرزاق المصدياني. عاش هذا الشيخ الجليل خلال القرن العاشر (16 م)، وهو مؤسس زاوية تينمسلا بواحة تينزولين بدرعة. ويذكر عن نفسه أنه هبت عليه نفحة صوفية، فانطلق في رحلة البحث عن شيخ يأخذ بيده ويتخذه قدوة له، وحدد في قرارة نفسه بعض الضوابط التي يجب أن تتوفر في شيخه، فلم يجد هذه المواصفات في كل الشيوخ الذين زارهم وانتهت به الرحلة إلى زاوية تازروالت حيث وجد ضالته في الشيخ سيدي أحمد بن موسى السملالي (*الدرر المرصعة*، 115). ويفهم من إحدى رسائل شيخ زاوية تينمسلاً في مطلع القرن العشرين الحسن بن عبد العزيز إلى مقدمي ومريدي زاوية تينمسلا بمختلف جهات المغرب، أن جده أبا القاسم بن عبد الرزاق المصدياني الدرعي، من ذرية محمود بن عبد القادر الجيلاني نزيل بغداد، ثم ذكر صاحب الرسالة سلسلة نسب أبي القاسم بن عبد الرزاق إلى أن ربطه بالشيخ عبد القادر الجيلاني (*من وثائق زاوية تينمسلا*) وهذا ما جعل أحفاد الشيخ أبي القاسم بن عبد الرزاق يحملون اسم القادري في أوراقهم الرسمية حالياً.

جاء أسلاف أبي القاسم بن عبد الرزاق من جهة الساحل (الصحراء المغربية الحالية) في زمن غير مدقق إلى درعة. وأول من وصل منهم إلى الوادي هو الشيخ عمرو بن داود المصدياني، حيث نزل بقصر تيگيت وما يزال بعض حفدته وضريحه إلى اليوم على جانب الطريق الرابط بين أگدز وزاگورة (*وثيقة محلية*).

كان الشيخ أبو القاسم مؤسس زاوية تينمسلا من أهل الصلاح والدين يشار إليهم بالولاية (*المعسول*، 19 : 120).

وبالرغم من أننا لا نعرف أي شيء عن مستواه العلمي، وهل هو من الفقهاء المتصوفة أم لا، فإن صاحب *الدرر المرصعة* يذكر أن لأبي القاسم بن عبد الرزاق كلاماً عالياً يحذو فيه حذو الشيخ الجزولي في مناجاته، بل فيه ما تشمئز منه النفس وتمجه الفطرة السليمة (*الدرر*، 115).

توفي أبو القاسم بن عبد الرزاق في زمن غير محدود من القرن العاشر (16 م) وخلفه على زاويته ابنه عمرو بن أبي القاسم، وسلك نهج والده في تربية المريدين والإكثار من الزوايا سواء بوادي درعة أو المناطق المجاورة لها مثل بلاد تازرين ودادس وفم زگيط وخاصة إفريقيا الغربية، وقد ظلت زاوية تينمسلا تعتبر أكبر زاوية بدرعة من حيث عدد الفروع وكثرة الأتباع حتى نبغت زاوية تامگروت الناصرية وما تزال زاوية أبي القاسم بن عبد الرزاق إلى يومنا هذا تحتل الدرجة الثانية بعد الزاوية الناصرية، ببلاد درعة والمناطق المجاورة.

مجهول، *هدية السرور من الملك الخلاق في كرامة أبي القاسم بن عبد الرزاق*، مخطوط، *وثائق زاوية تينمسلا* بحوزة الكاتب ؛ م. المكي بن الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط، م. بن لحبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 19.

أحمد البوزيدي

الدرعي، محماد بن الحبيب الرگراگي الغنيمي التامنوگالي المزگيطي التيوسوتي الشهير عند علماء مراكش بالدرعي. ولد عام 1323 / 1905.

قرأ القرن بكتاب قصبة تامنوگالت على يد صهره الفقيه السيد محماد بن علي الغرغري، ثم انتقل عند الفقيه المدرس الشهير السيد محماد بن المكي بن محمد الناصري. ثم تاقت نفسه إلى الاستزادة من العلم فانتقل إلى مدينة مراكش ودرس على شيوخ العلم بجامع ابن يوسف، وأجازه بعض الشيوخ لأهليته وتمكنه من شتى العلوم. بعدها تفرغ للتدريس والوعظ بمساجد مختلفة وفي مناطق متعددة، ابتداء من مسجد الشرفاء بالمواسين، ومنه إلى زاوية مولاي عبد الملك بمنطقة قلعة مگونة ودادس، ثم إماماً مدرساً ومحدثاً بالجامع الكبير بزاوية سيدي صالح بمنطقة أكتاوة. وكان من المتمسكين بأصول الشريعة الإسلامية معاديا للبدعة وأهلها، محبباً عند الخاص والعام.

ترك ـ رحمه الله ـ مجموعة من المؤلفات نذكر منها :

1) *العقود اللؤلئية في الأخبار الدرعية*، ذكره ابن سودة باسم (تاريخ درعة).

2) *تأليف في ترتيب ما أورده السيوطي في كتابه (اللآلي المصنوعة على الأحاديث الموضوعة)* ويحتوي التأليف على 1612 حديثاً ألفه سنة 1353 / 1934.

3) تأليف صغير في ترتيب رجال الكتاب المسمى *وسيلة الفريق بأئمة الطريق* على عدد حروف الهجاء.

4) *أرجوزة حول بيان الرضاع* والقدر الذي تحصل به الحرمة.

5) *شرح مختصر الزواجرفي اقتراف الكبائر* للإمام العسقلاني لم يتمه.

6) *منظومة في العقائد التوحيدية* أبياتها 30.

7) *نظم فرائض الشيخ خليل* أبياتها 382.

8) *منظومة تحتوي على أنواع شتى من العلوم* أبياتها 424.

9) *الهمزية في مدح الرسول* ﷺ أبياتها 410.

10) *رثاء شيخه محمد المكي الناصري* أبياتها 93.

11) *قصيدة لامية* أبياتها 1096.

توفي عام 1362 / 1943 ودفن بمقبرة قصبة تامنوگالت.

أ. متفكر، *ذيل، إعلام مراكش*، مخطوط ؛ روايات شفوية.

أحمد متفكر

الدرعي (سمك) أو الذيب "لولو" (Le loup)، أوتحرش كما هو شائع في الأسواق السمكية في كل من العرائش وطنجة ومولاي بوسلهام ومهدية، أو بوشوك في الجديدة وأسفي والصويرة وأگادير وطرفاية والداخلة والحسيمة، جنس من الأسماك البحرية يسمى بسمك القاروس أو القاروص في كل من تونس وليبيا ومصر ولبنان وفلسطين وسوريا. والدرعي يطلق في المغرب على نوعين من الأسماك البحرية العظمية من فصيلة مرونيدي Moronidae ومن جنس ديسونتراركس Dicentrarchus : الدرعي العادي والدرعي المنقط.

الدرعي العادي يسمى علميا (Morone labrax) Dicentrarchus labrax وبالفرنسية Bar européen وبالإنجليزية European seabass وبالإسبانية Lubina. طوله شائع بين 20 و55 سم ويبلغ أحيانا 100 سم عند الكبار.

جسمه طويل فضي اللون ورمادي على الجوانب وأزرق جهة الظهر، غالبا ما يكون البطن مصفراً. تعرف الكبار ببقعة سوداء على الجهة العليا من غطاء الفتحة الخيشومية. الزعنفتان الظهريتان مفترقتان، تتكون الأولى من8 ـ 10 شوكات والثانية من شوكة واحدة ومن 12 ـ 13 شعاعات هشة.، تتكون الزعنفة الذيلية من ثلاث شوكات ومن10 ـ 12 شعاع هش. الحراشف دائرية وصغيرة ويتكون الخط الجانبي من 62 ـ 80 حرشفة. فمه حاد وشفتاه رقيقتان، الأسنان هلالية الشكل ومترتبة في صفوف بداخل كل فك.

يعيش الدرعي في مختلف المناطق الساحلية الدافئة المياه وذلك في أعماق لا تتعدى 100 متر. شائع في المياه البحرية الوطنية الغير العميقة، ويوجد أيضا في البحيرات الساحلية كبحيرة الناظور والوليدية وسيدي موسى ومولاي بوسلهام وخنيفيس وشرم الداخلة. كثيرا ما يدخل معظم مصبات الأنهار الوطنية (سبو، بورقراق، أم الربيع، تاهدارت، اللكوس) ويقطع مسافات طويلة بداخل الأنهار بحثا عن الأكل. يتكون من مجموعات متعددة الأفراد خلال فترة التوالد التي تمتد من شهر يناير إلى بداية مارس. تصير الذكور بالغة بعد سنتين والإناث بعد ثلاث سنوت يصل طولها إلى 31 ـ 40 سم.

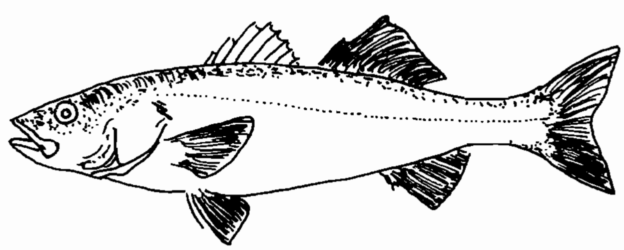
الدرعي سمك لاحم، يتكون غذاؤه من اللافقريات الصغيرة وخاصة منها الرخويات والقواقع ومختلف أنواع القشريات كالإربيان والسرطانات وصغار الأسماك. ينتشر توزيعه الجغرافي على كل الشواطئ المغربية الأطلنطية والمتوسطية ويوجد أيضا في البحر المتوسط والبحر الأسود والشواطئ الأطلنطية الأوربية والموريتانية والسنغالية.

الدرعي المنقط يسمى علميا (Morone punctatus) Dicentrarchus punctatus وبالفرنسية Bar tacheté وبالإنجليزية Spotted seabass وبالإسبانية Baila. طوله شائع بين 20 و40 سم يبلغ أحيانا 70 سم عند الكبار. يعرف في سوريا ولبنان ومصر بالقروس والقاروس المنقط ونقطة وأوب نقطة. وفي تونس وليبيا القاروس المنقط. ويعرف بالدرعي المنقط أو بونقطة في كل من مولاي بوسلهام ومهدية والرباط وطرفاية والعيون والداخلة. ويلقب بـ"لوبير" و:نوبير" في كل من طنجة والعرائش وأصيلا.

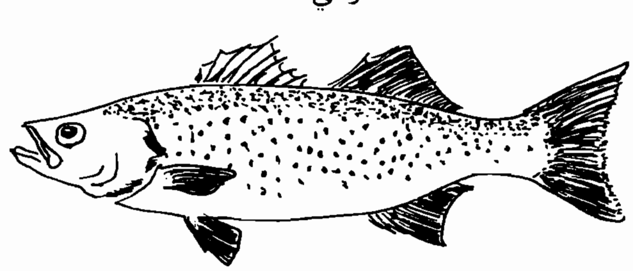
جسمه طويل فضي اللون ورمادي على الجوانب وأزرق جهة الظهر، الجوانب والظهر مبرقعة ببقع سوداء متفاوتة الحجم. تعرف الكبار ببقعة كبيرة سوداء داكنة في مؤخرة غطاء الفتحة الخيشومية. الزعنفتان الظهريتان مفترقتان، تتكون الأولى من8 ـ9 شوكات والثانية من شوكة واحدة ومن 10 ـ 12 شعاع هش. تتكون الزعنفة الشرجية من ثلاث شوكات ومن10 ـ12 شعاع هش. الحراشف دائرية وصغيرة ويتكون الخط الجانبي من 57 ـ 65 حرشفة. فمه حاد وشفتاه رقيقتان، الأسنان هلالية الشكل ومترتبة في صفوف بداخل الفكين.

يعيش في المناطق الساحية الدافئة المياه، وشائع في المياه البحرية الوطنية الغير العميقة الرملية والوحلية والصخرية، ويوجد أيضا في البحيرات الساحلية القليلة الملوحة كبحيرة الناظور والوليدية وسيدي موسى ومولاي بوسلهام وخنيفس وشرم الداخلة. كثيراً ما يدخل معظم مصبات الأنهار الوطنية (سبو، بورقرار، أم الربيع، تاهدارت، اللكوس) ويقطع مسافات طويلة في أعالي الأنهار بحثاً عن الأكل في المياه العذبة. تمتد فترة التوالد من شهر يناير إلى غاية شهر أبريل. تصير الصغار بالغة بعد ثلاث سنوات يصل طولها 25 سم. نموه أقل سرعة من نوع الدرعي الغير المنقط إذ لا يبلغ طوله 41 سم إلا بعد سبع سنوات.

يتكون غذاؤه من اللافقريات الصغيرة وخاصة منها الرخويات والقواقع والإربيان والأسماك الصغيرة



الدرعي



والسرطانات. يقتصر توزيعه الجغرافي على كل الشواطئ المغربية الأطلنطية والمتوسطية ويوجد أيضا في البحر المتوسط وخاصة في الضفة الجنوبية منه كما يوجد في السواحل الأطلنطية الأوربية والمريتانية والسنغالية.

صيد أنواع سمك الدرعي بالمغرب تقليدي ورياضي ويتم بشباك الجرف وبشباك الإحاطة أو التحليق وبالشباك الخيشومية وبالصنانير. يوجد في أسواق الأسماك المغربية بصفة غير منتظمة. لحمه لذيذ ويؤكل طرياً.

تتم تربية سمك الدرعي العادي في المزارع البحرية بكيفية ناجحة في كثير من الدول الأوربية. بدأت تربيته في المغرب سنة 1986 في بحيرة الناظور وقد عرفت هذه التربية نجاحا من طرف شركة ماروست وشركة صام حيث يتراوح الإنتاج ما بين 24 ـ530 طن سنويا يُصدّر أغلبها إلى الأسواق الأوربية.

يعطي الجدول التالي الكمية المنتجة سنويا لسمك الدرعي العادي في بعض أحواض التربية المائية بالبحيرات الساحلية المغربية :

السنة	1990	1991	1992	1993	1994	1995
الكمية بالطن	24	96	119	193	332	533

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة،1988 ؛ أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة،1932 ؛ *دليل تعريف الموارد البحرية الحية في المغرب*، المنظمة العالمية للتغذية، روما، 1998.

M. Ramdani et N. Elkhiati, *Flore et faune marines du Maroc. Biodiversité, Biologie, Ecologie et Biogéographie.* Expo. 98, Lisbonne, Rabat, 68 p., 1998 ; Ministère des Pêches Maritimes, *La mer en chiffre, synthèse de l'activité du Ministère des Pêches Maritimes et de la Marine Marchande*, Rabat, 1995.

محمد رمضاني

درغوث باشا، يطلق عليه المسيحيون لفظ Dargut، وDragutte، والأتراك Dorgut ودرغوتشه بالتصغير. ولد بقرب الأناضول حوالي سنة890 / 1485. وشارك منذ شبابه في الملاحة العسكرية العثمانية إلى أن أصبح من الرياس المرموقين في بحر إيجه منذ سنة940 / 1533 ؛ قبل أن ينتقل للعمل تحت قيادة خير الدين باربروس في مياه الحوض المتوسطي الغربي، متعاونا مع اسطول الجهاد التطواني في المياه الإسبانية أثناء فترة حكم السيدة الحرة، وقد أكسبته جسارته وجرأته عدة ألقاب كان يفتخر بها مثل "الشيطان" و "سيف الإسلام"، ومكنته عملياته الناجحة من امتلاك مجموعة سفن تحت إمرته وفي يونيو947 / 1540 وقع أسيراً في يد القوات المسيحية حيث استخدم في التجديف إلى سنة951 / 1544، حيث تم افتداؤه من طرف أمير البحر خير الدين باربروس. في هذه السنة كان محمد الشيخ السعدي في مسعاه إلى مضايقة الإسبان والبرتغال بالمياه المغربية يتقرب درغوث بالهدايا محاولا استقطابه بمعية الرياس المرافقين له لتخدوا من الموانئ المغربية الأطلنتيكية مراكز لعملياتهم الجهادية.

وبعد ذلك نسجل غيابا لسيرة درغوث في المياه المغربية، لانتقاله إلى جزيرة جَرْبَة بتونس التي اتخذها قاعدة لعملياته، واهتمامه بالمساهمة في فتح ولاية طرابلس سنة 959 / 1551 ، ثم تنصيبه بايلرباي عليها سنة 961 / 1553، ولن يعود اسمه إلى الظهور في أقصى الغرب الإسلامي إلا في سنة965 / 1557 ، أثناء توتر العلاقات المغربية العثمانية، حيث راجت إشاعة في قيامه على رأس اسطول مكون من أزيد من مائة وخمسين سفينة بمهمة تفحص موانئ المغرب واحتلالها، بعد أن قامت بعض السفن العثمانية بجولات استطلاعية همت أساساً ميناءي بادس وسلا. وهو ما أقضَّ مضاجع السلطات المغربية والإسبانية والبرتغالية.

لكن هذه الإشاعة لم تتحقق نتيجة تمكن سليمان القانوني من القضاء على خصمه محمد الشيخ، واهتمام درغوث بتثبيت السلطة العثمانية في ولاية طرابلس التي ظل على رأسها إلى حين استشهاده في حصار مالطا سنة 973 / 1565.

أندري روسي، *طرابلس تحت حكم الإسبان*، ص. 58 ـ59.

حسن أميلي

الدرفوفي، محمد بن محمد الوجدي. ولد سنة 1336/ 1917 وكان من المجاهدين الذين ذاع صيتهم خاصة بمدينة وجدة حيث تعرض للاعتقال والنفي العديد من المرات.

وغداة اندلاع المقاومة المسلحة بالمدينة لعب محمد الدرفوفي دوراً كبيراً حيث قام بتأسيس خلايا للمقاومة وتوجيه أفرادها للقيام بالعمليات الفدائية والتنسيق بينها وبين خلايا المدن المجاورة. وقد أفزع نشاطه هذا المستعمر الذي حاول الإيقاع به ومساومته دون جدوى وهو الوطني الغيور الفدائي البطل.

فلم يبق أمام الإدارة الاستعمارية إلا القضاء عليه بأية وسيلة، فقامت بتسميمه وهو في السجن بواسطة عملية تلقيح مشبوهة نقل على إثرها إلى مستشفى كوكار بفاس. "وذكر لي بعض من كان معه في السجن أن الدرفوفي المذكور كان هو المكلف بجميع الأشياء في السجن وأن من طلبه يستجيب له كأنه خادم لهم ولا يترك أحداً منهم يتناول شيئاً، وهو آخر من ينام وأول من يستيقظ منهم ولا تسمع من فيه إلا نعم" (موسوعة، 6 : 3297) ـ.

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع النبوي عام 1374 / 8 نونبر 1954 توفي محمد الدرفوفي وهو في طريقة من

المستشفى بفاس إلى وجدة (على بعد نحو 30 كلم منها)، ودفن في غده، في مشهد حافل بالوطنيين.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 4 : 185 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع/موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، ج. 9، 1996.

الدرقاني، محمد، مقاوم ولد سنة 1937 بأيت محمد وعلي الحمام إقليم خنيفرة.

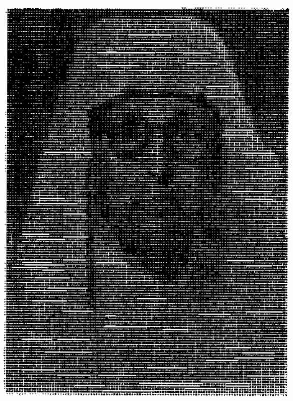
انخرط في صفوف جيش التحرير بالشمال منذ انطلاقته ضمن فرقة المنطقة الشرقية بمركز بوعنان تحت مسؤولية منير أحمد بن بوشعيب. وقد شارك في عدة معارك بإيموزار مرموشة والراشيدية، توفي بتاريخ 7 غشت 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، بطاقة 44 / 506.

الدرقاوي، أسرة شريفة تتصل سلسلة نسبهم بإدريس الأزهر باني فاس عن طريق ابنه أحمد، وجدهم القريب الذي ينتسبون إليه هو الشيخ أبو درقة محمد بن يوسف بن گنون دفين قبيلة بني ياگرين من أولاد بني رزگ في الشاوية. "كانت ديارهم الأولى قرب أسفي ومنها انتقلوا إلى شراگة قرب فاس ثم إلى بني زروال ومازالوا بها إلى الآن" (*رياض الجنة*، 2 : 71).

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، ط 2، فضالة، 1999، 2 : 158 ـ 160 ؛ ع. الحفيظ الفاسي، *رياض الجنة*، فاس، 1931، 2 : 71.

الدرقاوي، رشيد بن علي بن الطيب بن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي. ولد بفاس عام 1327 / 1909 وبها نشأ وتعلّم على يد والده ومن في طبقته من علماء القرويين، وحصل على شهادة العالمية من القسم الشرعي صحبة رفيقه الشهيد محمد القري من القسم الأدبي في 22 حجة عام 1351 / 18 أبريل 1933 فكانا أول فوج تخرج من القرويين بعد إحداث النظام الدراسي بها.



اشتغل رشيد الدرقاوي بالتدريس متطوعاً في القرويين، وعمل في صفوف رجال الحركة الوطنية في عهودها الأولى وعرف السجن والتعذيب والنفي. وكان من بين معتقلي گوليمة بالصحراء في رمضان عام1356 / نونبر 1937 بعد المظاهرات العنيفة ضد السيطرة الاستعمارية ونفي الزعماء واعتقال العديد من الوطنيين في مختلف أنحاء المغرب.

وقد اتهمه الفرنسيون هو ورفيقه محمد إبراهيم الكتاني بالتعاون مع دول المحور وقُدما للمحكمة العسكرية بمكناس فحكمت عليهما بالسجن لمدة عامين، والنفي خمسة أعوام، ومصادرة أملاكهما. ذكره أكثرَ من مرة رفيقُه في سجن گوليمة المجاهد المرحوم محمد إبراهيم الكتاني في كتابه من *ذكريات سجين مكافح*، ووصف ما لقي المترجم له من تعذيب مُميت على يد السجانين الجلادين الذين كانوا يزعجون السجناء الوطنيين قبل الفجر للخروج إلى الأعمال الشاقة، وينهالون عليهم بهراويهم الغليظة ضرباً وشدخاً طوال اليوم تحت الشمس المحرقة. ويوم الجمعة 22 رمضان 1356 / 26 نونبر 1937، كان رشيد الدرقاوي قد أصيبت رجله "بفكاك" لا يستطيع الوقوف عليها، ومع ذلك اقتاده الجلادون في جملة السجناء بنفس السرعة والعنف "فسقط للأرض على بعد نحو مائة ميتر... واجتمع عليه مَنْ وَجَدَهُ الحالُ بالقرب منه من (الگوم) والكرسيكي فضربوه حسبما قَدَّر هو فيما أخبر به بعد ذلك أكثر من ثلاثمائة ضربة، وتكسرت اثناءها عظام رأسه وسالت دماؤه حتى أغمي عليه. ثم جعلوا يقفزون فوق بطنه وصدره، متوخين بلكماتهم القلب والكلى حتى لم يبق به حراك، وانقطع نفسه. فتركوه مكبوبا لوجهه، ورجعوا لمواصلة المذبحة".

انخرط المترجم بعد الاستقلال في سلك القضاء بالدار البيضاء، حيث ظل يزاول عمله إلى أن تقاعد وتوفي بها ليلة الاثنين 18 حجة عام 1411 / فاتح يوليوز 1991.

م. إبراهيم الكتاني، من *ذكريات سجين مكافح*، الرباط، 1977 ؛ م. ابن الحاج السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين*، الدار البيضاء، 1992.

محمد حجي

الدرقاوي، الطيب ابن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي، أصغر أبناء الشيخ. عينه أبوه قبل وفاته ليخلفه على رأس الطريقة الدرقاوية.

قضى مولاي الطيب حياة هادئة محترما من الجميع ومتجنبا كل ما من شأنه أن يقلق بال المخزن إلى أن لقي ربه. وهو الذي أخذ عنه الورد الدرقاوي عمّنا الفقيه المقدم محمد بن الطاهر بن الحبيب الشياظمي الحاجي السباعي،

حين كان طالباً للعلم بالقرويين بفاس. ويقول الناصري في *الاستقصا* : "في فجر يوم الجمعة الثامن من جمادى الأولى من سنة 1287 / 10 غشت 1870، توفي الولي الصالح الناسك السني أبو عبد الله محمد الطيب ابن الشيخ الأشهر مولاي العربي الدرقاوي ودفن بمحل زاويته بأمجّوط من بلاد بني زروال، وكان من خيار عباد الله على غاية من التقوى والورع والتواضع مع الناس، يركب الحمار ويلبس الجبّة ولا يتميز عن أصحابه بشيء، مع السكينة والوقار وعدم الخوض فيما لا يعني والإعراض عن زهرة الدنيا وأهلها".

أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ *سلسلة مدن وقبائل المغرب*، ج. 10، دكالة، تر. م. الشياظمي.

G. Dragué, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951.

محمد الشياظمي

الدرقاوي، عبد الرحمن بن الطيب ابن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي. عالم صوفي وأستاذ مقرئ. من أهل المجد والفضل والتواضع والكرم. استوطن الزاوية الدرقاوية بسلا في حي باب حساين منقطعاً لأخذ العلم، فقرأ على العلماء السلويين محمد العربي بن سعيد، ومحمد المكي الصبيحي وأحمد بن خالد الناصري وعبد الله ابن خضراء وغيرهم.

ثم رجع إلى مسقط رأسه في أمجّوط حيث عاش معلماً ومربياً، "ساعياً في قضاء حوائج الناس وإصلاح ذات البين وإخماد الفتن وجمع الكلمة على طاعة المخزن مع نباهة القدر والجاه العريض وتعظيم الخاصة والعامة" (*رياض الجنة*، 2 : 72).

توفي بمسقط رأسه أمجّوط ببني زروال يوم الأربعاء 27 جمادى الأولى عام 1346 / 23 نونبر 1927.

ع. الحفيظ الفاسي، *رياض الجنة*، فاس، 1931، ج 2، 71 ـ 72 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ *سل النصال / موسوعة المغرب*، بيروت، 1996، ج 8، 2967 ـ 2969.

محمد حجي

الدرقاوي، العربي (مولاي –) الشيخ أبو عبد الله محمد العربي بن أحمد بن الحسن بن سعيد الحسني، المعروف بمولاي العربي الدرقاوي. شيخ الطريقة الدرقاوية الشهيرة ومؤسسها. ولد ببني زروال في بلاد جبالة عام 1150 / 1737 ويذكر البعض أن أحد أجداده المعروف ببودرقة مدفون في بني ازگ ببلاد الشاوية.

ينتمي مولاي العربي إلى الشرفاء الأدارسة. أخذ التصوف عن أستاذه الصوفي الكبير مولاي علي بن عبد الرحمان العمراني الفاسي، المدعو بالجَمَل، المشهور بسعة اطلاعه وحميد خصاله والمتوفى سنة 1239 / 1823.

وبعد ذلك أسس مولاي العربي طريقة صوفية جديدة ببوبريح من بلاد جبالة، وهي الطريقة الدرقاوية التي تستمد مذهبها من تعاليم الإمام الشاذلي. ولم تلبث هذه الطريقة أن نالت نجاحاً باهراً في الحواضر والبوادي على السواء، وانخرط فيها عدد كثير من المريدين في المغرب والجزائر.

ولم يلبث نشاط مولاي العربي أن تجاوز بسرعة الميدان الروحي لينفذ إلى الميدان الدنيوي، رغم كونه كان يقول : "ما طلب أحد السلطة الدنيوية إلا هلك !"

وعمل السلطان مولاي سليمان على توجيه هذه القوة الصاعدة واستخدامها لصالحه، فبالغ في مجاملة مولاي العربي وكلفه ببعض المهام، فأرسله في المرة الأولى في بعثة إلى أخيه مولاي مسلمة الذي كانت قد تمت بيعته سلطاناً على المغرب في سنة 1207 / 1792 أثناء التمرد الذي شنّه شرفاء جبل العَلَم وبعض قبائل جبالة.

وبعد ذلك بعدة سنوات، دعت الظروف السلطانية مولاي سليمان إلى استخدام درقاوة من جديد في إنجاز قضية بالغة الأهمية، وهي أن بعض القبائل العربية ثارت على باي وهران بتحريض من المقدم الدرقاوي المحلي المدعو أبا محمد عبد القادر بن الشريف *البليتي*، احتجاجاً على تنفيذ حكم الإعدام في أحد أتباع الطريقة، وكان ذلك في عام 1217 / 1802 وتغلب الثوار في العديد من المعارك على الجيوش التركية إلى حدّ أن داي الجزائر طلب من السلطان مولاي سليمان أن يستخدم مولاي العربي في تهدئة أتباعه، فأسرع السلطان إلى تلبية هذه الرغبة، خصوصاً وأنه كان قد حصل في سنة 1795 على انسحاب الأتراك من وجدة وكان يتحيّنُ الفرص لتقوية الثغور الشرقية للإيالة الشريفة.

ذهب مولاي العربي إلى تلمسان واستمع لشكاوى أتباعه، لكنه بدل أن يساعد باي وهران على بلوغ مراده، انحاز إلى الثوار ودافع عنهم، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، فأخذ البيعة لمولاي سليمان من سكان مدينة تلمسان وسمح لهم بقراءة خطبة الجمعة في مساجد المدينة باسم سلطان المغرب، ولما أطلع مولاي العربي السلطان على هذه الأحداث لم يستنكرها بل بعث إلى الشيخ مولاي العربي برسالة يشكره على عمله، وفي تبك الأثناء بعث أهل تلمسان وفداً إلي المولى سليمان غير أن الأتراك ثارت ثائرتهم وأخفوا يهددون، فاضطرّ السلطان لمقتضيات سياسية إلى استنكار العمل الذي قام به مبعوثه مولاي العربي، وأرسل مبعوثاً آخر إلى تلمسان لإعادة المياه إلى مجاريها. وهكذا تخلى عن ناحية وهران حيث كان في استطاعة الأتراك التدخل بقوة ليتمكن من المحافظة على الواحات الصحراوية. وأمام إلحاح السلطان الشديد، اضطر مولاي العربي إلى التنديد بأعمال المقدم أبي محمد عبد القادر بن الشريف البليتي، وقيل إن مولاي العربي الذي أزعجه طموح هذا المقدم وميله للأبهة والبذخ أشار إلى

السلطان بسحب الرعاية التي كان قد أسبلها عليه...

ومهما يكن من أمر فإن العلاقات التي كانت قائمة بين السلطان وبين شيخ الطريقة الدرقاوية أخذت تفتر بعد هذه الأحداث. ومما لا شك فيه أن التغيّر المفاجئ الذي ظهر على السلطان كان له تأثير على نفسية مولاي العربي، ثم أصبحت العلاقات بين المخزن والشريف الدرقاوي سيئة للغاية حينما شرع السلطان في شن حملة على المتصوفة والتنديد علنيا بالأعمال التي تقوم بها الطوائف...

اتخذ بعد ذلك مولاي العربي موقفا معاديا للسلطان وثار أتباعه من البربر وكبّدوا جيوش المخزن الهزيمة تلو الهزيمة، كما أسروا سنة 1234 / 1818 في معركة زيان السلطان مولاي سليمان لعدة أيام وجرحوا فيها جروحاً مميتة ابنه الأمير مولاي إبراهيم.

وفي السنة التالية حاصرت حشود البربر مدينة مكناس تحت قيادة أبي بكر أمهاوش من أتباع الطائفة الدرقاوية. وفي سنة 1236 /1820، وقّع مولاي العربي والحاج العربي الوزاني شيخ طائفة وزان بفاس مع جماعة من أعيان هذه المدينة على وثيقة قرروا بمقتضاها خلع السلطان مولاي سليمان ومبايعة مولاي إبراهيم ابن السلطان السابق مولاي اليزيد.

لقد كان هذا التواطؤ الذي حصل بين أهل فاس وبربر الأطلس المتوسط وأتباع طريقتين دينيتين كبيرتين من الخطورة بمكان على السلطان، الشيء الذي جعل الكثير من الناس لا يشكون لحظة في انتصار المتمردين ؛ غير أن حدثاً لم يكن في الحسبان أنقذ بأعجوبة السلطان مولاي سليمان، وهو أن مولاي العربي الدرقاوي كانت قد أخذته نشوة الانتصار فذهب بنفسه، دون اتخاذ الاحتياطات اللازمة، إلى جيش عرب الأودايا الذين كانوا يمثلون بعض ما تبقّى من الجيوش التي ظلت وفيّة للسلطان المخلوع، بقصد استمالتهم وضمّهم إلى الحركة التي كان يتزعمها، غير أن هؤلاء العرب قبضوا على مولاي العربي وسلّموه لمولاي سليمان فأودعه السجن.

ومنذ ذلك الحين، ظل أبناء مولاي العربي الصغار يتردّدون على السلطان مولاي سليمان ساعين في خلاص والدهم من الأسر دون جدوى. يقول الناصري في *الاستقصا* : "وقدم على مولاي سليمان أولاد الشيخ أبي عبد الله سيدي العربي الدرقاوي صبية صغاراً يشفعون في أبيهم ليسرحه لهم، فوصلهم وكساهم وقال لهم : والله ما سجنتُه ولا أمرت بسجنه، ولكن اتركوه، فسيُسرّحه الله الذي سجنه !"

وظل مولاي العربي سجيناً إلى ما بعد وفاة المولى سليمان، وكان قد بلغ من الكبر عتيا وأنهكه المرض فأطلق سراحه السلطان مولاي عبد الرحمان، فقضى نحبه سنة 1239 /1823. ولم يخلف سوى *رسائل في التصوف*، قدم لها الشيخ أحمد ابن الخياط وطبعت على الحجر بفاس.

العربي الدرقاوي، *رسائل*، ط. حجر فاس، 132 ؛ تقديم أحمد ابن الخياط الزكاري ؛ *سلسلة مدن وقبائل المغرب*، ج10، *دكالة*، تر. م. الشياظمي ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956.

G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951.

محمدالشياظمي

الدرقاوي، عزيز محمد بن علي بن الطيب بن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي. اشتهر بلقبه عزيز. وهو أكبر أولاد شيخ القرويين علي الدرقاوي آتي الترجمة. كان حافظاً للقرآن الكريم عارفاً برسمه وتجويده. ولما أسست كتلة العمل الوطني في أعوام الثلاثين "كان من أول رجالها ودافع بماله وقوته وإيمانه. ولـمّا سجن الوطنيون المرة الأولى بمدينة تازا سنة1349 / 1930، كان من أولهم مع الزعيم محمد بن الحسن الوزاني والزعيم علال الفاسي..." (*إتحاف المطالع*).

توفي بفاس في عشري شوال عام 1377 / 10 ماي 1958 ودفن بالقباب فوق الطريق المحدثة بنحو ثلاثة أو أربعة أمتار.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9،3332.

محمد حجي

الدرقاوي، علي بن **أحمد** بن محمد السوسي الإلغي من أساطين الطريقة الدرقاوية بسوس، انتشرت على يديه انتشاراً واسعاً في ربوع تلك البلاد فكثر أتباعها ومريدوها بفضل همة هذا الشيخ وتفانيه في سبيلها.

كان والد المترجم له رجلاً أمياً بينما كان جده حافظا لكتاب الله، ولهذا تولى الجد العناية بالحفيد، فأدخله إلى الكتّاب ليحفظ القرآن. وقد كان الجد يراجع معه سور القرآن في البيت إلى أن استكمل حفظ القرآن الكريم. ثم أرسله إلى مدرسة تنالت عند الأستاذ محمد بن بلقاسم اليزيدي فقرأ عليه المبادئ الأولية في العلوم العربية والشرعية، ثم إلى مدرسة تانْكرْت بإفران، فمكث بها أربع سنين. ولما زار الشيخ سعيد المعدري مقدّم الطريقة الدرقاوية بسوس، تانكرت، اتصل به المترجم وأعجب به فأخذ عنه الورد الدرقاوي، ولزمه أياماً ثلاثة تمكنت فيها الدرقاوية من عقله وقلبه، مما جعله يصاحب الشيخ المعدري في سياحاته تاركاً الدراسة وهو في وسط الطريق.

رجع المترجم إلى ميدان الدراسة بإلحاح من أهله فالتحق بمدرسة أدوز عند الأستاذ محمد بن العربي الأدوزي.

لم تنقطع صلة المترجم بشيخه سعيد المعدري طوال الفترة السابقة، فقد كان يزوره بين الفينة والأخرى، ويجد في نفسه حنيناً إلى التصوف، وبقي على هذه الحال إلى أن

جاءته رسالة من الفقيه الحسن التامودیزتي الذي تجرد وانقطع بزاوية المعدر، يدعوه فيها إلى الالتحاق به لينخرط في سلك الفقراء الدرقاويين.

استقر المترجم أخيراً في إلغ ـ بعدما رفضت أمه السماح له بالاستقرار بالمعدر ـ فشرع في تأسيس زاويته هناك بدءاً من أواسط شوال 1302 وتصدر فيها للمشيخة وتربية المريدين الدرقاويين، وتزوّج للمرة الأولى.

إن العوامل الثلاثة السابقة : بناء الزاوية، والتصدر للمشيخة، والزواج، جعلت الشيخ عليا الإلغي ينصرف كلية إلى الطريقة الدرقاوية، فأعطاها كل وقته وكل جهده وطاقته. وبهذا سيدخل الشيخ مرحلة جديدة من مراحل حياته. سينفض عنه أردية الخمول، ويقوم بأمر الزاوية والفقراء بهمة عالية لا تعرف الكلل، وبجد واجتهاد لا يعرفان الملل. كما كان بين الفينة والأخرى يقوم بالسياحة لتفقد أحوال الفقراء الدرقاويين المنتشرين بمختلف نواحي سوس : تانكرت، مجاط، تامانارت، أقّا. وتاقت نفس الشيخ إلى بيت الله الحرام ومقام النبي صلى الله عليه وسلم فأعمل الرحلة إلى هناك سنة 1305. وقد مكنه هذا السفر إلى المشرق من لقاء كثير من العلماء والشيوخ والمتصوفة في مختلف المناطق التي مرَّ بها واستفاد منهم كثيراً ما يروج هناك من أفكار وقضايا، كما اطّلع على ممّا كان يروج في العالم العربي من أفكار ودعوات إصلاحية. ووقف على مدى التقدم الهائل الذي تعرفه بعض المدن الأوربية التي عرج عليها. وهذا كله سيزيد من معارف الشيخ بقضايا أمته ودينه.

ونظراً لأهمية هذه الرحلة فإنه قد خلّدها بنظم تجاوز 1800 بيت عرض فيه لمراحل الرحلة، والمدن التي مرَّ بها، والعلماء الذين لقيهم، كما استرجع فيها جوانب من مراحل حياته السابقة. وقد هذب ابنه محمد المختار السوسي هذا النظم ونشره تحت عنوان : *أصفى الموارد في تهذيب نظم الرحلة الحجازية للوالد*.

لما رجع الشيخ من حجته استمر على حالته السابقة، بين إقامة بالزاوية متفقداً أحوال الفقراء المستقرين والزائرين، وبين سياحات يعملها إلى مختلف ربوع سوس مرشداً وناصحاً ومعلماً وملقناً الورد الدرقاوي. كما أنه في هذه المرحلة تزوج بزوجتيه الأخريين كانت ثانيتهما هي رقية بنت شيخه محمد ابن العربي الأدوزي التي قامت بتعليم البنات والنساء بالدار.

تعد هذه المرحلة أخصب مراحل حياة المترجم ففيها تم تألق نجمه، وذيوع صيته، فكثر أتباعه، وانتشرت الطريقة على يديه انتشاراً واسعاً. وألف عدداً من الكتب ذكرها ابنه محمد المختار السوسي هكذا :

- *ترجمة ربع العبادات* من مجموع الشيخ الأمير إلى اللسان الشلحي.
- *عقد الجمان في آداب الطريق*.
- *ترجمة الحكم العطائية* نظما باللسان الشلحي.
- *المبدئ والمعيد في أخبار الشيخ سيدي سعيد*.
- *مؤلف في الطب*.
- *رحلته الحجازية المنظومة*.

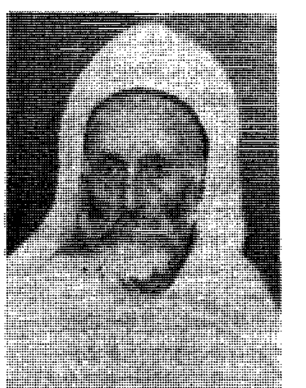
توفي الشيخ علي الدرقاوي في نهاية سنة 1328 / آخر 1910.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج1 ؛ *الترياق المداوي في أحوال الشيخ سيدي علي الدرقاوي* ؛ الأكراري، *روضة الأفنان*، تح. حمدي أنوش.

محمد الحاتمي

الدرقاوي، علي بن **الطيب** بن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي. ولد بأمجوط ببني زروال، ومات أبوه وهو صغير فانتقل بعد أن حفظ القرآن إلى مدينة فاس ودخلها عام 1301 / 1883 طلباً للعلم، فأخذ عن كبارشيوخ القرويين أمثال الحاج صالح التادلي، وعبد الله بن حمدون بناني فرعون، ومحمد بن التهامي الوزاني وعبد المالك العلوي الضرير، ومَحمد بن قاسم القادري، وأحمد ابن الخياط الزكاري وأحمد ابن الجيلالي الأمغاري وغيرهم.

ثم رحل إلى المشرق سنة 1314 / 1896 لأداء فريضة الحج، وأخذ عن أعلام مصر والحرمين الشريفين. وبعد رجوعه استقر بمدينة فاس متصدراً للتدريس، فأخذ عنه جم غفير من الطلبة. ولم يكن يذهب إلى أمجوط لصلة لرحم بأقاربه إلاّ أيام المواسم التي تقام هناك في فصل الخريف من كل سنة "وقد رزقه الله حلاوة في التدريس وعبارة يقرب بها الفهم لكل طالب كيفما كان، وكان في جل دروسه يختار الأمور العالية.... وأعزُّ ما عنده المذاكرة، فكان يذاكر أهل كل فن في فنهم، فإذا ذاكرته في أي فن تجده كأنه متخصص فيه" (*سل النصال*).



أدرج علي الدرقاوي في طبقة العلماء بفاس من غير طلب منه، وأسندت إليه الإمامة بأحد مساجد حومة العيون، وكان يعيش باقتصاد من ريع أصول ورثها عن أبيه وجده. ولما أدخل النظام إلى القرويين عام 1350 / 1931 عُيّن المترجم له بالقسم الأول الأدبي، فلم يقبل ذلك

إلا بإلحاح من أقرانه وطلبته، وبقي قائماً على التدريس داخل النظام إلى ما قبيل وفاته بنحو سبعة أشهر، حيث ذهب إلى مسقط رأسه أمجوط، وكان يحب أن يدفن بين أهله بالقرب من والده، ومكث هناك إلى أن وافته المنية بعد أذان العشاء من يوم الاثنين رابع ذي القعدة عام 1365 / 30 شتنبر 1946.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9، 3211. 3213.

محمد حجي

الدرقاوي، محمد بن عبد الرحمان الحاحي، فقيه صوفي ينحدر من أسرة مشهورة في قبيلة ايداوتغما الحاحية بدراسة وتدريس العلوم العربية بعد حفظ كتاب الله العزيز.

بعثه عمه القاضي مبارك إلى سوس لينهل من حياض العلم والتصوف والأدب عند فطاحل علمائه المشهورين آنذاك أمثال محمد بن العربي الأدوزي الذي أخذ عليه علوم اللغة والفقه والتفسير والتصوف، كما أخذ عن قطب عصره السيد الحاج الحسين بن مبارك التمدوزتي التربية الصوفية سلوكا وكان يستعين به عند ترجمته للشيخ (خليل) إلى الأمازيغية لتكوين المريدين، وعندما عاد الفقيه الصوفي محمد بن عبد الرحمان إلى قبيلته ايداوتغما الحاحية تصدر للتدريس والإفتاء وفض الخصومات بين الناس وتلقين المريدين الطريقة الدرقاوية الصوفية التي اشتهر بالنسب إليها، فاستكتبه القائد سعيد الگيلولي بتمنار واتخذه مستشاره في حله وترحاله واصطحبه في غزوه لسوس إلى تزنيت، كما أرسله القائد سعيد الگيلولي نيابة عنه في حركة أحمد الهيبة إلى مراكش (1331 / 1912).

وبعد عودته من حركة أحمد الهيبة تفرغ للتدريس وتربية المريدين تربية صوفية على الطريقة الدرقاوية. ومازالت رسائله متداولة بين المهتمين العارفين بقيمتها الفنية، وتمتاز بجودة الخط وجزالة اللفظ والإيجاز في التعبير كما في النماذج المتوفرة لدينا وقد لزم الفقيه محمد ابن عبد الرحمان مدرسة قبيلة أيت أمر العلمية طيلة العقد الأخير من حياته ونال حظوة لدى رئيسها سعيد تيكزيرين واشترى أملاكاً بجوار المدرسة فأصبح تامريا بالسكن، ورزق أولاداً نجباء اشهرهم السيد الحسين الدرقاوي الذي خلف بدوره عدداً من الأساتذة شاركوا في مختلف أسلاك التعليم الثانوي والعالي مما يدل على أن هذه الأسرة أعطت وما زالت تعطي في ميادين العلم والعرفان، وان فات روادها أن يؤلفوا الكتب فانهم قد ساهموا في تأليف القلوب والعقول.

م. المختار السوسي، *رحلة من الحمراء إلى إيليغ*، مخطوط، ص. 60 : الحسين بن محمد الدرقاوي، *ترجمة الوالد* في حوالي 24 صفحة، مخطوط.

محند أيت الحاج

الدرقاويّة (الطريقة -) تأسست في النصف الثاني من القرن الثاني عشر (18 م) على يد الشيخ محمد العربي بن أحمد بن الحسن الدرقاوي، الشريف الإدريسي المعروف بمولاي العربي الدرقاوي، المولود في قرية بوبريح ببني زروال من بلاد جبالة سنة 1150/ 1737.

تستمد الطريقة الدرقاوية مبادئها من تعاليم الإمام الشاذلي. وقد تلقى مولاي العربي الدرقاوي، علم التصوف على يد شيوخ عديدين، معتمدُه منهم الصوفي الكبير مولاي علي بن عبد الرحمان العمراني الفاسي، المدعو الـجَمَل، المشهور بسعة إطلاعه وحميد خصاله والمتوفى بفاس سنة 1239/ 1823.

نالت الطريقة الدرقاوية نجاحا باهرافي مختلف الأوساط في الحواضر والبوادي على السواء، وعلى الخصوص في القبائل البربرية، وأخذت تنتشر على حساب الطريقة الناصرية التي ظل الإقبال عليها شديداً طيلة أزيد من قرن كامل. وانخرط في الطريقة الدرقاوية عدد كثير من الناس من المغرب ومن الأقاليم الجزائرية التي كانت خاضعة لسلطة البايات الأتراك. وأخذت أفواج الأتباع تتوافد على بوبريح لتلقي الورد من مولاي العربي الولي الجديد. وكان من بين الأتباع أشخاص صلحاء أذكياء يتحرقون شوقا ليصبحوا بدورهم شيوخا، فكانوا حينما يعودون إلى ديارهم يؤسسون زوايا تابعة لزاوية بوبريح الأم.

كان مولاي العربي قد عين قبل وفاته أصغر أبنائه وهو مولاي الطيب ليخلفه على رأس الطريقة الدرقاوية. وقضى مولاي الطيب حياة هادئة محترما من الجميع ومتجنبا كل ما من شأنه أن يقلق بال المخزن إلى أن توفي سنة 1287 / 1870 فخلفه على رأس الزاوية الدرقاوية ابنه عبد الرحمن ثم محمد بن عبد الرحمن ثم ابنه أبو بكر.

تفرعت عن الطريقة الدرقاوية طرق كثيرة أسسها مريدو الشيخ مولاي العربي الدرقاوي الآخذون عنه مباشرة أو بواسطة، وأشهرها :

• الطريقة الدرقاوية البدوية بفاس، أسسها الشيخ أحمد البدوي زويتن الفاسي (انظر البدوي) وتفرعت عنها بدورها زوايا كثيرة، خاصة بتافيلالت كزاوية كوز، وزاوية رحمة الله، وزاوية ايماسين دادس، وزاوية فركلة، وزاوية گدارة، وزاوية فضل الله.

• الطريقة الدرقاوية البوزيدية أسسها محمد بن أحمد البوزيدي (انظر البوزيدي) بتيكيست على حدود بني زيات وبني زرع، ببلاد غمارة. ويعتبر محمد البوزيدي أول من تتلمذ للشيخ مولاي العربي الدرقاوي، ولم يخلف ذرية فأوصى قبل وفاته بريع زاويته للزاوية الأم ببوبريح، وأشهر أتباعه الشيخ أحمد بن محمد بن عجيبة من أهل أنجرة وحفيده أحمد بن الحاج عبد القادر بن عجيبة.

• الطريقة الدرقاوية الحراقية أسسها الشيخ محمد بن محمد الحراق بتطوان (انظر الحراق) المشهور بأشعاره

ومـوشحـاتـه وأزجالـه الصـوفيـة التي تنشـد بأنغام الطبوع الموسيقية. ولهذه الطريقة زوايا في كثير من المدن المغربية، ومن أشهر أتباعها محمد العربي الدلائي دفين الدار البيضاء.

• الطريقة الدرقاوية الدباغية بفاس، أسسها الشريف الإدريسي عبد الواحد الدباغ (انظر الدباغ عبد الواحد) من كبار تلامذة الشيخ مولاي العربي الدرقاوي. ومن أشهر أتباع الدباغ الشيوخ أبو بكر بناني بالرباط وعبد السلام الفكيگي بفاس، ومحمد المهدي بن محمد ابن القاضي.

• الطريقة الدرقاوية الغمارية بالريف، قام بتأسيس هذا الفرع بتوشكان ببلاد بني منصور في غمارة الحاج أحمد بن عبد المومن الغماري، أحد تلامذة مولاي العربي الدرقاوي. ومن أشهر أتباع هذه الطريقة أحمد أيوب الفاسي شيخ عبد الواحد بناني الفاسي، والحاج محمد الربيع الفاسي شيخ سيدي أحمد بن الخياط الزكاري ومحمد برادة. وكان لسيدي الحاج أحمد بن عبد المومن ولد هو الحاج الصديق توفي بتوشكان سنة1334 / 1915 وخلفه ولده الحاج محمد الذي كان مقدما للزاوية الدرقاوية بطنجة إلى أن توفي سنة 1936 وخلفه ابنه أحمد بن محمد الصديق.

• الطريقة الدرقاوية الفاسية أسسها الشيخ محمد الفاسي الذي توفي بمكة المكرمة. وهو من تلاميذ الشيخ محمد بن الحسن بن حمزة الظافر الذي تتلمذ بدوره على الشيخ مولاي العربي الدرقاوي وأسس الطريقة المدكانية.

• الطريقة الدرقاوية الزرهونية أسسها مالك الزرهوني تلميذ مولاي العربي الدرقاوي، وأشهر مريديه محمد بن علي كرمات بزرهون، والحسين الزرهوني الذي استقر بدكالة، والعياشي أبو شمامة بمكناس.

• الطريقة الدرقاوية المهاجية بالجزائر، أسسها الشيخ بوعزة المهاجي الذي تكون على يده الشريف الوكيلي محمد القدور من قبيلة كركر بالمغرب الشرقي . وتتلمذ لهذا الشريف الحاج محمد بن أحمد بن عبد الرحمان الهبري من عائلة أولاد بوعزة المرابطية القاطنة بضفة وادي گيسر من قبيلة بني خالد ببني يزناسن. وللهبري أتباع كثيرون بالجزائر، أشهرهم محمد البودالي مؤسس زاوية العيون بالبرانيس، وحمو البوزيدي شيخ ابن عليوة مؤسس الزاوية الجديدة بناحية وهران زاوية العليويين. ومحمد بن يَلّس التلمساني، شيخ الغوتي التلمساني. وتأسست كذلك في الجزائر فروع أخرى للطريقة الدرقاوية، منها :

زاوية بوشنتوف بن عبد الله.
وزاوية غيلان أحمد ولد عدة من أولاد الأكرد بتيارت
وزاوية ابن إبراهيم الحاج مصطفى بن محمد
وزاوية عبد القادر بن علي بكاشرو
وزاوية محمد بن أحمد الحرشاوي بتلمسان
وزاوية سليمان بن جنان بسيدي بلعباس.

• الطريقة الدرقاوية السوسية، أسسها الشيوخ سعيد المعدري مقدم زاوية المعدر، والحسن التاموديزتي، والشيخ علي بن أحمد الدرقاوي والد الشيخ محمد المختار السوسي، ومحمد بن عبد الرحمن الدرقاوي في قبيلته إداوتُغما الحاحية، وغيرهم.

• الطريقة الدرقاوية الشياظمية بدكالة، أسسها المقدم محمد الشياظمي بعد رجوعه من فاس إلى مدينة الجديدة حوالي سنة 1293 / 1876 فكان يجتمع بالفقراء الدرقاويين كل مساء قي زاوية درب الطويل، وهي من تأسيس الشيخ محمد الزوين العبدي (ت. 1281 / 1864) فكانت شخصية المقدم محمد الشياظمي القوية والثقة التامة كان يتمتع بهما لدى شيوخ الطائفة الدرقاوية من العوامل التي ساعدت على النهوض بهذه الطريقة، وجعلتها تنتشر في نواحي دكالة انتشاراً واسعاً لم يسبق له مثيل، حتى دُعيت بالطريقة الدرقاوية الشياظمية.

أ. ابن الخياط الزكاري، *تقديم رسائل الشيخ مولاي العربي الدرقاوي*، ط. حجر فاس،1318؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء،1956 ؛ *سلسلة مدن وقبائل المغرب*، الجزء 10، *قبائل دكالة* ؛ م. الشياظمي، تر. الفقيه المقدم سيدي محمد الشياظمي الحاجي السباعي، مخطوط.

G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951.

محمد الشياظمي

دَرْقَـة، كتلة جبلية تقع شمال تطوان، وهي منتمية إلى ما كان يعرف بجبال مجسكة الممتدة من جبل موسى شمالا إلي جبل أيشقار أو جبل دَرْسَة المشرف على مدينة تطوان جنوبا، وكتلة الدرقة على العموم هي القسم الهضبي المرتفع (بين 400 و632 م) المتصل من جهة الشمال بكتلة جبل الفتح المهر.

يعود أول علمنا بهذا الاسم إلى ما ذكره أبو عبيد الله البكري في القرن الخامس (11 م) فقد جعل حدوده الجنوبية منتهية بإشراف جبل أيشقار، وهو نفس المكان المعروف حالياً بجبل دَرْسَـة (مركز البث لإذاعة تطوان الجهوية). وأشار من جهة أخرى أن جبل درقة متصل ببلاد غمارة، يسكن آخره من غمارة بنو حسين بن نصر. والمسافة بينه وبين مدينة تطاوين لا تتجاوز حسب مصطلحات الوقت "السكة الواحدة". وهو في نظره في غاية المناعة، وتنبسط في أعلاه مسارح واسعة ومروج خصبة للماشية. وفي القرن الخامس (11 م) كان جبل درقة قاعدة بني مرزوق بن عون المصامدة، المستقرين بقرية صدينة، الغنية بالمياه والمزارع.

ويمثل جبل الدرقة القديم على عهد الحماية الفرقة المسماة في السجلات الإدارية بالحوز الصديني، ويبدو أن عدد كوانين الحوز بلغ حوالي سنة 1930 نحو 557 كانون، تمثلها تجمعات قرى العلوية، وبني عمران والكدان وترانتث وسمسة وواد أكلا وجعابق وصدينة. أما في الوقت الراهن فهي محددة بشريا بقرى العلوية والمسحر وسمسة والواديين

ومرزوقة وأسرور وبني عمران وأبو نزال وفندلاوة وصدينة.

ولجبل درقة *تاريخ في حركة مقاومة الوجود البرتغالي* بسبتة منذ استقراره بالمدينة، إذ أنه كان مركز الحملات الجهادية المنطلقة نحو سبتة خلال النصف الأول من القرن التاسع الهجري (15 م)، قبل تجديد مدينة تطوان من لدن الأندلسيين المهاجرين بمساعدة باقي قرى مجسكة العليا. فالجبل كان مستقر رئيس المجاهدين عب (عبد الله) محمد المترعم لحركة الجهاد بين 1415 و1420، وهو نفس موطن أحمد بن سلام بن مرزوق الصديني المتزعم لغزوات 1429 و1430.

ولجبل الدرقة وأهله فضلُ أول انتصار بارز على القوات البرتغالية التي قادها العاهل البرتغالي ألفونصو الخامس (1438 ـ 1483) حين غزا الجبل في مستهل سنة 1464 بنحو ثمانمائة من فرسانه في إطار ما سمي لديهم بحملة بني كوف أو النزعة العسكرية. كان القواد قد أعلنوا لملكهم عن تجمع سكان جبل الدرقة، بمجرد تجاوزهم واد أليلي إلى قرية العلوية، ولا حظوا إثر ذلك تزايد عددهم كلما تقدموا نحو الداخل. وحينما وصلوا إلى قرية صدينة شعروا بخطر الموقف.

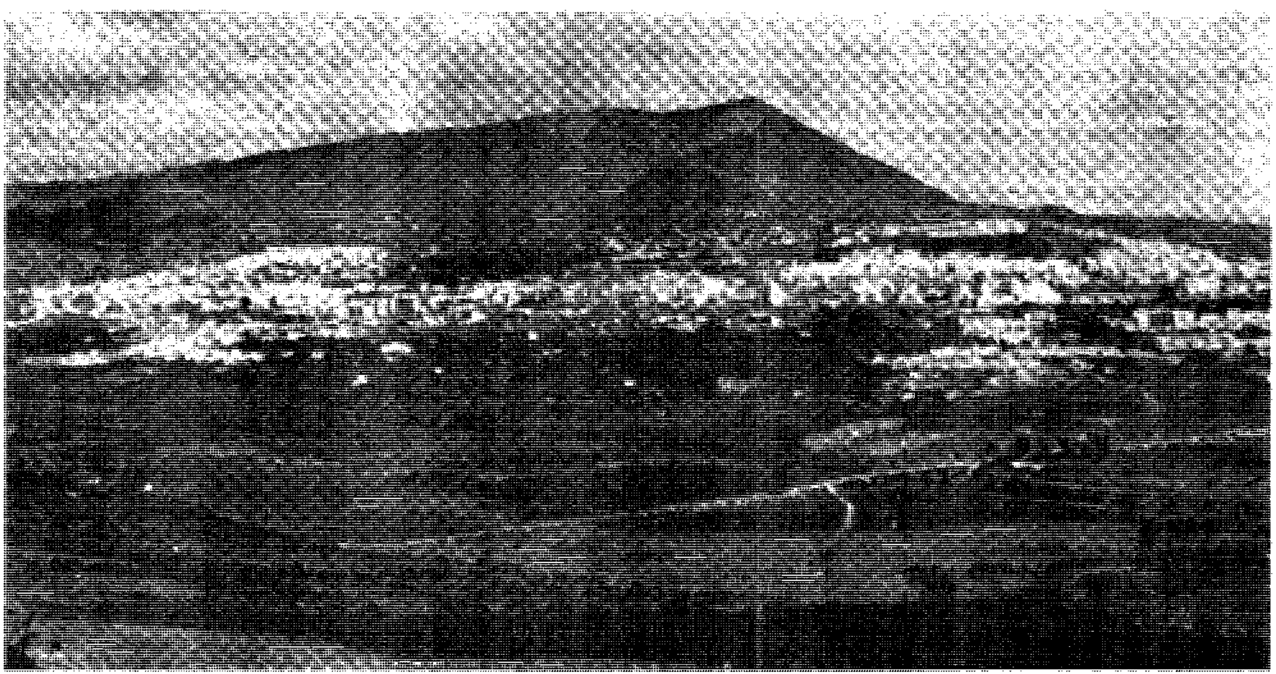
ويشير الإخباري كومس إيانس دي زورارا في هذا الصدد إلى الجماعة المغربية التي اقتربت من موكب الملك متظاهرة بالمسالمة، وغايتها متر كزة على استطلاع أحوال القوات الغازية. وحينما عرض عليها الفونصو الخامس الخضوع أجابت بأنها ستبحث الأمر مع باقي القرى الأخرى. ويستطرد *زورارا* قائلاً : "وبعد مرور برهة ظهرت جماعة منهم بإزاء قرية صدينة، فقالت أخبروا ملككم أننا لا نريد معه إلا الحرب، ورجالها المرافقون يجذبون شعر لحاهم بأيديهم ثم يضعونها على رؤوسهم، وكأنهم بتلك الإشارة يحلفون بالانتقام في ذلك اليوم لما لحقهم منهم من الظلم وما أصابتهم على يدهم من أضرار".

ولم ينتظر أهل جبل الدرقة كثيراً، إذ أن الفرصة كانت مواتية حينما بدأ الفرسان البرتغاليون في الانحدار على مسالك السفح الجنوبي سيراً في اتجاه مدينة تطوان لقضاء الليلة هناك. فمن بين ثمانمائة فارس المرافقين للعاهل البرتغالي لم ينج منهم سوى النصف. وكانت اللحظة الحاسمة هي التي أوقعت ضون ضوارتي دي منيسيس، حاكم القصر الصغير في قبضة المغاربة، وبمقتله أفرغوا من صدورهم أعظم النقم على البرتغاليين. وفي يوم 21 يناير 1464 عاد الملك إلى سبتة متحسراً بنصف القوة التي زحف بها.

أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، باريس، 1965 ؛ ح. الفكيكي، مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المغربية، الرباط، 1991، أطروحة مرقونة.

Azurara, *Cronica de D. Duarte de Meneses ; Geografia de Marruecos, Protectorados y Posesiones de España en Africa*, t. 2, Madrid, 1936

حسن الفكيكي



ـ جبل درسة المشرف على تطوان وهو من كتلة جبال درقة

أبو **درقة** الإدريسي ← **الدرقاوي** أسرة

الدرهم، قطعة فضية معلومة الوزن تسلسل استعمالها في عهود الرومان البيزنطيين والفرس الساسانين. وفي صدر الإسلام وقع تحقيق وزنها بناء على إصلاح الخليفة عمر بن الخطاب ومن بعده إصلاح عبد الملك ابن مروان الأموي لوجود نوعين من الدراهم الكبيرة والصغيرة من ثمانية دوانق وأربعة دوانق، واتُّخذ الدرهم الشرعي أوسطها من ستة دوانق، وتساوي خمسة عشر قيراطا، وحُدد القيراط بعدد من حبات الشعير، كما وقع تحديد العلاقة بين الدرهم الفضي والدينار الذهبي في هذا الإصلاح بكون "الدرهم يزن سبعة أعشار الدينار" ونعود لتوضيح مضمون هذا الإصلاح في إطار الدرهم المغربي لا حقاً.

وقد بدأ المغاربة يستعملون الدرهم وبقية النقود الإسلامية منذ مجيء الطلائع الأولى للفتح الإسلامي في منتصف القرن الأول للهجرة (7 م) سواء منها المسكوكات الأموية المضروبة في الشرق أو المسكوكات التي ضربها ولا تُهم بطنجة والأندلس، ثم بعد ذلك استعملوا الدرهم في مسكوكات الدول المغربية بدءاً من الدولة الإدريسية وسائر الدول المتعاقبة على عرش المغرب إلى اليوم، بما تخلل ذلك من استعمال نقود الدول الأجنبية ومعادلتها بالدرهم والمثقال والدينار.

إن تعدّد السكك وتداخلها واختلافها في الوزن والصفة والعيار جعل وزن الدرهم يعرف تضارباً في الزمان والمكان، بالنقص والزيادة في وزنه مما جعل سلاطين الدول المغربية يسعون دائماً إلى إصلاح هذا الوزن وتحسين هيئته وصفاء فضته.

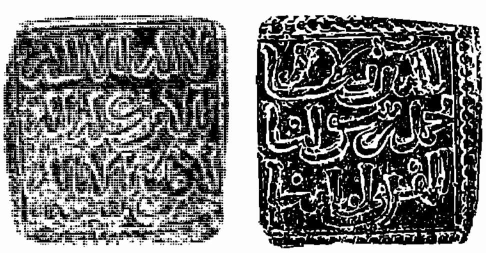
ومعلوم أن ارتباط قيمة النقود المعدنية بوزنها تعتبر قاعدة قديمة للعملة لأن المعادن النفيسة، خاصة الذهب والفضة، تحمل قيمتها في ذاتها. فالوزن أساس في تحديد القيم.

كان تحديد الدرهم والدينار من حيث الوزن مسألة خصصها الفقه الإسلامي باهتمام بالغ نتيجة اتخاذهما وسيلة للتبادل من جهة، وارتباطهما بالأحكام الشرعية وأداء الحقوق مثل الزكاة والدية والصداق والكفارة وغيرها، فاستوعب من أجل ذلك مجال الوزن نقاشاً واسعاً بين الباحثين.

وكان تحديد وزن الدرهم ـ كما أسلفنا ـ يساوي ستة دوانق أو خمسة عشر قيراطاً، فالدانق من اللغة الفارسية وهو سدس الدرهم، والقيراط من اللغة اليونانية من وحدات الوزن وهو جزء من 24 جزءاً من أي كتلة معدنية. وكانت العلاقة بين الدرهم والدينار بحيث يزن الدرهم 15 قيراطا والدينار 22 قيراطا، فالعلاقة بين 15 و22 هي نفسها التي وقع تحديدها مِن قِبل الفقهاء بأن "الدرهم يزن سبعة أعشار الدينار".

ولما كان وزن. القيراط يساوي بين ثلاث حبات وأربع حبات من الشعير مع وجود اختلاف بين أوزان نفس الحبات بسبب اختلاف أحجامها، فقد اتفق جميع فقهاء المذاهب المالكية والحنابلة والشافعية على أن وزن الدرهم الشرعي يساوي خمسين حبة وخُمُسي حبة من الشعير الوسط (=50.4 ح) والدينار 72 حبة، ويختلف عنهم فقهاء الحنفية الذين يجعلون الدرهم سبعين حبة والدينار 100 حبة فكانت الوحدة الأساسية للوزن هي حبة الشعير في الاستعمالات الفقهية. إلى هذا الحد تعتبر المسألة غير ذات إشكال لأن الفقهاء والتجار وغيرهم وقفوا بالوزن عند حدود استعمال حبات الشعير، واتخذوا عيارات وصنوجا خاصة لمراقبة أوزان الدراهم.

وفي الفترة المعاصرة حينما أراد العالم الإسلامي توظيف وزن الگرام في تحقيق أوزان النقود بدلاً من الاعتماد على وزن حبات الشعير، صادف عسراً شديداً ابتداء من منتصف القرن الثالث عشر (19 م) وقد وقفنا على أن البلاد العربية تستعمل أوزاناً مختلفة للدرهم الشرعي على الرغم من أن الضرورة تدعو المجتمع العربي والإسلامي إلى توحيد مثل هذه المقاييس والأوزان، وخاصة تلك التي تتعلق بها الأحكام الشرعية، ففي مصر ـ مثلاً ـ حددت لجنة علمية بأمر محمد علي باشا سنة 1845 أي وزن الدرهم الشرعي في 3.0898 گرام، وفي الجزائر شاع استعمال وزن يساوي 3.125 گرام، وفي تونس استعمل وزن 2.975 گرام وفي المغرب استعملت عدة أوزان نذكر منها 2.931 گرام، وفي خضم هذه الأوزان المتباينة للدرهم الشرعي حاولنا إيجاد حل لهذا التباين والارتباك الحاصل في عدد من الوثائق والوقائع.

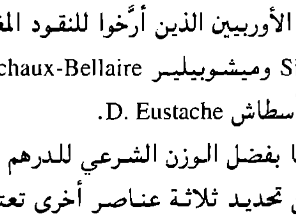


درهم موحدي مربع الشكل ضرب بسبتة

وقبل ذلك قمنا بوزن عينات من الدراهم الشرعية المنتمية لعدة عهود من مجموعات نقدية مختلفة باستعمال أحدث الموازين الإليكترونية، وكانت النتيجة غير ذات قيمة لأن المسكوكات القديمة لم تتوفر لها الدقة المتناهية في الوزن وان أي قطعة لا تحافظ على وزنها الأصلي بسبب النقص أثناء التداول . كما أخضعنا عدداً من أصناف حبات الشعير للوزن لمجرد الاستئناس.

ولما كان الأمر يتعلق بالنقود المغربية فقد عمدنا إلى ترجيح وزن الدرهم الشرعي الحسني الذي حققه السلطان مولاي الحسن أثناء إصلاح النقدي سنة1298 / 1881 حققه بناء على مبدإ الإسناد، حيث اعتمد على الوزن الشرعي المتسلسل بالإسناد عن وزن السلطان محمد بن عبد الله في إصلاحه لسنة 1766 عن وزن السلطان مولاي إسماعيل عن وزن درهم الشرفاء السعديين عن وزن السلاطين المرينيين وغيرهم من ملوك دول المغرب. ويتأكد هذا في الظهير الحسني الصادر لمحمد برگاش (*الإتحاف*، ج. 2، ص. 431) وقد صمم المهندسون والصاغة المغاربة بناء على هذا الإسناد "أمثلة" أولى للوزن المحقق، وما أن بدأت دار السكة في باريس تضرب القطع الأولى من النقود المغربية سنة 1881 ووصلت الدفعة الأولى من الدراهم الجديدة حتى اكتشف الأمناء خطأ تقنيا يتعلق بفساد وزن النماذج الأولى لأسباب لم تفصح عنها الوثائق، فتوقف الإصدار فوراً وجمع السلطان العديد من كبار الفقهاء والقضاة والأمناء والصاغة لتصحيح الوزن الشرعي وإصلاح النماذج الفاسدة، فصنعوا الدرهم الشرعي المحقق بكميات كبيرة أرسل منها السلطان 120 نسخة لمحمد بركاش بطنجة وعلى أساسها ضبط وزن الدرهم المغربي بدار السكة بباريس بما توفر له من وسائل ضبط الوزن الحقيق البالغ : 2,9116 غ، وقد تتبعنا كيف وقع الاعتماد على هذا الوزن والالتزام به بالمغرب بصرامة من خلال مراقبة الأمناء للسكك التي ترد من باريس، وفحص حسابات لوائح المراقبة، وكذلك بفحص القطع المضروبة بدار السكة في ماكينة فاس، وقد التزم بهذا الوزن جميع الكتّاب الأوربيين الذين أرَّخوا للنقود المغربية، أمثال سيدبون Sidbon وميشوبيلير Michaux-Bellaire ومارتي Marty ودنيل أسطاش D. Eustache.

ولقد تمكنا بفضل الوزن الشرعي للدرهم الحسني وهو (2,9116غ) من تحديد ثلاثة عناصر أخرى تعتبر ضرورية لمعالجة الجوانب المبهمة من المنظومة النقدية حيث استنتجنا منه بالطرق الرياضية وزن القيراط =0,1941 غ ووزن حبة

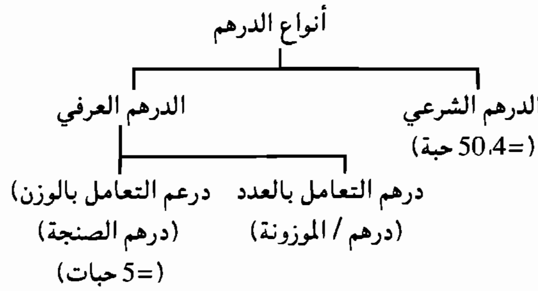


الدرهم الاسماعيلي

الشعير المتوسط =0,05777، ووزن حبة الشعير المحلية (السوسية) =0,04412 غ (*النقود المغربية في القرن الثامن عشر*، ص. 13)، وعلى أساس هذه الأوزان أمكن حل كثير من مبهمات النصوص والوثائق.

ومن الوجهة التاريخية استعمل المغاربة الدرهم وحدة أساسية للعملة المغربية منذ عهد الأدارسة عبر عهود الدول التي تعاقبت على عرش المغرب. وابتدع الموحدون الشكل الهندسي المتميز "الدرهم المربع" كما ابتدعوا أوزاناً نقدية مخالفة للأوزان المعروفة بالغرب الإسلامي، وعرف المغرب منذ هذا العهد، أنواعاً من الدراهم من حيث الوزن، واستمر شكل الدرهم المربع إلى أن ألغاه السلطان مولاي رشيد العلوي في إصلاحه النقدي سنة 1666. أما من حيث الوزن فقد خضع الدرهم لتغييرات كبيرة خلال المراحل التاريخية، ففي العهد المريني عُرفت الدراهم الكبيرة والصغيرة أو الدراهم الشرعية والعرفية حتى لم يعد الدرهم وحدة للعملة في مجال الحسابات النقدية الفضية، وتخلف عن العهد السعدي استعمال المثقال وبالخصوص "المثقال الأحمدي" المنسوب لأحمد المنصور الذهبي من 2000 حبة والدرهم الأحمدي من 5 حبات، ومند العهد العلويّ، وإن كان الدرهم الشرعي يحظى بإصلاحات أهمها في عهد السلطان مولاي رشيد. 1666 وفي عهد السلطان محمد بن عبد الله 1766 وفي عهد السلطان مولاي الحسن 1881، فالوحدة الأساسية المستعملة هي المثقال الفضي من عشرة دراهم شرعية، ومنذ إصلاح 1766، لم تعــرف سجلات المخزن في مختلف الحسابات إلا هذه المثاقيل مصروفة بالأواقي والموزونات والفلوس النحاسية، واستمر استعمال وحدة المثقال إلى نهاية القرن التاسع عشر. وقد تعرض الدرهم في هذه الحقب إلى اختلاف هائل في الوزن والصفة والعيار ممّا جعل التجار والفقهاء والقضاة منذ القرن التاسع (15 م) يعتمدون على الوزن لفض النزاعات بين الناس في جميع السكك، فكان الدرهم يدعى درهم التعامل أو درهم العرف، أو الدرهم الصغير أو درهم الموزونة أو الدرهم المنسوب : مثل الدرهم الأحمدي والدرهم الرحماني وأحيانا يقال درهم تاريخه كل ذلك لأنه أقل وزناً من الدرهم الشرعي الذي يوصف بأنه الدرهم الكبير أحيانا أو درهم الكيل أو درهم السنة وهو قليل. ويلخص عمر الگرسيفي أسباب هذا الاختلاف بقوله "إن درهم التعامل بالبيع والشراء في الأسواق (...) غير محصور بحد، فمنه صغير وكبير ومتوسط، وسبب ذلك اختلاف أغراض الأمراء ومقاصدهم، (...) وضاربي السكة في ذلك" مما يتعلق بعض أسبابه الأخرى بقله المعادن النقدية وخاصة الفضة. وقد عرف المغرب نوعين من الدراهم : الدرهم الشرعي

والـدرهم العرفي، وكـان الـدرهم العـرفي أودرهم التعـامل ينقسم إلى قسمين درهـم التعامل بـالعـدد ودرهم التعـامل بالوزن. كما يوضح الجدول التالي :



وقـد استُعملت كلمـة الموزونة الفضيـة والقصد منهـا في الأصل هو ربع الدرهم الشرعي، ثم أصبحت تطلق كل قطعة فضية تنقص عن وزن الدرهم الشرعي، وبقيت كذلك إلى أن قـام السلطان مـولاي الحسن بجعل الموزونـة عبارة عن قطعـة نحـاسيـة تسـاوي جزءاً واحـداً من مـائـة جـزء من الفـرنك الفرنسي في بداية القرن العشرين في عهـد السلطان مولاي عبد العزيز حيث يساوي المثقال المغربي 500 سنتيماً قياساً على الريال الفرنسي من خمس فرنكات.



الدرهم الحسني وربعه (الموزونة)

والتطورات الأخرى التي عـرفهـا الـدرهم المغـربي الـذي بقي مستعملاً كـوحدة أساسيـة للعملة بعـد الإصلاح الحسني 1881، وفي عهـد الحمـايـة استعملت العملـة الفضيــة التي ضُـربت في العهـود الحسنيـة والعـزيـزيـة والحفيظيـة، وكـان الـدرهم قـد غلب عليـه اسم "البسيطـة الحسنيـة" في تقـديـر صـرف العملات لـدى الأبنـاك الأجنبيــة لارتبـاطـه بـالـريـال الإسباني قبل الحماية.

ومنـد تأسيس البنك المخزني المنبثق عن مؤتمر الجزيـرة الخضراء سنة 1906 وقع ربط الدرهم برأسمال البلدان المتمثلة في المؤتمر المذكور، وبما أن إدارة البنك المخزني عهد بتسيرها إلى بنك بـاريس والبلاد المنخفضـة، فأنشأ فروعـاً في طنجـة والدار البيضـاء والصويرة وسك نقوداً سنة 1911. وفي بداية الحمايـة عرفت الفضة ارتفاعـاً حاداً تضاعفت أثمانـه نتيجة اندلاع الحرب العالمية الأولى مما جعل سلطة الحماية بالمغرب تسحب العملة الحسنية الفضية من التبادل نهائياً وأصدرت ظهير 19 مارس 1920 بإلغاء الدرهم المغربي وإحلال الفرنك المغـربي كلـه ابتـداءً من دجنبـر 1921 واستمـر خلال فتـرة الحمـايـة إلى مـا بعـد الاستقلال حيث ثم التصريح لصندوق النقـد الـدولي بـالـوحدة النقـديـة الجديـدة وهي الـدرهم في أكتوبـر سنة 1959. وفي سنــة 1960 وعلى أسـاس الـوحدة النقـدية "الـدرهم" وضع الإطار التـأسيسي للسيـاسـة النقديـة المغربيـة المعاصـرة. وتعـززت سيـاد ة المغرب وخاصـة بعـد تأسيس دار السكـة المباشـرة لعمليـات الإصـدار بضـاحيـة مـدينة سلا سنـة 1987. وعـرف الـدرهم المغربي من النـاحيـة الاقتصـادية والماليـة عدة تطـورات خلال العقود الأخيـرة من القرن العشرين.

الكرملي أنسطاس، *النقود العربية والإسلامية وعلم النميات*، ط 2، القاهرة، 1987 ؛ حلاق حسـان علي، *تعريب النقـود والدواوين في العصر الأموي*، بيـروت، 1978 ؛ *حـول تاريخ النقـود المغربيـة في عهـد المرابطين والموحدين والمرينيين*، مجلة كليـة الآداب، الربـاط، عدد 23 سنة 1999، ص. 109 ـ230 ؛ ع. أفـا، *مسألة النقود في تـاريخ المغرب في القـرن التـاسع عشـر*، أگاديـر، 1988 ؛ *النقود المغربية في القرن الثامن عشر*، الدار البيضـاء، 1993 ؛ *ملامح من تطـور الخط المغـربي من خلال الكتـابـة على النقـود*، مجلة كليـة الآداب بـالربـاط، عـدد 18 سنـة 1993 ؛ ابن الـرفعـة نجم الـدين الأنصاري، *الإيضاح والتبيـان في معرفة المكيـال والميزان* ، دمشق، 1980 ؛ ع. الگـــرسيفي، *رسـالـة في تحرير السكك المغـربيـة في القرون الأخيرة*، ملحق كتاب *النقود المغربية في القرن الثامن عشر*؛ *رسـالـة في تحقيـق أوزان النقـود بسـوس*، ملحق بكتــاب *النقود المغربيـة في القرن الثـامن عشـر* ؛ ابـن جــزي، *القوانين الفقهيـة*، الرباط، 1962 ؛ لـومبـا رمـوريس، *الإسلام في مجـده الأول*، تر. إسماعيل العربي، الدار البيضـاء، 1990.

Banque du Maroc, *Caractéristiques des monnaies marocaines en argent frappées entre 1881 - 1920* (ronéotypé) ; Sidbon, B. B., *La question monétaire au Maroc*, Paris, 1921 ; Michaux-Bellaire, *Les crises monétaires au Maroc*, *R.M.M.*, vol. 38, mars 1920 ; Marty J. André, *Le franc marocain*, Paris, 1951 ; D. Eustache, *Corpus des monnaies alawites*, Rabat 1884 ; *Corpus des dirhams idrisites et contemporains*, Rabat, 1970 ; *Etudes numismatiques et de metrologie musulmanes H.T.*, vol. 10, fasc. 1 - 2, 1969 ; *Histoire de la monnaie et sa métrologie*, Rabat 1970 ; J.D. Brethes, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques*, Casablanca, 1939 ; H. Lavoix, *Catalogues de monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale*, Paris, 1891, T. II, III ; J. Mazard, *Corpus nummorum numidiae mauretanique*, Paris, 1955 ; Hassane Housni Abdul - Wahab, *Un témoin de la conquête arabe de l'Espagne*, Revue de l'Institut de Cartage, 1932, p. 145.

عمر أفا

الدرهم، أو الدرحم احماد الباعمراني، يعرف بـالسي احماد الدرحم.

يعود سبب حرصنا على جرد أهم محطات هذه الشخصية المتميزة بسلسة جبال أيت باعمران و الصحراء الأطلسية إلى سببين أساسيين : أولهما إقرار الفاعلين الدينيين بقيمة السي احماد التاريخية كأكبر وجه للجهاد خلال القرن العشرين بهذه المنطقة بعد الشيخ ماء العينين. ثانيهما تشبث الفاعلين السياسيين وقدماء جيش التحرير بضرورة اعتباره نموذج المقاوم الذي سخر حياته لمحاربة الوجود الفرنسي والإسباني.

إذا كان مفهوم الجهاد حسب المبادئ الفقهية يختلف شكلا ومضموناً عن مفهوم المقاومة كما تحدده سوسيولوجيا المجابهة السياسية والحربية، فإننا نكون أمام مشكل نظري يزيد من القيمة المختبرية لهذه الشخصية ويجعلها مرجعاً للمهتمين بتحديد المفاهيم في هذا المضمار. لقد أوضحنا غير ما مرة أن الجهاد والمقاومة مفهومان يختلفان لفظا ومعنى (م. ناعمي، *مفهوما الجهاد والمقاومة، المقاومة المغربية* 1904 ـ 1935، أگادير، 52 ـ 60). وهو سبب كافٍ للانكباب على خصوصيات الأسباب الحقيقية التي جعلت من السي احماد ذاتية متميزة ارتبطت في ممارستها بكل الفاعلين الدينيين والمقاومين على اختلافهم إلى أن خرجت الدولة الإسبانية من الصحراء سنة 1974. فمن يكون السي احماد ؟ وهل استطاع إرساء نهج جديد وأسلوب يجمع بين الجهاد كمرابطة دينية يومية بمعناها ولفظها والمقاومة كمبرر سياسي دنيوي يستهدف التسيير والإدارة بعد طرد الاستعمار ؟

للإجابة عن السؤالين لا بد في البداية من التعريف بالمؤهلات الفطرية التي كونت شخصية السي احماد طفلاً وثبتت مساره رجلا. ولكي نبدأ بانعكاسات بيئته ومجتمعه على تربيته الأولى، يجب أن ننطلق بما يكفي من التفصيل من الهيكل المجتمعي أبا مگدول أيت اعلي حيث ولد سنة 1327 (1909).

ما يميز سلسلة جبال أيت باعمران على الساحل الأطلسي شمال الصحراء هو موقعها القريب من جزر كناريا. أهمية الموقع هذه تجعل منه مجالا أصلح ما يكون للتحصينات الجبلية المنيعة. هذا ما يفسر تهافت مجاهدي الغور السكاني الجزولي اللمطي الكوشي على التمركز بقمم أيت باعمران، شأنهم في ذلك شأن المد الإسباني الذي سعى منذ القرن التاسع (15 م) لتحصين مواقعه. وبذلك تكون هذه السلسلة الجبلية قد شكلت جبهة متقدمة لاصطدام الجهاد بالمد الصليبي وفي نفس الوقت قاعدة لتسرب الحملات الإسبانية نحو مدن وقرى وادي نون وساني وتمنارت. يتجلى بذلك دور مراقبة أيت باعمران في حصر الدلالة الفعلية لفصائل ووحدات سخرت نفسها للمجابهة والجهاد. لا أدلّ على ذلك من كون جل الأولياء والصلحاء المدفونين على امتداد جبال أيت باعمران والصحراء ينتمون إما إلى أيت إيعزَى أهدِّي (*المعلمة*، 2 :517 ـ 518) أو إلى أولاد بو السبع أو رگراگة. هذه القبائل كانت تمثل خلال القرن العاشر (16 م) رموزا للمرابطة الدينية المسلحة انطلاقا من حوز مراكش في اتجاه رباطي أسفي والبريجة وغيرهما من جبهات مواجهة المد الصليبي. كان الفقه التقليدي يعالج يومها موضوع الجهاد كمنهج وسلوك معياريين سائدين يحثان على اتباع أساليب تحالفية لصيقة بمدى تجانس الوحدات والفصائل السلالية. نكون من هذا المنطلق قد وصلنا إلى نوعية العلاقة التي تربط أسلاف السي احماد بمجاهدي أيت باعمران.

إذا نحن حاولنا دراسة السلوك المميز لشخصية السي احماد وجدناه ينتمي إلى فصيلة إيد وارحمان المقيمين بتالوست ـ ن ـ أيت أيوب بأيت باعمران. وإذا نحن تساءلنا عمن يكون احماد وارحمان الجد الفعلي للفصيلة، فإن الوثائق العائلية تكشف عن قدومه من زاوية عبد الله بن ساسي السباعي بحوز مراكش في فترة تنحصر في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري. وسيلتنا الوحيدة للتأكد من صلاحية هذه المقولة هي أقدم وثيقة يتوفرعليها إيد وارحمان المؤرخة بسنة 1077 (1666). نقرأ خلالها أن افقير عيسى بن احماد وارحمان الأيوبي الباعمراني قد اشترى قطعة أرضية مسقية تندرج في سياق توزيع تركة فاطمة بنت محمد الهشتوكي. فنتساءل إلى أي مدى لعبت هنا قاعدة السكنى مع الأخوال والمصاهرة في تحديد علاقة حفيد احماد وارحمان هذا بأيت أيوب ؟

جواباً على هذا السؤال، تثبت وثيقة مزامنة اقتسام أفقير عيسى وأخويه اللود واحماد وأختهم تركة المسماة فاطمة بنت محمد الهشتوكية. مهما يكن من أمر علاقة هؤلاء الورثة بهذه الموروثة، فإننا نتأكد بتلك الوثيقة من قدرة احماد وارحمان وأبنائه على تجنيد قدراتهم التحالفية وإمكاناتهم الذاتية في تحصيل قطع مسقية بعين المكان منذ القرن الحادي عشر (17 م). فنتساءل إلى أي مدى لعبت قاعدة السكنى مع الأصهار في تحديد انتماء أبناء احماد وارحمان إلى فصيلة أيت أيوب ؟ ما يشد الانتباه هنا هو دور قواعد السكنى مع الأصهار في تحديد قواعد الانتماء القبلي. على أن المركز الاجتماعي لأفقير عيسى ونوعية الوظيفة التي كانت تميزه اجتماعيا تبدو أنها سهلت بشكل حاسم اندماجه في أيت أيوب. فما هي هذه الوظيفة ؟

إذا نحن ركزنا على دور زاوية عبد الله بن ساسي على المستويين السياسي والديني وعلى دور السباعيين ورگراگة في مجابهة المد الصليبي بدعم من قطبي سوس سيدي احماد أوموسى وسيدي امحند أو براهيم الشيخ، نكون قد وصلنا عمليا إلى الأسباب التي هيأت اندماج أفقير عيسى السريع في أيت أيوب. ذلك أن الرواية الشفوية المحلية تنسب أبناء احماد وارحمان إلى هؤلاء السباعيين الذين ما تزال كثرة قبورهم على امتداد سلسلة جبال أيت باعمران مدعاة للتبجيل والاحترام. تفيض الرواية الشفوية في

وجـوب اعتبـار أفقيـر عيسى وجهـا صـوفيـاً يتجلى دوره الأساسي في كل ما تحيطه به الممارسات المحلية من قدسية. فما تزال خلوته وبيته وقبره وموسمه السنوي المصادف لموسم سيدي احماد أو مـوسى كل صيف بتـازروالت، تمثل دلالات واضحة على حجم ممارساته الصوفية. هذا المعطى الوظيفي يكشف بما لا يدع مجالا للشك أهميـة العـامل الـديني في دمج أبناء احماد وارحمان في فصيلة أيت أيوب.

يصبح بإمكاننا نهج مقاربة استنباطية حول مغزى شراء أفقير عيسى قطعتين أرضيتين مسقيتين بتالوست. من شأن هذا السؤال أن يقودنا إلى العوامل التي أهلت أبناءه محماد وعمـرو ومحند وإبراهيم ومـريم لتصدر الـوظيفتين الدينيـة والاجتماعيـة بعد وفاة أبيهم. ذلك أن لـدينـا مـا يكفي من الأدلـة الموثقة التي تثبت أن عمـرو قد جسد امتـداداً فعليـاً لموروث أبيه القيمي في مجتمع لم يعد في حاجة مـاسة إلى صد الهجمات الإيبيرية. كما أن لـدينا مـا يكفي من أدلـة الإثبات للتأكـد من دور إبراهيم وامحند في تـوسيع دائرة ممتلكات إيـد وارحمـان من حيـازة للقطع المسقيـة. مـن هذا المنطلق تبـدو حيـازة الأراضي أكثـر فـاعليــة للاستجـابـة لمتطلبات الانسجام بين الزاوية ومستلزماتها.

إذا ما نحن اقتصرنا على الـوثائق العائلية، فإن مسعى أبنـاء أفقيـر عيسى وخـاصــة منهم إبـراهيم، يتمثـل في استقلالهم بمجال محدد بتـراب تـالوست. ذلك أن الانطلاق من وحـدة مجـاليـة يبـدو ضـروريـا لتحقيق الانسجـام بين الممارسة الدينية ومستلزماتها المادية. فنكون بذلك قد وقفنا على دور العـامل الصـوفي في تأسيس خلية تتمتع بحيازة قـدر من القطع الأرضيــة مـوروثــة أو مشتــراة. هـذا مــا نستخلصه من وثـائق إبـراهيـم بن أفقيـر عيسى ابتـداء مـن سنة1113 / 1701. هذه التعبئة ستجعل من المرابط سيـدي علي بن إبـراهيم بن أفقيـر عيسى نموذجـاً للسلطـة المحليـة التي تحولت تدريجيا إلى سلطة تجمع الدين والدنيا. فعلاوة عن امتهــانـه للقضــاء، نجده بمثـابــة سلطـة مرجــعية من المنظـورين الاقتصـادي والاجتمـاعي. ذلك أن عـدد رسـوم تملكه الأراضي البورية والمسقية ينضاف إلى مقـولـة سائدة تجعل منه مشتري الأراضي الشاسعة الممتدة من كدية الحجل بفم فست إلـى أسـاكـا. فتتجلى بـذلك ممـارستـه كتمفصل لأشكـال مجـاليـة فـرعيـة متـزايـدة من الهيمنـة السيـاسيـة والاقتصادية طبعت تاريخ أيـت أيوب. من هذا المنطلق تبدو مصاهرة المرابط سيدي علي لكبيـر إزرگين حمو سعيد قائد المولى إسماعيل على حامية تكنة المتوجهة يومها إلى إمارة التـرارزة قصـد حمـايـة علي شنـدورة بمثـابـة كشف لأهميتـه السيـاسية بجبال أيت باعمران. تزوج المرابط سيدي علي من الزهرة أو سعيـد التي كـانت تقيم مع بـاقي أفـراك إزرگين المقيمين يـومها بـازريـويلة وآوزرولت وآوريورة قـريبـاً من فم فست وأسـاكـا. وبـذلك يكـون المرابط سيـدي علي قـد عمل على تـرصيـص أسس الصـورة الفعليـة للعلاقــات بين إيـد وارحمـان وحلفـائهم من تكنة. كـانت فصـائل إزركيين تمثل يـومها قسمـا هاما من أيت بـوليـد أزوافيط. وهو مـا سهل على المرابط سيدي علي مهمة الظهور بمظهر الحليف الفعلي لجيـرانــه ووسيطهم لـدى أيت بـاعمـران. كـان منطلقـه في صيـاغة علاقـة التحـالف هو مبدأ التعـايش والتساكن كما تـدل على ذلك وفـرة المشـاكل التي أسهم في حلها كتـابـة. فـالـوثـائق تفتـرض حـداً أدنى من الانضبــاط والتســامح المتبادلة بينه وبين المتداعين لديه.

ذلك كـان التزام المرابط سيدي علي أو براهيم بمجمـوعة من الأعراف والاتفاقيات الضمنيـة التي تنظم وتؤطر الحركة الاجتمـاعيـة بتـالـوست. أمـا الضـوابط التي كـانت تتحكم يـومهـا في العلاقـات داخل إيـد وارحمـان، فـأهمهـا نمط السلوك القرابي الذي يقتضي : أ ـ أفضلية الـزواج من ابنة العم أو بنت ابن العم. ب ـ تمرير الإرث إلى أحد أبنـاء العم كرئيس متميز لإيدوارحمان.

تنقلنا إحدى الوثائق المؤرخة بتاريخ7 ذي الحجة 1242 / 14 ـ7 ـ 1827 إلى وضعيـة خاصـة تجعل من الفقيـر احماد مصدراً لبيع الزرع بالسلف. وهي مرحلة جديـدة يدخل على إثرهـا الفقيـر احمـاد في تـوجـه يجعل منـه مروج السلفات المربحة. هذا التوجه التجاري سيزيد من أهمية الفقير احماد الاجتمـاعيـة والسيـاسيـة. يـؤكـد ذلك مـا نقـرأه في وثيقة مؤرخة بتاريخ 11 ربيع الثاني 1244 / 24 ـ 11 ـ 1825. فقد أخذت بعـض العـائلات تلتجئ إلى الفقيـر احماد كـوكيل لكي يقـوم مقامهـا وبدلاً عنهـا حتى تستـرجع مـا ضـاع من إرثها معتبرة إياه كتابة بمثابة ولي أمرها. بل وتزيد الوثيقة لتؤكد أن هذه العـائلة قد كلفته "تكلفة صحيحة تـامة عامة تجمع أبـواب الـوكـالـة كلهـا على الإطلاق من المخاصمـة والمحاكمة وعلى الإقرار والإنكار واليمين إن وجب والصلح إن ظهر وقلب اليمين إن أمكن ..."

تكمن أهمية هـذه الـوثيقـة في معـالجتهـا بما يكفي من الوضوح لدور الفقير احماد على المدى الطويل من حيث هو كسلطة مرجعية من المنظورين الاجتماعي والسياسي علاوة عن دوره الاقتصـادي. والـوثيقــة تعكس سعــة معــارفــه القضـائيــة وقـدرتـه على تنـاول قـواعـد المعـاملات بما فيهـا الطـارئة. إن اعتبـاره الشخص القيم على الشـؤون الشرعيـة والمسؤول لنصوصها ترسم طريقا معلوما يجعل منـه القادر الفعلي على تكييف الأحكام الشرعيـة مع النوازل الطارئة تعـاملاً يحكمـه التحـدي الذي يفـرزه الاجتمـاع البشـري في هذه الحقبة بالذات.

تـوفي افقيـر احمـاد بن عبد الـرحمان بن المرابط سيـدي علي في حركـة (معـركـة) 1847 بعـد أن تــزوج عـدداً من النسـاء مخلفا من اثنتين منهن الجدود الحقيقيين لإدوارحمان الحاليين. فقد استند إلى واقع أسرتـه المندثرة بفعل الأمراض والأوبئـة، مـربيـا أبنـائـه انطلاقـامـن مـوروثـه الاجتمـاعي والأخلاقي الـذي يقتضـي الجمع بين علمي الظاهـر والبـاطن

واكتناز مـا تأتي من الأمـوال. وهي منهجيـة تترجم فهمـا صحيحـا لما كان يتوخاه المرابط سيدي علي. هذه المنهجة تبدو واقعيـة بما فيـه الكفايـة إذ تحقق التـوازن بين المطالب الـروحيـة والـدينيـة والماديـة وتـزكي المرتبـة الاجتمـاعيـة والسياسيـة للفصيلة. لم يعد الزواج الداخلي أمراً ممكنا ولا الارتبـاط بـالسلوك القـرابي القديم يفلح في تثبيت دعـائم الفصيلة وفق المنظومـة التطورية المتناميـة. الجديد في هذه المرحلة هـو ضرورة اعتمـاد التحـالفات المحليـة مع مختلف الفصـائل كمنهجيـة لترصيص دعـائم البنيـان العـائلي على جميع الأصعدة والمستويات.

هكذا تكونت من جديد نـواة إيدوارحمان مقيمة علاقـة عن طـريق الزواج والمصـاهرة. وجهت اهتمـامهـا إلـى سعـة معـارفها الفقهيـة والاجتماعيـة لترسم طرقاً أشبـه ما تكـون بتلك التي أتقنهـا أسلافهم بعين المكان. ونكـون بـذلك قـد وصلنا إلى السي احماد كنموذج محلي يلخص تجربة أسلافه البعيـدين منهم والقريبين. فمن يكـون السي احمـاد بن علي ابن إبراهيم بن أفقير احماد ؟

لا يختلف اثنـان من الذين يعـرفون السي احماد فـي أنه من الوجوه التاريخيـة التي يحق لنا أن نـوليها مـا تستحقه من العناية والاعتبار. فقد تجلى السي احماد كرمز من رموز الجهاد ومجابهة الوجود الإسبـاني بالصحراء وأيت باعمران. وتحديداً فإنه يعد في نظر رجالات التحرير أكبر وجه للجهاد الـديني المقـدس ضـد المد الإسبـاني خلال فتـرة مـا بعـد عشرينيات القرن العشرين.

إذا ما نحن حاولنا التأمل في مواقفه الجهادية من خلال *مذكراته* الهامـة، وجدنـاه يبدأ مسيـرته الذاتية بسـرد نوعيـة الصراعات التي كـانت تـربطه بالـوجود الإسباني. فبدل أن ينطلق من سرد تـاريخ أسرتـه الديني والتجاري والسياسي، نجده ينطلق من استشهـادات مـوثقـة حـول صراعـاتـه مع الإسبان بطرفاية ابتداءً من سنة 1933. فهو يذكرنا بسلسلة أحـداث أدت إلى اضطـرابـات يطلعنـا على تفـاصيلهـا وجزئيـاتها شكلا ومضمـونا. كما نجده حاضـراً في جـوهر الصراعـات التي واجـه من خلالها أيت بـاعمران الـدخول الفرنسي سنة 1934 حين استعمل الطيران لمواجهة المجاهدين برقبة تيـزي. يسجل في عبارات أخاذة المآل الذي آلت إليـه المنطقة بعد أن قسمتها الجيوش الفرنسية والإسبانية. ينتهي بـه السـرد إلى عبـارة تحمل أكثـر من دلالة حـول منظـوره للصراع القائم : "لا أعدى على الإسلام من إسبانيا".

هنا يفيدنا السيد إبراهيم الجماني الزفاطي الذي يعترف له مجمل رجالات جيش التحرير الذين مارسوا بالمنطقة بدور بطـولي حـاسم، بأن السـي احمـاد قـد تصـدر الأحـداث السياسيـة متفرغـا للجهاد بشتى الوسـائل التجاريـة منها والإجرائيـة المتعـددة. وهـو مـا نستشفـه بـوضـوح تـام من *مذكرات* السي احمـاد حين يعتبـر وصول الضبـاط الإسبـان بتاريخ 6 أبريل 1934 بمثابة تحول نـوعي في تاريخ المنطقة يستلزم ترسيخ مفهوم الجهاد وتكريس كل وسائله الممكنة.

يسجل السي احمـاد أن انخـراط أيت بـاعمـران وأهل وادي نون والصحراء في صفوف جيش الجنرال فرانكو سنة 1936 كـان لسببين : أ ـ البحث عن سبيـل من سبل العيش في ظرفيـة تميزت بشدة الأزمـات. ب ـ وضع الجنرال فـرانكو أمـام التـزامـات بالخروج من المغرب بعد انتصـاره. غيـر أن اندلاع الحرب الأهليـة وبعدها مباشرة الحرب العالمية الثـانية قد أسهمتـا في تعقيد الأمـور. فقد تملص الجنرال من وعوده بحجـة أن الحلفـاء قـد بـدأوا يسجلـون الانتصـارات تلـو الانتصارات. وهنا يبدو السي احماد منشغلاً أشد ما يكون الانشغال بضرورة التأكيد على أهمليـة الروابط البنيوية بين منطقـة أيت بـاعمران ووادي نـون والصحراء. فهـو يؤكـد أن القمع العسكـري لن يأتي بـأيـة نتيجـة لأن تشبث النـاس بجوهرهم هو الدافع الأسـاسي إلى ظهور فكـرة التحالف مع ما أخذ يعرف يومهـا بالحركة الـوطنية. تسربت هذه الفكرة خاصة عبر أولئك الفقهاء والمتعلمين الذين كـانـوا يتابعـون تفاعلات الحرب العـالميـة الثـانية ويـربطون اتصـالات ظرفيـة مع بعض الوطنيين.

اختلطت الـرؤى تـدريجيـا وتجلت صعـوبـة الفصل بين مفهـومي الجهاد والمقـاومة في غيـاب رؤية واضحـة لم يعمل منظـرو الحركة الـوطنية على تلميعهـا. بل إنهم قد اجتهـدوا في الـربط بين صـورة الـزوايـا والتحـالف مـع الاستعمـار اعتمـاداً على بعض الحالات الاستثنـائيـة آنـذاك. هـذه الإشكالية تعكس قدرة السـي احماد على تناول مستجدات الحياة السيـاسيـة المعاصـرة نظراً لسعـة حجم معارفه وقـدرته على تتبع أحداث الأربعينيات والخمسينيات.

على أنـه ظل خلال هذه الفتـرة، وبـالـرغم على حضـور والـده علي بن إبـراهيم بـن احماد، القيم الأمين على أمـور أسـرتـه الشـرعيـة والمؤوِّل لنصـوصهـا والـراسم لطـرقهـا الاقتصـاديـة والاجتمـاعيـة. يبـدو ذلك من خلال التـزامـه الصـارم بقـواعد علاقـات الجوار وقـدرتـه الفعلية على حسم تـوجهـات عـائلتـه نحـو مسـار صحيح. لا أدل على ذلك من قـدرتـه الفعليـة على تصحيح مسـار والده. فقـد أدى شح موارد العيش المتاحة بسكان تالوست أيت أيوب إلى الرغبة في بيع ممتلكـاتهم وأراضيهم المسقيـة إلى علي والـد السي احماد. وإذا كـان هذا الأخيـر قد تـوجه كليـة نحو شـراء هذه الأراضي، فإن السي احماد قـد تعرض لهذه الممارسـة مؤكداً ضرورة عدم سحق الجيران والمحافظة على ممتلكاتهم. ويبدو من خلال تفحص هـذه الممارسـة أن السي احمـاد كـان منذ صغـره يجسـد وريثـا شرعيـا للمرابط سيـدي علي أو إبراهيم القيم على الأمـــور الشـــرعيـــة لإيـــدوارحمـــان والمكيف لتعـاقـداتهم المجاليـة والسياسيـة. وظل يعتمـد في الأسـاس على تقليد ما درج عليه إيدوارحمان من تحالف مع الجيران ومراعاة دواعيهم واقتضاءاتهم البينة.

من هذا المنظور، يمكن أن نستجلي صورة شبه متكاملة

لشخص السي احماد الذي كان يستهدف صيانة إيدوارحمان وأيت أيوب كافة من التصدع والانحلال والتفاسخ إعمالا لقاعدة سد الذرائع. كما أنه كان يضفي على تكييفه مع تحديات فترته سمتين شرعيتين هما : عمل السلف وتلقي الناس لهذا العمل بالقبول. يمكن إذن أن نتفهم قدرته على الربط بين ممارسته الدينية والدنيوية. فقد كان من بين أول مهنئي السلطان محمد بن يوسف بسلامة العودة من المنفى. وقد اهتم أساساً بتدعيم سلطة الدولة المركزية الفتية خاصة بهذه المناطق البعيدة عن المركز. هذا ما يتضح جليا من خلال معاينة كنانيشه الكثيرة عن هذه الفترة من تاريخ المغرب. فقد بادر إلى حث الملك على الدفاع عن عودة الصحراء إلى باقي المغرب. ولعل أكثر ما يثير الانتباه في هذا المضمار التماسه من الملك الحرص واليقظة تجاه المخططات الإسبانية مركزاً على ضرورة تحرير شمال البلاد وجنوبها من الوجود الإسباني. تتضح بذلك عناية السي احماد بتدقيق الأخبار في هذا الباب من خلال نشاطه المكثف داخل صفوف أيت باعمران ضد الإسبان.

يدرك المتتبع لأحداث 1956 ـ 1959 كما يوردها السي احماد، أنها تحدد التوجه الجهادي لهذه الشخصية المتميزة التي عانت بشكل خاص من تآمر الضباط الإسبان. فقد عمل بشكل حاسم على تحسيس الرأي العام المحلي والجهوي على ضرورة الرفع من مستوى المواجهة. فكان طبيعيا أن تتوج هذه الممارسة بنفيه من الصحراء سنة 1965.

هناك أسباب خاصة تحملنا على القول بأن نفي السي احماد ومصادرة ممتلكاته قد أفاده في استخلاص العبرة الأخيرة التي رافقته إلى مثواه الأخير سنة 1982. فقد وثق لكل الأحداث بحيثياتها كمجاهد أراد أن يرفع الخبر التاريخي إلى مستوى وثوق الخبر الشرعي. ولذلك فهو يبدو كمن شيد صروحا كاملة من الحقائق كشف فيها بما لا يدع مجالا للشك صلابة عقيدته الدينية والسياسية واستماتته في تأهيل ذويه لغد أفضل.

كانت للسي احماد أدوار لا يمكن لأي كان من المتتبعين أن يستهين بها في توجيه الأحداث قبل وبعد استرجاع الصحراء. وقد تجسدت هذه الأدوار في قدرته الفعلية على تطويق الأحداث وتوجيهها كوجه من أكبر وجوه جيش التحرير. يسجل رجالات هذا الجيش أنه لم يكن يناديهم إلا بلقب المجاهدين وأنه قد سخر داره وأرزاقه في خدمة الجهاد مبرزين حجم تضحياته الفعلية. وإذا كانت إسبانيا قد صادرت ممتلكاته، فإن دوره الفعلي في إنجاح عودة الصحراء إلى المغرب قد أثبتت استرخاصه لكل نفيس من أجل نصرة البلد والدين.

هل بعد هذا نكون في حاجة إلى تحديد الفوارق التي تميز هنا بين مفهومي المقاومة والجهاد ؟ مهما يكن من أمر فإن شخصية السي احماد الدرهم قد استطاعت الجمع بين تجانس القيم المتداولة بشأن هذين المفهومين.

مصطفى ناعمي

درود (الجنرال –) Drude، ولد يوم 27 ماي 1853 من أبوين من أصل مرسيليا. دخل ميدان الجندية في 7 نونبر 1872 وترقى بسرعة في سلم الجندية حيث أصبح ملازماً في 1880. ورقي إلى رتبة قبطان في 1886.

في سنة 1907، رقي درود إلى رتبة جنرال فرقة Général de Brigade، وعين قائداً للفرقة العسكرية الثانية للمشاة قسم وهران بالجزائر. وفي 3 غشت 1907 كلف بقيادة الحملة الفرنسية الموجهة للمغرب بهدف احتلال الدار البيضاء والشاوية. كانت حملة الشاوية مهمة صعبة. لأن ميدانها كان هو المغرب، وهو بلد مستقل بضمانة دولية يكفلها ميثاق الجزيرة الخضراء الموقع سنة 1906.

زد على ذلك أن التدخل الفرنسي بالشاوية كان منسقاً مع الإسبان، تبعاً لما ادعته الحكومة الفرنسية من أن عملها يهدف إلى تنظيم البوليس بالدار البيضاء حسبما تقرر في ميثاق الجزيرة.

والواقع أن أن قوات الاحتلال التي نزلت بالدار البيضاء بقيادة درود في 7 عشت 1907، واجهت منذ البداية مقاومة شديدة. حصرتها بالدار البيضاء، حيث قرر الجنرال درود التخندق بالمدينة. والاعتماد على مدفعية الأسطول الحربي بقيادة الأميرال فيليبير Philibert.

ولقد خاضت قوات الاحتلال بقيادة الجنرال درود معارك شديدة حول الدار البيضاء، مثل معركة سيدي مؤمن رمعركة دار بوعزة، وكانت اشتباكات المجاهدين مع قوات الجنرال درود تحدث يومياً، الأمر الذي جمد قوات درود في خنادق حفرتها حول الدار البيضاء. وجعل الجنرال يطالب باستمرار، بإرسال إمدادات جديدة لما تبين له أن القوات الفرنسية لا تواجه جماعات من "قطاع الطرق" كما أشيع في البداية، بل تواجه شعباً مصمماً على الدفاع عن أرضه وعقيدته مهما بذل من تضحيات.

وعلى الرغم من الإمدادات التي رفعت قوات الجنرال درود من 3000 جندي إلى 7000 رجل، فإنه لم يغامر بالهجوم على قبائل الشاوية بعيداً عن الدار البيضاء الأمر الذي أثار حوله كثيراً من التعليقات.

زد على ذلك أن تكتيك الجنرال درود في مواجهة المجاهدين المغاربة أثار بدوره عدة تعليقات. إذ سلك درود خطة الرمي العشوائي الكثيف وبمختلف الأسلحة. وكان الهدف من ذلك السلوك العسكري هو إبعاد المهاجمين المغاربة والتقليل من خسائر جيش الاحتلال. وقد علق أحد الصحفيين المرافقين لجيش الاحتلال على ذلك الاستهلاك الغريب للذخائر الحربية بقوله : "بالتأكيد إن ذلك لا يرجع لخشية الجنرال من حدوث التحام بين جنوده وبين المغاربة ... ولكن مثل هذا الالتحام سيكون أكثر فتكاً بجنودنا. وهو يفضل اقتصاد الأرواح البشرية بدل اقتصاد الرصاص" (جورج بوردون، *ما رأيته في الدار البيضاء*).

ظلت خطة درود تعتمد الدفاع، وكانت قواته تتحرك

على شكل مربع. ولكن عدم فعالية خطة درود كانت سبباً في عزله في آخر دجنبر 1907 وتعويضه بالجنرال داماد. وقد بررت الحكومة الفرنسية عزله، بأنه جاء نتيجة لمرض الجنرال. لكن هذه الذريعة لم تنطل على أحد في حينها.

والواقع أن عزل درود كان مناسبة لمناقشات وتعليقات في البرلمان والصحافة. حول من يتحمل مسؤولية الفشل لمهمة الجنرال درود بالمغرب. فالمدافعون عن الجنرال قالوا : إنه خضع لتعليمات الحكومة. في حين ردت الحكومة في شخص رئيسها كليمنصو : إن الأوامر صدرت للجنرال في أكثر من "ثلاثين برقية تأمره بالتقدم للإمام".

وبالجملة، إن الحكومة الفرنسية ضحت بالجنرال درود لتبرير فشل خطتها الأولى بالشاوية. وهي خطة كانت تعرض على الرأي العام الدولي وكأنها عملية بوليس بسيطة في الدار البيضاء. أما عندما صمد المغاربة في مواجهة الاحتلال. فقد أصبح لا مفر من تدشين خطة جديدة مع قائد جديد بهدف توسيع الاحتلال ليشمل كل بلاد الشاوية.

ع. الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة*، الدار البيضاء، 1994.

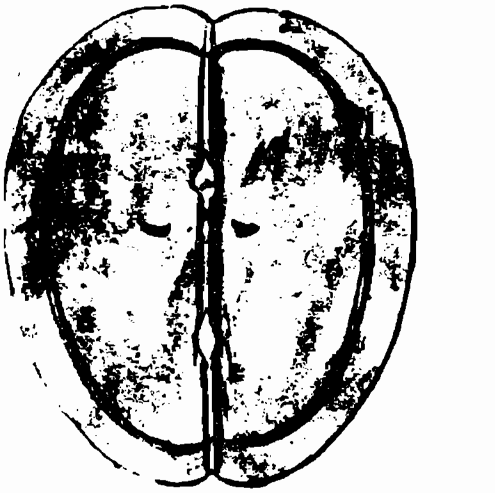
Arch. G-v., 3H76 ; G. Bourdon, *Ce que j'ai vu à Casablanca*, 1908 ; A. Tardieu, *La conférence d'Algesiras*, 1909 ; *Koumia* n° 108, 1988 ; *B.C.A.F.*,1908 - 1909.

علال الخديمي

الدروق اللمطية، عبارة عن دروق بيضاوية الشكل تتميز بصلابتها وقدرتها على رد ضربات السيوف والنبال والحراب. يتكون سمكها من مجموعة من الطبقات الجلدية ملتحمة فيما بينها بتقنية متميزة تجعل منها أداة حربية بالغة الأهمية. وهي تقنية تشهد على التطور الملحوظ لصناعة الجلود بالضفة الشمالية للصحراء حيث تقع مدينة نول لمطة. استعملت هذه الدروق كأسلحة وقائية خلال المعارك بين الجيوش خلال قرون طويلة.

على أن تسميه *الدروق اللمطية* تطرح إشكالاً من حيث تحديد معنى كلمة *اللمطية*. فهل المقصود بهذه الكلمة انتماء هذه الدروق إلى مدينة نول لمطة التي عرفت بإتقانها لهذه الصناعة ؟ أم المقصود بها جلد اللمط (اللمث) الذي تصنع منه هذه الدروق ؟ مهما يكن من أمر، فإن مدينة لمطة قد عُرفت تاريخياً بدورها كعاصمة لبعض فصائل قبيلة لمطة الكبيرة. كما عُرفت أيضاً بدورها الريادي المتميز في إنتاج هذه الدروق من جلود ظباء اللمط وخاصة منها الإناث المسنة.

تعتبر مدينة نول لمطة رأس المحور التجاري الرابط بينها وبين مدن منطقة أدرار الثمر كأزوكي وأطار وشنقيط أو ملاحة إيجيل جنوب الصحراء. وتُفيض المصادر في وجوب اعتبارها عاصمة الضفة الشمالية للصحراء من حيث إنتاج الدروق ومراقبة التجارة العابرة للصحراء عبر المحور الساحلي المحادي للمحيط الأطلسي. كانت فصائل لمطة الشمالية تنتقل على امتداد هذا المحور مراقبة تحرك القوافل وأمن وسلامة عاصمتها نول. وهو ما أهل هذه المدينة لتطوير مرافقها التجارية والإنتاجية وبنياتها الدفاعية. ولعل هذا ما ساعدها على أن تصبح عاصمة لإنتاج الدروق المصنوعة من جلود اللمط المتوفرة بكثرة في محيطها.





تعتبر ظباء اللمط (اللمث) عينة عاشبة من أصل إثيوبي مرتبطة بالوسط الصحراوي المحادي لضفتي الصحراء الجنوبية والشمالية. فهي عادة ما تضطر للإقامة بمحطات نباتية أو مائية توفر لها الغذاء اللازم مما يجعلها تتجمع على شكل قطعان تسهل مطاردتها. هذا ما يمكن أن نستشفه من كتابات الجغرافيين مؤلفي كتب المسالك كاليعقوبي وابن حوقل والإصطخري والبكري والإدريسي وابن سعيد والعمري والدمشقي وابن بطوطة وابن خلدون والوزان. فمجمل هؤلاء يركزون على دور نول لمطة كعاصمة متخصصة في إنتاج الدروق نظراً لوفرة ظباء اللمط في محيطها القريب والبعيد. على أن المصادر الإيبيرية قد ركزت بدورها على أهمية هذه الأسلحة إلى حدود القرن الحادي عشر (17 م) عندما أصبحت مدينة فاس هي

عاصمة إنتاجها في فترة ما بعد اضمحلال نول لمطة.

ما تؤكد عليه حفريات مدينة أودغست بالضفة الجنوبية للصحراء هو أهمية الاصطياد التلقائي لهذه الظباء قصد استهلاك لحومها وتصدير جلودها إلى نول لمطة حيث صناعة الدروق. نفهم من ذلك أن هذه الجلود قد كانت تجمع بمجمل مناطق الصحراء قصد إرسالها إلى المعالجة والتصنيع بمدينة نول لمطة إلى حدود اضمحلال هذه الأخيرة.



تؤكد معلومة واردة لدى ابن عذاري على استعمال كميات كبيرة من هذه الدروق اللمطية كهدايا من المعز بن زيري بن عطية إلى عبد الرحمان بن أبي عامر أحد ملوك الأندلس (*البيان*،253 : 1) على أن المصادر الإيبيرية تؤكد بما لا يدع مجالا للشك الاستعمال الكبير لهذه الأسلحة حتى أواخر القرن الحادي عشر (17 م). فقد سجلت معركة وادي المخازن الأهمية الفعلية لهذه الدروق في ترجيح كفة المغاربة. وقد أورد الباحث الفرنسي افرانسوا بيتان وثيقة من المنجد الذي ألفته الأكاديمية الإسبانية سنة 1726 تؤكد الاستعمال المتأخر لهذه الأسلحة. وتعتبر الدراسة الهامة التي قام بها هذا الباحث حول دروق مدينة فاس من أهم الدراسات التي أنجزت في هذا الباب.

ركزت قبل ذلك جل الإشارت الواردة بالمصادر على دور مدينة نول لمطة في إنتاج مواد أخرى كالسفسريات الغالية الثمن التي هي أثواب من الصوف تميزت بجودتها العالية وكثرة الطلب عليها. وإذا كانت هذه المواد على تنوعها قد زادت من أهمية المدينة مقارنة مع غيرها من المدن التجارية الكبرى، فإن إنتاج الدروق جعل منها إحدى كبريات عواصم التجارة ومنتجات ضفتي الصحراء. ولا شك أن قلة هذه المعطيات التاريخية المجسدة لتاريخ المدينة يدعو إلى كثير من الجهد لاستحضاره وإعادة اكتشافه من جديد.

كتاب الأنساب، مخطوط، خ. ع. رقم ك 1275 ؛ ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، تح. مصطفى أبو ضيف ؛ أبو عبيد الله البكري، *كتاب المسالك* ؛ شمس الدين عبد الله الدمشقي، *نخبة الدهر في عجائب البر والبحر*، بغداد، 1923؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب* ؛ م. ابن بطوطة، *تحفة النظار*، ابن حوقل، *صورة الأرض*، أبو الحسن علي بن موسى ابن سعيد، *كتاب الجغرافيا*، الشريف الإدريسي، *وصف إفريقيا*، أبو إسحاق الفارسي الإصطخري، *كتاب المسالك والممالك*،1927 ؛ ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، 1866 ؛ اليعقوبي، *كتاب البلدان*، ع. ابن خلدون، *العبر*، ح. الوزان، *وصف إفريقيا* .

F. Buttin, *Les adarques de Fès, H.T.*, vol. I, Fasc. III, 1960, 409 - 456 ; Aly ben Abderrahman ben Hodeil el Andalusy, *La parure des cavaliers et l'insigne des preux*, traduction Louis Mercier, Paris, 1924 ; H. de Castries, *Les sources inédites de l'histoire du Maroc de 1530 à 1845*, première série - *Dynastie saadienne 1530 - 1660*, t. I, p. 594, n° 2, Paris, 1905 ; P. de Cenival et Th. Monod, *Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal par Valentin Fernandès 1506 - 1507*, Paris, 1938, I. S. Allouche, *"La vie économique et sociale à Grenade au XIVè siècle"*, in *Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'occident musulman*, Alger, 1957 ; Napoléon Louis Bonaparte, *Etudes sur le passé et l'avenir de l'artillerie*, Paris, 1845, vol. I ; H. Peres, *La poésie andalouse en arabe classique*, Paris, 1953 ; Demmin, *Guide des amateurs d'armes et armures*, Paris, 1879 ; M. Leloir, *Dictionnaire du Costume et de ses accessoires, des armes et des étoffes des origines à nos jours*, Paris, 1951.

مصطفى ناعمي

الدرويش، أحمد بن الفقيه محند بن عمر الباعمراني، ولد حوالي 1288 / 1871 وأخذ القرآن على يد والده حفظاً ورسماً، فالتحلق مبكراً بالمدرسة العلمية العتيقة سيدي بوعبدلّي بقبيلة أيت برايّيمْ، فأخذ الأمهات العربية والفقهية حتى ارتوى على يد الأستاذ عبد العزيز الأدُوزي المشهور (*رجالات العلم العربي بسوس*، ص. 124) ولما أنهى دراسته رجع إلى أيت باعمران يشارط في المدارس العتيقة، ومر في مدرسة بوگرفا لمدة ثلاث سنوات معتكفا - حسب تعبيره - على تعليم وتثقيف ابنه الطيب، كما شارط في مدرسة أيت بوبكر الباعمرانية سنة 1332 / 1913 (عن تلميذه السيد الطاهر عامري من نفس العائلة).

ولدينا نماذج من أحكامه القضائية ترجع إلى سنة 1327 / 1909 ولم تنقطع أحكامه إلا بخروج الإسبان سنة 1934، قنّن الاستعمار مهنة القضاء، وذلك بتعيين العدول والقضاة في كل قبيلة، بدلاً من اختيار المتقاضين لمن يرونه شخصياً حسب العرف القديم.

تخرج على يده عدد مهم من الطلبة، ويعد ابنه القاضي الطيب الدرويش نموذجا من ذلك الجيل الذي يعتمد على الذاكرة ويحفظ كل شيء عن ظهر قلب.وكان أحمد الدرويش هذا معروفاً بالتقوى والعدل، متصوفاً دون أن ينتسب إلى أية طريقة ،عاش طويلاً حتى كف بصره وتوفي في 13 رمضان سنة 1376 / 13 أبريل 1957.

جاسوس إيطالي يسمى الحاج يونس المصري عن *سلسلة الألف كتاب* ؛ *معلمة المغرب*، ج 6، ص. 2001 ؛ م. المختار السوسي، *مدارس سوس العتيقة*، ص.97 ؛ *رجالات العلم العربي بسوس*، ص. 124 ؛ *استجواب مع السيد الطاهر عامري من نفس العائلة.*

الحسين جهادي

الدريدكة، في شعر الملحون، تطلق على القسم الأخير من أقسام القصيدة، ويتضمن في العادة اسم ناظم القصيدة، كما قد يتضمن تاريخ نظمها.

ويطلق أهل مراكش على الدريدكة اسم التريتكة، بتحويل حرف الدال تاء، كما قد يطلقون عليها لفظ "السارحة".

والكلمة من فعل "دردك" في لغة العامة، بمعنى ضرب برجله سريعاً على الأرض. وتأتي أبياتها - في العادة - على بحر عروض المبيّت أحد البحور الأربعة التي يقوم عليها شعر الملحون : المبيّت، ومكسور الجناح، والمشتب، والسوسي.

يتميز إنشاد الدريدكة من الوجهة الموسيقية بكونه حثيثا توحي حركته السريعة بإشراف الشدّادة ــ وهم مجموعة المنشدين والعازفين - على نهاية القصيدة.

م. الفاسي، *معلمة المحلون*، القسم الأول من الجزء الأول، ص. 88 ؛ ع. الجراري، القصيدة، ص. 167 ؛ ع. ابن عبد الجليل، *مجلة التراث الشعبي*، العدد، 10، السنة1980، ص. 112، العراق.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الدريدي، محمد من بني دريد إحدى الفصائل الهلالية العاملة في الجند السعدي. كان رئيساً في قومه في خدمة الدولة إلى حين دخول فاس في طاعة الدلائيين، فانخرط الدريدي وقومه في جندهم كفرقة عسكرية مرابطة في فاس وظل على ولائه لهم حتى سنة 1070 / 1660 التي عرفت تمرده على محمد الحاج، متحالفا بالمصاهرة مع رئيس عدوة الأندلس أحمد بن صالح الليريني، الذي تآمر معه على اغتيال الأمير محمد بن محمد الحاج في نفس السنة.

وقد كان الانتقام الشنيع لمحمد الحاج وتصفيته لجماعة من أعيان المدينة، فرصة سانحة للدريدي للاستئثار بحكم فاس الجديد، مؤازراً بصهره الليريني في عدوة الأندلس، وابن الصغير في عدوة القرويين، معلنين بذلك خروج فاس عن سلطة الدلائيين، وتعزز ذلك بعدم استطاعة الأمير الصغير أحمد بن عبد الله الدلائي النائب الجديد لمحمد الحاج على فاس المكوث فيها، مما جعل الدريدي يقف حائلا دون استرجاع الدلائيين للمدينة رغم حصارهم لها في رمضان 1072 / 1662.

وقد تميز الدريدي وحلفاؤه بضعف تكوينهم السياسي والعسكري، مما جعلهم غير قادرين على تسيير شؤون المدينة وضبط أمنها، فدخلت خلال عهدهم في دوامة من الفوضى والاضطراب، سهلت على الدلائيين بسط نفوذهم عليها مجدداً سنة 1073 / 1663 إثر زحف محمد الحاج على ضواحيها دون الدخول إليها.

وبمجرد ارتحال محمد الحاج إلى مدينة الدلاء في السنة الموالية، تجددت نعرة الانفصال لدى القائد الدريدي بفاس الجديد، إلا أن حليفه السابق الليريني واجهه رفقة سكان فاس، الأمر الذي دفع بالمتمرد إلى اتباع أسلوب اللصوصية وقطع الطريق مغيراً على قبائل سهل سايس ومداشرها، وبلغت عملياته زرهون ومكناس، متاجراً بمغانمه في فاس الجديد مستقطباً بذلك سكانها، وسينجم عن ذلك تطور الخلاف بينهم وبين سكان فاس البالي إلى حد الاقتتال الذي لن يتوقف إلا بتدخل جديد لمحمد الحاج وفرسان قبيلة مجاط الذين قضوا على نفوذ الدريدي في بلاد سايس، وحاصروا بقية أتباعه داخل فاس الجديد، التي ظلت معقلاً منيعاً له إلى أن قضى عليه السلطان مولاي الرشيد العلوي عليه حين دخل إلى فاس سنة 1076 / 1666.

م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 4 ،1488 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الدار البيضاء، 1985.

حسن أميلي

دْريس، أو بودْريس طائر من الجواثم أو العصفوريات Passeriformes ومن فصيلة Emberizidae المعروفة بالإنجليزية بـWarblers وهو طائر صغير القد يشبه تيبيبط ويألف المزارع والحقول الفلاحية.

اسمه الشائع في شمال إفريقيا هو الدريس وبودريس وبودرس وبودريسة. اسمه العلمي (Miliaria) calandra Emberiza وبالفرنسية bruant proyer وبالإنجليزية Corn bunting وبالأساسية Triguero وبالإيطالية Strilozzo.



يتميز هذا الطائر بريش بني تتخلله بقع داكنة على شكل خطوط متلاشية وبمنقار قصير وقوي يساعده على أكل الحبوب والديدان. الإناث شبيهة بالذكور ويبلغ طول بسطة الجناحين حوالي 40 سم وطول الجسم 17 ـ 18 سم

ويعتبر من أكبر أنواع طيور جنس الدريس Emberiza ومنه تيبيبط. تبقى الارجل عمودية ومتدلية أثناء الطيران الشيء الذي يميزه عن باقي الطيور التي تجعلها أفقية خلفها.

يعيش وسط مجموعات صغيرة وأحياناً منعزلا في الحقول حيث يتغذى غالبا من الحبوب مما يجعله غير مرغوب فيه من طرف المزارعين. يستريح أحيانا فوق الخيوط الكهربائية وعلى الأعمدة الخشبية ويقضي معظم أوقاته بين الأعشاب والنباتات الصغيرة بحثاً عن الأكل.

يتوالد منذ بداية شهر أبريل إلى غاية شهر يونيو وتحضن الإناث بيضها غالباً مرتين في السنة ونادراً ثلاث مرات. ينصب العش على الأرض بين الأعشاب في الحقول والمزارع ويتكون العش من الحشائش اليابسة ومن قطع التبن الصغيرة. تلدُ الإناث 3 ـ6 بيضات ونادراً 1 ـ2 أو سبعة وهي بيضويةَ الشكل ملساء وبيضاء تميل أحيانا إلى اللون الأزرق المصفر، تتخللها بقع صغيرة رمادية وخطوط بنية مسودة. يبلغ طول القطر الكبير 13،3 ملم وطول القطر الصغير 17،8 ملم. تدوم مدة الحضانة 12 ـ14 يوماً وذلك من طرف الأم فقط بينما يقوم الزوج بالحراسة. تتغذى الصغار من الديدان والحشرات يأتي بها الآباء وتبقى بداخل العش 9 ـــ 10 أيام قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا بعد أسبوعين على الأكثر.

يوجد هذا النوع في جميع المناطق الزراعية المغربية ويعيش أيضاً في شمال أفريقيا وأوربا الجنوبية والوسطى وفي بلدان الشرق الأوسط. معظم المجموعات التي تعيش في المغرب لا تهاجر إلى أوربا إلا نادراً.

م. رمضاني، *تيبيبط*، *معلمة المغرب*، ج. 8، ص. 2655 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ المعلوف أمين، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with north Africa and the Middle east*, 1979 ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris, 1977.

محمد رمضاني

دْريش جان إيمانويل Dresch, Jean Emmanuel ولد بباريس يوم 30 نونبر 1905، كان أبوه جوزيف أستاذاً جامعياً، اندرج الطفل جان إيمانويل في سلك التعليم الابتدائي لكنه رحل مع أسرته إلى بوردو، حيث نُقل والده إلى كلية الآداب المحلية. وهناك تابع الشاب التعليم بسلكيه، وكان ميالاً إلى الفلسفة، وقد استهوته بموضوعاتها ومذاهبها الجدلية المتناقضة وأفكارها التي تقبل النقاش مهما كانت اتجاهاتها. إلا أنه رأى في الفلسفة ميدانا للدفاع عن كرامة الإنسان وتفسير العالم.

واتفق أن انتقل أبوه مرّة أخرى من بوردو إلى تولوز، فسار الشاب مع أسرته مرّة أخرى وكان ذلك عام 1923 وحرب الريف بالمغرب على أشدّها والمقاومة المسلّحة في أوجها بمناطق أخرى من البلاد ـ وكانت أصداء الجهاد المغربي تتردّد في كل المحافل الفرنسية وتدعو المعارضة الشيوعية والاشتراكية في فرنسا إلى إجلاء قوات الاحتلال عن المغرب.

تشبّع دريش بهذه الآراء ونزع إلى الشيوعية والماركسية وراح يستعدّ للتسجيل بشعبة الفلسفة. إلا أن بعض أصدقائه صدوه عنها وأفلحوا في توجيه عنايته نحو الجغرافيا والتاريخ. وأدرك أن هذا الميدان هو إلى واقع الإنسان أقرب، فانساق في هذا المنحى وما كاد يتلقّى الدروس الأولى ويعكف على الخرائط وتحليل النصوص حتى اقتنع بأن لهذا الميدان صلات وثيقة بالحياة البشرية فضاء وعملاً.

واتضح له أيضاً أن الجغرافيا لا تدرك في العمق إلا إذا كان للمتعلم إلمام بعلوم الأرض، أي الجيولوجيا، فانكبّ على تحصيل قدر منها ساعده على فهم تطور طبقات الأرض وسطحها.

وبتولوز استأثرت جبال البرانيس باهتمامه، ففكّر في أن يخصص لها كل عنايته مستقبلاً ـ غير أنه عندما حصل على الإجازة عام 1927، وجهّه أحد أساتذته، يدعى دومانجون Demangeon نحو المدرسة العليا للأساتذة قصد تحضير دبلوم الدراسات العليا الذي يسمح بالترشيح بعد عامين إلى مباراة التبريز في الجغرافيا، وقد أخبره دومانجون أن أثرى البلدان معطيات كمّا وكيفا وتنوعاً في الميدان الجغرافي والبشري هو المغرب حسب ما يتوفّر من


ج. دريش

معلومات، وأشار عليه بربط الاتصال بأحد الجغرافيين الفرنسيين يدعي صيليريي (Célérier J.) يوجد في عين المكان حيث يترأس قسم الجغرافيا في المعهد العلمي الشريف بالرباط.

وأقبل دريش إلى المغرب عام 1926، فنزل بميناء الدارالبيضاء. وأول ما شدّ انتباهه في الحين، ما كان يضرب أهالي المدينة من فقر وفاقة في مقابل ما يتطلّع إليه الفرنسيون المعمرون من غنى عن طريق مشاريعهم الاقتصادية والعمرانية، فرأى في مذهبه الشيوعي ما يبرّر ويدعّم نظريات ماركس وأنصاره.

ولما استقبله صيليريي بالرباط واستشعر آراءه العلمية والجغرافية، نبّأه بأن مديرية التعليم العمومي خصّصت برسم سنة 1928 ـ1927 منحة واحدة لمدّة سنة واحدة لباحث فرنسي إذا ترشح للبحث الجغرافي عبر الجبال المغربية، تحت إشراف المعهد العلمي الشريف، فوجدها دريش فرصة ذهبية للتعرّف على المغرب من عمق طبيعته وفوّض أمره إلى صيليريي.

شرع دريش في أبحاثه الأولى بجبل زرهون الذي يقارب من بعض الجوانب جبال البرانيس الفرنسية، فاستقى منه ومن محيطه مستجدّات علمية لم يسبق إلى كشفها أحد من قبله. فصبّها في ما بعد في دبلوم الدراسات العليا المؤهل للترشيح لمباراة التبريز.

وإلى جانب الاستحقاقات العلمية، راح دْريش يفضح على صفحات جريدة فرنسية مظاهر الاستغلال البشري عن طريق استغلال المغرب عن طريق ثرواته الطبيعية من طرف المعمّرين، كما مضى يفضح أساليب العسكريتارية عموماً، ذلك ما دفع بسلطات بلاده إلى اعتباره عنصراً يجب الاحتياط منه.

وعاد دْريش إلى فرنسا لاتمام مسيرته في التكوين على أمل أن يرجع إلى المغرب لمواصلة أبحاثه الجغرافية بكيفية أوسع نطاقا. ولما فاز في مباراة التبريز في الجغرافيا والتاريخ آثر التدريس بالمغرب، فتمّ تعيينه بثانوية مولاي إدريس عام 1931، ثم نقلوه بعد أربعة أعوام إلى ليسى گورو بالرباط (الحسن الثاني حالياً) حيث درس إلى عام 1939. وفيه تعرّف عليه عدد من شبان الرباط منهم المهدي بنبركة.

أثناء هذه الأعوام الثمانية ربطته صداقة متينة مع شخصيات فرنسية متحرّرة، منها ريجيس بْلاشير (R. Blachère) الذي كان يدرس الترجمة بمعهد الدراسات المغربية العليا بالرباط، ولوسيان پاي (Lucien Paye) الذي انيطت به مديرية التعليم العمومي بالمغرب، وإيف لاكوسط (Yves Lacoste) الباحث الاجتماعي لدى الإقامة العامّة، ومهندسين وجيولوجيين من مديرية الطاقة والمعادن، علاوة على أطر ذوي اختصاص عال من مديرية الفلاحة والمياه والغابات، وكانوا كلهم ممن يدينون بالأفكار الاشتراكية.

وأثناء هذه المرحلة الثانية بالمغرب والتي استغرقت ثمانية أعوام، أنفق كل عطله الفصلية والسنوية في الأبحاث الجغرافية بجبال الأطلس الكبير من ناحية مراكش، فعرّف بتضاريسه وقممه ونجوده وسهوله وأنهاره وجداوله. وترجم ذلك إلى مقالات قيمّة نشرتها كبريات المجلات العلمية الفرنسية والأنگليزية، تارة بتوقيعه الفردي، وتارة بتوقيع مشترك مع كبار الباحثين في الجغرافيا مثل جولي (Joly, F.) وموري (E. Mory) وآخرين. إلى هذه الأعمال أضاف دريش ما هو أهم بالنسبة للمغرب : خرائط الأطلس الكبير بمسالكه، والفلاحة في منحدراته، والمواشي، والسكن، والاقتصاد والاجتماع. وتألّق معه في هذا الميدان ألبير عياش وصيليريي وآخرون، ويبقى اسمه المهيمن في هذه الكوكبة من الباحثين، إذ كثيراً ما كان ينشر كذلك بعض المقالات ذات الطابع الإنساني والمجتمعي في الجريدة الاشتراكية التي كانت تصدر بالمغرب عنوانها "Espoir" (أمَل) وطبعاً فإن أصحابها كانوا فرنسيين، ولم يتردّدوا في مساندته كلما فضح سياسة الاستعمار التي نجحت في تفقير المغاربة. وكان من دعاة ربط القارة الافريقية بأوربا اقتصاديا وعلميا لتشكل القارتان وحدة متماسكة يسودها العدل الاجتماعي والرفاه.

إلا أن نشوب الحرب العالمية الثانية عام 1939 استوجب عودته إلى فرنسا لأداء الخدمة العسكرية. وفي أوائل سنة 1941، ناقش أطروحة الدكتوراه في الجغرافيا بجامعة تور Tours، عنوانها : *"أبحاث في تطور تضاريس الكتلة الوسطى بالأطلس الكبير، الحوز وسوس"*.

ثم عاد إلى المغرب في شهر غشت من نفس السنة لاستئناف عمله التربوي، إلا أن الجنرال نوگيس، المقيم العام وقتها استدعاه ليخبره بأنه غير مرغوب فيه بالمغرب، مما يعني أنه مطرود من هذا البلد.

رجع دريش إلى فرنسا حيث تم تعيينه بليسي فولطير بباريز، واغتنمها فرصة، وانخرط في صفوف المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال الألماني، ومنح درجة ضابط، فساهم في تحرير إقليم باريس.

أثناء فترة المقاومة تألّق نجمه فعيّن أستاذاً بكلية كان، ثم بكلية ستراسبورج (1946 ـ1947) ثم بكلية السوربون. وموازاة مع ذلك، أناط به أندري جوليان (Ch. A. Julien) مهمّة التدريس بالمدرسة الوطنية الفرنسية لما وراء البحار (1947 ـ 1948) وهي المدرسة التي كانت تسمى من قبل بـ "مدرسة العلوم الاستعمارية"، ثم شغل منصب أستاذ بمعهد الجغرافيا بباريس حيث درّس الجيومورفولوجيا ثم جغرافيا شمال إفريقيا، وهي المادة التي حظيت بإشعاع كبير وقتئذ.

وأثناء هذه الفترة واصل علاقاته بالمغرب وطائفة من النخبة المثقفة المغاربية سواء بفرنسا أو في أقطار شمال إفريقيا، وواصل تعريفه بالمغرب، فألف في هذا الموضوع : الخرائط الطبوغرافية الموجودة حالياً، خرائط الطرق والمياه

والغابات خرائط المناخ والساكنة، وخرائط استغلتها مديرية السياحة في عهد الاستعمار، ولاسيما السياحة الجبلية عبر جبال المغرب من الشمال إلى الجنوب، ويرجع لـه الفضل كذلك في إبراز "مميزات المغارب والعالم البربري ـ العربي"، هذا زيادة على أطروحته التي جعلت الأطلس الكبير مفتوحاً للمتطلعين إلى معرفة خصائصه وخباياه الطبيعية والاجتماعية، وكتاب جغرافيا *المغرب* الذي لا يخلو من إشارات رمزية إلى فعل الاستعمار الذي لم يبن "سدّ بين الودان" إلا لتلبية حاجات المعمّرين بتادلا وسدوداً ثانوية أخرى لنفس الغاية. وقد صدر هذا الكتاب بباريس عام 1949.

وبالجملة، كتب دريش ما يربو عن 350 مقالاً أو محاضرة أغلبها عن المغرب، من أقصى شماله إلى أقصى جنوبه، وبعضُها عن الجزائر وتونس وبعض أقطار إفريقيا السوداء.

وعارض بشدة الحرب بالهند الصينية كما عارض بعد ذلك الحرب الاستعمارية في الجزائر.

وبعد استقلال المغرب بقليل دُعي إلى الرباط قصد المساهمة في تنظيم شعبة الجغرافيا بكلية الآداب، وساهم في تكوين نخبة من أساتذتها المغاربة الذين يدينون له بالكثير.

وجملة القول، فان دْريش ترك في المغرب وفي موضوع المغرب بصمات خالدة لن تنمحي، شأنه شان جولي ورينال وقليل من أمثالهم. ذلك لأنهم خلّدوا أسماءهم بأبحاثهم النيرة، فما من معلمة جغرافية في هذا البلد إلا وتحمل أثرهم.

وبقي دْريش مناضلاً سياسياً طيلة حياته، فكان من الذين شاركوا في المظاهرة العارمة يوم 8 ماي 1968 بباريس للتعبير عن رفضهم لسياسة الجنرال دوگول الفرنسية وشجب هتك حقوق الإنسان عبر العالم.

توفي جان إيمانويل دريش بباريس يوم 4 مارس 1994.

A. Ayache, *Dictionnaire bibliographique du mouvement ouvrier au Maghreb* - Galissot, *Oved*, *R.O.M.M.*, n° 41 - 42, France ; Ministère de l'Energie et des Mines, *listes bibliographiques d'auteurs et de chercheurs*, Rabat.

أحمد بنجلون

ِدريناويا، هو الاسم القديم الذي عرفت به جزيرة البرهان (Ile d'Alboran) (انظر *المعلمة*، 4 : 1203) وقد أشار إليها سكيلاكس الزائف في رحلته المعروفة (P de pseudo - scylax).

هي جزيرة خلاء توجد في البحر المتوسط، ويرى الباحث "تيسو" أن الرحلة تشير إلى الجزيرة بعد الإشارة إلى الأعمدة. وهذا الترتيب هو نفسه الذي يصادفه البحارة المتجهون إلى قادس حيث نرى على التتابع مليلة. جزيرة البرهان ثم جبل هاكسو الذي يشكل المدخل إلى المضيق.

Tissot, *Géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, p. 151 ; R. Roget, *Index de topographie antique du Maroc, PSAM*, 1938, p. 36.

عبد العزيز بل الفايدة

درينورة، Drinaura جزيرة ذكرها المدعو سكولكس في الرحلة المنسوبة إليه Périple de Scylax، والتي يرجع تاريخها إلى القرن الرابع قبل الميلاد حسب إجماع الدارسين. وصاحب الرحلة من أصل فارسي.

أشار سكولكس إلى هذه الجزيرة ضمن المواقع التي تتضمنها واجهة البحر المتوسط، من مجال المغرب القديم الذي كان يعرف باسم موروسية Maurusia أو موريطانية Mauretania.

في سرد المواقع التي تندرج فيها جزيرة درينورة، تتبع الكاتب الاتجاه من الشرق إلى الغرب. فبعدما انتهى من إحصاء المواقع التي توجد في نوميدة حتى مدينة سيگة Sige، التي كانت عاصمة الملك الماسيسولي سيفاكس Syphax في القرن الثالث قبل الميلاد، انتقل إلى بعض مواقع المغرب القديم قائلاً : "هناك مدينة هامة وميناء، المدينة تدعى أكروس Akros وكذلك الخليج الذي يحد بها. ثم هناك جزيرة مهجورة تدعى درينورة، ثم العمود ا بيي لهرقل هو أبيلة ".

يعتقد شارل تيسو، أن صاحب الرحلة تعرف على هذه الجزيرة، في اختراقه للبحر بين مدينة روسادير Russadir (مليلة) التي لم يذكرها النص، ومضيق جبل طارق الذي كان يدعى بأعمدة هرقل. ويتفق تيسو مع الباحث موليـر Müller على اعتبار مدينة أكروس هي روسادسر Russadir التي ذكرتها مصادر متأخرة في تلك الجهة. ثم اقترح تيسو أن درينورة هي جزيرة "ألبوران" Alboran وهي مهجورة أيضاً كما كانت في القديم حسب الدارس.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1978 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; Idem, *Index de topographie antique du Maroc, P.S.A.M.*, 4, 1939.

محمد مجدوب

دْرِيهَمْ أو ابن دريهم، وسماهم في *إزالة الالتباس* : أولاد بودريهَـمْ، من أهل فاس، أصلهم من قبيلة مطاع، أهل معاش وحرفة، وكان لهم مدشر خارج باب عجيسة خاص بهم.

ويوجدون أيضاً بسلا حيث كانوا يشتغلون بالتجارة في العطور ونحوها. منهم الحاج محمد دْريهَم، ورد اسمه في *تقييد مَـنْ أنعم عليهم الحسن الأول من السلاويين سكان* حومة باب سنة بتاريخ خامس حجة عام 1290 / 21 يناير 1874. كان دريهم ـ حسب التقييد ـ يكفل ستة أفراد، ونال أوقيتين ومثقالاً.

ابن دْرِيهَـمْ أحمد الفاسي، قال عنه في *سلوة الأنفاس* "ممن أخذ عن الشيخ سيدي مسعود الدراوي المترجم في *مرآة المحاسن*، وانتفع به.

توفي عام1044 / 1634 ودفن بروضة شيخه المذكور القريبة من روضة الشيخ المحاسن الفاسي خارج باب الفتوح.

ابن دْرِيهَـمْ، علي الفاسي، شيخ صوفي صالح ترجم له كذلك صاحب *السلوة والتنبية*، وذكره المدرع في منظومة المتعلقة بصلحاء فاس. لم يذكر تاريخ وفاته وإنما أشار إلى وجود ضريحه بدرب بن بوحاج.

م. الكتاني، *سلوة*،2 : 236 و 3 :331 ؛ ع. ابن سودة، *رفع الالتباس*، مرقون ؛ م. بوشعراء، *التعريف بني سعد السلويين*، 2 : 138.

محمد حجي

الدريوش، إحدى الدوائر الأربع التي تُكوِّن إقليم الناظور حاليا وإحدى الجماعات السبع التي يضمها تراب الدائرة. ظهرت هذه الدائرة كوحدة إدارية على مستوى إقليم الناظور سنة 1979. تغطي مساحتها حوالي 1602 كلم^2، تتقاسمها سبع جماعات قروية هي حسب أهمية مساحاتها : الدريوش، أولاد بوبكر، عين الزهرة، أمجاو، أيت مايت، دار الكبداني، تازغين.

يبلغ عدد سكان الدائرة 7.508 نسمة حسب إحصاء 1994 أي حوالي11٪ من مجموع سكان إقليم الناظور. أما كثافة السكان فتصل في الدائرة إلى حوالي 47 نسمة في الكلم^2. ويستفاد من مقارنة نتائج هذا الإحصاء بنتائج إحصاء 1982 أن عدد سكان الدائرة عرف تراجعا يقدر بحوالي 10٪ بسبب النزوح القروي والهجرة الدولية. وتعد الجماعات التي تتوفر على مؤهلات طبيعية محدودة أكثر عرضة لهذه الظاهرة.

ينتمي تراب الدائرة إلى منطقة انتقالية تفصل بين مرتفعات وأحواض الريف الشرقي وحوض ملوية. يتميز سطحها بتنوع تضاريسه التي تتكون من جبال ذات تركيب بنيوي معقد في بعض الأحيان، وسهول وهضاب واسعة الآفاق تحتل المنخفضات الممتدة بين المناطق المرتفعة. تتخلل هذا السطح مجموعة من الأودية الموسمية الجريان يشكل واد كرت أهم محور فيها.

يتميز مناخ الدائرة بالجفاف حيث تقل الكميات المطرية المسجلة في بعض محطاته عن 300 ملم، الشيء الذي يؤثر سلبا على طبيعة الغطاء النباتي الذي يتكون في أغلب الأحيان من أنواع متأقلمة مع الجفاف كالحلفاء، كما تحد هذه الظروف المناخية القاسية من ممارسة النشاط الزراعي، الشيء الذي يفسر تعاطي السكان للرعي وتربية الماشية منذ أمد طويل.

تمتد الجماعة القروية لدار الدريوش على مساحة تقدر بحوالي 432 كلم^2 أي 27٪ من مجموع تراب الدائرة التي تنتمي إليها، وهي بذلك أكبر جماعات دائرة الدريوش مساحة.

يتكون سطح الجماعة من جبال وهضاب وسهول. تمتد الجبال على مساحة محدودة من تراب الجماعة تمثل حوالي 23٪ من المساحة الإجمالية وتنتشر بشكل رئيسي في أطرافها الجنوبية، وهي عبارة عن مجموعة من خطوط أعراف تأخذ اتجاها عاما من الشرق إلى الغرب تتميز بتقطعها وبضعف علوها الذي لا يتجاوز متوسطه 600 م إلا نادرا. كما تتخللها مجموعة من الفجاج والمنخفضات التي تكون ممرات تسهل عملية الاتصال بين أطراف الجماعة من جهة وبينها وبين العالم الخارجي من جهة أخرى. أما السهول والهضاب فتغطي أغلب مساحة الجماعة، وهي أراضي منبسطة تتخللها مجموعة من الأودية الموسمية الجريان.

ترتبط هذه التضاريس بتطورات جيولوجية وجيومورفلوجية معقدة شهدتها المنطقة، فالوحدة الجبلية تنتمي إلى سلسلة الدريوش Sierra de Driuch التي تكون جزءاً من الهوامش الشرقية للمجال الريفي وتتميز على مستوى التركيب الصخري بسيادة مواد حثية شستية وكلس ـ طفلية ترجع في مجملها إلى الزمن الثاني. أما الأجزاء المنبسطة فإن توزيعها يوافق توزيع مجموعة من المنخفضات التي امتلأت بالمواد الرسوبية عبر فترات الزمنين الثالث والرابع. ويتمثل أهم هذه المواد في الطفل النيوجيني وفي الرصيص والكلس البحيري الرباعيين.

ويُكوِّن الكلس البحيري خزانا مائيا مهما في المنطقة حيث يحتوي على مستويات غنية بالماء يتراوح عمقها بين 15 م و70 م.

خلال فترات الرباعي تعرضت المنطقة لتطورات مختلفة أدت إلى ظهور مجموعة من الأشكال تطبع سطح تراب الجماعة ويتمثل أهمها في المستويات الرباعية (مصطبات نهرية) وفي أشكال أقدام الجبال، كما تخلفت عن هذه الفترات عدة أجيال من المواد المختلفة كالقشرات الكلسية التي تغلف بعض السطوح بالإضافة إلى أتربة متنوعة. وتلعب هذه المواد دورا مهما في حياة السكان.

أما على المستوى المناخي فإن الجماعة تعرف مناخا جافا نظرا لموقعها القاري ولوقوعها خلف مجموعة من المرتفعات التي تحجب عنها وصول التأثيرات البحرية الرطبة. يصل المتوسط السنوي للتساقطات إلى حوالي 281 ملم في محطة الدريوش وهي إلى جانب ضعفها تتميز بعدم انتظام توزيعها داخل السنة الواحدة ومن سنة لأخرى. أما الحرارات فيصل متوسطها السنوي إلى 17° في حين تبلغ

المتوسطات السنوية للحرارات العليا 24.9° و10.9° بالنسبة للحرارات الدنيا، وتصل كميات المياه المتبخرة إلى حوالي 735 ملم. هذه الظروف المناخية القاسية تؤثر سلبا على الحياة الاقتصادية في المنطقة، خاصة على النشاط الفلاحي الذي يلعب دورا مهما في حياة السكان.

عرفت المنطقة استقرارا بشريا قديما. ويبلغ عدد سكان الجماعة حسب إحصاء 1994 حوالي 26.329 فردا، منهم 19.445 قرويا. ويمثل هذا العدد حوالي 35٪ من مجموع سكان الدائرة، الشيء الذي يجعل من الجماعة أكثر جماعات الدائرة سكانا، أما الكثافة السكانية على مستوى الجماعة فتصل إلى حوالي 61 نسمة/ كلم^2. كما يستفاد من مقارنة إحصاءي 1982 و1994 أن مجموع سكان الجماعة عرف نموا تقدر نسبته بـ26٪.

تعتمد هذه الساكنة في حياتها على أنشطة مختلفة كالفلاحة والهجرة الدولية.

تشير تقديرات مركز الأشغال الفلاحية بدريوش إلى أن استعمال أراضي الجماعة يتم على النحو التالي :

- الأراضي الفلاحية 30.000 هكتار. منها 27.360 هكتار بورية و2.640 هكتار مسقية.
- المراعي 1.430 هكتار.
- الغابات 8.500 هكتار.
- أراضي غير قابلة للاستغلال 3.270 هكتار.

كما تشير هذه التقديرات إلى أن مجموع الفلاحين بالجماعة يصل إلى حوالي 3.800 فلاح يملك حوالي 55٪ منهم أقل من 5 هكتارات. إلا أن الظروف المناخية القاسية ووجود مساحات غير صالحة للاستغلال (سطوح مكسوة بالقشرات الكلسية وأخرى معراة من المواد السطحية) وغير القابلة للحرث يحدان بشكل كبير من أهمية النشاط الزراعي. وفي محاولاتهم للتغلب على هذه الصعاب، وبصفة خاصة على ندرة الماء، يعمد الفلاحون إلى استغلال المياه الجوفية عن طريف حفر الآبار التي يصل عددها في الجماعة إلى 1.400 بئر حسب تقديرات مركز الأشغال الفلاحية. وقد بدأت ظاهرة استغلال المياه الجوفية مع دخول الاستعمار إلى المنطقة وحصول المعمرين على أجود أراضيها. وتتوفر الجماعة على عدد مهم من رؤوس الماشية خاصة الأغنام والماعز وهو ما يعكس استمرار السكان في التعاطي للنشاط الرعوي الذي كون لمدة طويلة عماد حياتهم الاقتصادية.

إلى جانب الفلاحة تعرف الجماعة كباقي المناطق المجاورة هجرة دولية مهمة، غير أن هذه الظاهرة أقل أهمية مما هي عليه في الجماعات المجاورة، خاصة تلك التي تنتمي إلى دائرة الريف. وقد قدرت نسبة المهاجرين في الجماعة بين 4 و8٪ من مجموع السكان (Bossar, 78). ويقوم هؤلاء بتحويل مبالغ مالية مهمة نحو ذويهم، الشيء الذي يعمل على الرفع من مستوى العيش وعلى تطور الجماعة خاصة مركزها الحضري. (انظر دار الدريوش).

J.J. Barathon, *Bassins et littoraux du Rif oriental : Evolution morphoclimatique et tectotique depuis le néogène supérieur,. Etudes méditerranéennes*. Fasc. N° 13, 1989 ; P.R. Bossard, *Mouvements migratoires dans le Rif oriental : le travail en Europe. Aspect contemporain majeur des migrations dans la province de Nador*. Thèse de 3ème cycle, Monpellier, 1978 ; Centre de travaux agricoles de Driuch, *Données monographiques des communes rurales de Driuch et Dar Kabdani*.

حسن العباسي

الدستور، كلمة فارسية مركبة من "دست" وتعني القاعدة، ومن كلمة "ور" بمعنى صاحب، فيكون معناها صاحب القاعدة. كما تعني في مجموعها أيضاً القاعدة التي يعمل بمقتضاها، أو الدفتر الذي تجمع فيه قوانين الملك وضوابطه (*محيط المحيط*، ج. 1، ص. 650 ؛ *أقرب الموارد في فصيح لعربية والشوارد*، ج. 1، ص. 392).

وإذا كان الأصل اللغوي لكلمة الدستور فارسيّ الأصل والمنبت، وكان معناها يفيد الأساس أو القاعدة، فالراجح أنها قد دخلت إلى اللغة العربية عن طريق اللغة التركية، ثم شاعت في اللغة العربية (*القاموس السياسي*، ص. 521).

وجل الدساتير العربية تطلق على وثائقها الأساسية تسمية الدستور، من ذلك : دستور موريتانيا لسنة 1991 - دستور المغرب لسنة 1996 - دستور الجزائر لسنة 1996 - دستور تونس لسنة 1959 - دستور مصر لسنة 1971 - دستور الأردن لسنة 1952 - دستور سوريا لسنة 1973 - دستور الكويت لسنة 1962 - دستور الإمارات العربية المتحدة لسنة 1971 - دستور قطر لسنة 1972.

ويقابل اصطلاح الدستور في اللغة الانجليزية والفرنسية Constitution وفي الإسبانية Constitución.

الدستور في الاصطلاح القانوني تعبير يراد به معنيان متغايران أحدهما موضوعي والآخر شكلي :

فوفق المعنى الموضوعي يقصد بالدستور مجموعة القواعد التي تعتبر في جوهرها دستورية، كالقواعد التي تبين شكل الدولة ونظام الحكم فيها وسلطاتها وما إلى ذلك من المواضيع التي لها علاقة بنظام الحكم في الدولة من الناحية السياسية، بصرف النظر عما إذا كانت هذه القواعد مدونة في وثيقة دستورية أو تقررت أحكامها في قوانين عادية أو بمقتضى العرف الدستوري. وينجم عن هذا المعنى لمؤدى الدستور أن يكون لكل دولة بلا استثناء دستور يبين الأسس العامة التي تسير عليها من أجل القيام بمهامها وتأدية وظائفها، يستوي في ذلك أن يكون الدستور مكتوباً أو عرفياً.

ومن مجموع المواضيع التي تعتبر دستورية بطبيعتها وجوهرها تتشكل مادة القانون الدستوري التي تدرس في كليات الحقوق باعتبارها فرعاً من فروع القانون العام الداخلي.

أما الدستور وفق المعنى الشكلي فيراد به الوثيقة المدونة المتضمنة لمجموعة من المقتضيات والأحكام الصادرة من السلطة المختصة، وهي السلطة التأسيسية الأصلية التي يختلف تكوينها باختلاف الدساتير. وتبعاً لهذا المعنى فإن الدستور لا يكون له وجود إلا بالنسبة للدول التي تأخذ بفكرة الدساتير المكتوبة، أما الدول التي لا تعرف الدستور المكتوب كإنجلترا فإنه لا يتصور أن يوجد بها دستور ما دام هذا الأخير وفق المدلول الشكلي لمعنى الدستور يصدر فقط عن السلطة التأسيسية.

وينصرف مصطلح الدستور أساساً إلى الوثيقة الدستورية التي تتضمن القواعد الأساسية المتعلقة بنظام الحكم في الدولة كالدستور الفرنسي والإسباني والمغربي الخ..، وذلك من حيث تنظيم السلطات العامة وتحديد اختصاصاتها وبيان الحقوق والحريات المقررة للأفراد وكذلك الاتجاهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مع اختلاف الدساتير فيما تتضمنها من مقتضيات وأحكام.

والوثيقة الدستورية التي تشكل المصدر الهام للقانون الدستوري قد تكون واحدة وهذه هي القاعدة والأصل ؛ وقد تكون متعددة كما هو الحال بالنسبة لدستور الجمهورية الثالثة في فرنسا، حيث صدرت ثلاثة قوانين دستورية : الأول صدر بتاريخ 24 فبراير 1875 من أجل تنظيم مجلس الشيوخ، ويتضمن إحدى عشرة مادة، والثاني صدر في 25 فبراير 1875 وهو متعلق بتنظيم السلطات العامة ويتضمن تسع مواد، والثالث صدر في 16 يوليوز 1875 ويحتوي على أربع عشرة مادة متعلقة بتنظيم العلاقة بين السلطات. وهذه القوانين الثلاثة هي التي تشكل في مجموعها دستور 1875 أو ما يسمى بدستور الجمهورية الثالثة الذي ظل قائماً إلى تاريخ اندحار فرنسا أمام المانيا النازية سنة 1940.

كما أن الوثيقة الدستورية من حيث عدد فصولها قد تكون طويلة مثل دستور الهند لسنة 1949 الذي يتضمن 395 مادة بالإضافة إلى جداول مرفقة بالدستور، ودستور يوغوسلافيا لسنة 1963 الذي كان يحتوي على 259 مادة، ودستور المملكة الليبية لسنة 1951 الذي كان يحتوي على 204 مادة. وعلى خلاف ما سبق، توجد دساتير عدد موادها ليس بالكثير كما هو الحال بالنسبة لدستور الولايات المتحدة الأمريكية الذي كان وقت صدوره سنة 1787 متضمناً لسبع مواد فقط، وكذلك الأمر بالنسبة لدستور فرنسا لسنة 1875 الذي كان يتضمن 34 مادة. أما الدساتير المغربية المتعاقبة فتتضمن مجموعة من الفصول محددة تبعاً لتسلسل الدساتير من الناحية الزمنية على النحو التالي : دستور 1962 : 110 فصل، دستور 1970 : 101 فصل، دستور 1972 : 103 فصل، دستور 1992 : 102 فصل، دستور 1996 : 108 فصل.

تنقسم الدساتير من حيث مصدر القاعدة الدستورية إلى دساتير مكتوبة ودساتير عرفية :

ـ الدستور المكتوب هو الذي يضع أحكامه المشرع الدستوري ويدون قواعده في وثيقة رسمية واحدة أو عدة وثائق. وأول الدساتير المكتوبة هي التي وضعتها لنفسها المستعمرات الانجليزية بأمريكا الشمالية وقت أن أعلنت انفصالها عن التاج البريطاني سنة 1776، ثم تلا ذلك في سنة 1781 صدور دستور الاتحاد التعاهدي، وفي سنة 1787 صدر الدستور الاتحادي للولايات المتحدة الأمريكية الذي لا يزال ساري النفاذ مع ما أدخل عليه من تعديلات وصلت إلى 26 تعديلاً.

ثم انتقلت فكرة الدساتير المكتوبة من أمريكا الشمالية إلى فرنسا التي وضعت أول دستور مكتوب لها سنة 1791 في عهد الملك لويس السادس عشر. ثم توالى بعد ذلك صدور بقية الدساتير المكتوبة (1793 ـ 1795 ـ 1799 ـ 1814 ـ 1830 ـ 1848 ـ 1852 ـ 1875 ـ 1946) والذي كان آخرها دستور 1958 (دستور ديغول أو دستور الجمهورية لخامسة) مع ما أدخل عليه من تعديلات وخاصة التعديل الذي تم سنة 1962.

ومن فرنسا انتقلت فكرة الدساتير المكتوبة إلى بقية دول العالم، حيث تم وضع دستور بلجيكا سنة 1831 وإيطاليا سنة 1848 وفنلندا سنة 1919 وتركيا سنة 1924 والعراق 1925 والأردن سنة 1928 والمغرب سنة 1962 الخ...

وفكرة الدساتير المكتوبةأصبحت تشكل جزءاً من كيان الدولة الحديثة بحيث أصبح من المتعذر العدول عن هذه الوسيلة والرجوع إلى فكرة الدساتير العرفية التي آل مصيرها إلى الزوال والأفول.

ـ الدستور العرفي هو ذلك الدستور الذي يستمد أحكامه عن غير طريق التشريع، أي ذلك الذي تتكون أحكامه وقواعده ومقتضياته عن طريق العرف الذي ينشأ تلقائيا من أجل معالجة أمور ومسائل تتعلق بنظام الحكم، دون تدخل من المشرع الوضعي.

ويثبت التاريخ الدستوري أن دساتير الدول القديمة بدأت في شكل قواعد عرفية وظلت كذلك إلى ما بعد منتصف القرن الثامن عشر، حيث افتتحت الثورتان : الأمريكية والفرنسية عهد الدساتير المكتوبة.

والمثال التقليدي للدساتير العرفية هو دستور المملكة المتحدة. فانجلترا لا تملك وثيقة مكتوبة تسمى الدستور الانجليزي تحوي بين دفتيها القواعد الدستورية. ذلك أن جل القواعد المتعلقة بنظام الحكم تكونت في هذا القطر على مر الزمن بالعادة والتكرار حتى استقر في ذهن الجماعة وجوب احترامها والعمل بمقتضياتها.

وإذا كانت المملكة المتحدة ذات دستور عرفي، فإنه توجد بها وثائق مكتوبة تشكل جانبا هاماً من مصادر النظام الدستوري الأنجليزي في الوقت الحاضر، من غير أن يترتب عن ذلك إخراج بريطانيا من إطار الدول ذات الدساتير العرفية.

ومن أمثلة هذه الوثائق المكتوبة في انجلترا ما يلي : العهد الأعظم - ملتمس الحقوق - وثيقة الهابياس كوربوس - قرار التثبيت أو قانون توارث العرش - قانون البرلمان.

وإذا كان الدستور العرفي يرتبط بالدول التي لا تأخذ بفكرة الدساتير المكتوبة، فإن العرف الدستوري كمصطلح يطلق على القواعد العرفية التي تنشأ في إطار دولة لها دستور مكتوب. فإسبانيا والمغرب والجزائر وسائر الدول ذات الدساتير المكتوبة لا توجد بها دساتير عرفية، ولكنها تعرف قواعد عرفية تظهر بجوار الدستور المكتوب من أجل تفسير نص دستوري أو تكملته أو تعديله، بل وحتى إيجاد قواعد دستورية غير منصوص عليها في الوثيقة الدستورية.

وتنقسم الدساتير بالنظر إلى كيفية تعديلها إلى دساتير مرنة ودساتير جامدة.

الدستور المرن : هو ذلك الدستور الذي يمكن تعديله بقانون عادي تصدره السلطة التشريعية، دون حاجة إلى اتباع أي إجراء آخر يختلف عن الإجراء المتبع في وضع وتعديل القانون العادي ؛ أي أن الدستور المرن تعدل أحكامه بواسطة السلطة المختصة بالتشريع.

وفي إطار هذا النمط من الدساتير تتساوى القوانين الدستورية مع القوانين العادية، وتحتل نفس المرتبة والدرجة. وإذا حدث تعارض بين نص دستوري ونص عادي، فإن اللاحق يلغي السابق، دون أن تثار مسألة الرقابة على دستورية القوانين العادية.

ومن أمثلة الدساتير العرفية المرنة، دستور أنجلتر، حيث يستطيع البرلمان أن يغير القواعد الدستورية بنفس الطريقة التي يعدل بها القوانين العادية.

ومن أمثلة الدساتير المكتوبة المرنة : دستور فرنسا لسنة 1814 و1830، دستور إيطاليا لسنة 1848، دستور قطر لسنة 1972. وكون هذه الدساتير المكتوبة اتصفت بالمرونة، فمرد ذلك خلو الوثيقة الدستورية من الاجراءات المتعلقة بالتعديل، الأمر الذي جعل هذا النمط من الدساتير يندرج في إطار الدساتير المرنة.

- الدستور الجامد هو ذلك الذي لا يمكن تعديله وتغييره بقانون عادي، وإنما يتحتم من أجل تعديله اتباع الاجراءات التي حددها الدستور وبينها في نصوصه.

والإجراءات المتبعة لتعديل الدساتير الجامدة ليست واحدة، نظراً لاختلاف الدساتير في هذا المضمار. فقد يشترط الدستور اجتماع مجلسي البرلمان في هيئة مؤتمر عندما يكون البرلمان مكونا من مجلسين، وقد يشترط إسناد التعديل إلى جمعية يختار أعضاؤها خصيصاً لهذا الغرض، وقد يشترط لإتمام التعديل أغلبية موصوفة، وقد يشترط موافقة الشعب على التعديل.

والهدف من تقرير جمود الدستور، هو إعطاؤه نوعاً من الثبات والاستقرار. ولتحقيق هذه الغاية فإن قواعده ومقتضياته تحاط بسياج متين يضمن لها قدراً من السمو والعلو، للحيلولة دون التغييرات التي تتم دون روية وتدبر وتفكير. ولهذا، فإن جمود الدستور لا يعني مطلقاً عدم المساس به، لأن ذلك يتنافى مع طبيعة الأشياء ويتجافى مع سنة الحياة التي لا تقبل الجمود المطلق.

وتأسيساً على ما سبق، فإنه إذا كان الدستور المرن يتميز بإمكان تعديله باتباع ذات الإجراءات المتطلبة لتعديل القوانين العادية، فإن الدستور الجامد ليس كذلك. ولهذا حينما تختلف الإجراءات المتبعة في تعديل القوانين الدستورية عن تلك المتطلبة لتعديل القوانين العادية، فإن الدستور يكون جامداً، مهما بلغت درجة هذا الاختلاف من الضآلة، كأن يشترط في تعديل القواعد الدستورية توافر أغلبية الثلثين، ويتطلب في تعديل القوانين العادية تحقق الأغلبية المطلقة.

ويترتب على اتصاف الدستور بصفة الجمود سريان هذا الجمود على كل المقتضيات التي تتضمنها الوثيقة الدستورية، بما في ذلك تلك المقتضيات التي تعالج بأداة قانونية أدنى من الدستور، والتي تعتبر دستورية من الناحية الشكلية دون الناحية الموضوعية، الأمر الذي يجعل الوثيقة الدستورية لا تعدل إلا بعد اتباع الإجراءات المنصوص عليها في الدستور ذاته. وإذا حدث تعارض بين نص دستوري ونص عادي، فإنه في هذه الحالة تثار مسألة الرقابة على دستورية القوانين.

مظاهر جمود الدستور : يلجأ واضعو الدساتير الجامدة للحيلولة دون تعديل أحكام الوثيقة الدستورية إلى منع التعديل خلال فترة زمنية (الحظر الزمني)، أو منع تعديل بعض النصوص بصفة دائمة (الحظر الموضوعي).

أ - الحظر الزمني القصد من هذا الحظر هو حماية الدستور فترة من الزمن لا يجوز خلالها اقتراح تعديل أحكامه، بهدف ضمان نفاذ قواعده فترة تكفي لتثبيتها وترسيخها قبل أن يسمح باقتراح تعديلها، ومن ذلك دستور الكويت (المادة 174)، البحرين (المادة الأولى، بند "و")، المغرب (الفصل 21، الفقرة الأولى).

ب - الحظر الموضوعي يتوخى هذا الحظر حماية أحكام معينة في الدستور على نحو يحول دون إمكانية تعديلها، نظراً لكونها تشكل الحجر الأساسي في النظام السياسي الذي يقيمه الدستور. ومن أمثلة الدساتير التي نصت على الحظر الموضوعي المؤبد لبعض النصوص، دستور فرنسا لسنة 1958 (المادة 89، الفقرة الثانية)، دستور ألمانيا الاتحادية (المادة 79، الفقرة الأخيرة)، دستور الكويت (المادة 175)، دستور المغرب لسنة 1996 (الفصل 106).

تختلف طرق وضع الدساتير المكتوبة باختلاف الدول، وتباين أحوالها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتفاوتها في مضمار الحضارة والمدينة، ومدى النضج السياسي لدى الرأي العام فيها ؛ كما تتأثر طريقة الوضع بنوعية نظام الحكم الذي يراد الأخذ به.

والطرق المتبعة في وضع الدساتير هي التالية :

ـ أسلوب المنحه وفق هذا الأسلوب ينفرد الحاكم بوضع الوثيقة الدستورية دون مشاركة أو مساهمة من الشعب. لهذا يعتبر الدستور الممنوح هبة أو منحة من طرف الحاكم الذي تكرم وتفضل بالتنازل عن جزء من اختصاصاته المطلقة لصالح المحكومين من أفراد رعيته.

ويمثل هذا الأسلوب في وضع الدساتير الانتقال من الحكم المطلق الذي تتجسد فيه السيادة في شخص الحاكم إلى الحكم المقيد الذي من خصائصه تقييد سلطات الحاكم، نتيجة تحديد الدستور لسلطات الدولة واختصاصاتها وبيان ما يتمتع به الشعب من حقوق وحريات.

من أمثلة الدساتير الممنوحة دستور فرنسا لسنة 1814 ودستور إيطاليا لسنة 1848 ودستور اليابان لسنة 1889 ودستور مصر لسنة 1923 ودستور قطر لسنة 1972 ودستور السعودية لسنة 1992 الذي جاء فيه ما يلي :

"بعون الله تعالى : نحن فهد بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية. بناء على ما تقتضيه المصلحة العامة ونظراً لتطور الدولة في مختلف المجالات ورغبة في تحقيق الأهداف التي نسعى إليها. أمرنا بما هوآت..."

ـ أسلوب التعاقد بمقتضى هذه الوسيلة ينشأ الدستور باتفاق بين الحاكم وممثلي الشعب، حيث يتعذر على أي طرف أن يستأثر بعملية إقرار الدستور إلا بعد تلاقي إرادة كل من رئيس الدولة وأعضاء البرلمان الذين يمثلون الشعب.

ويتبين من هذا الأسلوب في وضع الوثيقة الدستورية أن نظام الحكم الفردي بدأ في الضعف وسائر إلى الأفول والزوال، وأن إرادة الشعب آخذة في الظهور والصعود، وفارضة وجودها عبر من يمثلها في البرلمان. ولهذا تعتبر هذه الوسيلة خطوة إلى الأمام في طريق الديمقراطية، مما يجعلها أفضل من أسلوب المنحة.

ومن أمثلة الدساتير التي وضعت بأسلوب التعاقد ما يلي : دستور فرنسا لسنة 1830 ـ دستور العراق لسنة 1925 ـ دستور الأردن لسنة 1946 و1952 ـ دستور الكويت لسنة 1962 ـ دستور البحرين لسنة 1973.

ـ أسلوب الجمعية التأسيسية المنتخبة وفق هذا الأسلوب يتولى الشعب وضع الوثيقة الدستورية بطريق غير مباشر عبر ممثلين ينتخبهم من أجل ممارسة السلطة التأسيسية ووضع دستور للبلاد.

وترجع هذه الوسيلة في أصلها وبداية ظهورها إلى أمريكا، حيث تم بواسطتها وضع دساتير أغلب الولايات الأمريكية عقب إعلان استقلالها عن انجلترا سنة 1776، وبذات الوسيلة صدر الدستور الاتحادي سنة 1787.

ومن أمريكا انتقلت هذه الوسيلة إلى فرنسا، حيث وضعت دساتير 1791 و1848 و1875 عن طريق جمعية نيابية منتخبة.

ومن فرنسا انتقلت هذه الوسيلة إلى دول عديدة منها :

ـ دستور ألمانيا لسنة 1919 ـ دستور إسبانيا لسنة 1931 ـ دستور تركيا لسنة 1924 ـ دستور سوريا لسنة 1950 ـ دستور تونس لسنة 1959 ـ دستور البرتغال لسنة 1976.

والدستور الصادر وفق هذا الأسلوب يصبح نافذاً من تلقاء ذاته بمجرد إقراره من طرف الجمعية المنتخبة دون حاجة إلى عرضه على الشعب للحصول على موافقته ومن غير حاجة أيضاً إلى موافقة جهة من الجهات بما في ذلك رئيس الدولة.

ـ أسلوب الاستفتاء الدستوري قد يتم إعداد الدستور من طرف جمعية منتخبة أو لجنة حكومية وقد ينفرد رئيس الدولة بإعداد صياغته، ومع ذلك يعتبر الدستور صادراً وفق أسلوب الاستفتاء الدستوري، ما دام الدستور لا يمكن إصداره إلا بعد موافقة الشعب عليه عن طريق الاستفتاء.

ومن أمثلة الدساتير التي وضعت من طرف جمعية منتخبة ووافق عليها الشعب دستور فرنسا لسنة 1946.

ومن أمثلة الدساتير التي أعدت من طرف لجنة حكومية وأقرها الشعب دستور مصر لسنة 1956 ودستور فرنسا لسنة 1958.

ومن أمثلة الدساتير التي انفرد رئيس الدولة بصياغتها ووافق عليها الشعب في استفتاء عام دساتير المغرب لسنة 1962 ـ 1970 ـ 1972 ـ 1992 ـ 1996.

ويعد أسلوب الاستفتاء الدستوري تطبيقا لفكرة الديمقراطية المباشرة، لأن الشعب هو الذي يختار دستوره بنفسه دون إنابة أو تفويض.

ولما كان أسلوب الاستفتاء الدستوري في وضع الوثائق الدستورية يمكن الشعب بصورة مباشرة من الاستئثار بعملية الإقرار النهائي للدستور، فإنه من أجل ذلك يعتبر من أكثر الوسائل ديمقواطية، لكونه يأخذ من الديمقراطية بأكبر نصيب ويبلغ منها أقصى درجة وأبعد مدى.

وقد اتبعت طريقة الاستفتاء الدستوري العديد من الدساتير منها : دستور فرنسا لسنة 1793 ـ 1795 ـ 1946 . 1958. دستور مصر لسنة 1956 و1971، دستور إسبانيا لسنة 1978، دساتير المغرب (1962 ـ 1970 ـ 1972 ـ 1992 . 1996) وإذا كان أسلوب الاستفتاء الدستوري يفضل الأساليب السابقة، فإنه من الناحية الواقعية والفعلية لا يعتبر كذلك، إلا إذا كان الشعب على درجة من الوعي السياسي، وكان في إمكانه رفض الدستور إذا تبين له أنه لا يساير روح العصر أولاً يستجيب لآ ماله وتطلعاته في كيفية تدبير الشأن العام.

تعديل الدساتير : إن الدستور في واقع أمره وحقيقة حاله هو تخطيط للنظام السياسي في بلد معين. ونتيجة لذلك فهو يظهر إلى حيز الوجود متضمنا للقواعد الأساسية للدولة وفق أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة وقت صدوره.

ولما كانت الحياة الاجتماعية متغيرة، على خلاف الوضع

بالنسبة للدستور الذي يتسم بالسكون، فإنه كان لزاما من أجل مسايرة الحياة المتغيرة، أن يتطور الدستور حتى يواكب هذه المتغيرات ويغطي المستجدات التي تطرأ على حياة الدولة لكي لا تظهر الفجوة بين التنظيم القانوني القائم وبين الواقع الفعلي.

ولتحقيق هذه الغاية قد يقتصر الأمر على تعديل بعض النصوص الدستورية، وقد يتطلب الأمر إلغاء الوثيقة الدستورية برمتها وإستبدالها بغيرها.

والقاعدة في جل الدساتير الجامدة أنها لا تنظم إلا طريقة تعديلها تعديلاً جزئياً، في حين أن البعض الآخر يتصدى لبيان طريقة التعديل الجزئي ويحدد في ذات الوقت كيفية التعديل الكلي للوثيقة الدستورية، من ذلك دستور إسبانيا لسنة 1978 الذي أفرد المادة 166 و167 للتعديل الجزئي وخصص المادة 168 للتعديل الشامل للوثيقة الدستورية ولمسائل أخرى. وهذه المادة تقرر ما يلي :

- وقت اقتراح المراجعة الشاملة للدستور أو مراجعة تمس الباب التمهيدي أو الفصل الثاني أو الفرع الأول من الباب الأول أو الباب الثاني، سيتم اللجوء إلى الموافقة على المبدأ بأغلبية ثلثي أعضاء كل مجلس ثم يحل الكورتس مباشرة.

- يتوجب على المجلسين المنتخبين التصديق على قرار المراجعة والشروع في دراسة النص الدستوري الجديد ويتحتم التصديق عليه بأغلبية الثلثين في كل مجلس

- بعد مصادقة الكورتس تعرض المراجعة على الاستفتاء لإقراره".

فتعديل الدستور بأكمله يراد به انتهاء العمل بالوثيقة الدستورية برمتها، في حين أن التعديل الجزئي يراد به تعديل بعض أحكام الدستور فقط، وهو ما تخصص له جميع الدساتير الجامدة عنواناً مستقلاً توضح فيه الإجراءات الواجب إتباعها من أجل تغيير بعض مواد الدستور.

وفي النظام الدستوري المغربي حينما يتم انتهاء سريان الدستور بأكمله ويصدر دستور جديد، فإن هذا الأخير قد يخصص فصلاً خاصا يشير فيه إلى انتهاء العمل بالدستور السابق. وهذا ما نجده في الدستور الثالث لسنة 1972 الذي ينص في الفصل 103 منه على ما يلي : "يلغى الدستور الصادر الأمر بتنفيذه بمقتضى الظهير الشريف رقم 1.70.177 بتاريخ 31 يوليوز 1970". بيد أن عدم ورود نص مماثل في أي دستور جديد (1992 ـ 1996) لا يعني أن الدستور القديم يظل قائماً ومنتجا لآثاره. ذلك أن الدولة لا يمكن أن يكون لها في ذات الوقت سوى دستور واحد يتم العمل بمقتضياته. وعلى هذا الأساس فإن الدستور اللاحق والصادر الأمر بتنفيذه يؤدي بصفة تلقائية إلى إلغاء الدستور السابق عليه.

والوضع يختلف حينما يكون الأمر متعلقاً بالتعديل الجزئي، حيث إن الذي يلغي أو يعدل في هذه الحالة ليس هو الدستور بأجمعه، وإنما بعض المقتضيات التي تتضمنها الوثيقة الدستورية، دون إلغاء للدستور الذي يبقى ساري النفاذ مادام التعديل قد انصب على بعض الفصول فقط.

والمثال على التعديل الجزئي ما حدث في المغرب سنة 1980، حيث تم في 21 و30 ماي ذات السنة تعديل الفصل 21 و43 و95، من غير أن يترتب على ذلك أي مساس بباقي فصول الوثيقة الدستورية. ذلك أنه بالرغم من المراجعة التي تمت في ظل دستور 1972، فإن هذا الدستور ظل قائماً ومطبقاً إلى أن ألغي بمقتضى الدستور الرابع لسنة 1992. وكذلك الأمر بالنسبة للمراجعة الجزئية التي تمت في 15 سبتمبر 1995 بغاية تعديل الفقرة الثالثة من الفصل 49 من دستور 1992، حيث تمخض عن الاستفتاء مجرد تعديل تلك الفقرة، مع بقاء الدستور منتجا لآثاره إلى أن ألغي بمقتضى الدستور الخامس لسنة 1996.

والدستور المغربي لسنة 1996 نظم موضوع تعديل الوثيقة الدستورية من حيث إجراءاته ونطاقه على النحو التالي :

الفصل 103 : "للملك ولمجلس النواب ولمجلس المستشارين حق اتخاذ المبادرة قصد مراجعة الدستور.

للملك أن يستفتي شعبه مباشرة في شأن المشروع الذي يستهدف به مراجعة الدستور.

الفصل 104 : " إن اقتراح مراجعة الدستور الذي يتقدم به عضو أو أكثر من أعضاء مجلس النواب أو مجلس المستشارين لا تصح الموافقة عليه إلا بتصويت ثلثي الأعضاء الذين يتألف منهم المجلس المعروض عليه الاقتراح، ويحال الاقتراح بعد ذلك إلى المجلس الآخر ولا تصح موافقته عليه إلا بأغلبية ثلثي الأعضاء الذين يتألف منهم".

الفصل 105 : "تعرض مشاريع واقتراحات مراجعة الدستور بمقتضى ظهير شريف على الشعب قصد الاستفتاء.

تصير المراجعة نهائية بعد إقرارها بالاستفتاء".

الفصل 106 : "النظام الملكي للدولة وكذلك النصوص المتعلقة بالدين الإسلامي لا يمكن أن تتناولها المراجعة".

بطرس البستاني، *محيط المحيط*، بيروت، السعيد سعيد الخوري الشرتوفي، *أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد* ؛ أ. عطية، *القاموس السياسي*، بيروت،1974 ؛ *الدساتير الدولية* المشار إليها في النص أعلاه ؛ *الدساتير المغربية الخمسة*.

مصطفى قلوش

دستور جماعة لسان المغرب (1908) : إنه مشروع دستور نشرته جريدة "*لسان المغرب*" التي كان يحررها في طنجة ما بين 1907 و1909 الأخوان الشاميان المسيحيان فرج الله نمور وارتون نمور. ظهرت منه ثلاث وتسعون مادة في أربعة أعداد متتالية من الجريدة وهي مؤرخة في 11 و18 و25 أكتوبر وفاتح نونبر 1908. وتعتبر هذه المواد التي

تم الفراغ من تحريرها يوم الأحد 15 رمضان 1326 / 11 أكتوبر 1908 بمثابة الفصل الأول من المشروع، وهو "الدستور الأساسي المغربي"، وأعلن أنه سيتبع لاحقا بفصلين آخرين واحد منهما يبحث في "نظام منتدى الشورى الداخلي"، والثاني يتناول كيفية "الانتخابات العمومية". غير أن هذين الفصلين لم يريا النور.

تتوزع مواد الفصل الأول المنشور بين المواضيع التالية :

- الدولة والدين والسلطان (من المادة 1 حتى المادة 11).
- أبناء الدولة الشريفة : حقوقهم وواجباتهم العامة (من المادة 12 حتى المادة 50).
- مجلس الشرفاء (من المادة 51 حتى المادة 56).
- كبار الموظفين (من المادة 57 إلى المادة 66).
- مالية الدولة (من المادة 67 إلى المادة 70).
- رواتب الموظفين (من المادة 71 إلى المادة 74).
- الحمايات الأجنبية (من المادة 75 إلى المادة 82).
- المدارس الوطنية (من المادة 83 إلى المادة 90).
- ملحق وهو عبارة عن تحديد لصلاحيات منتدى الشورى (من المادة 91 إلى المادة 93).

تضع مقتضيات هذا المشروع لبنات نظام ملكي دستوري متطور جاءت في وقت حفلت فيه الساحة السياسية المغربية بمبادرات إصلاحية تصب في نفس الاتجاه تقريبا (مذكرة عبد الله بن سعيد - مذكرة علي زنيبر - بيعة أهل فاس المشروطة لمولاي عبد الحفيظ - مذكرة عبد الكريم مراد...) وفي زمن اشرأبت فيه الأعناق إلى التجربة العثمانية في مجال الحركة الدستورية. لكن "دستور لسان المغرب" يتميز عن غيره من التجارب التي عرفتها الساحة المغربية بكونه قد نشر على الملإ على أعمدة جريدة ليطلع عليها السلطان والرعية على السواء. وهذه الجرأة هي التي تفسر أن واضعيه الحقيقيين فضلوا عدم الكشف عن أسمائهم ريثما يتبين مآل مشروعهم. وقد أشار بعض الكتاب، خاصة منهم علال الفاسي، إلى أسماء بعض المغاربة المنتمين إلى "جريدة الاتحاد والترقي" في فاس والذين قد يكونون ساهموا في وضع مواد هذا الدستور. وهم : المهدي بن الطالب الفاسي، وسعيد الفاسي، وعبد الحفيظ الفاسي، وأحمد بن المواز، وأحمد الزبدي (*الحركات الاستقلالية*، ص. 97).

غير أن من يمعن النظر في الأسلوب اللغوي وفي المفردات والمصطلحات المستعملة في تحرير مواد هذا المشروع تساوره شكوك في نسبته إلى أقلام مغربية. لذا دأب الباحثون على نسبته إلى "جماعة لسان المغرب" التي ربما ضمت في صفوفها، بالإضافة إلى نخبة متنورة من المغاربة، بعض المشارقة نزلاء المغرب وفي مقدمتهم الأخوان نمور. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذين الصحافيين كانا في نزاع مع المخزن في شأن نفقات الجريدة التي يحررانها، وكان من مصلحتهما العمل على إحراج السلطان المولى عبد الحفيظ بنشر مشروع دستور يقيد سلطاته الأوطوقراطية ويفرض عليه الاحتكام إلى "منتدى الشورى" في سياسته. وتأتي هذه المبادرة بعد سلسلة من "الرسائل المفتوحة" وجهها الشاميان إلى السلطان على أعمدة جريدتهما قصد فضح عورات المخزن.

تعوزنا الوثائق لتبيان رد فعل المخزن والسلطان على مشروع دستور جماعة "لسان المغرب". ولكن، على العكس من ذلك، نعلم أن المخزن الحفيظي ضاق ذرعا بانتقادات الجريدة، فبادر إلى إصدار أوامره إلى النائب محمد الجباص بتوقيفها وطرد صاحبيها من المغرب. وفعلا، توقفت الجريدة بعد صدور عددها الرابع والثمانين المؤرخ في 2 ماي 1909، ورُحل الشاميان عن البلاد ليستقر بهما المقام في البرازيل.

إذا كان الستار قد أسدل على مشروع دستور جماعة لسان المغرب بتوقف الجريدة الطنجوية في ماي 1909 ثم بدخول البلاد تحت الهيمنة الاستعمارية في مارس 1912، فإن الحركة الوطنية قد حاولت أن تعيد إليه الاعتبار ابتداء من الثلاثينيات وتتبناه كجزء من تراثها. وكان الهدف من ذلك هو إبراز كون المغاربة قد اعتنقوا الفكر الدستوري قبل أن يجهض الاستعمار طموحاتهم. ومن الوطنيين الذين دافعوا عن وجهة النظر هذه كل من محمد المكي الناصري وعلال الفاسي.

أبو الفداء [المكي الناصري]، *"الدستور المغربي، آخر مشروع قومي قبل الاستقلال" في المغرب الجديد*، تطوان، العدد 6، 1935، ص. 1 - 8 ؛ علال الفاسي، *الحركات الاستقلالية*، ط. 4، الرباط، 1980، ص. 97 - 101 ؛ علال الفاسي، *الديمقراطية وكفاح الشعب المغربي من أجلها*، نشر مؤسسة علال الفاسي، الرباط، 1990، ص. 29 - 38 ؛ محمد بن الحسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد : التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية*، ج. 1 : طور المخاض والنشوء، بيروت، 1982، ص. 75 - 116 ؛ محمد المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ط. 2، الرباط، 1985 ؛ ج. 2، ص. 283 - 292 ؛ *صور من تطلع المغرب للحياة الدستورية، في المناهل*، العدد 41، الرباط، فبراير 1993، 115 - 139 ؛ ع. الكريم غلاب، *التطور الدستوري والنيابي بالمغرب : 1908 ـــ 1992*، 1993، البيضاء، ص. 120 - 126.

J. Cagne, *Nation et nationalisme au Maroc. Aux racines de la nation marocaine*, Rabat, 1988.

جامع بيضا

الدسة، أحمد، مطرب طنجي، نسب إليه ابتكار أسلوب في العزف على العود والكمان يعرف بالدسة، وهو إعادة الجملة اللحنية في الجوابات على الأوكتاف الأعلى مع الميل إلى ضغط النغمات وتعمير الفراغات المديدة.

A. Chottin, *Corpus de musique marocaine*, Fasc. 1, *Nouba de Ochchâk*, p. 17, Paris, 1931 - 1932, 2 vol.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الدشر ← الدوّار

الدشيرة وتسمى منذ سنة 1992، "الدشيرة الجهادية" مدينة تحتضن عند منتصف سنة 2000 حوالي 97395 نسمة وتتوسط الكوكبة الحضرية لأگادير الكبير حيث تشكل أحد أهم مراكزه التجارية والصناعية.

كانت في الأصل عبارة عن مجموعة من الدواوير الصغرى المتقاربة (الدشيرة، تگمي أو فلا، إرحالن، تبارين، إگي إفرضن)، المتناثرة على طول الضفة اليمنى لواد سوس قبالة مدينة إنزكان في اتجاه الشمال، والتي كانت تمتد على طول نتوء ضخري، مستفيدة في ذلك من المميزات التي يوفرها هذا الموضع حيث الأراضي الواطئة التي تكونها المصطبات النهرية العليا لسوس وفرة المياه التي تأتي بها ساقية الجهاد.

شهدت الدشيرة بعد زلزال أگادير إقبالا سكانيا كبيراً على غرار إنزكان، ارتبط في البداية باستقرار جزء من الأسر المنكوبة والذين أقيم لهم مخيم في عين المكان، وبقدوم أعداد هامة من المغاربة فيما بعد من مختلف جهات البلاد وخاصة منهم الجنود نظراً لقربها من القاعدة العسكرية، والذين غالبا ما يختارون الإقامة بها نهائيا بعد إحالتهم على التقاعد، إضافة للتجار الصغار والعاملين بسوق الجملة وممتهني الحرف المختلفة الغير المهيكلة والذين يفضلون الاستقرار بها نظراً لموقعها المركزي بأگادير الكبير ولما توفره من فرص الحصول على مسكن بثمن زهيد، ونفس الشيء بالنسبة لأسر المتقاعدين من عناصر الجالية المغربية العاملة بالخارج والمنحدرين من منطقة سوس.



وقد أسفر هذا الإقبال عن توسع مجالي هام، اقترن في الستينيات بظهور مجموعة من الدواوير (المرس، أيت داود، لمعلم إبراهيم، لجديد، إگرو معي ...) على جوانب النوى الأصلية، وانعكس فيما بعد منذ منتصف السبعينيات في نشوء حي البرگولا وانطلاقة البناء بالحي الصناعي تسيلا وتجهيز حي الجهادية منذ نهاية الثمانينيات.

تزايد عدد سكان الدشيرة بشكل سريع جداً منذ الثلاثينيات حيث مر عددهم من 1818 سنة 1936 إلى قرابة 100000 نسمة اليوم، كما يبرز ذلك الجدول أسفله.

تطور عدد السكان الدشيرة ووزنها الديمغرافي بأگادير الكبير ما بين 1936 و2000.

السكان	1936	1960	1971	1982
العدد	1818	6589	18960	41009
٪ التزايد السنوي	-	5.51	10.09	7.27
الوزن بأگادير الكبير	4.08	5.87	8.32	9.21

السكان	1994	2000
العدد	72409	97365
٪ التزايد السنوي	4.85	5.06
الوزن بأگادير الكبير	9.19	9.79

ويقدر معدل نسبة التزايد السنوي ب 6.56٪ ما بين 1936 و2000 وذلك في مقابل 3.81٪ المعدل الحضري المسجل على الصعيد الوطني بالنسبة لنفس الفترة. وقد تميز إيقاع التزايد بنوع من التفاوت من فترة إلى أخرى. فإذا كانت وتيرته قد سجلت تصاعدا قويا ما بين 1960 و1971، فإنها أخذت في التراجع خلال العقود التالية، وإن كانت قيمتها قد بقيت مع ذلك أعلى من المعدل الحضري الوطني. ولم يؤثر ذلك على وزنها الديمغرافي بأگادير الكبير الذي ما فتئ يتعزز من عشرية لأخرى، إذ مر من 40.8٪ سنة 1936إلى 832٪ سنة 1982 ثم إلى حوالي 10٪ اليوم عند منتصف سنة 2000.

وتعزى زيادة السكان أساساً إلى التوافد الذي ساهم بقسط وافر في تكوين السكان الحضريين بالدشيرة. فقد بلغ عدد الوافدين على المدينة إلى حدود سنة 1994 ما يعادل 44081 نسمة أي ما يمثل 60.82٪ من مجموع السكان. وهذا يعني أن نسبة المولودين بعين المكان لم تكن تتجاوز 39.19٪. وكان عدد الوافدين لا يتجاوز 15126 نسمة سنة 1982، 36.88٪. وتعتبر بذلك ثالث مدينة بأگادير الكبير من حيث حجم الوافدين بعد مدينتي أگادير وأيت ملول بعدما كانت تحتل المرتبة الثانية سنة 1982.

وينحدر معظم المهاجرين الذين وفدوا على الدشيرة منذ نشأتها إلى حدود سنة 1994 من خارج سوس، وذلك بنسبة 57.43٪ في مقابل 42.57٪ بالنسبة للمنحدرين من داخل سوس. وتجدر الإشارة إلى أن غالبية الوافدين من المولودين

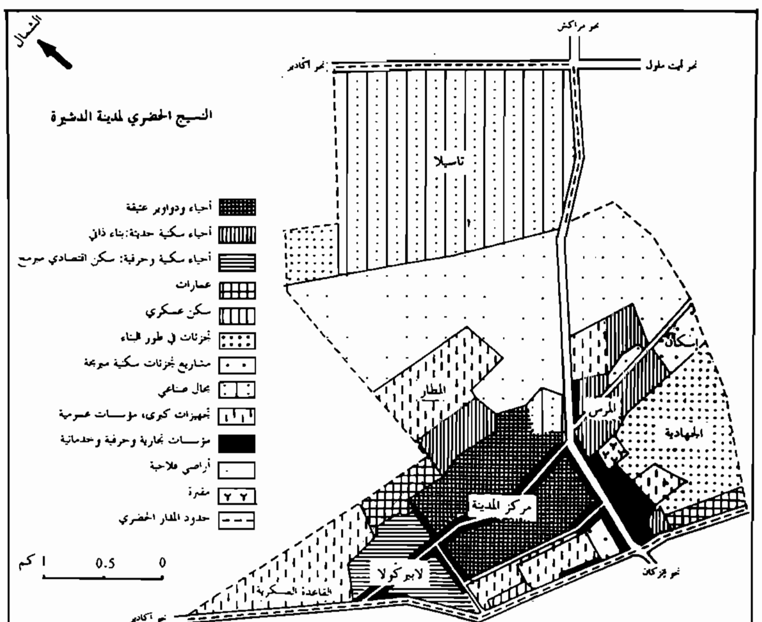
بالوسط الحضري، وذلك بنسبة 76.12٪ من مجموع المهاجرين.

أعداد الوافدين بمدينة الدشيرة حسب مكان الولادة

الوافدون	الحضريون	القرويون	المجموع
من داخل سوس	5400	13363	18763
من خارج سوس	17212	8106	25318
المجموع	22612	27949	44081

وقد أثر هذا التوافد بشكل كبير على البنية الديمغرافية للمدينة والأوضاع المهنية للسكان وظروف سكناهم وكذا على تكوين النسيج الحضري للمدينة، وخاصة أنها إلى حدود 1992 كانت من الناحية الإدارية عبارة عن مركز تابع للجماعة القروية لأيت ملول، ولم تحظ بأية تهيئة مجالية تؤهلها لاستقبال الحشود البشرية التي وفدت عليها وخاصة ما بين 1960 و1982.

هكذا نلاحظ من خلال نتائج إحصاء 1994، وجود عدة اختلالات في البنية الديمغرافية للمدينة، تظهر أولاً في ارتفاع نسبة الذكورة بالمدينة حيث يستأثر عنصر الذكور بحصة الأسد في المجتمع الدشيري، وذلك بنسبة 52.09٪ في مقابل 47.91٪ بالنسبة للإناث. وتتجلى ثانيا في نسبة العزوبة التي تبلغ 41٪ من المجموع، 26.05 أزيد من ربعهم ذكور. وتتمثل ثالثا في نسبة التمدرس التي لم تتعد بعد 87.21٪ من مجموع الأطفال الذين هم في سن الدراسة (94.13٪ لدى الذكور و80.46٪ فقط لدي الإناث، ونفس الشيء أيضاً بالنسبة للأمية التي ما زالت نسبتها مرتفعة



حيث تبلغ 39.06٪ من مجموع السكان الذين يزيد عمرهم عن عشر سنوات، وخاصة لدى الإناث حيث تقدر ب 52٪. وتتجلى مظاهر الاختلال بالمدينة في الظروف السكنية للأسر حيث نجد أن 48٪ منهم يقطنون بمنازل من غرفة إلى غرفتين فقط، إضافة إلى ارتفاع نسبة الكراء التي تهم قرابة نسف الأسر (49٪)، والنقص الملاحظ على مستوى التجهيز المنزلي حيث إن نسبة المنازل المرتبطة بشبكة الماء الشروب والكهرباء لا تتعدى على التوالي 71٪ و86.12٪ من مجموع المنازل بالمدينة.

ولم تَخْلُ كيفية تكوين سكان الدشيرة من تأثير أيضاً على بنية النشاط بالمدينة. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن نسبة النشاط بها تقدر سنة 1994 ب 10. 34٪ في مقابل 24.6٪ سنة 1982 و22.6٪ سنة 1971. والمثير هنا أن هذه النسبة ترتفع لدى الذكور إلى 55.26٪ من مجموعهم، بينما لا تتجاوز لدى الإناث 11.15٪. ونفس الشيء بالنسبة للبطالة التي وإن كانت دون المعدل الحضري الوطني لسنة 1994 (20.3٪) فإنها تبقى مع ذلك مرتفعة تقدر ب 17٪.

لقد مر عدد النشطين المشتغلين بالدشيرة من 3632 فرد سنة 1971 إلى 9932 سنة 1982 ثم إلى 20519 فرد سنة 1994. وتتميز البنية المهنية لهؤلاء النشطين بتضخم أنشطة القطاع الثالث الذي سجل تقدما كبيرا منذ بداية السبعينيات، إذ مر من 44.77٪ سنة 1971 إلى 62.08٪ سنة 1994. وهذا في وقت نمت فيه أيضاً قطاعات الصيد البحري والبناء والأشغال العمومية. كما ينفرد بضعف الفلاحة والقطاع الصناعي والحرفي وتراجعت فيه بشكل ملموس من حيث نسبة المساهمة في التشغيل الفلاحة والثناعة والحرف.

توزيع السكان النشيطين حسب فروع النشاط الاقتصادي (٪)

السنة	1971	1982	1994
القطاع الأول	9،17	5،34	7،41
القطاع الثاني	42،51	34،69	29،02
القطاع الثالث	48،32	59،97	63،57
المجموع	100	100	100

وتعتبر الصناعة والتجارة أهم الوظائف الحضرية بالمدينة. فمن حيث الصناعة يحتضن المجال الحضري إحدى أقدم الوحدات الصناعية بأكادير الكبير وتتمثل في معمل فنتازيا الموجود بالمركز القديم والمتخصص في إنتاج الصناديق الخشبية الموجهة لقطاع التلفيف والتصبير والذي يشغل حوالي 350 عاملا. يضاف إلى ذلك الوحدات الصناعية الأخرى المستحدثة بالحي الصناعي تاسيلا الذي

تم إلحاقه إدارياً بالدشيرة سنة 1992، والتي بلغ عددها اليوم 28 وتشغل 2508 من العمال : 5 وحدات منها متخصصة في الصناعة الغذائية و7 في الصناعة الميكانيكية والكهربائية و10 في مواد البناء، 2 منها في صناعة الرخام، والباقي يتوزع ما بين الصناعة الكيماوية والشبه كيماوية والنسيج والجلد والخشب ...

أما بالنسبة للتجارة، فتمتاز بكونها تشغل 23.52٪ من النشطين 1994 وبوجود حوالي 1250 محلا تجاريا متخصصا في مختلف الفروع التجارية وخاصة منها المواد الغذائية والألبسة والتجهيز المنزلي. إلا أن أهم ما يميز الوظيفة التجارية للمدينة هو احتضانها ل 110 مؤسسة متخصصة في التجهيز الحرفي الموجه أساسا لقطاعي التجارة والبناء والتي يمتد نفوذها على نطاق واسع من منطقة سوس.

وبالنسبة لمورفلوجية المدينة فتتميز بوجود نسيج حضري يتكون أساسا من وجود نواتين منعزلتين يفصل بينهما من جهة أراضي فارغة ومن جهة ثانية المطار العسكري، وهما المدينة الأصلية والمنطقة الصناعية تاسيلا. وتقع هذه الأخيرة شمال المدينة، وتمتد على مساحة 261 هكتار. وقد أعدت من طرف الدولة منذ أواخر الثمانينيات. استقبلت إلى حد اليوم حوالي 44 وحدة صناعية وخدماتية من مجموع 326 مؤسسة المقررة في هذا المشروع، بمعنى أن نسبة تثمين الأراضي لم تتجاوز بعد13.5٪ بهذه التجزئة الصناعية.

أما النواة الأصلية فتوجد في الجنوب وتتكون من المركز القديم الذي هو عبارة عن مجموعة من الدواوير المتجاورة والتي تلاحمت فيما بينها مؤخراً، بالإضافة إلى الأحياء الحديثة لابيركولا غربا بجوار الثكنة العسكرية والمرس والجهادية شرقا على الضفة اليمنى لوادي سوس، واللذين لازالا في طور البناء.

وتجدر الإشارة إلى أن معظم أحياء مركز المدينة ولابيزكولا والمرس كذلك تتميز بوجود شوارع وأزقة مكتظة بالمحلات المهنية حيث تتداخل على مستوى الزقاق الواحد الأنشطة التجارية الراقية والحرفية والخدماتية الملوثة الشيء الذي ينتج مشاهد حضرية جد متدهورة.

التصميم التوجيهي للمجموعة الحضرية لأكادير الكبير : بحوث شخصية.

A. Hnaka, *Taoudant et Ouled Teima, bipôle urbain du Souss*, Agadir, 1995 ; B. Kidou, *Contribution à l'étude démogréphique de la population urbaine du Grand-Agadir*, Thèse de doctorat, Université des Sciences et Technologies de Lille, 1994.

عثمان هناكا

الدشيّش، سيدي علي بن محمد الزرهوني، صالح له ضريح شهير بزقاق الرمان بفاس، لا تعرف له ترجمة عدا ما ذكره محمد بن الطيب القادري في *نشر المثاني*، نقلا عن علي البطوئي، حيث وصف بالتصوف والزهد والورع، وقال غيره.

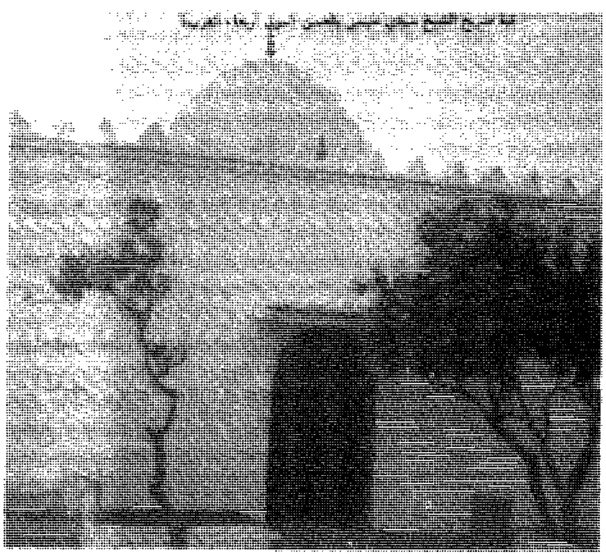
أخذ عن سيدي رضوان الجنوي وانتفع به، كما أخذ عن غيره. وأخذ عنه سيدي أحمد بن علي بن يوسف الفاسي وغيره. وتوفي بفاس عام 1021/1612.

م. القادري، *نشر المثاني*، *موسوعة أعلام المغرب*،3 : 196 ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 455.

رقية بلمقدم

الدعادع أو الدعدعة. (بسهول الغرب) اسم ارتبط في النصوص العربية بمكان دفن الولي الصالح الحسن بن عيسى المصباحي وابنه عيسى بن الحسن، وهو في وقتنا هذا اسم يدل على مقبرة سيدي عيسى والأرض المنخفضة شمالها وتقعان شمال مدينة سوق أربعاء الغرب أو سوق أربعاء سيدي عيسى نسبة إلى قبة سيدي عيسى بن الحسن المصباحي. وتقع المدينة على الطريق الرئيسية الرابطة بين الرباط وطنجة : 117 كلم و164 كلم.

اشتق اسم الدعادع من صفه سطح الأرض أي السطح غير القار الذي تقع به زعزعة، وحول حرف الزاي في الكلمة إلى حرف الدال فأصبحت دعدعة، ودعادع. ويُوافق هذا التفسير طبيعة الأرض المنخفضة التي يشرف عليها من جهة الجنوب موقع قبة سيدي عيسى. وهي عبارة عن أرض فارغة تغطيها تربة "الترس" السوداء. وتذكر ساكنة الدعادع أن هذا السطح كان مرجة يغطيها الماء شتاءً ولا يمكن المرور فوقه صيفاً فهو سطح غير ثابت مادام سمك التربة المكتنزة للماء كبيراً جداً.



أما قبة سيدي عيسى المرتبطة بهذا الاسم فتقع بالجزء الشمالي من المقبرة المحاطة بسور، فوق ارتفاع خفيف عن أرض الدعادع المنخفضة. وهي قبة ثُمانية الأضلاع ترتكز على قاعة مربعة الشكل تحيط بها القبور وتحتض وسطها قبر سيدي عيسى وقبر أبيه الحسن وأخيه، مجهول الاسم،

حسب الرواية الشفوية، وهناك قبور أخرى لبعض أعلام منطقة الغرب ومدينة سوق أربعاء الغرب.

م. ابن عسكر الشفشاوني، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، الرباط، 1977، ص.85 ؛ بن الطيب القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط،1977، ج. I : 151 وIII، 194: ؛ محمد المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، تح. ع. الحي العمري وعبد الكريم مراد، فاس1989، ص. 126 ــ 127 ؛ عبد اللطيف الشاذلي، *التصوف والمجتمع*، نماذج من القرن العاشر الهجري، سلا، 1989، ص. 191.

E. Michaux-Bellaire et G. Salmon, *El-Qçar el-Kebir, une ville de province du Maroc septentrional*, *A.M.*, Vol. I, n° 2, 1904.

أحمد أشعبان

الدعباجي مَحمد، مُغنٍّ ولد حوالي سنة 1910 بدوار الدعابجة بمنطقة الحصبة. (بلاد عبدة) تتلمذ على يد الشيخ إدريس بندحان الذي لم يحترف الغناء. يعد من فحول وشيوخ الحصبة. فقد كان يدعى أبا العيطة القديمة الحصباوية خلال مطلع القرن العشرين. ولا يمكن حاليا الحديث عن أي شخص له دراية بعيوط الحصبة وموازينها دون ذكر الشيخ الدعباجي. أقام حفلات وسهرات بعيوط الحصبة في حوز أسفي وناحية مراكش والشاوية ودكالة.

لقد انقطع نشاطه الفني منذ حوالي عشر سنوات بسبب مرضه. ويرجع له الفضل في تسجيل عيوط الحصبة على الأشرطة باستثناء عيطتي ـ كاسي فريد ه ـ و ـ والبني والبني.

للدعباجي أسلوب خاص في العزف والأداء يعتمد الطرق القديمة التي تعزف على وترين دون هرمونيا. وترتكز على الأصوات الخشنة والعالية. ومازالت الخزانات الخاصة تزخر بهذا اللون من العيوط.

رافق هذا الفنانَ طاقمٌ قديم جدا مثل أصحاب التعارج كعبد السلام الذي توفي حوالي 1972 وكالشهب الذي توفي سنة 1978. وبوفاة هؤلاء ورحيل جيله بدأ نشاطه يقل شيئا فشيئا. أما عن الشيخات فشيخات الدعباجي من أحسن وأمهر الشيخات بحيث يتقن الحصبة والمرسى والزعري وأغلبهن الآن لهن فرق خاصة مثل عيدة. وشامة اسكندرية، الخ.

وبوفاة هذا الشيخ حوالي سنة1415 / 1995 جُمّدت مجموعة من عيوط الحصبة مثل عيطة سيدي حسان وغيرها.

ع. رگوگ، *الحدث التاريخي من خلال النصوص الشفاهية المقاومة وبعض أوجه التاريخ الاجتماعي1890 ــ1956*، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة،1998 ؛ *الرواية الشفوية من منطقة عبدة*.

علال رگوگ

دَعْنُونْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازال هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Danon ؛ وهي نفس الأسرة التي ظل بعض أفرادها بالأندلس بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Danun - Danon.

وهناك أسرة أخرى شريفة تحمل نفس الاسم.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999 ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 676.

محمد ابن عزوز حكيم

الدغالي، سعيد بن فرج الأندلسي، قائد أصله من قرية نطيش (بالجبل المطل على غرناطة) حسب الفشتالي، أو من أورخيفا Orgiva حسب مارمول كابخال Marmol Carvajal أو من مطريل Motril حسب رسالة الجاسوس الإسباني لويس ذي هريرا Luis de Herrera الذي كان يوجد بتطوان في دجنبر 1573.

غادر سعيد الدغالي بلدته صحبة ابن أخيه محمد واستقر بتطوان حيث تعاطى الجهاد البحري إلى أن اتصل بالسلطان عبد الله الغالب بالله الذي أوكل إليه مهمة تنظيم فرقة من الجيش مكونة من الأندلسيين سنة 970/ 1562.

وهو الذي قضى صحبة القائد ابن خليفة على حكم آل المنظري بتطوان سنة975/ 1567 حيث أصبحت المدينة تحت حكم السلطان عبد الله الغالب السعدي.

ويستفاد مما جاء به مارمول أن الدغالي هو الذي سن سنة الجهاد البحري بمدينة سلا حيث كان ينطلق منها لمهاجمة الجزر الخالدات ابتداء من سنة 1571 حيث تمكن من احتلال جزيرة لانثروطي Lanzarote من يوم 21 سبتمبر إلى يوم 7 أكتوبر من السنة المذكورة وعاد إلى سلا يحمل في سفنه 115 من الأسرى النصارى.

وفي يوم 28 نوفمبر 1573 وانطلاقا من تطوان قام بهجوم على مدينة كويفاس ذي المنصورة Cuevas de Almanazora بمقاطعة المريّة حيث تمكن من أخذ 200 أسير نصراني.

وفي يوم 11 ذي الحجة 983/ 17 مارس 1576 جرت معركة الركن بالقرب من فاس، كان الدغالي بجانب السلطان المتوكل لكنه فرّ إلى معسكر عبد الملك فانتصر هذا الأخير على ابن أخيه المتوكل.

وبجانب عبد الملك شارك الدغالي في معركة خندق الريحان التي جرت بالقرب من وادي الشراط يوم 12 ربيع الثاني 984/9 يوليوز 1576، كما شارك مع أحمد المنصور في جميع المعارك التي جرت بناحية سوس وانهزم فيها المتوكل سنتي 984 و985/ 1576 ـ 1577.

وعندما غادر عبد الملك مدينة مراكش متوجها إلى

الشمال بعث القائد الدغالي إلى رأس غير ليحول دون تمكن الأسطول البرتغالي من احتلاله.

وهناك من يشك فيما جاءت به بعض المصادر البرتغالية التي تقول إن الدغالي كان يقود جيش الخيالة الأندلسيين في معركة وادي المخازن ؛ ومن المؤكد أنه قتل بأمر من السلطان أحمد المنصور الذهبي في شهر رجب عام 986/ شتنبر - أكتوبر 1578.

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، الرباط، 1972، ص. 33 و41 و43 ؛ م. الأفراني، *نزهة الحادي*، ط 2، الرباط، د.ت، ص. 62.

Archivo General de Simancas, España ; Ojeda, L. de, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian, S.I.H.M., France* I, pp. 575 - 627 ; Nieto, Fr. Luis de, *Relación de las guerras de Berberia y del Succeso y muerte del Rey Don Sebastian, Codoin*, t. 100, p. 411 - 458 ; J. Franchi Consetaggio, *L'union du Royaume de Portugak à la Couronne de Castille, S.I.H.M., France*, pp. 506 - 574 ; Fr. Bernardo da Cruz, *Chronica del Rey Don Sebastian*, Lisboa 1837 - y 1903, vol. 30, 31, 32 et 34 ; Rumen de Armas, *España en el Africa Atlantica*. Madrid, 1957, t. I ; B. Vincent, *Un ejemplo de corso berberisco - morisco : el ataque de Cuevas de Almazora (1573). En Andalucia en la Edad Moderna*. 1985.

الدغالي، محمد قائد أصله من الأندلس هاجر إلى تطوان صحبة عمه القائد سعيد بن فرج الدغالي. سابق الترجمة وتقول بعض المصادر إنه كان مع عمه بجانب المتوكل في معركة الركن التي جرت بالقرب من فاس يوم 17 مارس 1576. وفر إلى معسكر عبد الملك، وشارك بجانب عمه في جميع المعارك التي جرت ضد المتوكل بناحية سوس. ويبدو أنه قتل في نفس اليوم الذي اغتيل فيه عمه في شهر رجب 986/ سبتمبر - أكتوبر 1578.

ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*، الرباط، 1972، ص.44 و47 ؛ الزياني، الترجمان المعرب، الترجمة الفرنسية، ص. 26.

Nieto, Fr. Luis de, *Relación de las guerras de Berberia y del suceso y muert del Rey Don Sebastian. Codoin*, t. 100, p. 411 - 458 ; Fr. Bernardo da Cruz, *Chronica de El Rei Don Sebastian*, Lisboa 1837 - y 1903.

الدّغّايْ، أسرة تطوانية أصلها من ناحية الهبط وقد انقرضت بتطوان وإلى غاية سنة 1257 / 1841 كانت توجد بحومة الطرانكات دار الدغاي.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1617.

محمد ابن عزوز حكيم

الدّغّمّة، آلة نقرية صحراوية ذات شكل مستطيل، يبلغ طولها حوالي 50 سم. يستخدمها الزنوج المقيمون ضمن قبائل الرقيبات في الأقاليم الجنوبية المغربية. وتعتمد صناعة هذه الآلة على نبات القرع، وطريقة ذلك أن تؤخذ القرعة من فصيلة اليقطين، فتجفف ويفرغ ما في جوفها، ثم تحدث فتحة بكل من طرفيها.

وطريقة استخدام هذه الآلة أن يوجه الناقر بيده اليسرى طرفها الأسفل المنتفخ، فيصدمه بشحمة فخذة أو ربلة ساقه، بينما تقوم اليد اليمنى بضرب الثقب الأعلى من القرعة بواسطة راحة الكف، وهي تناوب بين إغلاقه وفتحه. ونتيجة ذلك تنبعث من الآلة أصوات صماء تمتزج بها جلجلة الخواتم والأساور التي تحملها يد الناقر.

A. Leriche, Bul. de l'Institut Français, Juillet 1950, p. 747, B.G., Rabat, J 13.

عبد العزيز بن عبد الجليل

دَغْمُوس، أنواع نباتية عصارية لحمية تشبه الصباريات وتكاد تنعدم أوراقها الصغيرة جدا. وتنتمي إلى جنسين على الأقل : جنس إوْفُورْبْـيَـا Euphorbia وبالضبط أنواعه الصبارية، وهي من فصيلة الفربيونيات Euphorbiaceae. وجنس كَرالُومَا Caralluma الذي ينتمي إلى فصيلة الصقلابيات Asclepiadaceae.

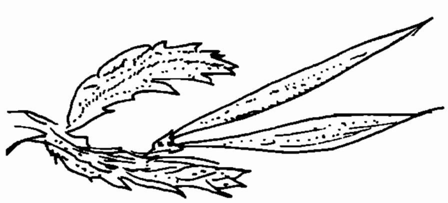
1 - أنواع جنس الفربيون :

يصادف بالمغرب ثلاثة أنواع قبسية من جنس الفربيون، وهي كلها صبارية، ولهذا سميت تيكّيوْت بالأمازيغية، وينسب لها كذلك اسم الزقّوم المذكَور في القرآن ! وجود هذه الأنواع يدل على ظروف مناخية شبه مدارية لكنها توجد حاليا بالمنطقة المتوسطية المغربية.

والأنواع الثلاثة صبارية الشكل، يتراوح علوها ما بين 40 أو 60 سم، مشوكة بكثافة، وتحتوي على عصارة لبنية مؤلمة للإنسان عند لمسها. أوراقها صغيرة جدا، ونفضية. أزهارها صفراء عديمة العنق.

والأنواع الثلاث هي :

- إوْفُورْبّيا ريزينيفيرا Euphorbia resinifera، المصادفة تشكيلاتها في السفوح المنخفضة وقدم الجبل لمنطقة الأطلس الكبير المتواجدة بين بني ملال ودمنات، وذلك في



الدغموس

البيومناخ شبه الجاف والطابقين النباتيين لتحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ.

- إوْفُورْبّيا بُوميرْيَانَا Euphorbia beaumeriana. التي تكون تشكيلا تصادف منتشرة على السفوح وقدم الجبل وفي السهول الموجودة في أقصى الجهة الغربية من الأطلس الكبير، شمال مدينة أگادير. تعيش في البيومناخين شبه الجاف واستثنائيا الجاف وفي الطابق النباتي تحت المتوسطي.

- إوْفُورْبّياإيكِينُوس Euphorbia echnus. التي تغطي مساحات شاسعة ابتداء من مدينة تيزنيت إلى منطقة الساقية الحمراء مرورا بالقسط الكبير من سفوح الجهة الغربية من الأطلس الصغير. من حيث الظروف البيئية يعيش هذا النوع في البيومناخات شبه الجافة والجافة والصحراوية.

الاستعمالات الشعبية لهذه الأنواع الثلاثة كثيرة، إذ تستخدم ضد السموم والاكزيما، والبرد وأمراض الكليتين، وفي حالة أمواض الجمال. وكذلك لإنتاج العسل ذي المذاق الحار والمستعمل في التطبيب التقليدي.

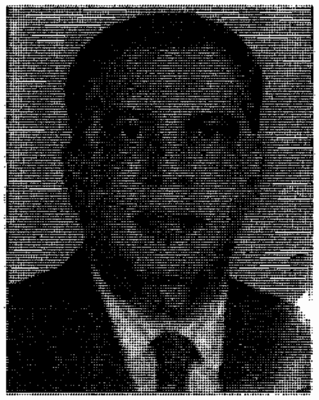
كما أجريت محاولات في الماضي لاستخدام العصارة اللبنية في صناعة المطاط.

أنواع جنس كَارالُومَا : أنواع هذا الجنس بالمغرب أربعة، منها القبسية الخاصة بالمغرب والبعض الآخر موجود في بلدان أخرى من المنطقة المتوسطية. يتراوح علو هذه الأنواع ما بين10 و20 سم، منعدمة الأشواك، ولها جلد أملس ناعم. وهي لا تكون تشكيلات كأنواع الجنس الأول بل تصادف بصفة منفردة في غابات العرعر البربري أو العرعر الأحمر أو أرگان وغيرها، خاصة في بيومناخات شبه جافة وجافة. بعض هذه الأنواع تؤكل من طرف الإنسان.

أبحاث شخصية.

عبد المالك بنعبيد

الدغمي، عبد الرزاق السلوي. أصله من قبيلة دغمة العربية المستقرة بضواحي العدوتين، ديبلوماسي عصامي من مواليد مدينة سلا في 22 صفر عام 1355 / 15 ماي /1936 حيث نشأ ودرس في المدارس الحديثة

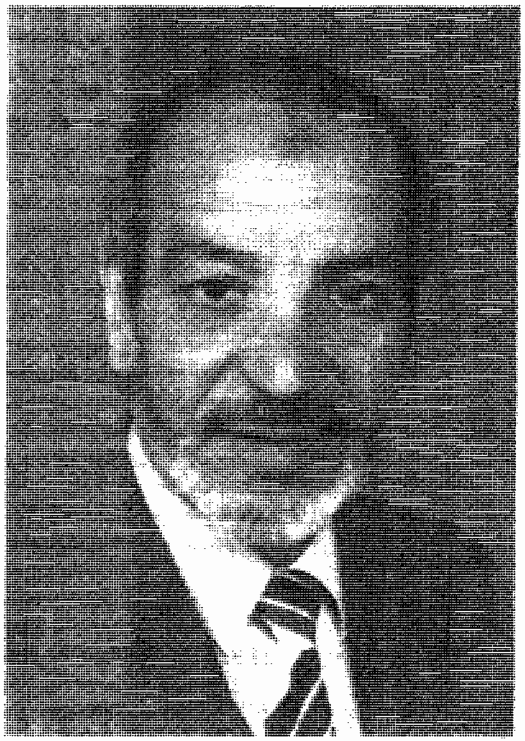


بالعدوتين، والتحق مبكراً بوزارة الخارجية سنة / 1957 وتقلد عدة مهام داخل الوزارة وفي الخارج، ومات وهو سفير للمغرب في الجزائر. وقد أثنى عليه الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقه في برقية التعزية التي بعث بها إلى جلالة الملك محمد السادس. وقال : "إن فقدان سفير من طراز المرحوم الدغمي خسارة للمغرب وللجزائر بل ولكل المغرب العربي... كان نعم السفير متقانيا في أداء مهمته النبيلة أحسن أداء، ولم نره إلا وهو يمثل ملكه وبلاده أحسن تمثيل، ويدلي بدلوه مخلصاً في سبيل إعادة بناء العلاقات الأخوية المثمرة التي يصبو إليها البلدان الشقيقان المغرب والجزائر". توفي بالرباط بعد مرض عضال، يوم الجمعة 24 جمادى الأولى عام 1421 / 25 غشت 2000.

رواية شفوية، جريدة العلم، في28 ـ 8 ـ2000 ؛ جريد *سلا الغد* العدد

A. Stouky, *Un pro de la diplomatie, Le Matin du Sahara*, 28 - 8 - 2000.

الدغمي، العربي بن المفضل. ولد بالرباط سنة 1350 / 1931 حفظ القرآن الكريم في صغره ودرس في بعض المدارس الحرة. ثم انخرط في سلك التعليم بالمدرسة المحمدية الحرة بالرباط، وفي سنة 1948 بدأت حياته الفنية بمزاولة هوايته المسرحية في أوقات معينة مع فرقة المسرح



المغربي برآسة المرحوم عبد الكريم الفلوس. والتحق سنة 1952 بمعهد الأبحاث المسرحية بالرباط التابع للشبيبة والرياضة، وفي السنة التالية دخل فرقة المسرح الوطني المغربي، وشارك في أربع مسرحيات مثّل دور البطل في اثنتين منها : مسرحية سكاپّان (جحا)، ومسرحية "عمي الزلط". ثم التحق سنة 1954 بفرقة الإذاعة المغربية للتمثيل بطلب من عبد الله شقرون. وفي السنة الموالية انتقل مع بعض الممثلين بالإذاعة إلى التدريب بمعهد الميم (الإيماء) بباريز. وبعد رجوعه إلى المغرب شارك في شريط سينمائي بالسكوب والألوان تحت عنوان *الطبيب بالعافية*، مقتبس عن *الطبيب رغم أنفه* لموليير.

توالت أعمال العربي الدغمي الفنية بفرقة الشبيبة والرياضة وفرقة الإذاعة ثم التلفزة المغربية، والسينما العالمية بصفة عامة. وآخر عمل مسرحي للمترجم مشاركته مع عدد من الممثلين المغاربة والأجانب سنة 1990 في شريط فرنسي جيل بيهات.

توفي بداره في حي السلام بمدينة سلا صباح يوم الجمعة 22 جمادى الأولى عام1415 / 28 أكتوبر 1994 على إثر مرض لم ينفع فيه علاج.

جماعة من الكتاب والفنانين، *كتاب العربي الدغمي إبداع مغربي أصيل*، الرباط، 1996.

محمد حجي

الدغمي، موسى بن محمد الراحل السلوي، فقيه مشارك نوازلي. كان قاضيا بتالغت وبني مسكين ثم أصبح خليفة للقضاة بسلا.

تتلمذ على يد شيوخ كبار أبرزهم أحمد بن عبد القادر التستاوتي، وعنه أخذ طريق التصوف. وقد دارت بينه وبين شيخه هذا مساجلات شعرية وردت في كتاب نزهة الناظر لهذا الأخير، وفي *فهرس أحمد بن عاشر الحافي* السلوي.

ألـف الدغمي عدة مؤلفات منها *المسلك السديد، في تفسير القرآن المجيد وحاشية على شفا عياض* جمعها من طرر شيخه مسعود جموع الفاسي وعدة نوازل وغيرها. تخرج على يده عدد من الطلبة السلويين وغيرهم.

توفي موسى الدغمي في 7 ربيع الثاني عام 1140 / 22 نونبر 1727، ودفن بزاوية سيدي أحمد حجي بسلا.

أ. بن عبد القادر التستاوتي، *نزهة الناظر*، مخطوط، خ. ع، 1302 د، ص. 130 و230 ؛ أ. ابن عاشر الحافي، *الفهرس*، تح. محمد السعديين، د. د. ع، الرباط، 90 ـ1991، ص. 243 ؛ علي العكاري (الحفيد)، *البدور الضاوية، في ذكر الشيخ وأصحابه وتلامذته وبناء الزاوية*، خ. ع، 88 د، ص. 13 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح. م. بوشعراء، 1986، ص. 112 ؛ *إتحاف أشراف الملا*، مخطوط. خ. ع، 11 د، ص. 67 ؛ م. ابن أبي بكر التطواني، *كناشة*، خ. ص، رقم 407، ص. 27 ؛ م. المنوني، *الوراقة المغربية في العصر العلوي الأول*، دعوة الحق 1395 /1975، العدد 10، ص. 88 ـ89 ؛ ع. العزيزبنعبد الله، *سلا أولى حاضرتي أبي رقراق*، سلا، 1989، ص. 20.

محمد السعديين

الدغوغي، أبو إبراهيم، جد آل تانوت الوجانيين، من قبيلة إيداوبعقيل، صوفي زاهد، عاش خلال القرن السادس (12 م).

أسس أبو إبراهيم زاويته بقرية تانوت على بعد خمسة كلمترات من إيغرم الموطن الأصلي لأسرة الدغوغيين، فعاش، كما يظهر من خلال شهادة الرسموكي، عيشة الزاهد الورع، وذاع صيته وشهرته، كما أقبل عليه الوفود من جميع الآفاق. ومازالت زاويته تحافظ على أدوارها داخل مجال إيداوبعقيل.

وعلى الرغم من التضارب حول مكان وفاته، فمن المرجح أنه مدفون بويجان حسب شهادات كتب المناقب السوسية.

م. الرسموكي، *وفيات الرسموكي*، تح. م. المختار السوسي، الرباط، 1988، ص.50 ؛ داود بن علي الكرامي، *بشارة الزائرين*، مخطوط ؛ م. الحضيكي، *كتاب الطبقات*، تح. أ. بومزگو، الرباط، 1994، رقم الترجمة 120 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 11 : 91 ؛ *رجالات العلم*، ص. 11.

الدغوغي، أحمد الزرهوني. لم تحدد المصادر التي اطلعنا عليها مكان ولادته، وتبدأ حديثها عنه عندما ظهر أمره بزرهون باعتباره من الصلحاء. وفي هذا الصدد يجعله بعض أصحاب السير ضمن طائفة الأولياء الكبار والشيوخ الكاملين (*روض الأنفاس*، 264)، بينما يصنفه بعضهم الآخر في لائحة العوام من أولئك الأولياء (*إتحاف أعلام*، 5 : 460).

والمتفق عليه بينهم جميعا هو أن أحمد الدغوغي دخل عالم التصوف على يد الشيخ الشهير أبي الحسن علي بن محمد بن عمران العلمي العروسي المدعو بسيدي علي بن حمدوش، دفين زاويته بجبل زرهون (*روض الأنفاس*، 265، *إتحاف*،5 : 474). مما يعني أن الدغوغي حمدوشي السند. وإذا علمنا أن ابن حمدوش من أتباع الطائفة الشرقاوية، فمن تحصيل الحاصل القول بأن أحمد الدغوغي شرقاوي في سنده كذلك، مثل شيخه، فهو أخذ عن ابن حمدوش، وهذا أخذ عن محمد الحفيان بن المفضل بن أحمد المرسي بن بوعبيد الشرقي، دفين أبي الجعد (*سلوة الأنفاس*، 1 : 354).

والظاهر أن الشيخ الدغوغي لم يكن حمدوشيّاً أو شرقاوي السند فحسب، بل كان كذلك في النحلة أيضاً. ونعني هنا اعتماد أحمد الدغوغي في حياته الروحية أساساً

على ما يعرف عند الصوفية بالتربية الروحية. بل لقد بلغ في روحانيته مدى قصياً جداً تجاوز مدى سائر أتباع الطريقة الحمدوشية، وكل تيارات الطريقة الشرقاوية نفسها. ولنا دلائل وعلامات واضحة على هذا الغلو، رغم ندرتها. وأوضحها وصفه بالجذب الكامل والغيبة المطلقة (*روض الأنفاس*، 265، *إتحاف*، 5 : 461)، من جهة، واعتماده الحضرة الصاخبة، عكس سائر حمادشة، من جهة أخرى، وذلك بحكم الإضافات التي أدخلها على شعائر حلقة الحضرة. وفي هذا الصدد كتب عبد الكبير الكتاني، قائلاً : "تابع (أحمد الدغوغي) شيخه (علي بن حمدوش) في ... اعتمار الحلقة بالآلة المسماة بأكوال والتعريجة، ... والفرق بينه وبين أتباع شيخه في حالة اعتمار الحلقة هو زيادة آلات من حديد وغيره، وهي كرات من حديد، منها ذات خرصة وسلسلة ومنها بدونها، وشاقورات من حديد، متنوعة على أصناف، وزرواطات ذات مسامير وبدونها، وغيرما ذكر، وكل من هذه الآلات في حال اعتمارهم في الحلقة يضربون بها رؤوسهم (*روض الأنفاس*، 265).

وهذا يعني أن الحضرة شكلت عنصراً أساسياً في سلوك الشيخ أحمد الدغوغي وأتباعه، على غرار سائرشرقاوة وحمادشة، لكن الشيخ أحمد الدغوغي بلغ في حضرته مستوى قصيا في الغلو، أدى به وبأتباعه إلى استعمال الأدوات الحديدية الحادة في شدخ الرؤوس، وإسالة الدماء. نريد القول بأن هذه السلوكات لم يكن معمولاً بها لدى حمادشة زمن شيخهم ابن حمدوش المتوفى عام 1135 / 1722، وأن مبتدعها هو تلميذه أحمد الدغوغي. وقد ساق عبد الرحمن بن زيدان بهذه المناسبة رواية تشرح سبب تعاطي الدغوغي ومن تبعه تلك السلوكات، وقال : إن هذا الأخير، وكان "... من العوام الصرف، لم يحضر وفاة متبوعه (علي بن حمدوش)، فلما آب من سفره، وعلم بوفاته، صار يضرب رأسه مع الجدران وبالأحجار أسفا على فقد شيخه، وتحسراً على عدم حضوره لوفاته، واغتنامه صالح دعواته، فاتخذ الأخلاط من أصحابه ذلك عادة" (*إتحاف*، 5 : 460).

وسواء كان الدغوغي صدر عنه ذلك الفعل بحال اعتراه، وصاحب الحال، عند الصوفية، يُسلّم له حاله، لأنه فاقد التكليف، أو أنه تعمد ذلك الفعل، فالمهم بالنسبة لنا أنه سن في الحضرة الحمدوشية "سنة" جديدة، هي التي جعلت طائفته الدغوغيةمميزة عن غيرها من الطوائف الحمدوشية الأخرى خصوصاً والشرقاوية عموماً.

بقي أن نشير إلى أن الشيخ الدغوغي توفي يزرهون بعد سنة 1135 / 1722 ودفن قرب شيخه علي بن حمدوش (*إتحاف*،5 : 474). ويعد المرابط الفقير بوعزة الحسناوي الفاسي من كبار شيوخ الطائفة، بعد وفاة شيخه أحمد الدغوغي (*سلوك الطريق*، ص. 358).

ع. الرحمن بن زيان، *إتحاف*، الجزء الخامس، ع. الكبير الكتاني، *روض الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية*، مخطوط، ع. الرباط، رقم1264 ك ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، طبعة حجرية بفاس،1318 ؛ م. بن علي المنالي الزبادي، *سلوك الطريق الوارية في التلميذ والشيخ والزاوية*، مخطوط، خ. ع. الرباط، رقم 247 ك.

أحمد الوارث

الدغوغي، أحمد من موالي الدلائيين ـ حسب تعبير الإفراني ـ نشأ فيهم فبرع في الأدب، وقيل إن أصله من القصر الكبير، وكان هجاءً لا يكاد يسلم من هجوه أحد يقال إنه كان يجلس عند موضع معد لطرح الكناسات خارج زاوية الدلاء فلا يمر به ذكر ولا أنثى إلاّ هجاه شعراً أو نثراً. وهجا عدداً من الشعراء فتحاموه، ولم يفحمه إلا رجل إسلامي برع في الأدب بالزاوية الدلائية فقال فيه بيتين جسدا بشاعة خلفه وخُلقه.

كان أحمد الدغوغي ينظم مولديات يلقيها بانتظام في الحفلات المشهودة التي تقام في الزاوية الدلائية ليالي سابع المولد النبوي الشريف ويذيّلها بمدح الشيخ مَحمد بن أبي بكر الدلائي والدعاء له فيرتاح الشيخ لذلك وتطيب نفسه.

وبعد قيام الإمارة الدلائية انقطع أحمد الدغوغي عن زاوية الدلاء، وهجا محمداً الحاج هجاء مقذعاً (نزهة، 253) ثم رثي المجاهد العياشي لما اغتاله أعراب الخلط أيضاً ومحمد الحاج الدلائي.

كم شاد كم ساد كم سدّ الثغور وكم
أودى وأعدى غياث الغيث مقتصد
(*الوافي*، 3 : 734).

م. الإفراني، *نزهة*، ط. حجر فاس، د. ت ؛ م. ابن تاويت التطواني، *الوافي بالأدب العربي*، الدار البيضاء، 1984، ج 3 : 734 735 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الدار البيضاء، 1988، ص. 49-50.

محمد حجي

الدغوغي، داود بن **عبد المنعم** القصري ينتسب إلى الأسرة الدغوغية الشهيرة بمدينة القصر الكبير. ويظهر أن هذا الشاعر عايش وشارك في معركة وادي المخازن الشهيرة لأنه وصفها وصفاً دقيقاً، وربما كان من الشعراء القلائل الذين سجلوا هذه المعركة (*القصر الكبير*، أعلام : 103). وابن تاويت في *الوافي* يشير إلى تلك القصيدة الرائعة التي قالها داود بن عبد المنعم بمناسبة الظفر العظيم الذي أحرزه المغاربة على الصليبية في وقعة وادي المخازن، كما يشير ابن تاويت، بل يجزم أن قصائد غيرها قد قيلت في موضوعها ولكن التاريخ لم يحتفظ لنا بها، وربما كان ذلك نتيجة إهمال أو ضياع، كما يرى صاحب *الوافي* أن

الأسرة الدغوغية القصرية قد عرفت بالجهاد (*الوافي*، 3 : 670).

م. بن تاويت، *الوافي بالأدب العربي بالمغرب الأقصى*، الجزء الثالث، 1981 ؛ م. بن عبد الرحمان بن خليفة، *القصر الكبير أعلام فكرية*، أدبية وتاريخية، مطبعة طنجة، ش. م. 1994.

الحسين البعاوي

الدغوغي، عبد الله بن داود، صالح متنسك، وعلامة مشارك، تصدر للتعليم والإرشاد، أقبل عليه الطلبة، وغدت مدرسته قبلة للزيارة. تخرج عليه كثير من العلماء، وكان ذا عناية بالتصوف، مكثراً من زيارة متصوفة عصره خاصة الشيخ سعيد بن عبد المنعم الحاحي، توفي أواخر القرن العاشر (16 م).

م. البعقيلي، *مناقب البعقيلي*، تح. المختار السوسي، الرباط، 1987 ؛ م. الحضيگي، *كتاب الطبقات*، رقم الترجمة 584 ؛ رجالات العلم، ص.18 ؛ م. حجي، الحركة الفكرية، ص. 590.

أحمد بومزگو

الدغوغيّة (طائفة صوفية) تتكوّن من أتباع الولي الصالح أحمد الدغوغي دفين جبل زرهون سابق الترجمة.

يقيم الدغوغيون في كل سنة موسما بمناسبة المولد النبوي، وذلك في موازاة موسم أتباع الطائفة الحمدوشية في موقع يعرف اليوم بـ "سيدي علي" على مقربة من مدينة زرهون، كما يقيمون موسمهم في زاويتهم بمدينة فاس، حيث تختلط الطقوس الصوفية بالموسيقى والرقص.

فإذا اجتمع أتباع الطائفتين حول ضريح سيدي علي بن حمدوش تصدر الساحة حمادشة وأمامهم ثور تغطيه مناديل ملونة، ثم انبرى الغياطون وضاربو التعارج، وتحلق الأتباع في دوائر يرقصون على إيقاع الطبول وهم يرددون : الله الله، دايم الله، المعبود الله، وبعد ذلك تبدو أعلام الدغوغيين قادمة نحو الساحة، فينسحب حمادشة تحت غطاء زغاريد النساء وهم يرددون : يا محمد، قدمنا يارسول الله، تاركين الساحة لأتباع أحمد الدغوغي، فينخرط هؤلاء بدورهم في الرقص والغناء على أصوات الغيطات، ثم يمتطون البغال ويغادرون موقع الحفل مثنى مثنى متوجهين نحو المدينة ومن حولهم جموع الزائرين. فإذا بلغوا باب الحجر توقفوا هنيهة وأمامهم حمادشة ثم انطلقوا جميعاً في مسيرة احتفالية كبرى تخترق مدينة زرهون نحو بني راشد وبني وراد.

والعادة أن الرجال هم الذين يمارسون الرقص في الساحة العامة. أما النساء فلا يشاركن إلا نادراً. ومن هذا النادر أن تقوم إحداهن بالرقص في بني راشد بالقرب من القبة وشعرها مرسل، وهي في رقصها لاتفتأ تحرك رأسها بشكل لا يخلو من عنف.

يعتبر الدغوغيون من الفرق المتفرعة عن طائفة حمادشة، ولذلك ارتبطت ممارساتهم الفنية الخاصة بممارسات أتباع الزاوية الحمدوشية، بل هي بمثابة حلقة من حلقاتها. وتقوم هذه الممارسات على برنامج يحتوي على الذكر وتلاوة حزب سيدي علي بن حمدوش. ويقتصر فيهما على الإنشاد والشطح، يتلو ذلك الحضرة. وبها يختم العرض. وتشكل المرحلة الفنية المتميزة في البرنامج بتدخّل الآلات الموسيقية : الغيطة والتعريجة والهراز والطبل.

تستمد ألحان حمادشة والدغوغيين طبيعتها ونسيبها من ألحان وطبوع الموسيقى الأندلسية، وخاصة طبع الحجاز الذي يبرز في إنشاد الذكر.

أما الإيقاعات فتخضع لأنساق جد معقدة أبرزها ثلاثة :

1 - الوزن الخماسي الضربات 4/5. وتتضافر من أجل إحداثه آلات الطبل والهرّاز والتعريجة. وهو يشبه ميزان الگباحي في الملحون مع اختلاف مواقع النقرات القوية والضعيفة.

2 - الوزن الثنائي ويشبه ميزان القائم ونصف في موسيقى الآلة 4/8.

3 - الوزن الثلاثي : ويشبه ميزان القدام في موسيقى الآلة أيضاً 4/3.

ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 5. ص. 459 - 460 ؛ *دراسة ميدانية*.

J. Herber, *Les Hmadcha et les Dghoughiyyin*, *Hespéris*, T. III, 1923, 2e trim., pp. 217 - 236, Rabat.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الدغوغيون أو بني دغوغ إحدى القبائل المصمودية الخمس التي كانت توجد بدكالة الكبرى قبل الفتح الإسلامي. ورد ذكرها عند كثير من المؤلفين، وعلى الخصوص عند ابن الزيات الذي أشار إلى أعلامها وبعض قراها دون أن يحدد موقعها. ونحن نجد اليوم جزءاً من هذه القبيلة مستقراً شمال شرقي سهل قبيلة سحيْم، كما نجد جزءاً آخر قد أصبح مندمجاً في قبيلة أولاد عمران تحت اسم بني دغوغ تامْدة وبني دغوغ المرجة.

لقد تعربت هذه القبيلة تعريباً تاماً وأنجبت عدداً كثيراً من العلماء والشيوخ المرشدين الذين أنشأوا رباطات ومدارس لتلقين العلوم الدينية، ومن هؤلاء العلماء والشيوخ : الإمام أبو حفص عمر الدغوغي والشيخ الواعظ الخطيب أبو محمد تليجي ابن موسى الدغوغي والشيخ أبو مهدي الدغوغي والشيخ أبو الأنوار والشيخ الفقيه الإمام أبو محمد عبد الخالق بن ياسين وكلهم من القرن السادس (12 م).

وتوجد اليوم مجموعة مرابطية صغيرة بالقرب من بلدة امْطَلْ بدكالة تعيش حول زاوية تحمل اسم زاوية بني دغوغ.

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6 ؛ ابن عذاري، *البيان*، ل. ابن الخطيب،

المعيار ؛ أ. بوشرب، *دكالة*،ي. ابن الزيات، *التشوف*، *مدن وقبائل المغرب*، *دكالة*، ج10، تر. م. الشياظمي، مخطوط.

Répertoire alphabétique des tribus et confédérations du Maroc, Rabat, 1939.

محمد الشياظمي

الدغيمر، أسرة رباطية شريفة أصلها من سجلماسة، انتقلوا إلى الرباط بعد تجديدها من طرف الأندلسيين المهاجرين في القرن الحادي عشر (17 م) منهم :

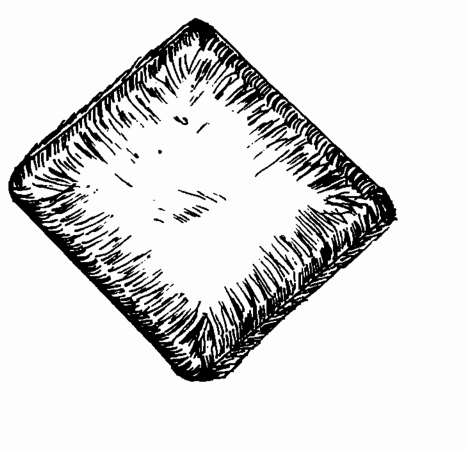
الدغيمر، محمد الحسني الرباطي فقيه صالح، أخذ عن الشيخ علي العكاري لما انتقل من الزاوية الدلائية إلى سلا الرباط، ولازمه في جملة طلبة العدوتين. وكان متميزاً في العلوم العقلية. وكانت وفاته في أوائل القرن الثاني عشر (18 م).

م. العكاري، البدور الضاوية، مخطوط ؛ م. بوجندار، الاغتباط، الرباط،1987، ص. 100.

محمد حجي

الدّف، آلة إيقاعية تعتقد بعض الجماعات الدينية في المشرق أنها وجدت منذ أن خلق الإنسان. وقد نقل أن أول من ضرب بها في الإسلام فتيات بني النجار حينما استقبلن الرسول صلى الله عليه وسلم عند هجرته من مكة إلى المدينة.

تعددت أسماء هذه الآلة : فقيل المزهر، والمربع، والدف المركن. وقد حفلت كثير من المصادر المغربية بذكر الدف ووصفه : ففي *بغية الرائد* أنه مربع بوجهين ؛ وهو عند ابن الدراج من آلات النقر التي كانت على عهده شائعة، فهو العربي المدور بوجه واحد، ويسميه الناس الطار. أما الشقندي المتوفى سنة 629 فقد حصر استخدامه في عدوة المغرب دون الأندلس، وأمّا أبو الحسن الخزاعي أنه كان يستعمل على عهده في الأعراس، وقد ركبت في جوانبه قطع من الصفر مستديرة يسمع لها عند تحريكه وقرع بعضها بعضا تصويت وجلجلة.



الدف

ويستفاد من هذه التعريفات أن الدف عند القدماء كان يتأرجح بين مفهوم "الطر" ذي الوجه الواحد و "المربع" ذي الوجهين.

والدف في الاصطلاح المغربي الحديث عبارة عن مربع صغير مغلق ومغلف بالجلد من جهتيه. ويبدو أن أشياخ الملحون كانوا يستخدمون الدف في مصاحبة الإنشاد، وذلك لتأكيد الطابع الإيقاعي الذي واكب الابتكارات المنجزة في مجال أوزان الشعر الملحون.

ومن جهة أخرى ظل استخدامه حتى عهد قريب شائعاً بين "الشيخات" في أجواق النساء الحضرية، ثم انحصر تداوله اليوم في بعض المجموعات الأمازيغية الممارسة لرقصات أحواش. ومما يدل على سابق استعماله في الأوساط الشعبية إشارة الفقيه عبد الله بن محمد الهبطي المتوفى سنة 963 في *ألفيته* الشهيرة حيث ذكره تحت اسم "المزهر" وهو بصدد الرد على ما كان يصنعه الناس في حفلات الأعراس وأعمال الزفاف قال :

قد جوَّزُوا الكفوف والمزهارا   والشطح والغنا إذن جهـــارا

وتلتحق بشهادة الفقيه الهبطي شهادة معاينة سجلها في النصف الثاني من القرن العاشر (16 م) المؤرخ البرتغالي مارمول في كتابه *إفريقيا* عندما ذكر "أن أعراب منطقة نوميديا ... كانوا يتغنون بقصائدهم المقفاة الموزونة على أنغام الدف والعود".

وتتميز طريقة استخدام الدف بأن يمكسه الناقر بيديه معا بين راحتي كفيه في وضع مواز لصدره، ثم يحرك أنامله التي تنقر على الجانبين دون أن ينفصل الكفان عن الآلة.

شهر زاد قاسم حسن، دور الآلات *الموسيقية في المجتمع التقليدي في العراق*، ص. 334 ؛ القاضي عياض، *غنية الرائد*، ص. 114 ؛ *الإمتاع والانتفاع*، تح. محمد ابن شقرون، ص. 33 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، الجزء الثاني، ص. 151، المطبعة الأزهرية بمصر ؛ علي الخزاعي، *تخريج الدلالات السمعية*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1985 ؛ *مجلة التراث الشعبي العراقية*، السنة 11 ع. 10، ص. 138 ؛ م. الهبطي، *الألفية السنيّة، مخطوط* ؛ ، مارمول كربخال، *إفريقيا*، تر. م. حجي وآخرين، 1 : 110.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الدفلة أو الدفلى أو أليلي بالأمازيغية أسماء تطلق على نوع نباتي يسمى علميا نيريوم أوليانـدير Nerium oleander وهو من فصيلة الدفليات Apocynaceae.

الدفلة شجرة صغيرة أو شجيرة مستديمة الخضرة. أوراقها حلقيّة متجمعة ثلاثة بثلاثة، رمحية الشكل قصيرة العنق أزهارها كبيرة وردية اللون في الصنف البري، أو مختلفة الألوان في الأصناف المنزرعة للزينة. ثمارها علبية الشكل طويلة جداً (حتى 15سم)، ومنتهية بمنقار طويل. ومحتوية على بذور مكسوة بزغب طويل يسهل لها الانتشار بواسطة الرياح أو المجاري المائية.

تتوطن الدفلة حوض البحر المتوسط. أما في المغرب فإنها تعيش على ضفاف الأودية وفي الأماكن الرطبة في جميع المناطق البيومناخية ابتداء من سطح البحر إلى حوالي 2000م.



الدفلة

تستعمل الدفلة كنباتات زينة، يغرس في الحدائق والبساتين وبجوانب الشوارع والطرق. ولهذا الغرض استنبطت من الصنف البري عدة أصناف ذات أزهار مختلفة الألوان، وردية أو حمراء أو بيضاء أو صفراء أو مختلطة هذه الألوان.

تعتبر الدفلة من النباتات السامة. تدخل في بعض التحضيرات للتطبيب التقليدي. كما يُستعمل خشبها لصناعة بعض الأثاث الخفيف مثل الكراسي ...

أبحاث شخصية.

Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris.

عبد المالك بنعبيد

الدفينة ← الزراعة المغطاة

الدقاق، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الغربية بناحية أصيلا وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1618.

محمد ابن عزوز حكيم

الدقاق، أحمد السبتي من صلحاء سبتة ومتصوفتها المشهورين، صاحب المكاشفات والكرامات. اشتهر في الوسط السبتي بالزاهد المتعبد، صاحب بركة لا تنضب وتنبؤ لا يخطئ وبعد مماته تحول قبره الكائن في المقبرة الكبرى من أسفل جبل المينا إلى مزار يقصده كل ذوي مطلب أو حاجة (*اختصار*، 15) لا نجد له ترجمة سوى ما ذكره ابن عبد الملك من أن المسمى أحمد بن إبراهيم بن مسلم الدقاق المعروف بأبي العباس الإشبيلي الأصل أخذ عن أبي عبد الله بن شريح الرعيني المتوفى عام 563 / 1168 (*الذيل*، 63) لذا لا يمكن أن يكون أحمد الدقاق السبتي المتوفى في حدود سنة 748 / 47 ـ 1348 (اختصار، 15).

م. ابن عبد الملك *الذيل والتكملة*، القسم الأول من السفر الأول، تح. محمد بن شريفة، بيروت ؛ ابن القاسم الأنصاري، *اختصار الأخبار*، الرباط، 1403 / 1983، ط. الثانية.

زليخة بن رمضان

الدقاق، محمد بن مَحمد الدغمي السلوي فقيه أديب وشاعر فصيح. كان والده عدلاً بمدينة سلا. لازم الدقاق مجالس الشيخ علي العكاري، وكان يرفع إليه نوازله ومعضلاته، كما قرأ على شيوخ مدينة فاس كمحمد بن عبد القادر الفاسي، ومحمد بن أحمد القسمطيني الگماد، والعربي بن أحمد بردلة وغيرهم. وأخذ طريق التصوف عن الشيخ محمد ابن ناصر الدرعي، وكان يتمتع بمكانة علمية مرموقة بالمجتمع السلوي. تخرج على يده عدد وافر من الطلبة السلويين، أبرزهم أحمد بن عاشر الحافي السلوي الذي قرأ عليه *مختصر خليل*، وبعض *تلخيص المفتاح* وغيرها. سافر الدقاق لحج الفريضة وقام بتدريس الحديث بالمسجد النبوي في المدينة المنورة أكثر من عشر سنين. وكان السلطان العثماني محمود الأول يصرف له كل سنة جائزة سنية، الأمر الذي يبرز مكانة هذا العالم السلوي بالمشرق. ولصاحب الترجمة مراسلات بينه وبين طلبته السلويين.

توفي بالمدينة المنورة، ودفن بها عام 1158 / 45 ـ 1746.

ع. العكاري، (الحفيد)، *البدور الضاوية الزاوية*، خ. ع، 88 د، ص. 26-27 ؛ أ. ابن عاشر الحافي، *الفهرس*، تح. م. السعديين، د. د. ع. الرباط، 90-1991، ص. 230 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، الرباط، 1987، ص. 106 ـ 110 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح. م. بوشعرا 1986، ص. 113، *إتحاف أشراف الملا*، مخ. خ. ع. 11د، ص. 63 - 64 ؛ العباس ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1974، 6 :60 ؛ ع. بنعبد الله، *سلا أولى حاضرتي أبي رقراق*، سلا، 1989، ص. 87.

محمد السعديين

الدقة المراكشية، المعلومات المتداولة عن أصل "الدقة المراكشية" تتسم بكثير من التناقض، وتفتقر للوثائق والحجج : فمن قائل بالأصول الإفريقية للدقة لمجرد وجود "القراقب" الحديدية ضمن آلاتها، إلى قائل بأصولها البربرية لوجود بعض العبارات الأمازيغية مثل "افوس" اعراج و"اگوال" ويدعم هذا الرأي وجود فن شعبي شبيه بالدقة في مدينة تارودانت.

أما تاريخ الدقة فمن الصعب تحديده لأنه كباقي الفنون

الشعبية يرتبط وجوده بوجود الإنسان نفسه، إلا أنه على أي حال فن إسلامي، لارتباطه زمنياً بمناسبة دينية إسلامية وهي الاحتفال بعاشوراء. ومن هنا جاءت فكرة نشأته في ظل حكم يعادي الشيعة (يبدون الحزن الشديد في هذه المناسبة).

إضافة إلى أن في زجله دعوة إلى التوسل بالأولياء واحترامهم واتباع الطريق السوي.

وتردُّ كثير من الأقوال تاريخ الدقة إلى عصر المنصور السعدي، ولعل السبب في ذلك عائد إلى ما عُرف عن هذا السلطان من تشجيع للألعاب في المناسبات الدينية تخليداً لانتصاره في معركة وادي المخازن فقد تحدث المؤرخون عن احتفالاته بموكب الشموع الذي شاهده أثناء زيارته لإسطمبول. وإقامته لحلقات الذكر والأمداح النبوية بهذه المناسبة. (*مناهل الصفا*، 235-238 ؛ *روضة الآس*، 13 - 14).

إلا أن انعدام الوثائق يجعلنا غير مطمئنين لهذا الرأي وحتى "العيط" (الزجل المعتمد في الدقة) لا يساعدنا على ذلك لأنه كما سنرى، غير قار، يتغير بتغير العصور فلا يبقى إلاّ جوهره.

وللدقة زمان : هو ليلة عاشوراء، ومكان : هو كافة أحياء المدينة، وتقوم على ترديد زجل شعبي يسمى "العيط".

وتنقسم الجوقة المردِّدة إلى قسمين : يردد الأول الشطر من البيت والثاني الشطر الثاني منه. مع النقر على "التعاريج" وينسق بين القسمين شخص يدعى "العرّاج" في حين يقود الجوقة حامل "البندير" ويتبعه في تحركاته وإيقاعه حامل "القراقب الحديدية".

ولإيقاع الدقة أربعة موازين :

1) ميزان رباعي، توحي دقاته الأربع بعدم استقامته مع تجاوب القراقب والبندير.

2) ميزان رباعي متعادل الضرب تتداخل فيه نقرات البندير والقراقب، جماعة تضرب إيقاعاً رباعيا معتدلا، وأخرى تحدث إيقاعا ثلاثيا سريعاً، وثالثة تحدث إيقاعاً ثنائياً مؤجل النبر.

3) ميزان ثلاثي ذو إيقاع سريع حثيث.

4) ميزان رباعي تشتد حمأته من فرط سرعته، وتصحب إيقاعاته الصاخبة تهليلات وصيحات من طرف العازفين (*الموسيقى الشعبية المغربية*، *الفنون*،8 : 1978 ، ص. 48 - 71).

وتكون الدقة ناجحة في مرحلة "افوس" (كلمة أمازيغية معناها "اليد" ولليد الفضل الأول في حدوث الانسجام، أي الانتقال إلى الميزان السريع، والمفروض أن يقع الانسجام في الانتقال بين كافة المشاركين : صاحب البندير، والقراقب وأصحاب التعاريج. وهو أمر يحتاج إلى دربة وممارسة، إذ أن بقاء تعريجة واحدة في الميزان الثقيل أو خروجها قبل الوقت المناسب إلى السريع يفسد "افوس".

بعد هذا التقديم الضروري نركز حديثنا على أهم شيء في الدقة وهو الزجل الشعبي الذي تردده الفرقة في مرحلة الضرب الثقيل، ويسمى لذلك "العيط" (من عَيَّط القوم أي صاحوا وأجلبوا). وتكون لهم بالفعل صيحات وجلبة، سواء أثناء الترديد المزدوج أو عند الإعلان عن نجاح "افوس". ويسمح لنا التدبر في نصوص "العيط" ورواياته بإبداء الملاحظات التالية : (*الحركة الصوفية بمراكش*، ج3، 70 : 78) :

1) أنه تراث شعبي أصيل لا يُعرف قائله أو ناظمه، وإنما هو منسوب للفئات الشعبية بكاملها على امتداد زمن وجود هذا الفن.

2) نص العيط طويل يختلف من راو إلى آخر، ويتفق الرواة على أن أغلبه ضاع وأنه أطول مما يحفظون ويتناقلون، وقد قدمت لنا تقديرات في الموضوع أقلها مائة وعشرون بيتا واقصاها أربعمائة بيت غير أن المتداول حالياً أقل من ذلك بكثير، ويمكن رد هذا الاختلاف إلى الفترة



التي يُـذكر فيها الأوليـاء فـانها تطـول أو تقصـر بحسب الأسماء الواردة فيها.

وتكون الجوقة بأمسِّ الحاجة إلى العيط الطويل حتى لا يحدث السأم بالاستمرار في ترديد نفس البيت زمناً طويلاً، فالمفروض أن يستمر "جر العيـط" حسب اصطلاحهم من بدء الـدقـة (بعـد صلاة العشـاء) إلى "دخـول أفـوس" (قبيل الصبح) وخاصة إذا صادفت المناسبة فصل الشتاء.

3) عيط الـدقـة مفتـوح ومَـرنٌ يـزاد فيـه وينقص منـه بحسب الظروف والأحوال، تتغير الفقرة المخصصة للسلطان بتغيـره، ويسجل الأحداث التي تعـرفهـا المدينـة أو التي تعرفها البلاد، ويتم تناسي فقرات لم تعد لها أهمية لفائدة المضاف ذي الأهمية. فقد روى لنـا الشيـوخ أبيـاتـاً في ذم الاستعمار ومساندة الوطنيين أثناء الحماية، كانت الفـرق تدخلها بين سطور التوسل داعية الأولياء أن يخففوا عن البلاد مصابها.

كما يحفظون أبياتا في الغزل بالمذكر، حذفتها الفرق من مرددتها لأن الذوق العام لايستسيغها، مـن مثـل قولهـم :

يشيـــر اصغيـــــــــر خويـا خويا واعطيه درهمـــو

مجدول احريـــــــــر خويـا خويــا دلا اكمايـمـــو

4) عيط متغير كذلك أي أنه لايحتفظ بنفس التسلسل : تقدم وتـؤخر الأقسام بحسب الحومات والأحيـاء كل واحدة تقـدم الأوليـاء المدفـونين فيهـا وتخصص لهم فقرة أطـول، وتهتم باستعراض أسماء أعلام الدقة بها، ثم تاتي على ذكر بـاقي أسمـاء الأوليـاء المشـاهيـر وبعض مظـاهـر الحيـاة الاجتماعية في الحومة والمدينة على العموم.

ويلاحظ التغيير في النطق ببعض الالفاظ وفي مواقعها داخل البيت وهذا راجع إلى الاعتماد في العيط على الرواية الشفوية وإهمال كتابته، وهذا مـا تسبب كذلك في ضيـاع أغلبه.

أما الاقسام الثابتة في العيط فهي :

1) المقـدمـة : في ذكـر اسم اللـه والصلاة والسلام على نبيه المرسل الشفيع :

نبـــدَوْ باســـــم الرحمــــــن * باســـم العالــــــــي

الصـــلاة علــــى زين الزيـــن * طـــــه وياســـــين

الشفاعة يا سيد المرسلين يانبينـا * سعـدِي بالشافـع فينـا

2) الدخول في الدعوة إلى التمتع بمشاهدة هذا الفن وما يواكبه من فرحة وسرور، مع ذكر أعلامه المشاهير :

يا الله أو اتشوف بساط لفراجا * نبكي وننوح على فراق سيدي ماجا

شوف الدقة وصوتها معلـــي * غابوا ناسها ما حضرو شي ليهــا

ويبـدو أن الفــرق كـانت تقـوم بتمثيل بعض الأدوار المسرحية كما يبدو من البيت الأول (بساط فراجا، وبداية القصة في الشطر الثاني) قبل الشروع في "جر العيط" ومن أعلام الـدقـة الـذين تـذكـرهم الأحيـاء كلهـا بإجلال "ولـد اسميرس" ولا يعرف العصر الـذي عاش فيـه وتضيف بعض الأحياء أعلامها مثل : بحير بابا...

ويتم تنبيـــه المبتـــدئين أو "العســـريين" (الـــذين لا يستطيعـون الضـرب والإنشـاد معـا) إلى تـرك الگـور (أي دائرة المنشدين) لما سيترتب عن مشـاركتهم من نتائج قد يكون ثمنها الضرب المبرح.

ويسمون العسري "بالفزعي" أي العديم التجربة الثقيل الظل. ويكـون المشاركـون في الـدقة من كبـار السن ذوي التجـربـة. أمـا دقة الأطفـال والأحداث فلهم مجـال أرحب يبتدئ من مطلع محرم إلى ما بعد عاشوراء كل يوم.

3) القسم الأول في ذكر الأولياء والتوسل بهم : يدعو زجل العيط إلى زيـارة أشهـر أوليـاء المدينـة والتـوسل بهم والدخول في حماهم وتعطي سبعة رجال الأسبقية :

للغزواني جيت انـــــزورْ * الولـــــي مـــــول القصـــورْ...

وهذا القسم مفتـوح ومتغير ـ أكثـر من غيـره ـ فمن خلالـه يمكن أن يطـول العيط حتى يبلغ الأرقـام التي يســوقها الرواة، خاصة وان تركيب الأبيـات مرن وطيع ومتكـرر فبدل البيت :

ارواح اتزور شيخ الحضـــرا * مـــــولاي بوعمــــــرو

نجد روايات مثل :

ارواح اتزور شيخ الحضـــرا * مـــــولاي الكامـــــــل

وهكـذا يمكن توظيف هذه الصيغ والتراكيب لـذكر كـاف أو معظم أوليـاء المدينة والتـوسل بهم، ولما كـان عـددهم كبيـراً (كلٌ قدم بـوليّ) فإن نص العيط سيطول لا محالة وفي هذا مسـاعـدةً على قضـاء الليل الطـويل دون تـرديـد نفس الأبيات.

4) يتنـاول القسم الثاني من العيـط الحديث عن مظاهر الحيـاة الاجتمـاعيــة في المدينـة وبعض عــادات سكـانهـا والدعاء للسلطان الحاكم.

يبـدأ الحديث عن هذه المظاهر من "الحضـار" أو المسيد الـذي يحفظ فيه الأطفال القرآن الكريم، ويتعلمون القراءة والكتابة، فهـو الأساس وعليه الاعتماد في تكوين العلماء ويـرتبط المسيـد بحي الزاوية زاويـة الـحْـضَـر، رمز التمدن والعطاء، والفهم والأناقة عند سكان المدينة حيث المساجد والزوايا والمدارس وعلى رأسها جامع ابن يوسف ومدرسته :

أهل الزاوية جيتْ انـــزور * تلقى حرش العينـــــين

فـــم بـــاب احضـــــارو * أو عدي تا يعرضْ أسـوارو

ولا ينسى المراكشي عادة من العـادات التي جُبل عليها وهي الخروج إلى النزهة في الحدائق والعرصات التي تـزخر بهـا المدينة وضـواحيهـا ومـا أكثـر أسمـاء العـراصي التي يذكرها العيط. فلكل حي عرصته المفضلة القريبة من بـابه الـرئيسي. ويـذكـر العيط بسـاط سليمـان وعـرصـة احريللي (*معجم عراصي مدينة مراكش*،5 : 1981، ص. 79 - 98).

الشبّانْ را العام أزيــــــــان * نمشيو للنزاها ونكيْمُـــــــو

فبســاط سليمـــان

والدعـاء للحوز بالخصب له دلالته عند المراكشيين، فبه

تنخفض أثمان الحبوب، ويعم الرخاء وتنشط التجارة بالمدينة وتزدهر لأنها سوق قبائل الحوز، ومنها يتزودون بحاجاتهم.

وفي العيط الإشادة بالجمال وذكر معاناة الحب :

وهناك أبيات تتحدث في ظاهرها عن اللقاء والفراق والحب، ولكنها في العمق ترمز للحياة والموت وحتميته (وقت الرواح ما فيه امْقَالاَ) وللزمان وغدره وتقلبه، لذا فعلى الإنسان أن يتشبث بالدين ويلتزم بأحكام الباري تعالى وشريعته، وأن يقدم الخير ويسعى في سبيله، ومما احتفظ به العيط من هذه الحكم :

راحت راحت شمس لَعْشِـــي * راحت فَحْكام الباري تعالــي

قال الزين أنا بيتْ نمشِـــــي * وقتْ الرواحْ هذا ما فيه مقالا

اللي ماسار يسير غيرْ يمشــي * لِيامْ فايتا والسوايعْ بـــدالا

وهــذه الأبيــات كثيــرة التــردد على لســان الصنــاع التقليـديين بـالمدينـة يترنمون بهـا في أوراشهم ومعـاملهم، وبخاصة "الجصاصين" أثنـاء تجصيص سقوف المنازل وفي البيت الثاني منها كلمة خاصة بأهل مراكش وهي "بِيت" التي تستعمل عندهم بدل "ابْغيت" أي أردت.

وآخر فقرات هذا القسم الدعاء للسلطان الحاكم بالنصر والتوفيق والإعلان عن رخاء المدينة وازدهارها تحت ظل حكمه. والقالب المستعمل في هذه الفقرة هو :

سيدي ربي نرجاك يا العالـي * تكون في عون (السلطان الحاكــم)

شف البهجا الحمراكا تشالـي * بعنايت الهمام (السلطان الحاكـــم)

5) الخاتمة : يشير العيط إلى النهاية (امشينا) ويؤكد التوسل بالأولياء والاحتماء بالزاوية زاوية المؤمنين، ثم يدخل مباشرة في الإيقاع السريع ليخلص إلى "أفوس" والنهاية.

عيشا عيشا يا بــودلالْ * تلقايْ الخير امْشينَــــا

أنا في عارْ الزاويــــــةْ * زاويــــــةْ المومنـــــــين

ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*، د. ت ؛ أ. المقري، *روضة الآس* ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *الموسيقى الشعبية المغربية، مجلة الفنون*، غشت، 1978 ؛ ح. جلاب، *الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب*، ج 3، ط. مراكش، 1994 ؛ *معجم عراصي مدينة مراكش*، مجلة *التراث الشعبي*، 5 : 1981.

حسن جلاب

الدگُّون ويكتب أيضاً الدگون أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وكان من بين أفرادها عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرزاق الذي تولى مهنة خبير في الفلاحة سنة 1217 /1802).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 680.

محمد ابن عزوز حكيم

الدقُّون، أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي الأندلسي الفاسي. ولد ونشأ بغرناطة ودرس بها قبل أن يحتلها الإسبانيون، ثم انتقل مع أبيه إلى فاس، أخذ عن جماعة من علمائها منهم محمد المواق والأستاذ الصغير، وأخذ عنه جماعة من طلبة المدينة الإدريسية الفقه وقواعد اللغة. أخذ عنه منهم : أبو القاسم بن إبراهيم، وأحمد التسولي وأبو عبد الله بن شريف، وشقرون بن أبي جمعة المغراوي.

كان الدقون فقيهاً شاعراً، أديباً نحوياً، محدثاً وراوية، كثير المزح. روى عنه تلامذته كتابه *بداية التعريف بشرح شواهد الشريف* (مخطوط).

تولى خطابة جامع القرويين وبعد وفاته خلفه محمد بن محمد ابن غازي.

توفي بفاس في مهل شعبان عام واحد وعشرين وتسعمائة 921 / 1515.

د. القرافي، *توشيح*، بيروت، 1983، 64 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 1 : 132، *درة*، 1 : 92 ؛ أ. بابا، نيل، ص. 88 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج*، 384 ؛ م. القادري، *نشر*، 1 : 71، *الإكليل*، ص. 136 (د. د. د. ع. مرقون) ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 248 ؛ م. مخلوف، *شجرة*، 1 : 276، خ. الزركلي، *الإعلام*، 1 : 232 ؛ م. حجي، *الحركسة*، 2 : 348 ؛ م. ابن تاويت، *الوافي بالأدب المغربي*، ص. 287.

مارية دادي

الـدَّكّ، أسرة رباطية صاحبة مال وسعة، ينتسب إليها المسجد الذي يحمل اسمها والكائن بين سقاية القاضي البربري ودرب الجراري. عرفت هذه الأسرة بالجاه ولذلك حملت إحدى الأزقة اسمها أيضاً . فزنقة الدك هي الموجودة بين الخرازين وزنقة وقاصة جوار درب البرناني.

م. الأمين بلگناوي، *رواية شفوية*، في 30 / 10 / 1995.

عبد الإله الفاسي

دكالة، كانت بلاد دكالة إلى حدود القرن الثاني عشر (18 م) تشمل مساحة أكبر مما هي عليه الآن، إذ كانت تمتد من أم الربيع شمالاً إلى ما وراء نهر تانسيفت جنوباً، أي ما يعرف اليوم بمنطقتي دكالة وعبدة والشياظمة. وقد تغير استعمال الاسم كثيراً خلال القرون الوسطى، إذ كان يطلق أحياناً على مجموع القبائل البربرية التي كانت تقطن الرقعة المذكورة، وكان يطلق في أحيان أخرى على المنطقة نفسها. وقد نجد الاستعمالين معا عند المؤلف الواحد.

لا نعرف للفظ "دكالة" معنى، ونجهل بداية استعماله. ولعله لفظ بربري طرأ عليه، على غرار ألفاظ كثيرة (مشنزاية مثلا) تحوير وتعريب لاحق. فمن الأكيد أن الاسم

لم يكن يطلق لا على السكان ولا على المنطقة قبل الإسلام، ولم يرد بين الأسماء التي ذكرها المؤلفون الإغريق والرومان. ولم يذكر البكري هذا الاسم، بينما جعل ابن خلدون المنطقة إلى حدود أسفي تابعة لبرغواطة. وأعطى آخرون لتامسنا حدوداً تشمل ما يعرف اليوم بدكالة وعبدة. ويفهم من إشارة أخرى لابن خلدون ـ وللإدريسي كذلك ـ أن انتشار القبائل الدكالية كان يشمل الرقعة التي غطتها المنطقة حتى بداية العصور الحديثة، أي فيما بين أم الربيع وتانسيفت.

ومن جهة أخرى، أطلق الاسم على المنطقة وسكانها، إلى حد أننا نجد عند المؤلف الواحد الاستعمالين معا. ويتجلى ذلك بوضوح في عبر ابن خلدون الذي يطلق "دكالة" على قبائل مصمودة السهل مرة، وعلى الإقليم مرة أخرى. ونفس الازدواجية نقف عليها في كتابات من تعرض للمنطقة قبل القرن العاشر (16م). إلا أن تتبع إشارات تلك المؤلفات، واعتبار التطورات التي عرفتها المنطقة، خصوصاً بعد دخول القبائل العربية إليها، قد يمكننا من تصور مراحل تحول استعمال الاسم.

نقرأ في *بهجة الناظرين* أن أحد الأمغاريين بقي بتيط إلى أن اندلعت حرب برغواطة "فخرج بأمه إلى بلاد دكالة". ثم أشار المؤلف في محل آخر إلى أن "أيير بساحة دكالة". وبذلك يجعل تيط، التي كانت تابعة لـ "صنهاجة أزمور"، خارج دكالة.

وقد نحا ابن قنفذ ـ الذي زار المنطقة سنة 769 نحو ابن عبد العظيم الأزموري. فحين تكلم عن الأمغاريين، نعتهم ب "الصنهاجيين"، وحين أشار إلى "الماجريين"، قال : "وهم طائفة أبي محمد صالح، ومنهم الدكاليون". ومما يؤكد هذا التقسيم إلى جزءين لدى ابن قنفذ، أنه حين تحدث عن اجتماع الصوفيين والفقهاء بإحدى قرى ساحل المحيط قال عن المكان : إنه "جوف إقليم دكالة، بين أسفي وبلد تيط نفطر". وبذلك تكون "دكالة" هي ما يناسب مصمودة السهل، وبلاد "صنهاجة أزمور" ما يناسب هذه القبيلة وهو ما نقف عليه كذلك عند ابن الزيات الذي يستثني من دكالة قبيلة صنهاجة، ويعني بدكالة ما لاحظناه عند ابن عبد العظيم الأزموري وابن قنفذ.

وقام ابن خلدون، بدوره، بنفس التمييز وإن أدمج صنهاجة أزمور في أماكن مختلفة من *العبر* ضمن قبائل دكالة.

وقد اختفى استعمال اللفظ للدلالة على القبائل تدريجياً، خصوصاً بعد الغزو البرتغالي للمنطقة، وما نتج عنه من تقلبات واضطرابات وتحركات اضطرارية للسكان. وبذلك عوضت المنطقة القبائل في حمل الاسم، خصوصاً وأن قبائل جديدة ظهرت بها : غربية، عبدة وشرقية بفروعها الكثيرة. وهكذا، وابتداء من القرن العاشر (19 م)، لم يعد للفظ إلاّ استعمال واحد، ويعني المنطقة التي كانت تقطنها القبائل البربرية الست. وهكذا لم أقف في المصادر البرتغالية إلا على استعمالين اثنين للدلالة على القبائل، فيهما إشارة لقبيلة دكالة، مع ذكر عبدة ورجراجة ورتنانة.

وهكذا استعمل كل من الوزان ومارمول والإخباري البرتغالي (دو كويش) اللفظ للدلالة على الاقليم. فقد كتب هذا الأخير وهو يتحدث عن أسفي بأنها توجد "بالإقليم الذي نسميه بطريقة غير دقيقة إقليم دكالة".

واختلط الأمر على الوزان في ضبط حدود المنطقة، إذ جعلها تحد بوادي العبيد جنوباً وبتانسيفت غرباً. وعلى كل، تجمع المصادر أن منطقتنا كانت تحد في بداية القرن العاشر (16 م) شمالاً بأم الربيع، وجنوباً بتانسيفت، وغرباً بالمحيط، وشرقاً بالمرتفعات : الجبل الأخضر وجبال بني ماگر، ومرتفعات الكنتور.

وضمن الحدود المشار إليها أعلاه، كانت المنطقة مقسمة باستمرار إلى قسمين متميزين. فقبل دخول القبائل العربية إليها، كانت النصوص تميز بين بلاد "صنهاجة" وبلاد المصامدة. وخلال الغزو البرتغالي قسمت إلى "شرقية" و "غربية". وابتداء من القرن الثاني عشر (18 م)، قسمت إلى "دكالة حمراء"، وهي عبدة الحالية، و"دكالة بيضاء"، وهي ما يناسب دكالة الحالية. وقد بدأت ملامح قبائل القسم الشمالي للاسم تتعزز تدريجياً خلال الغزو البرتغالي. وبذلك يصبح الاسم الذي كان حكراً على قبائل القسم الجنوبي خاصاً هذه المرة بسكان قسمها الشمالي، وذلك بعد أن تعزز وجود قبيلة عبدة بالمنطقة، بعد تحرير أسفي. وبهذا نفهم التقسيم الذي خص به القنصل الفرنسي شونيي دكالة حين كتب : "كانت هذه المنطقة تمتد قديماً من ضفة تانسيفت، إلا أن منطقة عبدة اقتطعت منها ليتم التقسيم بين أخوين متنافسين على حكمها". وأضاف "أن دكالة كانت تمتد إلى أبواب أسفي"، وأن "إقليم عبدة، الذي كان يكوّن قسما من دكالة، يبدأ من أسفي ويمتد إلى نهر تانسيفت". وبذلك أعطى القنصل المذكور منطقة دكالة الحدود الجديدة التالية : من ناحية الشرق : هسكورة والرحامنة، من ناحية الجنوب : عبدة، ومن الشمال : تامسنا.

وهكذا أصبح إقليم دكالة ابتداء من القرن الثاني عشر (18م) يشمل رقعة أضيق مما كان عليه من قبل، ولم تعد المنطقة التي استوطنتها عبدة تنسب إليها، وأصبحت تشكل إقليماً خاصاً بها.

اعتاد الجغرافيون تقسيم دكالة إلى ثلاث وحدات طبغرافية : الساحل، السهل، المرتفعات. وتختلف الوحدات المذكورة عن بعضها البعض من ناحية الأشكال الطبيعية، والغطاء الطبيعي ونوعية الاستغلال الزاعي. وعلى الرغم من هذا الاختلاف، يغلب على دكالة طابع الانبساط الذي يجعل منها سهلاً من أكبر وأغنى سهول المغرب. غير أن المنطقة كانت تعاني من قلة المياه بشكل كبير ودائم نظراً لقلة الأنهار والعيون بداخلها، ولمحدودية استفادتها من النهرين اللذين يحدانها. لذا كاد السكان يقتصرون في

شربهم على ما كانوا يدخرونه من مياه المطر. وقد أثر هذا المشكل على نـوعيـة الاستغلال الـزراعي وعلى نمط عيش السكان، وكانت له في بعض المناسبات انعكاسات سياسية خطيرة عليهم.

فإذا كـانت كميـة التسـاقطات تسمح للمنطقـة بزراعـة بـوريـة في حـالـة تـوزيع منتظم للتساقطـات خلال السنـة الفلاحية، فإن المشكل الذي عانى منه الدكاليون كثيراً تمثل في نـدرة المياه الصـالحة للشرب، وهـو المشكل الـذي أكدتـه المصـادر. وتكاد تنعدم الآبـار في أجزاء كثيرة من المنطقة، الأمـر الـذي حتم على السكـان اعتمـاد مـا يـدخـرونـه في النطافي من ميـاه المطر. فقد ذكر ابن الخطيب عن جبال بني مـاگر بشرق أسفي : "سقيـه مـن نطـاف عـذبـة تُـختزن بهـا بـركاتُ الأمطـار فيقع بهـا أمنهم والاجتزاء إلى زمن المطر". وكانت مـدينة أسفي لا تعتمـد في شربهـا إلا على النطافي. لذا كـان الجفاف يكتسي بـدكالـة طابع الكـارثـة بـالنسبـة للسكـان ومـواشيهم. فكلمـا تأخر نـزول المطـر أو انعـدم إلا واضطر السكان إلى الرحيل نحو المناطق المتوفرة على الآبار والعيـون كمـا ورد ذلك في *التشوف* حين الحديث عـن أبي وكيل الدكـالي. وقد تـركت لنـا المصـادر البـرتغـاليـة صـورة واضحة عن خطورة قلة هذه المادة على السكان إلى حد أنها استعملت كسلاح لإرغـامهم على الـرضـوخ لمشيئـة الغـزاة. وذكر الإخبـاري (دو سـوزا) أن الملك البـرتغـالي اضطـر مـرة إلى إرسـال سفينـة محملـة مـاء إلـى أسفي لتفـادي مـوت حاميتها مـن العطش بسبب حصار المغاربـة للمـدينة. وكـاد أحد النبلاء البرتغاليين "أن يغرق نفسه في ذلك الماء، لأننا إذا كنـا هنـا (البـرتغـال) لا نعيـر أي اهتمـام لـذلك [الماء]، فإنه كان في أسفي كثير الفائدة".

تجمع النصوص على أن قبـائل دكـالـة كـانت تضم ست مجمـوعـات، واحدة صنهـاجيـة، توجد حـول مـدينـة أزمـور، وسـائرهـا مصمـوديـة، مكـونـة من مشنـزايـة وبني دغـوغ ورگراگة وبني ماگر وهزميرة.

كـانت صنهـاجة "تسغيـرت" على الضفـة الجنـوبيـة لأم الـربيع وحول أزمـور. وبلغ انتشـارهـا جنوبـاً إلى منطقة أيير التي كـانت بـالتأكيـد مصمـوديـة. أمـا في اتجاه الشـرق، فكـانت تنتشـر على طـول أم الـربيع حيث بقيت منهـا مجموعات صغيرة في قرى محصنـة إلى حدود القرن العاشر (16 م) على الأقل.

واعتماداً على رواية ابن الزيات، كـان انتشار مشنزاية حول قرية إسكاون والجبل الأخضر، بسهل سيدي بنور، ولا يستبعد أن يكـون الامتـداد وصـل إلى السـاحل، وهـو الملجأ الذي احتمت به بعد دخول القبائل العربيـة إلى المنطقة. فقد كانت المدينـة الغربيـة في مطلع القرن العاشر الهجري تـابعة لها.

وكانت قبيلة بني ماگـر مستقرة بين أسفي، التي نسبها ابن خلـدون إليهـا، والمرتفعـات التي تحمل اسمهـا. أمـا رگـراگـة، فكانت تمتـد من وادي شيشـاوة شرقاً، إلى قـريـة گـوز غرباً.

وإذا كـان ابن الـزيـات قد ذكـر قبيلـة بني دغـوغ عـدة مـرات، وأشـار إلى أعلامهـا وبعض قـراهـا، فإن تلك الإشـارات لا تسمح بتحديـد دقيق لمكان استقرارها. ويبدو أنها كانت تنتشر فيما بين قبيلتي بني ماگر ومشنزاية، أي فيما يعـرف اليوم بسـهل سحيم، وهو الموقع الـذي بقيت فيه إلى اليوم ـ مع تقلص كبيـر ـ بعـد انـدمـاجهـا ضمن أولاد عمران العربية.

ولم نعثـر في المصـادر التي اعتمـدنـاهـا على مـا يسمح بتحديد موقع انتشـار هزميـرة داخل الحدود التي ذكرنـاهـا لدكالة.

وكانت دكالة خلال المرحلة البربرية تابعة لمراكش، يشرف عليهـا عـامل، وكـانت لـرگـراگـة إدارة خـاصـة، وكـانت عـاصمتها گـوز، على نهر تانسيفت. وفي العهـد المرابطي، تقلص النفـوذ البـرغـواطي، وانتُـزعت دكـالـة مـن أيـديهم. وبخلاف بـاقي المصامدة، واجه الدكـاليون الدولـة الموحديـة الناشئة بمقاومـة عنيفة ردت عليهـا مراكش بقمع شديد نتج عنه فراغ بشري كبير دعيت القبائل العربية لملئه.

ففي مطلع القـرن السـابع (13 م) عـرفت المنطقة زحفاً للقبائل العربيـة انطلاقا من تامسنا بهدف الاستقرار. وكان هؤلاء الهلاليون ينقسمون إلى قسمين : خلط وسفيان. وإذا كـان لسفيان السبق في الـدخول، فإنهم اضطروا إثر حروب كثيرة مع أعدائهم الخلط إلى الانسحاب من المنطقة بعد أن لم ينفعهم تـراجعهم صـوب الجنـوب، ولم يبق منهـا إلا قسم احتمى بنهـر تـانسيفت، مكونٌ مـن قبيلـة الحرث أو الحارث التي تفرعت عنها قبيلة أولاد مطاع.

وانعكس دخـول القبـائل العـربيــة على وزن المنطقــة السياسي وعلى ساكنتها وتوزيعهم ونمط عيشهم.

فمن النـاحيـة السيـاسيـة، نلاحظ تـزايـد الاضـطرابات داخل المنطقـة بسبب العـداء بين الخلط وسفيـان من جهـة، ومـوقف كل واحدة منهما من الدولـة الموحديـة المنهـارة من جهـة ثانيـة. كمـا أن الدولـة المنهـارة اعتـادت ضرب الفريق الثائر عليها بالفريق الآخر. ثم إن تلك الدولة لم تحرك ساكنا وهي تراهم "يعيثون في الناس يمينا وشمالا" (ابن الزيات). وقـد أصبح للقبائل العربية وزن سيـاسي كبيـر، إلى حد أن شيوخها أصبحـوا يتطاولون على السلاطين. ومع ذلك، نتج عن تلك الحروب المستمرة، وعن انتقام الملوك من القبيلتين بـالتتالي، إضعـاف كل من الخلط وسفيـان واضطرارهم إلى مغادرة المنطقة. ويبدو أن قبـائل عربيـة أخرى حلت محلهم، نزحت من الشرق، واحتفظت بتلك الصفة التي كانت تميزها عن غيرها من قبائل المنطقة : الغربية، عبدة، مشنزاية.

وعلى إثـر دخول القبـائل العربيـة إلى المنطقة انـدمجت قبـائل بـربريـة ضمن النازحين الجدد، كمـا هو الشـأن بـالنسبة لصنهـاجة أزمـور أو بني دغـوغ، أو انسحبت إلى الهـوامش والأطراف كمـا هو الشأن بـالنسبة لمشنزايـة ورگراگـة وبني

مـاكـر. وبذلك تشير المصـادر البرتغـاليـة فـي مطلع القرن العاشر (16 م) إلى وجـود العنصـرين معـا، مع اختلاف واضح في الموقع ونمط العيش. فهي تذكر أن القبائل العربية كـانت تعيش في دواوير وتتبنى التـرحال، فـي حين استقر البرابرة في قرى محصنة.

ويمكن تقسيم القبائل العربية المستقرة بدكالة في مطلع القرن العشر (16 م) إلى ثلاث مجموعات :

ـ الشرقيـة التي كـانت تتفرع عنها ست قبـائل مستقرة بشرق المنطقة : أولاد فـرج، أولاد عمران إلسكـاون، أولاد سبيطـة، أولاد بـوعـزيـز، أولاد عمـران التحــتية، أولاد يعقوب.

ـ الغربية

ـ عبدة

أما القبائل البربرية فكانت ثلاثا : مشنزايـة وبني ماگر ورگراگة.

ومما لا شك فيه أن الفتن والحروب التي عـرفتها المنطقة، وهجرة سفيـان والخلط أدت إلى تراجع أعداد الدكاليين. إلا أن إمكـانات المنطقة وقدرتها علـى الانتعاش جعلتهـا حتى في فترة الأزمات التي عـرفهـا المغرب تشهـد كثـافة سكنيـة مهمـة أثـارت انتبـاه المؤلفين. فقـد شدد ابـن الخطيب على كثـافة سـاكنة بني مـاكـر، ووصف عمـران السهل الممتـد بين أسفي وأزمـور بقولـه : "هذا الوطـن المتكاثف العمـارة، أجم الماشيـة، المنبت الحلل، الغـاص على انفسـاح مداه بـالـراغيـة والثـاغيـة"، وهـو مـا شدد عليه ابن قنفذ بـدوره. وذكـر الـوزان أن دكـالـة كـانت في بـدايـة القـرن العـاشـر الهجـري كثيـرة السكــان إلى حــد أنهم تجرأوا على رفض دفع الضــرائب للوطاسيين، وأشـار إلى أن محاربيهم بلغـوا حوالـي مـائـة ألف، علما بأنه لم يخص بالذكر إلا العناصر العربية.

غير أن ساكنة دكالـة عرفت تراجعاً كبيراً بسبب الحروب التي أشعلها البـرتغاليون بـالمنطقة، ومـا نتج عنها من ردود فعل وطـاسيــة، وكـذا بسبب النــزوح الاضطــراري لبعض قبـائلهـا، خصوصاً بعد المجاعـة الكبرى التي عرفتهـا المنطقة سنة 1521 والتي اضطر فيها الدكاليون إلى بيع ذويهم قبل بيع أنفسهم لتجـار الـرقيق البـرتغـاليين والإسبـان بأثمـان بخسة إلى حد أن بعضهم أعطى نفسـه مقابل تعهد المشتري بضمان القوت. ومع ذلك كانت دكـالة دوما من أكثر مناطق المغـرب كثـافـة، وكـانت بـاستمـرار منطقـة هجـرة في اتجاه المناطق المغربية الأخرى.

لم تزدهر حركـة العمران بـدكـالـة التي بقيت لمدة طويلـة منطقـة رعي وزراعـة. ولم تعـرف دكالـة إلا ثلاث حواضـر : أسفي، أزمـور، والمدينـة الغـربيـة. وتـوجـد كل المدن على الساحل، أو على مقربة منه. فكـانت القرى قليلة، لم يـذكر الـوزان منهـا إلا ثمـاني، كـانت اثنتـان منهـا تـوجدان خـارج حدودها : مـرامير بالشيـاظمـة، وتمرتكوشت بالشـاوية، وكان من القرى الباقية ما كان مخربا (تيط) أو صغيراً (مائة بئر وبئر). وبقيت مـازيغن خربة لقرون طويلـة، ولم تنتعش بعد احتلال البرتغـاليين لهـا سنـة 1514، وبقيت مجـرد ثكنـة ثانويـة إلى حين إخلاء أزمور وأسفـي سنة 1541 واحتفاظ البرتغاليين بها إلى سنة 1769.

وظهـرت بدكـالـة أولى الزوايا المنظمـة في المغرب. فمن الطوائف الست التي عدها ابن قنفذ، كانت ثلاث بمنطقتنا : الشعيبيـون المنتسبـون إلى أبي شعيب أيـوب السـاريـة دفين أزمـور، والأمغـاريـون المستقـرون بتيـط، والـذين كـان رئيس طـائفتهم هـو أبـو عبـد اللـه أمغـار، والماجـريــون بأسفي المنتسبـون إلى أبـي محمـد صـالح. وكثـر الأوليـاء والفقـراء ومريدوهم، وكـانوا يجتمعون بالمئـات برباط شـاكر أو بسـاحل المحيط، بين تيط وأسفي حسب شهادة ابن قنفذ. وبـاستثنـاء طـائفة أبي شعيب الذي لم يخلف من يرث طريقته، عـرفت طـائفتـا أبي محمـد صـالح والأمغـاريين انتشـاراً واسعـاً وسـريعـاً. فقـد وصل نفـوذ الـزاويـة الأولـى إلى الســوس وورزازات، إلى حد أن فتوحها كـانت كلها من خـارج أسفي حسب شهادة أبي محمد صـالح نفسه. وينطبق الشيء نفسه على الأمغـاريين الـذين راكمـوا الثـروات وظهـائـر التقـديـر والاحترام وكثر مريدوهم والمنتسبون إليهم.

تسيطر بدكـالـة زراعة الحبـوب وتـربيـة المواشي. وتفتقـر المنطقـة للزراعـات السقـويـة ذات المردود العـالي التي كـانت منتشـرة بجـاراتهـا (الســوس وهسكـورة مثلاً)، فقـد بقيت دكالـة قليلة الاهتمـام بالجنـات والبساتين إلى حد أن الوزان اعتبر ذلك دليلاً على كسل سكانها.

كـانت المنطقـة كثيـرة الإنتـاج للحبـوب التي اعتـادت تصـديـرهـا للأندلس حتـى أن هذه الأخيـرة اعتمـدت عليهـا اعتمـاداً كبيراً كما يدل على ذلك مثل من أمثالها العامية. وكـانت كثـرة الحبـوب في المنطقـة، واحتيـاج البـرتغـال الـدائم لهـا من أهـم عـوامل اهتمـام ذلك البلـد بـالمنطقـة، وحـرصـه المبكر على التحكم فيهـا واحتكار إنتـاجها وأسواقهـا. فقد أصبح البـرتغـال يجلب من دكـالة كميـات كبيرة من الحبـوب بَـيّـنَـا أهميتهـا في محل آخر، وطرق ووسـائل الحصـول عليهـا. وحافظت المنطقة على صفتهـا هذه وبقيت إلى يومنا هذا من أكثر المناطق المغربية إنتاجا للحبوب.

اعتـاد الدكـاليون، حسب إشارات لابن الزيات، احتراف التجـارة ونقل فـائض منتجـات منطقتهم بحـراً إلى مـالقـة والبرتغـال. وكـانوا يعـرضون القمح على الخصـوص ويجلبون الفـواكـه. وسـرعـان مـا أصبحت أزمـور أولا، وتيـط وأسفي ثـانيـا، محج التجـار الإيطـاليين والفـرنسيين والكطلنيين والبرتغـاليين، وهـو مـا جعل تلك المرافئ تستفيـد من الطرق التجـارية الـداخليـة، وأصبحت نهايـة إحدى الطرق المرتبطـة بتجـارة الســودان. ونتج عن تـزايــد المبـادلات، وتــراكم التجارب والثروات، بروز كل خصـائص الطبقة التجارية من تسابق نحـو السلع واحتكار، ومحاولة تنحيـة المنافسين كما عــاينهـا ابـن الخطيب بأزمــور. كمــا وصف المؤلف نفســه

التحسن الذي طرأ على مستوى عيش سكانها. وقد تعززت هذه العلقية وتقوت أكثر بعد تزايد أعداد التجار الأوربيين خلال النصف الثاني من القرن التسع (15 م). فقد ذكر الإخباري البرتغالي (دو كويش) أن الأزموريين أصبحوا يقلدون البرتغاليين في اللباس وبناء الدور. وأشار الوزان إلى انعكاس الاتجار مع البرتغاليين على مستوى عيش الأزموريين وسكان تيط مع أنها كانت خربة.

وتعرضت دكالة لغزو برتغالي كان له الأثر السيء على تطورها اللاحق. وقد مر تحكم البرتغاليين في المنطقة عبر مرحلتين : مرحلة ولاء أولا، ثم احتلال مباشر لأهم حواضرها ثانيا.

تمت المرحلة الأولى خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع (15 م) : أسفي قبل موت الملك البرتغالي ألفونصو الخامس (28 غشت 1481)، أزمور : 1486. وكادت المدينة الغربية أن تعرف نفس المصير في مطلع القرن العاشر (16 م). وتميزت هذه المرحلة باقتصار البرتغاليين على ولاء اسمي لحكام الحاضرتين، واحتفاظهم بالهياكل السياسية القائمة. وكانت الغاية من هذا النوع من التحكم الذي لم يعتمد بالثغور المغربية الشمالية إبعاد العسكريين عن أسواق الحاضرتين الدكالية وعن المناطق الدكالية المرتبطة بها حفاظا على رواج أسواقها و ما كانت دكالة توفره للبرتغال ومراكزه التجارية بغرب أفريقيا من سلع.

أما المرحلة الثانية فتمت سنة 1508 بالنسبة لأسفي، و1513 بالنسبة لأزمور، و1514 بالنسبة لمازيغن وتيط. ونتج عن احتلال تلك الثغور انطلاق عمليات عسكرية استهدفت القرى والدواوير الدكالية. وعرف النفوذ البرتغالي بالمنطقة إشعاعاً سياسياً وعسكرياً لم تعرفه أية منطقة مغربية أخرى، وذلك لاستفادة الغزاة من عدة عوامل : سهولة التضاريس وانبساطها، ضعف الدولة الوطاسية وبعدها عن المنطقة، تناحر الشيوخ والأعيان والمساعدة الكبيرة التي قدمها بعضهم — كيحيى أو تعفوفت - للمسيحيين. وبذلك وصلت الغارات المنطلقة من أسفي إلى مشارف السوس جنوبا، وإلى منابع تانسيفت ومنطقة زمران الحالية شرقا. وعرّضت حامية أزمور منطقة الشاوية لغارات متتالية وصل مداها أحيانا إلى ضواحي الرباط. ونتج عن تلك العمليات العسكرية، وعن ردود فعل الوطاسيين، خراب المنطقة وتحطيم بنياتها الأساسية كالآبار مثلاً. وتقدر بعض الدراسات النتائج الديموغرافية للغزو بدكالة بنسبة تتراوح بين 34 و44٪ من الساكنة.

ولم تستطع المنطقة الانتعاش بعد تحرير آسفي وأزمور سنة 1541 لبقاء البرتغاليين كعنصر اضطراب وفتنة استمرارهم في احتلال مازيغن حتى سنة 1769 وكذا لعجز الدولة السعدية عن ضمان استقرار دائم للمنطقة. لذلك استمرت دكالة في معاناتها من المجاعات والأوبئة كما يؤكد ذلك *تقييد* يخص أسفي سنوات 1060 / 1062 هـ. وبتوالي سنوات الاضطراب والفتن، سيطر نمط الترحال على الاستقرار في سهل من أغنى سهول البلاد.

أ. بوشرب، *دكالة والغزو البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور*، الدار البيضاء، 1984 ؛ *والمصادر والمراجع* المذكورة في آخر الكتاب.

أحمد بوشرب

دكالة ـ عبدة (جهة -) تقع جهة دكالة ـ عبدة في المنطقة الاطلنتية الوسطى للمغرب. يحدها شمالا وغربا المحيط الاطلنتي. ويحدها شرقاً، إقليما قلعة السراغنة وسطات ومن الجنوب والجنوب الشرقي ولاية مراكش. ومن الجنوب والجنوب الغربي إقليم الصويرة. تمتد جهة دكالة - عبدة على مساحة 13285 كيلو متر مربع، مما يمثل 1.86 بالمائة من المساحة الاجمالية للتراب الوطني، وتتكون من إقليمين هما : إقليم الجديدة بالشمال وإقليم أسفي بالجنوب. يصل عدد الجماعات الحضرية والقروية بجهة دكالة ـ عبدة إلى 89 جماعة، يوجد 37 منها بإقليم أسفي و52 بإقليم الجديدة، وتعتبر مدينة أسفي مقر الجهة.

تطور التنظيم الترابي لهجة دكالة عبدة. عرف التنظيم الترابي لجهة دكالة ـ عبدة، تطوراً يمكن إجماله في ثلاثة أنماط، هي التنظيم المتجانس، والتنظيم الإستراتيجي، والتنظيم السياسي.

أولاً : التنظيم المتجانس قبل التدخل الاستعماري (قبل سنة 1912) لم تعرف جهة دكالة ـ عبدة تنظيماً جهوياً بالمفهوم الحديث، كان التنظيم الترابي يستند على الانتشار المجالي للقبائل وهي قبيلة دكالة شمالا وقبيلة عبدة في الجنوب الغربي وقبيلة احمر في الجنوب الشرقي. وعرف المجال الذي انتشرت فيه هذه القبائل إجمالاً بدكالة وذلك إلى حدود بداية القرن لعاشر (16 م) حيث استقرت قبيلتا عبدة وأحمر في الجهات التي توجد بها حاليا. كانت القبيلة وحدة ترابية واقتصادية أيضاً، لأن مبدأ التماسك لدى أفرادها ساهم في الدفاع عن المجال الرعي - زراعي والحفاظ على الحدود الترابية المتعارف عليها. ولا بد من الإشارة إلى أن دكالة ـ عبدة كانت تنتمي قبل التدخل الاستعماري إلى جهة مراكش التي كانت تمثل إحدى الجهات الكبرى لبلاد المخزن.

ثانياً : التنظيم الاستراتيجي لمنطقة دكالة ـ عبدة في العهد الاستعماري (1912 ـ1956). خضع التنظيم الترابي لمنطقة دكالة ـ عبدة في هذا العهد إلى نفوذ جهتين : الأولى عسكرية والثانية مدينة. أما الجهة العسكرية فهي جهة مراكش التي كانت تشمل تراب قبيلتي عبدة واحمر (إقليم أسفي حالياً). أما الجهة المدنية فهي جهة الدار البيضاء التي ضمت إليها تراب قبيلة دكالة (إقليم الجديدة حالياً). كان هاجس الأمن والمراقبة هو الدافع إلى التنظيم الجهوي في العهد الاستعماري. لهذا عمد المستعمر إلى تفتيت جهة

دكالة ـ عبدة.

ثالثاً : التنظيم السياسي في عهد الاستقلال (منذ سنة 1971). عرف التنظيم الترابي لمنطقة دكالة ـ عبدة تطوراً متباينا يمكن إجماله في فترتين :

الفترة الأولى : 1971 ـ 1996 : أصحبت منطقة دكالة ـ عبدة تنتمي إلى جهتين اقتصاديتين. أصبح إقليم الجديدة منذ سنة 1971 ينتمي إلى الجهة الاقتصادية الوسطى التي يوجد مركزها بمدينة الدار البيضاء. أما إقليم أسفي فأصبح ينتمي إلى الجهة الاقتصادية لتانسيفت. يلاحظ أنه لم يطرأ تحول في التنظيم الترابي بالنظر إلى الفترة الاستعمارية إذ أن الجهة الوسطى حلت محل جهة الدار البيضاء المدنية. كما أن جهة تانسيفت حلت محل جهة مراكش العسكرية. وقد ظل التنظيم الجهوي لدكالة ـ عبدة في هذه الفترة جامداً، إذ انحصر التنظيم في ترسيم الوحدات الترابية، في حين ظلت الهياكل السياسية جامدة.

الفترة الثانية : منذ سنة 1997 : أصبحت جهة دكالة ـ عبدة إحدى الجهات الست عشرة التي أحدثت بظهير شريف صدر بالجريدة الرسمية في شهر أبريل 1997 تحت عدد 4470. اعتماداً على مقاييس محددة، وأصبحت هذه الجهة تحمل اسم جهة دكالة ـ عبدة (مرسوم9 أبريل 1997). وقد خضع منطق تقسيم جهة دكالة ـ عبدة إلى مقاييس تاريخية وجغرافية. استندت المقاييس التاريخية إلى التاريخ الجهوي المشترك، إذ كانت الجهة قبل القرن العاشر (16 م)، مجالا لنفوذ قبيلة دكالة، وهو المجال الذي كان يوجد بين نهري أم الربيع وتانسيفت. كما خضعت معظم المدن الساحلية لهذه المنطقة للاحتلال البرتغالي وخاصة مدن أسفي ومازاغان (الجديدة حاليا) وأزمور. أما المقاييس الجغرافية للتقسيم الترابي للجهة فاستندت على البعد الاطلنتي، إذ تحظى الجهة بواجهة بحرية على المحيط الأطلنتي، يبلغ طولها ثلاثمائة كيلومتر من السواحل، وهو ما يمثل زهاء 12٪ من سواحل المملكة.



2 ـ المؤهلات والاختلالات الكبرى :

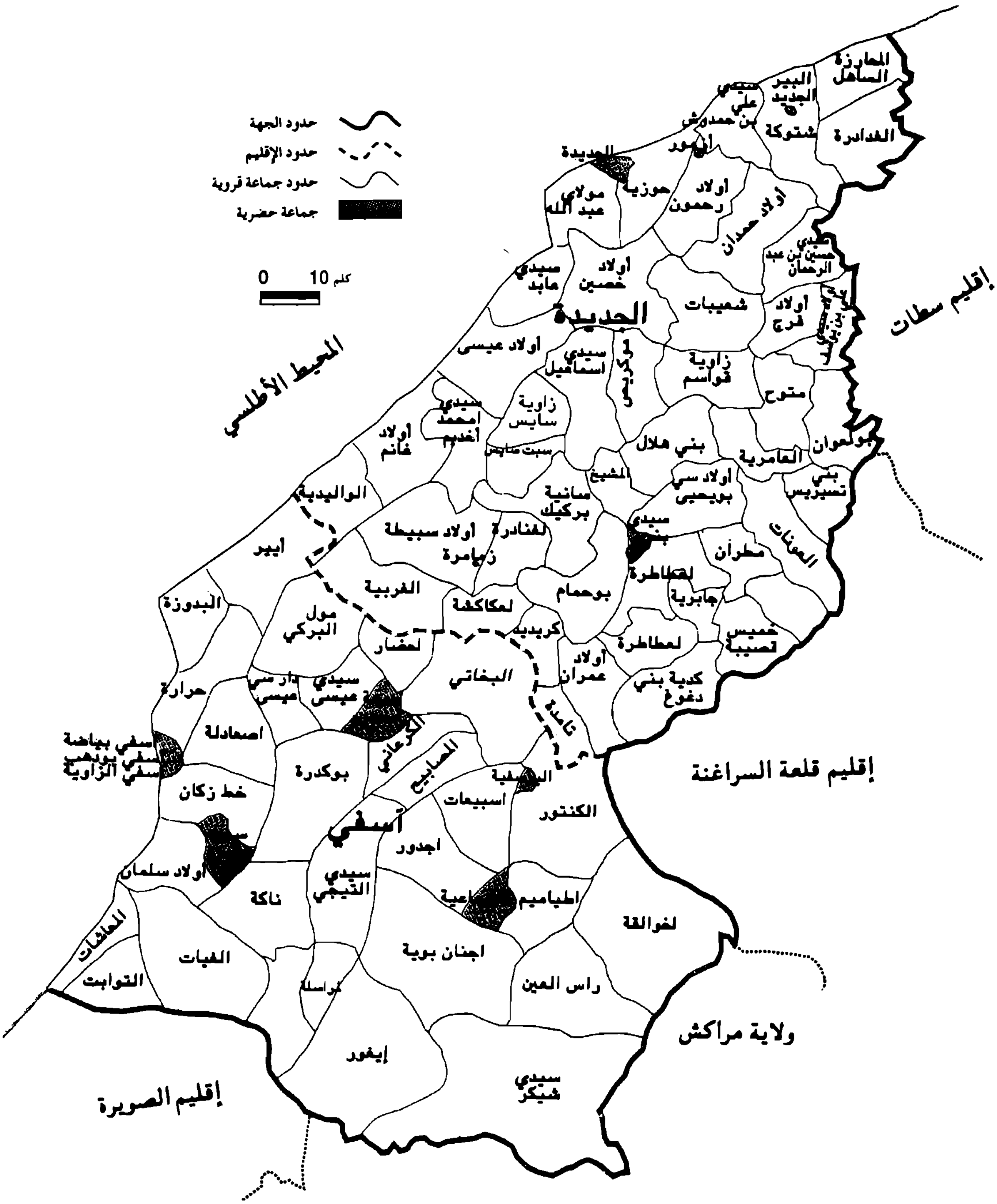
أولاً : مؤهلات جهة دكالة ـ عبدة يبلغ عدد السكان بجهة دكالة ـ عبدة، مليوناً وثمانمائة ألف نسمة (1.793458 نسمة) حسب إحصاء 1994 مما يمثل سبعة بالمائة (7٪) من سكان المغرب. وتصل الكثافة السكانية بالجهة إلى 135 نسمة في الكيلومتر المربع. يمثل السكان القرويون65,6٪ من سكان الجهة بينما يتوزع الباقي على الحواضر، وأهمها مدينة أسفي الحاضرة الأولى بالجهة ومركزها الإداري، حيث يصل عدد سكانها إلى أزيد من 260 ألف نسمة، متبوعة بمدينة الجديدة، إذ لا يتعدى عدد سكانها 120 ألف نسمة. أما باقي الحواضر فهي إما متوسطة أو صغرى وهي اليوسفية وجمعة سحيم والشماعية وسبت جزولة بإقليم أسفي ؛ ومدن أزمور والبئر الجديد وسيدي بنور وخميس الزمامرة بإقليم الجديدة. يستفيد سكان جهة دكالة ـ عبدة من المؤهلات التي تزخر بها وخاصة الفلاحة والصيد البحري والموارد المنجمية والتجهيزات الأساسية والأنشطة الصناعية.

تتوفر الجهة على زهاء مليون هكتار من الأراضي الصالحة للزراعة وهو ما يمثل 70٪ من تراب الجهة. وتزيد المساحات المسقية على 87 ألف هكتار. تحتل الحبوب 70 بالمائة من الإنتاج الفلاحي. أما المزروعات المروية فأهمها الشمندر السكري والبواكر، زيادة على إنتاج الكروم. يعتمد النشاط الفلاحي على تربية الماشية أيضاً (غنم وبقر ومعز) علما بأن الغطاء الغابوي لا يتعدى 40 ألف هكتار. تعد الفلاحة عصب الحياة لدى السكان القرويين إذ يشتغل بها زهاء 59٪ من السكان النشيطين بالجهة. أما الصيد البحري فيعد نشاطا أساسيا إذ تتوفر الجهة على زهاء 300 كيلومتر من السواحل أهمها سواحل أسفي التي اشتهرت بصيد السردين، إذ كانت أول منتج له بالمغرب.

تتوفر جهة دكالة ـ عبدة على موارد منجمية خاصة منها الفوسفاط الموجود بمناجم الكنتور قرب مدينة اليوسفية شرق مدينة أسفي، علاوة على توفر مدخرات هامة من الجبس شرق وجنوب شرق مدينة أسفي، وإنتاج الملح بكل من بحيرة زيمة شرق مدينة أسفي وبالسواحل الجنوبية لمدينة الجديدة.

تحظى الجهة بصناعات تحويلية هامة على الصعيد الوطني وهي الصناعات الكيماوية والفوسفورية بكل من مدينة أسفي وميناء الجرف الأصفر جنوب مدينة الجديدة. هذا علاوة على صناعات كهربائية وإليكترونية وغذائية. ويفوق عدد الوحدات الصناعية بها 240 وحدة، زيادة على الصناعة التقليدية التي تشتهر بها الجهة وخاصة صناعة الجلباب بإقليم الجديدة وصناعة الخزف بمدينة أسفي.

وتحظى جهة دكالة ـ عبدة بتجهيزات أساسية مساعدة على ازدهار النشاط الاقتصادي إذ تتوفر على موانئ هامة على الصعيد الوطني مثل ميناء الجرف الأصفر جنوب



التقسيم الاداري لجهة دكالة ـ عبدة

المصدر : المديرية الخرائطية
مديرية الإحصاء

مدينة الجديدة وميناء أسفي، الذي يختص في تصدير المواد الفوسفاطية الخام أو المحولة. وترتبط هذه الموانئ بشبكة السكك الحديدية الوطنية بخطين : خط الدار البيضاء الجرف الأصفر وخط ابن جرير اليوسفية أسفي.

ثانياً : الاختلالات الكبرى بجهة دكالة ـ عبدة. تعاني هذه الجهة دكالة ـ عبدة من عدة اختلالات تؤثر على مستقبل التنمية الجهوية، يمكن إجمالها في ثلاثة أصناف كبرى هي : اختلالات بيئية واختلالات في التجهيزات الأساسية واختلالات في التنمية البشرية.

أ ـ تتمثل الاختلالات البيئة الكبرى في ظاهرة الجفاف والضغط على السدم المائية والتلوث الصناعي : يتمثل الاختلال الأول في ظاهرة الجفاف وخاصة بإقليم أسفي بالجزء الجنوبي من الجهة، حيث تبين من رصد محطة أسفي لمدة تزيد عن خمسين سنة أن كمية التساقط المطرية تتناقص كل سنة بمعدل يفوق 1,5 (دراسة شخصية). والاختلال الثاني يتمثل في الضغط على السدم المائية ولا سيما بساحل جهة دكالة ـ عبدة مما تسبب في تزايد نسبة ملوحتها. أما الاختلال البيئي الثالث فهو التلوث الصناعي وخاصة بمدينة أسفي والجرف الأصفر حيث تتسبب المركبات الصناعية لتحويل الفوسفاط (مركبات كيماوية وفوسفورية) في قذف النفايات الصناعية السامة في البحر علاوة على الانبعاثات الكيماوية في الجو.

ب ـ الاختلالات في التجهيزات الأساسية، وتتمثل أساساً في تعثر تجهيز الأراضي السقوية وسوء وضعية الطرق وانعدام المطارات. إن برمجة سقي 64 ألف هكتار بقطاع دكالة ـ عبدة لم يكتمل، إذ من شأنه التخفيف من آثار الجفاف وخاصة بسهل عبدة. وقد شرع هذه السنة في تجهيز الشطر الأول الذي يقدر بحوالي 17300 ألف هكتار (*استراتيجية تنمية الري*). أما وضعية الطرق بجهة دكالة ـ عبدة فهي سيئة ؛ ومازال تنفيذ مشروع الطريق السيار الرابط بين مدينتي الدار البيضاء والجرف الأصفر قيد الانتظار رغم كثافة مرور السيارات بالطريق الرابطة بينهما. وأما الاختلال الثالث في التجهيزات الأساسية فهو انعدام المطارات بالجهة وخاصة بمدينتي أسفي والجديدة باعتبارهما مركزين صناعيين.

ج ـ الاختلالات في التنمية البشرية : تعاني جهة دكالة ـ عبدة من اختلالات اجتماعية نعبر عنها بضعف مستوى التنمية البشرية وخاصة على مستوى التمدرس والأمية ومستوى الصحة. فتمدرس الأطفال في سن (8 ـ 13 سنة) تقل نسبة عن 45٪ مع تفاوتات بين الذكور والإناث. ومازالت الأمية متفشية تصل إلى 46,4٪ حسب إحصاء 1994، بل تصل بالوسط القروي إلى 80 بالمائة. أما الصحة بجهة دكالة ـ عبدة، فتعاني من خلل في توزيع التجهيزات بين الوسط القروي والحضري، علماً بأن المعدل العام للجهة هو مستوصف لكل 15 ألف نسمة (*الحوار الوطني حول إعداد التراب*).

م. الأسعد،2000، *تكون الشخصية المجالية لإقليم أسفي*، من الحقبة القديمة إلى الفترة المعاصرة، نشر في كتاب *تاريخ إقليم أسفي، من الحقبة القديمة إلى الفترة المعاصرة*، إعداد محمد الأسعد، *دفاتر دكالة ـ عبدة*، رقم1 ، سلسلة بحوث ودراسات منشورات مؤسسة دكالة ـ عبدة للثقافة والتنمية، ص. 17 ـ 33، الدار البيضاء، *مرسوم 9 أبريل من سنة 1997* حددت فيه مقاييس تقسيم الجهات وكذا أسماؤها النهائية ؛ وزارة الفلاحة والتنمية القروية والصيد البحري، *استراتيجية تنمية الري في أفق 2020*، المناظرة الوطنية للفلاحة والتنمية القروية، 19 و20 يوليوز 2000 سلا ؛ وزارة إعداد التراب الوطني والبيئة والتعمير والاسكان، جهة *دكالة ـ عبدة، الحوار الوطني حول إعداد التراب، عناصر تمهيدية*، ص. 23، 27 فبراير، 2000.

محمد الأسعد

باب **دكالة** بمراكش، يقع وسط الواجهة الغربية من سوق مراكش، يحده شمالا باب الرخا وجنوبا باب مسوفة (*مسالك الأبصار*، 134) يرجع تاريخ تأسيسه إلى زمن حكم المرابطين، حيث ورد ذكره في سياق أحداث تعود إلى هذه الفترة. فمنه دخل علي بن يوسف عقب تراجع جيوشه أمام قوات الموحدين أثناء عمليات البحيرة (*نظم الجمان* : 166). ومنه تمكن جيش عبد المومن خلال حصار 541 / 1147 من اقتحام المدينة من جهة الغرب (*أخبار المهدي* : 63). وفي زمن حكم الموحدين كان منه الخروج الرسمي للجيش من العاصمة من أجل الجواز إلى الأندلس (*المن بالإمامة* : 349 ـ *البيان* : ق. م. 157). وعُلقت عليه رؤوس بعض زعماء عرب الخلط عام 659 / 1260 (*البيان* : ق. م. 427).

لتسمية الباب علاقة بالاتجاه الذي يؤدي إليه خارج مراكش، وهو جهة دكالة. ومن المرجّح أن الموطن الجغرافي لهذه الباب جعل منه بوابة المدينة المؤدية إلى المحيط، ونهاية مسلك تجاري بينها وجهة دكالة. فهذه الأخيرة كانت تؤمن حاجيات مراكش من الجنوب (*أخبار المهدي* : 63 ـ *البيان*، 4 / 19)، وشكلت واجهتها البحرية منفذاً للمدينة على الأطلس عبر مازيغان (*البيان* : ق. م. 344) وأزمور (*البيان* : ق. م. 46) إلى جانب أسفي (*البيان* : ق. م. 465) وأكوز (*التشوف* : 355 و*مقدمة المحقق* : 24).

يتكون باب دكالة من باب خارجي وآخر داخلي، بينهما منعرجان وفضاء مكشوف. يحيط بالباب الخارجي برجان غير متساويين (*Les portes*, 107)، الزخارف محدودة، منعدمة في الباب الخارجي، وبسيطة في الباب الداخلي.

كان يوجد بالقرب من باب دكالة مسجد درس فيه العالم اللغوي أبو موسى الجزولي في بداية إقامته بمراكش (*الذيل والتكملة*، 8 / 1 / 249)، ومنذ عهد السعديين أصبح أقرب باب إلى حارة الجَذْماء بعد ما تحولت من

خارج باب اغمات إلى خارج باب دكالة : Marrakech, 1)
.589 - 590)

ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، تح. ع. الهادي التازي، بيروت، 1987 ؛ ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1984 ؛ البيدق، *أخبار المهدي بن تومرت*، الرباط، 1971 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. محمود علي مكي، بيروت، 1990 ؛ ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة، السفر الثامن*، تح. م. بنشريفة، الرباط، 1984 ؛ ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار*، تح. مصطفى أبو ضيف، الدار البيضاء، 1988 ؛ ابن عذاري، *البيان*، الجزء الرابع، تح. إحسان عباس، بيروت، 1967 ؛ ابن عذاري، *البيان*، ق. م. تح.، الكتاني، زنيبر، ابن تاويت، زمامة، الدار البيضاء، 1985.

Ch. Allain et G. Deverdun, *Les portes anciennes de Marrakech*, *Hesp.*, T. XLIV, 1957 ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, 2 tomes, Rabat, 1959.

محمد رابطة الدين

الدكالي، الرباطي **مصطفى** بن الجيلالي، وردت إشارات عديدة في وثائق القرن الثالث عشر (19م)، وبالخصوص التي ترجع إلى عهدي السلطانين : مولاي عبد الرحمن بن هشام (1822 ـ 1859)، وخلفه سيدي مُحمد (1859 ـ 1873)، إلى أسرة الدكالي الرباطية، وعلى رأسها المصطفى بن الجيلالي الدكالي الذي يُعتبر بحق نموذج رجل الأعمال المغربي الذي عرف كيف يستفيد من دور الوسيط بين المغرب وأوربا للإثراء، والتدرج في الهرم الاجتماعي.

ولئن ورد كذلك ذكر أفراد آخرين من هذه الأسرة في مصادرنا الوطنية والأجنبية، كابنه مُحمد بن مصطفى الذي آل إليه أمر تسيير شؤون وأعمال والده التجارية، بعد وفاته أواخر شهر دجنبر 1863، وأخيه أحمد بن الجيلالي الدكالي، فلا أحد من الرجلين استطاع تبوُّأ المكانة الرفيعة والمتميزة التي كانت لمصطفى الدكالي لدى العاهلين المذكورين، بل إنهما لم يقتديا بسلوكه وتعقله ورصانته، إذ انغمسا في مُغامرات وحبك دسائس ضد الغير والسطو على مملكاته، وهو ما أفقد هما كُلَّ مصداقية وحرمهما من ثقة السلطان إلى درجة صدرت الأوامر، في آخر المطاف بإلقاء القبض عليهما، ومن ثَـمَّ تعرض المخزن وأعوانه الكبار إلى ضغوط وانتقادات عديدة من طرف رؤساء بعض المفوضيات الأوربية بطنجة، وبالخصوص الإيطالية والألمانية، حيث كان مُحمد الدكالي المذكور حاملاً للحماية الإيطالية، قبل أن يحصل على الجنسية الإيطالية فيما بعد، بينما جنح عمه أحمد إلى الاحتماء بألمانيا أول الأمر، ثم بأمريكا فيما بعد، علماً بأن مصطفى الدكالي نفسه كان قد دلّهم على الطريق باتخاذه الحماية الإيطالية.

ومعلوم أنه كان من شأن نجاح الدكالي وأمثاله في عالم التجارة والمال وتبوئهم مكانة مرموقة ومتميزة في المجتمع، والاضطلاع بمهام سامية في الجهاز المخزني، أن استلفت أنظار معاصريه، واستأثر باهتمامهم، بل أذكى مشاعر *الحسرة والأسف والحقد والامتعاض في نفس بعض الكُتّاب* والفقهاء وأعوان المخزن. ونلمس ذلك بوضوح من كلام صاحب كتاب *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط* في سياق حديثه عن عهد السلطان المولى الحسن (1873 ـ 1894)، حيث كتب يقول :

"... ومع ذلك ففي عهده تأكّدت المُواصلة بدول أوربا، وعظمت التجارة، وكثرت الأموال بين الناس، فتأنقوا في المصانع والأبنية، وبلغ أهل المغرب من الرفاهية مبلغا لم يبلغه أسلافهم. وكانت تلك الأيام على ما فيها من كثرة الغزوات والحركات كلها خيرات ومبرات وبركات، لم يكدر صفوها إلاّ تسرب أقوام من التجار للمناصب السامية والمراتب العالية، فارتفعت منزلتهم، ونفذت كلمتهم، وصار بيدهم الحل والعقد، والأخذ والرد..."

ويتراءى لنا من هذه الوثائق كذلك أن ازدهار أعمال مصطفى الدكالي، قد اقترن أساساً بسياسة الاحتكارات التي كان ينهجها المولى عبد الرحمن بن هشام، في مجال تجارة المغرب الخارجية، وبالخصوص في فترة ما قبل سنة 1856 أي تاريخ إبرام معاهدة السلم والصداقة. المشفوعة باتفاقية تجارية وبحرية، والتي اضطر السلطان المذكور إلى عقدها مع بريطانيا العظمى، تحت ضغوط وتهديدات مختلفة. ومما ينبغي ذكره هنا، أن جان لوي مييج (Jean-Louis Miège) أفرد في مُؤلفه *"أوربا والمغرب*، 1830 ـ 1994، صفحات للحديث عن سياسة المولى عبد الرحمن الاقتصادية هذه، وعمن كان يستفيد منها من أفراد حاشيته، كالوزير المختار بن عبد المالك الجامعي مثلاً، وكذلك عن شخصية التاجر مصطفى الدكالي اللامعة، وما كان يمثله هذا الرجل ويرمز إليه اجتماعيا واقتصاديا، في مغرب أواسط القرن الماضي، مسهبا القول في الجوانب والعواقب السلبية لهذه السياسة، بالنسبة لعموم المغاربة من جهة، وللتجار الأوربيين وشركائهم ومُخالطيهم من المغاربة من جهة أخرى، مُتغافلا عن ذكر المرامي الحقيقية للمخزن التي كان يسعى إلى تحقيقها، وتتمثل قبل كل شيء في ضمان موارد قارّة ومنتظمة لبيت المال بهدف تمويل الخُطط والمشاريع التي كان المولى عبد الرحمن بن هشام، ثم ولده سيدي محمد، قد عقدا العزم على إنجازها في عدد من الميادين، وبالخصوص في قطاعات الجيش والإدارة والتجهيزات التحتية.

وأمّا مجال نشاط كل من مصطفى الدكالي وابنه محمد على الخصوص، فكان يشمل قطاع المناجم، وتصدير مواد أولية وفلاحية : كالعلف، والفرشي، والدبغ، والجلود، والأصواف، والحبوب... وكان يتم لهما الاتجار في هذه المواد كلها أو في بعضها، بعد الحصول على ترخيص خاص من السلطان طبعا، علاوة على ما كانا يستفيدانه من

التسهيلات والمساعدات التي تُقدم إلى مجموعة من التجار الكبار مسلمين ويهو كإسقاط أداء بعض الواجبات على عددمن صادراتهم، أو التوسعة عليهم في أداء ما يكون قد ترتّب عليهم من الضرائب، والسماح لهم بتقسيط مبلغها على عدد من الشهور.

وحول هذا الجانب، تُحدثنا رسالة السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام إلى عامل العرائش وطنجة، بوسلهام بن علي أزطوط، بتاريخ 21 مايو 1847، عن السماح للتاجر مصطفى الدكالي وشريكه المكي بن عبد الرحمن القباج، باستغلال منجمين كانت تكتنزهما جبال غُمارة : الأول بتراب قبيلة وادراس، والثاني بقبيلة أنجرة، قرب مدينة تطوان، مُدّة عشرين سنة، مع الإعفاء من أداء الرسوم الجمركية على كميات المعدن المستخرجة عند تصديرها، على أن يتسلم المخزن قيمة رُبُع الإنتاج، ويحتفظان بالثلاثة أرباع الباقية. وفي هذا الصدد، تفيد رسالة مماثلة للسابقة، وجهها العاهل المذكور إلى نفس العامل، مفادها أنه بعد مُضي سنة ونصف بالتقريب على هذا التاريخ، كان المنجمان المذكوران قد دخلا مرحلة الإنتاج منذ مدة، حيث ورد فيها ما يلي :

"... ثمّ إن خديمنا أشعاش كتب لنا بأنه ورد على الأمين الذي أمرناه بتعيينه مع مخزنيين، للوقوف على وسق حجر معدن مصطفى والقباج أمين من طنجة، ومخزني من الجيش الريفي، وخليفة شيخ أنجرة..."

وذكرت وثيقة حُررت في آخر شهر شعبان من سنة 1271، الموافق 17 مايو 1855، أي أياماً معدودات بعد وفاة التاجر المكي القباج المذكور، أن الديون المترتبة عليه وعلى شريكه مصطفى الدكالي، في الفترة المتراوحة ما بين رجب 1262 وشعبان 1271، أي خلال تسع سنوات ونيف، وذلك مما سبق أن اشتريا به "كنطردة العلف، والبقري، ودار الضرب، والدبغ، والدجاج، والأعشار..." قد بلغت ما قدره 758846 مثقال في مرسى طنجة وحدها، دون اعتبار ما كان بذمتهما من مثل هذه الديون لفائدة المخزن، في مراسي ومدن أخرى، كتطوان، والعرائش والعُدوتين الرباط وسلا، والدار البيضاء، والجديدة....، الشيء الذي يعطينا فكرة ولو تقريبية عن حجم وأهمية مدى اتساع تجارة وأعمال هذين الرجلين.

على أن وثيقة مماثلة لهذه قد تضمنت مجموعة من الملاحظات السلبية، أبداها مهندس إنجليزي استقدمه المخزن من مدينة جبل طارق على يد التاجر سعيد جسوس، قنصل المغرب بها، لإجراء خبرة على أجزاء وآلات معمل السكر الذي كان السلطان سيدي مُحمد بن عبد الرحمن قد عهد بإنشائه بجوار القصر السلطاني بمراكش، إلى التاجر محمد الدكالي، حيث أثبت في تقريره عيوبا ونقائص عدة في أجزائه وقطعه، وفي طريقة تركيبها وتشغيلها. وهذا يعني أمرين اثنين لا ثالث لهما : فإما أن تكون الشركة الأوربية التي زودت الدكالي المذكور قد سلمته آلات وتجهيزات مُعيبة وغير متقنة الصنع، وأنه لم يكن على بينة من المسألة، وإما أن يكون هو نفسه قد شارك وخاض في الغش والتدليس.

وأيا كان الأمر، فإنه من الواضح والمُحقق أن المصطفى الدكالي، وابنه محمد، وأخاه أحمد، قد عرفوا كيف يستغلون الظروف والمناسبات التي أتاحها لهم ولأمثالهم من التجار انفتاح البلاد تدريجياً على الخارج، على امتداد القرن التاسع عشر، وكيف يتكيفون مع الأوضاع المستجدة للإثراء من جهة، وللاضطلاع بدور نشيط وبارز في مساعي ومشاريع المخزن الرامية إلى تجهيز البلاد بمنشآت صناعية حديثة : مدينة وعسكرية من جهة أخرى علماً أنّ هؤلاء الدكاليين لم ينخرطوا في الوظائف المخزنية، إذ ظلوا بمعزل عنها، مكتفين بدور الوسيط التجاري النشيط وغيره مما كان يكلفهم به السلطان من مهام وأغراض من حين لآخر، خلافا لما حدث لعدد كبير من أقرانهم : كآل الزبدي، وبركاش، وفرج، وبريشة، والطريس مثلاً والذين زاوجوا بين المنصب المخزني والعمل التجاري.

خ. ح، *محفظة مولاي عبد الرحمن بن هشام*، رقم 21 / 20 45 ؛ م. و. م. ر، محفظة *طنجة* ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ج. 3، ص 313.

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europr (1830 - 1894)*, Paris, 1963, t. 2.

مصطفى الشابي

الدكالي، سالم باشا، من عبيد البخاري، يحتل صدارة الأحداث بعد موت المولى إسماعيل ويخوض مغامرات سياسية ومعارك دموية مغيراً ولاءه من أمير إلى آخر، فاستغل بذلك مركزه القيادي لاثنين وعشرين الف فارس من العبيد ليحوك دسائسه إرضاء لمزاجه ورغبته في الاستحواذ على السلطة الفعلية باحثاً عن سلطان ضعيف لا يترك له إلا الاسم والخطبة ويجعله ينفذ مخططه السياسي وما يحمله من وبال وهلاك للبلاد والعباد. وما كادت تمضي سنتان على وفاة المولى إسماعيل حتى نراه يقوم بالوساطة بين السلطان أحمد الذهبي وأخيه المخلوع عبد المالك المحتمي بضريح المولى إدريس بفاس وذلك بتاريخ 21 جمادى الأولى عام 1141 وفي هذا الموضوع يروي المؤرخ أحمد الناصري الحدث التالي : "فقدم عليه الباشا سالم الدكالي في خمسين من القواد وعاهدوه بالحرم الإدريسي أن لا يصيبه مكروه فخرجوا به حتى قدموا به على أخيه" ...

والغريب في الأمر أنه بعد لقاء الأخوين بمدة وجيزة لقي كل منهما حتفه. فالأول كما قيل مات مسموماً ولما اشتد به المرض أوصى بقتل أخيه عبد المالك وهذا ما تم فعلاً بعد يومين من وفاة أحمد الذهبي وبعد وفاة هذين الأميرين بويع لأخيهما، المولى عبد الله، غير أن سالم الدكالي تجرأ على

التمـرد وأعلن خلع السلطـان والمنـاداة بعلي الأعـرج بن إسماعيل ملكاً على البلاد في ربيع الثاني سنة 1147 ولما عـزم السلطان الجديد على محاصـرة فاس في رمضان من نفس السنـة أشار عليـه سـالم الـدكالي بـأن حصـار فـاس سيسفر عن نتائج سلبية وينبغي العدول عنه. وهذا ما ذكره القادري في *نشر المثاني* : "وقال له رئيسهم سالم الدكالي : إن حصار فاس ينهض الفتن بالمغرب ويكثر النهب والغارات بين القبائل فتقطع الطرق ويشتد الغلاء وتكون الكرة لأخيك مولانا عبد الله فرجع عن ذلك" ...

ودسـائس سالم الـدكالي متعددة لم تسلم منهـا حتى السيـدة الحرة خناثة بنت بكار زوجة المولى إسماعيل والـدة السلطـان المولى عبـد الله فقـد زين للسلطـان علي الأعـرج إساءة معاملتها والتضييق على حفيـدها محمد بن عبد الله وأوهمه بأنها تختزن الأموال.

وفي ربيع الأول سنـة 1148 ترأس سالم الدكالي حركة من عبيد البخاري لمحاربة السلطان المخلوع المولى عبد الله المقيم بتارودانت عقب عودته من وادي نون غير أنه أوقف حركته لما وصل إلى حاحا ولم يجرؤ على اقتحام تارودانت.

وفي أواخر سنة 1148 وصل المولى عبد الله إلى تـادلا فـانقلب ميـزان القـوى لصـالحه وتخلى العبيـد عن سـالم الـدكالي ففـر المولى علي ولجا البـاشا إلى ضـريح المولى إدريس بـزرهـون. ومن هنـا سـولت لـه نفسـه رغم هـزيمتـه الاستمـرار في بث الفتن وإعلان البيعـة غيـر الشـرعيـة ومخالفة الجماعة. ومن هذه المدينة كتب إلى أهل فاس باسم الديوان يخبرهم ببيعة السلطان محمد بن إسماعيل المعروف بولد عربية ويقول لهم بأن المشورة لعلمائهم. فأجابوه بأنهم تبع للديوان معتقدين بأن كتابه لهم صحيح ولما علم قـادة الـديوان كذبـة سالم الـدكالي عليهم بأنهم بـايعوا محمـداً دخلوا عليه الضريح وأخرجوه مكبلا مع صحبه ووجهـوهم إلى تادلا مع ألف من الوصفان ليقضي السلطان المولى عبد الله في أمرهم، فاستفتى فيهم القاضي أبا عنان فأصدر في حقهم حكم الموت.

ويحكي الضعيف أن حكم الإعدام نفذ فيهم بـالطريقة التالية : وضع كل معتقل في كيس من الكتـان وشُدّ وثاقه وألقي في نهر أم الربيع في شهر محرم 1149 / ماي - جوان 1736. ولكن مـوت سـالم الـدكـالي وجماعتـه لـم يضع حدا للفتن ولم يحد من مغـامرات بـاشاوات العبيـد والصراع على الحكم زهاء عقدين من الزمن.

م. القادري، *نشر المثاني*، ج 3، م. القـادري، تح، م. حجي وأ. التوفيق، م. الضعيف *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري ؛ م. أكنسـوس، *الجيش العرمرم لأبي عبد الله محمد*، ج 1، تح. أحمد الكنسوسي ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 7 ؛ ع. الرحمان بن زيدان، *الإتحاف*، ج 3 و4 و5.

محمد ماگمان

الدكّالي السلوي ← ابن **علي** (أحمد ومحمد)

الدكالي، السبتي يحيى أبو زكرياء من كبار فقهاء سبتـة خلال النصف الأول من القـرن الثـامن (14 م). كـان حافظاً نـاقداً ذكيـاً عالما بـالأصول ذاكراً للمسائل الفقهيـة واشتهـر أيضـاً بجمـال خطه ورونقـه إلى درجـة أنه لا يحتـاج لمقابلة ولا لتصحيح. يعتقد أنه استمر على قيد الحياة حتى سنة723 / 1323.

أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، ص. 543 - 544 ؛ درة الحجال، تح. م. الأحمدي أبو النور، 1971، القاهرة، 1971، الجزء الثالث، ص. 332 - 333 ؛ أ. بَـابَ التنبكتي، *نيل الابتهاج*، بدون تاريخ، ص. 356.

رشيد السلامي

الدكالي السلوي ← ابن **علي الدكالي** (أحمد ومحمد)

الدكالي السلوي، أبو **موسى**، من كبار أولياء مدينة سلا اشتهـر بـزهده وكـرامـاتـه المتعددة، كـان يسكن بفنـدق الزيت المعروف بفندق أسكور بحومة باب حساين وهو المحل الذي سيتخذه أبو عنان المريني مارستانا - المحكمة الشرعية حاليـاً -. كـان أبو مـوسى الـدكالي (سيـدي مـوسى) مثـال الاستقامة والنزاهة لكل السلويين. ومن كراماته اختصـار الطريق وطيها. فكـان إذا أقبلت أيام الحج تغيب عن الناس متعللا بزيـارة أهله، وبقي على هذا الحال اثنتي عشـرة سنة احتل خلالهـا مكـانـة متميـزة عنـد أتبـاعه وعنـد السلـويين عمـومـاً. وتجلـى ذلك عنـد مـوتـه حيث ازدحم النـاس على نعشه، وتنافست الطوائف فيما بينها من أجل الظفر بدفنه. وهكذا دفن أولا بـروضة بني القـاسم بن عشرة ثم نقـل منها بعد سبعة أيام لقبره الحالي، نقلته امرأة موسرة تدعى ملالة بنت زيـادة اللـه، وبنت عليــه قبـة. وقـد جـددهـا المولى إسماعيل بعد بناء قصبة عسكرية بجوارها عام 1742، وهي المعروفة بقصبة اگنـاوة وفي عام 1159 / 46. 1747 نظم أحمد بن عـاشـر الحافي قصيـدة نـونيـة نقشت في دربـوز الشيخ الـدكالي، وكناه بأبي عمـران، وجعل اسمه مـوسى كمـا هـو مشهـور كـان لسـان عـامـة أهل المدينـة. ونشيـر إلى أن السلويين وقبائل بني حسن، والسهول وغيرهم كانوا يقيمون في صيف كل سنة مـوسماً كثيـراً بإزاء ضـريح أبي مـوسى، يحضـره جمهـور التجـار ووفـود القبـائـل المجاورة طـوائف حمـادشـة واگنـاوة وعيسـاوة. وقـد كتب أحمد التـوفيق قبل سنتين روايـة نـاجحة استوحاهـا من بعض مـواقف هذا الشيخ بعنوان : *جارات أبي موسى*.

توفي أبو موسي الدكالي بعد عام550 / 55 - 1156.

ي. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الرباط 1404 / 1984؛ ابن علي الدكالي السلوي، *الإتحاف الوجيز*، تح. م. بوشعراء، 1406 / 1986 / ص. 84 ؛ أ. الصبيحي، أنموذج في تاريخ سلا، مخ. ص. خ. بسلا، رقم 435 ص. 22.
I. Alaoui [et al...], *Salé cité millenaire*, 1997 ; N. G Salmon, *Notes sur Salé*, *A. M.* III, 1905.

محمد السعديين

الدكالي الصّديكي، أبو شعيب بن عبد الرحمان، شيخ السلفية بالمغرب يعرف في دكالة بيته بالصديقات، وهو من أولاد عمروالمستوطنين قرب مدينة الغربية المعروفة قديماً بمدينة مشنزاية، كثر فيهم العلم والصلاح ومن بين علماء هذا البيت جد أبي شعيب، أبو فارس عبد العزيز وعماه أبو شعيب ومحمد ابنا عبد العزيز وغيرهم.

ولد المترجم في رجب 1295 / 1876 بالصديقات، وتلقى تعليمه الأول بقبيلته على يد عدد من العلماء أمثال ابن عزوز ومحمد الصديقي ومحمد الطاهر الصديقي قاضي مراكش. انتقل إلى الريف وطنجة حيث أقبل على دروس الفقه والحديث والقراءات. وقد أظهر في طفولته نبوغاً مبكراً، وكان السلطان الحسن الأول قد أدخله إلى حضرته وهو لا يتجاوز الرابعة عشرة من عمره واجرى له اختباراً لما سمع عن حفظه وذكائه، سنة 1308 / 1891، وقد أعجب به وأجزل له العطاء وأمضى له توقيعاً مع صلتيْن وكسوتين هذا نصه : "يضاعف لأبي شعيب لصغر سنه وكبر فنه".



في سنة 1315 / 1897 رحل إلى مصر ودرس على علماء الأزهر أمثال سليم البشرى ومحمد بخيت ومحمد محمود الشنجيطي، وأحمد الرفاعي وغيرهم. وقصد مكة المكرمة بطلب من أميرها وأخذ عن جل علمائها واستجاز هناك كثيراً من شيوخ العلم ومن بعض البلاد العربية الأخرى من : يمنيين وعراقيين وشاميين وهنود، وأحرز هناك على مكانة هامة عند أمير مكة الشريف عون الرفيق الذي كان يقدمه في مجالس العلماء وتولى هناك وظيفة الخطابة في الحرم المكي والإفتاء على المذاهب الأربعة.

وفي سنة 1325 / 1907 رجع الشيخ أبو شعيب إلى المغرب وفي العاصمة فاس حظي بإكرام السلطان المولى عبد الحفيظ وتهافت عليه العلماء والطلبة في الوقت الذي أخذ على نفسه الشروع في محاربة البدع ونصر السنة ومقاومة الخرافات والاباطيل السائدة في ذلك الوقت. وفي سنة 1328 / 1910 أرسله السلطان المولى عبد الحفيظ إلى الحجاز ليشتري أملاكا تحبّس على الحرمين فقام بذلك وأحرز على شهرة كبيرة في مجموع البلاد العربية، ولما عاد إلى المغرب ولاه المولى عبد الحفيظ قضاء مراكش فبرهن عن كفاءة وصدق وأمانة مما أهله لأن يتقلد منصب وزير العدل والمعارف في الوقت الذي أنشئت هذه الوزارة في أولى سنوات الحماية سنة 1331 / 1912 ، ثم أضيف إليه الاستئناف فيما بعد.

وكان ليوطى قد انتدبه لإعطاء دروس دينية في الحديث والفقه يلقنها لفئة من الطلبة النجباء الذين تكونوا في اللغة الفرنسية كجعفر ومحمد الناصري وأحمد بن عبد الرحمان برگاش وإدريس بن الجيلاني.

وعندما عيّن الشيخ أبو شعيب وزيراً للعدل أظهر مراقف صارمة في الحق سواء إزاء بعض أعضاء المخزن أو ضد سلطات الحماية، وكان اعتراضه على التوقيع على قرار وزاري مضمونه إحداث مكان للبغاء بمدينة القنيطرة سبباً في فصله عن وظيفته.

أحرز على الرياسة العلمية في الدروس التي كانت تلقى أمام السلطان مولاي يوسف وأخيه من قبله المولى عبد الحفيظ، وكذلك محمد بن يوسف في السنوات الأولى من ملكه، وقد أنعم عليه هذا الأخير بوسام علوي من درجة ضابط كبير.

اشتهرت دروسه الحديثية سواء في فاس التي ندر من علمائها من لم يحضرها. وكانت دروساً تشهد على طاقة واطلاع نادرين، وفي الجامعات التي ألقاها فيها كالازهر والزيتونة حيث كان لدروسه وقع كبير. وظل يلقي دروسه السلفية بالرباط مدة خمس وعشرين سنة، في الزاوية الناصرية وفي المسجد الأعظم وضريح سيدي فاتح ومسجد القبة فانتشرت أفكار السلفية بين الشبان وانفتح الصراع بين الشباب والشيوخ، امتد ذلك التأثير إلى الجزائر أثناء العشرينيات الميلادية وأخذ الشبان الملتفون حوله يوزعون الكتب التي كان يطبعها السلفيون بمصر ويطوفون معه لقطع الأشجار المتبرك بها وإزالة الأحجار المعتقد فيها.

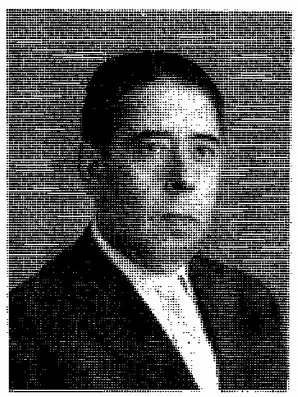
كانت الأفكار السلفية من العوامل الفكرية الأساسية التي أدت إلى نشوء الحركة الوطنية المغربية إذ تأثر الوطنيون بها ولم تلبث أن طعّمت وتقوت بظهور شخصية سلفية أخرى هي شخصية الشيخ محمد بن العربي العلوي.

عانى الشيخ أبو شعيب الدكالي من داء شديد لزمه مدة طويلة إلى أن توفي ليلة السبت 8 جمادى الأولى 1356 / 17 يوليوز 1937 بالرباط، ودفن بضريح مولاي المكي.

ع. اللــه الجراري، من *أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*، الرباط، 1969 ؛ *المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي*، سلسلة شخصيات مغربية، طبعة 1396 / 1976، الدار البيضاء ؛ ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب*، الرباط، 1980، الطبعة الرابعة.

عبد الإله الفاسي

الدكالي الصديكي، عبد الرحمن ابن الشيخ أبي شعيب الدكالي سابق الترجمة. وُلد حوالي سنة 1327 / 1909 بمكة المكرمة من أمّ من الجزيرة العربية، وتربّى ونشأ في أحضان والده الشيخ أبي شعيب وتلقّى تعليمه الأول على يده، فأخذ عنه علوم اللغة العربية وآدابها والشعر والخطابة وعلوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكان أنجب تلاميذه. ثم تتلمذ على علماء مدينة الرباط قبل أن ينتقل إلى مصر ليدرس في كلية دار العلوم. وقد حرر المترجم له يوم كان طالباً بمصر نداء موجهاً للعالم الإسلامي للتنديد بالظهير البربري (1930) نشرته الصحف الشرقية في ذلك الوقت ونقله في تفسيره الشيخ طنطاوي الجوهري. انحاز عبد الرحمان الدكالي منذ صباه إلى الحركة الوطنية. ويقول عنه عبد العزيز بن عبد الله : "أشهد الله أني عرفت الشيخ عبد الرحمان الدكالي معرفة وُثوق وخبرة



منذ الصبا وأيام الطلب يوم كان الشعب المغربي يقصد هذا البيت الرحيب بيت أبي شعيب الدكالي الذي كان معقلا للوطنية الصادقة أيام الاستعمار وخصوصاً أيام الاحتفال بعيد العرش يوم 18 نونبر، فكانت قصائد الأستاذ عبد الرحمان النارية بهذه المناسبة الوطنية الكبري تُلهب الحماس وتثير كوامن الوطنية الصادقة في النفوس". لقد كافح الاستعمار بلسانه وقلمه ولا سيما بشعره البليغ المؤثر وساير ركب الحركة الوطنية فناله من الأذى مال لم ينج منه مغربي آمن بالحرية (عبد الله كنون).

ولما أنهى عبد الرحمن الدكالي دراسته ببلاد الكنانة وعاد إلى المغرب كان من أوائل الشبان المغاربة الذين تمّ تعيينهم في سلك القضاء داخل دار المخزن بمجلس الاستئناف الشرعي الأعلى، كما عين قاضياً بمنطقة الغرب.

وبالإضافة إلى ذلك أصبح يقوم بتلقين علوم اللغة العربية وآدابها من شعر ونثر وخطابة وعلوم القرآن والحديث بمدينة الرباط في جامع مولاي سليمان وفي مسجد السنة، وبمدينة مراكش بمسجد المواسين ومسجد باب دكالة وجامع ابن يوسف، فاستفاد من تلك الدروس عدد كثير من الطلاب الذين كانوا يترددون على تلك المساجد فقد كان رحمه الله فصيح اللسان قوي البيان.

ولم يلبث الشاب عبد الرحمان الدكالي أن حظي بإعجاب المغفور له محمد الخامس فضمّه إلى مجلس الحديث العالي الذي كان ينعقد تحت رئاسته داخل القصر بحضور علماء العدوتين وموظفي دار المخزن، بحيث أصبح أصغر المحدثين في ذلك المجلس إلى جانب الشيوخ الكبار. وبعد الاستقلال، عينه محمد الخامس تقديراً لموقفه من العرش أثناء المنفى، مرشداً عامّاً للقوات الملكية المسلحة، ووضع تحت تصرفه جهازاً خاصاً للإرشاد يقوم بإصدار نشرة دورية لتوجيه الجيش وإرشاده، ومنحه بتلك الصفة درجة رائد في سلك الجيش مع ما يترتب على ذلك من زيّ عسكريّ وامتيازات خاصة وخدمات إضافية (المكي الناصري، *دعوة الحق*).

وبالإضافة إلى ذلك تَمَّ تعيينه مديراً لديوان وزير الأوقاف، ثم كاتبا عاما للشؤون الإسلامية بنفس الوزارة. ولما اعتلى العرش الحسن الثاني أقرّه في المنصب الذي كان يحتله في الجيش كمرشد عام وفي المنصب الذي كان يحتله في وزارة الأوقاف ككاتب عام للشؤون الإسلامية.

وعندما أسست الدروس الحسنية، كان عبد الرحمان الدكالي في طليعة المتحدثين في تلك المجالس، وفي نفس الوقت أصبح شاعر العرش يسجل مآثره ويصف مفاخره ويحضر الاستقبالات التي تخصص لضيوف القصر الكبار من الملوك والرؤساء العرب فيلقي القصائد للترحيب بهم، كما يلقي القصائد الحماسية في المناسبات التاريخية والوطنية.

ولما بعث المغرب، تلبية لطلب الأمم المتحدة، فرقة من القوات الملكية لنصرة الكونكو، كان المرشد العام عبد الرحمان الدكالي بجانب الجنرال الكتاني. وكافأته الأمم المتحدة على الخدمات التي أداها بوسامها العسكري وبوسام الشجاعة والتضحية، كما أنعم عليه الحسن الثاني بوسام العرش وترقيته إلى رتبة عقيد.

وآخر منصب شغله عبد الرحمن الدكالي قبل وفاته رئيس المجلس العلمي بالجديدة، فقام بتحبيس مكتبته الغنيّة على هذا المجلس.

توفي بالمدينة المنورة فجر يوم الأربعاء 15 جمادى الثانية عام 1403 / 30 مارس سنة 1983 ودفن في البقيع كما كان يتمنى.

الذكرى الأربعينية لوفاة الشيخ عبد الرحمان الدكالي، دعوة الحق، العدد 230.

محمد الشياظمي

الدكالي العوني، عبد الرحمان بن **أبي شعيب** الفرجاني الأصل، المراكشي سكنا ومدفنا. لُقب زين العابدين واشتهر بالدكالي.

ولد عام1321 / 1903 بالرحامنة الوسطى، مركز ابن جرير وبه نشأ وتعلم على يد والده أبي شعيب الذي كان إماماً بهذا المركز فحفظ على يده القرآن الكريم، ودرس عليه مجموعة من المتون مثل : الشيخ خليل، وابن عاشر بشرح ميارة، والاجرومية بشرح الأزهري، وألفية ابن مالك بشرح المكودي وغير ذلك من المتون.

ثم انتقل إلى مدرسة الفقيه السيد محمد بن الحاج ابريك العوني اليوسفي بالعونات، ومكث عنده نحو العامين، فتوسع في دراسة : النحو والفقه والفرائض.

وفي سنة 1341 / 1922 رحل إلى مدينة مراكش فسكن بالمدرسة اليوسفية، ولازم حلقات شيوخ العلم بالجامعة اليوسفية فدرس على السادة : محمد بن عمر السرغيني السملالي، محمد بن التاودي السرغيني، المعطي السرغيني السملالي، الحاج العربي الرحماني البربوشي، أحمد ولد الحاج المحجوب، وأحمد أكرام.

وفي ثامن محرم الحرام عام 1358 تولى وظيفة العدالة بقبيلة الرحامنة بتوصية من الشيخ أبي شعيب الدكالي الصديقي، وقضى في هذه الوظيفة ثماني عشرة سنة. انتقل بعدها إلى مراكش الثلاث حيث تابع نفس لعمل في القيام بالشهادات. وفي سنة انخرط في سلك المدرسين بجامع ابن يوسف بمراكش في أقسامه النظامية إلى أن أحيل على المعاش. وكان في نفس يمارس مهنة الإفتاء.

توفي يوم 12 ربيع الأول عام 1396 / 14 مارس 1976.

واقبر بمقبرة الشيخ أبي العباس السبتي تاركا مجموعة من الفتاوى الشرعية، اسماها : *الفتاوي الشرعية على النوازل القضائية بالإيالة المغربية.*

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

الدكالي الفرجي، محمد بن **عبد الصادق** فقيه متضلع اشتغل بالتدريس والإفتاء مدة ثلاثين سنة وكان من المقربين إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي كان يستشيرهم في شؤون الرعية والسياسة المالية للدولة، كما كان يجالسهم للبحث في القضايا الدينية. وفي هذا الصدد يقول عبد الرحمان بن زيدان : "وانتقى من أعيان فحول دولته لسهره ومجالسته فكان يملي عليهم الحديث النبوي ويؤلفون على مقتضي ما يشير به عليهم منهم : الحجة أبو عبد الله محمد الغربي وأبو عبد الله محمد بن المير السلاوي وأبو زيد عبد الرحمان المنجرة وأبو محمد التهامي ابن عمرو الرباطي وأبو عبد الله محمد بن عبد الصادق"...

ولما فرض السلطان المكس على أبواب المدن استفتى كبار علماء البلاد وكان من ضمنهم محمد بن عبد الصادق الدكالي فافتوا بجوازه في حالة افتقار بيت مال المسلمين وأجازوا للسلطان أن يقبض من الرعية ما يستخدم به الجند.

وفي ترجمته نبه ابن زيدان إلى نسبة المترجم لقبيلة دكالة ومن فخذة أولاد فرج فهو دكالي فرجي وليست له نسبة لمدينة طرابلس كما ورد في كتاب *الاستقصا* للمؤرخ أحمد الناصري. وأما الطرابلسي معاصره فهو علي بن عبد الصادق شارح صغرى السنوسي والمرشد المعين. وقد اعتبر نسبه الطرابلسي سبق قلم من الناصري.

وأما محمد بن الطيب القادري فقد قال عن المترجم : بأنه ذو سيرة حسنة وأخلاق مستحسنة ولابأس بهديه ومروءته ودينه.

ويعتبر محمد بن عبد الصادق من تلاميذ الشيخ الحسن بن رحال المعدني. وهكذا قضى حياته بين التدريس والفتاوي إلى حين وفاته في2 شعبان 1175 /

م. الطيب القادري، *نشر المثاني*، ج 4 / 143، تح. م. حجي وأ. التوفيق ؛ ع. بن زيدان، *الإتحاف*، ج3 /8 156 184 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 / 7 ؛ م. اكنسوس، الجيش العرموم، تح. أ. الكنسوسي، ص. 222 ؛ م. مخلوف، شجرة *النور الزكية* ؛ ع. رضى كحالة، *معجم المؤلفين*، ج10 /172 ؛ إ. باشا، *هدية العارفين*، 2 / 333 ؛ *إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون*، 2 / 450.

الدكالي، محمد المكي فقيه ومقرئ وهو شيخ السيدة الحرة خناثة بنت بكار زوج السلطان المولى إسماعيل، أخذت عنه رسم المصحف حيث كانت تسلك عليه اللوح الذي تقرأ فيه القرآن فترسله له مع إحدى جواريها لتصحيحه لأنها كانت تكتبه بنفسها. ولما عزمت على أداء فريضة الحج سنة 1143 كان محمد المكي من بين أعضاء الوفد المرافق لها في حجتها. وسرعان ما تدرج في خدمة الدولة ليصبح أحد كتّاب المخزن في عهد السلطان محمد بن عبد الله إلى أن أدركته الوفاة حوالي 1180 / 1766. وقد حلاه المؤرخ محمد القادري في نشر المثاني بقوله :

"الفقيه الأستاذ المقرئ الكاتب ثقة الكتاب وأمينهم."

م. القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، 4 / 219.

محمد ماكامان

الدكالي المشنزائي ← ابن **إبراهيم**

الدكالية، مينَة بنت ميمون، مشهورة عند عامة المراكشيين بميمونة تاكنوت. مكناسية الأصل لا يُعرف متى

ولـمَ رحلت إلى مـراكش، حيث نـزلت في الجانب الشـرقي منها. ولية صالحة زاهدة كثيرة التعبد، قال عنها صاحب *التشوف* : "كانت من الأفراد، زرتها ورأيتها عجوزاً قد اسودت من الاجتهاد، ولصق جلدها بعظمها :"

وقفت مينة بنت ميمون نفسها على الدعوة لإصلاح المجتمع ومناهضة السلوك غير الشرعي في سبيل جمع الثروة، وعلى الحث على القناعة والزهد في المال. وجاء أيضاً في *التشوف* عن محمد بن يحيى بن علي : "وكانت مينة تحدثني قالت : دعاني رجل من التجار إلى طعام فأجبته كارهة، فلما قدم القصعة بالطعام كلّمني الطعام وقال لي لا تأكليني فإني حرام، فاستحييت من صاحبها ورفعت بضعة لحم إلى فمي ثم وضعتها، فحُرِمْتُ أورادي والنوافل ثلاثة أيام، والهواتف تهتف بي عن يميني وعن شمالي هكذا يفعل بالكلاب على بطونهم يهجرون. قالت : وصليت الضحى يوما إلى أن رأيت الحصير الذي أصلى عليه كأنه يرفعه شيء من تحته، فقلت في نفسي لعله حيوان، فلما سلمت رفعته فإذا الذي تحته دراهم طرية، فخررت ساجدة أبكي وأقول : أنت مطلوبي لا سواك، فأقل عثرتي، إلى أن عاد الحصير كما كان، فرفعته فلم أجد شيئاً".

توفيت مينة بنت ميمون عام595 / 1198 ودفنت خارج باب الدباغين بمراكش.

ي. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الرباط، 1984، ص. 316 ـ 315 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977، 7 : 332 ـ 333.

رقية بلمقدم

ابن **دگون، عبد السلام** قائد ملقب بـ "ولد الفار" كان يرأس فرقة من المجاهدين من قبيلته الأخماس انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني، وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة. بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913 وفي عين الدالية يوم 11 ماي من نفس السنة بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش ويوم 20 ـ7ـ 1913 حيث انتخب عضواً بالقيادة المركزية للثورة. شارك في 23 معركة واستشهد في معركة تاگزارت بقبيلة بني عروس يوم 15 أبريل 1915.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة*، الرباط، 1981.

ابن **دگون، محمد** بن أحمد شيخ الجماعة بقبيلة الأخماس، كان إلى جانب علمه يرأس جماعة مجاهدي قبيلته. انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يرأسها الشريف مولاي أحمد الريسوني، وشارك في جميع المؤتمرات التي عقدتها الثورة وفي المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية يوم 11 ماي 1913 انتخب عضواً بالمجلس الاستشاري للمقاومة، وقد شارك في 16 معركة ؛ وتقول عنه الوثائق الإسبانية إنه كان من ألدِّ أعداء النصارى فكان يذبح الأسرى الإسبان الذين يسقطون بالمكان الذي كان يوجد ابن دگون به.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة*، الرباط، 1981.

Capaz Fernando, *Cabecillas de Gonara*, 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

الدلاء، اسم للمنطقة الجبلية التي أسس فيها المجاطيون الصنهاجيون زوايتهم بالجنوب الغربي للأطلس المتوسط المشرف على سهول تادلا. ولفظ الدلاء عربي (جمع دلو) استعمله بهذا المعنى مقصوراً وممدوداً كتاب عاشوا في الزاوية الدلائية مثل محمد المرابط الدلائي والحسن اليوسي. وهو أمر مستغرب أن يطلق اسم عربي على بقعة تقع في وسط أمازيغي قح إلا ما يبدو من تقارب لفظي بين الدلا وتادلا البسيط الأفيح الذي تقطنه قبائل عربية. و(يُبربر) المؤرخ أبو القاسم الزياني لفظ الدلا فيكتبه "يدلّا" وذلك ما نجده جاريا على ألسنة سكان تلك الناحية حتى اليوم. ويغلب على هذه المنطقة اسم *الزاوية الدلائية*.

تقع الزاوية الدلائية، وتدعى أيضاً الزاوية البكرية نسبة لمؤسسها الشيخ أبي بكر بن محمد بن سعيد الدلائي، بناها بإشارة من شيخه أبي عمر القسطلي المراكشي حوالي سنة 974 / 1566 على ربوة في سفح جبل بوتور بينه وبين جبل تاغوليت، وتنحدر في شرقيها أقا إيزم أي شعبة الأسد، بالسفح الجنوبي الغربي للأطلس المتوسط. وتنفجر بالقرب منها عين جارية تخترق المسجد وتضيع في الشعاب.

يرى زائر أطلال الزاوية الدلائية اليوم بقايا المسجد الذي أسسه أبو بكر الدلائي : صفين من السواري والحنايا قائمين بجهة القبلة، والمنار المتهدم الذي لم يبق منه سوى الجدار الداخلي الذي تلتف حوله الدرج على ارتفاع بضعة أمتار، وجدران القبتين المشيدتين على ضريحي الشيخين الدلائيين أبي بكر وابنه مَحمد، وقد نبتت أشجار التين والعليق والشوك وتشابكت في جوانب المسجد حتى غطته وجعلت التنقل في رحابه متعذراً.

اجتهد الشيخ أبو بكر كثيراً في تكثير العمارة من حول زاويته حتى صارت من أحسن المدن وأكثرها سكانا وأشهرها ذكرا، يقصدها الناس من مختلف الجهات. بعدما قامت الفتنة بين أبناء المنصور الذهبي وانقطعت السبل وكثر السلب والنهب وتعطلت الدروس أو كادت في فاس ومراكش وسائر الحواضر، فكانت الدلاء المنطقة الآمنة التي يأوي إليها العلماء والطلبة من مختلف أنحاء البلاد فينالون من التعظيم والإكرام ما يحبب إليهم المُقام فيها. وقد حرص أبو بكر على تربية أبنائه الكثيرين وتعليمهم

في الدلاء وخارجها فنشأوا علماء صلحاء انقطعوا بعد تكوينهم للتدريس في زاويتهم فنفقت فيها سوق العلم.

وكان الدلائيون يملكون من حقول الحبوب وقطعان الغنم والبقر ما لا يكاد يحصى، يحرثها ويرعاها مريدو الزاوية في جبال الأطلس وسهول واحات تافيلالت، فكانوا ـ لكرمهم الواسع ـ يصرفونها جملة وتفصيلاً لإطعام ساكنة زاويتهم من علماء وطلبة وعامة الناس، وهي ظاهرة لم يعرف لها نظير في تاريخ المغرب. وقد حاول محمد الحاج عندما آل إليه أمر زاوية الدلاء أن يستأثر بحكم المغرب بعد أن انحلت دولة السعديين وقام أمراء الزويا في مختلف الجهات باقتطاع السلطة في مناطقهم. ولما ضاقت رحاب الزاوية القديمة بالوفود بنى في السهل المجاور للدلاء سنة 1048 / 1638 مدينة دعيت الزاوية الدلائية الحديثة ومدينة محمد الحاج وهي التي تقوم على أنقاضها زاوية أيت إسحاق الحالية على الطريق التي تربط بين خنيفرة وقصبة تادلا، بعيدة عن الأولى بنحو 35 كلم، وعن الثانية بنحو 64 كلم.

امتد نفوذ إمارة الدلائيين على شمال المغرب وثغوره، من وادي أم الربيع إلى تطوان وكان عبد الله ينوب عن والده محمد الحاج في قيادة مدن سلا (سلا والرباط والقصبة) والاتصال بأسطول الجهاد البحري (القرصنة) وممثلي الدول الأوربية التي تتردد أساطيلها التجارية والحربية على مرسى العدوتين كفرنسا وإنجلترا وهولاندا، إلى أن بدأت الأطراف تنتفض على الدلائيين بثورة الخضر غيلان في الشمال. وكانت نهاية الزاوية الدلائية على يد السلطان الرشيد بن الشريف العلوي الذي هزم الدلائيين في معركة بطن الرمان واقتحم عليهم زاويتهم الحديثة فخربها ثم خرب الزاوية القديمة وغرب سكانهما إلى فاس وتلمسان سنة 1079 / 1669. وبغض النظر عن الدور السياسي الذي قام به محمد الحاج يتفق المؤرخون على أن زاوية الدلاء قامت خلال القرن الحادي عشر (17م) بدور عظيم في احتضان العلوم الإسلامية والحفاظ على اللغة العربية وقواعدها وآدابها، وبقي طابع الدلائيين ظاهراً على هذه العلوم والآداب خلال القرون التالية.

الدلائي، أسرة عالمة ماجدة، أصلها من مجاط جذم من قبيلة لمتونة الصنهاجية، لهم علاقة قرابة بالملثمين المرابطين، وفصيلتهم القربى هي بنو الطالب، ويلسان قومهم (أيت يتيدر) في عداد قبائل الأطلس المتوسط. وكانت مساكن مجاط قبل انتقالهم إلى الدلاء، على ضفاف نهر ملوية العليا فيما بين تونفيت وميدلت. وأول من استوطن منهم أرض الدلاء الشيخ الصالح أبو حفص عمر المجاطي، ثالث أجداد الشيخ أبي بكر مؤسس الزاوية الدلائية، وذلك في حدود نهاية القرن الثامن (14م). ولا يعرف للشيخ عمر المجاطي ولا لابنه أحمد تاريخ ولادة ولا وفاة. أما سَعْيد بن أحمد بن عمر فقد كان حيا عام953 / 1546 وذكر في حقه القادري في *نزهة الفكر* أنه "كان طالبا قارئا فاضلا خيرا دينا فائقا مكثرا للصلاة على النبي (ص) مولعا بها... وكان له عند أمراء وقته التعظيم التام. والتوقير الكثير والاحترام، لما كان عليه من الاشتغال بالعلم والدين، وما سلف من العلوم والصلاح في آبائه الأقدمين" وهناك ظهير للسلطان محمد المهدي الشيخ السعدي يوصى بتعظيم سعيد بن أحمد الدلائي، ويشير إلى وجود ظهائر قديمة عنده ويقره على التصرف في إقطاعاته. ولا نعرف عن الشيخ محمد بن سعيد المدعو حمِّي إلا أنه كان موسر الحال سنيا تقيا خلّف ولدين هما إبراهيم وأبو بكر مؤسس الزاوية.

تكاثر عدد الدلائيين من أبناء الشيخ أبي بكر وأحفاده في زاويتهم التي أصبحت مدينة كبيرة كما رأينا، وعمروها طوال ثلاثة أجيال متعاقبة. ثم انتقلوا إلى فاس ومراكش وتلمسان حين خربت زاويتهم. فازداد إشعاع الدلائيين الفكري، وشغلوا وظائف دينية سامية من قضاء وإمامة وخطابة وتدريس، وبقي العلم والأدب والصلاح متوارثا فيهم حتى أواخر القرن الثالث عشر (19م). وألّفوا عشرات الكتب في مختلف الفنون، وألف الناس كتبا في فضائلهم ومناقبهم وتراجم أعيانهم وأسانيدهم العلمية والصوفية.

وبالجملة تعتبر الأسرة الدلائية من أكبر الأسر العلمية بالمغرب في القرون الأربعة الأخيرة وأكثرها إنتاجا فكريا. اشتهر منهم نحو أربعين عالما وأديبا. ولكن لم يبق منها اليوم إلا أسر قليلة في فاس والرباط لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة.

ح. اليوسي، *فهرس الشيوخ*، مخطوط ؛ *القصيدة الرائية في رثاء الزاوية الدلائية* ؛ وشروحها للدلائيين وابن سودة ؛ *المحاضرات*، تح. م. حجي وأ. الشرقاوي إقبال، بيروت، 1982، جزآن ؛ أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، مخطوط ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجر فاس، 1906 ؛ ع. الله العياشي، الإحيا والانتعاش، مخطوط ؛ س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2. الدار البيضاء، 1988 والمصادر المذكورة في آخرها.

R. Henry, *Où se trouvait la Zaouia de Dilæ ?*, *Hesp.*, T. 36, 1944 ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951.

الدلائي، أحمد الحارثي بن أبي بكر. ولد بالدلاء وبها نشأ وتعلم على يد علماء قومه والوافديت على زاويتهم مثل أحمد ابن القاضي وأبي حامد العربي الفاسي الذي أجازه إجازة عامة. من أول المتصدرين للتدريس بزاوية الدلاء. "وكانت له اليد الطولى في التاريخ والحساب واللغة والبيان والأدب والأصول والفقه والحديث" (*البدور*،102 /

ب) غير أن النحو واللغة غلبا عليه فكان يُقرئ *كتاب سيبويه*، مع الإشارة أن هذا الكتاب لم يدرّس في القرويين منذ القرن الثامن الهجري إذ كان عبد الرحمن المكودي (تـ. 807 / 1405) آخر من درسه بفاس.

ألف أحمد الحارثي في *الأصول شرحا على مختصر ابن الحاجب*، وخلف *تقاييد* كثيرة في التفسير والحديث.

توفي بالدلاء عام 1051 / 1641.

س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. القادري ؛ نشر *المثاني/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 4 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2. الدار البيضاء، 1988.

الدلائي، أحمد بن **عبد الله** بن محمد الحاج، آخر أبطال الدلاء وفرسانها الشجعان. بدت كفايته الحربية في وقت مبكر من عمره فولاه جده السلطان محمد الحاج أمر فاس. وتقول بعض الروايات إنه الذي قاد الدلائيين في معركة بطن الرمان الحاسمة ضد جيوش المولى الرشيد بن الشريف.

كان أحمد الدلائي في نفس الوقت عالما كبيرا وأديبا ممتازا وبطلا مغوارا، أشجع الدلائيين وأشعرهم على الإطلاق. قارنته بأبي فراس الحمداني، ووجدت في قصائده التلمسانيات ما يضاهي روميات أبي فراس.

بعد إخلاء الزاوية سبق أحمد أهله إلى تلمسان فمهد لهم سبل المقام بها، ولم يلتحق بالدلائيين الذين دخلوا إلى فاس متعللا بالقيام على شؤون عيال أبيه المتغيب في الشرق. ولما بدأت الشائعات تتحدث عن الثورة خاف أحمد الدلائي على أهله المقيمين بفاس فكتب إلى السلطان إسماعيل رسالة بليغة يطريه ويطمئنه. وقد أكدت الأحداث أن أحمد الدلائي لم يكن صادقا في اعتذاره وإنما رام ربح الوقت اللازم لتهييء شؤون الثورة وتنظيمها بمساعدة أتراك الجزائر.

استغل أحمد الدلائي فرصة خروج المولى إسماعيل من العاصمة واشتغاله بحرب ابن أخيه أحمد بن محرز في مراكش، فدخل إلى المغرب في أوائل عام 1088 / 1677 وقصد الدلاء، فالتف حوله برابرة الأطلس المتوسط وملكوا بلاد تادلا، وهزموا ثلاثة جيوش بعث بها المولى إسماعيل متوالية لقتالهم "ووقعت معركة رابعة بحوز مكناسة بين جيش فاس والبربر، مات فيها من كبراء الجيش عدد كثير ولجؤوا إلى مدينة مكناس، وحدث الخوف بأحوازها" (*البدور*، 215 / ب).

رأى المولى إسماعيل حينئذ أن ينازل خصمه بنفسه فهيأ حركة كبرى دام تجهيزها ستة أشهر ثم زحف إلى تادلا في 5 صفر 1089 / 30 مارس 1678، فوجد أحمد الدلائي ينتظره على الضفة الجنوبية لواد العبيد "فكانت الحرب بينهما سجالا، وأظهر كل فريق قوته وما هو له مريد، ووقعت حروب بين الفريقين لم يُسمع بمثلها في المغرب، ولا خبر بها من ورخ من أمره كل أمر عجيب" (*الدر المنتخب*، ج. 6، ورقة 43 / أ).

وأخيراً انتصر المولى إسماعيل، والتجأ أحمد الدلائي إلى جبال أيت يسري الوعرة في الأطلس المتوسط، وبقي بين أظهرهم مسموع الكلمة فيهم إلى أن توفي يوم الخميس 21 محرن عام 1091 / 23 فبراير 1680. ويقال إنه مات مسموما من قبل بعض رؤساء قبائل جبال هسكورة.

س. الحوات، *البدور الضاوية*، 215 ؛ أ. ابن الحاج، *الدر المنتخب المستحسن*، مخطوط، ج. 6 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2. ص. 261 ـ 263.

الدلائي، أبو بكر بن محمد المدعو حمِّي بن سعيد بن أحمد بن عمر الصنهاجي المجاطي، الجد الأعلى الجامع للدلائيين، ولد بالدلاء في حدود عام 943 / 1536. وهو عام "بوعقبة" لوقعة حربية فاصلة بين السعديين والوطاسيين على مشرع بوعقبة من وادي العبيد بتادلا.

حفظ القرآن في كتّاب قريته، وارتحل إلى مدشر بوعيّاد ـ بين الدلاء وبوجعد ـ لتعلم المتون والمبادئ العلمية، ثم طلب العلم في مكناس وفاس "حتى بلغ في أقصر مدة أقصى الأمنية، فتضلع في قواعد الشريعة وتبحر في موارد الحقيقة" (*البدور*، 9 / أ). ولم يكن إقباله على علم الظاهر يوازي شغفه بعلم الباطن، وكان اتصاله بالشيخ أبي عَمَر القسطلي المراكشي (تـ. 974 / 66 ـ 1567) نقطة تحول في حياته، انصرف بعدها عن الاشتغال بالثروة الطائلة التي خلفها له والده منقطعا إلى الدعوة إلى الله.

أخذ أبو بكر عهد الشاذلية عن الشيخ أبي عَمَر القسطلي الذي أمره ببناء زاوية الدلاء، يسير فيها على نهجه في تربية المريدين وإطعام الطعام للفقراء والطلبة والزائرين. أسس أبو بكر زاوية الدلاء حوالي سنة 974 / 1566، وأخذ يعقد فيها مجالس للوعظ والإرشاد يفتتحها بقوله : "روى الحسن عن أبيه الحسن عن جده الحسن أن أحسن الحسن الخلق الحسن"، وقد اتفق مترجموه على أنه كان نقي الظاهر والباطن، نظيف الملابس، شديد بياض الثياب جميل الهدى كثير السلام، خافض الطرف قليل الكلام، حسن العشرة شديد المحافظة على العهد، كريم الأخلاق داعيا إلى المحبة والتسامح والتصافي.

رزق أبو بكر ستة أولاد سهر على تربيتهم وتعليمهم وكان يستدعي العلماء من مراكش وفاس للتدريس في زاويته ليأخذ عنهم أبناؤه وغيرهم من الطلبة المجاورين. وبذلك تخرج في الدلاء عدد من الفقهاء على رأسهم مَحمد بن أبي بكر الدلائي آتي الترجمة الذي سيعد من كبار علماء المغرب ومحدثيه عمرما ويتولى أمر الزاوية بعد وفاة أبيه.

كانت وفاة الشيخ أبي بكر الدلائي يوم السبت ثالث

شعبان عام واحد وعشرين وألف / 29 شتنبر 1612 ودفن في مسجده بالدلاء.

ع. السلام القادري، *نزهة الفكر في مناقب الشيخين سيد مَحمد ووالده سيد أبي بكر*، مخطوط ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، فاس1906 ؛ أبو سالم العياشي، *اقتفاء الاثر*، تح. ن. الذهبي، الدار البيضاء،1996 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ط. حجر فاس، د. ت ؛ *نزهة الحادي*، ط. حجر فاس، د. ت ؛ م. المكلاتي، *القاومة الزهرية في مدح المكارم البكرية، النبوغ المغربي*، ط. 2، ج. 2 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، ط. حجر فاس، د. ت ؛ م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، 3 : بيروت، 1996، ج 3 ؛ س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. ابن عجيبة، *أزهار البستان*، مخطوط ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2. الدار البيضاء،1988 ؛ *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1977، ج. 2.

الدلائي، الطيب بن المسناوي بن مَحمد بن أبي بكر. ولد بالدلاء ونشأ بها وتعلم على يد أبيه وأعمامه وغيرهم من العلماء المقيمين بالزاوية ؛ ثم شد الرحلة إلى فاس وهي يومئذ خاضعة لنفوذ الدلائيين، فأقام فيها سنوات يأخذ عن شيخ الجماعة بها عبد القادر الفاسي وغيره.

رجع الطيب الدلائي إلى مسقط رأسه وتصدر للتدريس إلى جانب بني عمه. ولم تقتصر براعته على الجانب الفقهي، وإنما كان إلى ذلك أديبا متمكنا جيد الإنشاء طويل النفس في الشعر، تبلغ إحدى قصائده خمسة وسبعين ومائة بيت، مع متانة لغة، وسلامة تعبير.

توفي الطيب بالدلاء عام1077 / 1666، ورثاه رفيقه أحمد بن عبد القادر التستتاوي بقصيدة مطلعها :

اليوم آن لمدمعي أن يهمعا * ولمهجتي بالوجد أن تتقطعا

س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. القادري ؛ *نشر المثاني / موسوعة أعلا م المغرب*، بيروت،1996، ج. 4 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2. الدار البيضاء، 1988.

الدلائي، عبد الله بن محمد الحاج، أحد الأدباء الشجعان. ولد في الدلاء ونشأ وتعلم على يد أعمامه وغيرهم من العلماء المقيمين بالزاوية. ويعد ثاني شخصية سياسية في الإمارة الدلائية، عينه والده وهو ما يزال في مقتبل العمر نائبا عنه في مدن سلا والرباط والقصبة أهم ثغر عند الدلائيين، فكان حاكم منطقة الغرب الممتدة إلى تطوان يقوم مقام وزير الخارجية للإمارة الدلائية.

استقر عبد الله الدلائي في قصر الإمارة بالقصبة، وقرب إليه العامل السابق سعيد الجنوي وجعله خليفته وأمين سرده، وأخذ يرجع في مهام الأمور إلى أعيان العدوتين لا يقطع أمراً دون مشورتهم، واتخذ الفقيه الأديب عبد المالك التاجموعتي كاتبا خاصا له، فكان يحبر الرسائل البليغة الصادرة عن أمير سلا إلى الدلاء وغيرها، بل حتى المراسلات الموجهة إلى الأعاجم في أوربا لم تخل من جناس وسجع وغير ذلك من المحسنات البديعية. وكان مجلس عبد الله لا يخلو من علماء يذاكرهم على نحو ما درج عليه في الدلاء، ويساجل إخوانه وأقرانه نثرا وشعرا بحيث لم تنقطع صلته بالعلم والأدب بالرغم على أشغاله السياسية والحربية.

كان عبد الله يستقبل ممثلي الدول الأجنبية ويعقد معهم المعاهدات التجارية وغيرها، ويراسل رؤساء الدول باسم والده ويتلقى خطاباتهم، فكانت المصادر الأوربية تلقبه أمير سلا أو سيد سلا .

كما كان يتولى قيادة الجيوش في تحركاتها بمختلف الأقاليم الخاضعة للدلائيين، فينوب عنه عندما يتغيب عن سلا خليفته الأمين سعيد الجنوي. وكان عبد الله مفرط الرزانة كثير التأني والتريث، يبطئ بالجواب عن المراسلات الإخوانية والرسمية. وقد أنّبه على ذلك والده، ورماه بعض أهله بالترفع والتكبر، وكاد هذا التريث الغريب يجر عليه شرورا كثيرة في علاقاته مع ممثلي الدول الأجنبية.

واشتهر عبد الله أيضا بالغيرة الدينية، فكان يزن أعماله بميزان الشرع ولا يتساهل في شيء خالف أصول الدين. من ذلك رفضه معاهدة أبرمها رؤساء مدن سلا قبل مجيئه إليها مع هولاندا لأن الفصل الرابع منها نص على مجافاة طائفة من المسلمين (الأتراك)، وظلت المخابرات جارية بشأنها نحو سبع سنوات فلم يمضها حتى خذف هذا الفصل.

بدأ انتقاض الأطراف على الدلائيين في الشمال بزعامة الخضر غيلان الذي استولى على مدينة القصر الكبير سنة 1052 / 1652 وهزم جيوش الدلائيين بقيادة محمد الحاج بالقرب من المرجة الزرقاء عام 1070 / 1660 ثم هاجم غيلان عبد الله وأخذت مدافع العدوتين تقصف القصبة من الشمال والجنوب، ودام حصار عبد الله ومن معه من الجنود ثمانية عشر شهراً، تمكن عبد الله بعدها من مغادرة القصبة خلسة إلى تامسنا على ظهر سفينة أنجليزية بعد أن أسند القيادة إلى أحمد الجنوي الذي ظل يقاوم الحصار إلى فصل الربيع من عام1074 / 1664 حيث فُتحت القصبة صلحا للخضر غيلان.

التحق عبد الله بالدلاء، وقاد سنة 1078 / 1668 جيوش أبيه في معركة بطن الرمان الحاسمة. فانهزموا أمام قوات المولى الرشيد بن الشريف الذي قضى بإخراج الدلائيين إلى فاس وتلمسان، وخرَّب الزاويتين القديمة والحديثة.

صحب عبد الله أباه محمداً الحاج إلى تلمسان، وساكنه فيها خمس سنين إلى أن توفي محمد الحاج، فخرج إلى الشرق وحج ثم رجع إلى تلمسان. وفيها أدركته الوفاة أواخر عام 1086 / أوائل 1676 ودفن بالعبّاد إلى جانب والده.

س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2. الدار البيضاء، 1988.

De Castries, *Les Sources Inédites*, France, 1, Pays-Bas, 5 et 6.

الدلائي، مَحمد بن **أبي بكر**، واسطة عقد هذه الأسرة الماجدة. ولد في الدلاء حوالي عام967 / 1559 وحفظ القرآن الكريم وأتقن رسمه وتجويده في العقد الأول من عمره، وقرأ على والده مبادئ العربية والدين، ثم أخذ عن العلماء الوافدين على الزاوية البكرية، كأحمد بن القاضي، أخذ عنه الحساب والفلك والأدب، والحسن الدرعي (الدراوي) أخذ عنه الفقه والأصلين والمنطق والبيان. وأخذ في فاس عن محمد بن قاسم القصار التفسير والحديث وأجازه إجازة عامة، وعن أبي المحاسن يوسف الفاسي عهد الشاذلية. وقام برحلة صوفية طويلة لقي خلالها الشيوخ عبد الله ابن حسون بسلا، وعبد الله الملواني في تاغيا، وأبا عبيد محمد الشرقي بأبي الجعد. ولما حج عام 1005 / 96 — 1597 لقي بالقاهرة الشيخ محمد زين العابدين البكري ولازمه مدة، وأخذ عنه فيما أخذ *صلاة الفاتح*.

رجع مَحمد بن أبي بكر إلى الدلاء عام1012 / 1604 . مكتمل التربية والتكوين في علمي الظاهر والباطن، وتصدر للتدريس إلى جانب إخوته الخمسة وغيرهم من العلماء الوافدين، ثم خلف أباه بعد موته عام 1021 / 1612 في القيام بشؤون الزاوية، فسار على نهجه في إطعام الطعام وإكرام العلماء والمتعلمين، وسعى مثله في تهذيب الأخلاق، وترقية الأذواق، مجتهدا في إصلاح الأحوال والانتصار للمستضعفين من قومه وجيرته، فلقي من الظلمة عنتاً كبيراً، وظل يستعمل طرق الترغيب والترهيب، ملتجئا إلى حد السيف أحيانا، إلى أن سادت الطمأنينة منطقة تادلا والأطلس المتوسط.

إذا كان مَحمد بن أبي بكر عالما مشاركا فإنه برّز في التفسير والحديث حتى كادت مجالسه العلمية تقتصر عليهما. وكان يحفظ *صحيحي البخاري ومسلم* وكتب *السنن* ويعرف الروايات المختلفة ورجال الأسانيد، مع كثير من الضبط والتحري، ويمتاز بفصاحة العبارة والاستمرار في الإملاء والتقرير حتى كان درسه أحيانا يستغرق نصف يوم دون كلل أو ملل، ويحضر هذه الدروس ويستفيد منها علماء كبار أمثال أحمد المقري، ومحمد العربي الفاسي وعبد الواحد ابن عاشر، وعلي بن عبد الواحد الأنصاري ومحمد المرابط الدلائي.

ولعل أوجز عبارة تشخص صفات الشيخ مَحمد بن أبي بكر الخلقية والعلمية ما قاله عنه تلميذه محمد العربي الفاسي في *مرآة المحاسن* (ص. 225) : "خاتمة مشايخ المغرب انتهت إليه رياسة الدين والدنيا، واستقل بسياسة الأمور الجليلة والرتب العليا، عالم حافظ دراك متوسع في علم التفسير ومعاني الحديث وعلم الكلام حسن المشاركة فيها وفي غيرها، رصين العقل سديد الرأي جميل المعاشرة مراع لحقوق الصحبة كريم النفس عالي الهمّة فيّاض العطا واسع المعروف، لو تفرغ متفرغ لجمع فضائله في ديوان مستقل، لم يجمع منها إلا ما يندر ويقل، ولو صنف من أنواعها أصنافاً، وألف من أعدادها آلافاً".

ورغم سعة علم المترجم لم يؤلف سوى *أربعين حديثا*، ذكر بعد كل حديث قصة مناسبة له مما سمعه من شيوخه، *وفهرس مختصر* لشيوخه.

توفي مَحمد بن أبي بكر في الدلاء يوم الأربعاء حادي عشر رجب عام ستة وأربعين وألف /9 دجنبر 1636 عن نحو ثمانين سنة، ودفن ضحى الغد قرب روضة والده، وبنى عليهما محمد الشيخ بن زيدان السعدي قبتين حسنتين لم يبق قائما منها اليوم غير الجدران. وقد قيل الكثير في مدح المترجم ورثائه نثرا وشعرا.

أ. الفاسي الحافظ، *تأليف في أسانيد الشيخ محمد بن أبي الدلائي*، مخطوط ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. الحجر بفاس،1324 ؛ أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، مخطوط ؛ أبو سالم العياشي، *اقتفاء الأثر*، تح. ن. الذهبي، الدار البيضاء، 1996 ؛ مجهول، *ديوان في أمداح الشيخ مَحمد بن أبي بكر الدلائي*، مخطوط ؛ م. *الإفراني*، *صفوة*، ط. حجر فاس د. ت ؛ *نزهة الحادي*، ط. حجر فاس، د. ت ؛ س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 3 ؛ م. ابن أحمد الفاسي، شرح درة التيجان، مخطوط ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، بيروت، 1982، ج. 1 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، 1988.

الدلائي، محمد البكري بن محمد بن الشادلي. ولد بفاس في أواخر القرن الحادي عشر (17 م) وبها نشأ وتعلم على يد ابن عمه محمد المسناوي الدلائي شيخ الجماعة بفاس أتي الترجمة. وعلى الحسن بن رحال المعداني، ومحمد الكندوز وغيرهم، وقد حلاه تلميذه القادري في *نشر المثاني* بـ "الفقيه النجيب، القاضي العالم المفتي الخطيب، النوازلي الأديب الأريب، شيخنا أبو عبد الله. له سجية في صناعة الإنشاء، وبراعة وإتقان ناظما ناثرا، يقال في شعره إنه كمن ينظم الياقوت والجوهر والدر والعقيان. وله لسان طلق ومعرفة بسياسة العامة والخاصة عجب العجاب في ذلك، فقُصد بذلك في تلقي الشهادات وحصَّل منها مالا وأصولا.

انتصب محمد البكري للشهادة في سماط العدول بفاس مدة، كان يقوم خلالها بالتدريس في القرويين، ثم ولي قضاء الجماعة بها، وخطبة جامع القرويين، وولي قبل ذلك الخطبة بمسجد الشرفاء (الضريح الإدريسي). ولما أُخر عن القضاء اشتغل بالإفتاء، فطالت يده في الفتوى وأدرك فيها شهرة واسعة، وكانت فتاواه محررة بالنقل الصحيح،

والنص الصريح، وامتلك خزانة كتب عامرة، اقتنـاها عـام المسغبة إذ كانت الكتب تباع بثمن بخس، وكان هو من أهل المال فاشتراها.

ألف عـدة كتب في الفقـه والقضـاء والنـوادر والآداب، منها :

- *شرح رائية اليوسي في الحنين إلى الـزاويـة الـدلائيـة*، وهي طويلة بدأ شرحها قبله ابن عمه محمد بن أحمد بن الشـادلي، وأتمهـا محمـد البكري في جـزءين وطـرّزهـا بما يناسبها من النحو واللغة والأمثال والحكم والأدب.

- *واضح الـدليل في اشتـراط التبـريـز في التجـريح والتعديل*.

- *القول المنثور ببيع الحبس في المسغبة ليس بمشهور*.

- *إثمد العينين في بعض مسائل ذات الوليين*.

- *إسقاط النصيف على وجه المعرفة والتعريف*.

- *التقاط زهر الفضا من رياض عين القضا* .

- *الرياض الزاهر في عيون مسائل التصيير*.

- منتهى سؤلي وأشواقي في مسايرة الشريف العراقي.

- تقاييد في نوازل الأحكام.

تـوفي بفـاس ليلـة الخميس سابع عشـر رجب عـام أربعـة ومائة وألف / 9 يونيـه. ودفن بمطرح الجنة خارج بـاب الفتوح من عدوة فاس الأندلس.

م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 6 : 2170-2171 ؛ س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، الدار البيضاء،1988، ص. 266.

الدلائي، محمد الحاج أكبر أبنـاء الشيخ مَـحمد بن أبي بكر سـابق التـرجمـة. ولـد في الـدلاء عـام997 / 88 - 1589، ونشأ فيهـا كسـائـر إخوتـه وبني عمـه مكبـا على الدرس والتحصيل فنال إجازات عامة من شيوخه أحمد بن القـاضي وأحمـد بن عمـر السلاسي والعـربي بن يـوسف الفاسي، "وكـان ذا وجه حسن، وذلاقة لسـان، حسن الشـارة، بـارع الفهم والعبـارة، مـوصوفـا بـالرجـولة والمروءة الفـائقـة" (*البدور*، 109 ب).

حج عام 1041 / 31 - 1632 في موكب حـافل ضم كثيراً من رجال العلمَ والفضل والدين من جهات مختلفة حتى من بلاد تـوات، ولقي في رحلتـه كثيـراً من مظـاهـر العنـايـة، فخطب النـاس في عرفـات، ودرّس في المدينة المنورة، وقُدم فيها إماماً وخطيبا، ولقي بالقاهرة أحمد المقري فأقام عنده وعنـد شيخ المالكيـة بمصر علي الاجهـوري مـدة كـان يلقي خلالها دروسا بالأزهر في التفسير والحديث.

ظهرت كفاية محمد الحاج السياسيـة والحربية في حياة والده، فكان يرسلـه على رأس جيش الدلاء إلى ما وراء نهر ملوية وإلى منطقة الغرب فيرجع ظافرا منتصرا. وقد شـذ أبو القاسم الزياني فذكر أخباراً غريبة عن نشأة محمد الحاج وأنه كـان صعلوكا فطرده والده لاشتغالـه بما لا يعنيه. زعم أنه نقل ذلك عن الحسن اليـوسي. لكن كتب اليوسي خـالية مـن ذلك، بـل خصص الـــيوسي لـــه فصلا طـــويلا في *المحاضرات* روى عنـه أخبـاراً علميـة وأدبيـة وتحدث عنـه بكامل التعظيم والتقدير.

لما طمح محمـد الحاج إلى الاستئثـاربـالسلطـة وأسس الزاوية الدلائيـة الحديثـة أسكن معه فيهـا خمس قبـائل من أكثر سكان الأطلس المتوسط عصبيـة وحمية، فتكونت لديه أهم قوة حربية بالبلاد سيصول بها ويجول ويمتلك عددا من الأقاليم مدة تنيف عن ثلث قرن.

تبع محمداً الحاج كثيرٌ من قبائل المغرب ومدنه وقراه، "وبـايعه أهل فـاس الإدريسيـة والعليا بـالخلافـة، وكتبوا لـه البيعـة بجـامع القرويين وحضـرهـا من هـو أهل لـذلك من الأعيـان، والجم الغفيـر مـن أهل الـديـوان، في مهـل ربيع الثاني عام 1061 وقدموا عليه بها للزاوية الدلائيـة فقرئت على منبـر مسجدهـا ووضعت في صنـدوق مع غيـرهـا من بيعات أهل نواحي المغرب" (*البدور الضاوية*، 111 / ب).

وقـام محمـد الحاج بأعمـال حـربيـة لتـوطيـد الأمن في المنـاطق الخاضعـة لـه وكـان في البـدايـة يسـاعـد المجاهـد العياشي السلاوي ثم انقلب عليه ودبر اغتياله، وغزا شرفاء سجلماسـة في تافيلالت، وحـاصـر البـرتغاليين في المهـديـة. وامتلأت خزينتـه بمداخل أعشـار مـرسي مصب أبي رقـراق وغنائم الجهاد البحري.

خارت قوى محمد الحاج في آخر ولايته وضعف بصره بداء السادّة فلم يستطع مـواجهة جيش الـرشيد بن الشـريف في معـركـة بطن الـرمـان حتى إذا اقتحم عليـه الـرشـيد حـاضـرته سلم إليـه مقـاليـد الأمور قـائلاً : "الملك اليوم في محله". ورحل إلى تلمسان وبقي فيهـا مجاوراً بالعبّاد حرم الشيخ أبي مـدين الغـوث سنين إلى أن أدركتـه الـوفـاة يـوم الخميس خـامس محرم عـام1082 /14 مـاي 1671 ودفـن بالعباد قرب صريح الإمام محمد السنوسي.

ح. اليـوسي، *المحاضرات*، ط. 2، تح. م. حجي وأ. الشـرقـاوي إقبال، بيروت، 1982، ج.1 ؛ أ. الـــولالي، *مباحث الأنوار*، مخطـوط ؛ م. الإفـراني، *نزهة*، ط. حجـــر فـــاس، د. ت ؛ م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيـروت، 1956، ج. 4 ؛ س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطـوط ؛ ع. الـودود التـازي، *نـزهة الأخيـار المرضيين*، مخطـوط ؛ أ. الناصـــــري، *الاستقصا* ، الـدار البيضـاء،1955، ج. 6 ؛ م. حجـــي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الدار البيضـاء، 1988.

الدلائي، محمد الشرقي بن أبي بكـر. أستـاذ فقيـه أديب مشـارك دَرَس في زاوية أبيه ودرَّس بهـا، واختص من بين علمـاء قـومـه بتـدريس علم القراءات والتجـويد، وكـان يتقن إلى ذلـك الحديث والسيـر، والفقـه وأصـولـه، واللغـة

والنحو والبلاغة والأدب، وله عارضة قوية في النظم والنثر، ومنها مساجلة أدبية رفيعة مع شيخه أبي حامد العربي الفاسي (*موسوعة*، 4 : 1713 ـ 1715).

ألف محمد الشرقي *كتابا في الأصول وشرح الشفا للقاضي عياض وحاشية على المطول* في البلاغة.

توفي بالزاوية الدلائية قبيل سقوطها في أوائل عام 1079 / 1668.

م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 4 ؛ س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

الدلائي، محمد بن **عبد الرحمن** ينتسب إلى جده عبد الرحمن بن أبي بكر، واسمه الكامل محمد بن محمد ابن محمد (ثلاث مرات) بن عبد الرحمن. ولد ونشأ في فاس، حلاه معاصره القادري في *نشر المثاني* بـ "الفقيه العالم العلامة الشهير، الخطيب البليغ الواعظ المحقق الكبير، الفصيح البليغ الحافظ المؤرخ النسابة الأثير... أحد أعلام الزمان علما وديانة، وعلو شأن ومنزلة في اللغة ومكانة، ممن يحرر العلم ويفيده، ويحسن النظم والنثر ويجيده. وممن إليه المرجع وعليه في وقته التعويل، في علوم الإنشاء والبلاغة والترسيل..." (*موسوعة*، 5 : 2015).

أخذ عن ابن عمه محمد المسناوي، وغيره من علماء فاس، وتخرج فقيها كبيرا وأديبا متمكنا. اشتغل بالتدريس في القرويين وتخرج على يده عدد من فقهاء المدينة وأدبائها. وكان إلى جانب التدريس يقدم للخطابة والإمامة في أهم مساجد المدينة، لفصاحته وبلاغة أسلوبه وجهورية صوته. خطب أولا في المدرسة المتوكلية (البوعنانية) بحي الطالعة، ثم خطب في مسجد الشرفاء (ضريح المولى إدريس) بعد موت خطيبه محمد المسناوي الدلائي وبقي به خطيبا إلى آخر حياته.

ألف عدة تآليف في موضوعات مختلفة، منها :

ـ *درة التيجان ولقطة اللؤلؤ والمرجان*. وهي منظومة ذكر فيها مشاهير شرفاء المغرب، أثنى الناس عليها كثيراً واعتمدها النقباء وعلماء الأنساب.

ـ *حاشية على الكلاعي في السيرة*.

ـ *زهر الحدائق وخلاصة الحقائق من تحفة سيرة سيد الخلائق*.

ـ *الزهر الندى، في الخلق المحمدي*.

ـ شرح *الشفا* للقاضي عياض.

ـ *فخر الثري بسيد الوري*.

ـ *مجموعة خطب منبرية*.

ـ *تحريك الساكن، ومهيج الشوق الكامن إلى زيارة طيبة ومن بها ساكن* (رحلة حجازية منظومة).

ـ *رسالتان إلى المجاهدين المحاضرين لسبتة عام 1132* (بالاشتراك مع شيخه محمد المسناوي الدلائي).

ـ *كواعب الحسان في جوارح الإنسان*. منظومة في 500 بيت.

ـ *منظومة في مناسك الحج* (نحو 200 بيت).

ولما دنا أجله أزعجه الشوق فرحل من المغرب يقصد الحج وباع داره بسرعة وخرج مع الركب، فأدركته الوفاة بفور طواف الوداع. امتقع لونه وجعل يدعو ويقول : اللهم كما أبلغتني بيتك فلا تطردني عنه. اللهم احبسني عنده أو اقبض روحي معه. وقد حمله أهل عشيرته على الدابة لإزعاج الركب بالخروج، فلم ينفصل عن البيت الحرام حتى قُبضت روحه في ذي الحجة عام 1141 / يوليوز 1729 ودفن بوادي فاطمة.

م. الفاسي، *المنح البادية*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ ع. الكبير الفاسي، تذكرة المحسنين / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت1996، ج. 5 ؛ س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

تنبيه : هناك عالم دلائي آخر بنفس الاسم تأخرت وفاته إلى عام 1197. يختلف عن المترجم أعلاه بأنه محمد بن مَحمد ـ بفتح الميم ـ بن محمد بن عبد الرحمن. وهو أيضا له اليد الطولى في التدريس. دفن بروضة الدلائيين بباب الحمراء بفاس. انظر عبد السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*.

الدلائي، محمد بن **العربي** الرباطي، آخر الأدباء المتصوفة من الأسرة الدلائية، ويظن أن أباه أو أحد جدوده انتقل في أواسط القرن الثالث عشر (19م) إلى السكنى برباط الفتح، فولد فيه المترجم ونشأ ودرس على أعلامه مثل الشيخ أحمد دنية. كان يحضر مجالسه الحديثية والفقهية ويشتغل في نفس الوقت بالتجارة في سوق العطارين، وقد مدح محمد بن العربي الشيخ دنية بقصيدتين، إحداهما عينية لما ختم *صحيح البخاري*، والأخرى تائية عند ختمه *مختصر الشيخ خليل*، مطلعها :

خليليّ حدثني حديث أحبتي * فذكرهم أنس لأهل المحبة

وصحب محمد العربي الدلائي بعد ذلك الشيخين الشهيرين العربي الدرقاوي ومحمد الحراق، وسلك على يدهما طريق القوم إلى أن بلغ درجة المشيخة فأسس فرع الطريقة الحراقية بالرباط.

وبرع في معرفة الطبوع الموسيقية الأندلسية وحفظ الأشعار والأزجال المتعلقة بالأمداح النبوية التي تنشد وفق هذه الطبوع، ونظم هو أزجالا كثيرة عرفت شهرة إلى جانب أزجال شيخه الحراق. ألف محمد بن العربي الدلائي كتابين :

ـ *فتح الأنوار في بيان ما يعين على مدح النبي المختار*، وهو عبارة عن أمداح نبوية بطريقة السماع والألحان الموسيقية، ذكر فيها أن أركان "السماع" ثلاثة : الشعر

المغنى به، والطبع المترنم بلحنه، والوزن المفروغ ذلك الترنم في قالبه. ثم أتى بالبحور الشعرية وتفاعيلها مختصرة، والطبوع الموسيقية مجملة ثم مفصلة.

ــ ترجمة الشيخ محمد الحراق. ذكر نسب الشيخ ومشاركته في العلوم ولا سيما علم الباطن، ورسائله إلى إخوانه ومريديه، وخصص في الأخير بابا لقصائد الحراق وموشحاته ومقطعاته مرتبة على البحور، مبتدئا بالطويل :

أتطلب ليلي وهي فيك تجلت * وتحسبها غيرا وغيرك ليست

وأخيراً انتقل الشيخ محمد العربي الدلائي إلى الدر البيضاء وأسس فيها زاويته المشهورة على بقعة أرضية كانت وُهبت للشيخ الحراق غير بعيدة عن المسجد العتيق بطريق دار المخزن في المدينة القديمة، وأخذ يلقن فيها الأوراد ويعمر حلق الذكر بالسماع، والدار البيضاء يومئذ تكاد تكون خالية، فتزوج هناك وبقي على حاله من العبادة وتربية المريدين إلى أن توفي في صبيحة يوم الجمعة خامس عشر شوال عام 1285 / 29 يناير 1869، ودفن بركن الصحن الأول عن يمين المستقبل داخل زاويته في الدار البيضاء.

وخلفه في القيام بشؤون الزاوية ابنه الصالح عبد السلام الدلائي إلى أن توفي عام 1310 / 92 ــ 1893 ودفن بجوار أبيه. ولا يعرف له عقبٌ إلا أقرباء يعرفون بنسبتهم الدلائية في الرباط والدار البيضاء.

م. دنية، *النسمات الندية من نشر ترجمة أبي العباس أحمد دنية*، الرباط، 1355 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط*، الرباط، 1987 ؛ أ. المكناسي، *أهم مصادر التاريخ والترجمة في المغرب*، تطوان، 1963 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت 1996، ج. 7 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

الدلائي، محمد المرابط بن مَحمد بن أبي بكر. ولد بالدلاء عام أحد عشر وألف. ودرس في زاويتهم على والده وأعمامه وإخوته والعلماء الوافدين على الزاوية كأبي حامد محمد العربي الفاسي وأحمد بن عمران السلاسي إلى أن تخرج فقيها محدثا نحويا أديبا مشاركا في مختلف العلوم، واشتغل في الدلاء بالتدريس إلى جانب أهله. وكانت مجالسه النحوية العالية ملتقى نجباء الطلبة أمثال الحسن اليوسي. وغلب عليه لقب المرابط لتقشفه في الملبس وزهده في مباهج الحياة التي كان ينعم بها إخوانه الرؤساء.

كان محمد لمرابط إمام المسجد الكبير بالدلاء وخطيبه ومدرسه واشتهر بفصاحته ومتانة مادة خطبه. ذكره تلميذه الحسن اليوسي في *فهرس* شيوخه، وفي عدة مواضع من كتابه *المحاضرات*، ونقل عنه مناظرات لغوية وأدبية، وقال : "كان إماما في علم النحو ومشاركا في كل الفنون... وله القلم البارع في الإنشاء نظما ونثرا، مع سمت ونزاهة وحلم ومروءة". وقد أجاز المرابط الحسن اليوسي إجازة عامة، بين فيها روايته لما اشتملت عليه فهرسة ابن غازي : *التعلل برسوم الاسناد*، *وفهرسة أحمد المنجور* عن شيوخه من طرق عديدة.

ألف محمد المرابط عدة كتب في النحو وغيره منها :

ـ *فتح اللطيف بشرح البسط والتعريف في علم التصريف* لعبد الرحمان المكودي.

ـ *المعارج المرتقاة إلى معاني الورقات*، شرح به ورقات إمام الحرمين في الأصول.

ـ *شرح ألفية ابن مالك في جزءين*.

ـ *نتائج التحصيل في شرح التسهيل* لابن مالك، في أربعة أجزاء، طارت شهرته بالمغرب والمشرق وتغالى الناس في أثمانه.

ـ *البركة البكرية في الخطب الوعظية*، نحا فيها منحى ابن نباته.

ـ *الدرة الدرية، في محاسن الشعر وغرائب العربية*.

ـ *ديوان شعر (كان موضوع رسالة جامعة في العقد الأخير)*.

ـ *زهرة الوسائل في المدح والرسائل*.

خرج المرابط مع قومه من الدلاء إلى فاس بعد تخريب زاويتهم، وتابع رسالته العلمية والأدبية بحاضرة المولى إدريس مقبلاً على التدريس والخطابة في المدرسة المتوكلية (البوعنانية) ثم توجه إلى الحج وأقام مدة في مصر لقي فيها كثيراً من مظاهر الإعزاز والإكرام، ومدحه أدباؤها بقصائد تنم عن إعجابهم بهذا العالم المغربي الكبير الذي سبق أن عرفوه عن طريق مؤلفاته.

توفي محمد المرابط بفاس يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الأخيرة عام 1089 / 13 غشت 1678. ودفن بروضة أهله بضفة وادي الزيتون من عدوة فاس الأندلس.

ح. اليوسي، *فهرس*، مخطوط ؛ *المحاضرات*، ط. 2، تح. م. حجي وأ. الشرقاوي إقبال، بيروت، 1982، الجزآن معاً ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ط. حجر فاس. د. ت ؛ *نزهة الحادي*، ط.حجر فاس. د. ت؛ م. الصغير الفاسي، *المنح البادية*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج.4 ؛ م. الفاسي، *المورد الهنى*، مخطوط ؛ م. المحبي، *خلاصة الأثر*، مصر، 1284، ج. 4 ؛ م. الحضيگي، طبقات، رسالة جامعية مرقونة بكلية الآداب الرباط ؛ أ. الزياني، *الروضة السليمانية*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجرية فاس، 1300 ؛ أ. النميشي، *تاريخ الشعر والشعراء بفاس*، فاس، 1924 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988 ؛ سركيس، *معجم المطبوعات*، مصر، 1928، ج.2 ؛ خ. الدين الزركلي، *الأعلام*، ط. 4، بيروت، 1979، ج .7 ؛ كحالة، *معجم المؤلفين*، دمشق، 1957، ج. 11 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

الدلائي، محمد المسناوي بن أحمد بن محمد المسناوي بن مَحمد بن أبي بكر. ولد في الدلاء عام

1072 / 61 ـ 1662، وخرج به والده إلى فاس وهو ابن سبع سنين، فدرس بها على علماء قومه المُغرّين وغيرهم من القادريين والفاسيين، كما أخذ عن الإمامين الحسن اليوسي وعبد الملك التجموعتي إلى أن تخرج عالما مشاركا بارعا "وقد أُعطي ملكة التدريس والفتيا، وسلّم له أعيان عصره مرتبتهما العليا، ولم يزل منذ بلغ ذلك مقصوداً للمشكلات، ومعتمدا في النوازل والمعضلات. تتلمذ له جميع أهل عصره، وانفرد برآسة العلم في وقته ومصره" (*موسوعة*، 5 : 1980).

أخذ محمد المسناوي عن نحو عشرين من كبار علماء فاس، وأجازه منهم إجازة عامة الشيخ عبد القادر الفاسي، وعبد المالك التجموعتي. واشتغل بالتدريس في القرويين وغيره من مساجد المدينة. ولما تم بناء مسجد المولى إدريس أمر السلطان أن تعاد إليه صلاة الجمعة، وولى محمد المسناوي الإمامة والخطابة والتدريس فيه. ولم يكد يوجد في عصره عالم كبير إلا أخذ عن المسناوي وعدّ من تلاميذه.

كان "نظيف الثياب، جميل المعاشرة، حسن الأخلاق، عالي الهمة، لا يستطيع الكلام في مجلسه الأكابر لهيبته وعظيم سمته. يحب آل البيت ويعظمهم ويبحث في أنسابهم أصولها وفروعها. وكان في تدريسه إذا أخذ في تقرير مسألة يأتي على وجوه احتمالاتها... مع اختصار في العبارة، وسرعة في بيان الإشارة، يفهمه الحاضر والبادي ومن هو مغبون، وجميع من بالمغرب من اللسون" (*موسوعة*، 5 : 1986) ولعل الجملة الأخيرة تعني أنه كان يشرح أحيانا للأمازيغيين بلسانهم.

كاد الإمام المسناوي يتعرض لمحنة شديدة على يد السلطان إسماعيل لولا تدخل بعض رجال الدولة لصالحه. إذ كان محمد العالم ابن إسماعيل الذي ثار على أبيه في سوس من أخص تلاميذ المسناوي، فأوغر خصومه قلب السلطان عليه، واتهموه بالتواطؤ معه. وكان مما اطلع عليه السلطان قطعة شعرية للمسناوي كان بعث بها لمحمد العالم ينهاه عن الخروج، منها :

فالبدر ليس يلوح ساطع نوره * والشمس ظاهرة السنافي الحال

ألف المسناوي عددا من الكتب في غاية التحقيق والتدقيق منها :

ـ *صرف الهمة إلى تحقيق معنى الذمة*، استعرض فيه تعاريف الفقهاء المالكية للذمة وناقشها، ثم بين شروط الذمة والفرق بينها وبين أهلية المعاملة والتصرف قبل أن يحلل عناصر السؤال المرفوع إليه في الموضوع.

ـ *القول الكاشف عن أحكام الاستنابة في الوظائف*، بين فيه ما تصح فيه النيابة وما لا تصح، والفرق بين النيابة والاستنابة والوكالة، وخصص المبحث الثاني للمقصود بالذات من حكم الاستنابة في الوظائف التي عليها مرتب معلوم، وختم بمقارنة كلام فقهاء المذاهب الأخرى غير المالكية في موضوع الاستنابة.

ـ *كتاب نصرة القبض والرد على من أنكر مشروعيته في صلاتي النفل والفرض*، خالف فيه مذهب مالك وانتقده دون أن يراعي أن جميع أهل فاس بل المغرب كله مالكيون يسدلون.

ـ *جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر*، بيّن فيه مكانة الشيخ عبد القادر الجيلالي وأنه كان من المجتهدين.

ـ *رسالة في كتب الحديث* التي تجوز الرواية منها والتي لا تجوز.

ـ *نوازل فقهية* جمعها بعض تلاميذه في مجلد كبير، طبعت على الحجر بفاس وظلت مرجعا أساسيا لرجال القضاء والفتيا إلى الوقت الحاضر.

ـ *نتيجة التحقيق في بعض أهل الشرف الوثيق*، طبع بتونس ثم بفاس.

ـ *ديوان شعر* في المديح النبوي والإشادة بآل البيت.

ـ *المقامة الفكرية في محاسن الزاوية البكرية* (الدلائية).

ـ *مناقب الشيخ عبد الله الخياط* دفين زرهون.

ـ *التعريف بالأشراف الأدارسة الجوطيين*.

ـ *التعريف بالشيخ أبي العباس اليمني*.

ـ *تعليق على القاموس المحيط*، استفاد منه الشيخ مرتضى الزبيدي في شرحه الكبير.

ـ *تقييد في الأشراف الذين لهم شهرة بفاس*.

ـ *تقييد مشتمل على فروع بني عمران الأدراسة*.

ـ وله رسائل أخرى عديدة في مواضيع متنوعة.

توفي بفاس يوم السبت سادس عشر شوال عام 1136 / 8 يوليوز 1724، فكان موته مأتما للمدينة كلها، وشيعه جميع السكان إلى مدفنه في قبة سيدي العايدي خارج باب الفتوح، ألفت عدة كتب في ترجمته ومناقبه ورثاه تلميذه وابن عمه محمد البكري بقصيدة مطلعها :

أبى القلب أن يسلو ودمعي تحدرا * فكفكفته أبغي بذاك تسترا

م. حمزة العياشي، تأليف في *ترجمة محمد المسناوي الدلائي*، مخطوط ؛ مؤلف مجهول، *بغية الراوي في مناقب المسناوي*، مخطوط ؛ الحسن بن رحال المعدني، تأليف ثالث في *ترجمة المسناوي*، مخطوط ؛ أ. ابن عبد الوهاب الوزير الغساني، *رسالة في التعريف بالشيخ محمد المسناوي*، مخطوط ؛ م. بن الطيب العلمي، *الأنيس المطرب*، ط. حجر فاس، 1315 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ط. حجر فاس، د. ت ؛ *نزهة*، ط. حجر فاس، د. ت ؛ م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 5 ؛ س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. اليازغي، *حدائق الأزهار الندية*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس 1300، ج. 3 ؛ أ. الفضيلي، *الدرر البهية*، ط. حجر فاس، ج. 2 ؛ ل. بروفنسال، مؤرخو الشرفاء، تر. ع. القادر الخلادي ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

الدلائي، محمد بن **محمد** المكي من الدلائيين الذين ولدوا ونشأوا في فاس. درس أكثر ما درس على والده الفقيه الأديب الصوفي محمد المكي وسار على نهجه في كفاف العيش عن طريق الاشتغال بالعدالة والإمامة والتدريس. ولا يعرف من إنتاجه الفكري سوى كتاب *بغية الرائي في التعريف بالشيخ أبي عبد الله محمد المكي الدلائي*، أسلوبه فيه سليم شيق غير مثقل بالمحسنات البديعية اللفظية.

توفي بفاس عام 1264 / 1848.

م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس،1300، ج. 3 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت،1996، ج. 7 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

الدلائي، محمد المكي بن محمد (مرتين) بن أحمد ابن الشادلي. ولد في فاس أوائل ربيع الثاني عام 1200 / أوائل فبراير 1788. ودرس على أبناء عمه وهم يومئذ كثيرون بفاس، كما درس على غيرهم من أعلام المدينة أمثال الطيب ابن كيران وسليمانيِّ الحوات. قال عنه ولده وتلميذ محمد : "كان إماماً في المعقول والمنقول، محصلا من العلوم ما تقصر عنه المدارك والعقول... ذا قدم راسخ في الإنشاء نظما ونثرا".

كان منتصبا لتقلي الشهادات في سماط العدول بفاس، ينوب عن قضاتها في الأحكام، ويقول إلى جانب ذلك بالإمام والتدريس في جامع زقاق الرواح، وكان مسندا إليه بظهير سليماني مؤرخ في ثالث صفر عام 1221 / 22 أبريل 1806 وفيه إشارة إلى ظهائر سابقة بيد المترجم للتوقير والاحترام.

أخذ محمد المكي الدلائي الطريقة الشادلية عن الشيخ الشهير أحمد بن سالم التجاني، ولازمه طوال حياته. وفي اتصال محمد المكي الدلائي بالشيخ أحمد التجاني جانبٌ لم تشر إليه كتب التراجم والتصوف، وهو جانب التأثر والتأثير، فالورد التجاني هو نفس الورد الذي كان يلقنه الشيخ مَحمد بن أبي بكر الدلائي إلى المريدين في الزاوية الدلائية. مع العلم أن "صلاة الفاتح لما أغلق" أخذها الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي عن الشيخ محمد البكري الصديقي في مصر. ويُذكر أن الشيخ أحمد التجاني أخذها أيضاً عن حفيد الشيخ البكري. ومع هذا يبقى السؤال مطروحا : هل أخذ الشيخ التجاني عن تلميذه الدلائي بقية عناصر الورد : مائة من الاستغفار، ومائة من الهيللة ؟

وبعد وفاة الشيخ التجاني أصبح محمد المكي على صلة وثيقة بعلماء زاوية بجعد، وبخاصة الشيخ محمد المعطي بن الصالح الشرقي مؤلف *الذخيرة*، وله معهم مراسلات عديدة أثبتها ولده في *بغية الرائي*، كما أورد له أشعاراً في موضوعات شتى.

توفي محمد المكي الدلائي بفاس عشية يوم الخميس سابع صفر 1247 / 14 يوليوز 1831 ودفن بروضة الشيخ العايدي.

م. بن محمد المكي، *بغية الرائي في التعريف بالشيخ أبي عبد الله محمد المكي الدلائي*، مخطوط ؛ أ. العياشي، *كشف الحجاب*، ط. حجر فاس1325 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت،1996، ج. 7 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس1300، ج. 3 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الدار البيضاء،1988.

محمد حجي

الدلاّح أو الدلّيع أو الكوّار بالمغرب العربي، أو البطيخ بالمشرق العربي، أسماء لنبات يسمى علمياً سيترولوسْ فولكاريس Citrullus vulgaris وهو ينتمي إلى فصيلة القرعيات Cucurbitaceae التي تشمل الخيار والقرعة وما يسمى بالبطيخ في المغرب أو الشمام بالمشرق العربي.

إنه نبات حولي عشبي زاحف، يمكنه أن يمتد امتداداً كبيراً، وقد يغطي مساحات كبيرة من الحقل. أوراقه كبيرة مفصصة أو مقسمة. ثماره كبيرة قد يبلغ أو يتجاوز وزنها 20 كلغ للواحدة. تختلف أشكالها وألوانها حسب الأصناف. فهي إما كروية وإما مستطيلة، خضراء داكنة أو خضراء مزركشة بالأبيض أو ذات لون أخضر فاتح يميل إلى البياض. لحمها أحمر أو قرمزي حلو جداً وعصيري، وبذورها سوداء.

يقال إن الموطن الأصلي للدلاح هو المناطق الحارة من إفريقيا ربما في جنوبها وشرقها. لكن زراعته عُرفت منذ آماد طويلة حيث وصلت إلى مصر والهند قديماً جداً في فجر التاريخ. ويدل على ذلك التصويرات والنقوش الحجرية لقدماء المصريين.

ولا يزال الدلاح حتى اليوم ذا أهمية كبيرة في هذه الدول ودول جنوب وشمال إفريقيا وجنوب أوربا وأمريكا الحارة والمعتدلة، وآسيا. أما في المغرب فتخصص لزراعته مساحات شاسعة في جميع السهول المنخفضة كتريفة. وسايس والغرب والشاوية ودكالة وتادلة وعبدة والشياظمة وسوس، حيث يحتاج النبات إلى تربة ذات قوام رملي أو طميي أو قليل الطين، وشمس وفيرة. يزرع الدلاح في أواسط فصل الربيع مسقياً أو بورياً، وتنضج ثماره في الصيف. ففي هذا الفصل يكثر إنتاج الدلاح ليسود الأسواق وجوانب *الطرق التي تشق السهول التي يزرع بها*.

تستعمل ثمار الدلاح للاستهلاك الآدمي كفاكهة مائدة جد محببة عند المغاربة وذلك بعد تناول الطعام أو في أي وقت من النهار.

أبحاث شخصية ؛ ألبيرت هيل، *النبات الاقتصادي*، 1962، ترجمة د. ع. زاهر وآخرين، المكتبة الأنجلو مصرية ـ القاهرة.

عبد المالك بنعبيد

الدَّلِّـيرو، أسرة أندلسية استوطنت تطوان قديماً وما زالت وافرة العدد، وربما قيل لهم : أولاد المسوس الذين كانوا بقبيلة بني سعيد القريبة من تطوان. نبغ منهم أفراد منهم أطباء وأدباء وأساتذة وأمناء وغيرهم :

اشتهر منهم الحاج عبد الله الدلّـيرو الذي استخدمه السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشامَ أمينا على صائره مدة ثم أمينا وعاملاً بثغر الصويرة سنة 1256/ 1840. وعاد إلى تطوان وبها توفي بعد عام 1300/ 82 ـ 1883 وأبوه الحاج مَحمد كان يتجر إلى الشام. ومنهم السيد العربي الذي ناب عن عامل تطوان مدة وغيرهم.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، ج. 3، حرف د، مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، نسخة المؤلف بخطه في خزانته ؛ *حواشي الأمير شكيب أرسلان على حاضر العالم الإسلامي*، 2 : 47 ظ لمصر.

محمد الأمين بوخبزة

الدليـل في الأسفار، مهنة أساسية في ميدان المواصلات منذ التاريخ القديم يحترفها الأشخاص المؤهلون من ذوي الخبرات المتعددة للقيام بهذا الدور ؛ وهذه المهمة التي كان يتوقف عليها سفر الأفراد والجماعات، وتنقُّلهم عبر المسالك والطرقات سواء في المسافات البعيدة أو المتوسطة، وكانت توكل إلى أشخاص وعائلات مشهورة وموثُـوق بها، وتصبح مهمة الدليل مصيرية خاصة في المسالك العابرة للقارات والطرق المخترقة للجبال الوعرة، فوجود الدليل في المحطات الكبرى وصحبة المحلات والركبان وفي المنازل والمدن ضروري ؛ ويمكن اعتباره أهم تجهيز كان يجب أن تتوفر عليه الطرق في العصور الوسطى وما بعدها.

عمل المخزن الموحدي على ضبط هذه الحرفة وتنظيمها وجعل المتعاطين لها رهن إشارة المسافرين، فالدليل يستأجر عادة من المدن الكبرى مثل فاس ومراكش وغيرها وأيضاً في المدن المتاخمة للصحراء مثل سجلماسة وتامدولت ونول ؛ وحتى من بعض القرى ؛ وفي الطرق والمسالك القليلة النشاط والحركة يصبح الدليل المحلي ضرورياً لاجتيازها (*المغرب*، 48)، فالمسافر العادي وكذا الأسفار الجماعية لا يمكنها أن تتم إلا بالاعتماد على الدليل والتكشيف ولذلك كانت القوافل العابرة للصحراء الكبرى تستأجر الدليل من المدن المتاخمة للصحراء.

كانت حرفة الدليل في العصر الوسيط شبه متوارثة في عائلات شهيرة وتختص بها قبائل معينة تكونت لديها خبرة بالمجال ومتطلباته ؛ وغالباً ما كانت الأسفار البعيدة تحتاج إلى أكثر من دليل بسبب تعدد المجالات وتنوعها ؛ وأهم مركز لوجود الأدلاء بالنسبة للمتجهين إلى السودان في ذلك العهد هو مدينة سجلماسة (*رحلة ابن بطوطة*، 661).

وفي غير هذا المحور يتم استئجار أدلاء لمسافة معينة يتم استبدالهم بعدها، أو كلما دعت الضرورة إلى ذلك ؛ ولا يعود اختيار الدليل إلى المسافر بل يعود إلى الأعراف المنظمة للمهنة، فقبيلة مسوفة المستوطنة بوسط الصحراء الكبرى كان لها احتكار هذه المهنة في المحاور العابرة لأراضيها، وفي المسالك والسبل العابرة لمجالات قبائل أخرى تشترط بعضها أن يكون الدليل منها خاصة عندما لا تكون هذه القبائل في توافق مع جيرانها أولا تربطها بها اتفاقيات أو تحالفات وأعراف، ويجد هذا الموقف مبرره في كون القبيلة تريد الاستفادة من المسالك المارة بها ؛ ولتتعرف على حركة السير والبضائع وتلتقط بواسطة الدليل المعلومات والأخبار التي تستثمرها عند الحاجة من جهة، ومن جهة ثانية فالدليل المحلي أكثر دراية بالمنطقة من غيره.

الدليل شخصية معروفة تحظى بثقة المخزن أو القبيلة، وبثقة المسافرين ويستعين في عمله بمجموعة من الأعوان والخدم والعبيد وأهم أعوانه في المسالك العابرة للصحراء باتجاه السودان التكشيف، ولعل النظام الكشفي الذي ابتدعه الإنجليزي بادن باول والذي من أعلى رتبه :*Les éclaireurs et les guides* راجع إلى تقليد العرب والبربر في هذا الميدان (*Route nouvelle* n° 46)، ومهنة التكشيف ودوره أساسي فهو يسبق الركب أو القافلة أو المسافر بصفة عامة يتحرى الطريق ويتفقد أماكن المياه والمراعي والحطب والأماكن الملائمة للنزول والاستراحة أو للمبيت ؛ ويهتم كذلك بسلامة الطريق والسير عليها إلى غير ذلك من المهام التي تدخل في التعاقد وضمان السفر وتأمين المسافر وطمأنته (*رحلة ابن بطوطة*، 661 ؛ *المغرب*، 48 R. Mauny, *Tableau*).

يعتبر الدليل ـ بعد عملية التكشيف ـ صاحب القرار في اختيار الطريق وتغيير الاتجاه أو التوقف عن السير، ويقدم رأيه ونصحه للمسافر أو لقائد القافلة أو أمير الركب فالتكشيف ـ كما ذكرت ـ مهمة بسيطة، تقنية يقوم بها أشخاص عاديون مدربون ؛ أما الدليل فليس شخصاً عادياً، بل له تكوين علمي ومعرفي عام إضافة إلى الحنكة والتجربة، فله إلمام بوسائل الاهتداء بالليل والنهار، وله دراية باقتفاء الأثر وتمييزه ومعرفة بالمناخ وأحوال الطقس وتقلباته والتنبؤ به ومعرفة بالنجوم، إضافة إلى اطلاعه على أحوال القبائل وأخبارها وتحركاتها إلى غير ذلك من المعارف التي يحتاجها في مهنته، وهي متشعبة ومعقدة وذات مسؤولية، وهذا ما يفسر غلاء أجر الدليل من سجلماسة إلى السودان مثلا، ويفسر كذلك إعجاب ابن بطوطة بأحد أدلائه الذي كان أعور (*الرحلة*659 و660 و661، *صورة الأرض*، 98 و99).

يطلب الدليل في الغالب أجرة مرتفعة مقابل خدماته لكن الثمن خاضع لتقلبات الظروف وفي العادة تختلف أجرته باختلاف الطرق واختلاف حجم القوافل أو الركب،

وأيضاً باختلاف أوقات السفر وفصولها وظروفها، وحتى حسب البضائع والسلع المحمولة، فالمسافر المستعجل مثلاً قد يضطر لتأجير دليل خاص، وهذا ما وقع للرحالة ابن بطوطة عند توجهه للسودان، ومن جهة ثانية فالاتفاق مع الدليل يكون موضوع عقد مكتوب أو شفويّ عرفيّ.

في المحلات الرسمية والمواكب السلطانية والتحركات المخزنية بصفة عامة يكون للخليفة أو السلطان أو الأمير موظفون يثق فيهم مكلفون بمهمة الدليل والتكشيف ؛ وتندرج هذه الوظيفة تحت خطة الراية أو العلم في بعض الدول (*البيان*، 158، *إفريقيا* ، 171)، وقد يلجأ المخزن في بعض أسفاره وتحركاته إلى الاستعانة بالادلاء المحليين عند اجتياز مناطق وعرة.

البكري، *المغرب، الجزائر*،1911 ؛ م. ابن بطوطة، *تحفة النظار*، بيروت ، د. ت ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، ليدن، 1938 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب القسم المحقق* ؛ مارمول، *إفريقيا* ، الرباط، 1984 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط 1980 ؛ م. حجاج الطويل، *النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط* (أطروحة) مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1998.

R. Mauny, *Tableau géographique*, Dakar, 1966 ; J. Meunié, *Le Maroc Saharien*, Paris, 1982.

محمد حجاج الطويل

الدليمي، أسرة هشتوكية أصلها من قبـيلة أولاد الدليم (الديلم) الصحراوية. لا نعرف وقت استقرار الأسرة بتراب أشتوكن، كما نجهل كيف انتقلت إليها زعامة القبيلة. اشتهر آل الدليمي بالرياسة، وكان لهم نفوذ كبير داخل قبيلتهم، وتوالى أفرادها على تسيير الأمور التنظيمية للقبيلة بإيعاز من المخزن.

الدليمي، إبراهيم تولى قيادة بعض وحدات قبيلة اشتوكن (هشتوكة) بظهير حسني 1299 / 1882. لم يكن نفوذه يقتصر على المجالات التي عين عليها سابقاً فحسب وإنما يمتد حتى حدود أيت بوالطيب وأيت بلفاع وأيت أوگران، مما يؤدي إلى تجدد الصراع والخلاف. فباستثناء علاقته السيئة مع تاسيلا ضمن قبيلة ماسة، فإنه كان على صلة حسنة مع أعيان القبائل المجاورة (تامجلوجت، ماسة، أيت جرار، گسيمة) ونهج تجاههم سياسة المصاهرة، مما سهل له الاستمرار في مهمته، وكانت حجابا لإيالته، وجعلته يحافظ على مركزه بين هؤلاء.

اكتسب القائد إبراهيم حسن الاطلاع بشؤون قبيلته، وكان يتمتع بخصال حربية وقدرة خارقة في التأثير على الجماعة. مما مكنه من جمع شمل قبيلة اشتوكن من أجل الحد من الانقسامات التي تنخر جسم وحدتها، وسبيله في ذلك استعماله سياسة الليونة تارة والعنف تارة أخرى حسب الظروف. وكان ذلك سبباً في استفحال أمره واتساع نفوذه، وتحصلت لديه عدة أملاك، كما تمكن من مراكمة ثروات مهمة. ويبدو أن هذا التصرف كان حافزاً لبعض وحدات قبيلته (أيت بلفاع، أيت بوالطيب) لتهديم داره مما جعلها مثار انتقام الجيش المخزني.

توفي القائد إبراهيم سنة 1307 / 1889 عن سن تناهز أكثر من 70 سنة.

الدليمي، أحمد مقاوم ولد سنة 1930 بوادي الذهب. انضم إلى فرقة جيش التحرير سنة 1951 تحت قيادة الخطاط محمد فاضل بالمقاطعة التاسعة مركز تافودارت. وشارك في عدة هجومات ضد الاستعمار الإسباني نذكر منها معركة : المسيد ومعركة الشاطئ بالعيون إلى أن استشهد في معركة الدشيرة بتاريخ 3 نوفمبر 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

الدليمي، الحسين بن إبراهيم القائد سابق الترجمة، ورث عن والده شؤون قبيلة اشتوكن في ظروف تتميز بالتعقيد، وحدثت متغيرات جديدة، فكان عليه أن يشارك في البعض منها. فعلى سبيل المثال : لما ثارت القبائل على قوادها عقب وفاة السلطان الحسن الأول 1894، اضطر إلى الجلاء عن قبيلته بعد تهديم داره، واستقر به المقام بقرية أيت أومريبط بأرض قبيلة المعدر المجاورة إلا أن جلاءه لم يدم طويلا، بحيث تمكن من العودة إلى قيادة القبيلة بعد تدخل أعيان لف تاگوزولت. وفي سنة 1896، عندما تحرك القائد المخزني سعيد الگيلولي نحو منطقة سوس بإيعاز من الوزير أحمد بن موسى، تم القبض على القائد الحسين وأرسل إلى اگدير. فمما لا شك فيه أن ما أوجب عزله هي علاقته المتميزة مع إبليغ. وكذا تماطله في القدوم على محلة الگيلولي بقرية تبوحنايكت. مهما يكن من أمر، بادر الهشتوكيون إلى الهجوم على محلة الگيلولي للمطالبة بعودة قائدهم، مما يؤكد عزمهم على استرجاع مجد الأسرة.

انحاز القائد الحسين إلى حيدة بن ميس في حربه ضد أحمد الهيبة بعد نكسة سيدي بوعثمان، وكانت نهاية حياته ثمنا لهذا الموقف، حيث قُتل في معركة ويجان ضد البعقيليين 1332 / 1913.

الدليمي، محمد بن أحمد أول زعيم لأسرة الدليمي تذكره المصادر، كان مضرب الأمثال في الشجاعة. ويبدو أن شهرته ونفوذه داخل القبيلة، جعلته يحظى بثقة السلطان سيدي محمد بن عبد الله. ويظهر أن قيادته كانت ممتدة من گسيمة إلى جنوب وادي والغاس، وذلك رغبة من المخزن

في تدعيم وجوده بالبسيط ومراقبة الممرات الجبلية وخاصة الطريق التجارية المارة بأرض إشتوكن نحو الصويرة. وفي هذا الإطار تسجل الوثائق المحلية هيمنة القائد محمد بن أحمد الدليمي على أزغار تيزنيت، بإيعاز من خليفة السلطان عبد السلام بتارودانت. وقد استعمل بلدة تيزنيت كقاعدة لتوجيه واستقبال الحملات التي كان يبعث بها "لقبائل جزولة من هلتيتة وأيت باعمران ومجاطة وأولاد جرار وآيت برايبم" والمعروف عن القائد أنه كثيراً ما "يكلف القبائل بكثرة المطالب المخزنية في لُوطا والجبال حتى ترك الناس مهموسين" لذا أبدت القبائل معارضتها وامتناعها من "امتثال أمره حتى لا يعطوه شيئاً من مؤونة جيشه فضلاً عن ضيافتهم ولو ليلة واحدة" (*وثيقة خاصة*).

ولما ظهرت حركة بوحلايس انحاز إلي الفقيه محمد بن أحمد التاسكاتي، ولعب دوراً كبيراً في عملية أحتواء الحركة. ويبدو أن قساوته وتعسفه تجاه القبائل حَدَتْ بالسلطان سليمان إلى إعفائه من مهامه، وبالتالي سجنه بالصويرة.

م. الأكراري، *روضة الأفنان*، تح. ح. أنوش، بحث لنيل د. د. ع. الرباط. 1989، ص. 62 -63 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 14 : 108 ؛ *وثيقة خاصة عن حركة القائد محمد بن أحمد*.

أحمد بومزكو

دم الأخوين، (نبات) أو دم التّـنينية أو التينية أو Dragonnier بالفرنسية أو Dragon blood tree بالإنجليزية أنواع شجرية تسمى علميا "دراسينا" Dracaena، وتنتمي إلى الفصيلة المحدثة مؤخراً التنينيات Dracaenaceae، وهي من فرع وحيدة الفلقة.

تصادف هذه الأنواع على العموم في مناطق مدارية أو شبه مدارية خاصة مثل المنطقة الماكارونيزية (جنوب غرب المغرب والجزر الخالدات وجزيرة ماديرا وجزر الرأس الأخضر) ومنطقة القرن الإفريقي وجنوب شبه الجزيرة العربية، وجزيرة سومطرة، وجنوب إفريقيا وجنوب شرق آسيا.

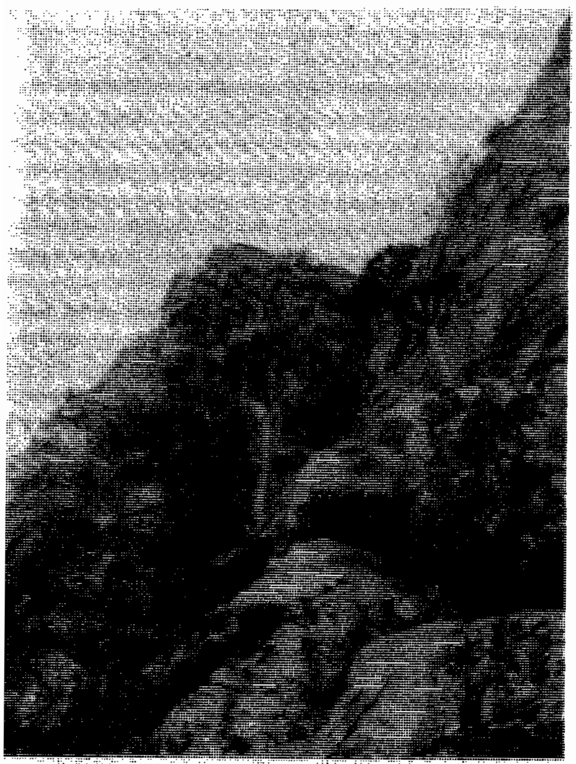
عرف وجود نوع دراسينا دراكو Dracaena draco بالجزر الخالدات منذ أقدم العصور نظراً لكونه كان يستعمل لعدة أغراض منها مادة دم الأخوين المعروفة عالميا. أدخل هذا الصنف الكناري إلى عدة بلدان دافئة كشجرة زينة، ومنها المغرب حيث زينت به حدائق المدن الساحلية. ولم يكن معروفاً وجوده الطبيعي بالمغرب حتى اكتشفناه بالأطلس الصغير سنة 1996، فصنفناه تحت نوع قبسي جديد سميناه علميا باسمه المحلي الأمازيغي "أجكال" دراسينا دراكو تحت نوع أجكال Dracaena draco ssp ajgal.

أجكال شجرة معمرة يتراوح علوها ما بين5 و15م. لها جذع واحد مستقيم وضخم، يتفرع من الأعلى إلى ثلاثة أفرع أو أكثر، وكل فرع يتفرع إلى فرعين أو ثلاثة أفرع. وهكذا يتم التفرع تدريجيا مع التقدم في العمر. تاجها الخضري مظلي الشكل. تنمو الأوراق متزاحمة على أطراف الغصون. الأوراق سيفية الشكل، طولها يبلغ حوالي 60 سم، وعرضها 3 سم. أزهارها صغيرة الحجم بيضاء مصفرة، توجد في نورات طرفية وكثيرة التفرع وطويلة إذ يبلغ طولها 50 سم أو يتعداها. ثمارها طرية مستديرة الشكل، قطرها حوالي8 أو 10 مم.

ينحصر وجود تشكيلات أجكال في الجهة الغربية للأطلس الصغير شرق مدينة تيزنيت، وبالضبط في منطقة يقطعها أسيف أو مغُوز الذي هو في الواقع وادي ماسة عند خروجه من المضايق الجبلية وخاصة تلك التي يشرف عليها جبلا إيمزي وأضاض مدني اللذان يأويان على أجرافهما العالية النظام البيئي المشكل من طرف أجكال، هذا الصنف الشجري الفريد الذي مازال ممثلاً ببضعة آلاف من الأفراد. وتتميز هذه الأجراف العالية بمناظرها الخلابة وبوعورتها إذلا يمكن للإنسان أن يتسلقها. الشيء الذي حال دون تدهور هذه التشكيلات الثمينة، التي تضم عدة أنواع نباتية أخرى جد نادرة قبسية أو غير قبسية.

تصادف تشكيلات أجكال في البيومناخين شبه الجاف وشبه الرطب الدافئين، ما بين250 و1500م فوق سطح البحر أي في الطابقين تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ. وهي تغطي مساحة أفقية تقدر بـ500 هكتار.

دم الأخوين مادة راتنجية حمراء اللون يفرزها جذع الشجرة عند جرحه. تستخدم المادة على نطاق واسع في العالم كصبغة حمراء في تلوين الورنيشات وفي صناعة



تشكيلة كثيفة لشجرة دم الأخوين على الواجهة الشمالية لجبل إيمزي

الأصباغ والألوان المستعملة في الرسوم وزخرفة المصنوعات الفخارية وواجهات المنازل، كما هو الشأن في اليمن. كما تستعمل كمادة قابضة لإيقاف نزيف الجروح.



أما الاستعمالات المحلية لأجگال في المغرب فهي تنحصر في استخدام سيقان الشجرة بعد قطعها وتجويفها كأجباح لتربية النحل. كما تستعمل المادة الراتنجية والثمار في التطبيب التقليدي. وكانت المادة قد استخدمت في ما قبل التاريخ من طرف سكان المنطقة الموجودين بها ـ آنذاك ـ لإنجاز بعض الرسومات الصباغية للأنواع الحيوانية. وما زالت هذه الرسوم بارزة بوضوح للزائر على صخور الأجراف الملساء.

A. Benabid et F. Cuzin, *Population de dragonniers (Dracaena draco ssp ajgal, Benabid et Cuzin) au Maroc, valeurs taxinomique, biogéographique et phytosociologique, C.R. Académie des Sciences de Paris, Sciences de la vie*, 1997.

عبد المالك بنعبيد

دمنات، نطقها بتسكين الدال والميم والتاء. مدينة تاريخية عند قدم الأطلس الكبير الأوسط على بعد 120 كلم، شرقي مدينة مراكش، على ارتفاع 960 كلم، وسط بساتين أكثر مغروساتها الزيتون. يفهم موقعها ويُدرك دورها التاريخي من وجودها وسط كتلة قبلية كبيرة كانت تحمل اسما جامعا هو هسكورة، وفروعها القريبة من دمنات اليوم، قبيلة إينولتان التي توجد في وسطها دمنات، وقبيلة فطواكة وقبيلة غجدامة على يسارها، وكلاهما مذكورتان عند ابن خلدون مثل هسكورة، ثم قبيلة إمغران في السفح الآخر الذي يطل إلى جهات وادي درعة والصحراء. أما شمالي دمنات، فالسهل قد استوطنته قبائل عربية ابتداء من القرن السابع (13 م). تقع في الخريطة اللغوية بين مجال تاشلحيت غربا ومجال تامزيغت شرقا.

فدمنات بين السهل والجبل وبين العرب والبربر وعلى طريق تاريخية تعبر ممرات جبلية إلى ما وراء الأطلس أشهرها ممر فدعات الواقع شرق ممر تلوات، وعبر فدعات كان تبادل تجارة الصحراء مع الداخل لا سيما إذا كان الممر الآخر مأموناً أو كان عليه مراقبون مستبدون أومغالون أو كانت القبائل المجاورة له تأثرة على المخزن (الدولة).

يذكر أهل دمنات أن مدينتهم تأسست قبل تأسيس مراكش بأربعمائة سنة. ولا يخلو من فائدة ربط هذه الذاكرة بأمرين : أولهما تسمية فرقة من أهم الفرقتين المكونتين للمدينة وهم أيت يحيى الذين يرتبطون في الرواية الشفوية بيحيى بن إدريس صاحب تادلا، والأمر الثاني هو تسمية الفرقة المجاورة لدمنات : تاودنوست، وهي فرقة لعلها من اللاجئين الأندلسيين في فتنة ربض قرطبة. ويذكر البكري ربضيِّين آخرين في جهات بْزُو وغيرها. وأيت يحيى وأيت تاودنوست هما المتقاسمتان لمياه الري للساقية المشتقة من وادي أمهاصر، فهما عتيقتان.

ورد أول ذكر في الكتب لدمنات عند البيذق، مؤرخ الموحدين، وهو يتحدث عن تعقب عبد المومن لتاشفين بن علي. ولم تذكر بعد ذلك إلا في كتب مناقب صلحاء العصر المريني التي كُتبت حول أبي محمد صالح أو أبي يعزى، وكان لهما أتباع حول دمنات، كسيدي واگريان أو سيدي أبي يخلف. ولكن دمنات تنطبق على ما يبدو على حصن هسكورة المذكور تكراراً في صراع تني واقاريض الهساكرة مع بني هلال أو تحالفهم معهم في بعض الأحيان.

يرتبط الموقع الذي أشرنا إليه بالنسبة لدمنات بالتجارة مع كتل قبلية مهمة متكاملة الإنتاج، وبقيام صناعات ولا سيما صناعة الجلود، وبوجود طائفة بهودية نشيطة في التجارة والصناعة، وبمطامع المخزن في استعمال دمنات كمركز لحكم القبائل المجاورة، وكمكان لجباية ما يجب على المعاملات الجارية في عين المكان. لهذه الاعتبارات وفي سياق الأحداث المرتبطة بها قامت بالمدينة سوق وبنيت قصبة مخزنية قديمة يظهر من خندق مليء بالماء يحميها أنها من فكرة أندلسية قديمة، والأندلسيون بها مذكورون كما أشرنا. وقد نزل بها الحسن الوزان عند غرناطيّ مثله حرفتُه الخفارة لأهل التجارة والأموال والأعيان. وفي هذا السياق أيضاً هاجمتها القبائل وخربتها غيرما مرة واضطرت إلى إعادة عمارتها.

ذكر الوزان أن تعدادسكان دمنات ألفان من الكوانين وهي بالحساب ما بين ستة آلاف وعشرة آلاف شخص. وذكر أنها عامرة بالصناع والتجار من المسلمين واليهود. وأنّ

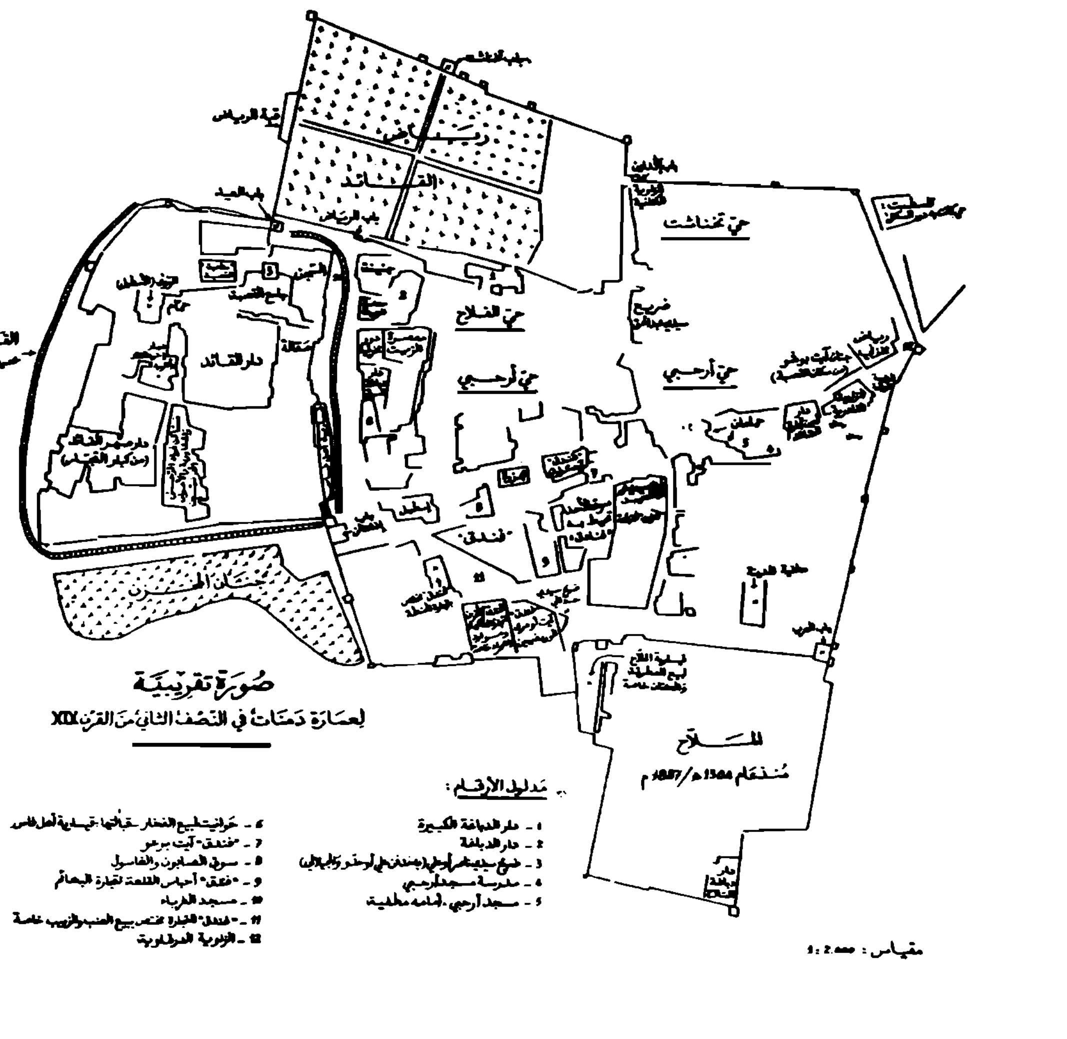
بقربها مدينةً أخرى تسمى المدين عدد سكانها على نصف سكان دمنات. ما تزال خرائب المدين معروفة، ولعلها من ارتحال قبائل فطواكة وغجدامة في مدة غياب المخزن على العهد الوطاسي، وكان بين أحزاب المدينتين تطاحن على فوائد التجارة. فقد كان أهل دمنات يعطون في هذا العهد إتاوة للعرب مقابل حراثة أراضٍ انحسر عنها هسكورة في سهول السراغنة اليوم، ولكن الوزان يعلق على ذلك بالقول إن أهل هذه المدينة يربحون مع أولئك العرب في التجارة أضعاف تلك الإتاوات.

كان لمدينة دمنات في عهد غياب المخزن الوطاسي مجلس أعيان يجبي الرسوم ويصرفها في حاجات الجماعة، وهذا التقليد تكرر في ظروف مماثلة، إلى غاية بداية القرن العشرين.

كان للسعديين عمال في دمنات منهم كبير الدولة في عهد المنصور إبراهيم السفياني. ومرَّ بها المولى الرشيد العلوي قبل حلوله بالدلاء، وجمع منها المولى إسماعيل عبيداً بواسطة عماله، وبعض جدران القصبة إسماعيلية، وكان غازي بوحفرة نائب أحمد الذهبي العامل في تادلا أنزل بأهلها عقوبات فادحة في ظروف غامضة بالنسبة لنا. ووصفها الرحالون الأجانب في نهاية القرن الثاني عشر (18 م) بنفس الملامح : مركز متمولين مضاربين مرابين جباة يثيرون حفيظة الجبليين فيثورون من فترة إلى فترة، وكان أهل دمنات قد بايعوا المولى عبد الله ثم ولده سيدي محمد الذي عيّن عليهم قائده سعيد بن العياشي ثم محمد بن أحمد الدكالي البوزراري ثم مَحمد الصغير السرغيني من أولاد مبارك. وقد نقل هذا السلطان العبيد الذين كانوا بدمنات إلى تيط نفطر. وبعد محمد الصغير حكم دمنات ابنه الجيلالي ثم ولده محمد بن الجيلالي في عهد المولى سليمان. وكان لمحمد بن الجيلالي خليفة بدمنات يسمى عبد الخالق بنهزيط ثم محمد بن علي الخلوفي. وقد ألح أحمد ابن القائد السرغيني في المطالب فثارت عليه القبائل زمن المجاعة عام 1832.

وقد تدخّل المولى سليمان في نزاع على الماء بين أهل دمنات وتادونوست. عندما وضعت الحوالة الحبسية لدمنات في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان ظهر منها عمارة خربة وفنادق معطلة، وكان كرابر دي همسو قبل ذلك قد ذكر أن سكانها ثمانية آلاف نسمة.

أرسل المولى عبد الرحمان قائده عَلاًّ الإيمُوري لضمان طاعة دمنات والقبائل المجاورة فهزمه أهلها. ولما تدخل الإيموري في عملية ضد بومهدي في تارودانت عاد من



هنالك وفي ركابه عدل من عدول عسكر السلطان يسمى علي أوحدّو، كانت أسرته قد هاجرت من تيغرمين قرب دمنات قبل ذلك بعشرين سنة وكان جده إمام مسجد.

قرر السلطان عبد الرحمان أن يعين أوحدو عاملاً على دمنات لأنه ليس أجنبياً كالإيموري وليس بشخص يُخاف استبداده كالشيوخ المحليين، كان ذلك التعيين على يد الخليفة سيدي محمد سنة 1848.

ظلت لدمنات أهمية خاصة في القرن الثالث عشر (19 م) فيما يتعلق بتطويع قبائل الأطلس المجاور وفي ضمان وصول بريد تافيلالت وتموين الدار السلطانية هناك نظراً لعدم أمن الطريق المارة بالأطلس المتوسط.

في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان صدر الأمر ببناء سور لمجموع دمنات، وكان من قبل يحيط بالقصبة وحدها، وفي هذا العهد أيضاً عين على دمنات قاضٍ مستقل من قبل السلطان وهو محمد بن حمو كرداس وذلك باقتراح من القائد علي أوحدو سنة 1866. وفي هذا العهد أيضاً وبتحريض من منظمات أجنبية كانت على اتصال بيهود دمنات توترت العلائق بين هؤلاء وبين السكان المسلمين، فوافق السلطان على طلب الأعيان المسلمين بنقل اليهود من وسط أحياء المسلمين حيث عاشوا طوال قرون، وتخصيص ملاح لهم. ولكن اليهود أعطوا رشوة للعامل فلم ينفذ الأمر السلطاني. وفي أوصاف الرحالين الذين زاروا دمنات من أمثال الوزان ولوي دي مارمول ودجاكسون وهوكر وطومسون ودوفوكو ودوتي أوصاف لهذا الملاح ولعيش سكانه. وفي *التسلي* للغجدامي سرد وقائع هذا النزاع، وفي كتاب فلامان Flamand، ظهائر تتعلق بنقل الملاح.

في عهد السلطان مولاي الحسن تم بناء الملاح الخاص باليهود قرب باب العرب، وأصدر هذا السلطان ظهيراً برفع دمنات إلى مصاف المدن وذلك بإعفاء مَنْ بداخل أسوارها مما يُطالب به أهل القبائل، وازدحم عليها من أجل ذلك السكان، وكان مولاي الحسن قد عرج في طريقه بين فاس ومراكش فزار دمنات ووقف على مشاكلها ولا سيما قضية ملاح اليهود الذين تدخلت لهم جهات أجنبية للضغط على المخزن.

بعد وفاة القائد علي أوحدو تولى القيادة ابنه الحاج الجيلاني (انظر الدمناتي الجيلاني) وكان من كبار قواد المخزن، ولم تقف سلطته عند حدود ولاية أبيه وهي ولتاتة وفطواكة وغجدامة، بل امتدت إلى دادس وعدد من قبائل شرقي إينولتان الذين تجتذبهم تجارة دمنات. لكن بالغ في التعلق بالهيئة المخزنية وجمع الأموال وتحويل محكوميه إلى رعية ورعاة. فقامت ضده ثورة عند وفاة مولاي الحسن والتجأ إلى حرم زاوية تانغملت، وبعد المصالحة مع إينولتان حاول الانتقام فدبر بعضُ الأعيان اغتياله، ودخلت دمنات في حكم أشياخ بالتناوب، ثم حكمها محمد أبلاغ إلى أن امتد إليها حكم الأگلاويين بتواطؤ بعض أعيانها، وتزامن ذلك مع وصول الفرنسيين إليها.

م. الغجدامي، *التسلي عن الآفات بذكر الأحوال ومافات*، مخطوط عند أسرة المؤلف بمراكش؛ نجيب الدمناتي، الحاج أحمد، *القول الجامع في تاريخ دمنات وما وقع فيها من الوقائع*، مخطوط، خ. ع؛ أ. التوفيق، *مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، إينولتان*، الدار البيضاء، 1978.

S. Boulifa, *Textes berbères en dialecte de l'Atlas marocain*, Paris, 1909 ; P. Flamand, *Demnat, un mellah en pays berbère*, Paris, 1952.

أحمد التوفيق

الدمناتي، أحمد (مؤلف) ← نجيب

الدمناتي، أحمد بن الحسين بوفلوس، ولد بسلا سنة 1926/1344 وبعد ثلاث سنوات انتقل مع أسرته إلى مدينة القنيطرة حيث اشتغل والده بالتجارة حتى أصبح من أبرز تجار الأثواب بها.

ولقد انطلقت حياته وفكرته النضالية من المدرسة الوطنية التي كان من أول التلاميذ فيها وعرفت مدينة القنيطرة على غرار المدن المغربية الأخرى مظاهرات صاخبة في أكتوبر 1937. وشارك أطفال المدرسة في هذه المظاهرة. فقامت سلطات الحماية بالمدينة باغلاق مدرسة الوطنيين وتم الزج بمعلميها في السجن ونفيهم عن مدينة القنيطرة. ودفع معظم تلاميذ المدرسة إلى الالتحاق بمدرسة "كوجي" الاستعمارية التي يتلقون التعليم المهني إلى جانب التعليم العام، وحصل أحمد الدمناتي على الشهادة الابتدائية سنة 1943. سعى "كوجي" إلى إبعاده عن العمل الوطني بأن وظفه في إدارة البريد - إلا أنه بحلول سنة 1944 وانتقال الحركة الوطنية إلى المطالبة بالاستقلال غادر أحمد الدمناتي الوظيفة في البريد بايعاز من والده والتحق بالوطني محمد الديوري الذي وظفه في إدارة أعماله التجارية. وأصبح عضواً نشيطاً في تنظيمات حزب الاستقلال ولعب دوراً في تكوين اللجن الفرعية للحزب كلجنة المسيرين ولجنة الاسعافات ولجنة الشعب الخ..

شارك أحمد الدمناتي في الإعداد للمظاهرة الاحتجاجية التي نظمت بمدينة القنيطرة أمام الباشوية يوم 15 غشت 1953 احتجاجاً ضد النوايا العدوانية للاستعمار ازاء السلطان وأسرته - وبعد هذه المظاهرة انطلقت الاعتقالات التي امتدت إلى السيد أحمد الدمناتي (غشت 1953)، وبعد خروجه من السجن شارك في أعمال المقاومة والفداء.

توفي في حدود سنة 1417 / 1996.

مصطفى مشيش العلمي، *القنيطرة ميلاد المدينة والحركة الوطنية*، 1913 ـ 1937، منشورات مؤسسة سيدي مشيش العلمي،

القنيطرة، 1998 ؛ جـون جيمس دافيسن، *حركة المدارس الحرة بالمغرب*، 1919 ـ 1970، الدار البيضاء، 1991 ؛ ع. القادر بوراس، مجلة *جسور تربوية*، أكاديمية وزارة التربية الوطنية القنيطرة، العدد 1.1996، ص. 100 ـ 106 ؛ أ. الدمناتي بوفلوس، جريدة *القنيطرة المحلية*، العدد 14، مارس1996، ص. 2 ـ 3.

عبد القادر بوراس

الدمناتي، إدريس بن الهاشمي، من مواليد مدينة مكناس في أوائل القرن. التحق بدار الجامعي عام 1937، وهو في مقتبل عمره حيث أخذ مستعملات الموسيقى الأندلسية : صنعة وعزفا عن الفنانين الفاسيين الذين كانوا يلقنون بها هذا الفن، وهؤلاء هم على التوالي : محمد الأمين دادي، وعزوز بناني، وعبد السلام بن عزوز بناني. وكان إلى معرفته بموسيقى الآلة يمارس طرب الملحون : إنشاداً وعزفاً. وفي سنة 1956 كلف بتدريس العزف على الكمنجة بدار الجامعي، وظل يضطلع بهذه المهمة إلى أن وافته المنية يوم 21 جمادى الأولى عام 1391 / 15 يوليوز 1971.

وثائق المعهد الموسيقي بدار الباشاوات بمكناس ؛ معرفة شخصية ورواية شفوية.

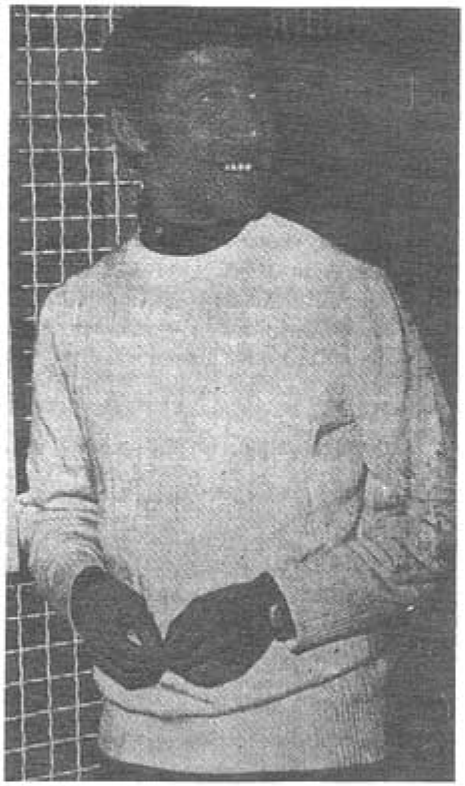
عبد العزيز بن عبد الجليل

الدّمناتي، أمين فنّان تشكيلي يعتبر من بين الفنانين الشباب المتميزين في الستينيات وبداية السبعينيات، ولد بمراكش سنة 1323/ 1942 من أسرة موسرة، وتوفي وهو في ريعان شبابه أثناء أحداث الصخيرات المأساوية.

لقد كان مساره الفني قصيراً لكنه كان واعداً بالتأكيد، مراعاة لتكريس حياة كلها إبداع وعطاء، وللإسهام الفعلي بجانب أقرانه والذين سبقوه في تطوير الحركة التشكيلية الحديثة العهد بالمغرب، متجنباً في ذلك أي إكراه وظيفي وأية ارتباطات تصرفه عما أخذ على نفسه تحقيقه في الميدان الذي ولع به. لم يشغفه هوى خارج المرسم سوى القراءة وتتبع بعض روائع الأعمال الأدبية والفنية سواءً أثناء دراسته أو في حياته العملية.

مع بداية فترة الاستقلال وفي بيئة اجتماعية وثقافية مختلفة عن سابقتها، ظهر جيل جديد من الفنانين الشباب أصبح بإمكانهم الاستفادة من المنح التي دأبت بعض البلدان الأوربية على تخصيصها للطلبة المغاربة قصد الدراسة بالخارج. فكان أمين الدمناتي في عداد الفوج الثاني من الذين اختاروا وجهة فرنسا، بعد أن قضى طفولته ومراهقته في الدار البيضاء، حيث تلقى تعليمه الفني الأول بمدرسة الفنون التطبيقية. فقصد بعزم باريس سنة 1961، وهي السنة التي شرع يعرض فيها، للالتحاق أولاً بمدرسة حرف الفن، ثم مدرسة الفنون الزخرفية ومدرسة اللوفر.

وعلى الرغم من استقراره بفرنسا نهائياً منذ ذلك التاريخ كان الدمناتي يتردّد على المغرب بين الفنية والأخرى حتى إن أغلب المعارض التي شارك فيها سواء مع المجموعات أو بمفرده كانت تقام بالأساس في الرباط وباريس، أكثر من الدار البيضاء أو بعض البلدان، مثل إسبانيا وألمانيا والدانمارك والسويد والأرجنتين والولايات المتحدة. كان المغرب يمثل بالنسبة إليه المرجعية الأولى والأكيدة التي يستلهم منها ومن خلالها جوهر القيمة الإبداعية ومادتها الخام، وهو المغرب الذي كانت مراكش، مع ساحتها جامع الفنا، تمثل في رأيه صورة مصغرة له ونموذجا لفضاءاته.



لذلك يمكن اعتبار أمين الدمناتي فنان الحنين والشوق إلى بلد ومدينة أنجباه وغادرهما مبكراً، ولكنهما ظلاّ حاضرين بدون انقطاع في مخيلته وفي ريشته. كما يمكن اعتباره فنان الحزن المتأثر بمشاهد الفقر والبؤس التي يحفل بها الواقع المغربي والتي صارت تمثل لازمة رسمه وتصويره. إلا أنه بفضل وعيه الجمالي يتحاشى التعبير عنها مثلما هي، ويحسن امتصاصها ـ بعيداً عن العنف ـ بقيمة تعبيرية قوامها التناسق والشفافية، مراعياً في ذلك شعار "الحبّ والجمال هما غاية الفنّ". بل كان نفسه واثقاً من قدراته ومؤمناً برسالته بكثير من الحماس، لكنه كان يتحلى بالرزانة والتواضع والكلام القليل والاعتدال في المطالب. على أن تجربته الفنية تنقسمُ إلى شطرين متدرجين من حيث الأسلوب التقني وتصوّر المضامين، نوجزهما كالتالي :

في بداية مساره الفني كان الدمناتي ينهج أسلوباً تجسيدياً يتصف بالتسجيل المباشر للحياة اليومية في شتى تجلياتها وجزئياتها وزخارفها، من طبيعة ميتة وعُرية ثيران وأبحاث حول المنظور والألوان إلى الوجوه (الأطلسية في الغالب) ثم بعض المناظر الطبيعية وبخاصة المشاهد الحضرية. وكان يستخدم لترجمة ذلك صيغاً وتقنيات بسيطة أساسها الفرشاة والصباغة المائية، الغُواش. غير أنه كثيراً ما كان يتعامل مع إنجازاته بتعميم متقدم لمضامينها وللملامح المميزة للأشياء والناس والحيوانات، وبالاكتفاء بخطوطها العريضة، إلى درجة تحولت معها الشخوص إلى أشباح والجدران إلى مساحات ملونة محفوفة بخطوط غليظة داكنة. وفي ظروف معينة كان بمجرد توزيعه الألوان يغطس اللوحة في الماء بحثاً عن آثار تشكيلية محتملة.

أخيراً وتحت تأثير أحمد الشرقاوي في أواسط الستينيات، ولعله هو الفنان المغربي الوحيد الذي كانت تربطه وإياه علاقة حميمية، انسلخ الدمناتي عن نظرته الحكائية وتخلى عن مسعاه التشخيصي الصرف، لينتقل من ترجمة العالم الخارجي كما هو وكذا تصوير ما يرى إلى التعبير عما يحس به نتيجة التوغل في دواخل ذلك الواقع. لقد ظل بالتأكيد وفياً لعامله الحضري ومتشبثاً بمرجعيته التي لا محيد له عنها، حتى إنه ما فتيء يعيد إنتاج ما بقي عالقاً بذاكرته من وطن بناسه وحشود شبابه وفقرائه،... ومراكش على وجه الخصوص، بفضاءاتها وأزقتها وساحتها وألوانها وحرارتها وجموعها المتحركة أو الهامدة... بالمقابل، أخذ يعمق رؤيته الموضوعية إلى حد بعيد، ليفضي في النهاية إلى نوع من الإيحاء الذي يشبه التجريد الوجداني. ذلك هو المنحى الأسلوبي الجديد الذي نبع من اختزال أشباح الدمناتي ومن طمس معالمها، لفسح المجال أمام كائنات متلاشية وبقع كثيفة متطابقة صيغت ألوانها الموحدة تارة بلون الرسم وتارة أخرى بطريقة الرشم.

توفي أمين الدمناتي في أحداث الصخيرات يوم السبت 16 جمادى الأولى عام 1391 / 10 يوليوز 1971.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 6، ص. 3434 ؛ *معلومات شفوية* ؛ م. أ. السباعي، *برنامج شخصيات من بلادي*، الإذاعة الوطنية، الرباط، بداية يوليوز 1971، نشر بالفنون، عدد 1 ـ2، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، أبريل، يوليوز، 1976، ص. 75 ـ76.

Z. Daoud, *Amine Demnati, Lamalif*, n° 18, mars, 1968, pp. 52 - 55 ; K. M'rabet, *Peinture et identité, l'expérience marocaine*, Paris, 1987 ; M. Sijelmassi, *L'art contemporain au Maroc*, Paris, 1989 ; T. Maraini, *Ecrits sur l'art*, Rabat, 1990, p. 96.

مصطفى عياد

الدمناتي، الجيلالي بن علي أوحدّو قائد دمنات المسمى أيضاً في الرسائل المخزنية بالعامل وذلك في المدة (1292 / 1875 ـ 1322 / 1904). خلف والده في حكم دمنات والقبائل المجاورة بالجبل نيابة عن المخزن، وكان من أهم عمال السلطان مولاي الحسن. كان الجيلاني بخلاف أبيه حريصا على تكثير الأملاك والأموال بكل الوسائل، صادف حكمه رواجا متزايداً في دمنات بسبب ازدياد رواج البضائع الأجنبية وازدياد استعمال النقود وقوة مخزن مولاي الحسن.

عند وفاة علي أوحدو سار أعيان إينولتان مع الجيلالي حتى طلبوا له القيادة ووافق عليها السلطان. أمسك أمرهم بيد من حديد وعدَّد الشيوخ واصطنع معاونين في فطواكة ووسع سجنه، فكان المالك الأول والتاجر الأول في المنطقة. جدد رياض أبيه في القصبة وزخرفها واتخد أبهة تُقلد أبهة الملوك وكثَّر الحريم من الحرائر والإماء، وكانت له مراسيم للخروج والدخول والتحية. استخلص من محكوميه كل ما طولب به من طرف المخزن أو احتاج إليه لنفسه وشد عضد أمناء السلطان القائمين على أخذ مستفاد أسواق دمنات والقبائل المجاورة.

كان له متعلمون من المسلمين ومن اليهود، وكان له صراع مع هذه الطائفة وقع فيه الاحتكام إلى السلطان ولعبت في عهده دمنات دور منطلق لتطويع قبائل لم تخضع قبل للمخزن في الأطلس وأُذن له في مد اليد إلى قبائل سائبة في أيت بوگماز وتدغة وأيت عطة وإيمغران ودادس، وقد شارك في عدد من الحركات السلطانية في العهدين الحسني والعزيزي.

كان السلطان مولاي الحسن خرج سنة 1312 / 1894 لغزو قبائل ثائرة في فازاز، وكان في ركبه عمّال الحوز، ومنهم الجيلالي الدمناتي. وقد وافت المنية السلطان بدار ولد زيدوح، ولما دفن بالرباط عاد العمال ووجد عدد منهم القبائل قد ثارت ضدهم، ومنها إيالة الجيلالي الدمناتي، وقد نهبت داره وتشتت عياله.

لجأ الجيلالي إلى زاوية تانغملت الواقعة بين هنتيفة وأيت عتاب، وعمل بالوسائل المختلفة من أجل الرجوع وإحداث الخلاف بين الثوار الذين نصبوا مشيخة بالتناوب على دمنات وأفلح في ذلك، ودفع له المخزن عدة حربية يستعين بها، وجدد له السلطان الجديد تعيينا مؤرخا بسابع عشر رمضان 1313 / 2 مارس 1896 على إينولتان وفطواكة لا غير، بينما دخلت تگانة وغجدامة في حكم الأگلاويين.

عمل الجيلالي بعد رجوعه على الانتقام من الثوار. ولكن إصلاحات مولاي عبد العزيز التي أسقطت الفروض والعطاءات وضعت حداً لتعسفاته وصار الفارون من دمنات خوفا يرجعون إليها. وفي ذلك الجو دبّر اغتياله بعضُ الأعيان الذين جردهم من أملاكهم وأهانهم، وكان لهم ذلك باغتياله في صلاة الجمعة ساجداً، وذلك في شهر ربيع عام 1322 / يونيه 1904.

أ. التوفيق، *مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، إينولتان، 1850 ـ1912، الدار البيضاء، 1978.

الدمناتي، الحسين رجل أعمال عصامي ولد حوالي 1318 / 1895 بدمنات (دار بوحلو) كانت عائلته معروفة بدمنات بلقب أيت الحسين. عندما كان صغيراً شارك صحبة أبيه وأعمامه إلى جانب الدمناتيين لذين كانوا يناصرون السلطان المولى عبد العزيز، في الحروب ضد أگلاوة المناصرين لأخيه المولى عبد الحفيظ، وبعد هزيمة الدمناتيين نُفي أبوه إلى جزيرة الصويرة وصودرت أملاكه.

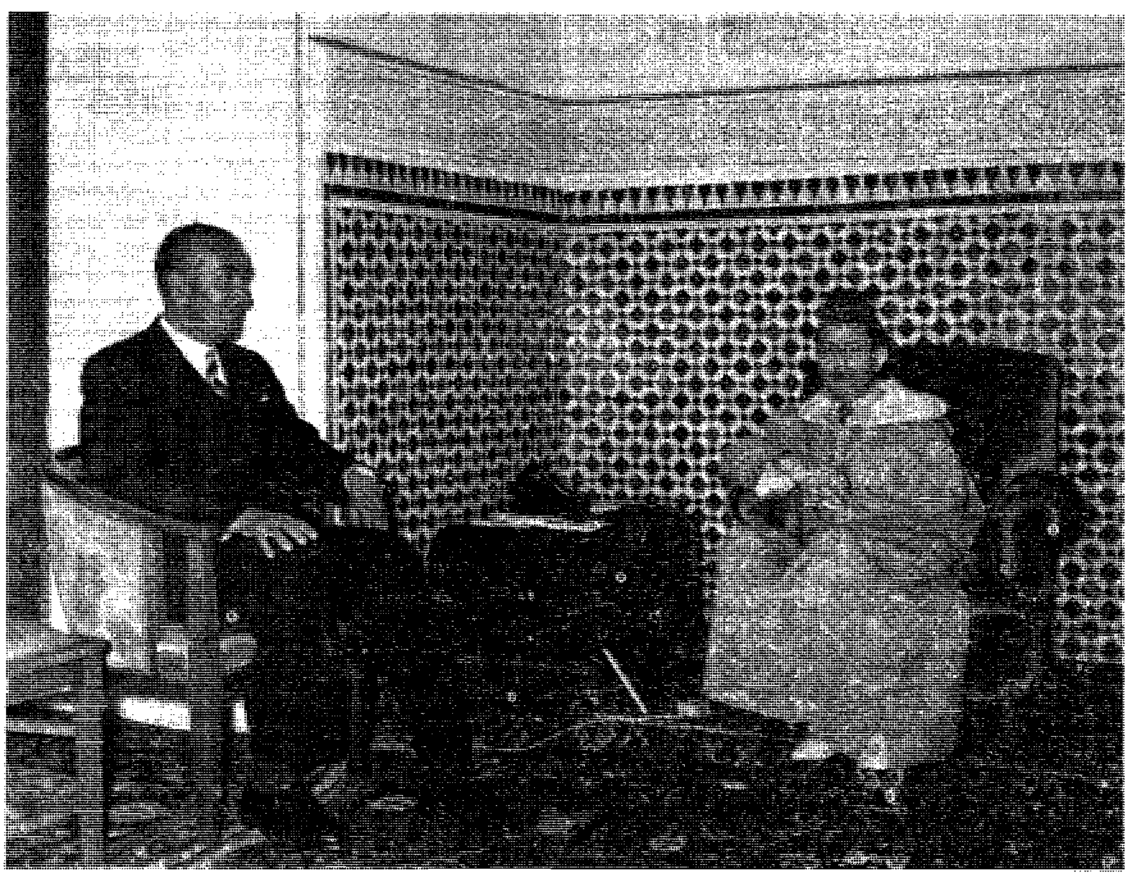
ولمّا بلغ الحسين نحو عشرين سنة من عمره، ذهب إلى فرنسا وهناك تعلم اللغة الفرنسية وأتقنها. وعاد إلى المغرب ليستقر بمراكش ويتعاطى فيها التجارة. ثم اتجه نحو ميدان التنقيب عن المعادن (الرصاص، المنغنيز...).

ويرجع له الفضل في اكتشاف منجم الكوبالط في بوازار، وبسببه ذلك تصادم مع القائد حمّو الأگلاوي، شقيق الحاج التهامي الأگلاوي، إذ رفضت إدارة الحماية الترخيص له باستغلال المنجم بدعوى أن المنطقة مازالت غير خاضعة، فهي غير مفتوحة للاستكشافات المعدنية.

اكتفى الحسين الدمناتي بأخذ أسهم في شركة المناجم التي أسستها شركة "أونا". ونتيجة لهذا الصراع الجديد مع حكام أگلاوة، اتجه الحسين الدمناتي إلى سهل سوس واستقر به في سنة 1932. ونظراً للروابط التي عقدها مع ج. إبينا صاحب شركة أونا، اهتم الحسين الدمناتي بالاستثمار في سهل سوس، وإقامة المزارع الأولى للخضر وإنتاج الموز في الضيعات المسيجة. ثم ركز أنشطته على إنتاج الخضروات وساهم في اهتمام المستثمرين بهذا القطاع وتطوره. وبما أن أگادير هي المنفذ الطبيعي لمنتجاته، فقد ساهم الدمناتي بنشاط كبير في تشييد الميناء.

وساهم أيضاً في ولوج العديد من مواطنيه ميدان الأعمال. ولهذا الغرض أسس في نهاية الأربعينيات شركة مساهمة داخل شركات (هولنيگ) سماها أيت سوس، التي يمكن اعتبارها مدرسة تخرّج فيها العديد من رجال الأعمال السوسيين، بعضهم أسس العديد من المقاولات بعد ذلك.

ووعيا من الحسين الدمناتي بأهمية القطاع البنكي في التنمية والاستقلال الاقتصادي للمغاربة، فكر في تأسيس بنك وطني ابتداءً من عام 1936، لكنه لم ير النور آنذاك بسبب العديد من العوائق، وأعاد الكرة من جديد في منتصف الأربعينيات، خلال انتداب إريك لابون في الإقامة العامة بالمغرب الذي لم يدم طويلاً، مما حدا بالدمناتي إلى نسيان مشروعه. ولم يتمكن من إظهار فكرته من جديد إلا في بداية الاستقلال بدعم من رجال المقاومة. وقد تمكن الدمناتي من جمع المساهمين المغاربة، لكن لم يتمكن من الحصول على حصص مساهمين أجانب، بسبب معارضة البنوك الموجودة في المغرب وتحرك حكوماتها تجاه الدول



المفترض مساهمة رأسماليها في بنك الدمناتي. وبوصول عبد الرحيم بوعبيد إلى الحكومة كوزير للاقتصاد، تمكن الدمناتي من تحقيق مشروعه بخلق البنك الوطني للإنماء الاقتصادي.

خلال مرحلة النضال من أجل الاستقلال، لم يتخلف الحسين الدمناتي عن دعم المقاومين الذين كان على اتصال مباشر بهم، وساهم أيضاً في هذا العمل من خلال علاقاته المتعددة الأشكال مع الليبراليين الفرنسيين. في هذا السياق نشر الدمناتي مقالا في جريدة لوموند وفي المجلة السياسية والبرلمانية (L. Demnati, *Esquisse d'une politique franco-marocaine. - la double nationalité -*, *Revue Politique et Parlementaire*, 56ème année, n° 639, juin 1954) فكرة الجنسية المزدوجة، أي أن الفرنسيين المقيمين في المغرب (المستقل) لهم الحق في الجنسية المغربية، والمغاربة المقيمين في فرنسا لهم الحق في الجنسية الفرنسية، وهذا بدون فقدان الجنسية الأصلية. هذه الرؤيا تنطبق بعد مضي أربعين سنة على فكرة طلب المغرب الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، وهذا ما يدل على الرؤيا العولمية التي تتماشي والرؤيا الاقتصادية عند الدمناتي.

لم يتردد أندري آدم الذي ألف كتاباً عن الدار البيضاء، في تشبيه الحسين الدمناتي بروكفلير في أفكاره (كان الدمناتي بعيداً عن أن يساوي ثروة روكفلير) وكان لمحمد الخامس الكثير من العطف على الحسين الدمناتي. ففي سنة 1947، عند زيارة محمد الخامس لتارودانت نزل ضيفا هو وأفراد عائلته عند الحسين الدمناتي بدل باشا المدينة، وبعد الاستقلال كان محمد الخامس يستقبله باستمرار في القصر الملكي، وكان أيضاً على وشك النظر في ملف البنك الوطني، عندما فاجأت الدمناتي نوبة قلبية توفي على إثرها في 22 ربيع الأول عام 1380 / 14 شتنبر 1960 بالدار البيضاء.

الدمناتي، علي أوحدُو قائد دمنات (1264 / 1848 - 1292 - 1875) أصله من قرية تعرمين القريبة من دمنات، هاجرت أسرته إلى جهات تارودانت وكان عليّ ملما بنصيب من التعليم أهله لأن يكون عدلاً في عسكر السلطان مولاي عبد الرحمان المرابط في تلك الجهات. تعرف عليه أحد قواد السلطان المذكور وهو علي الإيموري وكان مكلفا بمهمة إخماد فتن هناك.

قبل السلطان تولية عليّ أوحدو على دمنات بعد استقلالها عن قيادة السراغنة التي ثارت عليها قبائل دمنات عدة مرات، وذلك لأن القائد الجديد ليس غريباً عن المنطقة وليس من شيوخها الميالين إلى الاستبداد.

امتد حكمه على إنيولتان المحيطة بدمنات وعلى القبائل المجاورة ولكنه تجنب التدخل العنيف وآثر اجتذاب فلاحي تلك الجبال إلى إمغران ودرعة نحو سوق دمنات بدل الاستيلاء عليهم وتنفيرهم.

قضى علي أوحدو شيئاً فشيئاً على رؤوس الفتنة في الجبال الخاضعة له وكانوا استضعفوه في البداية. قام عليه أحماد أو سالم الفطواكي فقمعه بمساعدة الخليفة السلطاني مولاي الحسن سنة 1862. وثار عليه كطيوة وأخمد فتنتهم عند وفاة محمد ابن عبد الرحمان. وسبب هذه الفتن أن القبائل لم تتعود على قرب شديد لممثلي المخزن ومطالبة ملحة بالواجبات. وثار عليه الحاج إبراهيم شيخ تودنوست فقبض عليه وأهله وأرسلوا إلى سجن العرائش والصويرة.

في عهد عليّ أوحدو بُني سور دمنات من أوقاف المسجد وإسهام السكان. وبالإضافة إلى تركيز سلطة المخزن في ولتانة وفطواكة وغجدامة فإن أوحدو أوقف أو أخر تنفيذ أطماع قواد اكلاوة في دمنات.

أ. التوفيق، *مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، إنيولتان، الدار البيضاء، 1978.

أحمد التوفيق

الدمناتي علي بن **سليمان** ← **البُوجمعويّ**

الدمناتي، محمد بن **عبد الكبير**، يعرف بابن كبور رجل دولة اشتهر في عهد مولاي عبد العزيز (1894 - 1908) وفي عهد أخيه مولاي عبد الحفيظ (1908 - 1912). وقد ترقى في خدمة المخزن إلى أن عين وزيراً أكبر.

ينتمي محمد بن عبد الكبير إلى أسرة من مدينة دمنات، حيث كان أبوه متولياً لخطة الحسبة. ويظهر أنه انتقل إلى مراكش بعد وفاة والده في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان (1859 - 1873). وبمدينة مراكش خطا ابن كبور كما كان يلقب خطواته الأولى في ميدان الحياة السياسية والثقافية.

كانت لابن كبور معرفة كافية بالعربية وآدابها، كما تميز بحسن الخط وإتقان فن الكتابة والترسل ؛ زيادة على ما وعاه من ثقافة عامة. الأمر الذي أهله لدخول خدمة المخزن التي ظل فيها إلى وفاته سنة 1911.

كانت أولى خطوات ابن كبور نحو الخدمة المخزنية، على يد القائد إبراهيم الأجراوي باشا قصبة مراكش. فقد عينه الباشا أولاً ضمن حرسه، ثم ما لبث أن رقاه إلى كتابته الخاصة. ويبدو أن ثقافة ابن كبور التي طعمها بمعرفة صوفية كافية وحذقه لمهنة الكتابة الديوانية، قد أهلته ليزوجه الباشا ربيبته الباتول، ثم بنته بعد وفاتها.

وبعد وفاة الباشا إبراهيم الأجراوي، خدم ابن كبور مع الحاجب أحمد بن موسى البخاري في الكتابة ثم في أمانة الصائر على مطبخ السلطان. وسرعان مارقاه إلى الكتابة في بنيقة الصدارة ثم في كتابة وزارة الحربية.

ثم عين محمد بن عبد الكبير على باشوية القصبة وأعمالها وبذلك عاد للعش الذي شهد فيه أيام عزه الأولى. وبذلك كسب الرجل ثروة عريضة. وبفضل الوظائف التي تولاها، تدرب على أمور السياسة المخزنية ودسائس البلاط، وأصبح من أهل الحل والعقد، الذين عليهم مدار سياسة مراكش وأحوازها. بعد أن كان قد جاءها هارباً من دمنات خائفاً يترقب.

وبما أن مراكش كانت هي العاصمة الثانية ومقر حكم خليفة السلطان بالجنوب. وبما أن باشا القصبة كان مكلفاً بمراقبة الخليفة، حسبما جرت به العادة المخزنية "من أن الباشا يكون على الخليفة عيناً وأذناً. ولا يساعده فيما لم يعط فيه "رخصة وإذناً" فإن علاقة ابن كبور لم تكن على ما يرام مع الخليفة السلطاني مولاي عبد الحفيظ الذي تولى الخلافة عن أخيه بين 1902 ـ 1907.

كان الخليفة عالماً وأديباً وشاعراً وسياسياً ذا طموح كبير، وقد اصطدم مع ابن كبور الذي رفض مسايرته، خاصة لما ساءت علاقات الخليفة مع السلطان، وبدأت عقارب الوشايات والدسائس تتمشى بين الطرفين.

والواقع أن باشا القصبة التي تحوى القصور السلطانية، ومخازن السلاح وثكنات الجند، لم يكن غريباً عن توصيل الأخبار التي لا ترضي الخليفة إلى بلاط فاس، ولا عن معاكسة سياسته. والملاحظ أن الخليفة ـ بالرغم من ذلك ـ لم يبادر إلى مقاطعة الباشا، بل صمم على سلوك كل السبل التي توقعه في حبائله والتي تجره إلى جانبه وولائه.

وهكذا ففي الوقت الذي أحكم فيه عبد الحفيظ سلطته على الحوز وروابطه مع زعمائه. وتأكد تطلعه للملك بتأييد كبار القواد، نجد محمد بن عبد الكبير يميل مع التيار وينحاز للجانب الحفيظي ويقبل التعاون معه.

وبدون شك، فقد حرص الخليفة على كسب ولاء الرجل، لمعرفته بشؤون المخزن ولاطلاعه على عوائده. ولأنه كان القائد الأعلى لجيوش المخزن بمراكش. كما يبدو أن حالة الاضطراب والفوضى التي أصبح عليها المغرب دلت على عجز السلطان بفاس وأقنعت ابن كبور بالبحث عن سند داخل السلطة الجديدة.

بايع ابن كبور مثله مثل غيره من أهل الحل والعقد بمراكش عبد الحفيظ بالملك سنة 1907. وفي مقابل هذا الانحياز عين وزيراً أول في المخزن الجديد كما عين ابنه في حجابة السلطان الجديد.

ونظراً للشروط التي تحكمت في موالاة ابن كبور للسلطان الجديد، ونظراً كذلك، لعدم وجود عصبية يستند إليها، لم يكن لابن كبور من الوزارة إلا الاسم. إذ اكتفى بالأمور البروتوكولية وبأمور المراسلات مع الرعية ومع الخارج. وتؤكد مراسلاته ـ بالفعل ـ ما ذكرناه من امتلاك الرجل لناصية الإنشاء والترسل ومعرفته بقواعد الملك وعوائده.

ولقد بدأ نفوذ محمد بن عبد الكبير في التراجع، ونجمه في الأفول، حالما حل المخزن الجديد بفاس في أواسط 1908. إذ سرعان ما أخر ابن كبور إلى وزارة الشكايات، ثم نزلت رتبته إلى أمانة الصائر، حيث تجرع المرائر. فاستعفى من المنصب متعللا بالشيخوخة والعجز فسوعد على طلبه سنة 1910.

ويظهر أن نزاهة الرجل أو قلة ورعه، ساعده على حيازة ظهير سلطاني طويل. نوه فيه عبد الحفيظ بخدمات ابن كبور ومنحه التوقير والاحترام لشخصه ولمن تعلق به وفي 13 محرم عام 1329 /14 يناير 1911 وافاه الأجل المحتوم بمدينة مراكش موطن استقراره.

ع. بن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977، ج 7 ؛ م. غريط، *فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان*، 1346.

Archives diplomatiques de Nantes (France).

علال الخديمي

الدمناتي، محمد بن علي المسفيوي ولد بمدينة أسفي حوالي سنة 1280/ 1863 في بيت لم تكن له علاقة بالذكر أو المحلون، إذ كان أبوه حداداً. ابتدأ بحفظ القرآن ثم أخذ مبادئ اللغة والدين. كان ملازماً لحلقات الذكر العيساوية فحفظ قصائد كثيرة من هذا النوع وانطلق ينظم قصائد في الذكر تحت رعاية شيخه المبدع الطالب بنسعيد الروداني.

أثناء أدائه لفريضة الحج اتصل بشخصيات راقية من الدولة التركية. رافقهم إلى بلدهم قصد معالجة مصابة بمرض الأعصاب نجح في مهمته فذاع صيته وأصبح يعرف عندهم بالطبيب النفساني.

عاد الدمناتي إلى المغرب حاملاً معه توصية باسم رجال الدولة التركية لسفارة انجلترا بطنجة. فدخل في عداد رعايا الأتراك. وبذلك استفاد من الامتيازات الأجنبية. ولما عاد إلى أسفي احترف التجارة. غير أن علاقته بالسلطات الفرنسية لم تكن علاقة طيبة. فمع بداية الحرب العالمية الأولى سنة 1914. بدأ الفرنسيون يلقون القبض على رعايا الألمان والأتراك. ولما وصل الخبر إلى الدمناتي فر خفية إلى مراكش. ورغم جهود سلطات الحماية لم يتمكنوا من القبض عليه، فألقوا القبض على صهره وعائلته مقابل استسلامه، فسلم نفسه إلى حاكم مراكش وجيء به إلى أسفي ومثل أمام محكمة عسكرية. حكمت عليه بالسجن مدى الحياة. فنقل على إثر ذلك إلى سجن العادر بالجديدة حيث ذاق العذاب الشديد.

ولما علم بأن المارشال ليوطى المقيم العام آنذاك سيزور السجن نظم قصيدة يمدح فيها الجنرال ويرجو عفوه. وفعلاً أطلق الجنرال سراحه شريطة الإقامة الإجبارية في الرباط وسلا وعدم العودة إلى آسفي.

استقر الدمناتي بسلا وأقام بدار شيخ شيوخ الملحون الحاج إبراهيم الطرابلسي. الذي كان له ناد يلتقي فيه

الأعضاء لمناقشة أمور الدين والملحون والقضية الوطنية وغيرها.

عاد إلى أسفي سنة 1928 لزيارة أهله وأصدقائه ثم رجع إلى سلا متابعا مسيرته الإبداعية وسط تلاميذه ورفقائه إلى أن توفي سنة 1350/ 31 ـ 1932 عن سن تناهز 70 سنة.

اشتهر الدمناتي بنظمه لقصائد فريدة أدخلت الجديد إلى فن الملحون وذلك بطرقه لأبواب ومواضيع لم تكن متداولة بين رجالات الملحون. تميزت بدقة في فن التصوير وبالاجادة فيه. وأصبحت لشاعرنا مكانة خاصة عند رجال سلا. إذ كثر حفاظه وتلاميذه مثل الشيخ أحمد بن غانم الذي كان ينعت بديوان المسفيوي المتنقل، والمعلم بن عيسى وغيرهم.

أما آثاره فهي غزيزة ومتميزة منها قصائد كثيرة خالدة في الذكر العيساوي، وقصائد غنية في الملحون تعد نوعاً جديداً في الإبداع والتجديد وأهمها قصيدة الطوموبيل التي مطلعها :

سعدي زارتني خليلتي الغزال أم دلال
وزهينا بعد الفراق وركبنا طوموبيـــل
وتسارينا بالجميع فالدنيا عرض وطول

طاف بهذه القصيدة القارات الخمس ؟ وزار قبة النبي ومناطق أخرى من العالم.

ومن قصائده الجميلة، قصيدة خدوج المنارة والخال وغيرها.

أ. معنينو، *الشيخ الدمناتي المجدد المبدع في فن الملحون*، مجلة *البحث العلمي*، عدد 28، 1977، ص. 346 ـ 365.

علال ركوك

الدندون (بلاد -)، تعني كلمة "الدندون" بالعامية المغربية، الأرض الثقيلة، أي الأرض المرتفعة الأطراف مع ما جاورها من أشكال تضاريسية. ومن مميزاتها الانبساط وسمك التربة وخصوبتها، وهي إما سوداء اللون "التيرس" أو بيضاء "بياضي". كما تتميز بكثرة الأوحال خلال فصل الشتاء المطر. وتسمى كذلك في بعض الجهات بـ "الكعدة". إلا أن هذا المصطلح يتعدى هذا المفهوم ليعني منطقة معينة وساكنة بذاتها.

فبلاد الدندون، تجمع سكني صغير، تابع لجماعة سيدي الطيبي، إقليم القنيطرة، وهي مركز غابوي، بلغ عدد سكانه سنة 1936 : 14 ساكنا، 8 منهم فرنسيين و6 مسلمين.

وأورد الحسن الوزان في كتابه *وصف إفريقيا*، ج1، وصفا لمدينة أدندون، "مدينة صغيرة، مبنية بين تلال على بعد نحو خمسة عشر ميلاً من الأطلس وخمسة وعشرين ميلاً من (مدينة النخيلة)، كل هذه التلال صالحة لزراعة القمح، وتنبع من سور المدينة عين ماء في غاية الجودة [...] ويمر ماء العين بين صخور ليجري في واد يقال إن فيه مناجم كان يستخرج منها الحديد بكثرة [...]" وإذا كانت هذه المدينة غير معروفة الآن فهناك من يعتقد أنها آيت عمار الحالية باعتبار وجود عين ماء ومنجم حديد ؟ !.

وجاء في *يتيمة العقود الوسطى*... لمحمد بن عبد الكريم العبدوي (المتوفي سنة 1187 / 1775) عن أبي العباس أحمد بن القاسم التادلي الصومعي : "وإن دكالة دار صلاح وولاية وأن الأجداد أول ما نزلوا بها في المغرب واستوطنوا أرضها [...] وأما وطن هؤلاء السادات الذين نزلوا من تادلا فاستوطنوه وتمرغوا في تربته وسكنوه فهو أدندون ببلد ورديغة". ويقصد بذلك الجزء الشمالي من تادلة العليا أو ما عرف بتادلة الرسمية. ويعني قبيلة بني خيران الشرقية ومجموعة بني منصور ومجموعة شرفاء أيت عمار. وقدر عدد سكان هذا الإقليم إبان التدخل الفرنسي بـ 1316 خيمة موزعة على الشكل التالي :

بني خيران الشرقية	أولاد بوغادي	700 خيمة
	أولاد فتاتة	20 خيمة
	بني منصور	256 خيمة
	شرفاء أيت عمار	160 خيمة

وشكلت هذه المنطقة خلال فترة الحماية قيادة قائمة بذاتها، تابعة لدائرة وادي زم. مجاورة لقبيلة "السماعلة" شرقاً ولزعير شمالاً ولورديغة من الجنوب أما من الغرب فامتدت بنو خيران الغربية والشاوية، واشتهرت المنطقة بزراعة الحبوب وتربية الأغنام واستغلال منجم الحديد بآيت عمار.

ح. بن محمد الوزان، *وصف إفريقيا*، ج. 1 ؛ م. بن عبد الكريم العبدوني، *يتيمة العقود الوسطى*...، مخطوط.

R. Peyronnet, *Tadla, pays Zaïan, Moyen Atlas*, Alger, 1923.

صالح شكاك

الدندون، (في الموسيقى) طبل كبير الحجم تستخدمه فئة الحراطين الذين يستوطنون مناطق من الأقاليم المغربية الجنوبية، خاصة منها منطقة تكنة التي تمتد من الهضاب السفلى لجنوب الأطلس الصغير وحتى الحدود الجنوبية للساقية الحمراء.

يعرف الدندون أيضاً بطبل الكونتا ويجري استخدامه كآلة إيقاعية في مصاحبة العروض الموسيقية ومرافقة رقصات الحراطين كرقصة "تاونة" التي يحيونها في تامكروت عند غروب اليوم الذي يختم فيه سرد "سيدي البخاري" بالزاوية الناصرية.

ع. العزيز بن عبد الجليل، مجلة *المناهل*، عدد خاص بالأقاليم المغربية الجنوبية، رقم 58 مارس 1998، ص. 416 و423.

Odette de Pigadeau, H. T., vol. IX, Fas. 3, p. 347, 1968.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن الدّنيا، أسرة تطوانية أصلها من مدينة دانية Denia بالأندلس وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان ؛ غير أنه إلى غاية سنة 1257 (1841) كانت توجد بحومة الطرانكات دار تعرف بدار ابن الدّنيا.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999. والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1571.

محمد ابن عزوز حكيم

دنّيان (سيدي -)، قبر كبير يبلغ طوله أزيد من عشرة أمتار ويعرف كذلك تحت اسم "قبر النبي". موقعه بالقرب من شاطئ المحيط جنوب مدينة أسفي بالمكان المعروف بجرف اليهودي. تروى حكايات غريبة حول دفينه العملاق الذي يعتقد سكان المنطقة أنه نبي الله "دنيال"... ويتفق جل الباحثين على أن هذا القبر (أو ما يشبه القبر) قديم جدا وربما شكل بقايا أحد معابد أهل المنطقة قبل اعتناقهم الدين الإسلامي. ويدعم هذا الافتراض أنه يوجد بجواره عدد من الأحجار الضخمة التي ربما كانت قطعاً من بنايات بعض المعابد... وكان بعض الباحثين الفرنسيين قد اكتشفوا بالقبر بقايا تمثال حجري في شكل إنسان، ربما كان تمثالا لأحد الآلهة في هذه الناحية قبل انتشار الإسلام بها.

وحسب ما يمكن استنتاجه من مختلف الروايات الشفوية فإن تاريخ "سيدي دنيان" يعود إلى عهد البرغواطيين الذين ينعتون في جميع الحكايات باليهود. فحسب بعض هذه الروايات "إن سكان هذه المنطقة كانوا يدينون باليهودية، وكان معبدهم الرئيسي يوجد بجرف اليهودي". ولما طغى كبير كهنتهم ونشر في الأرض الفساد أرسل الله من مكة نبيه "دنيال" وكان عملاقا. فجاء لمحاربته... ولقد استطاع بالفعل القضاء عليه ونشر الدين الإسلامي في هذه الربوع... .

ومما لا شك فيه أن هذه المنطقة عرفت في القديم تعاقب عدة حضارات وديانات وأنها كانت مسرحا لكثير من الأحداث المهمة... غير أن تاريخها يبقى مجهولا. وتبقى المراجع تنحصر في عدد من الخرافات والحكايات المتعة والعجيبة... ولن يُعرف ماضي هذه الناحية إلا باللجوء إلى وسائل أخرى للبحث كالتنقيب الأركيولوجي مثلا...

بحث ميداني، روايات شفوية.

E. Doutté, *En tribu*, Paris, 1914.

عبد الرحيم العطاوي

دنّية، أو دينِيَّة أسرة رباطية أصلها من الأندلس من مدينة دانية، وأول من ذُكر منها حسب المصادر المتوفرة هو محمد دينية الذي عاش أوائل القرن الثاني عشر أواخر (17 م) الذي تفرعت عنه أسرة برز منها العديد من العلماء والفقهاء تقلدوا خطة القضاء و الإمامة والعدالة، وكان منهم أهل صلاح ومتصوفة. ولم تذكر المصادر ذاتها أفراداً آخرين غير محمد المذكور إما لأنهم لم يبرزوا بعلم أو بوظيفة هامة وإما لأنهم لم يوجدوا أصلا. فيكون محمد حينئذ هو الجد الوحيد لهذه الأسرة بالرباط، وقد عاصر المولى إسماعيل وربما عاصر من قبله ومن بعده إذ لا تعرف سنة وفاته.

وبرز من أسرة دنية بعد ذلك بالإضافة إلى من سيذكرون عدد من الفقهاء والامناء أمثال : محمد اليابوري بن المختار دنية المتوفى عام 1363/ 1944 والذي تردد على دروس العلم وحلقاته في المساجد والمدارس وتعاطى الموسيقى الأندلسية والعزف على بعض آلاتها. وتولى الكتابة والأمانة في مرسى أسفي وانتقل إلى الصويرة كأمين بها وإلى أكادير كناظر.

ومثل التاجر العدل عبد العزيز بن عمر دنية المتوفى سنة 1373/ 1956 ؛ والمعطي بن محمد دينية، المتوفى سنة 1351 /1932 وكان من نبغاء الطلبة، ومثل العباس بن التهامي دينية وهو من فقهاء الرباط وعدوله الموثقين وقد توفي بالدار البيضاء سنة 1350 /1931 ودفن بالزاوية الفتحية التي كان من فقراء طائفتها.

م. بوجندار، *الاغتباط*، ص ص. 98- 51- 50- 232- 233- 372 ؛ ع. الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*، ص ص. 429- 454- 458- 463- 182 ؛ م. بن علي دينية، *مجالس الانبساط*، ص.ص. 93. 184. 234. 253. 260. 269. 273. 287. 301. 306. 322.

دنية، أبو بكر بن أحمد، عم صاحب *مجالس الأنبساط* تعاطى في أول أمره للتجارة واستخدم أمينا بمرسى الصويرة فأمينا بمراكش - كان درقاويَ الطريقة، توفي في 13 ربيع الأول 1331 /20 فبراير 1913 ودفن بضريح مولاي المكّي بالرباط.

دنية، أحمد بن علي آتي الترجمة : ولد بالرباط وبه نشأ وحفظ القرآن، ودرس مبادئ العلوم، ثم رحل إلى فاس وأخذ عن علمائها مثل عبد الرحمان السجلماسي وعبد القادر الكوهن بالقرويين. اشتغل بالتدريس وكانت له دروس بمسجد القبة في الأشهر الحرم بأمر من الخليفة السلطاني مولاي أحمد العلوي الذي كان يحضرها والخليفة من بعده مولاي رشيد. وكان أيضاً مفتياً وأسندت إليه الخطبة بجامع السوق - وانخرط في الطريقة المختارية، وكان في بدايته يتعيش من نساخة الكتب، وكان يفصل في عدة قضايا تصله من المخزن بأمر سلطاني مما كان يغيظ القاضي عبد الرحمان البريبري. عمل مستشاراً لعامل الرباط محمد السويسي ثم كابنه عبد السلام السويسي وترك عدة تآليف، منها ختمة على مختصر *خليل وشرح همزية المديح*،

وفتاوي. وفيه ألف حفيده محمد بن علي بن أحمد دنية كتاب *النسمات الندية من نشر ترجمة أبي العباس أحمد دنية*.

توفي يوم الجمعة6 صفر 1282 / 30 يونيه 1865.

دنية، علي بن أحمد والد مؤلف كتاب *مجالس الانبساط*، وأعلم شخصيات هذه الأسرة. كان مدرساً خطيباً متضلعاً في علوم وقته من نحو ولغة وحساب وحديث وفقه. أخذ العلم عن أحمد بن العربي الغربي وأحمد بن الغازي والطاهر ضاكة وغيرهم. ومن تلامذته أخوه محمد والجيلاني بن إبراهيم وأحمد جسوس وأحمد الزعيمي وعبد القادر لبريس وأحمد القادري والحاج محمد بن عبد الله قديرة وغيرهم كثير.

كان ولوعا بالنساخة تعيش منها في البداية كذلك. تقلد الخطابة بجامع السوق، رشح للكتابة مع القائد عبد السلام السويسي عوض والده وعدلاً بالمرسى، كما اشتغل بالشهادة والتوثيق. وترك تآليف عديدة، مثل *شرح على الهمزية*، و*ختمة للألفية*، و*رحلته الأندلسية*، و*مجموعة خطب جمعية*، لم يرغب في إعطاء الفتوى في أول أمره، ولم يتعاطا إلا بأمر سلطاني. سافر مع القائد عبد السلام السويسي الذي توجه سفيراً إلى إسبانيا سنة1294 / 877 وبعد رجوعه رشح بعد وفاة القائد عدلاً بمرسى طنجة. وفي سنة 1316 / 1899 تولى القضاء بالرباط فكان يخرج لمقصورة الأحكام مرتين في اليوم.

توفي بالرباط سنة1325 / 1907 ودفن بالزاوية الدرقاوية.

دنية، محمد الصوفي العالم، درس في مسقط رأسه على الشيوخ إبراهيم التادلي وعمر عاشور وعلي دينية والمكي البطاوري وزين العابدين بناني، ثم رحل إلى فاس وأخذ عن علمائها قبل أن يشتغل بالتدريس. ويتعاطى الشهادة مدة طويلة.

رشح عدلاً بمرسى الجديدة، ثم انتقل في آخر عمره إلى الدار البيضاء وتوفي بها في أوائل ربيع الأول 1332 / أوائل فبراير 1914. ونقل إلى الرباط حيث دفن خارج باب لعلو بمقبرة سيدي الخطاب. وله تآليف منها *حاشية على بعض شروح شيخه إبراهيم التادلي*، *تأليف في سيرة النبي* (ص) *ختم على الأجرومية*.

دنية، محمد بن **علي** أشهر أفراد هذه الأسرة، تلقى تعليمه الأولي على يد والده ثم على يد مشايخ الرباط أمثال : المكي البطاوري ومحمد بريبش والمهدي متجينوش والجيلاني بن أحمد بن إبراهيم وأحمد بن قاسم جسوس والهاشمي الحجوي وغيرهم. وحج سنة1327 / 1909 وسنة 1335 / 1917 فالتقى بشخصيات علمية بالحجاز ومصر وبلدان عربية أخرى فأخذ عن البعض أمثال الشيخ فاتح بن محمد الطاهر.

وعندما آنس منه والده مقدرة ودراية وسنه لم يتجاوز الثامنة عشرة، عام1317 / 1899 دفعه إلى مزاولة التدريس، وفي سنة1323 / 1905 رشحه لخطة العدالة والتوثيق بموافقة شيخه القاضي البطاوري. وكلف بخطبة الجمعة بجامع السوق، فبرهن على فصاحة وشجاعة أدبية وبيان مما جعل أحد أغنياء الرباط من أصدقاء أبيه يهب له عقاراً مكافأة له. في سنة 1333 / 1314 رشح لمزاولة العمل بالمجلس الجنائي بصفة نائب عضو تم عضواً في المحكمة العليا بقسم الاستئناف تم نائبا عن الرئيس بها. عرف بالتواضع في اللباس وبالإحسان إلى الضعفاء، وقد رزئ بوفاة ابنه المعطي الذي لم يتجاوز الخامسة والعشرين سنة 1933 مما أثر فيه غاية التأثير فضعف بدنه وزاد في ذلك فقدانه زوجته القائمة على خدمته وذلك بعد أربع سنوات فقط على فجيعته الأولى فازداد أسىً وانهياراً.

له مؤلفات عديدة طبع معظمها في حياته :

- *اختصار القول المحرر التام في الكلام على سنة السلام*، الرباط، 1355 هـ.
- *الاسرار المتزجة بغاية المنفرجة*، الرباط، 1347 هـ.
- *الأقوال الحسان الراقية في الأجوبة المختارة السامية*، الرباط، 1356 هـ.
- *بهجة الأرواح بذكر خطاب النكاح*، الرباط، 1955 هـ.
- *تحرير المناط والمسالك في أن التصوف بالمعنى المصطلح عليه كان زمن الإمام مالك*، الرباط، 1355 هـ.
- *تحفة ذوي الاختصاص في مواقع الباء بعد مادة الاختصاص*، الرباط، 1347 هـ.
- *الذخر الأخروي في الكلام على السهو النبوي*، الرباط، د. ت.
- *ذرة المجد ومنهل الورد ودليل السعد لمن يريد تحقيق المتكلمين في المهد*، الرباط، د. ت.
- *السر الساري من ثلاثيات صحيح الإمام البخاري*، الرباط، 1350 هـ.
- *السلسلة الذهبية من الحديث المسلسل بالأولية*، الرباط، 1356 هـ.
- *العقد المنظم في ذكر اسم الله الأعظم*، الرباط، د. ت.
- *القول المحمود في المسائل التي تنعقد فيه الركعة بالسجود*، الرباط، 1348 هـ.
- *كمال العطية بإعراب كلمات من العربية*، الرباط، د.ت.
- *متن المتعال في ختم لامية الأفعال*، الرباط، 1349 هـ.
- *النسمات الندية من نشر ترجمة أبي العباس أحمد دنية*، الرباط، 1355 هـ.
- *النور المستبين من أحاديث سيد المرسلين*، الرباط، 1354 هـ.

ـ *واسطة العقد النضيد في شرح حديث التجديد*، الرباط، 1347 هـ.

وترك مؤلفات أخرى مخطوطة في اللغة والنحو والرحلات، منها : "*نشر الأعلام بإتمام المرام في ذكر مراحلنا إلى مصر والحجاز والشام*" و"*التحفة العنبرية في الالغاز الفرضية*"... وأوصى بطبع كتابه *مجالس الانبساط في تراجم علماء الرباط* وخصص لطبعه مبلغاً من المال، لكن طبع هذا الكتاب تعذر بسبب قلة الورق وقت الحرب العالمية الثانية إلى أن تحقق مؤخراً سنة 1986 على يد قريبه مصطفى الغربي.

توفي زوال يوم الأربعاء 16 شوال1358 / 29 نونبر 1939 ودفن بالزاوية الدرقاوية بمنحدر الحرارين.

دنية، محمد الفقيه الخطيب الشاعر، اشتغل في البداية بالنساخة ليتعيش منها، ثم تعاطى للتجارة بعد ذلك وأصبح عدلاً أيام نائب القاضي محمد بن إبراهيم الذي ألزمه بعدها بالتدريس، وهو أستاذ الشيخ محمد المكي البطاوري. تولى الخطابة بجامع مولاي سليمان. وله اشعار ومقطعات وكان العلامة الصوفي فتح الله بناني يسرد بين يديه *صحيح البخاري* بالمسجد الأعظم بين الظهرين. اشتغل عدلاً بمرسى الدار البيضاء وطنجة والرباط وبدار عديّل بفاس. وكان يرافق غالباً في هذه الخدمات القاضي العلامة عبد الله بن خضراء السلاوي.

توفي في فاتح محرم عام 1326 / فبراير 1908 ودفن بالزاوية المختارية :

الإدريسي، إدريس بن الماحي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 8 : 3070، وقد سماه ـ خطأً ـ محمد بن أحمد.

عبد الإله الفاسي

الدُّهري، عبد السلام بن عبد الرحمان التطواني، الفقيه العلامة العدل المقرئ المجود الخطيب الميقاتي الموسيقي. ولد بتطوان حوالي عام 1247 ونشأ في حفظ وصون، وحفظ القرآن والمتون المعتادة وأخذ عن أشهر علماء بلده : كالفقيه القاضي الشهير محمد بن علي عزيمان، والعلامة المفتي أحمد بن محمد السلاوي، والعلامة الورع محمد النجار، والعلامة الشريف أحمد البقالي، وكان يحب المترجم له كثيرا، وغيرهم. ومن الجدير بالذكر أن شيخه السلاوي أخذ عنه فن القراءات.

ولما استشار شيوخه في السفر إلى فاس للمزيد من طلب العلم، أشاروا عليه بالتخلي عن السفر، وقال له شيخه السلاوي : لقد أدركت من العلم ما كان لك أن تدركه، وخير لك أن تتزوج وتنقطع للإقراء، فاشترى داره المعروفة بوطية ابن قريش بحي العيون، وتزوج امرأة من عائلة (الطرمو) الجزائرية كانت قدمت مع قومها مهاجرة بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، وتولى الخطابة والإمامة بجامع الباشا بتطوان، والتدريس بمدرسة القاضي ابن قريش القريبة من دار سكناه (وهي ثاني مدرسة بتطوان) فأخذ عنه كثيرون خصوصاً القراءات والتجويد والنحو والصرف والتوقيت.

ولما ورد تطوان السيد أحمد الخضر السلاوي عاملا عليها عام 1283 اختار المترجم له لمجالسته وسرد الحديث بين يديه، وظل معه على الوسم المذكور إلى أن توفي، ثم صحب ولده كذلك القائد محمد السلاوي إلى أن سافر من تطوان عام 1315 وخلفه القائد إدريس بن يعيش فاختاره مؤدبا لأولاده إلى أن سافر عام 1319 ثم خلفه القائد قدور بن الغازي فصار معه كذلك، وهو مع هذا عدل رضى يتعاطى الشهادة إلى أن عجز عن القيام بتلك المهام كلها بعد أن ابتلي بمرض التهاب البروستات فقضى حميدا طيب الذكر، لما كان يمتاز به علاوة على ما ذكر من خفة الروح، وطيب النكتة وحلو النادرة مازال الناس يتناقلون نوادره.

كانت وفاته في شهر شوال عام 1322/ دجنبر 1904 ـ يناير 1905 وخلف ولدين وبنتين. أحد الولدين شيخنا الفقيه المجود السيد الحاج أحمد. رحم الله الجميع.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 6 :15 ــ 147 ؛ *معلومات خاصة من* حفيده الأستاذ عبد السلام الدهري.

محمد الأمين بوخبزة

الدهس، نوع من أنواع التربة حسب التصنيف الأهلي المغربي للأتربة. لا يوجد له مقابل يميزه بالذات في التصانيف العلمية الرائجة رغم أنه من أجود الأتربة في سياقه المجالي، يقدم خدمات نوعية تامة التكامل مع الأتربة المرافقة له. وهو في ذلك، شأنه شأن التيرس مثلا، يؤكد حاجة البلاد المغاربية إلى تصنيف ترابي علمي خاص بها يثمن مقوماتها المتميزة.

الدهس معروف على الخصوص في سهل الغرب.

يدخل في المتوالية الترابية التي تنطلق من محاور الأنهار إلى عمق السهول البينهرية. حيث إنه، في وضعه النموذجي، يشكل الشريط الموازي للمجاري. يزيد عرضه بقدر أهمية النهر ونشاطه في تحريك الغرين.

يتميز عن باقي الأتربة المجاورة بخشونته النسبية، حيث إن غالبية قوامه النسيجي تتكون من الطمي، وكذلك باللون الرمادي المصفر الذي يطبع مجالاته الواسعة ويسهل عملية التعرف عليها بمجرد المعاينة البسيطة.

بقدر الابتعاد عن المجاري المائية والاقتراب من جوف المنخفضات البينهرية، تصبح عناصر القوام النسيجي أكثر دقة، ويزيد الطين، وتدكن الألوان إلى الرمادي ثم إلى الأسود، ويتحول الدهس، بتدرج بطيء، إلى دهس متزايد

الترس، ثم إلى تيرس حقيقية وأخيرا إلى المروج الغدقة ذات الأتربة الميهة.

يمثل سهل الغرب الوضعية النموذجية لهذا النوع من المتواليات الترابية المرتبطة بحركية المجاري النهرية داخل السهول الفيضية التي يحكمها التهدل.

فمعلوم أن الأراضي من حول مركز التهدل، في وسط المنخفضات، تغلب عليها الميهة التي تتحكم في تطورها فتجعلها صالحة لاستنبات الكلإ، توفر العلف للمجترات الكبيرة.

أما المجالات التيرسية البينية، الواسعة الامتداد، فهي بامتياز أراضي الزروع الخصبة.

ولو لم تكن الدهوس في عالية هاذين المجالين، لبقيت السهول الفيضية فضاءات عراء صرف، لا شجر فيها، متخصصة في إنتاج الحبوب وفي تربية الماشية الكبيرة.

الدهس وحده يسمح بقطع الآفاق وتنويع المشاهد الزراعية، حيث يعطي النباتات الشجيرية والبخيليات الكبيرة ذات التجذر العميق ومن ضمنها حقول قصب السكر فوق أنواع الدهوس المختلطة. أما في صيغته النموذجية الصافية، فإن الدهس يحمل جنان الأشجار من حوامض وزياتين ووورديات.

في صيغته الصافية، المخففة من الأطيان، يتميز الدهس بنسبة طينية تقل عن الثلث، ونسبة كلس بمقدار العشر تقريبا، وهو طمي في ما عدا ذلك قليل الترمل.

لكن على طول الأنهار، تصير المسكات العلوية من الدهس أكثر غنى بالرمال. يتزايد نصيب هذا الدهس الأخشن في الأطناف المرافقة لضفاف نهر سبو وكذلك في وسط السهل حيث يُصطلح على وجود الدلتا الداخلية لنهر بهت.

محاولة التصنيف العلمي، حسب النموذج الفرنسي مثلا، لن تعطي أكثر من أنها أتربة ضعيفة التطور ذات أصل ثقيل غريني. وهي كناية باهتة لا تعبر عن القيمة الحقيقية للدهس.

والواقع أن الدهس مادة جيومرفلوجية أكثر من أنها مادة ترابية تخضع لمقاييس التطور الترابي المتعارف عليها. فهي نتاج تغرين وتحديث مستمرين للقطاعات. تحملها الأنهار من الجبال المكتنفة، وخاصة من الريف الأوسط، تنشئ بواسطتها سلائل للأنهار العابرة للسهل الفيضي. ونظرا للتواكب الحاصل بين تهدل السهل وغزارة المنقولات التي تستوردها الأنهار إليه، فإن سلائل الأنهار جاءت معلقة بالمقارنة مع المنخفضات البينهرية الرحبة.

يشكل الدهس مادة التراكم الأساسية التي تسند الأنهار وتجعلها، على خلاف الأوضاع المورفلوجية المتعارف عليها، تجري في أسرة غرينية توجد على ارتفاع أعلى من السهول التي تعبرها. من ذلك ضراوة الفيضانات التي تغمر البيأنهار، ولا تستطيع العودة إلى مجاريها بعد انقطاع أسبابها نظرا لهذا التشكيل الذي يبدو شاذا.

التشكيل هنا ليس شاذا بقدر ما هو نوعي يخص السهول الفيضية النشيطة، ويسمح في الواقع بتطورها تطورا إيجابيا. فلولاه لأفضى التهدل البنائي إلى هبوط مستمر للسهل من شأنه أن يحول منطقة الغرب الغنية إلى أراضي وطيئة، أدنى من مستوى سطح البحر، مؤذنة بغمر بحري يأتي على السهل ليجعل منه أعمق وأوسع خليج في الساحل المغربي.

حدوث أمر كهذا ليس في الواقع إلا رجوعا للوضع الأصلي للمنطقة قبل أن تقوم الأنهار بعمليات الإطار الغريني، التي عبأت الخليج البحري وحولته إلى مجال قاري سهلي ذي نزعة تهدلية بشيطة. وفي الوضع الراهن. عملية التعبئة الغرينية لازالت مستمرة، هي التي تسمح بتعويض الهبوط البنائي. وهي بالذات آليات تلئيم السهل الفيضي بواسطة المواد الدهسية التي تحملها الأنهار.

إطماء السلائل النهرية وتعليقها هو السر في أهمية الفيضانات وعموميتها واتساع رقعتها إلى حدّ ظهورها بمظهر البحار المتوسطة للقارة. هذه الفيضانات، المتفاوتة الأهمية، تحمل دائماً مقادير هائلة من الطمي ترسبها في المنخفضات البينهرية معوضة النقص في الارتفاع الذي يُحدثه التهدلُ.

الآلية العامة الموصوفة هي آلية الرأب الغريني للتهدل، المنطقة من سرير الأنهار والمتجلية في التزويد المتواصل لأطنافها بمواد الدهس والدهس الرملي، والعاملة على التطعيم الواسع لسطوح المنخفضات.

ومع ذلك، فإن المنخفضات، التي تستفيد من أطماء الفيضان في تدارك التهدل البنائي، لا تتحول إلى مجالات طميية دهسية، بل تبقى في معظمها أراضي التيرس.

ومرد الأمر لاشك إلى عمليات التحريك والتحويل الدآئبة التي تصوغ السهول الفيضية. فبعد كل فيضان وحسب أهميته، تصفرُّ سطوح التيرس بالدهس المغلف لها. لكن عمليات القلب التي تميز أراضي التيرس تسمح بقلب القطاعات وهضم الطمي واستيعابه من ضمن التربة التي كانت تحمله.

من ذلك أن النشور الدهسية ليست فقط من أهم عناصر آليات التوازن البنائي ـ الرسوبي التي تحافظ على سلامة المنطقة. ولكنها كذلك أساس التطعيم الترابي الذي يسمح بتنويع الأنشطة الزراعية والاقتصادية إجمالاً بإعطاء أتربة نوعية، هي الدهس النموذجي، وتخفيف الأتربة الطينية الأخرى حسب موقعها الطبوغرافي من المجال العام. إذ تتعدد أنواع الأتربة وكفاءاتُها بالتدرج من الدهس الرملي إلى النموذجي إلى الترسي وغيرها.

واضحٌ إذن أن مادة الدهس هي رسوبية، جيومرفلوجية بالأساس، ناتجة عن الإزالة في العاليات والتركيم والتطعيم

في الأسافل. وأنها أحدث مادة حملتها الأنهار تُحوِّلُ التغليف الواسع المنتشر في سهول الفيض التهدلية. إنها بالتالي نتائجُ الدور الأحدث والأخير للترابيعة الرسوبية للحُقب الرابع القاري المغربي. ومادامت تعرف أبهى وأوسع تجلياتها في سهل الغرب فإن كناية "الغربي".

أصبحت تسمية تقنية تعني في التصنيف السُّداسي للستراتغرافية القارية المغربية آخر أدوارها على الإطلاق.

لكن بقدر ما يُعتبر كل دهس، بمواصفاته السالفة، مادة غربية، بمعنى أنها منتمية للدور الغربي من الترابيعة الرباعية، بقدر ما أصبح "الغربي" في مضمونه المرفلوجي والتأريخي أوسع وأشمل، يعني كل توضع أو تشكيل أو تطور حديث مختتم للرباعي.

الدهس كغيره من مصطلحات "العلوم الشعبية الموهوبة"، يضرب جذوره في قواعد الأصالة الطبيعية والحضارية للبلاد. لا يوجد أي تصنيف أكاديمي يستطيع أن يوفيه حقه بما يكفي من الشمولية. بل هو معلمة من معالم بيئتنا، يُمثِّلُ التعريف الرصين بها إغناء مستمراً للتراث العلمي العالمي.

تحريات ميدانية.

إدريس الفاسي

ابن **دَهّاق**، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر انقرضت بالمدينة سنة 1308 (1890).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 238.

محمد ابن عزوز حكيم

الدواجن ← **اللحوم البيضاء**

الدوالي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Dalias وهو اسم مدينة إسبانية.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 683.

محمد ابن عزوز حكيم

الدوايري، عبد العزيز (الحاج -)، مقاوم ولد سنة 1880 بدوار الزاوية ملحقة اجدير دائرة اكنول إقليم تازا، انخرط في صفوف جيش التحرير غداة تأسيسه بالمنطقة الشمالية بمركز اسويل تحت قيادة اشتاتو عمر. وقد عرف بين رفاقه بالشجاعة والإقدام، نشيطا في عمله، متحمسا في إيمانه. شارك في عدة معارك أبلى فيها البلاء الحسن رغم كبر سنه إلى أن استشهد في معركة إخوانا بضواحي بوزيد وذلك بتاريخ 20 أكتوبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 4: 70.

الدوبلالي، مبارك بن علي، أصله من قبيلة إدا وبلال المنتجعة بجنبات وادي درعة الأوسط، جنوب شرق أگادير نتيسنت. وهو من الراسخين في الخدمة المخزنية العسكرية بقصبة فاس، ومنها تم اختياره ونقله إلى قبيلة قلعية.

عين الدوبلالي على رأس إدالة قصبة جنادة بفرخانة يوم 21 شوال1300 / 24 غشت 1883، خلفا لسابقه الطالب حميدة الشرگي، للسهر على ضبط الحدود الفاصلة بين المساحة الممنوحة لحماية مليلة وأراضي خمسي بني شكر ومزوجة، وليكون من جهة أخرى واسطة بين أهل قلعية وجنود مليلة فيما يرجع لأمور الحدود ومشاكلها، ويضاف إلى ذلك العمل على مكافحة التهريب، وقد كلف أيضاً بتسيير أملاك المخزن المرتبطة بكل من جنادة وفرخانة وقصبة سلوان.

ويعود سبب انتدابه لجنادة ليكون كبير العسكر بها إلى الأزمة التي كانت تعاني منها الحدود من جراء تجاسر الإسبان للاقتراب من الحدود والتصرف في جنباتها بالزرع والرعي، مما لم يمكن لأهل الحدود من مزوجة وبني شكر السكوت عنه.

اصطدم مبارك الدوبلالي بعدة دعاوي معلقة بين الإسبان والمخزن وقد سبق الأمر السلطاني إلى أمين الديوانة الطالب محمد العسكري لتبصيره بالدعاوي القائمة المتمثلة في عدة نقط معجلة، منها دعوى المدعو حم بن الطاهر النصراوي، المتهم بقتل جندي إسباني، ودعوى سرقة أهل خمس مزوجة الحلاليف والزروع، إلى جانب دعوى قتل الإسبان لأحد الشكريين، انتهى الفصل فيها بالنسبة للخسائر المادية بغرامة مالية قدرت بنحو مائتي وسبعين ريالاً، تم توزيع هذا المقدار على بني شكر (70 ريالا)، تكلف القائد الحاج محمد بن الهادي الداودي بجمعها وتسديدها. ووجب مثلها على مزوجة وعلى قائدها لحسن المزوجي، أما الباقي وهو 130 ريالا فقد وقع أداؤه على المقبوض عليهم بالحدود. تم هذا الفصل في مستهل رئاسة مبارك الدوبلالي. بينما بقي ملف الجنايات معلقا إلى ما بعد ذلك.

وأهم حدث تصدى له الدوبلالي خلال شهري ربيع الأول والثاني من سنة 1301 هو الاضطراب الذي أحدثه الإسبان أثناء مواجهة القائد لحسن المزوجي مع حاكم مليلة بالاقتتال

على الحدود، مما أدى أخيراً إلى القبض على القائد المذكور وبعض رجاله وإيداع الجميع سجن العرائش.

ومن الصعوبات التي واجهها مبارك الدوبلالي محاولة التوفيق في النزاعات المحلية القائمة بين قواد قلعية، كان منها نزاع محمد بن العربي البوكافري مع أهل إيالته، والمختار ألغم قائد الكعدة مع جاره محمد بن الخضر قائد بني سيدال، وحميدة، قائد بني بويفرور المنازع للأمين محمد المحرق، وذلك ما بين صفر ورجب 1301.

ولما كانت حراسة السواحل من مهام مبارك الدوبلالي فإن حمايتها من التهريب كان من أوجب واجباته التي يظهر أنه لم يكن منها على بال، أو أنها كانت مهمة جسيمة، لا سيما وأنه كان مكلفا بمراقبة كافة ساحل الريف، بدءاً من قبيلة كبدانة شرقا إلى ناحية بادس غربا. وقد تعرض لغضب السلطان الحسن الأول حينما تبين له أنه لم يحسن المراقبة أثناء تهريب أحد الفرنسيين سنة 1303 نبات الحلفا من مرسى كبدانة.

وعلى الرغم من أن مبارك الدوبلالي احتفظ بمنصبه بجنادة فرخانة أو بقصبة سلوان طوال سنة 1305 فإن اسمه لم يظهر في مراسلات 1306، وإذا كان هذا ليس بحجة على انتهاء مهمته، إلا أننا وجدنا اسم مبارك بن الطاهر الرحماني بقلعية على رأس المحلة المخزنية مستقراً بقصبة سلوان، ومنها بعث بأول مراسلة له يوم 5 ربيع الثاني 1306، تحدث فيها عن طاعة أهل قلعية، وعن تكليفه بها وليست هناك إشارة إلى مبارك الدوبلالي، ثم ثبت لنا أنه كان قد أعفي من مهمته، إما لكبر سنه أو لمرضه الذي توفي منه في مدينة فاس، حسبما أعلنته مراسلة أحمد بن موسى بن أحمد إلى سعيد فرجي بتاريخ 13 جمادى الثانية 1306/ 14 فبراير 1889.

وثائق الخزانة الحسنية ومديرية الوثائق الملكية ما بين سنوات 1301 و1306 ؛ *كنانيش الخزانة الحسنية* في نفس الفترة ؛ كناش خ. ح. ر. ك رقم 117 ؛ أ. التوفيق، *إد وبلال*، *معلمة المغرب*، 1 : 212 ؛ ح. الفگيگي، *محمد بن العربي البكافري*، *معلمة المغرب*، 6، 1833 ؛ *جنادة قصبة فرخانة*، *معلمة المغرب*، 10 : 3096 ؛ *الجواوي المختار ألغم، البويفروري*، *معلمة المغرب*، 10 : 3192 ؛ ح. بنشلال، والبويفروري، محمد المحرق، *معلمة المغرب*، 6 : 1906.

حسن الفگيگي

الدَّوْدَارْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان، وتجدر الإشارة إلى أنه كانت بأحواز غرناطة المسلمة قرية اسمها ذوذر وأطلق عليها الإسبان اسم وإلى هذه الأسرة ينتمي :

- **الدَّوْدَارْ علي** بن محمد الذي كان يزاول خطة العدالة سنة 1269 (1853).

- **الدَّوْدَارْ قاسم** بن سعيد من وجهاء مدينة تطوان الذين وقعوا شهادة بظلم أولاد النقسيس وطغيانهم في 22 شوال 1078 (مارس 1668) ؛

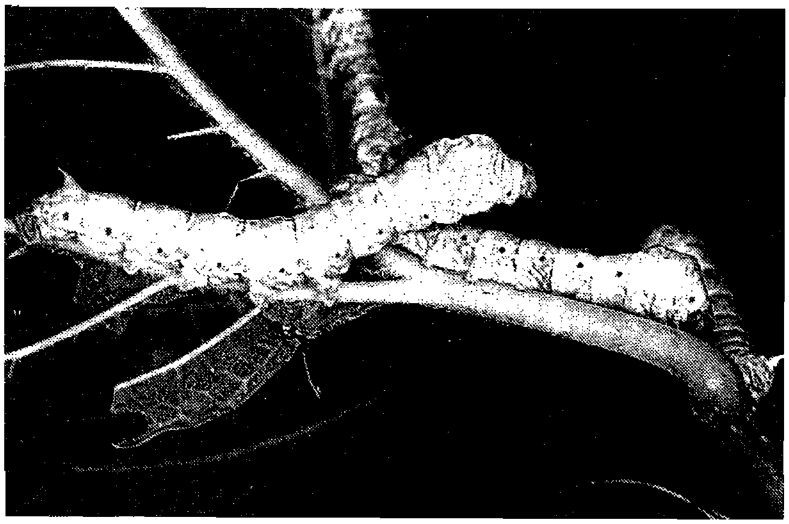
م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة1900)*، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 684.

محمد ابن عزوز حكيم

دودة القز من الحيوانات اللافقرية تصنف إلى طائفة الحشرات ورتبة الفراشات ــ حرشفيات الأجنحة ـ Lepidoptera وفصيلة القزيات Bombycidae التي تشتمل على دود الحرير المعروف بدود القز والمسمى باليونانية Bombux. ويتكون جنس قزية Bombyx من عدة أنواع تصنع صلجات أو أكياسا حريرية cocons أشهرها وأحسنها جودة في إنتاج الحرير قزية التوت Bombyx mori (Sericaria mori =) تسمى بالفرنسية magnan وBombyx de mûrier وبالإنجليزية Silkwarm.

ودودة القز اسم شائع يطلق على يرقات الفراشات المنتجة للحرير بواسطة لوزتي الرضاب ـ الغدد اللعابية ـ تسمى الغدد القزية (glandes séricigènes) التي تفرز سائلا صافياً ولزجاً يحرج من أنابيب الفم، وعند احتكاكه بالهواء يصبح صلبا على شكل خيط حريري تصنع به الصلجات لتعيش بداخلها الحوريات (Chrysalides). يتعلق سمك قطر خيط الحرير بفتحة الأنابيب المكونة لأعضاء فم الدودة وقد يتعدى أحيانا طول كل خيط 1000 متر.

الموطن الأصلي لقزية التوت هو الصين وبعض المناطق



المجاورة لها. ومن المحتمل آن الصينيين عرفوا صناعة الحرير عن طريق تربية دودة التوت خلال العصور الممتدة ما بين 3000 ـ 4000 سنة ق. م (Gomez Bustillo & Mendez Garnica, 1985, Viola Sylvestre n° 55, p. 170-179). وقد تطورت هذه التربية خلال العصور وانتشرت في شمال أفريقيا وأوروبا منذ القرن السادس بعد الميلاد. ومن بين المراكز المغربية التي عرفت ازدهاراً لإنتاج الحرير بواسطة تربية دودة القز نذكر مدينة تطوان والشاون ونواحي جبالة ومكناس وفاس والرباط وسلا ومنطقة مسفيوة وبعض الجهات المسقية في الحوز وفي عرصات مراكش وضواحيها. وقد ازدهرت القزازة بالخصوص في تطوان وفاس أكثر من غيرهما، وساد الاعتناء بها لعدة قرون من طرف القزازين إلى مطلع القرن الثالث عشر (19 م) (*معلمة المغرب*، ج. 10 ص. 3389 ـ 3390).

عرفت دودة التوت تربية مكثفة عبر قرون عديدة ولا توجد منها حالياً وحدات طليقة في الطبيعة. وقد فكر المربون في فرز واختيار أجود الضروب عن طريق التجانس، أشهرها الضرب الذي يعطي ثلاثة أجيال في السنة.

تتميز الفراشة بلون أبيض مصفر وأحيانا أصفر وبجسم أشعث وأهلب، قصير ومكثف. تبلغ بسطة الجناحين حوالي 4 سم. يتكون الفم من أعضاء فطرية وتدوم مدة مرحلة الفراشة بضعة أيام فقط لا تتغذى خلالها، وغالبا ما تموت الإناث مباشرة بعد وضع البيض. تبيض الأنثى ما بين 300 ـ 400 بيضة زرقاء اللون وغالباً ما توضع في أماكن مسطحة مرتبطة ما بينها بمادة لزجة. تخرج الدودة من البيضة بعد عشرة أيام بطول لا يتعدى 6 مليمترات وتتغذى من أوراق شجر التوت وشجر الليمون ومن أوراق الخص. إلا أن الديدان التي تقدم إليها أوراق التوت تعطي أجود خيوط الحرير. تدوم مرحلة الدود حوالي ستة أسابيع ويبلغ طولها حوالي 75 ملم ولونها رمادي مصفر وأحيانا رمادي مسود. بعد ذلك تتوقف الديدان عن الأكل وتشرع في إفراز خيط الحرير لتلفه حولها ثم تتحول إلى حورية (Chrysalide). تفرز كل دودة خيطاً واحداً يتراوح طوله في الغالب ما بين 300 ـ 900 متر. تدوم مدة مرحلة الحورية أسبوعين لتتحول إلى فراشة بعد تقطيع الخيط الملتف حول الصلجة مما يجعل هذا الحرير غير صالح لصناعة النسيج. ولهذا السبب يلتجئ المربون إلى قتل الحوريات بداخل الصلجات وذلك بوضعها في الماء الساخن أو تجفف بداخل الفرن. يحتفظ المربون بعدد قليل من الحوريات لتكتمل دورتها الحيوية وتعطي فراشات تبيض ثم تموت.

تشتغرق مدة القزازة Sériciculture – إنتاج الحرير الخام بتربية دود القز – حوالي شهرين تتطلب حضانة البيض بداخل خص وهي عبارة عن سقيفة من قصب (Magnanerie) لمدة أسبوعين تحت حرارة ترتفع تدريجيا وبانتظام خلال هذه المدة من 6 درجات مئوية إلى 25 درجة، وبعد التفقيس تقدم للديدان أوراق التوت بصفة متواصلة طيلة شهر تقريبا. بعد ذلك تصبح الديدان مستعدة لفرز خيوط الحرير فيضع المربون بداخل الخص أغصانا وبراعم من الأشجار لتصعد عليها الديدان وتتخذ مكانا لها لتنسج خيوطها وتصنع الكيس الحريري لمدة لا تتعدى أسبوعاً واحداً. من أجل تحقيق كلغم واحد من الحرير الخام يجب 5500 دودة.

يتطلب استخراج خيط الحرير من الأكياس (cocons) مهارة قوية. بعد تسخين الأكياس لقتل الحوريات ولتحليل المادة اللزجة التي تجمع لفات الخيط حول الصلجات، غالباً ما تجمع 4 ـ 8 صلجات لإدماجها في خيط واحد يلف باعتناء كبير. ويعتبر فتل الحرير من التقنيات المتطورة، إذ تقسم طريقة الفتل إلى أربعة أنواع : الكريب حريري رقيق (crêpe) ويتميز بفتل مكثف بمعدل يتراوح بين 16 ـ 32 دورة في كل سم، المفتول الحريري organsin، الخيط الوحيد الملتوي (fil unique tordue) والحبكة أو النيرة (trame).

يقدر منتوج الحرير على الصعيد الدولي بـ 59.000 طن سنة 1940 و19.000 طن سنة 1950 و68.000 خلال الثمانينيات.

م. بوسلام، *معلمة المغرب*، ج. 10، ص. 3389 ـ 3390 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان ـ الطبعة الثالثة، 1988.

Encarta 79, Encyclopédie Microsoft, 1997 ; G. Bustillo & M. Garnica, *El gusano que fabrica la seda. Viola Sylvestre* n° 55, (1985).

محمد خربوعة ومحمد رمضاني

** ارتبط بتربية دودة القز إنتاج الحرير الطبيعي كما ارتبط بغراسة شجر التوت، وارتبط إنتاج الحرير أساساً بارتفاع الطلب عليه من قبل فئة الأعيان ورجال المخزن وبعد ارتفاع المستوى المعيشي للسكان. بصفة عامة ابتداءً من العصر المرابطي والموحدي. وقد وردت في المصادر التاريخية إشارات مفادها أن مادة الحرير انتشر استهلاكها والإقبال عليها أكثر في العهد الموحدي الذي اعتبر شطره الأول بحق عهد ارتفاع في المستوى المعيشي للسكان. ومن أبرز مؤشرات هذا الارتفاع تنوع الملابس والمنسوجات لدرجة أن الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف وابنه من بعده منع التمادي في لباس الحرير وغيره من مظاهر التأنق والبذخ بالنسبة للرجال (*البيان*، 3 : 144 و145).

منع الخليفة ذاك جاء على المستوى الرسمي بإصدار المراسيم والتعليمات، وعلى المستوى المباشر بتوبيخ وزجر المترددين على بلاطه من الرجال المتأنقين الرافلين في ثياب الحرير، ولعله أراد بذلك تحقيق هدفين : أولهما الحد من الفوارق بين الناس على الأقل على مستوى المظهر، وثانيهما وقف العبء المالي المكلف لبيت المال وللاقتصاد المغربي. فقد كان الحرير يستورد بالعملة الصعبة (دنانير الذهب)، ولم يكن المغرب في هذه الفترة منتجاً للحرير ولم

يكن المخزن الموحدي صاحب المبادرات الفلاحية مهتماً بالموضوع إذ لم تكن له معامل رسمية للنسيج (دور الطراز) (ابن خلدون، *العبر*، 1 : 266 و267)، فالمنسوجات والأثواب الحريرية كانت تستورد من المشرق ومن الأندلس وإفريقية.

لما جاء بنو مرين واستولوا على السلطة في المغرب، تأثروا كثيراً بإمارة غرناطة، فأحدثوا معملاً للنسيج المخزني (دار الطراز)، واعتمدوا في كثير من المواد المستعملة في المشغل ومنها الحرير على الخارج ؛ أما دخول غراسة شجر التوت وتربية دودة القز فلم تدخل المغرب إلا في القرن التاسع الهجري (15 الميلادي)، وقد أثار دخولها كثيراً من المشاكل والمنازعات بين المزارعين والمنتجين للحرير سجلتها كتب النوازل الفقهية (*المعيار*، 5 : 36 ـ37 ـ59 ـ60 ـ62 ـ 241ـ238 وج. 6 : 73 و178 ؛ 7 : 150 ؛ 8 : 130).

تركزت غراسة أشجار التوت وتربية دود القز في ضواحي مدينة فاس. وقد تحدث الحسن الوزان في كتابه *وصف إفريقيا* عن مدينة خميس مطغرة التي خربت في الحروب المرينية فأعاد الغرناطيون النازحون إلى المغرب تعميرها ؛ فغرسوا التوت الأبيض لإنتاج الحرير، ونفس التجربة جرت في جبل أزكان (*وصف إفريقيا*، 1 : 281)، ونظراً لمحدودية الأشجار وقلتها، كانت أوراق شجرة التوت تباع في الأسواق المحلية (*المعيار*، 5 : 238 و241 ؛6 : 73)، ووجد أشخاص يمتلكون أشجار التوت وليست لهم خبرة بدودة القز ويطلبون الشراكة فيه (*المعيار*، م. س). وجاء عند ابن البناء في *رسالة في الأنواء* ص. 5 قوله : "وفي شهر فبراير تبدأ النساء بتحضين بيض دود الحرير في نحورهن"، وهي عادة معروفة عند البلدان ذات التقاليد العريقة في هذه الفلاحة. ويُظهر النص إحدى التقنيات الدقيقة والمعقدة التي كانت تربية دودة القز تتطلبها، ولعل ذلك التعقيد هو الذي جعلها لا تنتشر في المغرب منذئذ، فأشجار التوت انتشرت بشكل كبير ونجدها في كل جهات المغرب اليوم، لكن هذا الانتشار لم يوازه انتشار في تربية دودة القز ولا في انتاج الحرير بل ولم يوازه حتى انتشار استهلاك فاكهة التوت الشجري.

إضافة إلى هذه العوائق، نشير إلى عائق أساسي كان أكثر تحكماً في الإنتاج أو عدمه، وهو الاستهلاك، الطلب والعرض. فهذا القانون الاقتصادي تحكمت فيه بصفة خاصة حياة الأعيان من رجال المخزن وعلية القوم، وبمستوى عيش مرتفع، وهذه شروط افتقدها المغرب منذ نهاية الفترة الوسيطية الثانية. وتجدر الإشارة إلى أن تربية دودة القز وتصنيع الحرير ونسجه كان من اختصاص النساء (*المعيار*، الأنوار م. س).

ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، بيروت، 1948 وتطوان1960 ؛ ع. الرحمن بن خلدون، *العبر*، ج. 1 و6 و7 (المقدمة) دار البيان بيروت بدون تاريخ ؛ الونشريسي، *المعيار المعرب*، الطبعة الحجرية، فاس، طبعة وزارة الأوقاف الرباط، بيروت، *دار الغرب الإسلامي*، 1981 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط،1980 ؛ ابن البناء المراكشي، *رسالة في الأنواء*، نشر وتصحيح Renaud باريس، 1948 ؛ م. حجاج الطويل، *الفلاحة المغربية في العصر الوسط*، د. د. ع مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1988.

محمد حجاج الطويل

دودوم، Dudum مدينة مندثرة تكتب في الاغريقية تحت شكل Dou Thoum أو Dou Doum. هي إحدى مدن موريطانيا الطنجية، يحددها بطليموس حسب الإحداثيات التالية : خط عرض 15 وخط طول 31، وهذه الأخيرة تمكننا من تحديد موقعها بالتقريب.

حسب الباحث MC. Cathy قد يكون موقعها في إقليم نظيفة حيث قبائل "أيت مدجدن" قرب وادي لخضر أحد روافد تساوت الذي هو أيضاً من روافد أم الربيع. ويبقى موقعها مع ذلك مجهولاً لدينا ونجهل أيضاً ما إذا كانت قد تركت بقايا أثرية.

Mc. Carthy. *Lexique de géographie comparée de l'ancienne Afrique. R.A.*, 1887, p. 257.

عبد العزيز بلفايدة

الدَّوْر، (مصطلح صوفي) جماعة من الخدام والمريدين يجتمعون مرة كل سنتين لزيارة أضرحة وزوايا أوليائهم. ولعل أهم دور مازال مستمراً في المغرب هو دور رجراجة بمنطقة الشياظمة، حيث توجد بالمنطقة مدافن الرجال الرجراجيين السبعة وعدد كبير من الزوايا سواء الكبرى منها أو الصغرى.

يستمر هذا الدور قرابة أربعين يوماً، وبالضبط تسعة وثلاثين يوما، انطلاقا من مدينة (أسفي) ومرورا بمنطقة (الشياظمة)، إلى (الصويرة) ثم العودة إلى نقطة الانطلاقة.

لكل يوم من هذه الأيام محطته، أي زاويته أو ضريحه، ولكل زاويته أو ضريح مظاهر احتفالية خاصة ومتنقلة عبر أربع عشرة زاوية وخمسة وعشرين وليا.

ويكون اليوم الذي يحل به الدور عبارة عن ملتقى للفرجة واللقاء بين أفراد القبائل الذين يأتون من خارج هذه القبائل وكذلك فرصة للتبرك من الشرفاء.

وإذا رجعنا إلى الأصول، نجد أن هذه الطائفة، أي (رجراجة)، كانت سباقة إلى نشر الإسلام. بل هناك من المصادر ما يذهب أبعد من ذلك ويؤكد أنه حين ظهر الإسلام بالمشرق سافر رجال رجراجة إلى الرسول ﷺ وأمرهم بنشر الإسلام وحمايته بالمغرب.

ومن أهم رجالاتهم نجد سبعة رجال، ولا نعني بذلك سبعة رجال الموجودين بمراكش، المنتسبين أصلا إلى أربعة

من رجالات "ركراكة" الذين قدموا إلى حاحة من الأندلس، وهم أ"ضغ" و"عقليمة" و"أردون" و"أرثون". وقد تناسل من هؤلاء الأربعة سبعة رجال وهم :

"سيدي واسمين بن يعزى بن مهدي بن إسماعيل بن مروان بن علقمة" (سلطان رجراجة).

"سيدي أبو بكر المسمى إشماس بن عكرمة بن غيبن بن أبي خابية بن أمج"

"سيدي صالح بن أبي بكر إسماس".

"سيدي عبد الله الملقب بأدناس بن عامر بن دائم بن مجاهد بن أردن".

"سيدي عيسى بوخابية بن كويهل بن حارث بن زياد بن أرثن"

"سيدي يعلا بن واصل بن إسماعيل بن مروان بن علقمة"

ولعل هذا ما يذهب إليه الكانوني حين يقول : "وهذه القبيلة كانت لها فضيلة السبق لتلقي الإسلام بالمغرب. نبغ فيها رجال سبعة لهم ذكر في اعتناق الإسلام والدفاع عن حوزته. رئيسهم السيد واسمين دفين جبل الحديد..."

إجمالا تكون الأضرحة خمسة وعشرين والزوايا أربع عشرة وهي : (إكراث) (تالمست) (أقرمود) (وتنانة) (أيت بوطرطيش) (توريرت) (أيت بوالاعلام أغيسى) (مرامر) (تكتنت) (مرزوق) (أمزيلات) (سكياط) (أيت ياعزي).

أما عن الأضرحة، فنجد من أهمها ضريح "سيدي عبد الجليل" أو ما يسمونه (مول الواد الاخضر) الذي يوجد في (سبت تالمست) ويمر به واد يقصده الناس للتبرك والسياحة نظرا لموقعه في مناطق جبلية تجذب إليها الزوار. ويكون موسمه مناسبة كذلك لتلاقي أبناء المنطقة وحضور طرقي وطني وما يرافقهما من طقوس احتفالية ودينية معينة. نجد كذلك من أهم الأضرحة، ضريح سيدي أحسين مول الباب الذي عاش في القرن العاشر (16 م)، وإليه يرجع الفضل في تحرير مدينة أكوز من يد البرتغال، ويوجد هذا الضريح عند مصب واد تانسيفت.

مجمل القول فإن معظم أصحاب هذه الأضرحة هم أولياء وعلماء ومجاهدون ساهموا في حركات الجهاد ضد التسلط المسيحي. ولعل ما يلفت الانتباه في هذا الدور هو التبرك أو اقتناء "الباروك" الذي قد يكون عبارة عن شراء بعض المقتنيات، أو زيارة الشرفاء والشيوخ في خيمتهم وتقديم الهدية أو الفتوح أو "المرفودة" ثم بعد الدعاء، يتسلم "الباروك" الذي هو عبارة عن تمر أو سكر...

وبعد خمسة وثلاثين يوما من التنقل، يعود الدور إلى مرحلة انطلاقه لاقتسام الفتوحات والدعوات للجميع من أجل الحضور في الدور المقبل في ظروف جيدة.

مراحل الدور : يبدأ الدور "بسيدي علي بن أبي علي" غالبا يوم الخميس، حيث تلتقي الطائفة بالمقدمين، وكذا يوم الجمعة. أما ليلة السبت فيكون الدور بزاوية (كرات) ويوم الأحد بسيدي "محمد بن عبد الجليل". أما الاثنين فينتقل الدور إلى "سيدي إبراهيم"، ويوم الثلاثاء يحط الدور بزاوية سيدي "عيسى أبي خابية". ثم يقصدون "سيدي أبي القاسم" يوم الأربعاء ويبيتون بدار "القائد الحاجي" أما يوم الخميس فيقصدون زاوية (رتنانة) ويزورون سيدي "إسحاق". أما يوم الأحد فيكون دور "سيدي منصور"، ويوم الاثنين "سيدي عبد البطاش" والمبيت يكون بزاوية "أقرمود" التي يكون دورها يوم الثلاثاء. ويبيتون يوم الأربعاء "بالجامع الأبيض". ثم يقصدون مدينة (الصويرة) يوم الخميس، حيث يزورون "سيدي مگدول" ويمكثون يوم الجمعة والسبت. أما يوم الأحد فيصل الدور إلى سيدي "محمد واسمين" بقبيلة (الحنشان) ويصل يوم الاثنين إلى (لا لا توريدت) وأختها (لا لا البهية).

أما يوم الثلاثاء فيكون "سيدي أبي الامان" و"سيدي عبد الرحمان بن سعيد" و"سيدي سعيد بوغنبور" و"سيدي يعلى بن واطل". ثم يصل يوم الخميس إلى "سيدي عيسى مول الوتد". ويوم الجمعة يكون موعد الدور عند "أبي العلم" ويوم السبت (بزاورية مرزرق). ويوم الأحد رباط (سكياط) المعروف بلا لا بيت الله. أما يوم الاثنين فيزورون "لا مزلات". ويوم الثلاثاء يصلون إلى سيدي "أحمد الشنتوف". ويوم الأربعاء يصل الدور إلى (صويرة أمرام) بقبيلة الحارث. أما يوم الخميس فيصل الدور إلى سيدي عبد الله "مول الغيران" بقبيلة (المدارعة). ويقصد يوم الجمعة سيدي "محمد بن إبراهيم". ويوم السبت "سيدي العربي". ويوم الأحد يصل إلى سيدي "سعيد" السابق. ويوم الاثنين يذهبون إلى (مسكالة) ومنها يقصدون "سيدي عبد الله بن سعيد" يوم الثلاثاء، ثم إلى "سيدي عبد الله بن واسمين". ويصلون يوم الجمعة إلى "سيدي علي المعاش" بسوق الأحد وفيه تلتقي الجموع وتتوزع الفتوحات.

البشير عبد الله بن محمد، *السيف المسلول فيمن أنكر على الرگراگيين صحبة الرسول ﷺ*، مطبوعات معهد الشعب الإسلامي، الصويرة،1987 ؛ محمد الصديقي، *إيقاظ السريرة بتاريخ الصويرة* ؛ أحمد الرجراجي، *الشموس المنضيرة في أخبار مدينة الصويرة* ؛ محمد بن أحمد العبدي الكانوني، *أسفي وما إليه قديما وحديثا*.

علال ركوگ

الدور (في الموسيقى)، مجموعة من النقرات الموقعة بالكف أو بإحدى الآلات النقدية، تلتئم على نحو متين لتشكل وحدة زمانية أساسية للهيكل الإيقاعي الذي تقوم عليه الجملة الموسيقية في طرب الآلة، يتوالى أداؤها وفق أنساق تتعدد وتختلف بتعدد الميازين واختلافها، فتأتي منفصلة أو متصلة أو ساكتة، كما تأتي قوية آنا وضعيفة آنا آخر، بطيئة طورا وسريعة آخر، ومن توالي الأدوار تستقيم الجملة الموسيقية الواحدة.

ولأهميـة الأدوار في أداء ألحان الموسيقى الأنـدلسيـة وضبط ميازينهـا عمد محمـد بن الحسين الحايك في *كناشه* إلى وضع أرقـام في مستهل كل بيت من أبيـات الضمـات يرمز إلى عدد أدواره، فكنت ترى الموسيقيين إذا تنازعـوا في عدد أدوار شغل ـ مثلا ـ ترافعـوا لذلك الكتاب حكمـا بينهم، على حد تعبير عالم الرباط سيدي إبراهيم التادلي.

وعناصر الدور ثلاثة تختلف أسماؤها باختلاف الأداة المستعملة لإحداثها. فهي بالنسبة للدربوكة : الدمة والتكة والسكتة، وهذه مصطلحات شرقية أصبح تداولها شائعاً بين أربـاب طـرب الآلـة في السنين الأخيـرة، وهي بـالنسبـة للطرالندفة والزنج والفاصلة، وبالنسبة للتوسيد اليدوي النـدفة والـدفـة والفاصلـة. وتعني على التـوالي : النقـرة القدية، والنقرة في حاشية الطر باليمنى، والنقرة في حاشيته باليسرى.

ع. العـزيز بن عبـد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، سلسلـة عـالم المعـرفـة،1983، ص. 212، الكـويت ؛ معجم *مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية*، منشورات معهد الأبحاث والدراسات للتعريب، الرباط، ص. 22.

عبد العزيز بن عبد الجليل

دُورات Dorath، إحـدى المدن الـداخليـة بموريطـانيـا الطنجية، يوطنها بطليموس (IV, 1, 15) بين خطي عـرض '31°.15 وخط طول '1. °9. وبالتالي فهي توجد بين وادي أم الربيع وتانسيفت. ويبقى مكانها مجهولا بالنسبة إلينا وإذا كانت قد تركت بعض البقايا الأثرية فيجب البحث عنها في هذا الاتجاه.

Ptolemée, *Géographie*, IV, 1, 15 ; Denau, *Dorath*, *R.E.*, col. 1551 ; R. Roget, *PSAM*, 1938, p. 36 ; O. Mac Carthy, *Africa Antiqua, Lexique de géographie comparée de l'Afrique ancienne*, *R.A.*, 1887, p. 255.

عبد العزيز بلفايدة

الدّورات (سد ـ)، شُيّـد مـا بين سنتي 1946 و1950 على نهر أم الربيع الذي يعدّ أطول وأهم الأنهار المغـربيـة انتظاماً وتهيئـة، ويقع بين سد إمْفوت (1939 ـ1944) الذي يبعد عنه بخمسين كيلو متر، وسد سيدي سعيد معاشـو (1925 ـ 1929) في السـافلـة، أي عنـد نقطـة التقـاء أربع وحدات طبيعيـة، وهي سهل دكـالـة وكتلة الرحـامنـة وسهل الشاوية وهضبة الفوسفاط.

تتمثل أهم خصـائص سـد الـدوات في كـونـه مبنيّـاً بـالخرسـانة ومجهزاً بثلاثـة أسكار لتفريغ 3500 م^3 كحد أقصى، وكذا في امتداده على مسافة 125 م طولاً و40 م ارتفاعاً، واتسـاع بحيرتـه على مسـاحـة 28 كلم^2. ويتميـز موقع الدورات بانعدام أي رافد يـذكر أو أي فرشة مائية لها أهميـة على نطـاق واسع. بـل يتعلق الـوادي وتـتـواتر منعطفاته (دوراتـه) على مسـافات طـويلة. كما أن وجوده في وسط المجرى الأدنى من النهر لم يؤهله لري سهـل دكـالة الـذي استأثـر به سدّ إمفوت في الأول ثم سدّ المسيرة فيمـا بعد.

لقد كـان الهـدف من بنـاء سد الدورات إمداد الجديـدة على الخصـوص بـالماء الصـالح للشـرب، ولا سيمـا إنتـاج الكهربـاء، طبقاً لسيـاسـة التصنيع وعقب التمدين السريع الـذي شهدتـه الأقـاليم المجاورة بعد الحرب العـالميـة الثانيـة. فكان يحظى بمكانة أكيدة وسط السدود المغربية وفي حوض أم الربيع، لكنـه ابتـداء مـن نهـايـة السبعينيـات أخذ يفقد أهميتـه، حيث نـزل إنتـاج الكهربـاء من حـوالي 100 مليون كيلـواط في السـاعـة سنـويـاً إلى حجم متـواضع يقل عن 10 ملايين كيلـواط. بـذلـك فـرق كبيـر بينـه وبين إنتـاج سدّي إيـمفوت والقصبة الزيـدانيـة، حتى إن التصميم المديري لنهر أم الـربيع (1976) جعل منـه بالأسـاس مصـدر تـزويد سـاحل الجديدة بالماء المنزلي والصناعي.

ومنذ أواسط الثمـانينيات تم بـالفعل مد قناة من طرف المكتب الوطني للماء الصالح للشرب، قطرها 800 ملم تربط بحيـرة السد بـالجرف الأصفـر لسـد حاجيـات المينـاء والمركب الصنـاعي ثم بعض القرى الموجـودة في الطريق وكذا مـولاي عبد الله ثم سيدي بوزيد والجديدة.

م. عسـاد، *أم الربيع* (نهر ـ)، *إمفوت* (سد ـ)، *معلمة المغرب*، جزء 3، 1991.

J. Coup, *L'Oum ErRbia*, Trav. Ins. Sci. Cher., N° 9, Rabat, 1960 ; A.N.A.F.I.D., *Spécificités de l'aménagement hydro-agricole au Maroc*, Rabat, 1979 ; SDAR du Groupement du Grand El Jadida, *Rapport de synthèse*, 1983.

مصطفى عياد

دوردوس Dourdous جبل ذكره الجغرافي بطليموس : Ptolémée, 4, 1, 6. واعتبـره مـن بين الجبـال الهـامـة في موريطانية الطنجية، قائلاً : "ويوجد فيها القسم الغربي من دوردوس حسب الإحـداثيـات التـاليـة : الطـول 10 درجة والعرض 29 درجة و30".

ظن شـارل تيسـو أن الأمـر يتعلق بـالقسم الشـرقي من سلسلة جبـال الأطلس المتوسط، حيث ينبع نهـر ملويـة. ولا حظ أن هـذه المرتفعـات تمتد فـي غـرب الجزائـر، حسب مـا يوحي به وصف بطليموس لجبل دوردوس.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1878.

محمد مجدوب

الدورو Duro، كلمـة إسبـانيـة تـدل في الاستعمـال الإسباني في مجال العملة على القطعة الفضية الكبيرة من خمس بسيطـات، بينمـا يطلقـون اسم الـريـال على قطعـة

صغيرة هي البليون، وهو جزء واحد من عشرين جزءاً من الدورو، فالريال يساوي عشرين بليوناً، لكن في الاستعمال المغربي لا يوجد فرق بين الدورو والريال، ونتيجة لهذا الفرق في الاستعمال وقعت مناقشة هذا الاختلاف أثناء تحديد غرامة حرب تطوان سنة 1860 وقد نُص في معاهدة الصلح على مختلف المصطلحات لتحديد قيمة الدورو، فجاء في البند التاسع "أن عشرين مليون دورو هي أربعمائة مليون من الريال البليون" وما يزال المغاربة إلى اليوم يستعملون كلمة الدورو لقطعة خمس سنتيمات في مناطق الريف والمغرب الشرقي، بينما يستعملون كلمة الريال في مختلف جهات المغرب بعد استعمال الدرهم كوحدة أساسية للعملة المغربية.

م. داود، تاريخ تطوان، المطبعة المهدية، تطوان، 1964، ج. 12، ص. 284 ؛ ع. أفا، *مسألة النقود في القرن التاسع عشر*، ص. 138 و402.

F. Mateu Y Llopis, *Nota para estudio de los origènes del sistema monetario Espanol, Numisma*, Madrid, ano. 14, n° 67, Marzo - Abril, 1964.

عمر أفا

دوري، پول Doury Paul، ضابط فرنسي كانت له أدوار ريادية في غزو المغرب من جهة واحات الجنوب الشرقي، ولد سنة 1867 وتخرج من مدرسة سانسير العسكرية سنة 1889 وحصل على رتبة ملازم سنة 1891. ثم التحق بمصلحة الشؤون الأهلية بالجزائر فاشتغل في جلفة والعريشة وأولاد جلال ابتداء من 1895. وفي سنة 1897 أسندت إليه قيادة فرقة من الگوم على الحدود الجزائرية المغربية. وفي أبريل 1902 حصل على رتبة قبطان وحرر مقالا عن المغرب أثار انتباه الأوساط المعنية. ثم إنه اشتغل مع ليوطي ابتداء من سنة 1904 فكلفه بقيادة ملحقة بني عباس مع قيادة الفرقة الصحراوية لوادي الساورة، ثم عينه على رأس مكتب بشار مع المسؤولية عن نفس الفرقة العسكرية التي أصبحت بمثابة سن الرمح في غزو التراب المغربي من تلك الجهات، فكانت هي المسؤولة عن هجوم گارة الضويفة (31 دجنبر 1904) وغزوة تافلالت (نونبر 1906) ومعركة المنابهة (16 أبريل 1908) والجرف (7 شتنبر 1908) والهجوم على بني جيل (دجنبر 1908) مما أنال دوري ترقية سريعة وأكسبه معرفة موثقة بتضاريس المنطقة وبشؤونها. وتجلى ذلك في ما نشر له في مجة لجنة إفريقيا الفرنسية عن سكان ناحية بشار، وفي المقال الذي كتبه عن المسالك من "جير إلى موريطانيا" بناء على ما كان قد استقى من المعلومات من رُحَّال أولاد جرير وذوي منيع. وكان ذلك إشارة إلى ما كانت الجيوش الفرنسية تروم إليه من تطويق المغرب من جهة الجنوب.

ثم إن دوري عين قائدا على دائرة مشرية في مارس 1914 إلى أن ألح ليوطي ليُلحق بالمغرب فأسند إليه قيادة منطقة بوذنيب في 11 يونيه 1915 وبعد ذلك بقليل حصل دوري على رتبة ليوطنان كولونيل (أبريل 1916). ومنذ أن أمسك بزمام الأمور هناك وهولا يفكر إلا في أمرين : الربط بين بوذنيب ومكناس عبر الأطلس المتوسط واحتلال واحة تافلالت بكاملها. فبخصوص الأمر الأول، استطاع دوري أن يحدث مراكز احتلالية ثابتة في بني تاجيت وتالسينت والريش وقصر السوق، مما مكنه من ربط الاتصال بجيوش مكناس التي زحفت في اتجاهه بقيادة الجنرال پويميرو (Poemyreau) فأحدث مركز ميدلت بالمناسبة. وسهر على ربط الاتصال أيضا بمنطقة وجدة عبر ميسور والنجود الشرقية، وكل ذلك في غضون 1917 أما بخصوص تافلالت فإنه بادر إلى مهاجمتها، لكن المجاهدين الفيلاليين تصدوا له بكل قوة في معركتي مسكي (9 يوليوز 1916). والمعاضيد (16 نونبر 1916) ولما تم الربط مع مكناس ظن دوري أن تافلالت هان أمرها فأقام مركزا ثابتا بتيغمارت غير بعيد عن الريصاني وأسند مهمة التجسس فيه للترجمان أوسطري (Oustry)، إلا أن المقاومة سرعان ما تصدت لذلك حيث قتل أوسطري وانتظمت صفوف الجهاد بقيادة مُحَا نيفروتن وبلقاسم النگادي، وكيلت ضربات موجعة لجيوش الاحتلال في معركتي الگاور (9 غشت 1918) والدار البيضاء قرب تيغمارت (دجنبر 1918) فلما علم ليوطي بتلك الهزائم أدرك أن تحركات دوري كان من شأنها أن تنتهي بالحماية الفتية إلى ما لا تحمد عقباه فقرر الجلاء عن تافلالت، وأبعد دوري عن المسؤولية في المغرب. وهكذا عاد هذا الضابط إلى الجزائر حيث عين قائدا لبعض فرق الرماة الجزائريين بمستغانم ثم بعد حين من ذلك فضل التقاعد المبكر وأقام في الجزائر يشتغل بالكتابة عن عمليات التمهيد.

Bulletin de Comité de l'Afrique Française (B.C.A.F.), 1916 - 1917 - 1918 - 1919 ; *Les opérations militaires au Maroc*, Paris, 1931 ; R. Peyronnet, *Livre d'or des officiers des affaires indigènes*, Alger, 1930.

إبراهيم بوطالب

دوريزة Douriza، اسم مرجة Lac أو Lacum في اللغة اللاتينية. إن مرجة دوريزة هي من بين الأسماء القليلة التي تعرفنا على المعالم الجغرافية في المغرب القديم، الذي كان يدعى موروسية Maurusia عند الكتاب الإغريقيين، أو موريطانية Mauretania عند اللاتينيين.

إن الشاعر هوميروس Homère في القرن التاسع قبل الميلاد، وبعده الشاعر هيسيودوس Hésiode في القرن الثامن أو بداية القرن السابع قبل الميلاد، قد تحدثا في روايات أسطورية عن الأطلس كمعلمة جغرافية أو على أنه كائن بشري. لكن المواقع الجغرافية الدقيقة التي وردت ضمنها مرجة دوريزة، مثل تينگي Thingué (طنجة

الحالية)، نجدها عند الكاتب الإغريقي هيكاتي الميلتي Hécatée de Milet الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد. ينتسب إلى مدينة ميليتة الواقعة في إقليم إيونية Ionia في آسيا الصغرى، حيث تستوطن جاليات إغريقية. حسب هذا الكاتب إن مرجة دوريزة تقع في ليبية (الاسم القديم لقارة أفريقية)، بجوار نهر لكسوس Lixos وهو واد اللكوس حاليا.

إن الباحث ديزانج في إحدى مقالاته الأخيرة (Desanges, *Lixus*, p. 3) يرى تطابقا بين كلمة دوريزة وأسماء قديمة لمعالم جغرافية وردت عند بعض الكتاب المتأخرين عن هيكاتي الميلتي. يتعلق الأمر باسم "ديريس" Dyris أو "دورين" Durin أو "أديريس" Addiris أو "ديور" Diour. (انظر مادة ديريس Dyris). ويرى الباحث نفسه، في تعاليقه وشروحه للكتاب الخامس لبلينيوس الذي قام بتحقيقه وترجمته، أن هناك تقاربا بين هذه الأسماء القديمة، وكلمة "أدرار" التي تجمع على "إدرارن" ومعناها الجبل Desanges, *Commentaire de Pline*, p. 133.

بعد هيكاتي الميلتي تواترت الأخبار عن عدة مرجات بأسماء أخرى في المغرب القديم، في مجال يتضمن الجهة التي ذكرت فيها مرجة دوريزة، وذلك بين رأس صوليس Soleis (رأس سبارطيل) وحوض واد سبو. أغلب المعلومات حول هذه المرجات تجعلها في مصبات الوديان حيث تتحول إلى مرجات، أو هي مرجات تخترقها الوديان أو تنطلق منها في المنبع.

إن حانون القرطاجي في *رحلته* حول السواحل الأطلسية من المغرب القديم، تحدث عن مرجة لم يذكر اسمها قائلا : "بعد رأس صوليس، حيث أقمنا مذبحا لبوسدونيوس Poseidonius، أبحرنا مدة نصف يوم حتى وصلنا إلى مرجة قريبة من البحر، يغمرها قصب كثير وشديد العلو". وفي سياق آخر ذكر ما يلي : "انطلاقا من جزيرة كيرني Kerné أبحرنا بسفننا في نهر يدعى خرتيس Chrétis، ثم وصلنا إلى مرجة تطل عليها مرتفعات يجوبها أناس متوحشون، كانوا يضربوننا بالحجارة لمنعنا من الرسو" *Périple d'Hannon*, 4 et 9.

حسب إحدى الدراسات الأخيرة حول جزيرة كيرني، يرى روبوفا أن واد خرتيس هو سبو، وأن المرجة المشار إليها تتكون من فيضانات واد سبو، التي كانت تغمر مجراه قديما في سهل الغرب قبل مصبه Rebuffat, *Recherches*, p. 263 - 66.

وفي رحلة أخرى ذُكرت مرجة تدعى كيفسياس Kêphêsias بجوار مدينة بونتيون Pontion، فيها أعشاب من بينها القصب، وتعيش فيها طيور تدعى Méléagrides وهي لا توجد في أية بقعة أخرى من العالم حسب الكاتب. وفي ذكر صاحب الرحلة لواد أنيديس Anides، قال إنه يصب في مرجة كبيرة وذلك قبل واد لكسوس، *Périple de Scylax*, 112. وفي ظني أن هذه المرجة التي ذكرها سكولكس، والمرجة الأولى التي ذكرها حنون قبل واد لكسوس، كلاهما ينطبق مع مرجة دوريزة.

تصدى تيسو في تحرياته الميدانية، لفكرة كُتاب سبقوه ظنوا أن مرجة كيفسياس هي مرجة رأس الداورة. واعتبر أن الوصف الجغرافي في رحلة سكولكس جد دقيق، لكونه حصر موقع المرجة بين رأس سبارطيل وواد لكسوس. ولذلك اقترح أن المرجة تتكون من أحواض المجاري المائية بين تاهدارت ولحرحر : Tissot, *Recherches*, p. 193 - 200. إن الباحث گراس : (Gras, *La Mémoire de Lixus*, p. 39) اهتدى مؤخراً برأي تيسو، فجعل المرجة في مصب واد تاهدارت والمنخفضات المتصلة بها، ثم اعتبر واد أنيديس هو واد گاريفة، مؤيدا في ذلك رأي ديزانج في الكتاب الذي خصصه لدراسة مصادر الرحلات القديمة حول إفريقيا : (*Activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique*).

أما الجغرافي سترابون، فقد أشار إلى أن موروسية تكثر فيها المرجات، دون ذكر أسمائها : Strabon, 17, 3, 4. ثم تحدث بلينيوس الشيخ بدوره عن مرجة كيفسياس قرب المحيط، مبينا أن المورين يدعونها باسم Electrum، وهي مادة تتكون طبيعيا وتتجمع فوق مياه المرجة حسب الكاتب: Pline l'Ancien, 37, 78.

خلاصة القول، إن التساقطات المطرية الغزيرة التي اشتهرت بها موريطانية، كانت تتجمع في أحواض الوديان بالشمال الغربي من المغرب، خاصة بين مصب تاهدارت وسبو. ولقد لفت ذلك نظر القدماء المهتمين بجغرافية المغرب القديم. ويتضح أن العلم بمرجة دوريزة منذ القرن السادس قبل الميلاد، يدل على أن للمغرب القديم حضوراً في الحقل المعرفي، للحضارات التي تكونت في بلدان البحر الأبيض المتوسط.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1878 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; J. Desanges, *Activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique*, Rome, 1978 ; Idem, *Commentaire de Pline l'Ancien*, Livre 5, Paris, 1980 ; *Lixus dans les sources grecques et latines*, 1992 ; R. Rebuffat, *Recherches sur le bassin du Sébou, 2, le Périple d'Hannon, B.A.M.* 16, 1985 - 6 ; M. Gras, *La mémoire de Lixus, de la fondation de Lixus aux premiers rapports entre Grecs et Phéniciens*, Rome, 166, 1992.

محمد مجدوب

دوشلار، پ ـ پ (Priam - P.) Du Chalars وُلد سنة 1590 بإحدى القرى بضاحية بوردو الفرنسية، من والدين كانا ذوي صلة بالأسرة المكلية الحاكمة وقتئذ، مما جعلهما يتبوءان مكانة شرف ونبل وتقدير بفرنسا ـ ذلك ما أتاح للابن بريام ـ بترس ولوج المدرسة الابتدائية التي كانت الكنيسة تهيمن عليها، ثم بعد ذلك اندرج في سلك التكوين العسكري الذي لم يكن مفتوحاً إلا في وجه أبناء

أعيان البلد من المصطفيْن ممّن يحظون بعطف الحكّام.
وتخرج دوشلار ضابطاً في البحرية الحربية سنة 1626، فأسندت له قيادة سفينة تابعة للأسطول الفرنسي الذي كان بدوره تحت القيادة العامة للأخوين : إسحاق وجبريل رَازيلي.

كانت العلاقات يومئذ متوتّرة للغاية بين النظام المغربي الرسمي وبين فرنسا بسبب أعمال القرصنة في مياه سلا من جهة، وأسر العديد من الفرنسيين، ومن بينهم أفراد من كبريات العائلات الفرنسية ـ الذين تَمّ اعتقالهم على اثر "اختطاف" السفينة الفرنسية التي كانت تحمل خزانة زيدان من أسفي إلى أگادير من جهة أخرى.

واتفق أن قرّر الوزير الأول الفرنسي، المطران ريشوليو (Richilien) ـ في عهد الملك لويس 13 ـ إرسال أسطول بحري حربي إلى المغرب للضّغط على القراصنة السلاويين وعلى عبد المالك السعدي ـ الذي تولّى الحكم بعد وفاة والده زيدان ـ في يونيو 1629، وكانت ضمن الأسطول سفينة "لارونومي" تحت قيادة الضابط دوشلار (بريام ـ بترس).

ووصل الأسطول إلى سلا يوم 20 يوليوز، فبعث رازيلي بإنذار شديد اللهجة إلى العياشي الذي لما يمض على تأسيس ديوانه الحاكم بحوض أبي رقراق وتامسنة إلا عام ونيف ـ فَرَدَّ العياشي على الانذار بخطاب توعّد فيه النصارى بالويل والثبور، وذلك ما دفع قائد الأسطول الفرنسي إلى ضرب الحصار البحري على سلا، ثم ابتعد عن المكان متوجّها إلى المعمورة التي كانت وقتئذ تحت الاحتلال الإسباني، وأوفد دوشلار إلى أسفي حيث يقيم عبد المالك بن زيدان خلال الصيف، وكان الهدف من هذه البعثة مفاوضة السلطان في تبادل الاسرى بين الجانبين وعقد معاهدة سلم.

غير أن عبد المالك لم يبد أية رغبة في التفاوض والحصار مضروب على سلا، فراح ينتهج سياسة التسويف إلى أن عَرض على ديوان سلا هدنة ستّة أشهر ابتداء من مستهل أكتوبر من نفس السنة واقلعت السفن الفرنسية راجعة إلى فرنسا خوفاً من مغبة تمديد رسوها بالمياه المغربية علماً أن أصعب الفصول ملاحة كان الخريف والشتاء وقبل أن يرحل دوشلار عن أسفي أبى إلا أن يقدّم هدايا إلى عبد المالك بن زيدان فقبلها على مضض.

وبالفعل، عاد دوشلار إلى المغرب في مهمّة ثانية حيث رست سفينته الحربية "لارونومي" يوم 23 يوليوز 1630 أمام سلا ضمن أسطول حربي تمكّن بسرعة من الاستيلاء على ثلاثة مراكب في ملك مجاهدي سلا، وذلك ما حملهم على التفاوض، وكان دوشلار هو الذي يقود المفاوضات من جانت الطرف الفرنسي. وقد أحرز تقدّماً كبيراً وتوصّل الجانبان إلى اتفاق في عدة قضايا وأبرما معاهدة هدنة بينهما لمدّة سنتين، وذلك بدءً من 3 شتنبر 1630.

بعد ذلك، رحل دوشلار إلى أسفي آملا في التوصل إلى اتفاق حول الأسرى الفرنسيين. لكن عبد المالك كان يماطل، فأقدم الأسطول الفرنسي على حجز سفينة كانت في ملك اليهود أولاد بلياش (انظر بلياش، معلمة المغرب، ج 4، ص. ص 1372 ـ 1373). وأذكّر أنه كان لهذه الأسرة اليهودية حظوة كبرى لدى الملوك السعديين، انطلاقاً من زيدان بن أحمد المنصور.

قام أولاد بلياش بمساع كبرى لدى عبد المالك الذي تنازل للتفاوض بدون مقابل في موضوع الأسرى الفرنسيين. واستغرقت المفاوضات عدة أسابيع لم تسفر معها على نتائج ترضى الجانب الفرنسي. وكان الخريف على الأبواب، فقرّر قائد الأسطول الفرنسي العودة إلى قواعده. إلا أن عبد المالك أطلق سراح هؤلاء الأسرى الذين قادهم من مراكش إلى أسفي القائد يحيى الجناتي، الذي لما وصل إلى أسفي، وجد أن سفن البعثة الفرنسية قد أبحرت قبل ذلك بثلاثة أيام.

واغتاظ عبد المالك وهو يحمّل المسؤولية دوشلار وقائد الأسطول الفرنسي وأعرب عن احتجاجه وسخطه إلى ملك فرنسا ملتمساً منه اتخاذ الإجراءات الضرورية ضدّ الذين "لم يقيموا وزناً لملك المغرب وزاغوا عن أوامر ملك فرنسا".

وفي مستهل صيف عام 1631 أوفد لويس 13 بعثة ثالثة لتهنئة الوليد الذي اعتلى عرش المغرب خلفا لشقيقه عبد المالك الذي قُتل قبل ذلك بأشهر ـ ولمواصلة المفاوضات حول الأسرى وإبرام معاهدة صلح بين البلدين. وضمّت البعثة مرّة ثالثة دوشلار ودومولير الذي كانت له تجارب وخبرة في الحقل الدبلوماسي.

وتوصل دوشلار ورفيقه إلى حلول مرضية مع الوليد، حيث تمّ تسليم الاسرى المغاربة الذين كان الفرنسيون يشغّلونهم عبيداً في التجديف لسفنهم، وتسلّم دوشلار الأسرى الفرنسيين الذين أخذ الوليد يشغّلهم عبيداً في ورش قصر له بأبير التي حملت فيما بعد اسم "الوليدية" إضافة إلى ذلك، أبرم الطرفان معاهدة صلح وحسن المعاملة بينهما.

واغتنم دوشلار هذه الرحلة فأنزل كمّيات هامّة من البضائع، باتفاق مع داود بلياش الذي سَلَّمَه وثيقة ترخّص بترويج تلك البضائع. وللتذكير فإن داود بلياش كان وكيل الملك في التجارة ومُدَبّراً لشؤون الميناء والديوانة علماً أن التجارة الخارجة كانت حكراً على الملوك. ومن يريد من الأجانب أن يتجّر في المغرب، لم يكن له غنى عن إذن الملك. أمّا دوشلار فإنّه أمّن قنصل فرنسا بأسفي بترس مازى (P. Mazet) على متابعة ترويج البضائع واختزان ريعها إلى أن يوفد له مبعوثاً لاستخلاصه.

وبالفعل، في غضون سنة 1632 حل بأسفي المبعوث لهذه الغاية وطالب أو وطلب من القنصل الفرنسي أن يسلّمه ما حصل من المبيعات وقد نفدت البضائع كلها. هنالك وقع خلاف بين المبعوث الفرنسي المسمى Du Puy

وبين بلياش من جهة ـ لأن اليهودي لم يستخلص نصيبه من الصفقة مقابل الترخيص ـ وبين القنصل الفرنسي من جهة أخرى الذي لم يكن على علم بارتشاء اليهودي بلياش ـ ويلغ صدى هذا الخلاف إلى الوليد الذي اكتشف أن داود بلياش زوّر الترخيص وانتحل إمضاءه، واتّهم القنصل الفرنسي بالخيانة لأمانته ومهمته وتجاوز اختصاصاته والتلاعب بالأوفاق الدولية. مشيراً إلى ما تنص عليه الاتفاقية المبرمة قبل سنة بين المغرب وفرنسا والتي ساهم دوشلار في صياغتها وتوقيعها.

وبسبب هذه الاتهامات أمر الوليد باعتقال القنصل الفرنسي ومبعوث دوشلار وإيداعهما السجن، فحُبسا بمنزل كبير داخل المدينة العتيقة بأسفي بزقاق أخذ يسمّى منذ ذلك العهد إلي يومنا بـ "درب الحبس" كما أن المنزل المذكور تحوّل إلى سجن قام بوظيفة الحبس إلى أن استرجع المغرب استقلاله إلا أن البناء هرم واهترى وانهارت جدرانه ولا تزال ركاما حيث وقعت. وزيادة على اعتقال الفرنسيّيْن المذكوريْن، رخّص الوليد باستئناف أعمال القرصنة ضدّ المراكب الفرنسية. أمّا داود بلياش فإنه اختفى.

إلا أن الحكومة الفرنسية لم تطق هذه الأوضاع الجديدة فأرسلت إلى الوليد سنة 1634 سفارة أخرى برئاسة دوشلار الذي اكتسب خبرة في العلاقات الدولية خصوصاً مع المغرب. فحمل هدايا إلى الملك وفوجاً من الأسرى المغاربة كان بحارّة فرنسيون ـ وغيرهم ـ يختطفونهم من الشواطئ؛ كما حمل في حقائبه أموالاً لافتداء فرنسيين آخرين كانوا في قبضة تجار سلاويين وفاسيين، وسمَحَت له حكومته باقتراض أموال أخرى بالمغرب عند الضرورة لتحرير كل الفرنسيين حتى لا يبقى منهم أحد عبداً أو أسيراً.

وطالت المفاوضات لأن الجانب المغربي لم يكن راغباً في التعجيل بانهائها لا سيما وأن الظروف السياسة والاقتصادية المحلية كانت تمرّ بمرحلة صعبة ذلك لأن الانفصاليين، على اختلاف مذاهبهم ومقاصدهم، انفردوا بالسلطة هنا وهناك عبر التراب المغربي وكأنّي بالوليد الذي كان يمثل السلطة الشرعية داخلياً وخارجياً، لم يكن يتوفّر على كامل الصلاحيات للتفاوض مع النصارى والتنازل لهم عن شيء.

وأطل عام 1635 على دوشلار وهو يتنقل بين أسفي ومراكش وسلا. وفي شهر يونيو من هذه السنة، رسّت سفينة انجليزية بأسفي وبقيت رايتها مرفوعة ترفرف على الميناء. عندها تدخل دوشلار وطالب "القبطان" الانجليزي بانزال رايته فأبَى، فبعث إليه بإنذار فرفضه. عندئذ قصف دوشلار السفينة الانجليزية، فألحق بها أضراراً وقتل ربّانها.

ربما كان لهذا العمل تأثير على الوليد. وما من أحد يتذكّر أن معركة بحرية بين أجانب وقعت في المياه المغربية. واستُؤنفت المفاوضات ونجح دوشلار في افتداء الأسرى الفرنسيين، وتساهل الدلائيون والسلاويون، وكل طرف حقق مقصده وعادت الأمور إلى حالة هادئة بين المغرب وفرنسا، وذاع صيت دوشلار في الأوساط الأوربية الرسمية ولدى أصحاب المراكب التجارية.

اهتمت بريطانيا العظمى بموضوع دوشلار، فغفرت له مَا صنعَه بأسفي ضد إحدى سفنها، واستدرجته لتحرير رعاياها الأسرى المحتجزين لدى الدلائيين وأصحاب العياشي بسلا، ووعدت بأنها ستوافيه بعشرة آلاف ابرة من الذهب لصرفها في افتداء الأسرى، إلا أن ذلك لن يتم قبل موافقة مجلس اللوردات على هذا المبلغ، وأن عليه، إن شاء، ان يقدّم تسبيقا من خزانته ريثما يتوصّل بالمال الموعود.

وأسكرت نشوة الفوز والشهرة الضابط ـ الدبلوماسي دوشلار، فاقترض المال الضروري من إحدى المؤسسات الفرنسية وحرّر الأسرى الانجليز في غضون أربعة أشهر من المفاوضات والمزايدات حتى إن السلاويين وغيرهم ظنوا أن صاحبهم يتوفّر على ما كان لقارون من الكنوز، وكان صاحبهم هذا، يتباهى بحظوته لدى ملك فرنسا وبلاط بريطانيا العظمى.

غير أن دوشلار لم يتوصّل بشيء من الحكومة البريطانية لأن تركيبتها تغيّرت أثناء عمليات الافتداء ولم يصوت مجلس اللوردات على المشروع.

وولّى دوشلار عائداً إلى فرنسا في نونبر 1635، فتقدّم إلى البلاط الفرنسي بتقرير عن رحلاته كلها، مطالبا باسترداد الأموال التي اقترضها بالمغرب، طبقاً لتعليمات الحكومة الفرنسية، قصد افتداء كل الأسرى الفرنسيين. فما كان جواب لويس : 13 إلا أن وَجّه إليه تهمتين خطيرتين، الأولى أنه انتهك سيادة المغرب عندما هاجم سفينة أجنبية في أحد موانئه (أسفي)، وحيثما كانت المهمة التي أنيطت به هي تحرير الأسرى الفرنسيين لا غير وتطبيع العلاقات بين القطرين. أما الجنحة الثانية فانها تتجسّم في تعاونه مع بلد بينه وبين فرنسا عداوة تقليدية مُتجَذّرة في الزمان. من أجل ذلك اقتضى أمر الملك أن يُودع دوشلار في السجن لمدّة غير محدودة.

وعلى إثر تدخّلات لدى الملك نظرت محكمة في أمره بعد شهرين من السجن، وحكمت عليه بعدم الإقامة في باريس وما جاورها لمدة سنة، ووجوب أداء ما عليه من ديون مقدّرة بأربعين ألف ابرة ذهب لمستحقيها من التجار الذين أقرَضوه هذه الأموال لتحرير الأسرى الفرنسيين والبريطانيين معاً لأنه ارتكب تجاوزات وخروقات.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج.6 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ أ. بنجلون، من *تاريخ أسفي*، مخطوط.

Sources Inédites de l'Histoire du Maroc, France - Saâdiens, T. III ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, T. 2 ; A. Cour, *L'établissement des dynasties des Chérifs au Maroc*.

أحمد بنجلون

دوطي أو دوتي إدمون E. Doutté من أبرز من تخرج من "المدرسة الإدارية الجزائرية" فهو واضع هذه العبارة التي تشير إلى كل أولئك الذين التحقوا بإدارة الجزائر المحتلة من الموظفين الفرنسيين فتعلموا العربية والأمازيغية وخبروا شؤون المجتمع الإسلامي هنالك حتى إذا جاء دور المغرب ليلحق بالامبراطورية الفرنسية أندس عدد منهم عبر البلاد يستخبر ويجمع المعلومات ويقترح ويقترح الخطط التوسعية على المسؤولين في تقارير مستفيضة تنقح فيما بعد فتنشر على صفحات الدوريات أو تصدر في كتب ضخمة. وكان إدمون دوطي خير مثال عن هذا الصنف من المتجسسين الذين رفعتهم الخبرة الميدانية إلى مستوى العلم والتنظير.

فإنه ولد سنة 1867 في فرنسا واتجه أول الأمر إلى دراسة العلوم الطبيعية إلى أن كتب له أن يزور الجزائر فاستقر بها ودخل سلك الإدارة المحلية فاشتغل كاهية مدير القرى المختلطة شمال مقاطعة قسنطينة فتعلم العربية وتعود على سبر أغوار المجتمع القروي الجزائري، ثم لما أتقن العربية انتقل إلى سلك التعليم في مدرسة تلمسان حيث تعرف على موليراس (Moulière) صاحب كتاب "المغرب المجهول" وصار من ثم فصاعداً يهتم بالمغرب فزار بعض جهاته بأمر من والي الجزائر وبتجهيز من "لجنة المغرب" حيث طاف عبر البلاد في أربع رحلات سنة 1900 ثم سنة 1904 ثم 1906 ثم 1907 وجمع من المعلومات والارتسامات ما بوأه مركز الصدارة من بين الخبراء بشؤون المغرب إلى جانب لي شاطليه (Le Châtelier) وميشوبلير (Michaux-Bellaire) ودي سيكونزاگ (De Segonzac) وآخرين وكتب بذلك التقارير المتعددة ونشر بعضها في المجلات أو في مؤلفات منفصلة مما جعله جديراً بأن ينضم إلى هيئة التدريس في كلية الآداب بالجزائر العاصمة ويلحق بهيئة تحرير "المجلة الافريقية" *(La Revue Africaine)* الصادرة هنالك فكان نموذجا لتوظيف العلم لصالح الاستعمار.

وكان من أشد المتحمسين لإسناد أمر احتلال المغرب للمسؤولين الفرنسيين عن الجزائر بحكم الجوار وطول الخبرة بشؤون الإسلام والمسلمين. ولقد رفع في هذا الصدد تقريراً مطولاً لوالي الجزائر نشره سنة 1900 تحت عنوان "أسباب النهوض بالنفوذ الفرنسي في المغرب" جعله على ثمانية أبواب :

الباب الأول عن ضرورة انتقاء الموظفين الفرنسيين المكلفين بالمصالح الفرنسية في المغرب ليكونوا من سلك القناصلة وأيضاً من سلك الشؤون الأهلية الجزائرية على أن يتعاونوا فيما بينهم ويكونوا يتكلمون بالعربية.

والباب الثاني عن كيفية ممارسة التاثير السياسي الفرنسي على المغرب باستعمال الحماية القنصلية وتوزيع الهبات المرتبة على كبار المسؤولين والشخصيات المرموقة وتمتين الروابط بأرباب الزوايا وإظهار القوة الفرنسية بممارسة حق المطاردة على الحدود المغربية وإبداء الأساطيل الفرنسية على الشواطئ المغربية وإلحاق ما يمكن إلحاقه من التراب المغربي بالممتلكات الفرنسية ومعاكسة ذلك كلما حصل من جهات أخرى (إسبانيا مثلاً) وتوظيف الصحافة للتنويه بكل ما تقوم به فرنسا.

والباب الثالث في كيفية التدخل في شؤون المغرب مباشرة بواسطة البعثات العسكرية وطقومة الأساطيل السلطانية والمجلس الصحي واللجن الصحية على اعتبار أنها نواة المجالس البلدية يوم يتم الاستعمار وإدخال موظفين فرنسيين في جهاز المخزن نفسه.

والباب الرابع عن الوسطاء بين فرنسا والمجتمع المغربي فهم اليهود المغاربة أو الجزائريون والمسلمون الجزائريون والعلوج والمهاجرة من مسلمي الجزائر الذين مضت عقود على إقامتهم في المغرب.

والباب الخامس عن تكثيف الوجود العددي الفرنسي في البلاد وتشجيع المهاجرين ومساعدتهم على امتلاك العقار والنهوض باستغلال الأرض والباب السادس عن وسائل إثبات الوجود الفرنسي بتشييع المقاولات الصناعية وتنمية التجارة بتنمية الخطوط الملاحية واجتذاب الطرق التجارية نحو الجزائر وتمديد الشبكة البريدية والتلغرافية والحث على بناء السكة الحديدية وفرض العملة الفرنسية وإحداث المصارف والأبناك الفرنسية.

والباب السابع عن كيفية تقوية الغزو المعنوي بالنهوض بالأعمال الصحية والخيرية ومساعدة البعثات الدينية والتربوية مع إحداث مدارس فرنسية عربية واجتذاب الطلبة المغاربة إلى المدارس الجزائرية ونشر الكتب والصحافة العربية من الطابع الفرنسية واستقدام أكثر ما يمكن من المغاربة للجزائر ليطلعوا على محاسن الحكم الفرنسي.

أما الباب الثامن والأخير فإن دوطي ألح فيه على لزوم النهوض بأعمال المسح العلمي للمغرب والاكثار من البعثات العلمية مع نشر نتائجها والترويج لها من خلال الدوريات والمحاضرات.

وقد استفاد هو من ذلك فتنقل عبر المغرب ونتج عن ذلك أجود ما كان من تآليفه ومنشوراته، فإنه جمع ملاحظاته وارتساماته في مجلدين ضخمين أولهما نشره تحت عنوان *"مراكش"* وهو ما رأى وما التقط من الأخبار في رحلة من الدار البيضاء إلى مراكش عبر الجديدة وأسفي ثم بلاد عبدة والرحامنة، والثاني نشر تحت عنوان *"من خلال القبائل"* وهو رحلة من مراكش إلى الدار البيضاء عبر قبائل گندافة وسفوح الأطلس الغربي الشمالية والأودية الخارجة منها. بما في ذلك أغمات وزاوية سيدي رحال وقبيلة أبي السبع وقبيلة حاحة فالصويرة ثم نحو أسفي والدار البيضاء ومنها إلى الرباط ثم ذهب إلى مكناس وفاس وعاد ليغادر البلاد وفي هذين الكتابين يتجاوز دوطي مستويات المتجسس الاستعماري الراغب في كشف الستار عن

عورات البلاد ليرقى إلى مستويات العالم السوسيولوجي الذي يروم الترفع عن الأغراض الآنية ليسبر أغوار الأمور بشيء من الموضوعية ففيما تجده يتبنى بعض الأوهام الاستعمارية مثل الظن بأن البربر هم مستقبل الإستعمار في المغرب أو أو ابداء منتهى التقزز من القبائل العربية لشيء إلا لأنها رحلية فإنك تجده من جهة أخرى يتناولُ بعض الأمور بتمام الحيطة والموضوعية فيقارن مثلاً ما وقف عليه من الخرافات والطقوس في المغرب بما كان يوجد منها في أوربا عامة وفي بادية فرنسا على وجه التخصيص كما ينوه بنبل المغاربة وحسن سريرتهم على بساطة عيشهم ويتأسف سلفاً على ما قد يتلاشى من ذلك يوم تدخل عليه المدينة الصناعية فله في هذا الباب فقرات كأنها مستوحاة من الفيلسوف روسو (Rousseau) مباشرة.

ومن أفيد ما جاء به ما كتبه عن البنيات الاجتماعية والسياسية للقبائل التي زارها كأوصافه لقبيلة الرحامنة في كتاب *"مراكش"* وأوصافه لقبيلة حاحة في مقال أصدره سنة 1905 في مجلة *"الاستعلامات الاستعمارية"* وأيضاً وصفه للسلطنة المغربية في مجلة *السياسة البرلمانية* (ستنبر 1909) ففي هذه الأبحاث يبدو دوطي عالماً بكل ما في الكلمة من معنى. وله إشارات واستخلاصات تدل على أنه أحسن استكناه المجتمع المغربي وأدرك منه ما لم يدركه آخرون فمن ذلك قوله عن الملكية في المغرب إنها "ليست مؤسسة سطحية أو مما يمكن عدم أخذه بعين الاعتبار" وترتبط هذه الملاحظة بأخرى اعم منها وهي أن النظام السياسي المغربي مختلف كل الاختلاف عن الفيودالية لأن الملك فيه أمير للمؤمنين مبايع له من قبل ممثلي الأمة، وهو في آن واحد شريف بركة يتبرك بشرف نسبه، والقواد إزاءه لا يتميزون عن باقي الخدم والحشم. وقال عن النظام الحكومي المحلي بأنه قائم على الروابط القبلية العريقة أكثر مما هو قائم على الوجود المخزني قال : "ينحصر التمثيل المخزني محلياً في القواد وفي عدد من المخازنية والفرسان [...] ولذلك لا غرابة أن لا يقع الإقليم في الفوضى إذا هم انسحبوا وتلك هي المفارقة السوسيولوجية التي تعترض أنظار الملاحظ في أكثر من جهة من جهات المغرب وبخاصة في الجهة التي تشغلنا منذ ما يقرب من أربع سنوات (حاحة) فمنذ ما يقرب من أربع سنوات ومنذ وضع الترتيب الشهير لم يعد أحد يؤدي الضرائب وأضحى عدد القواد يتقلص يوماً عن يوم [...] وحيث إن السلطة قد اختفت فالمنتظر أن نجد البلاد في فوضى رهيبة والأسواق خالية والتجارة متوقفة والطرق غير مأمونة والحقول غير مزروعة [...] لكن العكس هو الذي حصل الفلاحة أزهى من أي وقت مضى والمبادلات مزدهرة والسبل سالكة، على المسلمين على الأقل، والسكان مغتبطون وفي بحبوحة من العيش" مما ينفي ما كانت تروِّج له الدعاية الاستعمارية من أن الفوضى هي ما كان يطبع الحكم في المغرب ولذلك ألح دوطي على ضرورة التعامل مع الواقع المغربي بمنتهى الحذر وبأكثر ما يمكن من التجرد فقال : "من الصعب على المسيحي أن يقوِّم المسلم حق قيمته وذلك لأن الحوافز العنصرية تعمينا رغماً عنا فنجعل ورعهم تعصباً وزهدهم كسلا وتعاضدهم عصبية [...] وهكذا فإننا كثيراً ما لا نرى لدى المسلمين ما في بساطة عيشهم من الروعة وما في كلامهم من التمييز وما في وسواسهم من الحشمة وهو ما يطلقون عليه اسما لا سبيل إلى ترجمته وهو "الحياء" [...] وإن الحضارة الإسلامية في المغرب تخفي تحت غطاء التوحش ملاطفات لا نظير لها..." ثم ذهب دوطي بعد ذلك يتساءل عن مصير كل تلك الفضائل بعد الغزو الفرنسي متمنيا أن لا ينحصر هذا الغزو عند إقحام المغرب في مدنية الصناعة والتصنيع واضعاً بذلك معنى الاستعمار في ميزان التاريخ.

أما آخر ما صدر من أهم مؤلفاته فهو كتابه عن *"السحر والعقيدة في إفريقيا الشمالية"* ذكر فيه كل ما وقف عليه مما كان يشوب العقيدة الإسلامية يومئذ في البلاد من الشوائب في مختلف الميادين ومبديا مدى ما كان من التفاعل بين المعنويات والمستويات المادية التي كان يوجد عليها المجتمع المغاربي في طليعة هذا القرن.

توفي دوطي سنة 1926.

J. Berque, *Cent vingt-cinq ans de sociologie maghrébine*, *Annales, Economie - Société, Civilisations*, Juillet-Septembre, 1956 ; D. Rivet, *Lyautey et l'institution du Protectorat*, T. I, Paris, 1988 ; E. Doutté, *L'Islam algérien en l'an 1900*, Alger, 1900 ; *Notes sur l'Islam Maghrébin : les Marabouts*, Paris, 1900 ; *Enquête sur la dispersion de la langue berbère en Algérie*, Alger, 1913 : *Les Djebalas du Maroc d'après les travaux de M. A. Moulièras*, Oran, 1899 ; *Des moyens de développer l'influence française au Maroc*, Paris, 1900 ; *Marrakech*, Paris, 1905 ; *En tribu*, Paris, 1914 ; *Magie et religion dans l'Afrique du Nord*, [illegible] 1909

[illegible]راهيم بوطالب

دوفوكو، فـ. شارل V. Charles De Foucuald رحالة مستكشف ومبشر فرنسي ولد بمدينة سترازبورغ Strasbourg بفرنسا سنة 1858 تلقى تربية دينية في وسط مسيحي محافظ.

قام برحلات استكشافية في بلدان عربية منها فلسطين وسوريا والجزائر التي أقام بها مدة طويلة، كما قام برحلة إلى المغرب استغرقت سنة كاملة استطاع خلالها أن يتعرف على المناطق الشمالية والجنوبية من البلاد رغم صعوبة مسالكها وخطورة أوضاعها.

ففي سنة 1883 انطلق دوفوكو من مدينة طنجة قادما من الجزائر ومتنكراً في زي يهودي، ورغم قصر المدة التي قضاها بالمغرب فإنه استطاع أن يصف مجالاته الجغرافية والطبيعية من جبال وهضاب وسهول وأنهار كما خص حيزاً وافراً لوصف المدن والقرى والسكان وأنشطتهم وإنتاجهم

وعـاداتهم وتقاليـدهم واعـرافهم ولهجاتهم وقد أتى هـذا الوصف في غاية الدقة والاتقان والموضوعية.



كان اهتمام دوفوكو بالدرجة الأولى في هذه الرحلة هو الوقـوف والتعرف على المنـاطق التي لم يحظ سابقـوه من الأوربيين باستكشافهـا، فقد تحدى وعـورة ومخاطـر هذه المناطق حيث سلكها مشيا على الأقدام أو ممتطيا الدواب مصحوبا بخفر من الأهالي ووحيداً في المناطق الآمنة. زار دوفوكو في رحلته علاوة على المناطق الشمالية بلاد تادلا وسوس ودرعـة والصحراء المغـربيـة وتعـرف على معـالمها الطبيعيـة والعمرانيـة والبشـرية، كما رسم خرائط للمسالك التي اجتازها والمواقع التي شاهدها، ولم يكن بحوزته طوال هذه الرحلة سوى دفتـر صغير الحجم وقلم رصاص لا يتعدى طـول الأصبع بـالإضـافـة إلى آلـة دقيقـة لـرصـد وقيـاس المرتفعات التي رسمها بدقة متناهية.

انتهت رحلة دوفـوكـو إلى المغرب يـوم 23 مـاي 1884 حيث غـادر مدينـة وجدة عائداً إلى للامغنيـة بالجزائر. وفي سنة 1901 انضم دوفــوكــو إلـى الكنيســة وأصبح قســا واعتكف بــالصحــراء بمنطقــة بني عبــاس. ثم بعــد ذلك بتمانراست. وتعرض لمحاولة اغتيال سنة 1905 من طرف السنوسيين إلا أنه نجا باعجوبة وظل في خلوته بتمانراست إلى سنة 1916 حيث قتل هناك.

خلف دوفوكو عدة مؤلفات من أهمها رحلته إلى المغرب التي دونها وطبعها في فرنسا بمساعدة دوڤيري Duverier والتي سماها *Reconnaissance du Maroc 1883 - 1884* التعرف على المغرب. كما ألف *قاموسا باللغة الفرنسية في لهجة الطوارق* وكذا *ديوان شعر بلهجة الطوارق*.

Ch. Eugene, *Vicomte de Foucauld, Robert II*, p. 670 ; Ch. de Foucauld, *Reconnaissance du Maroc 1883 - 1884*, p. 140 - 142.

محمد بلعربي

الدوقات، أو الدوكات اسم للدينار الذهبي المضروب بإيطاليا في القرن الرابع عشر للميلاد واسمه Ducat آتٍ من لقب الملك وهـو "دوق" وقد استعملت الدوقات في المغرب بكثرة في القرن العاشر (16 م) أواخر العهد السعدي، وفي عهد الإمارة السملالية بسوس. وتعتبر سكة الدوقات من الذهب الخالص، ويقابل وزن الدينار منها 15 قيراطا من التبر يساوي 2,9 غ. وكانت هـذه الدوقـات تصـرف في المعـاملات التجاريـة بأوقيتين وثمن الأوقيـة للدينـار إلى غشت سنة 1561 فأصبحت بعشرين قيراطاً من التبر وتزن 3,88 غ، وكـان الـدينـار منهـا يـروج بسعـر ثلاث أواقي، وتطور سعر سكة الدوقات هذا كان على حساب الدينار المغربي، فلم يبلغ سعر الدينار العشري بسبب بخس عياره إلا 16 قيراطاً ووزنه 3غ والدينار السباعي لم يبلغ إلا 15 قيراطا ووزنه 2,9 غ. وقد بلغ دينار الدوقات أقصى ما بلغه في الارتفاع في يوليوز 1588 حيث بلغ رواجـه ست أواق وكان ذلك أوائل عهد السلطان أحمد المنصور، ثم تناقص في عهد الإمـارة السملاليـة فاستعمل بدلـه ميزان التبر، ولكن استعمــال الـدوقـات ظل مـوجـوداً في المعـاملات التجارية مع الأوروبيين إلى جانب قطعة البندقي والدبلون إلى نهاية القرن الثاني عشر (18 م).

ع. أفا، *مسألة النقود في القرن التاسع عشر*، ص. 402 ؛ *النقود المغربية في القرن الثامن عشر*، الرباط، ص. 46 ؛ الكرملي أسطاش، *النقود العربية وعلم النميات*، ص. 111 ؛ *النقود في العهد السعدي*، نماذج بيليوغرافية، مجلة تاريخ المغرب، عدد 7 - 8 سنة 1998، ص. 30 -35.

عمر أفا

دوكاستر ← دي كاستر

دوكور أنطوان A. Ducors تسـميه الوثـائق المغربيـة نينُــو ــ بنـون ممـدودة أو دون مــدّ : نينُ صيغـة مختصـرة لأنطوان. وهو تاجر فرنسي استوطن الرباط منذ ما قبل 1280 / 1864 حتى توفي فيه في صدر القرن العشرين. ولي النيابة القنصلية عن بلاده وعن إيطاليا في أول الأمر. وكان من جملة نشاطه الوكالة عن السفن التجارية القادمة أو الراحلة من مرسى العدوتين، ولا سيما مراكب المُساحلة التي كانت تنقل البضائع والنتوجات من مختلف المراسي وإليها.

وقد اتخذ بوصفه وكيلاً قنصلياً محميين وسماسرة وخلطاء بالمدن والبوادي المحيطة بسلا شمالاً مثل قبائل بني أحسن وسفيان وبني مالك أو المجاورة للرباط جنوباً كزعير وعرب الصبّاح والحوزية والأوداية وحتى زمور والشاوية. كان في كل ذلك يدافع عن مصالحه ومصالح بلاده في شيء غير يسير من الحدة والتعسف أحياناً.

وإضافة إلى ذلك أسند إليه تسْيير البريد الفرنسي بالرباط والنواحي. وكان في بعض الأوقات ولاسيما سنة 1311 / 1893 يشتكي من بعض النهاب بناحية الغرب الذين سطوا على حقائب البريد (رسالة إلي أحمد الطالبي في 29 صفر 1311 / 11 شتنبر 1893، وثائق بنسعيد). وقد فكر سنة 1317 / 1899 في إنشاء مركز للبريد بسلا وكلف أخا مُحمد بن الحاج مُحمد بن دحمان السلاوي بأن يتخذ متجره مقراً له، لكن السلطة المحلية لم تساعده في ذلك الوقت (م. بوشعراء، *التعريف*، ج. 2، ص. 254).

تردد ذكره في الوثائق المغربية طيلة ثلث قرن، وكانت مراسلاته في أواخر القرن الماضي مختومة بطابع مستدير وصغير وبداخله نقش ما يلي فيه : "أنطوان دكور الفرانسيي، لطف الله به". ولربما كان يعرف العربية أو الدارجة على الأقل لطول مقامه. كانت له مع السلطات الإدارية والحبسية والقضائية والمالية مشاكل متنوعة، وكانت له مع السكان معاملات مختلفة.

ففي سنة 1280 / 1864 استرعت السلطات المغربية على خروجه إلى البوادي للصيد وغيره وحملته هو وقنصل الانجليز بالرباط وهو جيمس دراموند هي شقيق سفير انجلترا بطنجة مغبة هاته المغامرة.

وسمع السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان عنه الكثير فقال سنة 1285 / 1868 إن دوكور "يحاول أن يكون نائباً عن جنسه هناك، وهو معروف بالطيش والتعدي، كما هو معروف بالعدوتين".

وفي سنة 1884 / 1301 كتب عنه العامل السويسي إلى مَحمد برگاش قائلاً : "فقد أجبتك عن شكوى بولنوار في غير هذا، ولم نبالغ في الجواب اتقاء لشرّ نينُ.

واستمر في هاته المعاملة مع محمد بن الحاج محمد السويسي الذي خلف أخاه بعد وفاته في الولاية على الرباط فقال عنه سنة 1306 / 1889 : "خليفة نائب الفرانصيص هنا المسمى أنطوان دكور المعروف نينو قد ضيق بنا غاية الضيق، وحاد عن سلوك القوانين، وطال ما ساعدنا وباششنا، وأمره كل يوم يتزايد"، ثم عدد أمثلة من تصرفاته.

وحتى مع السلطات المحلية الأخرى في البوادي كان يشتكي ويحتج. ومن ذلك مثلاً ما قاله سنة 1870 في رسالة بعث بها إلى فرانك وولدريدج F. Wooldridge قنصل انجلترا وفرنسا بالرباط : إن محمد بن العربي ابن خدة الثورى الصفاعي الذي كان أحد قواد بني حسن حتى سنة 1872 (*قبيلة بني أحسن*) سجن خماسيه ورعاته أكثر من 15 يوماً حتى تعطلت أشغاله، ثم طالب بتعويض عن الخسارة التي لحقته من ذلك (*الاستيطان*، ج. 2، ص. 791).

ولئن كانت هاته التصرفات من لدن القواد إزاء إخوانهم مذمومة فإن ذلك لا يعني أن دكور كان مبالغاً.

وفي هذا الصدد وقفت في وثائق وزارة الخارجية الفرسية على نص رسالة وجهها نينو إلى أوگوست ده فيرنويي A. de Vernouillet الوزيز المفوض لفرنسا بطنجة مؤرخة في 11 ماي 1880 يتّهم فيها أحد قواد التوازيط الذين هم فرقة من أولاد نعيم من قبيلة بني حسن وهو العربي بن محمد التازرطي.

وكان دوكور على أسوإ حال مع قاضي الرباط ملين سنة 1302 / 1885 ، فقد نسبت له الوثائق "سبه القاضي في محل حكمه، وهجومه على السجن "فُورْصَة"، وإخراج مسجون من رعية هذه الإيالة لاحماية له، وكان مسجوناً في قضية شرعية" (*الاستيطان*، ج. 2، ص. 793).

وقد تبرأ دوكور من هاته التهمة الواردة في رسالة مَحمد برگاش إلى الطريس فقال الوكيل القنصلي المذكور : إنه وقع لنا كلام مع القاضي السيد أحمد ملين في شأن رجل غرباوي كنا وجهناه له مع رجل آخر غرباوي أيضاً، وكلهم أصحاب الحمايات ليعمل لهم الشرع ويحكم عليهم بما أنزله الله، وفشت من ذلك أخبار بروايات مختلفة لا أصل لها : يريدون بذلك التخليط والخوض بين الناس. ومقامك لا بدله من التحقيق للدعوى ليقف على تصحيحها ويكون على بال منها (المصدر نفسه).

وتكذيباً لدوكور وضعت مواجب عدلية تشهد بأنه هجم عنوة على السجن، وشهد بذلك القائمان عليه وهما : الحاج محمد روديـاس والحاج التهامي بن الزياني (أيضاً، الصحفة نفسها).

أما أمينا مرسى العدوتين فقد ذكرا عنه ما هو أفظع. ذلك أنه في سنة 1304 / 1887 وجه دوكور عونه محمد بن الشرقي الأودبي "ليخرج صندرقاً، زاعماً أن بداخله مكينة آلة الخياطة، فوجدنا مكتوباً على ظهر الصندوق : أحمد فرج" فامتنع الأمينان من تسليمه للمخزني "بدون قانون، فتلاحي مع حمال عاب عليه الشتم الصادر منه". وفي ذلك الوقت آتى نينو" وبيده عصى فجعل يضرب الحمال المذكور بباب الديوانة" وختم الأمينان وهماا :الصديق برگاش وعبد السلام بن يحيى رسالتهما إلى الطريس منددين بـ "طيش هذا النصراني باليد واللسان" (المصدر المذكور، ص. 793 - 794).

وقد أكد محمد السويسي في رسالة إلى الطريس في اليوم ذاته ما وقع من دوكور الذي "تشاجر مع خدمة المرسى" وضرب أحدهم "ضرباً بالغاً على ملإ من الناس، وما قصر من الشتم والسب على الأمناء ومن القول الخارج على الموضوع" (نفسه).

وإلى جانب العامل والقاضي والامينين كان ناظر الأحباس قد اشتكى بأنه امتنع من أداء واجب 46 شهراً آخرها غشت 1890 عن كراء ثلاثة أمكنة حبسية بالرباط معلقاً بلاريب تسديد الواجب على فصال دعاويه. أولاً : وعلى ذكر ذلك كان الأمناء قد بنوا له بسوق الغزل مطحنة سنة 1292 وأكروه أياها لمدة 16 سنة.

وهاته المماطلة كانت تحصل له مع الناس أيضاً فقبل سنة 1302 / 1885 اشترى دوكور من الحاج محمد بن علي الدكالي (عمّ المؤرخ السلاوي محمد بن علي) عدداً من جزات الصوف بـ 1300 ريال، لكن المشتري لم يؤد لسبب ما المبلغ المذكور، فضاق به الحال وتوجه مشتكياً إلى سلطات طنجة مرتين دون جدوى. فتدخل عامل سلا في حقه لدى برگاش النائب السلطاني قائلاً : إن الدكالي "اشتكى على نائبك الحاج محمد الطريس، وكلم الباشدور الذي سافر، وكتب لقونصو الدار البيضاء، وجاوب الباشدور، وهو أخبر الحاج محمد الطريس بأن أنطوان المذكور سيفلس.

"وما صح لابن علي الدور وسط الغرماء، وأنطوان غاني (= غني) بالقدر الذي بذمته. فالمروم من سيادتك : خذ بيده، وكن له واسطة خير حتى يتوصل بحقه. وتعلم : وأن القضايا التي تكون لرعيتهم ـ ولو كانت لا حقيقة لها ـ يقبضونها. وهذا الرجل حقه ظاهر لاريب فيه.. (أيضاً).

ومرت سنتان على هذا حتى مات الدكالي ولما يقبض ورثته مانابهم في موروثهم *(وثائق بنسعيد)*.

ولم يكن دوكور خليطاً مع عامة الناس، فقد عقد مخالطة مع أحد قواد آيت علي والأحسن من قبيلة زمور الشمالية وهو حمادي والأحسن المقروط المهطمي (الذي كان سنة 1294 / 1877 قائداً على هاته العشيرة) وهكذا وضع دوكور عدداً من رؤوس البقر عند حمادي المذكور سنة 1299 / 1882، فقام أفراد من فرقة عامر من قبيلة بني أحسن بالسطو على ثلاثة عشر رأساً منها من دوار المقروط الزموري، وذلك رداً للثار مما كان بين زمور وبني أحسن من الصراع على المراعي وعلى الأراضي (م. بوشعراء، *قبيلة بني حسن، 1860 . 1912*، مخطوط).

وأخيراً في باب المعاملات أشير إلى أن دوكور كان شبه محام ووكيل في قبض ديون الناس مُقابل أدائهم 10٪ منها له. (وثائق الخزانة الصبيحية 28 رمضان 1313).

ومهما يكن من أمره مع الناس فقد لبث بعضهم مصراً على مضايقاته إن كان في ذلك ضرر عليهم. إذ في سنة 1886 مثلاً لما بنى مكاناً ... اللويبيرة من رباط الفتح وأراد بعد ذلك أن يتخذه طاحونة له قام جيرانه بوضع ... بالضرر والضوضاء (الاستيطان، ج. 2، ص. 794).

ولا ... من جميع ما تقدم ذكره أنه كان عدواً لدوداً للمغاربة، حقا كانت فيه جرأة وجسارة، لكن مصالحه وحالة الإدارة المغربية دفعته إلى اتخاذ موقف مما كان يواجهه من مصاعب. ولا يخامرني شك في أن بعض الرباطيين كانوا على أحسن علاقة معه مثل آل برگاش الذين تزوج أحدهم وهو الحاج المكي نجل النائب السلطاني مَحمد بن عبد الرحمان بنت دوكورو اسمها إيميلي Emilie، وذلك سنة 1890. وقد أسفر هذا الزواج عن ولد واحد وبنتين. ولما مات الحاج المكي المذكور حوالي 1324 / 1906 طلبت حقها في متروك زوجها، فامتنع القاضي من ذلك ما لم يثبت لديه إسلامها. فكتبت رسالة إلى الحاج محمد الطريس تخبره فيها بأنها أسلمت قبل ذلك بست عشرة سنة وأنها صامت، وختمتها بأنها "أمة ربها فاطمة الممنون عليها بدين الاسلام" وبنت القونصول الفرانصاوي الذي كان بالرباط" (رسالتها مؤرخة بـ 24 رمضان 1324 / 11 نونبر 1906، م وم). فما كان من النائب السلطاني إلا أن أحال الأمر على القاضي المكي البطاوري الذي أجابه بأنها حضرت لدى عدلين وأسلمت وأنها بعد مدة يسيرة تزوجت بنصراني وصارت تخرج معه سافرة ويدها في يده وأنها بعد مدة أخرى رجعت إلى الإسلام ولبست ثياب المسلمين. فتوقف القاضي عند الإشكالية المطروحة : هل هي مسلمة فعلاً أم أنها ارتدت، وفي هاته الحالة تجب استتابتها ثم إقامة الحد عليها. غير أنها لما أسلمت ثانية بدون استتابة خففت شيئاً ما من الموقف الحرج. وختم رسالته إلى الطريس ذاكراً أنه سلمها الصك المبرهن عن إسلامها.

ولا يفوتني هنا أن أشير إلى أن حفيدة دوكور تزوجت بالفقيه محمد بن إبراهيم بلگناوي المعروف بالبيضاوي والمتوفى سنة 1380 / 1960 حسبما رواه لي المرحوم الفقيه الحاج العربي بنسعيد. وهذا يبدو لي قريباً من الصواب، وهو على كل حال خلاف ما ورد في معلمة المغرب، ج. 4، ص. 1359 . 1360 من أن بلگناوي المذكور تزوج بنت دوكور، وذلك لوجود فارق كبير في السن بين المرأة بنت النائب القنصلي وبين بلگناوي. ولا يجوز قبوله إلا إذا كان هذا الزوج قد عقد على امرأة أكبر منه سناً وتزوجت به بعد برگاش وبعد النصراني المومإ إليه في رسالة القاضي البطاوري.

ويظهر لي أنه في سنة 1326 / 1908 كان دوكور قد عجز وشاخ أو أنه مات حوالي ذلك الوقت فعين لوي لريش قنصلاً لفرنسا بالرباط خلفاً له (رسالة القنصل إلى الحاج الطيب الصبيحي في 28 قعدة 1326 / 23 دجنبر 1908، خ ص. 804، السلسلة الأولى).

هذا ولم يكن دوكور بدعاً بين هؤلاء المستوطنين المتصلبين، إذ كانت هناك أمثلة أخرى لهم في نواح شتى من المغرب.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، ج. 2، لدى ترجمة دوكور، ص. 789 . 795 ؛ *والتعريف بني سعيد*، ج. 2، ص. 64 و254 ؛ *وقبيلة بني أحسن*، 1860 1912، مخطوط ومحمد حجي، *معلمة المغرب*، ج 4، ص. 1359، ووثائق آل بنسعيد ووثائق الخزانة الصبيحية ومستندات مديرية الوثائق الملكية ووثائق مكتبة تطوان ووثائق الخزانة العامة بالرباط ووثائق آل برگاش ورواية المرحوم الحاج العربي بن عبد الله بنسعيد السلاوي.

مصطفى بوشعراء

دوگول (الجنرال) ← **دي گول**

دولاكروا، أوجين Delacroix Eugène رسام تشكيلي فرنسي ولد سنة 1798 بسان موريس قرب باريس ونشأ في عائلة جل أفرادها يستهويهم عالم الإبداع فتأثر منذ صغره بأفكار وأعمال فنانين وأدباء كبار أمثال بيرون Byron وشكسبير Shakespeare وغوتة Goth وغيرهم. وبارشاد من طرف أحد أقاربه التحق بمرسم گيران Gerin حيث اكتسب تجربة كبيرة مكنته من ولوج باب الشهرة.

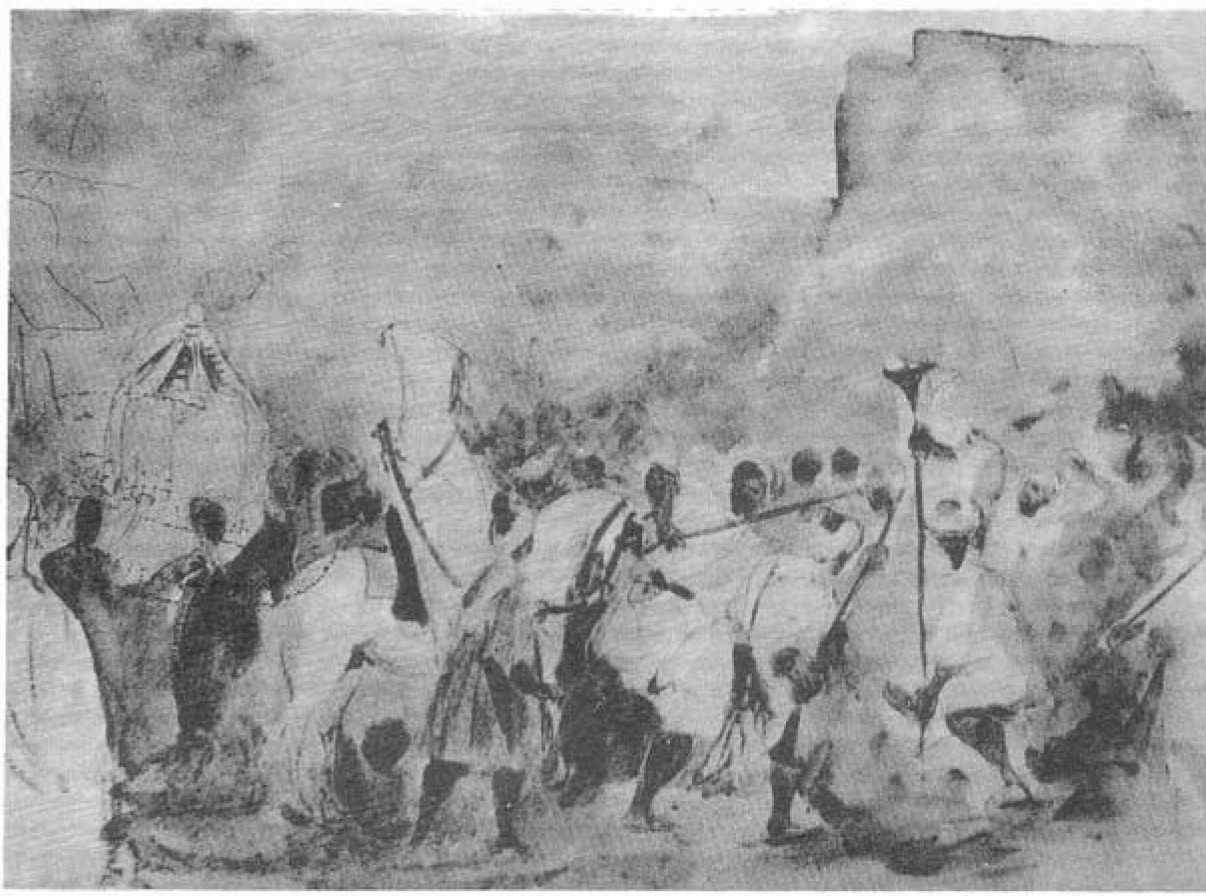
وفي سنة 1832 حل بالمغرب مرافقا للدوق شارل دومارناي Ch. De Marnays في سفارة للسلطان المولى عبد الرحمان.

خلد دولاكروا رحلته إلى المغرب في لوحاته وتقاييده وقد استغرقت الرحلة ستة أشهر وامتدت من طنجة إلى مكناس، أعجب دولاكروا بالمغرب وبساطة أهله التي تتجلى في ملبسهم ومأكلهم ومجالسهم وخاصة سكان البوادي، كما استهوته الوان الطبيعة العذراء التي لم تدنسها المدنية حسب تعبيره. طيلة الستة أشهر التي قضاها دولاكروا بالمغرب رسم العديد من اللوحات تشخص الطبيعة والخيول التي كان مولعا برسمها، وكذا وجوه الأشخاص وبعض المراسيم والاحتفالات الملكية كما رسم العديد من اللوحات الخاصة بالسلطان المولى عبد الرحمان.

ومن أشهر لوحاته نزهة قنص ـ العرس اليهودي ـ سلطان المغرب ـ نساء الجزائر.



استفاد دولاكروا من رحلته إلى المغرب وإثر عودته إلى فرنسا غير أسلوبه التشكيلي حيث تأثر بما شاهده وعاشه بالمغرب. وقد بدا ذلك واضحا في لوحاته التي رسمها بعد رجوعه إلى فرنسا والتي كانت تحمل نفحة استشراقية.



توفي دولاكروا بفرنسا سنة 1863.
وبمناسبة تنظيم مهرجان سنة المغرب بفرنسا في نهاية القرن العشرين أقيم معرض لهذا الفنان عرضت فيه كل اللوحات التي شخصها حول المغرب.

B. Rouget, *Voyages à travers l'histoire du Maroc*, p. 92 - 93 - 95 ; *Petit Robert*, p. 517.

محمد بلعربي

دُولانُوي گي (Guy Delanoë) طبيب فرنسي ولد بالجديدة في غضون 1916، بمنزل مغربي يحادي المسجد الملقب "بالدخلاني"، أي داخل الحي البرتغالي الذي كان يسمى إلى سنوات قليلة بالملاح.

تلقى تعليمه الابتدائي بالجديدة والثانوي بليسي گورو بالرباط، ثم التحق بمدينة استراسبورغ بفرنسا حيث تخرج هناك في كلية الطب بعد سبع سنوات، ثم ذهب إلى باريز للتخصص في أمراض القلب.

رجع الدكتور گي دولانوي إلى المغرب عام 1951 فتمّ تعيينه طبيبا بمؤسسة تابعة لميناء الدار البيضاء "المناولة المغربية" التي كانت تشغل وقتئذ ما يزيد عن 1800 عامل يفتقرون إلى العناية الصحية. لاحظ دولانوي الفوارق الكثيرة التي ظلّت في عهد الحماية تميّز العمال المغاربة عن "الأطر" الأوربية العاملة بالميناء، ذلك أن الأجور والتعويضات التي كانت تمنح لهذه الطائفة الأخيرة تفوق بكثير أجور المغاربة الزهيدة.

وبعد مظاهرات دجنبر 1952 بالدار البيضاء والاعتداء على محمد الخامس في 20 غشت 1953، شكل جماعة من المغاربة الوطنيين والفرنسيين الأحرار جمعية سمّوها "الصداقات المغربية وشكل فرنسيون متطرفون وإرهابيون جمعية سموها "الحضور الفرنسي" (Présence française) فردّ عليهم أحرار آخرون، كان عددهم خمسة وسبعين من بينهم أرباب مصانع. وصحافيون وأساتذة، بتحرير عريضة "الـ 75" من الاقطاب الفرنسيين مطالبين الحكومة الفرنسية بإلغاء كل الاجراءات التي اتخذتها الإقامة العامة منذ 1950، وإلغاء حالة الطوارئ المفروضة على المغرب منذ 1912، ثم شكّلوا جمعية سموها "الضمير الفرنسي" (Consciences française) وانتخبوا گي دولانوي رئيسا لها.

فراح دولانوي يدعو إلى السلم بين الفرنسيين والمغاربة ويحث الأولين على التحلي بسمو الاخلاق والفضيلة المسيحية التي تلتقي الفضيلة الإسلامية وتدعو هي الأخرى، كما صرّح بذلك إلى التسامح. وأخذ ينتقل بين الحين والآخر إلى كبريات المدن المغربية، يجتمع فيها ببعض الفرنسيين المتحرّرين، وأذكر على سبيل المثال گيلوم (Guilaume) أستاذ الفلسفة بمراكش، ودونيز ماسون (Denis Masson) المستعربة التي ترجمت القرآن، وبأگادير الدكتور دوماكون (Demacon) والدكتور شارل بوڤري (Ch. Bouveret) بالصويرة وغيرهم بالرباط وفاس، إلى آخره وامتدّت دعوة دولانوي إلى أصحاب القرار وأصحاب النفوذ في الميادين الاجتماعية دون إغفال رجال الكنيسة بفرنسا. فهذا فرنسوا مورياك (F. Mauriac) يسخّر قلمه على أعمدة الفيگارو (*le Figaro*)، وهذا جان دانييل (J. Daniel) يثري القراء بمقالاته على أعمدة لونوفيل ابسرفتو (*Le Nouvel Observateur*) ثم روبير بارا على صفحات تيموانياج كريتْيان (*Témoignage Chrétien*) وبوف ميري (Hubert Beuve-Méry) صاحب جريدة لوموند (*Le Monde*) كلهم تجنّدوا وجعلوا من الكلمة سلاحاً لتقويم السياسة الفرنسية تجاه المغرب.

ورغم هذا السند المعنوي والمادّي لما صار يسمى في الدوائر السياسية الفرنسية والعالمية بـ "القضية المغربية" فان گي دولانوي بات يتعرّض للمضايقات حينا ولمحاولات الاغتيال أحيانا أخرى بالدار البيضاء على ايدي جماعات ارهابية فرنسية أجرمت في مقتل أقطاب من المواطنين المغاربة مثل عمر السبتي، وآخرين فرنسيين مثل لومگر ديبروي J. Ch. Le Maigre - Dubreuil في أواخر يونيو 1955. وقد تمّت هذه الاغتيالات في عهد المقيم فرانسيس لاكوست (Francis Lacoste).

وتظافرت الجهود لإقناع الحكومة الفرنسية - التي كان يرأسها حينئذ الراحل إدگارفور، أحد أصدقاء المغرب - فنحّت ف. لاگوست وعوّضته بالجنرال جيلبير گرانڤال، المتحرّر بأفكاره وسلوكه تجاه قادة الاستعمار، فحلّ بالدار البيضاء يوم 7 يوليوز 1955 في جوّ من الاضطرابات والاغتيالات وانفجار القنابل. فلم يجد في استقباله إلا عدداً قليلاً من المسؤولين الرسميين وعدداً كبيراً من أنصار "الصداقات المغربية" و "الضمير الفرنسي" ذلك لأن "الحضور الفرنسي" سبق إلى معاداته من أجل أفكاره ومن أجل أصوله اليهودية.

وعندما استقرّ گرانڤال في مكاتبه بالرباط، شرع في اجراء مشاورات مع "أصحاب الرأي العام" المحليين بدون استثناء، فكان گي دولانوي من بين الذين أدلوا بما يفرضه الضمير المتفتّح على آفاق مستقبلية، ملحّا على ضرورة إصلاح ما أفسدته سياسة الإقامة العامة.

إلا أن الأمور أخذت تتفاقم داخليا، بين اشتداد التطرف الفرنسي وبين اشتداد أعمال المقاومة في مجموع التراب الوطني، وأخذت رياح عاصفة تهزّ أركان الحكومة الفرنسية. وتعالت أصوات الأحرار من الفرنسيين لتحذر من عواقب التمادي في سياسة الاستعمار، وكان گي دولانوي يواصل الجهود مع أصدقائه المغاربة للتعجيل برحيل ابن عرفة. وقدّم گرانڤال استقالته احتجاجا على غموض السياسة الفرنسية وذلك في متمّ غشت 1955، مما جعل ولايته اقصر ولاية في عهد الحماية إذ لم تعمّر إلا سبعة

أسابيع، وهو ما بدا في وقته مؤشراً لبداية النهاية.

استمرّ دولانوي في عمله المهني بعد الاستقلال وقد توطّدت علاقاته الوديّة بالمغاربة وأصبح المغرب همّه الوحيد واعتبر أنه أنهى مرحلة وعليه أن يشرع في انجاز عمل آخر، يتطلب التفرّغ الكامل، فأرجأه إلى حين مؤات.

وما كانت هذه الانشغالات لتنسيه مسقط رأسه، الجديدة إذ كتب على نفسه وجوب الحج إليها لإحياء الذاكرة، فيترحّم على والديْه وعلى من توفي هناك من أصدقاء أسرته، ثم يعرّج على المستشفى المركزي حيث اشتغل والداه بعد أن قامت أمه بالإشراف على تشييده، ثم يطل على زقاق يحاديه فيرى الصفيحه الرصاصية التي ألصقت عليه وهي تحمل اسم "زنقة الدكتورة ماري دولانوي" ولا زالت قائمة إلى الآن. وقبل أن يبرح المدينة يختم حجه إليها بزيارة إلى الحي البرتغالي، ويقف لحظات أمام المنزل الذي وُلد فيه فيتذكّر أسرته وجيرانها ويتذكر أذان المؤذّن في صمت وخشوع.

وعندما حصل على التقاعد بقي فترة في الدار البيضاء يخطط لعمل تأليفي يضمّنه من المعلومات ما غاب عن الأذهان. وشرع يبحث وينقّب في وثائق الحماية من بدايتها إلى نهايتها. وحظي باستقبال من طرف جلالة الملك الحسن الثاني - رحمه الله - الذي أعرب له عن شكره وشكر الشعب المغربي لما أسداه هو ووالداه من قبل لهذا البلد من خدمات، ثم وشّح صدره بالوسام العلوي من درجة ضابط، ورخّص له بالبحث عما يريد في ذخائر الخزانة الحسنية.

ورغبة منه في تعميق البحث عن أسرار الأسرار للوقوف على ما يفسّر بعض سلوكيات المسؤولين بالإقامة العامة ومن لفّ لفهم، لم يجد دولانوي ما يغنيه عن التوجّه إلى باريس. فطرق أبواب الخزانات المدنية الخاصّة والعمومية، المدنية والعسكرية، فتارة يفوز بغنيمة ما وتارة توصد الأبواب في وجهه وكأنهم ضربوا عليها أسواراً من حديد. فيمنعوا الوصول إلى مكنوناتها رغم تقادمها الذي يرفع عنها الحظر بحكم القانون.

وظل خلال ذلك يتردد على المغرب لتكملة مبتغاه، فمضى يبحث في كثير من الخزائن العامة والخاصة. وبعد عشر سنوات من التنقيب والفحص والتحليل، جمع ما استقاه من معلومات نفيسة في كتاب قيّم عنوانه : "ليوطى، جوان ومحمد الخامس"، كتاب صدر عام 1993، بالمغرب، بعد ثلاثة أعوام من وفاة المؤلف بفرنسا.

وفي ربيع 1994، تذكّرت نلسية وصية أبيها، فجاءت إلى المغرب برفات أبيها، فوضعته في مثواه بتربة الجديدة مسقط رأسه، ليرقد الراحل دولانوي گي بجانب والديه. وحضر مراسيم الدفن ممثلون عن سلطات المدينة فأبّنه في عين المكان أحد أصدقائه المغاربة عبد السلام الحراق وطني وسفير سابق.

ذكريات خاصة.

G. Grandval, *Ma mission au Maroc* ; F. Nataf, *L'indépendance du Maroc* ; G. Delanoé, *Lyautey, Les Juifs, Mohamed V* ; Ch. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes.*

أحمد بنجلون

دولة البقر، اصطلاح فلاحي يعني جماعة البقر، وتقال كذلك عن الغنم والماعز ولا تستعمل في الإبل والدواب، ولا علاقة لها بما يقال عن النحل أو النمل مملكة النحل وجمهورية النمل، فتلك خصائص طبعية منحها الله لهذه المخلوفات وميزها عن غيرها من حيث دقة التنظيم وتوزيع العمل والأدوار التراتبية.

لاشك أن عبارة "دولة البقر" ارتبطت بفترة الأزدهار الفلاحي عامة والرعي وتربية المواشي خاصة سواء في الأندلس أو المغرب (الفلاحة المغربية، 108 ـ 124) ؛ فكلمة دولة تعني المناوبة والتداول سواء في الكلام أو الأدوار وتعني كذلك تحول الشيء وانتقاله من يد إلى يد ومن حال إلى حال، جاء في القرآن الكريم : ("ما أفاء اللهُ على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربَى واليتامَى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دُولَـةً بين الاغنياء منكم") (سورة الحشر آية 6).

أما علاقة هذا كله بالبقر فترجع كما أسلفنا إلى فترة تطورت فيها الفلاحة وتربية المواشي والأبقار منها بصفة خاصة (*التشوف*، 80 ـ115 وما بعدها) (البكري، *المغرب*، 153) وصاحب هذا الأزدهار تطور في أساليب الرعي وتقنياته ومصطلحاته التي سجلت المصادر بعضها مثل : دولة البقر - مجمع الدول - راعي الدولة - (*المعيار*، 7 : 138 ـ 139، 8 :176 ـ 179 ـ 186).

وتعكس هذه المصطلحات والتعابير تقاليد وأعراف نشأت وتطورت مع تطور تربية المواشي والأزدهار الفلاحي خاصة في العصر الوسيط الأوسط ؛ فرعي الأبقار والأغنام والماعز والدواب كان يتم وفق نظام خاص سواء في المدن أو في البوادي والقرى، فإذا كان الكساب ميسوراً وله قطعان من المواشي فإنه في الغالب مستقل بنفسه ويشغل رعاة لحسابه، أما إذا لم يكن كذلك وخاصة في المدن والقرى حيث لا يتعدي ما يكسبه الشخص بقرة أو بضع بقرات، أو شياهاً معدودة فإنه يعهد بمهمة الرعي إلى راع مشترك مأجور من قبل مجموعة من الكسابة أو يكون لكل واحد منهم راع خاص لكنه يتولى بالتناوب رعي أبقار وأغنام الأخرين يسمى راعي الدولة أي يكون متخصصاً إما في رعي الأغنام أو الأبقار أو الماعز فيكون راعي دولة البقر وراعي الغنم وهكذا (الفلاحة).

تخصص داخل المدن الكبيرة مثل مدينة فاس أمكنة لتجميع الأبقار أو الأغنام قبل انطلاقها في الصباح نحو المراعي أو لتوزيعها وتسليمها إلى أصحابها المنتظرين عند العودة مساءً وعرف هذا المكان في المصادر الوسيطية بمجمع الدول وغالباً ما يكون رحبة المواشي في السوق الأسبوعية

(*القرطاس*، 302 و375 و395 وما بعدها وجنى *زهرة الآس*، 43، 44، 46، 61 وما بعدها).

ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ع. الجزنائي، *جنى زهرة الآس*، الرباط، 1967 ؛ التادلي ابن الزيات، *كتاب التشوف إلى رجال التصوف*، الرباط، 1958 و1984 ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، الجزائر، 1911 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، بيروت، 1981 ؛ م. حجاج الطويل، *الفلاحة المغربية في العصر الوسيط*، مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1988.

محمد حجاج الطويل

الدولة الشريفة (جريدة -)، اسم الجريدة الرسمية التي رغب المخزن العزيزي في إصدارها بطنجة عام 1907. وقد تعاقد، لتحقيق ذلك، مع الأخوين نمور صاحبي "لسان المغرب". غير أن مشاكل ثارت بين الطرفين المتعاقدين حول أداء رواتب الصحفيين، فحال ذلك دون تحقيق المشروع.

لسان المغرب، 14، فبراير 1908 ؛ *وثائق وزارة الخارجية الفرنسية* بنانط.

جامع بيضا

دولس، كميي Douls Camille مغامر فرنسي، ولد سنة 1837، تلقى تكوينه بفرنسا حيث تخرّج مهندساً في الجيولوجيا. بعد ذلك التحق بالجزائر ليعمل بإدارة الجيولوجيا. ولما أخذت حركة الاستكشاف التي تستهدف معرفة جغرافيا القارة الافريقية تنمو وتتطور وتتواصل على جميع الجهات، أبدى دولس رغبته في التسرّب إلى المغرب قصد مواصلة الاستكشافات التي قام بها سلفه شارك دوفوكو. لذا تلقى دولس في مدرسة الدراسات الاستعمارية بفرنسا تكوينا نظريا، وبالجزائر تكوينا عمليا تعلم خلاله اللغة العربية وشيئاً من تاريخ الإسلام وإلماما بأركانه وفرائض الصلاة وشيئاً من تاريخ المغرب وجغرافيته. وبعدما استكمل هذه الخبرة عن التراب الوطني شرق المغرب حيث عاش شهوراً في استخفاء تام، انتقل إلى الجزر الخالدات. وبعد إقامة قصيرة هناك، توصل إلى اتفاق مع صيادين إسبان فأنزلوه فجر ذات يوم من سنة 1887 شمال بوجدور بالصحراء الغربية وبزيّ صحراوي. ولم تمض إلا ساعات قليلة حتى وقع بين أيدي جماعة من أولاد الدليم. فحاول الانفلات من قبضتهم مُدّعيا أنه مسلم عربي ويسمّى عبد الملك، يمارس التجارة متنقلاً بمفرده أو ضمن قوافل. فلم يصدقوه وأسرُوه واصطحبوه معهم في تنقلاتهم.

ما كان دولس لينزعج من الأسر، بل رأى فيه أحسن وسيلة وأكثرها أمنا للتعرّف على هذه الجهات من المغرب، وإن كان يخشى أن يفتضح أمرُه فيلقى مصير الذين قتلوا بسبب مغامرات مماثلة. إلا أنه أخذ يكسب بعض الثقة لدى آسريه، وذلك بتكيفه مع المناخ، وبحرصه على أداء الصلوات، وبحديثه عن أماجد المغرب من أبناء الصحراء.

وبات أولاد دليم في حيرة من أمر هذا الرجل، لكنهم مالوا إلى تصديقه بعدما اظهره من انتماء إلى العروبة والإسلام. فرافقهم في تنقلاتهم وحطّ معهم بتراب قبائل زمور ثم سار في ركبهم إلى تندوف وهي مغربية وقتئذ.

مضى دولس يسجّل في ذاكرته ما يرقبه نهاراً من معطيات الجغرافيا، التي تتشخّص في المسالك والأودية والجبال وما تحتوي عليه من نقط ذات الأهمية الاستراتيجية.

وأمسى دولس لا يثير شكوكا حوله ولا يستلزم حراسة خاصّة وهو في صحاري لحمادة. وذات ليلة بات كعادته مع أصحابه، لكنه لم يصبح. وشاع نبأ فراره ولم يلاحقه أحد إذ لم يكن أحد يعرف في أي اتجاه سار...

وبعدما يقرب من ستة أشهر على هذا الاختفاء، ظهر دولس بالصويرة التي وصل إليها، كما قال مروراً بگلميم وتزنيت وأگادير، وهو يحمل على ورقات تحت ملابسه معلومات قيّمة عن جغرافيا جنوب وغرب الأطلس الصغير، كما حمل في رحله بعض العيّنات من الأحجار البركانية، وفي قلبه تعلق كبير بالمنطقة رغم الأخطار التي واجهها خلال تجواله منفرداً بين أودية سوس وهضباته وجباله.

وفي سنة 1889، عزم دولس على تحدّي الأخطار مرّة ثانية، فدخل إلى المغرب عن طريق الجزائر وتوجّه توا إلى تفيلالت، فاطلع على نمط عيش سكانها ومعاناتهم مع الطبيعة والطقس، كما راقب عاداتهم وأعرافهم وأوضاعهم السياسية. ومن ثم تسرّب إلى توات ومنها إلى الصحراء الغربية مرّة أخرى.

وجاءت الأخبار بنبإ مقتله بمنطقة تيديكلت، في نفس هذا المكان. وقد أفاد مصطفى ماء العينين حفيد الشيخ مربيه ربّه والذي كان يتولّى منصب قائد بتنالت التي كانت يومها تابعة لإقليم تزنيت، عام 1962، أفاد في شهادة أدلى بها إلى أحد الباحثين الفرنسين بالمغرب اسمه روبير شوبير، أنه كان في تلك السنة، أي 1962، يتذكّر دوليس ومأساته.

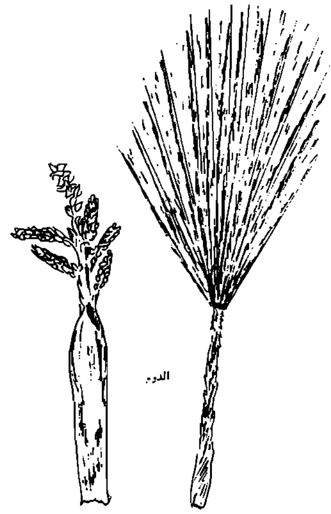
L. Gentil, *Voyage au sud du Maroc*, pp. 64 - 65 ; R. Choubert, *Histoire géologique de l'Anti-Atlas*, p. 9, *Bulletin de la Société de Géographie*, T. IX, p. 437, Paris, 1888.

أحمد بنجلون

الدُّوم أو "نخيل المروحة" بالعربية أو "إيكزدان" أو "تيگزدانت" بالأمازيغية، أسماء لنوع نباتي يسمى علميا كاميرُوپْس Chamaerops humilis أو النخيل القزمي أو Palmier nain بالفرنسية، وهو من فصيلة النخيليات Palmaceae.

الدوم شجرة من الممكن أن يبلغ علوها عشرة أمتار

وقطر جذعها خمسة وعشرين سنتمترا. وتظهر هذه الأشجار من الدوم في الأضرحة حيث تحترم النباتات ولا تقطع. لكن عادة ما يُصادف الدوم على هيئة أجمات أو شجيرات صغيرة قزمية لا يتعدى ارتفاعها أربعين سنتمترا، ومتجمّعة على شكل باقات.



أسباب وجود الدوم على هذا الشكل الشجيري ترجع إلى الرعي المتواصل والقطع من طرق الإنسان لأكل قلب النبات أو استعمال الأوراق لصناعة الحبال والكرينة النباتية. أوراقه كبيرة، مطوية على شكل مرْوحية. في فصل الربيع تخرج الازهرارات من أغشية بيضوية الشكل صفراء أو تميل إلى الاحمرار.

يوجد الدوم طبيعيا بالجزء الغربي لحوض البحر المتوسط إنه يكثر بشمال إفريقيا وخاصة بالمغرب حيث يصادف في المناطق البيومناخية الرطبة جداً والرطبة وشبه الرطبة وشبه الجافة وفي الطوابق النباتية للمتوسطي الدافئ والمتوسطي واستثنائيا تحت المتوسطي إنه لا يتحمل أقصى البرودة ولا أقصى الجفاف. ويتطلب أتربة حمراء غنية بالطين.

كانت أوراق الدوم في الماضي القريب جداً، تقطع على مساحات شاسعة في المناطق التي يوجد بها لتستعمل لإنتاج الكرينة النباتية وهي ألياف تستخدم في صناعة الحبال والأفرشة وبعض المنسوجات. وكانت توجد بالمغرب معامل عديدة لانتاج هذه الكرينة الناتجة عن أدقّ أوراق الدوم. فكانت تصدر كميات هائلة لأوربا وأمريكا من هذا المنتوج الطبيعي الذي كان يلعب دوراً مهما في اقتصاد البلاد. وربما يرجع سبب اندثار هذه الصناعة إلى مزاحمتها بضاعة المواد القطنية والبلاستيكية.

أبحاث شخصية.

Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

دوماكون، هنري Henré Demacon من مواليد سنة 1900 بفرنسا، قدم هنري دوماكون إلى المغرب واستقرّ بأگادير في مطلع الثلاثينيات. كان له اختصاص بأمراض الفم والأسنان، علاوة على تخصصه في العلاج النفسي. إلى جانب ذلك كان يتقن كثيراً من فنون الموسيقي مما أهّله في وقته لقيادة الجوق السامفوني بأگادير وجوق الغناء الجماعي (la choralc) بالمعبد البروتيستانتي بنفس المدينة، وامتاز أيضاً بثقافته الكلاسيكية الموسوعية حيث كان يتقن بعض اللغات الأوربية واللاتينية واليونانية. ويحفظ عن ظهر قلب بعض المؤلفات الكبرى.

أخذ دوماكون يكنّ العطف والتقدير للمواطنين المغاربة، يشجب من يعاديهم ومن يتجاوز حدود اللباقة معهم، فاختار السكن بجوارهم ووسطهم، كبعض الفرنسيين بحي "تالبورجت"، وسيكون له إعجاب بمقدّسات الإسلام وهو يسمع، حسب قوله، المؤذّن ينادي للصلاة، فيصغي إلى عبارات لم يكن في بداية الأمر يفهمها ولكن يدرك معناها ومغزاها، وهو المتشبع بالروح الدينية المتفتحة، كما أنه بات ينفعل بنغمات التهليل والتشفيع، وهو الشغوف والممارس لفنون الموسيقى الدينية وغير الدينية ويصرّح علانية بأن للإسلام، دين التوحيد، مكانةً كبيرة في عقله وقلبه، مبرزاً ما يقرّب الديانات الثلاث وخصوصا ما يقرّب المذهب البروتيستانتي من الإسلام. كان يكره الأنظمة الجمهورية ويفضل عليها الأنظمة الملكية، ولم يكن يتردّد في القول إنه فرنسي من رعايا سلطان المغرب.

ظل المغاربة على مختلف مستوياتهم، يترددّون على عيادته قصد العلاج، فيسدي النصائح، بل يرفض اقتلاع الأسنان السليمة واستبدالها بأسنان اصطناعية مغشاة بالذهب، لا سيما بعد ظهور هذه "الموضة" لدى النساء بالخصوص غداة انتهاء الحرب العالمية الثانية. كان يعالج الفقراء يوم الجمعة بالمجّان. ويتساهل في استخلاص مستحقاته من المغاربة الموظفين. زد على ذلك أنه اعتنى اجتماعيا بمساعدة المغربي، الحسن آيت تروما، فبنى له غرفتين في حديقة منزله بعدما انتقل إلى السكن بشارع باستور، بل أكثر من ذلك أوصى لهُ بملكية المنزل كله بعد وفاته، وعند مدخل هذا المنزل نصب جابية للماء الطهور، كتب عليها بالعربية "ماء للسبيل" و"الله يشوف"، وكان المساعد المذكور يجدّد الماء كل يوم.

شجب دوماكون بشدّة الأحداث الدامية التي كانت الرباط مسرحاً لها في يناير 1944 غداة الإعلان عن عريضة الاستقلال، واستنكر بدون هوادة تمرّد القياد والباشوات عام 1952 وعام 1953 على السلطان، وانضم إلى "جماعة 75" التي شكلّت جمعية فرنسية اسمها "الضمير الفرنسي" برئاسة طبيب آخر اسمه گي دولانوي (Guy Delanoyé) اطلبه وشكل دوماكون خلية بأكادير لهذه الجمعية.

وبعدما أقدمت فرنسا على خلع السلطان محمد بن يوسف كتب دوماكون رسائل احتجاج إلى قادة الدول الخمس العُظمى بمن فيهم الرئيس الفرنسي فانسان أوريول (Vincent Auriol) ورئيس حكومته گي مولي وإلى شخصيات عالمية أخرى.

كان لهذا الحدث أثر عميق في نفسه فوطّد العزم على مناصرة الحق، معلنا موقفه من عملية 20 غشت 1953. وكسب عطف المواطنين المغاربة بأگادير وراح يعمل، في إطار صداقاته على إقرار حوار مع من كانوا يسمون بـ "الأحرار والمعتدلين" في المجتمع المغربي المحلي ومراكش والدار البيضاء. وعن طريق فرنسي شاب يُسمّى كوفيل (J.P. Koffel) كان وقتئذ يقيم بمراكش - ويعد نفسه مواطنا مغربيا ولا يزال يقيم بالمغرب - دعاني دوماكون إلى الإقامة عنده بضعة أيام للاجتماع بنفر من الفرنسيين ممن يساندون المشروعية ويرغبون في إقامة الجسور مع مختلف شرائح المجتمع المغربي.

كان دوماكون وهؤلاء الفرنسيون يمثلون القيم الغرنسية ويؤمنون بالرسالة الحضارية الانسانية مهما كان البلد الذي يحمل لواءها، بعيدة عن الامبريالية والظلم والقهر، يعبرون عن تقديرهم للمغاربة عموماً - وهم أصحاب حضارة - وخاصة الشباب الذي تلقى تكوينه بالمعاهد الفرنسية والذي أضحى مثلهم متشبعا بروح "البيان العالمي لحقوق الانسان" الذي أعلنت عنه ثورة 1789 الفرنسية التي فتحت آفاقا جديدة في تطور الأفكار.

ظل دوماكون وفيا للمبادئ والقيم السامية ولصداقاته المغربية، ولم ينفكّ عن الحفاظ على علاقاته الودية مع فئة من "الوطنيين" خصوصا الشوريين منهم، إلى أن اختطفته المنية عام 1958 على إثر نزيف دموي في الدماغ أصابه وهو بفرنسا - أما زوجته فإنها رحلت إلى انكلترا وتركت المنزل بما فيه إلى "لحسن آيت تروما"، ومازال شيوخ أگادير يذكرون دوماكون بخير ويتذكرون أعماله الإنسانية والسياسية.

مراسلات خاصة، شهادات شفوية، جريدة *"La Gazette d'Agadir"* التي كانت تصدر أيام الاستعمار بأگادير.

أحمد بنجلون

دوميرگ گاسطون Gaston Doumergue رئيس الجمهورية الفرنسية من 1924 إلى 1931 وثاني من زار المغرب زيارة رسمية من رؤسائها إبان الحماية وذلك من 15 إلى 22 أكتوبر 1930، ولد وتوفي بإقليم الگار (Gard) وكان من رجالات الجمهورية الثالثة المرموقين حيث تقلب على كراسي الوزارة عدة مرات فكان وزيراً للشؤون الاستعمارية من 1902 إلى 1905 ثم مرة أخرى من 1914 إلى 1917 وكان وزيراً للتجارة والصناعة والشغل بضعة شهور سنة 1906 ووزيراً للتجارة والصناعة من 1906 إلى 1908 ووزيراً للتربية العمومية والفنون الجميلة من 1908 إلى 1910 ووزيراً للخارجية بضعة أسابيع في غشت 1914 ورئيساً للحكومة مكلفا بالشؤون الخارجية من دجنبر 1913 إلى يونيه 1914 ومن فبراير إلى نونبر 1934. فكان مساره السياسي حافلاً بالمسؤوليات وكان له عناية خاصة بقضايا الاستعمار لأنه كان من القضاة أول الأمر فعمل قاضيا في الهند الصينية وفي الجزائر، ولما انتخب نائبا في البرلمان سنة 1893 انخرط في التيار الرادكالى الاشتراكي، وكان حريصا على عظمة فرنسا من خلال مستعمراتها كما كان شديد التمسك بالسياسة العلمانية وله أدوار في تحرير التعليم الفرنسي من هيمنة الكهنوت وكان باختصار من تلك الشخصيات التي قام نظام الجمهورية الثالثة على كاهلها ولذلك انتخب رئيساً للجمهورية سنة 1924 وحتى لما انتهت رئاسته سنة 1931 لم تجد البلاد الفرنسية غنىً عنه حيث تحمل رئاسة الحكومة من جديد سنة 1934 بقصد فك أسباب الأزمة الخانقة التي صار النظام يعاني منها، لكن الأمور كانت قد استفحلت فتجاوزت قدرات أمثال دوميرك ممن كانوا يمثلون العهد الزاهر من الجمهورية الثالثة.

والذي يعني المغرب من هذه الشخصية أن أوساط الإقامة بالرباط بعد أن أقدمت على إصدار الظهير البربري يوم 16 ماي 1930 وترتب عليه ما ترتب من احتجاجات الشعب المغربي، فإنها ظنت أن زيارة رسمية لرئيس الجمهورية قد تجعل حداً للغضب المغربي أو إن لم تفلح في ذلك فإنها تغطي عليه وتموّهه حيال الرأي العام الدولي وهكذا جاء گاسطون دوميرك إلى المغرب رفقة بعض الوزراء كوزير الدفاع أندري ماجينو (A. Maginot) ووزير الملاحة جاگ ضومنيل (J. D'Aumenil) ووزير الملاحة التجارية لويس رولان (L. Rollin) ونزل الوفد في الدار البيضاء حيث استقبله السلطان سيدي محمد بن يوسف ثم زار العاصمة الرباط ومن الرباط توجه إلى فاس عبر القنيطرة ومكناس وفي فاس أقيمت له ضيافة رسمية في غابة الأرز بالأطلس المتوسط لدى القبائل البربرية، ثم بعد ذلك انتقل إلى مراكش فالتقى بباشاها التهامي الگلاوي ومن هناك كانت العودة إلى الدار البيضاء عبر فضالة (المحمدية) للابحار منها .وامتدت الزيارة من 15 أكتوبر إلى 22 منه سنة 1930 ولم تختلف عن الجولة التي كان ليوطي قد نظمها لسلف دوميرگ في الرئاسة وهو الكسندر ميبران(A. Milleraud) في ربيع سنة 1922.

وغني عن البيان أن الزيارة لم تغير شيئاً من مجرى أحداث الحماية لا من جهة السلطات الحاكمة ولا من جهة الحركة الوطنية بالأحرى التي لم تكن لتنبهر بذلك، على أنها لا تخلو من فوائد من جهة ما كانت عليه "السياسة الأهلية" في ظل الحماية، فقد جاء في جريدة السعادة يوم السبت4 أكتوبر 1930 قولها مفردة : "ما أجدر هذا الشهر أن يسمى شهر الاحتفال الأكبر والاجلال وحلول اليمن والاسعاد في برج الاقبال وما أجدره أن يشمخ بأنفه فخراً على بقية شهور عامة مواسيم أيامه بالأفراح والمسرات وإقامة الزينات والمهرجانات [...] يوم النصف من أكتوبر إنك ليوم في التاريخ عظيم شأنه جليل ومكانه راجح في

كفة الميزان لأنك أرحت أمة بأسرها وأطلقت ألسنة المدائح من أسرها وحظيت بالوصال وحققت الآمال وجمعت في المغرب والرباط والبلاط بين رئيس الرؤساء وسيد الأمراء [...] حضرة رئيس الجمهورية الفرنساوية والدولة وبطل الحول والصول والصولة الذي لا يرد أحد قوله ولا تحوم الشكوك والريب حوله المسيو گاسطون دوميرگ دامت فخامته وضخامته".

وجاء في رسالة للجنرال نوجيس وهو يومئذ رئيس الديوان العسكري للمقيم ومدير الشؤون الأهلية بعث بها للمراقبين المدنيين قوله : "مما لاشك فيه أن الزيارة المرتقبة لرئيس الدولة الفرنسية سيكون لها وقع كبير في الأوساط الأهلية التي ستجد فيها برهاناً على مالفرنسا من العناية بالأمة المحمية، وحتى يكون دليل هذه العناية الكريمة أكثر جلاء فمن المصلح أن تتبلور بإشارات ملموسة يتأثر بها ذهن المغاربة وفي هذا الصدد يبدو من المفيد أن يتقدم السيد رئيس الجمهورية ببعض الهبات لبعض الأعمال الخيرية مما يعتني به محميونا بوجه خاص كديار الشريفات [...] والطلبة المدرسين في المدارس القرآنية وطلبة جامعة القرويين والجمعيات الخيرية الأهلية والأيتام الأهليين في الدار البيضاء وفاس. ولاشك أن هذه الانعامات وهي تصدر من ممثل الأمة الفرنسية الأعلى سيكون لها صدى كبير ولاشك أن استقبال سكان المدن سيزداد حرارة إذا ما أبلغت الهبات إلى أصحابها يوما أو يومين قبل دخول الوفد الرئاسي لكل مدينة".

وتشير وثائق الرحلة إلى ن المراقب المدني للدار البيضاء اقترح 3000 فرنك هبة للجمعية الخيرية وذلك لأن السلطان كان قد وهبها قبل ذلك 2000 فرنك، لكن رسالة للمقيم العام لوسيان سان (L. Saint) بتاريخ 30 نوفمبر 1930 تثبت أن الهبة لم تتجاوز 2000 فرنك.

جريدة السعادة يوم السبت 4 أكتوبر 1930 ؛ *وثائق الخزانة العامة: ملف رحلة كاسطون دوميرگ.*

B. Yvert, *Dictionnaire des Ministres 1789 - 1989*, Paris, 1990.

إبراهيم بوطالب

دون بيدرو الرابع Don Pedro IV أو Don Petri IV ، هكذا تسمية المصادر الاسبانية التي تنعته أيضاً بـ "Don Pedro El Ceremonioso" أي دون بيدرو العادل، أما المصادر العربية فتشير إليه باسم دون بِطْرُه. ولد سنة 1320 ثم تولى حكم منطقة كطلونيا ـ أرغون في سن مبكرة لا تتجاوز السادسة عشرة من عمره ولفترة تمتد من سنة736 / 1336 إلى سنة 787 / 1387 . وهي فترة طويلة جعلت من هذا الملك عنصراً بارزاً في الأحداث التي عرفتها منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، الشيء الذي سمح له بربط اتصالات وعلاقات هامة مع كبار ملوك المغرب من بني مرين : كأبي الحسن وأبي عنان وأبي سالم. وتجمع المصادر الاسبانية على أن علاقة الكطلان مع ملوك المغرب وغرناطة كانت تعرف في عهد دون بيدرو تحسنا ملموسا لم تشهده المنطقة من قبل. ولعل ما يشهد على ذلك تعدد الاتفاقيات والمعاهدات التي أبرمت بين الطرفين والتي تركز على ضرورة تطوير العلاقات السياسية والتجارية وتنظيمها، كما تبين الرسائل والبعثات والسفارات حرص الطرفين على توفير السلم والأمن واستمرار التشاور والحوار لتعزيز العلاقات وخلق الظروف الملائمة لإنجاحها. ومن حسن الحظ فإن نصوص هذه الوثائق في أصولها العربية والكطلانية مازالت موجودة ومحفوظة في أرشيف أرغون بمدينة برشلونة ويمكن رصد الخطوط العريضة للعلاقات بين بيدرو الرابع وبعض ملوك بني مرين من خلال متابعة مواضيع هذه الوثائق :

ـ اتفاقية سلام بين دون بيدرو الرابع ومبعوثين عن كل من ملك المغرب أبي الحسن المريني وملك غرناطة أبي الحجاج يوسف، عُقدت هذه الاتفاقية بقصر بيربينيان Pérpignan في 27 رمضان 745 الموافق لـ 1 فبراير 1345 وتدوم صلاحيتها مدة عشر سنوات.

ـ رسالة من أبي الحسن المريني إلى دون بيدرو يؤكد فيها موافقته بالامضاء والمصادقة على الاتفاقية التي عقدها ملك غرناطة أبو الحجاج يوسف مع نظيره الأرغوني دون بيدرو، والرسالة مؤرخة في 15 صفر 746 الموافق لـ17 يونيو 1345 (*Los documentos...*, pp. 194 - 195).

ـ رسالة لأبي الحسن بعثها من تلمسان إلى ملك أراغون يخبره فيها بوصول مبعوث عن هذا الأخير وهو التاجر أرناوْدي قادراس Arnau de Cadiras وناقش معه مجموعة من القضايا التي تهم العلاقات بين المغرب وأرغون والرسالة مؤرخة في يوم 24 ذي الحجة من عام 746 الموافق ليوم 17 أبريل من عام 1346 (*Los documentos...*, pp. 191 - 192).

ـ رسالة من أبي الحسن إلى دون بيدرو كُتبت بظاهر مليانه (المغرب الأوسط) في الوقت لذي فقد فيه أبو الحسن عرشه بعد انقلاب ابنه أبي عنان عليه. وفي هذه الرسالة يحيط السلطان المريني ملك أرغون علماً بما تعرضت له سفينة مغربية من قرصنة ونهب لمحتوياتها وأسر لركابها المغاربة على يد رعايا دون بيدرو من أهل ميورقة. الرسالة مؤرخة في 29 رجب من سنة 751 المواقف 14 شتنبر 1350 (*Los documentos...*, pp. 196 - 198).

ـ رسالة من أبي عنان المريني إلى دون بيدرو الرابع يشير فيها إلى تحركات سفراء الطرفين ونشاط البعثات الدبلوماسية في إطار التفاوض حول إمكانية عقد معاهدة سلام بين المغرب وأرغون. ومن أعضاء هذه البعثات في الجانب المغربي منصور بن علي بن سليمان اليباني وإبراهيم ابن محفوظ وفي الجانب الأرغوني مگيل الكطلاني Miguel

El Catalan وجيل ألبيرْطْ Gil Albert. والرسالة مؤرخة في 28 ذي القعدة من عام750 الموافق لـ 27 دجنبر 1349 (Los *documentos...*, pp. 205 - 206).

ـ رسالة من السلطان أبي عنان إلى دون بيدرو وتتعلق باستمرار المفاوضات التي تمت الإشارة إليها في الرسالة السابقة وذلك من أجل عقد معاهدة سلام بين الطرفين الرسالة مؤرخة في 11 ربيع الثاني من عام 751 الموافق لـ18 يونيو من عام 1350 (*Los documentos...*, p. 208).

ـ معاهدة سلم وتجارة بين أبي عنان المريني ودون بيدرو الرابع وقد جاءت نتيجة لمفاوضات مكثفة وطويلة كما ورد في الرسالتين السابقتين. تنص بنود هذه المعاهدة المبرمة لمدة أربعة عشر شهراً، على المهادنة والأمان في جميع المناطق التي توجد تحت نفوذ الملكين وعلى أن لا يتعرض للرعايا المقيمين والمسافرين من البلدين : المغرب وأرغون، وأن لا يُطلب منهم الوظائف والتكاليف باستثناء الجباية المعلومة. تم توقيع هذه المعاهدة في 25 رمضان 751 الموافق لـ 26 نونبر 1350 (*Los documentos...*, p. 216).

ـ رسالة من أبي عنان إلى دون بيدرو تتضمن الإشارة إلى إمضاء ومصادقة الملكين على بنود المعاهدة المذكورة آنفا. والرسالة مؤرخة في يوم 7 شوال من عام 751 الموافق ليوم8 دجنبر من عام 1350 (*Los documentos...*, pp. 212 - 213).

ـ رسالة من أبي عنان إلى دون بيدرو يدور موضوعها حول القرصنة البحرية التي تطال رعايا الملكين من المغاربة والكطلانيين في عرض البحر الأبيض المتوسط، ويؤكد الطرفان على أن المعاهدة المنعقدة بين الطرفين مازالت سارية المفعول بالرغم من المشاكل المذكورة. الرسالة مؤرخة في 28 رجب من عام752 الموافق لـ 20 شتنبر من عام 1351 (Los *documentos...*, p. 210).

ـ رسالة من أبي عنان إلى دون بيدرو تتابع تناول موضوع الرسالة السابقة وتقدم تفاصيل حول ما خلفته عمليات القراصنة المسيحيين من انعكاسات سلبية على رعايا ملك المغرب الذي لازال يعتبر نفسه ملتزما بتنفيذ بنود المعاهدة السابقة بالرغم من تصرفات القراصنة الكطلان الرسالة مؤرخة في 3 شعبان 752 الموافق لـ 25 شتنبر 1351 (*Los documentos...*, p. 214).

ـ رسالة من دون بيدرو إلى أبي عنان يعرب فيها عن رغبته في تجديد اتفاقية سلام وصداقة كانت قد عُقدت بين الطرفين حوالي سنة753 / 1352. والأمر هنا يتعلق بتمديد الاتفاقية لخمس سنوات أخرى. الرسالة مؤرخة في 22 شعبان من سنة758 الموافق لـ 10 غشت 1357 (*Traités...*, pp. 325 - 326).

ـ اتفاقية سلام وصداقة بين دون بيدرو ملك أركون. ملك أرغون وأبي عنان سلطان المغرب، اتفق الطرفان على تنفيذ مقتضيات بنودها مدة خمس سنوات تبدأ من تاريخ التوقيع وهو 20 يوليوز 1357. ويلاحظ أن تاريخ هذه الاتفاقية سابق على تاريخ الرسالة الآنفة الذكر والتي تشير إلى استعدادات الطرفين لعقد اتفاقية تؤكد المعطيات أنها هي المنوه بها هنا.

وهذا يدفعنا إلى الاعتقاد بوقوع خطأ في تحديد إما تاريخ الرسالة أو تاريخ توقيع الاتفاقية خاصة وأن هذه الأخيرة خالية من ذكر التاريخ الهجري (*Antiguos...*, pp. 18 - 25).

ـ رسالة من دون بيدرو إلى أبي عنان تتضمن معلومات عن إرساله سفارة أرغونية إلى ملك المغرب في مهمة سياسية تتعلق بحياد المغرب في الحرب الدائرة بين أرغون وقشتالة. الرسالة مؤرخة في 22 جمادى الثانية من عام 759 الموافق لفاتح يونيو من عام 1358 (*Traités...*, pp. 327 - 329).

ـ مرسوم ملكي يمنح بموجبه دون بيدرو الرابع مجموعة من الصلاحيات للفارس برناطْ دي كابْريرا Bernard de Cabrera وكذلك لمستشاره من أجل عقد معاهدة سلام مع ملك المغرب لفترة محددة ومتفق عليها (*Traités...*, pp. 329 - 330).

ـ رسالة من السلطان المريني أبي سالم إلى دون بيدرو يطلعه فيها على أخبار فتحه لعاصمة بني عبد الواد تلمسان وكذلك عملية القرصنة البحرية التي تعرض لها أحد خدام أبي سالم وهو أبو عمران موسى بن إبراهيم وغيره من رعايا المسلمين. وقد طالب ملك المغرب صاحب أرغون بالعمل على إطلاق سراح الأسرى المغاربة والالتزام بالاتفاقيات والمعاهدات التي سبق أن أبرمت مع السلطان أبي عنان الرسالة مؤرخة في 7 شعبان 761 الموافق لـ 24 يونيو 1360 (*Los documentos...*, pp. 224 - 225).

ـ رسالة من أبي سالم إلى برناط دي كابريرا مستشار ملك أرغون يعلمه فيها بتوجه بعثة رسمية مغربية بقيادة يعقوب الرقاني في مأمورية محددة إلى دون بيدرو داعيا إياه لمساعدته وتسهيل مهمته. الرسالة مؤرخة في 10 شعبان 761 الموافق لـ 27 يونيو 1360 (*Los documentos...*, p. 231).

ـ مجموعة هامة من الوثائق رسائل واتفاقيات، تخص العلاقات بين ملك أرغون دون بيدرو الرابع وبعض ملوك المغرب الذين حكموا الفترة ما بين 1361 و1386 وهم أبو سالم وأبو زيان محمد الثاني وعبد العزيز بن أبي الحسن وعبد الرحمن بن أبي يفلوسن وأبو العباس أحمد وأبو فارس موسى. وتتناول هذه الوثائق التي كتبت جميعها باللغة الكطلانية، مواضيع وقضايا شتى مثل : عمليات القرصنة البحرية وما ينتج عنها من أسر للرعايا المسيحيين والمسلمين الشيء الذي يحتم على الطرفين اللجوء إلى العمل الدبلوماسي ومباشرة المفاوضات وتنشيط حركة تنقل السفراء والمبعوثين لحل تلك المشاكل. وتعكس هذه الوثائق

أيضاً الإلحاح المستمر الذي كان يبديه الطرف الارغوني للضغط على ملوك المغرب بهدف السماح للرعايا الكطلان بالتجارة في الموانئ المغربية وتمتيعهم بالحماية اللازمة لهم أثناء تنقلهم خاصة في المناطق الداخلية. ثم رغبة دون بيدرو في عقد تحالفات مع بني مرين لمواجهة الخصم اللدود ملك قشتالة.

- رسالة من الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن إلى دون بيدرو الرابع يطلعه فيها على حركته إلى فاس وحصاره للبلد الجديد ويعبر له كذلك عن رغبته في تحسين وضعية تجار مملكته في المغرب. الرسالة مؤرخة في 21 ذي الحجة من عام 775 الموافق لـ3 يونيو 1374 (*Los documentos...*, pp. 201 - 202).

ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1973، 1975، ج.1، ص. 531 ؛ نفسه، *أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام*، تح. ليفي بروفنسال، دار الكشوف، ط. 2، بيروت، 1956، القسم الثاني، ص. 337 ؛ نفسه، *اللمحة البدرية في الدولة النصرية*، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1978، ص. 119 ؛ نفسه، *نفاضة الجراب في علالة الاغتراب*، تح. أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربي، الدار البيضاء، الجزء الثاني، ص. 184 - 185 ؛ النميري، *فيض العباب وافاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسطنطينة والزاب*، تح. محمد بن شقرون، الرباط، 1984، ص. 31 - 34 ؛ ابن خلدون، *العبر*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، الجزء السابع، ص. 542 - 546 و628 و633 ؛ يحيى ابن خلدون، *بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد*، نشر ألفرد بيل، مطبعة فونطانا، الجزائر، 1903 - 1910، ج. 2، ص. 37 ؛ القلقشندي، *صبح الأعشى في صناعة الانشا*، المطبعة الأميرية، القاهرة، بدون تاريخ، ج. 5، ص. 270 ؛ ع. الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب*، مطابع فضالة، المحمدية 1988، ج. 7، ص. 133 - 135 - 137 - 139 - 141 - 143 - 151 - 183 - 185 ؛ ر. السلامي، *وثائق مرينية*، دراسة وتحقيق، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا نوقشت بالرباط سنة 1989، ص. 171 - 214 وص. 257 - 268 وص. 310 - 318 وص. 385 - 392.

A. Capmany y de Montpalau, *Antiguos tratados de Paces y alianzas entre algunos reyes de Aragon y diferentes principes infieles de Asia y Africa desde el siglo XIII Hasta el XV*, Madrid, 1974 ; L. de Mas-Latrie, *Traités de paix et de commerce concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen-âge*, Paris, 1866 ; S.M. Alarcón, L.R. Garcia, *Los documentos arabes diplomaticos del archivo de la corona de Aragón*, Madrid - Granada, 1940; *Crónica de Don Pedro IV de Aragón*, éd. Amédée Pagès, Toulouse - Paris, 1942 ; V. Salavert y Raca, *La corona de Aragón en el mundo mediterrãneo del siglo XIV*, Valencia, 1967 ; Ch.-E. Dufourcq, *Catalogue chronologique et analytique du registre 1389 de la chancellerie de la couronne d'Aragón, intitule Guerre Sarracenorum 1367 - 1386* in *Miscelánea de Textos Medievales*, T. 2, Barcelona, 1974 ; L. Perez, *La corona de Aragón y el Maghreb en el siglo XIV (1331 - 1410)*, Barcelona, 1955 ; M. Capdeferro, *Historia de Cataluña*, Barcelona, 1967.

رشيد السلامي

دوناس بن **حمامة** المغراوي، عندما مات حمامة تولى الحكم من بعده ولده دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية المغراوي فورث جميع ما كان بيد أبيه من مناطق المغرب ومدنه واستقر بالعاصمة فاس، ولكنه سيلقى عنتا من ابن عمه معنصر المسمى حماد. حيث خرج عن طاعته وجمع لقتاله منافسا له في الحكم ودامت الحرب بينهما إلى أن بدأ ملك دوناس يتقلص حتى أصبح محصورا في العاصمة وحدها ؛ ولم يمنع معنصر من دخولها إلا الخندق الذي حفره حولها دوناس وأسماه سياج حماد. ومن أخطر وسائل الحصار التي استعملها حماد هي قطعه لماء الوادي عن عدوة القرويين، ولولا موت حماد سنة 435، وهو مشدد الخناق على دوناس لسقطت المدينة، ولكن الحصار فك مباشرة بعد موت حماد وانفسح الأمل أمام دوناس، وعاد إلى الحكم مرفوع الراس، وعمل على الدفع بالعاصمة نحو الرفاهية والازدهار. فبنى المصانع والفنادق والحمامات والمساجد وأدار بها السور، وكثر عمران المدينة وقصدها التجار من جميع النواحي لرواج التجارة بها. وعرف عن دوناس طول اشتغاله بالبناء والتعمير إلى أن مات سنة 451. فولي من بعده ابنه الفتوح ونزل بعدوة الأندلس ولكن أخاه الصغير عجيسة تحصن بعدوة القرويين، وطالب بحقه في الحكم. وهكذا افترقت مملكة مغراوة بافتراقهما وضعفت بفعل الحروب والخطوب الجارية بينهما.

ابن عذاري، *البيان*، 1 : 254 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 : 48 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، ص. 111.

العربي الحمدي

الدوار، أحمد بن علي الصنهاجي ثم الفاسي، انطبعت صفة هذا الشيخ في ذاكرة الفاسيين ردحاً طويلاً، وعلى الرغم من وفاته خلال العقد الخامس من القرن العاشر (16 م)، فإن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي (ت. 1096 / 1685) الذي عاش إلى أواخر القرن الحادي عشر (17 م) يصفه كما لو كان ينظر إليه : معتدل القامة، كبير الرأس، مدور الوجه، دقيق الساقين، حلو الكلام، حسن اللون. وتواتر حرص الفاسيين على ادخار لبائسه، ودأبهم على التبرك بها والتوسل بها في الملمات. ويخبرنا محمد بن الطيب القادري (ت. 1187 / 1773) الذي عاش إلى أواخر القرن الثاني عشر (18 م) أن نعل الدوار مازال مدخراً عند بعض بلديه، وأنه وقف عليه، واستدل بسواد لونه على لباس المغاربة للنعال السود قبل دخول الإسبانيين إلى العرائش عام 1019/1610.

وتتصل هذه العناية بذكرى الشيخ الدوار بالأثر العميق الذي كان له في الحياة الروحية بفاس، في حياته وبعد

مماتـه. وقـد استقطبت مشيختـه جـل العنـاصر الفـاعلـة في تـاريخ الحركـة الصوفيـة بـالحاضـرة الوطـاسيـة، خلال النصف الأول من القرن العـاشـر (16 م)، من الانتسـاب للـزروقيـة الـداعمة للأمـراء الوطـاسيين، وموافقـة البهل والحال والجذب والملامة، والظهور بالمكاشفة والاخبار بالمغيبات، مما يتعشقه الناس ويذعن له الجمهور.

وينحـو متـرجموه المتأخـرون إلى القـول بسبق الـولايـة والصلاح في سلفه بصنهاجة الحجر، ويذكـرون من أجداده الشيخ أحمد بن عبد الرحمان الصنهاجي. ويجعلون خروجه من بلده إبان حداثته، ودخوله فاس بعد مدة، وبقاءه بها إلى أن مات. ويمكن حصر الخصائص التي ميزت مشيخته بها، وكمنت وراء خطورة شأنه حيا وميتا في ثلاث، وهي :

1 ـ التفـرد بسنـد الشيخ إبـراهيم بـن علي الـزرهـوني المعروف بأفحام أو أفهام (ت. 926/ 1520) صدر الزروقيين المغاربة، وكبير الآخذين عن الشيخ أحمد زروق (تـ. 899/ 1493) على عهـد استقـراره بفـاس في صـدر الـدولـة الوطاسية، وصاحب الطريق الثاني والكبير في الزروقية إلى جانب الطريقة الراشدية، إذ لا يعرف من الآخذين عن الشيخ أفحام سواه. ويعد الـدوار بذلك الـواسطـة الـوحيـدة في السلسلة الزروقية ـ الأفحامية، والعلم الوحيد المعروف من أعلامها في الطبقة الزروقيـة الثـانيـة. ويمكن ترجمة هذا التفرد على مستوى السند إلى مشيخة الطريقة الزروقية ـ الأفحامية بعد وفاة الشيخ أفحام في العام المذكور، وزعامة القوة الصوفيـة الداعمة للدولة الوطاسيـة في صراعها مع الحركة السعدية التي اكتمل العقد على انطلاقها في جنوب البلاد. ويؤيد هذا الزعم المكانة الرفيعة التي كانت للشيخ الـدوار لدى الـوطاسيين، الذين كان يدخل ديـارهم فيتلقاه النساء والأولاد ويقبلون يديه وقدميه ويدفعون إليه الحوائج النفيسـة، ويلبسـه السلطان مـن أشرف لبـاسـه. وقـد نقل صاحب ابتهاج القلوب خبراً منسوباً إلى المؤرخ أحمد ابن القاضي (تـ. 1025 / 1616) مفـاده أن الشيخ الـدوار وقف يوما بقنطرة الصباغين وهو ينادي : "اخرجوا بني مرين والله مـا نتـركـكم ببلادنـا، وكـان ذلك آخـر انقـراض دولتهم". ويتصل هذا الخبر بتحول موقف مشايخ الملامتية من الصراع الدائر على الرئاسة بين الوطاسيين والسعديين، وانحيـازهم إلى صف الأخيرين. لكن حضور السلطان الوطاسي وأرباب دولتـه جنـازة الدوار، كما سيأتي ذلك، يفيد تأخـر طروء الفساد بين الملامتية والوطاسيين إلى ما بعد وفاته.

2 ـ الظهور بـالاتجاه الصوفي للزروقية ـ الأفحامية التي اقتفت أثر المدرسـة الصوفيـة الملامتيـة التي نشأت بخراسان خلال القرن الثـالث (9 م)، وبـالضبط بنيسـابـور على يـد حمدون بـن أحمد القصـار (تـ. 271 / 884). وإذا كـانت ملامتيـة الشيخ أفحام أقـرب إلى جـوهـر الطـريق الملامتي الـذي قصد بـه مشـايخـه الأوائل إلى مجـاهـدة النفس وريـاضتهـا، والحرص على ألا ينم الظاهر عن البـاطن، وألا تظهـر الأسـرار في الأقـوال والأفعـال، وكتمـان المعـاملـة مع الخالق.

وجاءت تـرجمته عـاطلة بـالمرة مما يفيـد ظهوره بما يجلب عليـه الملامــة من الغيـر أ ويأخـذه النفس بـاللـوم والبخع والتأنيب. بـل إن متـرجميـه يجعلـون طـريقتـه محمـديـة، ويقـولـون إنـه كان قـد رأى الرسـول ﷺ في النـوم ففـتح لـه على يـده الكـريمة وأخذ عنـه ﷺ، ثـم انضـاف إلـى الشيـخ رزوق وصحبـه وانتسب إليه بقصـد التربيـة والتهذيب. فإنه مع تلميذه الأوحد صاحب الترجمة ستخرج الملامتية من طور الخمـول والكتمـان إلى طـور الظهـور والإعلان، ويتعمـد أتبـاعهـا الظهـور في النـاس بـالأمور الموحشـة التي تجلب لـومهم وتـؤدي إلـى تنـافـرهم عنهم. بـل إن الشيـخ الـدوار سينفلت من باب ترك التزين للخلق وترك طلب رضاهم إلى ضـروب البهل والجذب والحال، ويـؤكـد الصلـة بينهـا وبين الملامة. ويوافق ضروباً من السلوك غير جارية على الشروط الشرعيـة، ويخرج فـي العبادات والعـادات عما هو معروف من ظاهر الشريعة. وهكذا اشتهر بإراقة الزيوت على نفسه، واتخاذه خديمات من محصنات الحاضـرة الفـاسية، واقتحام البيوت من غيـر استئذان أهلها، وإمعـانه في عدم الالتفات إلى أحد، وإعراضه عن الحظوظ الـدنيوية، وزهده في الأهل والمأوى، وعدم الركون إلى قرار.

3 ـ تصـدر المشـايخ الـذين انتسب إليهم الشيخ عبـد الرحمان بن عيـاد المشهور بالمجذوب (تـ. 976/8 ـ 1569)، إذ كـان الـدوار أول من اعتمد عليـه المجذوب وانتسب إليـه في الطريق. وقد عني بهذه الصدارة مصنفو التراجم من أهل الزاوية الفـاسية غـاية العنـايـة، رعيـاً لمكانـة المجذوب الـذي خدمه ولازمه جدهم أبـو المحاسن يوسف الفاسي (تـ. 1013/ 1604) وعـده عمـدتـه في الطريق واعتـرف لـه بـالمنة فيمـا حصل لــه من فتح. فـأعلـوا درجـة الـدوار في التـراتبيــة الصـوفيـة، ورأوا فـي بعض كلامـه ما يـدل على أنه كـان من الأبدال.

وأولوا لقب الدوار الـذي كـان يكره اللقب به على وجه يجعلـه من أهل الخصــوصيــة وممن أوتـي القـدرة على سلب الأحـوال، والتصـرف في المريـدين بـالنفع والضـر. وإذا كـان محمد بن عسكـر (تـ. 986 / 1578) قـد أشار في الترجمة التي أفـردها لـه من فهرستـه دوحة النـاشـر إلى كثرة دورانـه في الأمـاكن والأسـواق، وصـراخـه بـاسم الجـلالـة، دون أن يصرح بأنه لقب بالدوار لذلك. فإن التراجم الفاسية تقول إن تسميـة الـدوار قـد جـرت عليـه أولا لـذلك، وأنـه قـد حدث بعدها تأويل من قبل أرباب البصائر والخبرة، وتوجيه بالندم في العطيـة للأسـرار والأحوال، وأنـه كـان يـدور في عطيتـه فيستردها، وأنه كثيرا مـا كان يسلب الأحـوال الخارجة على يـديه لأدنى سبب يقع من المـريد أو دونـه. ولا يخـلـو هـذا المعنى الثاني من اشكال لاختصاص الشاذلية بـالتـأميـن من

سلب الموهوب، وأن من وصل منهم على طريقهم لا يحصل له رجوع، ومن حصلت له نعمة على أيديهم لا يخشى عليها زوالا ولا نقصا. وقد كانت للشيخ عبد القادر بن علي الفاسي (ت. 1091 /1680) عناية بهذا الاشكال، وبسطه نجله عبد الرحمان في الفصل الذي عقده لمشايخ المجذوب من كتابه "ابتهاج القلوب". وجاء بالمقالات الشاذلية التي يقوم عليها، واجتهد في التأويلات التي يحتملها، ومثل بحالات سلب وقعت لبعض مشايخ القرن العاشر.

ويبقى مرام بني الجد اكساب زاويتهم من جاه الدوار الذي لا تزيده كتاباتهم إلا تواتراً، وقد سبقهم ابن عسكر إلى ذكر الاعتقاد الكبير الذي كان لأهل فاس في هذا الشيخ، وأن ولايته كانت عندهم قطعية كفلق الصبح، كما كان شأنه عندهم عظيماً. وإذا كنا قد اهتبلنا بتفرد الشيخ الدوار بالسند الزروقي ـ الأفحامي، واعتنى أهل الزاوية الفاسية بتصدره لمشايخ المجذوب، فإن محمد بن عيشون الشراط (ت. 1109/ 1697) قد توسع في سنده، وبسطه في صفحات عديدة ختم بها الترجمة التي أفردها له من كتابه الروض العطر الأنفاس، ورفعه إلى كبار التابعين والصحابة والرسول ﷺ.

ولم ينافس المجذوب في الأخذ والإراثة عن الدوار سوى السيدة آمنة بنت أحمد بن علي بن القاضي المتوفى عام 955/ 1548، جد المؤرخ أحمد بن القاضي المذكور، ومتولي خطة القضاء والتدريس بمكناس. وإذا كان انتقال أبيها إلى فاس بأهله واتخاذها داراً يفسر باللحاق بأستاذه الإمام محمد بن غازي (ت. 919/ 1513) الذي أبعده بنو وطاس عن مكناس، فإن شيخها الدوار كان يقول إنه ما جيء بأولاد ابن القاضي كلهم من مكناس إلى فاس إلا لأجلها. وكانت تخدمه وتتبعه ولا تفارقها آنية الزيت، إذا أتاها وجدها عندها ليريقها على نفسه، لأنه كان يحب ذلك. وتذكر كتب التراجم أن الشيخ المجذوب اقتسم معها الإراثة الروحية لشيخهما الدوار على الوجه الشرعي للذكر مثل خط الأنثيين، وأنه لم تكتمل له هذه الإراثة إلا بعد وفاتها التي حدثت عام 963/ 1556، وقد دفنت بروضة شيخها وراء ظهره. وممن اشتهر من أتباع الدوار أيضا الشيخ محمد بن منصور (ت. 997/ 1589) دفين فاس الجديد على مقربة من وادي فاس، وقد كان له كلام في الإشارات والمعاني على لسان القوم.

وعلى الرغم من سكوت مترجمي الدوار عما إذا كان قد أوتي حظّاً من العلم أم لا، إلا أنهم يذكرون أبياتا تنسب إليه، وهي :

المو ت أفنى من مضى　　والموت يفني من بقي
والموت يجمع في الثرى　　بين المنعم والشقي
يا من أساء فيما مضى　　كن محسناً فيما بقي

وقد سمع صاحب ابتهاج القلوب والده ينشدها، وسأله عن نسبتها إليه، فأكد له أنه سمع الناس ينسبونها إليه. كما وجد بخط الشيخ عبد الرحمان بن محمد الفاسي (ت. 1036 /1626) كلاماً معزوا إلى الدوار في معاني حروف الهجاء وأسرارها. ولا يتسع المقام لجلبه، ويشهد لصاحبه بعلو الكعب في العلم ظاهره وباطنه، ويراجع في ابتهاج القلوب و"الروض العطر الأنفاس" لابن عيشون.

وقد اختلف في تحديد تاريخ وفاة الشيخ الدوار، فجعلها ابن عسكر في آخر العشرة الخامسة من القرن العاشر، وهذا يتفق مع ما قيده بعضهم من أنه توفي في جمادى الثانية عام 947/ أكتوبر 1540، وهو التاريخ الذي اعتمده ابن عيشون. في حين يعود عبد الرحمان الفاسي بتاريخ هذه الوفاة إلى بداية هذه العشرة، ويقول إن الأقرب: الذي يصح أنه توفي في أول سنة 941 /1534، أو في تمام السنة التي قبلها. وقد حضر السلطان وخاصة دولته وفقهاء الحاضرة الفاسية جنازته، وتساقط الناس عليها، وتقاسموا أعواد نعشه وسجادته ولباسه. ودفن خارج باب الفتوح من فاس، وبني عليه بناء حسن، وجدد عليه البناء عام 1067/ 1657ـ6 الفقيه الصغير ابن القاضي (ت. 1089/ 1678) بمال ورثه، ثم جدد البناء عليه السلطان المولى الحسن الأول (1290 ـ 1312/ 1873 ـ 1894).

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، 2 : 865 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجرية، 190 ـ 191 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، تح. ح. الدازي، 124 ـ 139 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، تح. ع. العمراوي وع. مراد، 110 ـ 113 ؛ *تحفة أهل الصديقية*، مخ. خ. ع. 76 ج، 69، 72 ؛ م. ابن عيشون، *الروض العطر الأنفاس*، تح. ز. النظام، 73 ـ 85، 86 ـ 87، 323 ـ 324 ؛ م. الصغير الافراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. الشادلي، 71 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، 5 :1795 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. حجرية، 2 : 219 ـ 223 ؛ ع. نجمي، *من تاريخ التصوف المغربي في القرن العاشر الهجري : الملامتية*، مجلة تاريخ المغرب، السنة الأولى، 1401 /1981، العدد الأول، 15 ـ 57.

عبد الله نجمي

الدوَّار أو الدّشر وحدة الاجتماعية والإدارية الأساسية في المجتمع القروي. (ويسمى كذا ـ حسب المناطق ـ الخروبة أو القصر أوتيگمي أو أشون)، ويتعلق الأمر بجماعة بشرية تتكون من مجموعة من الخيم (انظر مادة خيمة) أو الكوانين (20 إلى 30 حسب دراسة روبير مونطاني لسوس)، ينحدر أعضاؤها، مبدئيا، من نفس الجد. ورغم هذه القرابة العصبية، التي تلعب دورا أساسيا في التحام أفراد الدوار، فإن هذا الأخير يضم أحيانا أشخاصا يلجؤون إليه هروبا من ثأر أو غيره، ويتم تبنيهم عادة عبر مؤسسة الزواج.

بالإضافة إلى هذا العنصر السوسيولوجي، يتميز الدوار

باحتلاله مجالا جغرافيا معينا ذا حدود قارة، وبوجود نشاط اقتصادي يعتمد أساسا على الفلاحة والرعي (وبعض الصناعات الحرفية المحلية)، الشيء الذي يفرز تمايزا سوسيو ـ اقتصاديا رغم التجانس الذي تتسم به مظهريا ساكنة الدوار.

وعلى مستوى الملكية العقارية، نجد إلى جانب الملكية العائلية ملكية جماعية تتعلق بالمراعي والغابات والطرقات، وذلك في إطار الانتماء إلى وحدة أكبر (الفخدة أو الفرقة، انظر هاتين المادتين).

يمثل الدوار كذلك وحدة ثقافية لها عاداتها وتقاليدها وقوانينها، التي تكون تارة مكتوبة وتارة عبارة عن أعراف شفوية، وتعتمد لتدبير ما هو محلي. وفي هذا الصدد يعين أو ينتخب الدوار جماعة تمثله وتسهر على تسيير شؤونه. هذه الجماعة التي يفترض فيها أن تمثل كل أفراد المجتمع المحلي، لا يشارك فيها فعلا إلا الرجال المتزوجون والقادرون على حمل السلاح، مما يقصي العزاب والخماسة والعبيد (إن وجدوا)؛ كما توجد عمليا بين أيدي الأعيان الذين يتناوبون على إدارة مجلس الجماعة.

من الناحية الإدارية، يوجد على رأس الدوار مقدم يسهر على تنفيذ قرارات الجماعة، أو القرارات الصادرة عن السلطات المخزنية.

تحت تأثير تنفيذ الحياة الاقتصادية، ونزع الأراضي من أصحابها وتكديحهم ـ أثناء الفترة الاستعمارية ـ سيفقد الدوار وحدته، إذ سيضطر عدد من أفراده إلى الهجرة (داخل المغرب أو خارجه)، وستحل الفردانية، الناجمة عن تحول عدد من القرويين إلى عمال زراعيين، محل التآزر الذي كان يطبع المجتمع التقليدي، كما سيفقد الدوار كذلك وحدته القرابية إد سيزداد عدد الغرباء الذين سيصبحون من المالكين العقاريين. وستتفاقم هذه الوضعية بعد الاستقلال، خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار التقطيعات الجديدة المرتبطة برهانات انتخابية وبتدخل الدولة في إطار التحديث الزراعي وما ينتج عن كل هذا بالنسبة للدوار الذي يصبح مجرد تجمع سكني آخذ في فقدان هويته الاجتماعية والثقافية.

عبد الجليل حليم

الدوّأس، الحاج **محمد** بن أحمد قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني گرفط أنظم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني؛ وقد مثل قبيلته في مؤتمر التورة المنعقد بضريح مولاي عبد السلام يوم 20 يوليوز 1913 حيث عين عضو في القيادة المركزية للثورة كما شارك في 11 معركة، وعلى إثر جروحه في معركة بني صالح يوم 25 مارس 1919 وقع أسيرا بيد الجيش الاسباني ومكث بسجن "الهاشو" El Hacho بسبتة السليبة من سنة 1919 إلى أن توفاه الله سنة 1934.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب، الرباط، 481.

محمد ابن عزوز حكيم

دينية (أسرة رباطية) ← **دنّية**

دوّوس Duous وادٍ انفرد بذكره الجغرافي بطليموس: Ptolémée, 4, 1, 2. وقد رتبه بين مدينة سلا ومكان سماه بالأطلس الصغير. وحدد للوادي المذكور الإحداثيات التالية: الطول6 درجة و10، العرض 33 درجة و20.

ظن شارل تيسو أنه هو وادي المالح الذي يصب جنوب مدينة فضالة ـ المحمدية حاليا ـ وقد وافقه روجي والأستاذ مولاي رشيد في هذا الرأي.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1878 ; R. Roget, *Index de topographie ancienne du Maroc*, Rabat, 1939 ; E.M Moulay Rchid, *Le Maroc septentrional selon Claude Ptolémée*, *R.G.M.*, Nouvelle série, 3, 1979.

محمد مجدوب

الدّويري، أسرة فاسية تشتمل حسب *رفع الالتباس* على فرقتين: فرقة شرفاء من جبل العلم لهم شهرة أهل معاش حرفة وجاه؛ وفرقة من سجلماسة من محل هناك يقال له الدويرة، وهم أمويون من نسل أمير المؤمنين عثمان بن عفان كما رأيت ذلك في حجج بيدهم" منهم: الحاج المدني الدويري الذي كان أمينا بمرسى الدر البيضاء أيام الحسن الأول. والحاج قاسم الدويري من أمناء بيت المال (الأقواس) بمكناس أعوام 1305 ـ 1308.

الدويري، محمد بن **عبد الواحد** العثماني الفاسي. كان فقيها مشاركا مطلعا، تولى قضاء صفرو ثم نقل إلى قضاء مراكش وبعده أعفي من منصبه، وكان قد قُضي عليه أيام السلطان محمد بن عبد الرحمن بالسجن والذعيرة ثم عفي عنه. وولاه الحسن الأول قضاء مدينة أسفي.

مرض محمد الدويري بأسفي فرجع إلى فاس وبها أدركته منيته في ثامن ربيع الأول عام1302 / 28 دجنبر 1884 ودفن بزاوية بدرب الحرة.

الدويري، محمد بن **محمد** بن عبد الواحد العثماني ولد بفاس عام 1273 / 56 ـ 1857 وبها نشأ ودرس على والده وعلماء عصره، فتخرج فقيها متمكنا في الأصول والفروع. أسند إليه قضاء مدينة صفرو ثم القصر الكبير فالدار البيضاء فالجديدة فأسفي.

توفي بفاس عشية يوم السبت ثامن وعشرى رجب عام 1349 / 20 دجنبر 1930.

ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط 1933، ج. 2 : 460 - 461، ج.3 : 462، ج. 5 : 368 ؛ ع. السلام ابن سودة، *رفع الالتباس*، مرقون ؛ *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 8 : 2763 و2996.

محمد حجي

الدويملالنيون من الأسر السوسية الركراكية موطنها قرية دُويمْلالْن (تحت الرمال) بقبيلة أملن شمال تفراوت.

اشتهرت في خطط القضاء والفتوى والتدريس، إذ تولى أفراد الأسرة قضاء تفراوت منذ القرن العاشر الهجري، وشاركوا في مدارس أملن. بالإضافة إلى ذلك، منهم من كان مقصوداً للتربية الصوفية، بل منهم من نسبت لهم كرامات.

استطاع المختار السوسي بعد مناقشة نسب الركراكيين بسوس وما يطرحه من شكوك، أن يحصي أربعة عشر علماً من أعلام الأسرة، وذكر أن لهم اتصالاً بالشيوخ الإيلغيين والجشتيميّين والتمگدّشتيين مما كان له تأثير في صقل معارف الأسرة وتهذيب سلوك أفرادها الصوفي.

م. بن أحمد الحضيگي، *طبقات الحضيگي*، تح. أ. بومزگو، بحث لنيل د. د. ع الرباط، 1994، التراجم 54 - 404 - 760 - 761 - 819 - 820 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي*، 1989، ص. 22 - 45 - 111 ؛ *المعسول*، 1 : 369، 3 : 110 - 112، 4 : 5 - 25، 6 : 194 - 198 - 255 - 303 - 317، 9 : 150 - 212 ؛ داوود بن علي الكرامي، *بشارة الزائرين*، مخطوط خزانة الإگراري ؛ *وفيات الرسموكي*، تح. م. المختار السوسي، الرباط، 1988، ص. 26 - 27 - 30 - 33 - 42.

شفيق أرفاگ

الدوق **دي براگاش** بحار برتغالي عين قائداً للحملة البرتغالية الثانية لاحتلال أزمور، على رأس أسطول يتألف من مائتي سفينة ولم يطلع ضباطه على هذه الحملة إلا يوم 20 غشت 1513. وبعدما بلغت الحملة قبالة أزمور يوم 25 غشت وجه المراكب للجوء إلى منطقة مازگان نتيجة رداءة أحوال الطقس ولم يتعرض لها سكان المنطقة، مما شجع الدوق على نصب المخيم بالساحل من يوم 27 غشت إلى فاتح شتنبر وهي في حالة استنفار، ولم يحل ذلك دون تعرضها لاغتيال بعض رجالها (اثنين أو ثلاثة) وفقدان بضعة خيول من طرف بعض الأهالي المناوئين للاحتلال البرتغالي وأنصاره من المحليين.

وفي صباح يوم الخميس فاتح سبتمبر انطلقت الحملة نحو أزمور التي بلغتها في المساء، والتحم أحد قواد الدوق دوبراگاس جواودي مينيسيس Joao de Meneses مع فرقة من الأهالي الذين أظهروا قوة في الصراع معاً دفع بالكونت دي بوربا Le Comte de Borba إلى أمر القوات البرتغالية بالتراجع. ولم يتم نصب المخيم على مشارف أزمور إلا ليلاً.

وفي يوم الجمعة سبتمبر تم انزال المدفعية، وبعد الزوال ظهرت قوات مغربية مكونة من حوالي أربعة إلى خمسة آلاف فارس. وقد توجه بعض البرتغاليين نحو أسوار المدنية مصحوبين بواقيتين خفيفتين يقود إحداهما جورجي بارطر Jorge Barreto، واجههم المدافعون عن المدينة برشقهم من أعلى الأسوار بجباح النحل والنار الذي أحرق الواقيتين، وبالسهام، وبطلقات نارية ضعيفة.

وفي المقابل كانت قوات الفرسان المغربية تتقدم بانتظام وكأنها تستعد للمواجهة، مما دفع البرتغاليين إلى الاستعداد من جهتهم ؛ وأمام توقف المغاربة فكر الكونت دي بوربا في أخذ مبادرة الهجوم لكن انسدال الظلام حال دون ذلك، حيث تظاهرت المسلمون بالانسجاب ثم كروا فجأة حاملين على البرتغاليين مستغلين انسحابهم، ملتحمين معهم في معارك لم تتوقف إلا مع حلول الليل.

وخلال الليل انشغل السكان في مغادرة المدينة وقام بعض اليهود إلى المعسكر البرتغالي لإخبار الدوق دي براگاس بذلك وفي صباح اليوم الموالي دخل الغزاة، وقد عين حامل روي بارّطو دخلت قواة برتغالية النهر بستين زورقاً لإحراق منجنيقات الأهالي التي حاولوا بها إتلاف الأسطول البرتغالي.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الجزء 1، ص. 158.
S.I.H.M., Portugal, T. I, p. 405 - 09.

حسن أميلي

دي جوانفيل (François Ferdinand Philippe d'Orléans, Prince de Joinville). هو الابن الثالث للملك الفرنسي لويس فيليب، ولد عام 1818 في نويي - سور - سين (Neuilly - Sur - Seine). وبعد إتمام دراسته في المدرسة البحرية عين قبطانا لبارجة. وقد حضر احتلال مدينة قسطنطينة عام 1837 بعد غزو الجزائر.

وفي المغرب ارتبط اسم الأمير دي جوانفيل بقنبلة الأسطول الفرنسي لمدينتي طنجة والصويرة، وعقد معاهدة طنجة عام 1844. فعلى إثر الاشتباكات التي شهدتها منطقة الحدود الشرقية في نهاية شهر مايو 1844 بين المغاربة والفرنسيين، والتي نتجت عن إقدام القوات الفرنسية على إقامة مركز في للالة مغنية غرب نهر تافنا - وكان المغرب يعتبره حدا بينه وبين الجزائر - ؛ تحركت فرنسا للضغط على المغرب دبلوماسيا وعسكريا.

وفي هذا الإطار قررت الحكومة الفرنسية بتاريخ 11 يونيو 1844 إرسال أسطول حربي إلى شواطئ المغرب، وأسندت قيادته إلى الأمير دي جوانفيل. وكانت غاية

الحكومة الفرنسية من اختياره، هي "تأكيد الأهمية التي كانت تعلقها على مهمته". وقد زودته بتعليمات تقضي باستعمال الضغط أو بتوجيه ضربة عسكرية "حاسمة وسريعة"، من أجل إجبار المغرب على قبول الشروط الفرنسية، التي يمكن إجمالها في أربعة رئيسية :

1 ـ معاقبة المسؤولين المغاربة في ناحية وجدة.

2 ـ إخلاء المنطقة الشرقية من الجيش المغربي.

3 ـ طرد الأمير عبد القادر الجزائري من المغرب.

4 ـ عقد معاهدة جديدة لرسم الحدود بين المغرب والجزائر.

وقد أقلع الأسطول الفرنسي من طولون (Toulon)، ووصل إلى وهران في أوائل شهر يوليوز، حيث كان على دي جوانڤيل أن يضع نفسه تحت إمرة الجنرال بوجو (Bugeaud) وينسق معه.

وفي يوم 9 يوليوز وصل الأمير إلى شاطئ طنجة، حيث كان القنصل الفرنسي دي نيون (de Nyon) قد حصل من باشا العرائش بوسلهام بن علي على الإذن بالصعود إلى سفينة دي جوانڤيل، الذي وجه إنذارا إلى السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، يطلب الموافقة العاجلة على الشروط الفرنسية. وفي انتظار الجواب، قرر إبقاء أسطوله في قادس، غير بعيد عن الأسطول الذي أرسلته الحكومة البريطانية لمراقبة تحركات السفن الفرنسية، بينما كان القنصل الأنجليزي دراموند هاي (D. Hay). يحاول إيجاد تسوية للنزاع تحول دون وقوع أعمال حربية.

وكان الجنرال بوجو يحث دي جوانڤيل على الشروع في القتال دون انتظار، مبررا ذلك بأنه ـ وهو في داخل المغرب ـ لا يستطيع البقاء في مكانه أكثر من عشرة أيام. وقد أبلغ دي جوانڤيل إلى القنصل دي نيون، أنه رغم عدم اتفاقه مع بوجو، فهو مضطر إلى النزول عند رغبته وبدء القتال. وقد توجه فعلا إلى شاطئ طنجة يوم 23 يوليوز ؛ غير أن قائد هذه المدينة ابن عبو، الذي لاحظ الاستعدادات الجارية في القنصلية الفرنسية لمغادرة المدينة ؛ منع الأجانب من الخروج باستثناء قنصلي بريطانيا ونابولي، فاضطر دي جوانڤيل إلى تأخير بدء القتال، خاصة وأن القنصل دي نيون كان مقتنعا بنجاح مهمة هاي لدى السلطان. ولتبرير هذا التأخير، وجه الأمير إنذاراً جديدا وأخيرا إلى باشا العرائش، اشترط فيه السماح للفرنسيين بمغادرة طنجة، إضافة إلى الشروط المذكورة أعلاه، ومنحه مهلة ثمانية أيام تنتهي يوم 2 غشت.

وقد وافق باشا العرائش على خروج الفرنسيين من طنجة، لكن الجواب على الإنذار لم يأت في اليوم المحدد. وقد أنذر الأنجليز دي جوانڤيل بتحمل عواقب مقتل قنصلهم إذا بدأوا القتال قبل عودته. فاضطر الأمير إلى الانتظار مرة أخرى حتى وصل جواب الإنذار يوم 4 غشت.

وقد أثار هذا الجواب خلافا حادا بين دي جوانڤيل والقنصل دي نيون. فقد اعتبره الأول غير مرض، لأنه يطالب بمعاقبة الجنرال بوجو في مقابل معاقبة عامل وجدة، ولا يقدم شيئا بالنسبة لبقية المطالب. أما دي نيون، فقد رأى أن مضمون جواب السلطان يخالف ما فهمه دي جوانڤيل، واعتبره مستجيبا للمطالب الفرنسية. وقد تدخلت الحكومة الفرنسية في هذا الخلاف لصالح الأمير، وأمرته يوم 5 غشت ببدء القتال إذا لم يكن هو راضياً عن جواب المغاربة. فقرر بدء الأعمال الحربية في اليوم التالي، وكان القنصل الأنجليزي قد غادر الصويرة في تلك الأثناء.

مهاجمة طنجة : ورد في يوميات ترجمان الأسطول الفرنسي ڤارني (Warnier)، أن دي جوانڤيل أعطى الأوامر للشروع في قنبلة مدينة طنجة في الساعة السابعة من صباح يوم 6 غشت، وأكد أن قذائف المدافع انطلقت في نفس الوقت من الأسطول الفرنسي، ومن أسوار وأبراج طنجة. ولاحظ أن المغاربة أظهروا استماتة في القتال، حيث كانوا "يموتون فوق مدافعهم" وأنهم ركزوا قصفهم على سفينة القيادة التي كان فيها دي جوانڤيل، وقد سقطت عليها تسع وأربعون قديفة. وذكر ڤارني أن القصف توقف عند الساعة الثانية عشرة زوالاً، بعد أن تم تدمير أغلبية مدافع طنجة. وقدر خسائر الفرنسيين بقتيلين وخمسة عشر جريحاً. أما خسائر المغاربة فقد قدرها ربان مركب إسباني بمائتي قتيل وأربعمائة جريح، ودمر الحي المجاور للأسوار، وكان دي جوانڤيل يزعم أن الهجوم كان مركزاً على التحصينات وحدها.

وقد شارك في قصف طنجة حوالي ثمانية وعشرين مركبا فرنسيا بحضور مراكب أنجليزية وسويدية ودانماركية وإسبانية كانت تراقب العمليات الحربية.

أما معلومات الإنجليز التي أبلغوها للسلطان، فقد أفادت بأن الفرنسيين خسروا ستة وعشرين قتيلاً وسبعة وثلاثين جريحاً، مع إصابة عدة مراكب فرنسية. وأكد المولى سليمان، ابن السلطان، في إحدى رسائله، أن إصلاح ما دمره القصف "متيسر في وقت قريب... لأن رمي العدو لم يعم جميعها". وأخبر كذلك بأنه تم جمع ثلاثة آلاف قذيفة مدفع داخل المدينة صالحة لإعادة استعمالها، وذكر بعض القناصل أن مجموع ما ألقي على المدينة من القذائف يزيد عن ستة آلاف.

وبعد انتهاء القصف، أقلع الأسطو ل الفرنسي في اتجاه الجنوب، نحو الصويرة يوم 9 غشت، وقد سبقته إلى هناك سفينة أنجليزية لتحذير المغاربة.

مهاجمة الصويرة : وصل الأسطول الفرنسي المكون من سبع عشرة سفينة إلى شاطئ الصويرة يوم 11 غشت. إلا أن هيجان البحر أجبر الأمير دي جوانڤيل على تأخير الهجوم.

وقد جاء في مذكراته : إن اختيار الصويرة كهدف للضرب، كان ناتجا عن أهمية مداخيلها بالنسبة لسلطان المغرب، وقال : "لقد بددنا أوهامه في طنجة، في حين سيقوم الجنرال (بوجو) بإسقاط كبريائه في ساحة معركة إيسلي، وأقوم أنا بفتح ثغرة في خزينته". ولاحظ ترجمانه

ڤارني، أن المؤسسات التجارية الفرنسية في السنغال ستستفيد من تدمير الصويرة.

وفي يوم 15 غشت بعد الظهر بدأ قصف المدينة بمدافع الأسطول، واستمر ذلك أربع ساعات. وقد لاحظ دي جوانڤيل أن دفاع الصويرة كان أكثر جدية من دفاع طنجة. وبعد إسكات مدافع المدينة، أمر بإنزال خمسمائة جندي إلى الجزيرة لاحتلالها. لكنهم وجدوا مقاومة شديدة من حاميتها التي كانت تتكون من أربعمائة مقاتل، واستمرت المقاومة إلى اليوم التالي، حيث تم للفرنسيين الاستيلاء على الجزيرة فأسروا حوالي مائة وخمسين من المدافعين المغاربة، نقل مائة وسبعة وعشرون منهم بعد ذلك إلى وهران، أما الباقون، فقد قتل أغلبهم وفر قليل منهم سباحة إلى المدينة. وقدر الفرنسيون خسائرهم بأحد عشر قتيلا واثنين وخمسين جريحا مع إعطاب بعض السفن. وفي اليوم نفسه (16 غشت)، بعث دي جوانڤيل إنذاراً إلى باشا الصويرة، عبد الله الرزيني، أبلغه فيه بأنه سيقوم بإعدام الأسرى المغاربة إذا لم يسمح للقنصل الإنجليزي بالصويرة وللأوربيين بها، بمغادرتها. وبعد خروج القنصل الإنجليزي وصعوده إلى سفينة إنجليزية كانت تراقب الأحداث ؛ بعث دي جوانڤيل بقوة تتشكل من ستمائة رجل إلى المدينة لإتمام تخريب ما بقي صالحاً بها من المدافع ؛ واعتقد السكان أن غايته كانت احتلال المدينة، ففروا ومعهم الباشا إلى خارجها فعمت حالة الفوضى.

وفي 23 غشت غادرت أكثرية سفن الأسطول الفرنسي شواطئ الصويرة في اتجاه قادس، بعد أن ترك دي جوانڤيل حامية بالجزيرة مع مؤن تكفي لمدة شهرين، وبعض السفن الحربية لإحكام الحصار حول المرسى. غير أن نيران المدافع أطلقت من المدينة على الأسطول الفرنسي عند إقلاعه، فعاد دي جوانڤيل وأنزل قوة لتدمير المدافع المهاجمة قبل أن يتابع سفره.

وقد اعتبر الفرنسيون أن حملة دي جوانڤيل البحرية على طنجة والصويرة، كانت أكثر تأثيراً على السلطان من هزيمة إيسلي، لأنها حرمته من موارده الأساسية : مداخيل ديوانة طنجة والصويرة.

معاهدة 10 شتنبر : وبسبب سوء التفاهم المشار إليه أعلاه، بين دي جوانڤيل والقنصل دي نيون، عينت الحكومة الفرنسية الدوق گلو كسبورغ وهو كاتب السفارة الفرنسية بمدريد، لقيادة المفاوضات بين الفرنسيين والمغاربة، عقب انتهاء الأعمال الحربية.

وفي هذه المفاوضات، تخلى دي جوانڤيل عن رغبته في فرض غرامة حربية على المغرب مقدارها عشرة ملايين فرنك، مبرراً ذلك في رسالة منه إلى وزير الحرب، بالحاجة إلى الوصول إلى صلح سريع، وبعجز قوات الجنرال بوجو عن التقدم إلى فاس، ونفاد موارد الأسطول بعد معارك طنجة وتطوان، هذا إضافة إلى أن القنصل دي نيون كان يعارض هذه الغرامة.

وبعد أن تأكد المفاوضون الفرنسيون من أن الباشا بوسلهام بن علي يحمل التفويض اللازم من السلطان للتباحث حول معاهدة الصلح والتوقيع عليها ؛ توجهت ثماني سفن إلى طنجة مع دي جوانڤيل وكلو كسبورغ ودي نيون، حاملين معهم نص معاهدة صلح لكي يوقع عليها بوسلهام دون تعديل أو يرفضها. وبعد أن تلقى دي جوانڤيل إشارة من قنصل نابولي - الذي كان يقوم بتمثيل مصالح فرنسا في طنجة بعد خروج القنصل الفرنسي منها - بأن الباشا قد وافق على المعاهدة المقترحة ؛ نزل الثلاثة إلى طنجة، وتوجهوا لمقابلة بوسلهام بن علي الذي وضع خط يده على الوثيقة يوم 10 شتنبر بعد أن "حصل على عدد من التوضيحات وأجرى عدداً من التدقيقات". وقد وقعت نسختان بالعربية ونسختان بالفرنسية، واحتفظ كل طرف بنسخة عربية وأخرى فرنسية.

وبعد إتمام التوقيع كتب دي جوانڤيل إلى وزير الحرب الفرنسي معبراً له عن تقييمه للمعاهدة قائلاً : "في هذا اليوم حصلت الحكومة على أكثر مما كانت تطلبه، وأكثر مما لم نكن قد حصلنا عليه في أي يوم من المغرب. كل هذا بدون مساعدة أي نفوذ أجنبي وفي ظل مدافع سفننا".

وفي يوم 11 شتنبر تلقى بوسلهام هدايا من دي جوانڤيل رداً على ما كان بعثه إليه من مؤن لسفنه في صباح نفس اليوم. وقد التحق القنصل الفرنسي بقنصليته ورفع العلم الفرنسي عليها وتم تبادل التحية بطلقات المدفعية من أبراج المدينة والأسطول الفرنسي، وأرسل الأمر برفع الحصار عن الصويرة وإخلاء جزيرتها ثم كان تسريح الأسرى المغاربة المحتجزين بوهران.

وقد استفاد دي جوانڤيل من تلك العمليات إذ ذاع صيته فشارك في الحياة السياسية الفرنسية بنشاط، إلى حدوث ثورة 1848 التي أجبرته على الهجرة مع أسرته إلى انجلترا ثم إلى الولايات المتحدة. وفي عام 1870 عاد إلى فرنسا وشارك في الحرب ضد بروسيا، وفي عام 1871 انتخب عضواً في الجمعية الوطنية، ثم أعيدت له رتبة "نائب أميرال" عام 1872 وقد توفي عام 1900.

وثائق من الخزانة الحسنية بالرباط ؛ وثائق من أرشيف وزارة الخارجية بباريس.

Ph. De Cossé-Brissac, *Les rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie* ; De Joinville, *Vieux souvenirs ; Histoire générale de la marine* ; M. Emerit, *Le conflit franco-marocain de 1844* ; Guizot, *Mémoire pour servir à l'histoire de mon temps*, T. 7 ; L. Roches, *32 ans à travers l'Islam*, T. 2 ; A. H. Warnier, *Compagne du Maroc* ; *Le Robert, Dictionnaire universel des noms propores*, T. 2, 1995 - 9 -18.

إبراهيم ياسين

الدوكي **دي ريپردا** El Duque de Riperda سياسي

هولانـدي مغـامـر من عـائلة نبيلة تحمل لقب بـارون. ولد بهولاندا سنة 1091 / 1680 وبها نشأ وتعلم وعُـيِّـن سفيراً لبلاده ببلاط مـدريـد، ثم شغل عـدة وزارات إلى وظيف سكرتير الـدولـة للملك فيلب الخامس من آل بوربون بإسبانيا. ونال بذلك دنيا عريضة وجاها كبيرا وصيتا جميلا.



لجأ الـدوكي إلى المغـرب بعـد أن سقطت مكـانتـه في البلاط الإسبـاني ولاكت الألسن سمعتـه واكتـوى بنـار العنصرية والتعصب الديني لأنه أجنبي لا يحسن أن يتولى رئاسة الوزارة بإسبانيا كما أنه حديث عهد بالكاثوليكية، وانتهى بـه المطاف إلى السجن، فهرب منه بـوسائله الخاصة ولجأ إلى لندن فأقـام بها مكرما من ملكها ونبلائها، لكن سرعان ما تحركت دسائس خصومه فشعر بالخطر وذهب إلى بلده هولاندا، فتـابعه خصومه ولا سيما سفراء إسبانيا لم يكفوا عن تتبع حركاته وإشاعة السوء عنه، وعرف أن هناك مساومات لتسليمه إلى إسبانيا التي تطالب بمحاكمته، فتأكد أنه لم يبق له مكان بأوربا، وانتهز وجود سفير مولاي عبد الله بن إسماعيل ملك المغرب بلاهاي فاتصل به وأبدى رغبته في الالتجاء إلى المغرب بشرط المحافظة على دينه ومـالـه وأن يمنح حرية التنقل والتصرف، فسوعد على ذلك بعد الاستشارة، وقدم إلى المغرب مع السفير راكباً إحدى قطع الأسطول المغربي ونزل بميناء طنجة في جمادى الأولى عام 1144/ نوفمبر 1731.

زار الدوكي السلطان بمكناس فأكرمه واستمر اتصاله به سراً وعمل بنصائحه وإشاراته في أمور شتى، وكان الدوكي جلب من أوربا أسلحة حديثة سأعد بها السلطان فكان لها أثر ملموس في انتصاره على خصومه، ثم عاد إلى طنجة فأكرمه عاملها بأمر السلطان، وبعد مدة استأذن في الانتقال إلى تطوان التي كانت وقته من أجمل مدن المغرب فسكنها وأقطعه حاكمها الحاج عمر لوقش داراً وروضاً وأراضي اعتنى بها الدوكي وغرس بها أنواعاً من أشجار الفواكه والأزهار والورود وأنقها على الطراز الأوربي، وتوطدت الصلة بينه وبين أعيان البلد فأحبهم وامتزج بهم وتعلم العربية، لكنه ما لبث أن استُدعي من طرف السلطان للقيام بمهمة سياسية إلى تونس، فسافر إليها واتصل بالباي ورجال دولته غير أنه لم ينجح في مهمته وعاد إلى المغرب، فوجد الإشاعات والدسائس عادت إلى الالتفاف حوله فاستأذن في السفر إلى أوربا فلم يؤذن له، وعاد إلى الاستئذان وانتظر وطال انتظاره، فأخبره الحاكم بأن لديه أمراً سلطانيا بعدم السماح له بمغادرة البلد فأدرك أنه سجين.

أمضى الدوكي سنوات من أجمل أيام حياته في تطوان، وتأثَّـل بها دوراً وعقاراً حبَّس منها أملاكاً على ضريح الشيخ سيدي السعيدي حتى ذكرت مصادر إفرنجية أنه أسلم وتسمى بعثمان، ولكي يبرهن على حسن إسلامه حبَّس أملاكا عل ضريح ولي يقدسه أهل تطوان ويُعتبر حاميها. وقد استبعد الشيخ داود إسلامه بحجة أن العدول وصفوه في صكوك شهاداتهم بأنه فلان النصراني قال: ولو كان اعتنق الإسلام لما وصفوه بالنصراني خصوصاً في شهادة وقعت عليه قبل وفاته بشهر واحد.

توفي الدوكي بتطوان مفلوجاً في 14 رجب عام 1150 / 5 نونبر 1737 وحيداً غريباً عن 57 سنة.

, Madrid,*El Duque de Riperda* Don Luciano de Taxonera,
1945 ؛ ترجمة وتلخيص التهامي الوزاني، تطوان ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، تطوان، د. ت. ج. 3، 35 ـ41 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، ص. 285.

محمد الأمين بوخبزة

دي كاستر الكونت هانري C. H. De Castries ينتمي إلى بيت من أكبر البيوتات النبيلة في فرنسا. انخرط باكرا في الجيش الفرنسي إذ دخل صفوف القتال في الحرب بين فرنسا وبروسيا (أو ألمانيا الناشئة) سنة 1870، ليلج بعد الحرب مدرسة سانسير ويتخرج منها برتبة ملازم سنة 1873 ويلتحق بجيش الاحتلال الفرنسي في الجزائر، فهو نموذج آخر من نماذج شباب الطبقة النبيلة الفرنسية التي التزمت يومئذ بخدمة النظام الجمهوري المنتصر في فرنسا على أن يكون ذلك بعيداً عن التراب الفرنسي فيما وراء البحار، مثله في ذلك مثل شارل دي فوكو وهوبير ليوطي على سبيل المثال لا الحصر.

اشتغل هانري دي كاستر في الجنوب الجزائري. وتأثر بما يهيمن في المناطق الصحراوية من أجواء الفطرة الأولى فتعلم العربية، وصار يشتغل برسم الخرائط وضبط التضاريس عن طريق الاستعمالات. وهكذا استطاع أن يرسم خريطة أولى عن منطقة درعة وأخرى عن واحة فجيج بمجرد استقصاء كل من كان يلتقي بهم من أبناء تلك الجهات لدى تنقلهم عبر الجزائر. واجتمع لديه من المعلومات الطوبو غرافية عن المغرب ما مكنه من وضع أول خريطة عن البلاد رسمها باللغة العربية أجمل رسم وزينها بما يليق من التزيين، وجاء المغرب لإهدائها إلى السلطان المولى حسن الأول سنة 1887، فكان ذلك أول ما وطئت قدماه تراب

البلاد. وانتهز الفرصة ليرسم تضاريس الطريق من الدار البيضاء إلى مراكش عبر سطات. وهذا الرسم الطوبوغرافي، هو الذي اعتمده الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال مانجان للزحف نحو مراكش واقتحامها في صيف سنة 1912.

استقال دي كاستر من الوظيفة العسكرية غداة رحلته إلى المغرب، ذلك بأنه كان قد تزوج بنت الجنرال لاموريسيير Lamoricière منذ سنة 1880، وفضل العودة إلى الحياة المدنية والاشتغال بتدبير شؤون ضيعاته والشؤون السياسية المحلية في أقاليم أنجو Anjou ومصب نهر اللوار Loire. بيد أنه لم يتغافل عن قضايا التوسع الاستعماري الفرنسي، إذ انخرط في جل الجمعيات التي كانت تعنى بها، مثل الجمعية الجغرافية والجمعية الأسيوية والاتحاد الاستعماري ولجنة إفريقيا الفرنسية وأسيا الفرنسية ولجنة المغرب التي كان من الأعضاء المتحمسين لتأسيسها. وصار المغرب شيئاً فشيئاً يستقطب باهتمامه، فأصبح من دعاة إلحاقه بالمستعمرات الفرنسية. وانكب على سبر أغوار تاريخه بعد أن كان قد تضلع في دراسة جغرافية. وصار ينقب عن المخطوطات وعن كتب التاريخ العربية. مما أوقفه على ما كان مودعا من الوثائق الغميسة ومن المراسلات والرحلات والتقارير الرسمية وغير الرسمية في مختلف ربائد الدول الأوربية. فاكتشف من الكنوز الوثائقية ما لم يكن أحد يلتفت إليه. وقرر من توه إصدار كل ذلك في سلسلة تحت عنوان *Les Sources Inédites de l'Histoire du Maroc* أو الوثائق غير المنشورة من تاريخ المغرب، صدر أول مجلد منها سنة 1905 على نفقته وصدرت المجلدات اللاّحقة بمنح من الجمعيات الاستعمارية.

ويوم أبرم عقد الحماية على المغرب، جاء دي كاستر إلى طنجة ودخل فاساً إلى جانب ليوطي الذي يعتبر من جيله. وقد اعتمد عليه ليوطي لينهض بتنظيم شؤون الخزانات المغربية وترتيب أرشيف الإدارة الفرنسية الناشئة في المغرب وخزانة الحماية. وانتهى التعاون بين الرجلين بإحداث القسم التاريخي الملحق بمكتب السياحة المغربي في باريس سنة 1919، الذي تكفل من ثم فصاعدا بنشر باقي مجلدات الوثائق غير المنشورة. وتأتّى بذلك متابعة نشرها بعد وفاة الكونت هانري دي كاستر على يد بيير دي سينفال (Pierre de Cénival) ثم روبير ريكار (Robert Ricard) ثم فيليب دي كوسي بريساك (Philippe de Cossé-Brissac) ثم شانطال دي لافرون (Chantal de la Véronne)، فهي مجموعة من سبعة وعشرين مجلدا، عشرة منها تحتوي ما يوجد في الربائد الفرنسية من الوثائق المغربية (ثلاثة مجلدات عن الدولة السعدية وسبعة عن الدولة العلوية)، وستة مجلدات تحتوي ما هو مودع منها في الربائد الهولاندية، وثلاثة مجلدات ما هو مودع في الربائد الانجليزية، وثلاثة ما في الربائد الاسبانية، وخمسة ما في الربائد البرتغالية. والسلسلة كنز مرجعي لا غنى عنه لمن يريد استكناه تاريخ المغرب منذ منتصف القرن السادس عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر، في العصر الذي مهد لتقهقر الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط منذراً بتفوق الضفة الشمالية عليها، وصار الأوربيون يتشوفون إلى إماطة اللثام عن أسرار الخصم الإسلامي وعوراته، وإلى تعميم الفائدة من ذلك في صفوفهم، مستفيدين مما عم بينهم من انتشار الطباعة وسرعة التواصل العلمي والاعلامي.

وللكونت دي كاستر العديد من المؤلفات فضلا عن السلسلة المذكورة من بين كتب مطولة وكراسات ومقالات عن قضايا الإسلام ومشاكل الاستعمار، أورد جل عناوينها بيير دي سينفال في المقال الرثائي الذي خص به صديقه الراحل بعد وفاته في العاشر من شهر ماي سنة 1927.

Pierre de Cénival, *Le Comte Henry de Castries, 1851 - 1927*, *Hesp.*, T. VIII, 3e trim., pp. 267 - 285.

إبراهيم بوطالب

دي گول والمغرب DE GAULLE، ولد شارل دي گول في ليل (Lille) إحدى حواضر الشمال الفرنسي يوم 22 نونبر 1890 من أسرة بورجوازية على جانب كبير من روح المحافظة استقرت في باريس حيث كان والده أستاذاً في التعليم الكاثوليكي الحر وكانت والدته شديدة التمسك بعقيدتها وبالتقاليد. فنشأ شارل دي گول في وسط متميز بحب الوطن وبروح الاستقامة محدود الإمكانيات مترفع عن الماديات. نشأ شغوفا بتاريخ فرنسا معتزاً بأمجادها. ولذلك مال إلى الوظيفة العسكرية فتخرج ضابطا من مدرسة سانسير (Saint-Cyr) سنة 1912. وكان أول قادته في الجيش الكولونيل بيطان (Pétain) الذي رعاه برعايته الخاصة إلى أن وقع النزاع بينهما أواخر الثلاثينيات، فإن بيطان بعد أن أصبح مارشالا غداة الحرب العالمية الأولى تدخل ليلقي دي گول محاضرات في المدرسة العليا للحرب



سنة 1927، كما أنه أذن بالتحاقه كاتباً للمجلس الأعلى للدفاع سنة 1933 مما أتاح له فرصة التفكير في أساليب الجيش الفرنسي. فأصدر كتابه الأول سنة 1932 بعنوان "حد السيف" وهو سلسلة من المحاضرات عن تاريخ فرنسا العسكري. ثم أصدر كتابهُ الثاني سنة 1934 بعنوان "من أجل جيش محترف" ألح فيه على وجوب مراجعة الاستراتيجية الفرنسية لاعتماد الآليات الجديدة كالدبابات والمصفحات والطائرات لسرعتها في التنقل وقوتها على كسر شوكة العدو، مما أثار انتباه بعض رجال السياسة والصحافة إليه وأثار عليه نقمة الأوساط العسكرية المسؤولة التي كانت ماتزال متمسكة بالأساليب السابقة، ولكن دى گول أعاد الكرة بإصدار كتابه الثالث سنة 1938 تحت عنوان "فرنسا وجيشها" يدعو إلى نفس الاتجاه فكان ذلك من أسباب فساد العلاقة بينه وبين بيطان.

ثم اندلعت الحرب، وانهزمت الجيوش الفرنسية شر هزيمة أمام المدرعات الالمانية في ربيع 1940. وكان دى گول من القلة القليلة من الضباط الفرنسيين الذين أبدوا شيئاً من القدرة على الصمود والمناورة. ولذلك ألحق بالحكومة الجديدة التي تشكلت لتدارك الموقف إذ أسندت إليه كتابة الدولة في الدفاع، لكن المعركة كانت قد خسرت جملة وتفصيلاً ولم يبق من سبل لجعل حد للنكسة إلا سبيلان، اقتسم الرأي العام الفرنسي بشأنهما إلى حزبين، أولهما يدعو إلى التفاوض مع الألمان لجعل حَدٍّ لمآسي الشعب وإيقاف الزحف الألماني قبل أن يكتسح مجموع التراب الفرنسي فيمتد إلى المستعمرات، وذلك ما كان يدعو إليه بيطان ومال إليه يومئذ الأغلبية الساحقة من مواطنيه فأسندت إليه مهام رئاسة الدولة بعد انقلاب أبيض، أما السبيل الثاني فهو سبيل متابعة المقاومة إلى جانب انجلترا إما من ترابها وإما من تراب المستعمرات الفرنسية التي كان من الصعب على الألمان أن ينالوا منها شيئاً، وهو ما دعا إليه دى گول حيث لجأ إلى لندن وأذاع إعلانه الشهير ليوم 18 يونيه 1940 منبها فيه إلى أن الهزيمة في المعركة الواحدة لا يعني الهزيمة في الحرب كلها، وأن فرنسا لها من الخيرات والرجال في مستعمراتها ولها في انجلترا من السند ما يمكنها من تحمّل من الانتقام من الخصم ورد الاعتبار لسلاحها. ولكن هذه الدعوة لم تقنع يومئذ سوى ثلة محصورة من الوطنيين الفرنسيين، على أن فرنسا أصبحت من جراء ذلك في حالة حرب أهلية داخل الحرب العالمية، مما كان له أثر مباشر على مصير المستعمرات عامة وعلى مصير المغرب خاصة الذي كان تحت الحماية الفرنسية فوجب التساؤل عن تأثير دى گول على بلادنا من يوم تزعم حزب "فرنسا الحرة" إلى أن اعتزل الحكم سنة 1946، ثم عن علاقته مع المغرب بعد أن عاد إلى الحكم سنة 1958، وكان المغرب قد استرجع استقلاله إلى أن اعتزل الحكم بصفة نهائية سنة 1969 وقد وافاه الأجل المحتوم في خريف 1970.

- دى گول والمغرب من 1940 إلى 1946 : لم يكن لدى گول أي خبرة بشؤون المستعمرات يوم دفعت به الأحداث إلى الصدارة فباستثناء زيارة خاطفة لسوريا ولبنان سنة 1929 لم يكن يعرف عن الامبراطورية الفرنسية إلا ما كان يمكن أن يدركه كل مسؤول فرنسي له غيرة حادة على مصالح وطنه وهو أن فرنسا بلا مستعمرات كالجسد بلا أعضاء. ولذلك كان مصير تلك الممتلكات في صلب النزاع بينه وبين بيطان، إذ كان بيطان يزعم أن سعيه في الهدنة مع الألمان كان بدافع الحرص على الحيلولة بينهم وبين الوصول إلى أراضي فرنسا ما وراء البحار وأن انحياز دى گول إلى إنجلترا كان ينذر بتسليم تلك المستعمرات إليها، بينما كان دى گول يرى أن الامبراطورية الفرنسية بما تزخر به من الممكنات والمقدرات هي خير قاعدة لمتابعة الحرب وعدم الاستسلام وأن الهدنة تفتح أبواب ما وراء البحار لفرنسا أمام التوسع الألماني وذلك في رأيه منتهى الخذلان والخيانة، وكان لا ينوي إطالة المقام في لندن وسعى من توه لاستقطاب ولاة المستعمرات لمتابعة القتال من هناك وأول من فاتح بذلك الجنرال نوگيس (Noguès) المقيم العام بالمغرب الذي كان أعلى رتبة عسكرية منه، وكان قد أسندت إليه منذ اللحظات الأولى من الحرب القيادة العليا للعمليات الحربية في مجموع الشمال الافريقي. فإن دى گول أبرق إليه مرتين في أواخر شهر يونيه 1940 يعرض عليه تزعم المقاومة الفرنسية من مقر مسؤوليته، ولكن نوگيس لم يكن ليمتثل لاقتراحات ضابط مغمور متواضع مثل دى گول يخاطبه من إنجلترا، واشتد التنافر بينهما بعد إقدام الأسطول الانجليزي على تحطيم الأسطول الفرنسي الذي كان منزويا في المرسى الكبير غربي الجزائر حتى لا يقع في قبضة الألمان، لكن جمهور الضباط الفرنسيين لم يغفروا ذلك في حينه لا لإنجلترا ولا لدى گول الذي كان يبدو لهم مجرد صنيعة من صنائعها. وهكذا كان الصراع على المستعمرات سبب تعميق الهوة بين الحزبين، ولما فشل دى گول من جهة المغرب حاول النزول على شواطئ السينغال بمساعدة الإنجليز (شتنبر 1940) مما جاء دليلاً آخر في أعين أنصار بيطان على ميله لتسليم ممتلكات فرنسا لخصومها، ثم في ربيع 1941 كان الصراع بين الحزبين بشأن سوريا ولبنان حيث سمح بيطان للطيران الألماني باستعمال القواعد الجوية هنالك فتدخلت انجلترا للحيلولة دون ذلك وأبى دى گول إلا أن يتدخل إلى جانبها بعض جيوش "فرنسا الحرة" على قلتها وضعفها، وأبدى من الغيرة على حماية مستعمرات فرنسا ما كان سببا متجدداً لتوتير العلاقات بينه وبين حلفائه. فأما إنجلترا بزعامة ونسطن تشورشيل (Winston Churchill) فإنها كانت تتغاضى عن ذلك ولم تواخذ دى گول على ما أبدى حيالها من الحدة في الحيلولة بينهما وبين احتلال مدغشقر مثلاً، وأما الرئيس الاميركي فرانكلين روزڤيلت Franklin

Roosevelt)، فإنه بعد دخوله الحرب ظل متحفظاً بل ونافراً من دي گول ومن عناده وعجرفته لدرجة أنه كتم عنه خبر عملية النزول على شواطئ المغرب يوم 8 نونبر 1942. ولما سمع دي گول بها وبلغه ما أبداه الجنرال نوگيس من المقاومة أمام الجيوش الأميركية لم يتمالك أن صرح قائلاً : "نعْمَ المقاومة، فإن أراضي فرنسا لا تُدخل نقبا" وذهب الحال بتحفظ الأمريكان من دي گول إلى حد البحث عن رجل ثالث لرئاسة فرنسا فمالوا جهة الاميرال درلان (Darlan) وزير بيطان في الملاحة لكنه اغتيل في نونبر 1942 ثم فكروا في الجنرال جيرو (Giraud) الذي كان سجينا في ألمانيا إلى أن استطاع الفرار فلما انعقد مؤتمر آنفا (يناير 1943) حضر من الجانب الفرنسي كل من دي گول وجيرو لكن تنافسهما على الحكم أو قفهما في المؤتمر موقف التهميش، على أن المؤتمر كان أول مناسبة يتصل فيها دي گول مباشرة بالمغرب وبسلطانه سيدي محمد بن يوسف ولعله أدرك منذ ذلك الحين أن عاهل المغرب كان يتزعم معركة شبيهة بالمعركة التي كان هو يتزعمها لفائدة فرنسا ولكن الكبرياء الاستعمارية والمصالح الملموسة ما كانت إلا لتحول بينه وبين أن يعترف للمغرب بمثل ما كان يسعى في أن يعترف به لفرنسا، ودليل ذلك أنه لما توحدت صفوف المقاومة الفرنسية حول قيادته في ربيع 1943 وتنحى له عمليا جيرو عن الحكم فإن بادر إلى إقالة نوگيس من الرقامة العامة وجعل مكانه گابرييل پووه (Gabriel Puaux) الذي كان سابقاً مندوب فرنسا السامي في سوريا ولبنان وظل مخلصا لبيطان إلى أن سمح بيطان لألمانيا باستعمال مطارات القطرين فعندئذ استقال ولجأ إلى تونس (1941) ولذلك اختاره دي گول للإشراف على المغرب علما منه بأنه سيكون خير صائن للوجود الفرنسي فيه لأن الذي كان يعني دي گول من المغرب هو مصلحة فرنسا. ومنذ نداء يونيه 1940 لم يسجل في أقواله ولا فيما كانت تذيعه "فرنسا الحرة" أي خطاب مباشر للشعب المغربي. ويوم جاء في أول زيارة رسمية للبلاد (غشت 1943) فإن طاف في أقاليمها واجتمع بالسلطان وحيته الجماهير من فرنسيين ومغاربة، إلا أنه اكتفى في خطاب الدار البيضاء (7 غشت بذكر المغرب ليس كأمة قائمة الذات ولكن كمجرد جزء لا يتجزأ من الامبراطورية الفرنسية "ملحق بمصير بلادنا (فرنسا) منذ خمس وثلاثين سنة فقط ومرتبط معنا بقيود لا شيء استطاع أو يستطيع أن يكسرها"، كما أنه لما ألقى خطابه الشهير في قسنطينة في الجزائر يوم 13 دجنبر 1943 لحث إفريقيا الشمالية على بذل مزيد من الجهد لانتزاع التراب الفرنسي من الألمان فإنه قال : "إن فرنسا بعد الاتفاق مع عاهل المغرب وتونس من خلال المعاهدات المبرمة معهما أتاحت أبواب النمو أمامهما وعليها أن تسرسل في ذلك بإشراك المزيد من أعضاء النخبة الاجتماعية المحلية في تسيير الأمور" وهذا أقصى ما كان دي گول مستعداً للسير فيه جزاء للمغاربة على ما أبدوه من الإخلاص لفرنسا يوم نكبتها الكبرى وهي الخطة التي سار فيها المقيم گابرييل پووه وكل ما سوى ذلك كان يبدو لدى گول تطاولا على حقوق بلاده إن لم يعتبره خيانه صارخة. ولذلك لما صدر بيان المطالبة بالاستقلال (11 يناير 1944) ظن دي گول أن المبادرة ربما كانت بإيعاز من الحلفاء وبلورة للقاء عاهل المغرب بالرئيس الامريكي في مؤتمر آنفا، فأبى إلا أن يتأكد من الأمر بنفسه فجاء من الجزائر وقد أصبحت مقر حكومة فرنسا الحرة إلى مراكش لملاقاة تشورشيل الذي كان يقضي بها أياماً من الراحة ولما تأكد أن لا دخل لا لإنجلترا ولا للولايات المتحدة في ما أقدمت عليه الحركة الوطنية بقيادةسلطان البلاد أطلق العنان لسلطات الحماية لتقمع بمنتهى الشراسة تلك الخطوة فألزم العاهل بإقالة وزيرين من وزرائه متهمين بمعاضدة الوطنيين وهما أحمد بركاش وعبد السلام الفاسي كما اضطر إلى إصدار بلاغ ينفي فيه أي مشاركة في بيان المطالبة بالاستقلال وألقي القبض على من ألقى عليه القبض واستشهدمن استشهد من الوطنيين بتهمة ملفقة رمتهم بالتعامل مع الألمان وبطعن فرنسا من الخلف.

وفي الوقت الذي كانت تجرى فيه هذه الأحداث في المغرب كان دي گول يترأس ملتقى برازفيل في الكونگو بين كبار المسؤولين الفرنسيين عن شؤون المستعمرات بقصد إعداد ما كان يراه ضرورياً من الإصلاح لفائدتها وقال في خطاب الافتتاح : "للأمة الفرنسية ولها دون سواها أن تشرع في الوقت المناسب في الإصلاحات الامبريالية البنيوية التي سوف تقرها بمحض سيادتها". وذلك اعتراف بضرورة الانتقال إلى طور آخر من العلاقات بين فرنسا ومستعمراتها على أن يكون الإصلاح من إملاء فرنسا وبدون أدنى ضغط عليها، ويصور لهذه السياسة أن المغرب كان ممثلاً في لقاء برازفيل بالمراقب المدني جاك بيرك بينما كان علال الفاسي منفيا في الگابون بل اشتدت ظروف نفيه لمجرد أن الحلفاء تدخلوا لدى دي گول الإطلاق سراحه، مما يدل على أن زعيم فرنسا الحرة لم يكن مستعداً يومئذ للاعتراف للمغرب بأدنى حق من حقوقه وكل ما طاب له أن يتنازل عنه هو ما أدرجه المقيم العام پووه في مقترحات الإصلاح التي عرضها على السلطان غداة قمع مظاهرات يناير 1944 وكانت كلها متجاوزة في نظر الوطنيين. ولم يفت دي گول مع ذلك أن يعترف علانية للمغرب بما قدم لفرنسا من المساعدات في محنتها، فاستدعى السلطان لزيارة فرنسا زيارة رسمية في يونيه 1945 فكان أول رئيس دولة أجنبية يزور البلاد غداه تحريرها ومنحه وسام رفيق التحرير الذي لم يمنح إلا له ولونسطن تشورشيل من الأجانب كما أمر بأن يمد المغرب بما كان في أشد الحاجة إليه من المساعدات الغذائية والطبية نظراً لما كانت عليه تلك السنة من القحط والجفاف والوباء. وانتهز السلطان الفرصة لمطالبة دي گول بتعويض گابرييل پووه بمقيم أكثر أدباءٍ

ولبــاقــة فلبى ذلك وعين السفيــر إيــريك لابــون (Erik Labonne) قبل أن يعتـزل الحكم في طليعـة سنـة 1946 لما اشتد بينه وبين الأحزاب من الخلاف حول مشروع الدستور الفرنسي الجديد المؤسس للجمهورية الرابعة.

وكان اعتزال دى گول مجرد مناورة إذ كان على يقين من أن الأحـزاب سـرعـان مـا سيـؤدي التطـاحن بينهـا إلى الاحتكام إلى سلطته، إلا أن رجال السياسة الفرنسية كانوا قد سئموا كبرياءه وميولاته للاستبداد بالقرار. هذا مع العلم أن فـرنسا خـرجت شيئـاً فشيئـاً مـن الوضعيــة التي كـانت تضطرهـا إلى من ينقذهـا فعـادت إلى سابق عهـدهـا مـن الرخاء والطمانينة. ومرت الأيام والشهور ثم السنوات ولم يناد أحد على دى گول فأسس هو بدوره حزبا من أنصاره تحت اسم "تجمع الشعب الفـرنسي". وانحصرت مهـامـه في إبداء رأيه فيما كان يتخذ من القرارات وأيضاً في تدوين مذكراته وفي تلك المذكرات قال عن الملك محمد الخامس : "هذا العاهل الشاب الأبي النفس القوي الشخصية كان لا يخفي مـا يطمح إليـه من قيـادة شعبـه على درب الـرقي والاستقلال في يـوم من الأيـام وعنـدمـا ينظـر المرء إليـه ويُـصغي وهو تـارة مشتعل حماسا وتـارة في تمام الحذر وإن كـان دائمـاً في تمام اللبـاقـة فإنـه يـدرك أنـه كـان مستعـداً للتفاهم مع كل من يساعده على القيام بتلك الأدوار قـادراً في ذات الـوقت على إبداء منتهى الإصـرار حيـال كل من يروم معـاكستـه في ذلك" وقـد استنكر دى گول عزلـه سنة 1953 وعندما تجددت التهمة على لسان بعض الملفقين بأن سيـدي محمد كان قد اتصل بـالألمان سنة 1941 وسئـل دى گـول في الأمـر في نـدوة صحفيـة (يـونيـه 1955) أجاب مستهزئـا : "اسمحوا بأن أهز كتفي فـإن ذلك قد التمس من السلطان كما التمس مثله من العديد من الفرنسيين، لكنه امتنع عنـه امتنـاعـا"، ثم أضاف قـائلاً : "هذا مع العلم أنـه رفيق التحرير" مما يـوحي بـأن امتحـانـات الحرب كـانت قـد وطدت الصداقة بين الرجلين على أساس من التقدير المتبادل وتفـانـي كل واحد منهمـا في خدمـة مصـالح وطنـه. وكـان لاشيء ينـذر سنــة 1955 وقـد استـرجـع المغـرب استقلالـه بـاحتمال عـودة دى گول إلى الحكم حتى إذا تأججت حـرب التحرير في الجزائر عندئذ تزعزعت أركان الدولة الفرنسية من جراء ذلك فأصبحت من جديد في حاجة إلى من ينقذها سنة 1958.

دى گول والمغرب 1958 ـ 1969 : مـا أن تـربع دى گـول على كرسي الحكم حتى بعث لـه محمد الخامس ببـرقية جـاء فيهـا : "لنـا اليقين بأن وجـودكم على رأس الجمهــوريــة الفرنسيـة سيساعـد على توثيق أواصر الصداقـة التي تجمع بلـدينـا وسيمكن من إيجـاد حلـول لمشـاكلنـا تستجيب لمصـالحنـا" وفي هذه العبـارة إشـارة مجملـة لطيفـة لما كـانت عليـة العلاقـات بين المغـرب ودى گـول خلال الفتـرة التي قضـاها على رأس الـدولـة الفرنسيـة وهي علاقـات الند للند والصديق مع الصديق أساسها الاحترام والتمسك بالمصالح الوطنية، وقد أشار دى گول من جهته إلى ذلك في خطاب تلفزي ألقاه يوم 4 نونبر 1960 حيث قال مشيرا إلى تونس والمغرب : "لقد استرجعت هاتان الدولتان بعد الاتفاق معنا كامل سيادتهما ونرجو أن تتصرف بهما خير شعبيهما وتأمل أن تستعملاهـا للشـروع في تعـاون مع فـرنسـا ضـروري لنموهما على ما يبدو من طبيعة الأمـور، علي أنه مـن هنا فصاعداً لا تعني قضاياهما إلا إياهما" وفي هذه العبارات مع مـا فيهـا مما يثبت مـواقف دي غول في السـابق واللاحق ويـوحي بما اعتـرض صلات المغرب بـدى گـول من العقبات نظراً لما كان في طور الانتقال مـن طور التبعية الاستعمارية إلى طور التعاون الثنائي على أساس المساواة من الصعوبة، ولـذلك يمكـن أن نميـز بين ثلاث مـراحل في هـدة الحقبـة على قصرها.

فمن 1958 إلــى 1962 كـانت العلاقـات مهـذبـة لكنهـا متـوترة وذلك لأن صداقـة دى گول ومحمـد الخامس لم تكن لتلغي تعـارض المصـالح الـوطنيـة لكل واحد منهمـا. ومن القضايـا الشائكة قضيـة جلاء الجيوش الفرنسيـة من التراب المغربي، فكان الملك يلح بشأنها وكان دى گول لا يقترح إلا تخفيض أعـدادهـا فكـاتبـه الملك قـائلاً : "استغـربنـا كل الاستغراب أن تعرض فخامتكم علينا تخفيض عدد القوات الفـرنسية المرابطة بتـرابنا في حين أن جلاء هذه القوات هـو الحل الـوحيـد الـذي يمكن قبـولـه من طرفنـا"، وكـان لهـذه القضيـة ارتبـاط بقضـايـا أخرى لاتقل عنهـا خطـورة، وهي قضيـة التجـارب النـوويـة الفـرنسيـة في الصحـراء، وقضيـة مصيـر الجزائـر المنـاضلـة عن استقلالهـا، وقضيـة استقلال مـوريطـانيـا. أمـا بخصـوص التجـارب النـوويـة فإن محمـد الخامس لم يفتأ يطالب دى گول بـالكف عنهـا مع العلم أن الأمر كـان من الأهمية بمكان في نظر الجنرال لسعيه الحثيث في تمكين فـرنسا من سلاح نـووي يبـوؤهـا مـركز المسـاواة مع روسيـا والولايات المتحدة، وقد جاء في رسالة من الملك إليـه يوم 19 أبريل 1960 : "ومهمـا كـانت قـوة التجـارب المجراة والدولة التي تقوم بها فإننـا نستنكرها سيمـا إذا أجريت في نـاحيـة مأهـولـة وفـي أرض نعتبـرهـا جـزءاً لا يتجـزأ مـن مملكتنا". أما قضية الجزائر فإنها ما كانت إلا لتظهر تعارض مصـالح المغـرب وفـرنسا، وذهب الحال بـدى گـول إلى عـرض صريح سنة 1960 بـرد ما كـان قد انتزع من صحـراء المغـرب الشـرقيـة شريطـة الكف عن مساعدة المجاهدين الجزائـريين، ولكن محمد الخامس لم يكن ليتخلى عن ذلك، كما أن دى گول لم يقبل أي مسـاومـة في أمـر مـوريطـانيـا لأن التـراب الموريطـاني كـان بمثـابـة الدرع الـواقي لإفـريقيـا السـوداء الغـربيـة مما قـد يلحقهـا من الأخطار من جهـة الشمـال. لكن المغـرب من جهتـه لم يبـال بمصـالح فـرنسا عنـدمـا أقـدم على إخراج عملته من منطقة الفرنك الفرنسي سنة 1959 وعندما شرع في استرجاع أراضي المعمرين ابتداء من سنة 1960 مما جعل أسباب الجدل تطغى في تلك الحقبـة حتى بات من غير

الممكن عقد لقاء رسمي بين دى گول ومحمد الخامس. وسئل دى گول في هذا الصدد فأجاب : "حالما تنتهي القضية الجزائرية إلى التسوية، وسوف تنتهي، إنني أكون سعيداً بملاقاة ملك المغرب"، لكن الأقدار حالت دون ذلك بما كان من وفاة محمد الخامس فجأة في فبراير 1961 وتربع الحسن الثاني على العرش فافتتحت مرحلة جديدة تمتد من 1962 إلى 1965.

إن استقلال الجزائر سنة 1962 وما ترتب عليه من جلاء الجيوش الفرنسية عن المغرب واعتراف المجتمع الدولي بالدولة الموريطانية كل ذلك مهد السبيل لإقامة العلاقات بين دى گول والمغرب على أسس مجددة. وجاءت زيارة الحسن الثاني الرسمية إلى فرنسا في يونيه 1963 خير مؤشر عن حسن الاستعداد من الجانبين، فقد قال الملك في بعض خطبه بالمناسبة : "لقد أردتم يا فخامة رئيس الجمهورية أن تشيدوا بالدولة المغربية والشعب المغربي وإنه لتكريم ثمين لأنه يصدر عن رجل جعل مدلول الدولة واستمرار تقاليدها وخلود مؤسساتها فوق جميع الاعتبارات، لذلك يسرنا كثيراً أن نعبر لكم باسم شعبنا وباسمنا الخاص بمنتهى الخشوع والصدق لا عن تشكراتنا لكلمات التبجيل والود التي عبر تم لنا عنها فحسب بل أيضاً عن الاستقبال الذي خصصتم به منذ الآن إقامتنا، ذلك الاستقبال الذي لاحظنا ولاحظ شعبنا فيه استثناءات خارجة عن الأعراف المتبعة والتي هي مصداق آخر للصداقة والتقدير والاحترام الذي تولونه للمغرب...". وسعى القائدان يومئذ في التخفيف من كل ما من شأنه أن يفسد تلك الأجواء من الصداقة، وخير ما يمكن الاستدلال به على ما كان من التفاهم والوئام مقارنة دستور فرنسا لسنة 1958 ودستور المغرب لسنة 1962، فلا مبالغة إذا قلنا إن الدستور الفرنسي المؤسس للجمهورية الخامسة قد استلهم شيئاً من النظام الملكي بما جعل لرئيس الجمهورية من النفوذ ومن سلطات التحكيم بين الهيئات والأحزاب سيما بعد أن تقرر انتخابه بالاقتراع العام وذلك على إثر استفتاء أجري سنة 1962. كما أن الدستور المغربي لسنة 1962 المؤسس لقواعد الملكية الدستورية قد استلهم من الجمهورية الخامسة عدداً من المقتضيات كسيادة الشعب وممارستها من خلال المجالس المنتخبة بالاقتراع العام وفصل السلط وكل ما يتقى به استبداد الأشخاص من سلطان القانون.

ثم حلت المرحلة الثالثة ابتداء من خريف 1965 على إثر اختطاف الزعيم المهدي ابن بركة وسط باريس واختفائه بما أبدى أنه قد اغتيل في ظروف غامضة، فترتب على ذلك تبادل التهم بين الجانبين وانسحب سفير المغرب من فرنسا لتصريح دى گول بأن العملية كانت من تدبير مدير الشرطة المغربية يومئذ وهو الجنرال أحمد الدليمي وأمره بأن يتابع أمام المحاكم. فما كان من هذا الضابط إلا أن سلم نفسه للقضاء الفرنسي الذي لم يلبث أن برأ ساحته لانعدام الحجج، مما أفسد العلاقات بين دى گول والملك إلى أن اعتزل الحكم نهائيا سنة 1969 ووافاه الأجل المحتوم سنة 1970. والواقع أن نازلة اختطاف الشهيد المهدي ابن بركة لم تكن سوى مؤشر على طبيعة العلاقات التي كان من شأن دى گول أن يقيمها مع مستعمرات فرنسا السابقة، فإنه ككل الدهاة في السياسة كان لا يعتبر إلا بالمصالح الملموسة. فإذا ما أقيمت المقارنة بين علاقات فرنسا وكل من المغرب والجزائر في تلك الحقبة تبين أن العلاقات الفرنسية الجزائرية كانت يومئذ أغزر وأرقى من العلاقات الفرنسية المغربية، وسبب ذلك يتبادر إلى الذهن إذ كان لدى الجزائر ما تحتاج إليه فرنسا من الغاز والنفط ولم يكن للمغرب نصيب من ذلك.

ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب*، نشر عبد السلام جسوس، طنجة بدون تاريخ ؛ م. بن الحسن الوزاني، *حياة وجهاد*، التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحررية المغربية، مؤسسة محمد حسن الوزاني، بيروت، 1982، 6 مجلدات ؛ *انبعاث أمة*، محمد الخامس ملك المغرب، الجزء الخامس، 1959 ـ 1960 ؛ الحسن الثاني ملك المغرب، الجزء الثامن، 1963، مطبوعات القصر الملكي ؛ الحسن الثاني، *التحدي*، المطبعة الملكية، 1983.

C. de Gaulle, *Mémoires de guerre*, Paris, 1958 - 1959; J. Lacouture, *Cinq hommes et la France*, Paris, 1961 ; C.-A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, Paris, 1978 ; *Colloque de Gaulle et le tiers-monde*, Paris, 1984 ; W. Hoisington, *The Casablanca connection, French colonial policy 1936 - 1943*, The University of North Carolina Press, 1984 ; Actes du colloque de Brazzaville, Janvier - Fevrier 1944, *aux sources de la colonisation*, Paris, 1988 ; *De Gaulle et le Maroc*, ouvrage collectif, Textes recueillis par M. Sehimi, Paris - Rabat, 1990.

إبراهيم بوطالب

الديابات، قرية تقع جنوب الصويرة لا تبعد عنها إلا بنحو ثلاثة كيلو مترات تطل على البحر المحيط ولا تبعد عن الشاطئ إلا بمسافة ثلاثمائة متر على وجه التقريب وتكاد تحادي مصب واد القصب. تحيط بها أشجار الميموزا وغيرها من جانب، فتقيها سوء الرياح التي تهب باستمرار على المنطقة وشرّ الرمال الزاحفة من الغرب. إنه موقع طبيعي هادئ. إلا أنه لا أحد يعرف أصل كلمة "الديابات" وإذا تجرأ عليه أحد من أهل الصويرة فإنه يؤوّله "بكثرة الذئاب" التي فد تكون وُجدت في وقت ما بهذه الجهة، مع الإشارة إلى أن الثعلب أو ابن آوى يسمى الذئب على العموم، والفرق بين الاثنين شاسع ـ وهناك كلام آخر يفتقر هو أيضاً إلى ما يؤيّدُه من برهان، علاوة على أن تحديد تأسيس هذه القرية وظروفه، أمر غير مضبوط.

هناك مع ذلك روايتان في موضوع إنشاء القرية وتعميرها :

تقول الرواية الأولى إن أحد الملوك السعديين ـ ولربما كان عبد المالك بن زيدان (1627 ـ 1630) الذي كان يقيم بين الحين والآخر في القلعة البرتغالية التي كانت قائمة بالجزيرة الصغيرة المحادية لميناء الصويرة حالياً وعلى يمينه ـ وانتبه الملك إلى النهر القريب الذي كان صبيبه مهما في ذلك الوقت، فأمر باستغلال مياهه وضفافه لإنتاج قصب السكر، ومن ثم صار النهر يسمى "وادي القصب"، تسمية غير واردة في الكتابات العربية وغيرها التي يرجع تاريخها إلى ما قبل عهد السعديين. وفي هذه الحال يكون العمّال الفلاحيون هم الذين انشأوا التجمع السكني المسمى "الديابات".

أما الرواية الثانية فإنها ترجع تأسيس القرية إلى باني الصويرة سيدي محمد بن عبد الله، عام 1768، أي بعد مضي مائة وثلاثين سنة على عهد عبد المالك بن زيدان السعدي. ذلك أن السلطان العلوي بنى أيضاً قصراً له خارج الصويرة على مقربة من مصب وادي القصب مازال أثره قائماً، وجله تحت الرمال التي تزحف عليه، في غياب أي انتباه أو اهتمام ممن وكّل لهم أمر صيانة الآثار ـ وقد يرجع إليه تأسيس قرية "الديابات" لإسكان العاملين بالقصر وحرّاسه. والجدير بالذكر أن "الديابات" تتوفّر على مسجد عتيق بمنارته التي تشبه إلى حدّ كبير المنارات الصغرى بالصويرة.

ظلت قرية "الديابات" معزولة عن الصويرة خلال الأجيال ولو أن نظام الحماية ألحقها إداريا بالمدينة تاركا بينهما حاجزا رمليا وإنسانيا وحضاريا واجتماعيا : لا ماء ولا كهرباء ولا مدرسة ولا شيء ينبّه الزائر إلى أنه في مكان يلتقط ولو ذرات من التقدم الحضاري الذي أصبح يغزو المغرب منذ عقود.

كانت القرية تأوي في الأربعينيات أقل من عشرين كانونا يشتغل رجالها في المهام الرعوية أو في الغابة مع حارسها الملقّب محليا "عروّگ" وهو أجنبي بالطبع. أما النساء، فقد كان شغل بعضهن جمع الأغصان اليابسة فيذهبن بها إلى الصويرة لبيعها حطبا ويبقى الأطفال في القرية، يذهب الذكور إلى الكتاب بمسجد القرية، وتشتغل البنات برعي عدد قليل من البقر أو المعز.

وظلت الأمور على هذه الحال خلال ثلاثين سنة بعد الاستقلال، وكأن "الديابات" في معزل عن العالم في منأى عن كل شيء لولا أن ظهور الحركة الهيبّية في الغرب جعلت أفواجا وأفواجا من الشبان والشابات الأجانب يتقاطرون على الصويرة، فاكتسحوا الأماكن الفارغة وبعض سطوح المنازل في حين أن معظمهم لجأوا إلى الديابات، منهم من نصب خيمة في فضائها ومنهم من فضّل الإقامة بالعراء تحت الشجر. والجدير بالملاحظة أن هؤلاء الذين أحسّوا بالاشمئزاز من الحضارة المادية في أوطانهم وجدوا السكينة في الديابات والأمن والصداقة لدى سكانها وسكان الصويرة. واستفادت منهم المدينة والديابات إذ ارتفع استهلاك المواد الغذائية وارتفعت الأكرية وتدعمت الحركة التجارية وتضاعف دخل أصحاب المقاهي والمطاعم الشعبية.

وتراجع بعد ذلك تدفّق الهيبيّين إلى أن ولّى نهائيا مع انتهاء نزعته في العالم الغربي. وعادت الصويرة إلى كسادها والديابات إلى هدوئها. إلا أن أصواتا أخذت ترتفع وتدعو إلى تغيير أوضاع الديابات، فأعارتها جماعة الصويرة الحضرية بعض الاهتمام، خصوصا في بداية هذا العقد الأخير من القرن العشرين، فمدّت إليها الأسلاك الكهربائية وقنوات الماء الصالح للشرب وبنت زهاء ثلاثين منزلا حديثا لبعض موظفي الجماعة وطريقاً ثانوياً معبّداً متفرّعا عن الطريق الوطنية الرابطة بين الصويرة وأگادير، ثم شيدت مدرسة ابتدائية. وفكّت عزلتها جزئيا بإدخالها في شبكة النقل الحضري إلى تلك المنازل أضيفت أخرى لكن مجالها الفضائي لا يمكنه أن يتوسّع أكثر لأسباب بيئية خصوصا وأن الخنزير الوحشي موجود في المنطقة ويتكاثر بدرجة تضرّ بالفلاحة، ولا يمكن قتله لأنه يحظى بالحصانة الإيكولوجية والبيئية ولو كان ذلك على حساب هؤلاء الفلاحين. ما عدا هذا التطور الطفيف، فلم تخرج الديابات من تخلفها الذي يتعمّق مع تعاقب السنوات رغم إمكاناتها السياحية ولربما أريد لها أن تبقى نموذجا حيا للمجتمع المتوغّل في العصور الماضية.

أبحاث ميدانية غير منشورة.

أحمد بنجلون

ديانا (Diana) تطابق الربة ديانا الرومانية الربة ارتيمس (Artemis) عند الإغريق، فهي ابنة جوبتير ولاطون واخت الإله أپولون.

لها وظائف متعددة عندهم، فهي ربة النور وربة الطبيعة بالإضافة إلى كونها ربة القنص والغابة التي هي من خاصياتها الرسمية.

وهذه الخاصية نجدها حاضرة في كثير من الأشكال الفنية (لوحات فسيفساء، نقائش..) حيث يرمز لها بأدوات القنص كالسهم وجعبة الكنانة.

ويبدو أنها كانت أكثر شعبية من أخيها أپولون في العالم الروماني، فليس هناك شك في كون ديانا عند الإغريق هي ربة الغابة Nemorum Comes وهي قاهرة الوحوش (Victrix Ferrarum) كما بينت ذلك إحدى النقائش التي عثر عليها بمدينة ألطاقا في موريطانيا القيصرية (*CIL* VIII, 9831) وأضفت عليها ألقاباً أخرى مثل المنتصرة (Victrix) (*CIL* VIII, 9790) وربة النور (Lucifera) (*AE*, 1957, 73) وديانا النمورية (Diana Nemorensis) أي من مواليد Nemi (*AE*, 1932, 31).

يضاف إلى كل هذه الألقاب، لقبها الكلاسيكي ألاوهو

ديانا الأوغسطية Diana Augusta وإذا كانت ديانا بالنسبة للمتعبدين هي غالباً ربة الغابة فإن هذا لا يعني أنها لم تنفرد بخاصيات أخرى، يكفينا ذكر لقب ربة النور الذي يجعلها تتشابه مع الربة القمرية Luna.

إن كل هذه الألقاب تطابق صورتها الكلاسيكية كربة اغريقية لاتينية ولكن حينما نصادف ألقاباً أخرى مثل ديانا السمارية "Diana caelestis" أو ديانا ربة الماوريين Diana Maurorum فإن ذلك يدل على أن الربة ديانا تمت مطابقتها بربة محلية كما تشهد على ذلك النقائش التي عثر عليها بكل من قرطاج (CIL VIII, 999) وسطيف (CIL VIII, 8436). يبدو أن عبادتها لم تنتشر بشكل واسع في مختلف الولايات الرومانية ففي إفريقيا كانت أقل شعبية، ونفس الأمر ينطبق على المغرب القديم حيث لم يعثر لحد الآن إلا على نقيشه واحدة بوليلي وهي عبارة عن تقدمة على شرف الربة، أهداها أحد العبيد المعتقين (IAM, 2, 345).

إلى جانب هذه التقدمة عثر أيضاً على تمثال صغير بنفس الموقع، وبالضبط في (منزل الفتى الجميل) وهو نموذج كلاسيكي يطابق النماذج الإغريقية التي أنجزها النحات الإغريقي خلال القرن الرابع قبل الميلاد، وبالتالي فهذا التمثال يجب أن يضاف إلى الفسيفساء الوليلية التي تجسد الربة في الحمام وقد باغتها اكتيون (Actéon) إن هذا المشهد ألهم عدداً من الكتاب الإغريق والرومان وعدداً من الفنانين خلال الفترة الرومانية.

الخلاصة التي يمكن أن نكونها على ضوء هذا الجرد لبعض الآثار المادية التي احتوت صورة الربة ديانا، هي أننا أمام ربة ظهرت بصورتين : الصورة الأولى مستوردة من روما ولا يشوبها أي تأثير من الولايات. والصورة الثانية ذات مصدر محلي وأولت على الطريقة الرومانية.

L'année epigraphique ; *Corpus des inscriptions latines (CIL)* ; *Inscriptions antiques du Maroc (IAM)* ; M. Euzennat, *Volubilis, nouveaux documents*, *BAM* II, R. Rebuffat, *La mosaïque du bain de Diana à Volubilis* ; J. Toutain, *Les cultes païens dans l'empire romain*, I.

عبد العزيز بل الفايدة

ابن **ديبَانْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Benadiva ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

والشخص الوحيد الذي تذكره الوثائق هو :

ابن **ديبَانْ، عبد العزيز** بن عبد الرحمن الذي كان أسيراً بفرنسا ويحمل رقم 7193 وقد أطلق سراحه يوم 6 ذي القعدة 1123 (16 ديسمبر 1711) بطلب من قائد تطوان علي بن عبد الله الحمامي.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 239.

ابن **ديبْيَةْ** ويكتب أيضاً بَنْدِيبْيَةْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Valdivia ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتوطان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 237.

محمد ابن عزوز حكيم

الدِّيَة، قدر المال الذي يجب إعطاؤه على من قتل غيرَه ظلماً، فهي تعويض حلَّ محل الثأر، تطلبها التنظيم الاجتماعي لقبائل العرب قبل الإسلام حيث لا سلطة سياسية عُليا ولكن نظام يتم فيه الاحتكام المتفق عليه بالتراضي، وكان يحدد تعويض القتل وهو الدية داخل كل قبيلة بعدد من رؤوس الإبل. وكان هذا التضامن يقتضي التضامن في دفع الدية.

أقر الإسلام الدية في حالة القتل غير العمد وأوجبها وأوجب قبولها في هذه الحالة. وقد حدد قدرها حسب نوع الضرر : القتل أو إلحاق الضرر الجسدي الموجب للقصاص، ولا تجب إلا للمسلم وتختلف بين الرجل والمرأة. وقد جاز فيما بعد أداؤها بماشية عدا الإبل وجاز أداؤها بالمال. ويتلقاها الضحية في حالة الأعطاب وورثته في حالة القتل، وكانت تتلقاها من قبلُ قبيلة الضحية.

لم تلتزم كل القبائل بالتوجيهات الشرعية في مجال الدية ولم تصرف عنها النظر حتى بعد غلبة الدولة التي تفرض أنواعاً أخرى من العقوبات. يتبين من بعض أعراف القبائل المدروسة مثل زمور وقصور تافيلالت أن دية القتيل تفرضها جماعة القبيلة على شكل مال يدفع منه قدر للجماعة وقدر لأهل القتيل، ويميزون في بعض الحالات بين دية المقتول الذي من أهل البلد والمقتول الطارئ على البلد، فقد جاء في نص من نصوص هذه الأعراف : "وأما من قتل أحدا من أهل البلد، يعطي ثلاثين مثقالاً (في آخر القرن الثالث عشر (19 م)) للشيخ، ولعائلة المقتول خمسين مثقالا، ويُرحل عن البلد". وينصّ العرف على الضمانات التي تجب لمن يعطي الدية وعلى الحدود الترابية التي يمكن أن يتحرك فيها وعلى ما يجب على من غدره في العافية أي أثناء تمتيعه بالضمانات قبل الرحيل. وقاتلُ البرَّاني يعطي للقبيلة مائة مثقال وإن قَتَل براني برَّانيا يعطي خمسين مثقالا. وقد تزيد المرأة عن دية الرجل في العرف إلى ثمانية أضعاف. ويتعامل العرف مع الجراحات بمنطق تعويضي مماثل.

أ. التوفيق، *مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، الدار البيضاء 1978.

W. Marcy, *Droit coutumier zemmour* ; L. Mezzine, *Le Tafilalet*, Rabat, 1987.

أحمد التوفيق

الدَّيْدْبان، كلمة دخيلة في اللغة العربية، ولعلها من أصل فارسي انتقلت إلى اللهجة العامية في المغرب فهي منطوقة إلى اليوم ومتداولة في لهجة الشاوية والريف، ويقصد بها تلك العشة المنصوبة وسط البحائر والبساتين والفدادين قصد حراستها خاصة إبان صلاحها ونضج غلاتها حتى لا تتعرض للسرقة والنهب من قبل اللصوص، أو التخريب والتدمير من قبل الحيوانات.

ذكر البادسي حواراً بين بعض صلحاء الريف كان أحدهم يحرس فدانه بنفسه : "... قال له وما شغلك ؟ فقلت له إن لي فداناً من قمح قد أضرني فيه الخنزير فأنا أبيت فيه في ديدبان صنعته أطرده منه..." (*المقصد*، 123) ؛ وللديدبان وظيفة أخرى كحراسة الطرق لمعرفة القادم منها عن بعد وحراسة المحلات والمعسكرات حتى لا تفاجأ بالغرباء عنها أو بهجمهات مباغته، وتتخذ لاتقاء مخاطر الحيوانات المداهمة ليلاً أو مخافة مداهمة الأعداء لشخصية بارزة "لما انهزم الجند الذين أرسلهم كلثوم لغزو البربر ليلاً وهو على وادي سبو رجعوا إليه "فأمر بديدبان فنُصب له وقعد عليه، ثم نشب القتال، وقعدت البربر تحت الدرق" (*البيان*، ج 551).

والديدبان اليوم أنواع، منها النوع المشار إليه في المصادر والذي يبنى فوق قوائم طويلة حتى يشرف منه الشخص المكلف بالحراسة على البستان أو الفدان وحتى يمكنه أن يرى القادم عن بعد، ويصلح هذا النوع كما بيّنا آنفا للابتعاد عن خطر المداهمة والمباغتة، ويوضع هذا النوع في مكان استراتيجي ويُبنى من أعواد وقوائم وقش أو من أغصان الأشجار والحشائش ويصعد إليه بسلم بسيط من حبال أو من أعواد يتم سحبها وإنزالها عند الصعود والهبوط. وفي بعض الأحيان ينصب الديدبان وسط البساتين أو الحقول وليس بداخله أحد فيعتقد المهاجم أنه مأهول. وبذلك يقوم الديدبان في هذه الحالة مقام الفزاعة بالنسبة للطيور.

وهناك نوع من الديدبان بدون قوائم ينصب عادة وسط البحائر المكشوفة للخضر والفواكه الصيفية مثل البطيخ والدلاح والفقوس وما شابهها فيقوم بالدور نفسه وبالتمويه المشار إليه.

ع. الحق البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، بيروت، 1948.

محمد حجاج الطويل

الـدِّير، اسم جغرافي متداول عند سكان الحوز بالمغرب للحديث عن قدم جبال الأطلس الكبير، وعند سكان تادلاً للحديث عن قدم الأطلس المتوسط أطلس بني ملال، وعند سكان الواجهة الشمالية للأطلس المتوسط للحديث عن منطقة اتصال هذه الجبال بالهضبة الوسطى وبالسّايس، وعند مجموعة بني علاهم بإقليم صفرو وللحديث عن إحدى فرقهم الثلاثة حيث يميزون بين بني علاهم الدّير وبني علاهم الواد وبني علاهم الجبل، وعند سكان ممر تاوريرت - وجدة وسلسلة الهُورست للحديث عن منطقة الاتصال بين هذه السلسلة وسهول الممر المذكور... وأخيراً نجد المصطلح متداولاً عند بني يزناسن للحديث عن منطقة اتصال جبلهم بسهول ملوية السفلى.

وهكذا يظهر بأن الـدِّير يعني مناطق اتصال الجبال بمناطق مجاورة غالبا ما تكون سهولا أو هضابا أقل ارتفاعاً. لكن لا يبدُو أن كل مناطق الاتصال هذه تحمل اسم الدير وإن كانت كثيرة ومتنوعة (الشكل 1). بل يبقى المفهوم إلى حَدٍّ مّا خاصاً بمقدمات الجبال الواقعة بالشمال والشمال الغربي بالنسبة للوحدات الجبلية وعلى وجه الخصوص مقدمة الأطلس الكبير جنوب مراكش ومقدمة الأطلس المتوسط من دمنات في الجنوب الغربي إلى تازا في الشمال الشرقي مروراً ببني ملال وزاوية الشيخ وأگوراي وصفرو.

ورد مصطلحا الدير والديارة أو الديرة (سكان الدير) عند عدد كثير من الدارسين والباحثين.

وتبقى الإشكالية في تناولنا لهذا الموضوع في معرفة ما يميز هذا المجال عن غيره لدرجة استئثاره بتسمية متميزة، وهل هناك في الوقت الراهن ما يبرر الإبقاء على هذا المفهوم خاصة وأن التحولات الاقتصادية والاجتماعية والمجالية التي يعيشها كل من السهل ومن الجبل والدير نفسه قد غيرت الأوضاع وأزالت لهذا المجال ما كان يُميزه ؟

نستنتج من الأدبيات التي وردت بها معلومات حول الموضوع وكذلك من ملاحظات الميدانية أن الدّير اسم يُطلق على المقدمات الشمالية الغربية للسلاسل والكتل الجبلية التي تتوفر بها مجموعة من الشروط الطبيعية والبشرية تجعل منها أحزمة أو سبيحات فاصلة وواصلة بين مجالين مختلفين طبيعيا وبشريا لكنهما متعاملان ومتفاعلان : الجبل و"السهل".

- الدّير كمفهوم طبيعي ؛

لا يوجد تشابه تام بين "الأديار" فيما يخص معطياتها الطبيعية ورسم حدودها.

فالاختلافات واردة من دير لدير بل داخل الدّير الواحد فيما يخص الارتفاعات وأشكال التضاريس وطبيعة السحنات وأهمية وطبيعة التشكيلة النباتية وأهمية وطبيعة الموارد المائية.

فإذا كان دير الأطلس الكبير يتميز بانتشار كبير لمخاريط الانصباب وبأهمية كبيرة لمياه الوديان الآتية من داخل الجبل، فدير بني ملال تضعف به أهمية هذه المخاريط وتزداد به أهمية مياه العيون.

أما الـدّير المتقطع Dir égrené فلا وجود لمخاريط

الانصباب به وتكاد كل المياه الدائمة على السطح تكون من مصدر عيون.

وبديهي أن تكون هناك اختلافات لأن الخصائص الطبيعية للمناطق التي تشكل الإطار الطبيعي للدير متباينة.

ومما يساهم في هذا التباين نجد ضبابية رسم حدود هذا المجال لا من جهة الجبل ولا من جهة "السهل". فلا أحد يمكنه وضع هذه الحدود لأن "الدّير" إذا كان يعني حزاماً فهذا لا يعني أن هذا الحزام متواصل وعمقه واحد وموحد بين الأديار.

إن الاختلافات بين الأديار وبين أجزاء الدير الواحد لا تمنع وجود قواسم مشتركة بين هذه المجالات نذكر منها :

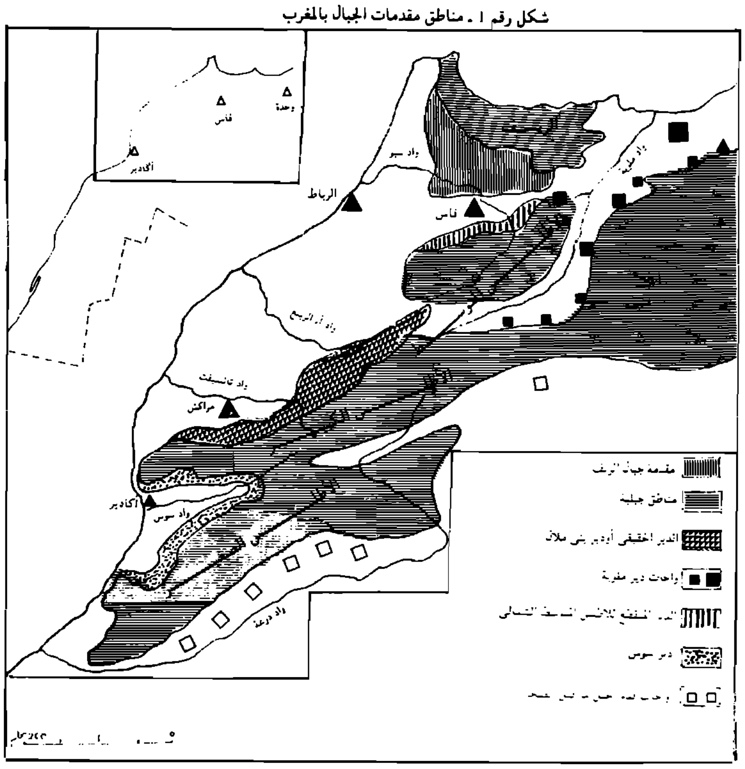
- صبابية رسم الحدود
- التدريج في الارتفاعات من حوالي 600 م كحد أسفل إلى حوالي 1500 م كحد أعلى
- التنوع في التضاريس والأشكال والسحنات الصخرية... (فالاتصال يأتي على طرق مختلفة على شكل سفح خارجي. أو حافة أي بشكل مفاجئ وقد ياتي على شكل تلال ومتون تتخللها حويضات أو على شكل درجات وأحيانا مخاريط انصباب تنتهي بحادورات...)
- وجود نقط مائية دائمة الجريان بكثافة أكبر على شكل عيون أو مجاري تزودها مياه الجبل المتجهه نحو "السهل".
- انتشار كبير للرصراصة مرتبط بمياه عيون جفت أو لازالت موجودة (بني ملال، إيموزاركندر، صفرو، تازا...)
- انتشار واسع للكلس بالجبل مما يساعد على تسرب وخزن مياه الأمطار
- مناخ أكثر رطوبة من "السهل" وأقل حرارة منه في الصيف وألطف من الجبل شتاء (350 مم إلى 700 مم سنويا)
- تربة غنية لكنها محصورة الانتشار
- ضيق الأراضي المكسوة بالغابة بالمقارنة مع الأراضي ذات التشكيلات النباتية غير الغابوية (الدوم، الوزال والضرو والزبوج والخروب والعرعر)
- تنوع في الموارد الرعيزراعية بفضل التنوع في الظروف الطبيعية أفقيا وحسب الارتفاع
- منطقة اتصال وانتقال لأنها تربط بين وحدات تضاريسية مختلفة ولأنها محطة عبور لعناصر طبيعية قادمة من الجبل ومتجهة نحو السهل (مثل التربة والمياه والبذور...) ولكونها طابقا بيومناخيا بين طوابق السهل والجبل.

عملت كل هذه الخصائص الطبيعية لمناطق الدير منذ القديم على توفير ظروف عيش أسهل وأوفر أمناً للمجموعات البشرية التي لم تكن تتوفر على وسائل للصمود في الجبال وللبقاء في السهول. ومع الاستقرار واستغلال هذه الظروف الطبيعية وما نتج عن ذلك من تنظيم متميز للمجال برز الدير كمجال جغرافي مستقل. وهذا ما جعل الدير مفهوماً بشرياً.

الدير : مفهوم بشري أكثر مما هو طبيعي

إن ما يتميز به الدير من معطيات وموارد طبيعية تحتاج إليها حياة الإنسان جعلته مجال استيطان واستقرار لمجموعات بشرية منذ زمن بعيد من دون شك. وإذا كنا لا نعرف الكثير عن السكان القدامى بالأديار وعن ظروف

شكل رقم 1 ـ مناطق مقدمات الجبال بالمغرب



استقرارهم وعيشهم بها، فمنذ القرون الوسطى الأولى بدأنا نعثر عن طريق الأدبيات التي تركها المؤرخون والجغرافيون والرحالة والمكتشفون والمبشرون على معلومات تزداد كمّاً وكيفا مع القرون تفيدنا في فهم الجانب البشري. وسنقتصر فيما يأتي على حالتي الدير الحقيقي للأطلس الكبير ولأطلس بني ملال والدير المتقطع.

اهتمت هذه المصادر بالمجموعات البشرية ومواطنها وبالتجمعات السكنية، وبموارد وظروف عيش السكان. وإذا كان من الصعب علينا ضبط هوية المجموعات البشرية التي عاشت بالديرين وتتبع حركيتها عبر التاريخ بحيث كانت هناك قبائل تظهر ثم تختفي لتخلفها قبائل أخرى... بعد صراعات أو مجاعات وأوبئة، فلا بأس من الإشارة إلى بعض هذه القبائل التي كانت بالمكان في مطلع القرن العشرين ومازالت به إلي يومنا. فبالنسبة لدير الأطلس الكبير من إيمي نتانوت إلى دمنات تستوطن المنطقة مجموعات تنتسبُ بصفة عامة إلى البرابرة المصامدة وهم عموماً سكان مستقرون ؛ نذكر منهم : النتيفة، سقصاوة، گدميوة، وزكيتة، سكتانة، مسفيوة، أگلاوة، فطواكة، ولتانة، أيت عتاب.

يوجد الجزء الأكبر من "محاطات" هذه المجموعات بالجبل وتتخذ هذه المحاطات شكلا ممدداً في اتجاه ج ـ ش أي من الأجزاء العليا نحو السهل (الحوز) وهو ما يدل على وجود حركة بين الجبل والسهل على الأقل في الماضي.

أما بالنسبة لدير الأطلس المتوسط من دمنات إلى تازا مروراً ببني ملال وزاوية الشيخ وأزرو وأگوراي وصفرو، فالمجموعات البشرية كثيرة العدد نذكر أهمها وهي : بني ملال، أيت سري زيان، أيت سگوگو، بني مگيلد، بني مطير، أيت سغروشن كندر، البهاليل، أيت يوسي أمكلا، بني يازغة، أيت سغروشن حريرة، بني وراين، غياتة.

وعلى خلاف مجموعات دير الأطلس الكبير التي استوطنت المنطقة قديماً، فمجموعات دير الأطلس المتوسط تبقى متباينة في أصولها وتاريخ استيطانها. فمن جهة نجد مجموعات قد تكون من أصل زناتي مثل غياتة وبني يازغة والبهاليل وربما بعض بني وراين أو الذين ورينو، وهي الأقدم استقراراً بالمنطقة (قبل القرن العاشر). وينتشرون بالأساس بين البهاليل غربا وتازا شرقاً.

ثم هناك مجموعات كثيرة من أصل صنهاجي وتتشكل من القبائل التي وصلت إلى الأطلس المتوسط منذ القرن العاشر (16 م) والتي كانت تنتمي لإحدى الاتحاديتين : أيت إدراسن وأيت أومالو.

ويتعلق الأمر هنا بقبائل ظلت معتمدة في حياتها على تربية الماشية والانتجاع إلى القرن العشرين الشيء الذي كان يتسبب لها في نزاعات مع سكان السهل ويجرُّ تدخل المخزن. وهذا وضع عرفته كذلك قبائل دير الأطلس الكبير قبل استقرارها، كما تؤكد ذلك دراسة أحمد التوفيق (1983) حول المجتمع المغربي في القرن الثالث عشر (19 م) (إينولتان..)

تعايشت مع هذه المجموعات القبلية مجموعات بشرية أخرى متميزة بمحدودية عدد سكانها وبأنشطتها ووضعها الاجتماعي مثل الزوايا و القصبات والقصور... وهي التي كان لها الدور الكبير في بروز الدير كمجال متميز عن السهل وعن الجبل.

اتخذت التجمعات السكنية لهذا الصنف من المجموعات مواضع لها عند الأفمام وعلى الطرق الرابطة بين الجبل والسهل والمؤدية أحيانا إلى الصحراء وبالقرب من العيون، وهذا ما جعلها تقوم بأدوار مختلفة يتعدى مفعولها الدير. منها الإشعاع الثقافي الذي كان من اختصاص الزوايا، ومنها تنشيط التجارة والصناعة التقليدية؛ فعدد كبير من هذه التجمعات كان يمثل سوقاً يشمل إشعاعه أكثر من قبيلة مجاورة، أو كان محطة على طريق القوافل بين العاصمتين فاس ومراكش والصحراء. ونقطة تجمع عدد من الصناع التقليديين والحرفيين.

ومنها الدور العسكري، بحيث علاوة على ضرورة ضمان أمن السكان المتجمعين كان دور عدد من التجمعات هو السهر على سلامة وأمن الطرق ومنع نزول بعض القبائل الجبلية بالقوة نحو السهل.

نشأت هذه الأدوار وتطورت لكن بمعية تطوير النشاط الرعيزراعي. وساهم الجمع بين هذه الأنشطة أو البعض منها في تطور بعض التجمعات من قرى عادية إلى حواضر مثل ما هو الحال بالنسبة لدمنات ولبني ملال (داي) ولصفرو ولتازا.

وبفضل هذه الأدوار يمكن نعت الدير بأنه مجال اتصال بين أهل الجبل وأهل السهل تُجسدهُ الأسواق وبأنه مجال انتقال (مراكزه تمثل نقط ربط على الطرق)، وهو حدود بين "القبائل المخزنة بالسهل والقبائل "الضعيفة التمخزن" بالجبل تجسدها سبيحات القصبات المخزنية.

أن توالي هذه التجمعات على طول منطقة اتصال الجبل بالسهل في وقت لم توجد به مراكز بالجبل ولا بالسهل (باستثناء العواصم الكبرى) أعطى ميزة أخرى لهذا المجال خاصة وأنه علاوة على منظر السبيحة سيساهم ذلك في وجود كثافة سكانية مرتفعة نسبيا وهي خاصية أخرى للدير أثارتها كل الدراسات.

لا يكفي كل ما ورد من مميزات لاكتمال صورة الدير من دون تقديم لنظامه الرعيزراعي والتنظيم المجالي المرتبط به.

فتساقط كميّات كبيرة من الأمطار كافية لقيام زراعة بعلية وتوفر مياه سطحية وباطنية يمكن تعبئتها بسهولة للري، علاوة علي الامتداد الكبير للمراعي إما على شكل أراضي عارية أو علي شكل غابات جعل مجال الدير يوفر إمكانيات متنوعة للاستغلال الرعيزراعي كيفتها

المجموعات البشرية مع نمط عيشها في إطار تضامني واقتصاد قليل الانفتاح على الخارج.

فالأدبيات التي اطلعنا عليها تتفق على الغنى الزراعي للدير مشيرة إلى التنوع في الإنتاج وإلى أهمية الأشجار والسقي.

لكن إذا كانت أوصاف ومعلومات هذه المصادر مفيدة فهي قد تكون مضللة بسبب إيحائها بأن الدير مجال متجانس استغلالاً وغنى (كله أرض مسقية وأشجار...) وهو شيء مغاير للواقع لأسباب طبيعية أولاً وأخرى ثقافية؛ وما تمييز جولي F. Joly بين الدّير الحقيقي (Le vrai dir) والدّير المتقطع (Le dir haché) باعتبار كثافة وتواصل الاستغلال والسكان إلاّ إشارة إلى تجنب الوقوع في هذا التصور الخاطئ.

فالدّير سواء تعلق الأمر بدير الأطلس الكبير أو بدير الأطلس المتوسط يبقى مختلفاً على مستوى ظروف استغلال أراضيه كما هو مختلف على مستوى مقوماته الطبيعية وذلك بارتباط واضح مع هذه المقومات ومع تاريخ وتنظيم المجموعات البشرية التي تسكنه كما ورد أعلاه.

ونظراً لكون هذه المجموعات متباينة فيما يخص: أصولها وتاريخ استيطانها للمنطقة ونمط عيشها، فطبيعة استعمال الأرض والماء... وتنظيم المجال سيخضعان لإطارين: سمّينا أولهما بإطار التنظيم المتراكز النطاقات وثانيهما بإطار التنظيم المتدرج النطاقات (محمد كربوط، 1987) (أنظر الشكل رقم 2).

أما التنظيم الأول فهي بصفة خاصة المجموعات البشرية التي يعود استقرارها إلى ما قبل القرن الحادي عشر (17 م) والتي أصبح سلوكها وإحساسها سلوك ما يصطلح على تسميته بجماعات المكان (Groupements de localité). وتدخل التجمعات السكانية قرى كانت أو مدنا بصفة عامة في هذا الصنف.

يتميز النظام الزراعي في هذا الإطار بكونه يُشركُ بين الزراعة بقطاعيها: السقوي والبوري من جهة وبين تربية الماشية من جهة ثانية في إطار نسق يتوخى التوازن وإذا كانت الأراضي المسقية تصلح لمزروعات متنوعة حولية وشجرية يتعذر القيام بها بالقطاع البوري وتبقى بفضل المياه مخضرة على مدار السنة، فإن أراضي البور التي غالباً ما تأتي بجوار القطاع المسقي وتكون أوسع مساحة منهُ لا تؤمن سوى محصول واحد في السنة يتمثل في الحبوب أو القطاني وجزء ضيق منها كان مغروسا بالزياتين أو اللوز أساساً. وكثيراً ما كان جزء منها يترك للراحة ويفتح أمام الماشية، كما كانت تفتح الأراضي الأخرى أمامها بعد جمع المحاصيل.

خارج الأراضي المتروكة - بورية كانت أم سقوية - والتي يسميها البعض بالمزرعة تنتشر الأراضي الرعوية التي تتخذ أشكالاً مختلفة من حيث غطاؤها النباتي طبيعة وتشكيلة.

وهي أراضي مفتوحة للجميع لكن دخولها قد يكون منظما من طرف الجماعة - نظام أگدال - أو حُراً.

وأما التنظيم الثاني

فكان ينطبق أكثر على الجماعات ذات الاستيطان المتأخر ونمط العيش المطبوع بنصف الترحال. وهو نظام يشرك كذلك بين تربية الماشية والزراعة مع مكانة أكبر للقطاع الأول. وكان ذلك يتم في إطار نظام نصف ترحال مرتبط بالفصلية داخل السنة الفلاحية وباختلاف المعطيات البيومناخية بين السهل والجبل والدير الفاصل بينهما.

فمحاطات هذه المجموعات كانت متميزة إما بتمددها بين الجبل والسهل. وإما بتفككها إلى رُستاقين: واحد جبلي والثاني سهلي أو بالدير. وكيفما كان الأمر، كان النزول إلى السهل (أزغار) أو إلى الدير يتم تدريجيا عبر محطات في منتصف الخريف ويتم الصعود منهما تدريجيا كذلك ابتداء من الربيع. وعند الصعود أو النزول بالقطيع كانت تتم عملية حرث بعض الأراضي وجمع بعض المحاصيل بها. وهي أراضٍ غالبا ما كانت ضيقة وتستغل في زراعة الحبوب بالأساس وعلى رأسها الذرة في القطاعات المسقية. أما الأشجار فكانت نادرة جداً.

نتج عن هذا النظام تنظيم مجالي على شكل محطات متدرجة من السهل إلى الجبل يستعملها السكان حسب فصول السنة وبارتباط مع الحركتين: الصاعدة خلال الربيع والصيف والنازلة خلال الخريف والشتاء. طبق هذا النظام عند المستويات الانقسامية السفلى (الدوار والفخدة (تيغست) لكن وجوده واستمراره كانا في حاجة إلى إطار تنظيمي أوسع (القبيلة أو اتحادية قبائل) كعمق استراتيجي يؤمن حركة الانتجاع.

اكتسب الدير شخصيته الجغرافية ليس بمقوماته الطبيعية فحسب بل بمقوماته البشرية كذلك. وإذا كانت الأولى ثابتة نسبيا، فإن الثانية في تحول متواصل ناتج عن تفاعل عوامل محلية وأخرى خارجية صاحبه تحول في كل ما ميزة عن الجبل وعن السهل لدرجة لم تعد صورة الدير الراهنة معبرة عن مضمون المفهوم.

فمجالات الدير لم تعش بمعزل عن التحولات التي عاشتها البوادي المغربية خلال القرن العشرين والمرتبطة بالسياسات المتبعة منذ دخول الاستعمار إلى اليوم إزاء الجماعات الريفية وفي ميدان تنمية الأرياف.

فقد خضعت هذه المجالات للاستعمار مبكراً (قبل 1916) وهو ماساهم في عزلها عن الجبل الذي كانت دائماً جزءاً منه. واتخذت مراكزها كثكنات أو تم خلق ثكنات جديدة تحولت إلى مراكز إدارية، وهو ما سيساهم في تركيز السكان والتمدين. ومما لاشك فيه أن استتباب الأمن بهذه المجالات قبل الجبل الذي قاوم طويلا قد ساهم في النمو الديموغرافي على غرار ما حدث بالسهل.

أما فتح الطرق فتأثيره وارد في تقوية الروابط بين

الدير والسهل وتشجيع الحركة وفي الاستغناء عن وظائف كانت تقوم بها مراكز الدير مثل تجميع السلع ونقلها وتنقل الأشخاص ونقط عبور لها وللأشخاص.

وفي الميدان الرعيزراعي عمل استيلاء المعمرين على الأراضي بالسهل (بل حتى بالدير نفسه) على تطوير الزراعة وإدماجها منذ البداية. فقد لجأ هؤلاء المعمرون إلى تعبئة المياه (من مصادر بالدير أو من الفرشة الباطنية وأكثر من ذلك عن طريق السدود كما حدث بسهل تادلا) من أجل ذلك.

ونتج عن ذلك انتشار زراعة مغلالة ومتنوعة المحاصيل ليس بالسهل فقط بل بجوار المساحات المسقية بالدير، وهو ما شوه شخصية الدير على هذا المستوى وذلك بالمساهمة في إفقاده إحدى مميزاته.

تكرست كل هذه النزعات بعد الاستقلال كنتيجة لانتشار الأمن، وتحسن التأطير الصحي وتراجع الآثار السلبية للمجاعات، وهو ماساهم في زيادة عدد السكان، الشيء الذي يفرض تأطيرهم إدارياً وخدماتيا. نتج عن هذا تقوية إشعاع عدد من المراكز وتحولها إلى إحدى قبلات المرشحين للنزوح من الأرياف. أما نتائج هذا التطور بالنسبة للدير فهي تركز للسكان وارتفاع نسبة التمدين. وهو ما يوحي بتقوية ميزة من مميزاته الموروثة التي تعزله عن السهل وعن الجبل إلاّ أن تركز السلطات بالسهل ونسبة التمدين به كانا أهم مما حدث بالدير. ويكفي أن ننظر إلى خريطتي الكثافة السكانية لـ 1971 ولـ 1982 لنلمس بأن كثافة السكان بمجالات الدير حيث كانت تتراوح ما بين 40 و80 ن / كلم2في 1971، وما بين 60 إلى 80 ن / كلم^2 في 1982 ظلت أعلى من كثافة سكان الجبل التي كان دون 40 ن / كلم2في 1971 ودون 60 ن / كلم^2 1982. لكنها دون كثافة السهل (الحوز وتادلا والسايس) التي كانت دائماً تفوق 80 ن / كلم^2.

ومع هذا التطور تكون صورة الدير كمجال كثافة سكانية مرتفعة قد زالت ومرت لصالح السهل.

أما فيما يخص التمدين، فمن الأكيد أن الدير ظل معموراً من طرف ساكنة سوادها الأعظم من الريفيين وإن كانت هناك مدن قديمة مثل تازا وصفرو ودمنات وبني ملال. لكن تحولات القرن العشرين عملت على زيادة أهمية الساكنة الحضرية. وهو ما يعكسه ارتفاع عدد المدن إلى 25 (وذلك بين إيمي نتانوت وتازا) أرتقى أكثر من نصفها إلى بلديات في 1996. وتدخل من ضمنها اثنتان في فئة المدن الكبرى (أزيد من 100 ألف نسمة) : تازا وبني ملال.

عمل اعتبار عدد من المراكز كمدن ونسبة النمو الديموغرافي المرتفعة بمعظمها على جعل نسبة التمدين ترتفع بصفة عامة لكن من دون أن تصل بعد إلى مستوى المعدل الوطني 51،4٪ في 1994). وهي نسبة جد متفاوتة من دير الأطلس الكبير إلى دير الأطلس المتوسط الشمالي.

ففي إقليم الحوز مثلاً لم يمثل سكان المدن سنة 1994 سوى 7،7٪

- وفي دائرة دمنات 11،2٪
- وفي دائرة القصيبة31،2٪
- وفي دائرة أكوراي 21،9٪
- وفي دائرة الحاجب52،3 ٪
- وفي إقليم صفرو43،2٪



وفي دائرة تاهلة 29،7٪

فالأول مازال ضعيف التمدين

إن تركز السكان بالدير والتمدين الناتجين جزئياً عن النزوح من الجبل ليقويان من ميزة قديمة لهذا المجال لكن ذلك يبقى دون ما حدث بالسهل حيث الظاهرتان أهم. وهو ما يزيل للدير ميزة أخرى ساهمت في بلورة شخصيته الجغرافية ويحوله إلى امتداد للأول كثافة وجهازاً حضرياً، وإلى مجال انتقال عوض مجال قائم بذاته.

في القطاع الرعيزراعي، تتواصل التحولات تحت تأثير حركية السكان وما ينجم عنها من تركز لهم ومن تمدين وتأثير انتشار الزراعة المندمجة بفضل مستثمرين من خارج المنطقة وتأثير تدخل الدولة بواسطة مختلف مشاريعها التنموية وتقسيماتها الترابية والإدارية. وهي تحولات متضمنة لعدة تناقضات مما يجعل تحقيقها للتنمية المستديمة مسألة تناقش.

أكيد أن المستثمرين الجدد يحولون أراضي بورية كانت خاضعة لاستغلال واسع (حبوب أورعي) إلى مغارس للورديات ومبقلات مسيجة ومسقية عن طريق الضخ من السديمة، وصحيح أن عدداً منهم قد شيد إسطبلات ضخمة لتربية الماشية والدجاج الصناعي... وهي مؤشرات تُرسخ صورة الدير كمجال فلاحي غني وكمجال للزراعة الشجرية دائم الاخضرار.

لكن في الوقت الذي يحدث فيه هذا نسجل أن الظاهرة عمت السهل منذ الاستعمار وتهم في الوقت الراهن الجبل والدير وهو ما يزيل خاصية الانفراد بالزراعة المسقية والشجرية عن هذا المجال.

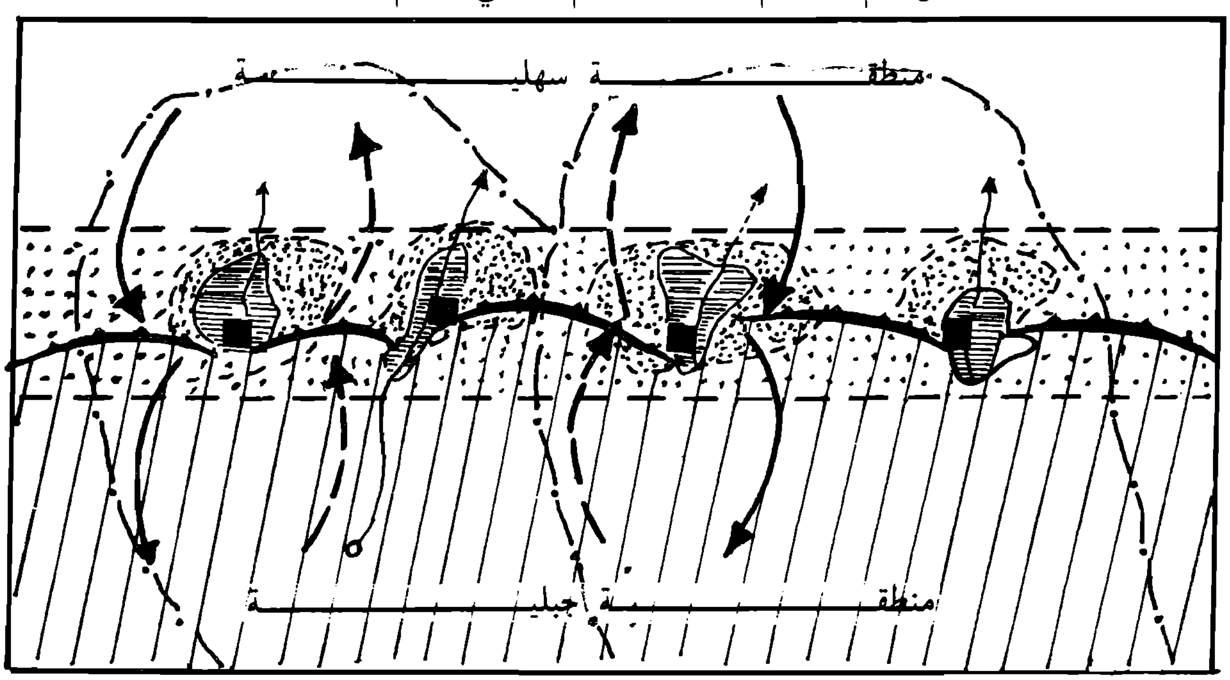
ونسجل تدهوراً كبيراً وتراجعا للزراعة المسقية التقليدية التي صنعت شهرة الدير بسبب التمدين الذي يزحف على الأرض ويحول ويلوث المياه من جهة، وبسبب الضخ المتزايد لإرضاء حاجيات الزراعة المندمجة المتوسعة والذي ثبت تأثيره على مصادر مياه السقي التقليدية التي يؤدي نقصانها إلى تبوير الأرض.

ونسجل نهاية حركات نصف الترحال التي كانت تستغل الأراضي الفارغة بين هوامش محاطات السكان المستقرين للرعي أو للمرور بسبب انتصاب ضيعات المستثمرين الجدد بها كحواجز يمنع الاقتراب منها.

إن مجرد اعتبار الدير كمفهوم جغرافي طبيعي - بمعنى التقاء بين الجبل والسهل - لا يستجيب لصفة الحزام نظراً لغياب التجانس طبوغرافيا وجيومرفلوجيا لكنه كمجال انتقال بينهما وكدرجة من حيث الارتفاعات والمناخ يبقى حقيقة وإن كانت كل مناطق أقدام الجبال لا تسمى ديراً.

ويبدو أن صفة الحزام - متصلاً كان أم على شكل حبيسة

شكل رقم 2 - رسم مبسط للتنظيم المجالي القديم بالدير



مجال زراعي مسقي

مجال زراعي بوري

مراعي

حركة انتجاع (نزول في الخريف)

حركة انتجاع (صعود في الصيف)

حافة او سفح خارجي

عين ومجرى مائي

حدود مجال الدير

حدود مجالات قبائل نصف - رحل

تجمعات سكنية

تميزت بها بعض مناطق أقدام الجبال دون أخرى ـ ناتجة عن عوامل ومظاهر بشرية أهمها : تركز السكان وانتشار التجمعات السكنية والزراعة المسقية والقيام بأدوار الوصل والفصل والمراقبة. وهذا ما أعطى هذه المناطق شخصية متميزة من الناحية الجغرافية لدرجة استئثارها بتسمية الدير أي الحزام.

لكن منذ مطلع القرن العشرين عملت التحولات الاجتماعية والاقتصادية والمجالية... الناتجة عن عوامل محلية وأخرى خارجية على تجريد الدير من صفاته وأدواره مفقدة ايّاهُ صورة الحزام وذلك بجعل السهل أكثر غنى وتركزاً للسكان وتمدينا، ومدمجة إياه فيه كهامش كثير التناقضات وكمجال مهيمن عليه. وهكذا يكون الدير قد مر من وضعية الانتساب إلى الجبل إلى وضعية الاندماج في السهل.

أ. التوفيق، 1983، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، اينولتان، 1850 ـ 1912*، الرباط ؛ ع. العزيز مونير، 1999، *الجهاز الحضري لدير أطلس دمنات ـ بني ملال، مدن صغيرة في تحول بطيء*، د. د. ع ، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط.

H. Benhalima, *Sefrou, de la tradition du dir à l'intégration économique moderne, Etude de géographie urbaine*, Thèse de 3ème cycle, Montpellier, 1977 ; A. Bellaoui, *Le Dir septetrional à l'Adrar N'Dern, un espace de transition en pleine mutation.* In *Les régions de piémont au Maghreb : Ressources et aménagement..."', Etudes méditerranéennes* n° 18 et fascicule de recherche n° 26 d'URBAMA, Tours, 1994 ; M. Bossavy, *l'économie montagnarde chez les Ait Seri du Tadla, R. G. M*, n° 1, 1939 ; J. Célérier, *La montagne au Maroc, essai de définition et de classification, Hesp*, 1938 ; *L'économie montagnarde dans le Moyen Atlas, R. G. M* , n° 1, 1939 ; *Le Maroc*, (Le dir de l'Atlas à la page 61), Paris 1946 ; J. Despois, *L'utilisation du sol dans les montagnes du* Maghreb, *Acta Geographica*, 2ème et 3ème trimestre, 1963 ; S. Guennoun, *La montagne berbère* : *Les Aït Oumalou et le pays Zaïan*.. Paris, 1929 ; F. Joly, *Les régions géographiques du Maroc*, I.G, n° 2, 1950 ; *Place des pays de piémont dans la vie économique et humaine du Maroc, Notes marocaines*, n° 13, 1960 ; M. Kerbout, *Les périmètres irrigués du dir moyen atlasique septentrional d'Agouraï à Al Manzal, Etude géographique*, Thèse de 3ème cycle, 2 tomes, Tours, 1981 ; *Originalité des zones de piémont : le cas du dir du Moyen Atlas, G.E.M. géographie humaine*, Ralat, 1987 ; L'eau dans *le dir, de l'irrigation sociale à l'inigation économique : la pénurie, ses conséquences et les stratégies d'adaptation*, in *Les régions de piémont au Maghreb : Ressources et ménagement..., Etudes méditerranéennes n° 18 et / fasc. de recherches n°* 26 d'URBAMA, Tours, 1994 ; J. Martini, *Les Potentialités agro-pastorales du Moyen Atlas Central : première approche cartographique, R.G.M.*, vol. 10, n° 1 et 2, pp. 217 - 233, 1986 ; Dr. Miègeville, *La situation économique de la région de Beni Mellal, R.G. M*, Tome 4, 1927 ; S. *Nouvel, Nomades et sédentaires au Maroc*, Paris, 1919 ; D. Noin, *La population rurale au Maroc*, Paris, 1970 ; 2 tomes, Planhol X. (de), *Caractères généraux de la vie montagnarde dans le Proche Orient et dans l'Afrique du Nord. A.G.* n° 384, vol. LXXI, 1962 ; R. Roblès. *Implantation humaine dans le dir de Beni Mellal, R.G.M.* n° 8, 1965 ; J. Saulnier, *Beni Mellal, BSGM* n° 2, pp. 34 - 41, 1916.

محمد كربوط

ديرلانجي البارون رودولف D'Erlanger le Baron Redelphe مستشرق فرنسي ينحدر من أسرة فرنسية نبيلة ذات أصل ألماني حازت ثراء واسعا. درس الرسم والموسيقى في باريس ولندن. رحل إلى تونس للاستشفاد من مرض ألم به، واختار الإقامة في ضاحية سيدي بوسعيد شمال العاصمة التونسية حيث ابتنى قصراً فخماً.

اختص ديرلانجي بالبحث في الموسيقى العربية. ومن ثمرات جهوده في هذا المجال تأليف موسوعة علمية تحت عنوان "الموسيقى العربية أساليبها وتاريخها" أنجزه في ستة مجلدات.

وقد كانت شهرته كباحث في الموسيقى العربية من وراء الدعوة التي وجهها إليه ملك مصر فؤاد الأول لاعداد المؤتمر الأول للموسيقى العربية الذي انعقد بالقاهرة من 28 مارس إلى 3 أبريل 1932. إلا أنه وافته المنية قبل انعقاد المؤتمر بأسابيع قليلة.

ترجع علاقة البارون ديرلانجي بالمغرب إلى البحوث العلمية التي كان قد أعدها حول الموسيقى الأندلسية المغربية قصد عرضها على لجن مؤتمر القاهرة وتتعلق هذه البحوث بالقضايا الفنية التالية :

ـ جدول المقامات (الطبوع) المستعملة بمراكش ومقارنتها بمقامات الموسيقى المصرية. وقد عرض الجدول على لجنة المقامات والإيقاع والتأليف التي رأسها رؤوفيكتا أستاذ بمعهد الموسيقى باستنبول، فأقرته اللجنة بالرغم من مجافاته للحقيقة، مما يدل على أنها غفلت عن استشارة المجموعة الموسيقية التي كانت تمثل المغرب في المؤتمر.

ـ تقرير حول النوبة وترتيب أقسامها في المغرب الأقصى "وكان ذلك بحضور رئيس جوقة مراكش فوافق على ما جاء بالتقرير المذكور، وقد أكد التقرير على "أن ظهور آثار الحضارة الأندلسية في المغرب الأقصى أوضح من ظهورها في الجزائر وتونس" ومن ثم "يجوز أن نعتبر الالحان الأثرية التي نسمعها الآن في المغرب الأقصى والأساليب الموسيقية التي يتتبعها موسيقيّو مدنه وحواضره ممثلة لروح الموسيقى الأندلسية".

ـ جدول الايقاعات المستعملة في مراكش ويسجل هنا أن المؤتمر تبنى في تعيين مواقع القوة والضعف في أدوار الموازين الأندلسية المغربية مصطلحي "الدم والتك" الشرقيين.

كتاب مؤتمر الموسيقي العربية المنعقد في القاهرة، القسم الفني، 1350 /1932، ص. 157 و180 و189.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ديريس Dyris ديريس أو دوريس، كلمة وردت في المصادر الإغريقية واللاتينية على أنها اسم واد أو اسم جبل في لغة المورين، سكان المغرب القديم الذي كان يدعى موريطانية. أول كاتب تحدث في هذا الشأن هو اللاتيني فتروفيوس قائلاً : "في موروسية Maurusia التي يدعوها كتابنا باسم موريطانية Mauretania، هناك ديريس Dyris الذي ينبع من السفوح الشمالية لجبال الأطلس، وفي اتجاه الغرب يصل إلى مرجة تدعى إبتاكنْوم Eptagonum، حيث يتغير اسمه فيدعى أگير Agger ويضيف موضحا أن منابع نهر النيل تتصل بهذا الواد، لأن مياهه تخترق جوف الصحراء وتصل إلى أقصى جنوب مصر حيث ينطلق النيل: Vitruve, 8, 2, 6.

حسب ديزانج في تعاليقه على الكتاب الخامس لبلينيوس الذي قام بترجمته وتحقيقه، إن الأمر يتعلق بواد كِّير Ger (واد غير) الذي ذكره بلينيوس الشيخ، في مناطق قاحلة وراء السفوح الشرقية لجبال الأطلس، التي اخترقها القائد الروماني سويتونيوس باولينيوس Suetonius Paulenius، في حملته ضد الثوار المورين حوالي سنة 42 م Pline l'Ancien, 3, 15. ثم ذكره الجغرافي بطوليمايوس : Ptolomée, 4, 6, 4. انظر: Desanges, *Commentaire* de: *Pline, p.* 139.

الكاتب الثاني بعد فتروفيوس هو الجغرافي الإغريقي سترابون. استعمل صيغة دورين في النص التالي : "عند تجاوزنا لمضيق أعمدة هرقل Colonne d'Héraklès وعلى شمالنا ليبية (قارة أفريقية)، نجد جبلا يدعوه الإغريقيون باسم أطلس بينما يدعوه البارباريون (يقصد المورين) دورين Durin" : Strabon, 17, 3, 2. وأغلب الظن أن الصيغة التي استعملها سترابون هي الأقدم، لأن أهم مصادره حول المغرب القديم تمتد من القرن الثالث قبل الميلاد مع إراتوستين Eratosthene. حتى بداية القرن الأول قبل الميلاد مع بوسدونيوس Poseidon. بعد ذلك خضع الاسم لتحوير قليل عند بلينيوس الشيخ في قوله : "هناك واد يدعى فوت Fut يبعد بنحو200 قدم عن أديريس Addiris، وهو الاسم الذي يدعى به أطلس في لغتهم يقصد المورين)" : Pline l'Ancien, 5, 13. لقد أوضح الباحث ديزانج أن الكاتب استعمل أيضاً صيغة ديريس Diris :Desanges, *Commentaires de Pline*. أما صولان الذي ينقل في الغالب عن بلينيوس الشيخ فقال بدوره : "إن جبل الأطلس يسميه الموريون أديريس" : Solin, 24, 15.

أما الجغرافي بطولمايوس، فقد استعمل كلمة من عائلة هذه الأسماء، لواد ولجبل في مجالين مختلفين. يتعلق الأمر أولا بواد يدعى عنده باسم ديور Diour، على أنه يصب في المحيط بعد أسانة Asana، في خط الطول 7 وخط العرض Ptolémée, 4, 1, 2 : 32.

بما أن أسانة هو نهر أم الربيع بإجماع الدارسين، فإن شارل تيسو قام بتحريات ميدانية لمعرفة ما يطابق ديور جنوب نهر أم الربيع. ونظراً لانعدام الوديان حتى رأس كونتان، فإنه رجّح أن الأمر يتعلق بضاية الواليدية، التي تغمرها مياه البحر وتبدو كالواد : Tissot, *Recherches*, p. 238 - 241.

أما ديزانج فقد حاول مقاربة واد ديور الذي ذكره بطولمايوس مع واد إيور Ivor، الذي ذكره بلينيوس الشيخ بين واد فوت والأطلس، مرجحا أنه هو واد كسوب جنوب موگادور Desanges, op. cit, p. 133 - 4.

ومن جهة أخرى أطلق بطولمايوس اسم ديور على جبل، ضمن حديثه عن الواجهة المتوسطية من موريطانية الطنجية، فقال : "إن سلسلة الجبال التي توجد في هذه الناحية هي ديور Diour، حيث إن وسطها يتحدد حسب الإحداثيات الجغرافية التالية : خط الطول 8 و30، خط العرض 34" Ptolémée, 4, 1, 6 .

وفي الختام نشير إلى أن الباحث گسيل Gsell, T. 1, p. 315 - 6 انتبه إلى التقارب بين هذه الأسماء القديمة : (ديريس ـ دورين ـ أديريس)، والكلمة الأمازيغية الحالية "أدرار" التي تجمع على "إدرارن"، على أنها تعني الجبل. وقد تبعه ديزانج في هذا الرأي : Desanges, op. cit., p. 133. الواقع أن هذه الأسماء القديمة لجبال ووديان هي متقاربة فعلا كلمة أدرار، التي لاشك أنها كانت مستعملة في القديم بنفس المعني الحالي. واسم أدرار القديم والمعاصر هو الذي تحول اسم "درن"، الذي أطلق على جبال الأطلس في العصر الوسيط.

من جهتنا نلاحظ تقاربا بين اسم "درن" في التاريخ الوسيط واسم "دورين" كما ورد عند الجغرافي سترابون. والاسمان معا يمكن إيجاد تشابه بينهما وبين الكلمة الأمازيغية "أدرن" وجمعه "إدرارن"، مؤنثة "تادرنت" والجمع "تيدرنين"، هو اسم شجر البلوط. فإلى أي حد نعتت جبال الأطلس منذ القديم بهذه الصفة، التي تعبر عليها كلمة قريبة من "أدرن"، نظراً لكثرة أشجار البلوط فيها.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1878 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, Paris, 1912 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; Idem, *Index de topographie antique du Maroc*, P.S.A.M., 4, 1939 ; J. Desanges, *Commentaire de Pline l'Ancien*, Livre 5, 1 - 46, Paris, 1980.

محمد مجدوب

ديزة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Deza وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 689.

محمد ابن عزوز حكيم

الديس، نبات نجيلي عشبي يسمى علماً أمبيلوديسما موريضانيكا Ampelodesma mauritanica وهو من فصيلة النجيليات Graminae أو Poaceae.

الديس نبات معمر وعشبي لكنه يشكل أجمات يبلغ علوها المتر الواحد. له أوراق طويلة جداً وخشنة عند اللمس. سيقان أزهار ترتفع إلى حوالي المترين فوق سطح الأرض. أزهاره تشبه أزهار الخلفاء في الشكل، مجتمعة في عثكول كبير.

يعيش الديس بالجزء الغربي من حوض البحر المتوسط ويكثر في المنطقة الشمالية من المغرب حيث نجده بالريف والأطلس المتوسط وجبال المغرب الشرقي وقليلاً بالأطلس الكبير الشرقي. وفي هذه المناطق لا يخرج الديس عن نطاق البيومناخات الرطبة وشبه الرطبة والأراضي الغنية بالطين.

يلعب الديس دوراً مهما في المحافظة على التربة المهددة بالانجراف.

يستعمل الديس في بعض الحالات في أنبحار أسقف المنازل.

أبحاث شخصية.

عبد المالك بنعبيد

ديسولتي Desaulty لقب عرف به جاسوس من الجواسيس الدين جندتهم السفارة الفرنسية بالمغرب لخدمة أغراض الاستعمار.

ينتمي ديسولتي أو محمد المراكشي، كما وجد مكتوباً على ظهر بعض الأوراق في الأرشيف الدبلوسي الفرنسي بمدينة نانت إلى مدينة مراكش. كان يسكن مدينة طنجة وفيها ربط خيوطه مع المفوضية الفرنسية التي جندته في شخص رئيسها رينيو Renault لإمدادها بأخبار ما يجرى في الحوز عامة ومراكش على الخصوص في السنوات الحرجة التي سبقت إعلان بيعة الحفيظ (غشت 1907).

لا ندري بالضبط سر ديسولتي Desaulty وهو الاسم الذي كان يوقع به الرجل مراسلاته سنة 1906. ولم تساعدنا المستندات المتوفرة على معرفة حقيقة انتهاء الرجل أي على معرفة أسرته بمراكش.

والذي لاشك فيه أن أسرة ديسولتي كانت من الأسر المخزنية أو المقربة من المخزن. فحسب ما جاء في إحدى المراسلات أن أهله كلهم كانوا يخدمون في بلاط الخليفة عبد الحفيظ بمراكش سنة 1906. ومع ذلك يمكننا أن نتساءل عن علاقة Desaulty بالضابط الفرنسي الذي أسلم في عهد مولاي عبد الرحمان De sorty ؟

يشير K. de Chiny إلى أن Desaulty وهو ضابط فرنسي في الهندسة هو الذي علم مولاي أحمد الصويري مهنة المدفعية وقد أسلم وخدم في بلاط مولاي عبد الرحمان. وحسب كامبون H. Cambon فإن عبد الرحمان ديسولتي ضابط هندسة فرنسي دفعته المغامرة إلى التخلي عن الزي الفرنسي، وذهب لتونس ثم استقر بمراكش وساهم في بناء عدة قصور سلطانية. وتوفي بفاس سنة 1879.

وأمام هذه المعطيات فهل، ديسولتي أو محمد المراكشي هو من أبناء أو أحفاد الضابط الفرنسي De Sorty لا نستطيع تأكيد العلاقة وإن كانت القرائن تثبتها. وفي حالة الإثبات يكون الجانب الفرنسي قد لجأ إلى خدمات فرنسي تخلى عن خدمة بلاده واعتنق الدين الإسلامي، على عكس ما ذكره كامبون من أن فرنسا لم تهتم باللجوء إلى خدمات الضابط الفرنسي (*Histoire du Maroc*, p. 442).

وعلى أي حال لم يكن الجاسوس ديسولتي وحيد نوعه. فقد كان لكل الدول الأوربية جواسيسها بالمغرب وفي البلاط السلطاني نفسه. ولهذا عمدت السفارة الفرنسية إلى إرسال ديسولتي إلى مراكش صيف 1906 لما تأزمت أوضاع المخزن واضطربت أحوال المغرب.

وصل ديسولتي إلى مراكش يوم 22 ماي 1906 عبر الصويرة، وشرع حالاً في بعث رسائله يوماً بيوم. واهتم فيها خاصة بكل شاذة وفاذة من أمور المدينة والحوز وخاصة أمور الخليفة عبد الحفيظ وتطلعاته نحو الملك. واستمرت مراسلات الرجل إلى شهر غشت 1906. ثم توقفت حسبما يستفاد من الوثائق الدبلوماسية بنانت ولا يُعرف ماذا كان سبب التوقف أو المصير الذي انتهى إليه ديسولتي. هل توجد مراسلاته كاملة في جهة أخرى غير مركز نانت الدبلوماسي أم هل توقف بأمر من السفارة الفرنسية أم نتيجة لطارئ آخر ؟ ذلك ما نتمنى أن تبرزه أبحاث أخرى في الموضوع.

Archives diplomatiques (Nantes) ; Kerdek de Chiny, *Un boulevard de l'Islam* (244) ; H. Cambon, *Histoire du Maroc.* (442).

علال الخديمي

ديفيدسن ج. J. Davidson طبيب إنجليزي تجول سنة 1830 بوادي درعة ووصل إلى تنبكتو. وكانت له علاقة مع أولاد بيروك. كان يريد إنشاء مركز تجاري بالجنوب سنة 1835 يربط بين جبل طارق والمغرب. وتوفي سنة 1836 مغتالا بنواحي طاطة بالجنوب.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج 4، ص. 1508.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome I, p. 97, Tome III, p. 80.

مصطفى بوشعراء

ديكوجيس Décugis طبيب فرنسي من أطباء البحرية رافق ده فيرنويي A. de Vernouillet سفير فرنسا لدى السلطان مولاي الحسن سنة 1877، فخرج مع الوفد من طنجة إلى فاس ماراً بالغرب وزگوطة. وكان رجوعه عن طريق مكناس. كان هذا الطبيب يقرأ خلال الطريق كتاب

روض القرطاس. وخلف أبحاثاً ودراسات نشرتها الجمعية الجغرافية الفرنسية بباريس سنة 1886 و1887. كما أنه وضع عن رحلته كتاباً نشر سنة 1878 بعنوان : *قصة رحلة إلى داخل المغرب*: *(Relation d'un voyage à l'intérieur du Maroc")*.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج 4، ص. 1527.
J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome I, p. 98.
مصطفى بوشعراء

ديلْبْريلْ، جبرائيل Delbrel Gabriel ولد بفرنسا عام 1872، وكان في طفولته وشبابه متأثراً بما كان يسمعه حينا ويقرؤه حينا آخر من أخبار عن البلدان "الغريبة" الواقعة وراء البحار. وأقرب هذه البلدان إليه أمصار شمال إفريقيا التي تبثت في اثنين منها أقدام الاستعمار الفرنسي، ونشطت الحركة التجارية معها وبدأت أفواج من الفرنسيين تتوجه إليها قصد الاستيطان أو للعمل في الخدمة العسكرية.

وفي إطار هذه الخدمة نزل ديلبريل بالجزائر جندياً مبتدئاً، تعلّم اللغة العربية واهتم بتقاليد الأهالي وأعرافهم ودينهم الذي تعلم منه بعض المبادئ، ولما صار له إلمام بهذه الأمور، وأنهى خدمته العسكرية، أقبل على مغامرة ولوج المغرب عن طريق وجدة عام 1891 وأخذ يتجوّل بين القرى والمداشر، مدعيا أنه تركي مسلم، فكان يلقي الترحاب وحسن الضيافة لدى بعض الأسر الميسورة من أهل الأرياف، ويدخل معهم في أحاديث سياسية، واكتسب مودّة مضيفيه. الذين كان يتحفهم بصور عنهم يرسمها بقلم الرصاص، فيعجبون بفنه حتى مضى بعضهم يتوددون إليه للحصول على صورة لهم.

واتفق أن تجواله في قبائل أنكاد جاء متزامنا مع وجود الأمير عمر بن مولاي الحسن الذي حلّ بتلك الجهة لعقاب القبائل التي عتَتْ عن أمر المخزن وغدت تجنح إلى الاستقلال بذاتها، وكان السلطان يومئذ يعلم أن جيش الاحتلال الفرنسي بالجزائر بث عيونه في مختلف جهات الامبراطورية الشريفة يدعون أهلها إلى طلب الحماية الفرنسية.

استطاع ديلبريل أن يلتحق متنكراً في زيّ مغربي، بمحلة الأمير عمر. ملقيا أذنا صاغية إلى الأخبار التي يتداولها الجنود والأهالي، فيسجل محاورها في مذكراته كما بات يرسم المسالك التي يمرّ بها ويكتب بعض انطباعاته عن مشاهداته.

غير أن ظهور عصاة هنا وهناك في المنطقة الشرقية وما رافق هذه الظاهرة من فتن، جعل ديلبريل يخشى على حياته، فولّى أعقابه نحو وجدة ومنها رحل إلى الجزائر.

وهناك رتّب أموره وعاد إلى المغرب وحصل على مساعدة أشخاص مغاربة وأجانب، مكنوه من الوصول إلى فاس. وفي هذه المدينة، تقرب من الأمير الشاب عبد العزيز، واستطاع أن يكسب مودّته وصداقته وعطفه.

ومكث بجانبه في زمرة أصدقائه الفرنسيين، بإيحاء من الطبيب الفرنسي المعروف بالدكتور ليناريس (Dr. Linarès) الذي كان الطبيب الخاص للسلطان مولاي الحسن، وهو يومئذ أكبر جواسيس فرنسا بالمغرب.

انبهر الأمير عبد العزيز بمواهب ديلبريل في الرسم، وكانت علاقاتهما تتطور من حسن إلى أحسن. وكان السلطان على علم بذلك، فلم يمانع، وإنما عندما قرّر أن يقوم برحلة إلى تافلالت في مستهل صيف عام 1892، أصدر أوامره بإبعاد كل الأجانب عن القصر ومنعهم من مرافقة الحاشية السلطانية ورجال المحلة المخزنية في هذه الرحلة، مهدِّدا بالويل والثبور كل أجنبي تجرأ على تعقب تنقلات السلطان المقبلة، باستثناء أجنبي واحد، ليناريس، طبيبه الخاص.

لكن الأمير عبد العزيز تدبر الأمر متجاوزاً أوامر والده، فساعد صديقه ديلبريل على الانضمام إلى رجال المحلة، متنكراً في زي مغربي، مسايراً كل تقاليد المغاربة، ومن موقع في مؤخرة المحلة لا يثير أي انتباه، وهو واع كل الوعي بعاقبة خرق التعليمات السلطانية.

مضى ديلبريل يختبئ من حين لآخر ليرسم معالم القصبات والقرى وتحصيناتها ومنازلها والطرق التي يمر منها الموكب السلطاني والجنود، فلاحظ أن السلطان غيّر مسار الرحلة من فاس إلى تافلالت، حيث لم يمر الجاسوس الشاب بالمواقع المعتادة التي ورد ذكرها في أكثر من تقرير مما كتبه المستكشفون والجواسيس المتقدّمون. وجاء في تقرير ديلبريل أن السلطان برح فاساً في أوائل يونيو 1892 ووصل إلى تافلالت بعد ثلاثة أسابيع. ثم أقام هناك إلى يوم 25 نونبر 1892.

وكذلك رافق المحلة في عودتها إلى مراكش، ونبه إلى أن بعض الجنود كانوا يفرون من المحلة فلم يعد يظهر لهم أثر، فوصل السلطان إلى مراكش يوم 20 دجنبر.

لكن، في مراكش، غدت الشكوك تحوم حول ديلبريل، وأقيمت عليه حراسة غير شديدة حتى لا يفطن بما يدور في شأنه، ولكنه علم، ولم يذكر من نبأه أنه أضحى متهما بما لن تحمد عقباه.

وأثناء آخر ليلة من شهر دجنبر 1892، خرج ديلبريل تحت ستار الظلام من غرفته بأحد الفنادق، متنكراً كذلك، ولم يعثر له بعد على أثر في مراكش، فغضب السلطان وأمر بالبحث عنه في دائرة حول مراكش تشمل الجديدة وأسفي والصويرة وطريق فاس وطريق الدار البيضاء وقيل للمخزن إن الاحتمال هو ذهاب ديلبريل إلى الجديدة للالتحاق بالقنصل الفرنسي آبريدو الذي نظم أول بريد حرّ حديث بين الجديدة ومراكش.

وبالفعل، حلّ ديلبريل بالجديدة بعد يومين من فراره وكان يتبع خطوات الرقاص الذي وظفه آبريدو لنقل الرسائل

بين المدينتين. وأمر السلطان بإلقاء القبض عليه وتقديمه إلى المحاكمة ليدوق وبال أمره، لولا أن ابريدو استقبله قبل ذلك وأخفاه في مكان ما ولم يكتشفه أحد.

أثناء هذا الحدث كانت سفينة فرنسية راسية بمرسى الجديدة، فأخرج ابريدو مواطنه في هيئة لا تتفق أوصافها مع تلك التي ذكرها رسل السلطان. وتمكن الهارب من الصعود إلى السفينة بأوراق مزورة وفي صورة لم يكتشف أحد من موظفي المخزن وشرطة المرسى من اختفى من ورائها، وكان الإبحار في العاشر من يناير 1893، والوصول إلى مرسيليا بعد سبعة أيام. كانت تقارير ديلبريل مفيدة إلى حدما للمخابرات العسكرية الفرنسية التي تعرّفت من خلالها على بعض جوانب الريف والجو السياسي المحلي الذي تميز بمؤشرات لم تكن في صالح التوسع الاستعماري الفرنسي.

ثم رجع إلى طنجة في ثاني يناير 1899، وفي حقيبته تكليف بمهمة تتعلق باستكشاف حوض وادي انّاون شمالا بين فاس وتازا وبعض الجهات الواقعة جنوب جبالة وغمارة والريف. وكان في استقباله بالمرسى مالبيرتوي قنصل فرنسا الذي اعتنى به وأوصله سالما إلى فاس. وهناك مكث بضعة أيام إلى أن أقبل عليه مرشد مغربي فتوجه إلى تازا ومناطق أخرى مجاورة. إلى أن وصل يوم الاثنين 10 فبراير إلى قصبة سيدي ملوك، ومنها دخل رفقة مرشده الشيخ سعيد إلي مغنية حيث لقيا استقبالاً فاخراً من طرف السلطات الفرنسية.

استفادت هذه المرة الاستعلامات الفرنسية من نتائج رحلة ديلبريل التي لم تستغرق أكثر من شهر، فوقفت على أسرار مواقع استراتيجية جديدة، وعلى معلومات اجتماعية وسياسية تصب أهميتها فيما يخططه منظرو الاستعمار الفرنسي للمغرب. وأشاد كل من لامارتينيير والدكتور ليناريس بما أنجزه ديلبريل في ظرف وجيز لحساب فرنسا، مما يسر توغلها في المنطقة، تمهيداً لما يسمى بالحماية.

A Laroui, *Les Origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830 - 1912)* ; De La Martinière, *Souvenirs du Maroc* ; Commandant F. Gendre, *Voyageurs et géographes, pionniers oubliés* ; H Terrasse, *Histoire du Maroc*, t. II.

أحمد بنجلون

ديلكاسي طيوفيل Théophile Delcassé سياسي فرنسي قام بأدوار طلائعية في التمهيد لعقد الحماية الفرنسية على المغرب، ولد في فاتح مارس 1852 بمقاطعة الآريبج (Ariège) بالجنوب الشرقي من فرنسا من أسرة فلاحية، حصل على الإجازة في الأدب وانضم إلى حزب الزعيم گامبيطا (Gambetta) الذي كلفه بالإشراف على قسم الشؤون الدولية في جريدته *"الجمهورية الفرنسية"* فاشتغل في الصحافة عدة سنوات إلى أن انتخب نائباً في مجلس النواب في صفوف الحزب الردكالي وتجلت خبرته بالعلاقات الدولية مما أهله لدخول الحكومة كنائب لكاتب الدولة في التجارة والصناعة والمستعمرات (17 يناير 1893 إلى 2 دجنبر 1893) ثم أسندت له وزارة المستعمرات وكان ذلك أول مرة تحدث فيها وزارة لتلك القضايا مستقلة الذات (30 ماي 1894 إلى 25 يناير 1895) فاشتغل بتعزيز الممتلكات الفرنسية وتشجيع المقاولات الحرة بها مع تقوية الوجود الفرنسي بالطونكين وكوط ديڤوار، ثم إنه تربع على كرسي وزارة الشؤون الخارجية يوم 28 يونيه 1898 فذاع صيته لما كان له من التأثير الحاسم في وطنه وفي المغرب وعلى الساحة الدولية، ذلك أنه بادر إلى نهج خطة معاكسة لما كانت عليه الديبلوماسية الفرنسية قبل أن تمسك هو بزمامها. فإنه تخلى عن مسالمة ألمانيا وسعى في تذليل أسباب النزاع مع انجلترا التي كانت هي المنافس الأول لفرنسا في مجال الاستعمار، فقبل أن يتخلى لها عن السودان الشرقي وعن منطقة بحر الغزل بعد حادثة فاشودا التي كادت أن تؤدى إلى الحرب بين الدولتين سنة 1898، ثم اجتهد في التفاهم معها ومع إيطاليا وإسبانيا لاقتسام النفوذ في إفريقيا فأبرم اتفاقية مع إيطاليا سنة 1900 مطلقاً لها اليد في ليبيا مقابل تنازلها لفرنسا عن المغرب، كما أبرم اتفاقية أولى مع إسبانيا تفك أسباب النزاع معها بخصوص الصحراء المغربية الغربية وبخصوص غينيا الاستوائية وما إليهما (يونيه 1900). كما اهتم ديلكاسي في نفس الوقت بالتقرب من روسيا فأبرم معها اتفاقية عسكرية سرية، لكن أكبر إنجازاته وأخطرها شأنا إبرامه الاتفاق الودي مع انجلترا وساعده في ذلك وفاة الملكة ڤيكتوريا (Victoria) سنة 1903 وجلوس إدوارد السابع على العرش، وكان أكثر تعاطفاً مع فرنسا من والدته، وأيضاً شروع ألمانيا في تنمية أسطولها مما أقلق الحكومة الأنجليزية وجعلها تصغى إلى مفاتحات ديلكاسي وانتهى الأمر إلى الاتفاق الودى بين الدولتين (8 أبريل 1904) الذي تخلت فرنسا بمقتضاه لأنجلترا عن امتيازاتها في مصر مقابل تخلى انجلترا لها عن امتيازاتها في المغرب شريطة أن تكون شواطئ المغرب الشمالي وما وراءها من الأرض من نصيب إسبانيا، أما طنجة فتقرر أن تبقى منطقة دولية وأدركت ألمانيا على التو ما كان في مبادرات ديلكاسي من التآمر عليها ومن المضايقة لها في أوربا وفي المجال الاستعماري، وكان رد فعلها عنيفا حيث أبى الامبراطور غليوم الثاني إلا أن يزور مدينة طنجة ليعلن من هناك تمسكه بسيادة المغرب وبوحدة ترابه وأمر حكومته بأن تمارس كل الضغوط الديبلوماسية على الحكومة الفرنسية لإرغامها على إقالة ديلكاسي وذلك ما حصل في يونيه 1905.

وهكذا كان لهذا الرجل أبلغ الوقع على مصير المغرب، فإنه هو الذي وضع الخطوط العريضة الأولى للحماية الفرنسية عليه، ودليل ذلك منبسط في مراسلاته المنشورة

حيث تبدو منها خطة واضحة ثابتة وإصرار في التنفيذ امتد على مدى سبع سنوات فإنه قال في رسالة بتاريخ 9 يوليوز 1903 : "ليس من العبث أن نذكر بعدم جدوى مارمناه منذ نصف قرن لتسريب نفوذنا إلى المغرب من خلال حدود الجزائر بالرغم مما كان يفترض أن يعود علينا من الفوائد لمجاور تناله، وذلك أن قبائل مغربية ذات بال ظلت تقوم بين الجزائر والمغرب مقام حجاب لا يخترق [...] فلما أبرمت الحكومة مع السلطان أوفاق 1901 و1902 كان غرضها من ذلك تغيير هذه الأوضاع التي ما كانت لتدوم دون أن يترتب عليها أضرار كبرى علينا، وإذا ما تتبعنا تطبيق ما لابد أن يترتب على تلك الأوفاق من التدابير السياسية فإنه يجوز أن نتشوف في ظرف وجيز وبموافقة المخزن إلى إقامة العديد من مراكز الاتصال مع الإمبراطورية المجاورة من خلال أراضي تلك القبائل بعد تمهيدها، ومن ثم تتحسن علاقاتنا مع السلطان في أقرب الآجال".

وجاء في رسالة يوم 27 أبريل 1904 قوله : "على السيد سانت أولير (Saint - Aulaire) والسيد گايار (Gaillard) أن لا ينيا في ترديد القول بأننا نتقدم إلى المغرب كأصدقاء يسعون في ازدهاره لأن ازدهارنا رهين بذلك وأننا لانرمي إلى النيل من نفوذ السلطان بل إننا على العكس منشغلون بالرفع من جاهه [...] وأننا ننتظر في المقابل أن يتفهم المخزن مجهوداتنا وأن يسعى مخلصا في مؤازرتنا" ثم قال في رسالة يوم 3 ماي 1905 : "قل لابن سليمان بلسان الصرامة إنه لا يمكن أن يتوسط بين الحكومة الفرنسية والحكومة المغربية أية قوة أخرى مثلما أنه لا يوجد أي بلد يتوسط بين المغرب وبين فرنسا الجزائرية فانه لايحد المغرب إلا فرنسا" وهو الذي وضع برنامج الحماية الأول وكلف سان ريني طايانديه (Saint-René Taillandier) بفرضه على المولى عبد العزيز. ومما جاء في ذلك البرنامج قوله : "مهمتنا تكمن من أجل مصلحتنا الداتية في السعي في مصلحة المغرب ومن أجل سلامتنا الذاتية في العمل على مساعدته على إرساء الأمن والنظام في ترابه ومن أجل ازدهارنا الذاتي في تزويده من أدوات استثمار ما يزخر به من الخيرات بحيث يبقى على ما كان عليه من أشكال العيش ويحتفظ بأعرافه وقوانينه وروسائه تحت إمرة السلطان بعد تقوية نفوذه وإمداده فلا يشعر بقوتنا إلا من جهة ما سيترتب عليها من النعم".

وامتد تأثير ديلكاسي على الأحداث في المغرب حتى بعد انفصاله عن وزارة الشؤون الخارجية فإنه ظل يعمل من أجل إنجاح سياسته سواء من خلال مجلس النواب أو من داخل الحكومة حيث كان وزيراً للملاحة البحرية من مارس 1911 إلى يناير 1913 ثم كان سفيراً في روسيا تلك السنة وعاد إلى الحكومة كوزير للحرب بضعة أيام في شهر يونيه 1914 ثم وزيراً للشؤون الخارجية مرة أخرى في غشت 1914 إلى أكتوبر 1915 وهي السنة الأولى من الحرب العالمية.

وبعد ذلك اعتزل السياسة وإن ظل يوثر على مصير المغرب بصفة غير مباشرة، إذ تزوجت بنته سوزان سنة 1920 من الضابط شارل نوجيس (Ch. Noguès) الذي كانت له أدوار مرموقة في التمهيد العسكري وفي إدارة الحماية العليا إلى أن أسندت له الإقامة العامة. فكان مصير المغرب بيده من سنة 1936 إلى 1943.

توفي طيوفيل ديلكاسي يوم 21 فبراير 1932 بمدينة نيس.

Documents diplomatiques français ; B Yvert, *Dictionnaire des ministres 1789 - 1989*, Paris, 1990.

إبراهيم بوطالب

الدَّيْمَان، أسرة تطوانية أشار إليها عمر لوقش في قصيدته المشهورة : وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1621.

محمد ابن عزوز حكيم

الديماني، علي بن الحسن، أو الدوماني كما في بعض الوثائق. لا يبعد أن يكون أصله من عائلة بني ديمان الصحراوية، وهي من الأسر التي نبغ فيها عدد من رجالات العلم والأدب. لم يحظ الديماني بعناية أصحاب التراجم فيما رجعنا إليه من المظان، وتكاد المعلومات عنه لا تخرج عما أورده عن نسبه في مستهل كتابه *"روضة التحقيق في ذكر مناقب آل الصديق"* الذي ألفه للحديث عن مناقب وأخبار الشيخ الصوفي محمد بن إبراهيم التمنارتي (ت. 971 ـ1563) لا يذكر لنا الديماني شيئا عن طبيعة علاقته بمنطقة تمنارت، ولا عن دواعي تأليفه هذا. وكل ما نعلم هو أن هناك مريدين وتلاميذ من أصل صحراوي يرتادون باستمرار زاوية تمنارت. وكان للبعض منهم مكانة خاصة لدى الشيخ التنمارتي كخديمه علي بن أبي العباس بن أبي زكرياء الديماني، ويحيى بن موسى الديماني الصحراوي. والظاهر في سياق ما يورده الديماني عن التمنارتي، أنه إستقى معلوماته اعتماداً على روايات من أخذ عن هاتين الشخصتين. وهذا ما يقودنا إلى تأكيد كون الديماني لم يعاصر التمنارتي وإنما ألف كتابه في مرحلة متأخرة قد تكون القرن السادس (12 م) "بعدما مضى من أخبار الشيخ الصحيحة ما ذهب وبقي ما يبقى في الأسمار عند العوام والعجائز". ويبدو من خلال مؤلفه بعض ملامح شخصيته المتسمة بالصبغة الصوفية الصرفة، وتتراءى هذه الصورة حينما يبالغ في تعداد مناقب وكرامات الشيخ التمنارتي بأسلوب بسيط يغلب عليه الاستطراد.

علي بن الحسين الديماني أو الدوماني : *روضة التحقيق في ذكر بعض مناقب آل الصديق*، مخطوط ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل*

مؤرخ *المغرب*، دار الكتب، الدار البيضاء، ج 1، ص. 83 ؛ المختار السوسي، *المعسول*، ج 7، ص. 35 ـ45، سوس العالمة، ص. 219 ؛ أ. بن الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، القاهرة، 1989.

أحمد بومزكو

الديموقراطية كلمة يونانية Démocratia تعني حكم الشعب بالشعب، وتقتضي توسيع مجال الحريات العامة، ومشاركة المواطنين في تسيير شؤون البلاد عن طريق ممثليهم في البرلمان. للنظام الديموقراطي جذور تاريخية بالمغرب فيما يسمى بنظام الجماعات خصوصاً في المناطق القروية التي كانت تتمتع بالاستقلال الإدراي بالنسبة للحكومة، وتحتوي على هياكل إدارية وقضائية تمكنها من تسيير شؤونها المحلية.

ومنذ 1912 إلى 1956، أي طيلة عهد الحماية، وقع تهميش الهياكل الجماعية، ولم يبق للجماعة أية سلطة فعلية، الشيء الذي أدى برجال الحركة الوطنية آنذاك إلى أن ينتقدوا بشدة هذه السياسة الاستعمارية معتبرين أنّ نظام الجماعات يمثل مبدءاً ديمقراطيا يجب احترامه.

ولما أحرز المغرب على استقلاله انكبت جهود المغاربة بقيادة محمد الخامس على وضع الركائز الأساسية للديمقراطية في البلاد، فصدرت ظهائر وقوانين في مجال الحريات العامة والنقابية والوظيفة العمومية. كما شملت أيضاً هذه التوجهات الديمقراطية ميدان الانتخابات وتنظيم الجماعات المحلية.

كان المجلس الوطني الاستشاري أول تجربة ديمقراطية فعالة بعد الاستقلال، مَثَلَ الرأي ـ العام الوطني في تلك الظروف تمثيلاً واسعاً بقدر الإمكان، وشارك فيه ممثلون عن الحزبين الوطنيين : الاستقلال والشورى والاستقلال، والمنظمات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والنقابية، ومنظمات الشباب والرياضة.

تأسس المجلس الوطني الاستشاري بمقتضى ظهير شريف مؤرخ في خامس وعشرى ذي الحجة عام1375 / 3 أغسطس 1956 واستمرت جلساته منتظمة إلى نهاية دورة 1959. وصدر في هذه الأثناء ظهير الحريات العامة سنة 1958 الذي حرّم نظام الحزب الوحيد بالمغرب وفتح الباب مشرعاً للحياة الديمقراطية.

وفي شهر شتنبر 1959 صدر الظهير الشريف المتعلق بانتخابات المجالس الجماعية، كما صدر في 23 يونيو 1960 الظهير الشريف المتعلق بالنظام الجماعي. وفي 21 شتنبر 1963 صدر ظهير بشأن تنظيم العمالات والأقاليم مازال ساري المفعول مع ما أدخل عليه من التغييرات.

وقد ركزت هذه النصوص على تنظيم الجماعات المحلية بصفة قانونية فيما يخص مجال الانتخابات بالنسبة للمجالس الجماعية، وفيما يخص التسيير الإداري اليومي بالنسبة للجماعات كلها. ومن هنا عرفت بلادنا أول تجربة لنظام اللامركزية الذي يعد بمثابة الديمقراطية المطبقة على الإدارة كما عرَّفه بعض الفقهاء. وتعتبر الجماعات المحلية كأداة لتدعيم هذا النظام الديمقراطي اللامركزي.

اعترف هذا النظام بوجود قضايا محلية يسند أمر إدارتها إلى هيئات محلية منتخبة تتمتع بالشخصية المعنوية وبالاستقلال المالي في إطار خضوعها لوصاية إدارية تمارس عليها من طرف السلطات المركزية. وخصص دستور 1962 للجماعات المحلية باباً خاصاً نجده كذلك في دستور 1970 ودستور 1972 وفي الدستور الحالي. واعترف الدستور بوجود قضايا محلية يُسند تدبيرُ شؤونها إلى جماعات منتخبة، يقول الدستور : "تنتخب الجماعات المحلية مجالس تتكلف بتدبير شؤونها تدبيراً ديمقراطياً طبق شروط يحددها القانون".

وفي شهر يوليوز 1975 أُعلن عن تنظيم انتخابات محلية كما أُعلن عن توسيع اختصاصات الجماعات التي ستنبثق عن هذه الانتخابات. ثم أتى خطاب 8 يوليوز 1976 الذي أوضح فيه جلالة الملك فلسلة النظام الجماعي الجديد. وفعلاً ذهب المغرب بعيداً في المسلسل الديمقراطي المحلي إذا ما قارنا النظام الجماعي الحالي مع ما يوجد في بعض الدول التي تسير في طريق النمو.

وقد تعزز هذا الاختيار الديمقراطي بجعل الجهة جماعة محلية كباقي الجماعات الأخرى تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي يتولى تدبير شؤونها بحرية مجلس ينتخب بطريقة ديمقراطية لمدة ست سنوات. وهكذا بعد خضوع الجهة للتجربة في إطار ظهير 16 يونيو 1971 المتعلق بإحداث المناطق الاقتصادية تَمَّ الارتقاءُ بالجهة إلى مستوى الجماعة المحلية بمقتضى دستور 1992.

وبعد المصادقة على مراجعة الدستور في استفتاء 13 شتنبر 1996، أصبح للجهات إطار قانوني جديد يضع أسسه القانون رقم96 / 47 المتعلق بتنظيم الجهات والذي صدر بتنفيذه ظهير شريف مؤرخ في 12 أبريل 1997. والجديد في الإصلاح الدستوري الأخير هو توسيع اختصاصات البرلمان مع إنشاء غرفتين : مجلس النواب ومجلس المستشارين، الشيء الذي يدعم الركيزة الثانية للنظام الديمقراطي أي مشاركة المواطنين في تسيير شؤون الدولة.

وبالجملة ركز المغرب جهوده طيلة السنوات الأخيرة على إرساء قواعد الديمقراطية سواء على الصعيد الوطني بالنسبة للمؤسسات الدستورية أو على الصعيد المحلي، وعلى ترسيخ دولة الحق والقانون التي تعد الركيزة الأولى في إرساء الديمقراطية وذلك بإنشاء محاكم إدارية في جل جهات المملكة وإنشاء مجلس استشاري لحقوق الإنسان. وبهذا يكون المغرب قد دعم ركائز النظام الديمقراطي بتوسيع مجال الحريات العامة وحماية حقوق الإنسان.

الجريدة الرسمية، الرباط، 1956 ـ1999 ؛ *المدونة القانونية للجماعات المحلية بالمغرب*، مراكش، 1997 ؛ ع. الرحمان جمجامة، اللامركزية مع اللاتمركز والديموقراطية المحلية في الخطاب الملكي ـ من إرسال التجربة إلى إعلان الإصلاح الجهوي، 1955 ـ 1995، الرباط، 1996.

S. Ben Bachir, *L'Organisation administrative du Maroc*, Rabat, 1968 ; A. Sedjari , *Le système d'administration territoriale au Marov* in *L'administration territoriale au Maghreb*, Rabat ; E. De Laubadaire [etal...] Traité de *Droit Administratif*, Paris, 1992 ; H. Ouazzani Chahdi, équation ? in *Décentralisation et pratiques locales de déveloqqement*, Casablanca, 1996 ; *Droit de l'homme* et *Administrations Publiques : le cas du Maroc*, Bruxelles, 1997 ; *Droit Admimistratif*, Rabat, 1997.

الحسن الوزاني الشاهدي

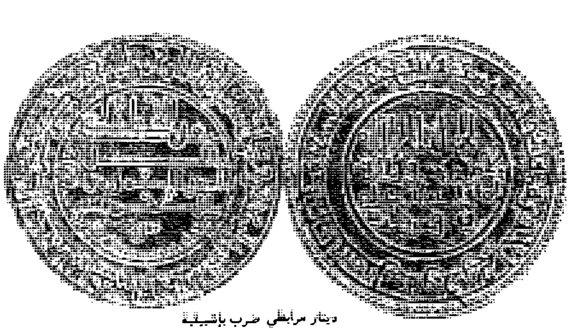
الدينار، كلمة لاتينية Denarius وهو قطعة نقدية ذهبية، وخلال العهود القديمة كان المغاربة يستعملون النقود الذهبية الأجنبية، وقد حملت الطلائع الأولى للفتح الإسلامي لشمال إفريقيا الدينار الذهبي الإسلامي، ونظراً لوضعية الدولة الإدريسية التي كانت تعيش وضعية اقتصادية محدودة، فلم تقم بضرب النقود الذهبية واكتفت بسك النقود الفضية، لعدم توسع الدولة الإدريسية تجارياً نحو مناجم الذهب الإفريقية، وظل سك النقود الذهبية من الحقوق التقليدية للخلافة العباسية في الشرق، ولم يقع تجاوز هذا التقليد في الغرب الإسلامي إلاّ في عهد الأمير عبد الرحمان الثالث بالأندلس حيث سك الدينار الذهبي في بداية القرن الرابع (10 م).

وفي العهد المرابطي ظهرت الدنانير الذهبية المغربية بوفرة بفضل نموّ تجارة القوافل مع إفريقيا واتسعت الامبراطورية المرابطية نحو الأندلس، كان الخط الكوفي سائداً في العهد الإدريسي وفي العهد المرابطي ظهر الخط اللين "خط الثلث المغربي" على الدنانير، وفي العهد الموحدي اختفى الخط الكوفي وظهر خط الثلث المغربي على جميع القطع، وكما ضرب الموحدون الدرهم الفضي المربع رسموا الشكل الرباعي على الدنانير الذهبية المستديرة، ولعل ذلك راجع إلى التعارض السياسي والمذهبي الذي كان سائداً بين الموحدين والمرابطين، فسعوا لإظهاره على النقود، وشمل هذا التعارض أيضاً الأوزانَ النقدية فجاء الموحدون بوزن مخالف للدنانير المعروفة في الغرب الإسلامي فأصبح الدينار المغربي أكبر وزناً من الدينار الشرعي إذ كان الدينار الشرعي يزن 72 حبة من الشعير الوسط (= 4،1594غ) بينما يزن الدينار الموحدي 84 حبة من الشعير الوسط (4،8526 غ).

ولقد استفاد المرابطون والموحدون من كميات الذهب التي تراكمت في المغرب نظراً للتوسع في مجال التجارة الصحراوية، شكل ذهب السودان المزوّد الرئيسي لدُور السكة المغربية حتى القرن السابع (13 م) لكن تحول المسالك التجارية في عهد بني مرين في القرنين الثامن والتاسع (14 و15 م) في اتجاه المغرب الأوسط وإفريقية ومصر انعكس سلباً على دور السكة المغربية التي افتقدت ذهب السودان ومع ذلك ظلت الدولة المرينية تستفيد من الأرصدة الذهبية للعهد الموحدي وما كانت تحصل عليه من الغنائم.

وقد ارتبط عهد السعديين بفتح المنصور الذهبي للسودان واستفاد هذا العهد من الذهب الإفريقي الذي كان يغذي التيار التجاري المتجه نحو البحر المتوسط بعد أن تصل القوافل إلى المراكز المغربية القديمة المتاخمة للصحراء مثل نول لمطة وسجلماسة. ورغم ما أكده لومبار وهو من المهتمين بحركة المعادن النقدية ومناجمها من كون "الذهب لا يبقى في المغرب وإنما يمرّ به فقط" فقد استفادت دور السكة المغربية من ذهب إفريقيا، ولدينار صيد في مختلف المتاحف من الدنانير الذهبية التي كانت تضرب في معامل السكة بنول لمطة وسجلماسة ومعامل تارودانت ودرعة ومراكش وفاس.

لم تستمر هذه الوضعية بعد العهد السعدي إلا قليلاً، ففي العهد العلوي ونتيجة لتحول الطرق التجارية نحو سواحل السودان بعد تقدم الكشوف الجغرافية، تضآلت هذه الاستفادة تدريجياً حتى انقطعت بعد منتصف القرن الثالث عشر (19 م) بقليل، فقد كانت الكمية القليلة من الدنانير التي ضربت بدار السكة بفاس سنة 1868 من أواخر الدنانير التي ضُربت في القرن الثالث عشر (19 م) وقد انسحبت من التداول نهائياً في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان تأخر استعمال دينار التبر في الجنوب المغربي، وذلك نظراً لندرة الدنانير المضروبة واختفائها، وكان التعامل بها جارياً في المناطق المتاخمة للصحراء التي لا تزال القوافل التجارية تحمل إليها كميات من التبر (مسحوق الذهب) وقد وقع التعامل بتعويض قطعة الدينار بوزن مضبوط يدعى المثقال الذهبي أو دينار التبر ويزن 4،50 غ وقد استعملت هذه الوحدة في منطقة توات ودرعة وسوس، ويلاحظ أن وزن هذا الدينار في هذه المناطق يفوق وزن الدينار الشرعي البالغ 4،25 غ، وقد استغرب مارتان من



دينار مرابطي ضرب بإشبيلية

ذلك دون أن يعطي تعليلاً واضحاً، غير أن السنوات الأولى من القرن العشرين عرفت اختفاء الدينار الذهبي بالمغرب، فلم تبق منه إلا قطع محفوظة للذكرى عند بعض الخواص.

إن الأسباب التي أدت إلى تدهور القاعدة الذهبية للعملة المغربية وزوال الدينار المغربي من الرواج متعددة أشرنا إلى بعضها مما يتعلق بالتيارات التجارية، ولكن هناك ظروف أخرى داخلية تتعلق بالقحوط والطواعين التي عرفتها بداية القرن الثالث عشر (19 م)، وما استجد على المغرب من التدخل الأجنبي الذي واجهته البلاد في معركة إسلي وحرب تطوان، هذه الحرب التي استنزفت عسكرياً واقتصادياً طاقات البلاد وأفقدتها الغرامة الناتجة عنها وتوابعها كل الأرصدة الذهبية والفضية وما كان يتمتع به المغرب من توازن في مختلف المجالات.



دينار بني مدرار بسجلماسة

وقد عرف المغرب في عهوده التاريخية المختلفة أنواعاً من الدنانير تحمل سمات حضارية متميزة تعتبر مجالاً للبحث والدراسة في هندستها وأحجامها ونقش أشكال الحروف وأنواع الخطوط، وتقسيم فضاءات القطعة في المركز والهامش على الوجهين، إلى ما ذكرناه من اختلاف الأوزان وتحديد عيار الدينار ومقدار صفائه. إلى المدلولات الدينية والمذهبية والشحنات السياسية التي تحملها العبارات الكتابية المنقوشة عليها والتي تعتبر كل دولة دنانيرها مجالاً لإعلان مذهبها لتخليد أفكارها ويمكن الرجوع إلى كل ذلك في بعض مظانّه الخاصة.

وفي مجال الرواج النقدي عرف الدينار بالمغرب أنظمة وأسماء خاصة في الرواج والحساب تستقي أصولها أحيانا من الخصائص والمعطيات المذكورة آنفاً وتستقيها أحيانا أخرى من عمليات الصرف ونظام التداول.

من هذه الأنظمة أن الدينار يشكل وحدة أساسية مبنية على القاعدة الذهبية، حسب الشريعة الإسلامية التي تعتبر الذهب القاعدة النقدية الأساسية في كل المعاملات، وقد استمرت هذه القاعدة منذ العهد المرابطي والموحدي إلى العهد العلوي حتى القرن الثاني عشر (18 م) عندما قام السلطان محمد بن عبد الله بإصلاحه النقدي سنة 1766 فبناه على القاعدة النقدية الفضية ووقع التراجع شيئاً فشيئاً عن القاعدة الذهبية، ويفسر هذا التراجع في بعض جوانبه بضمور كميات الذهب التي كانت ترد على المغرب من السودان وانعكاسها سلباً على موارد بيت المال، ولم يُطل استقرار النقود على القاعدة الفضية إذ سرعان ما تحولت نحو القاعدة المزدوجة من الفضة والنحاس عند حلول القرن الثالث عشر (19 م)، ثم تحولت الأهمية إلى معدن النحاس نتيجة التدخل الأوروبي وما صاحبه من عوامل.

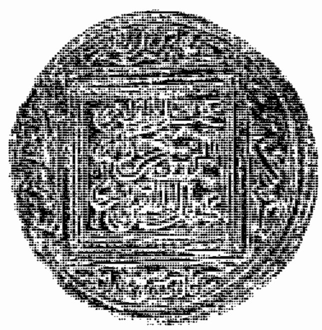


الدينار الاسماعيلي

ونورد هنا نموذج النظام المتعامل به في القرن الثاني عشر (18 م) قبل انقطاع التعامل بالدينار في النصف الثاني من القرن الموالي كما توصلنا إليه من عدة وثائق وتقاييد المعاملات. فقد تعامل الناس بنوعين من الدنانير : الدينار السني "الشرعي" والدينار السوقي "العرفي". فكان الدينار السوقي إما حسب عياره وإما حسب وزنه، وهذا ما نوضحه في الجدول التالي :

الدينار

- الدينار السني (72 حبة من الشعير)
- الدينا السوقي (العرفي)
  - حسب العيار
    - المشحر الصافي
    - المشوب بالفضة
      - السداسي : الجديد
      - العشاري
      - السباعي
      - الخماسي
  - حسب الوزن
    - دينار وزنه 100 ح
      - السداسي
      - الجزولي
    - دينار وزنه أقل من 100 ح
      - المكناسي
      - الفاسي
    - دينار وزنه أكثر من 100 ح
      - المراكسي
      - الوادنوني
      - السوسي



دينار مريني ضرب بأزمور

امتد هذا النظام من العصر السعدي إلى العصر العلوي حتى نهاية القرن الثالث عشر (19 م) فكان هذا التعدد في أوزان الدنانير وعياراتها يثبت وجود تعدد في صرفها، ولكل دينار أنصاف وأرباع وغيرها من الأجزاء، وقد كانت عمليات الصرف تمارس بأجزاء تلك الدنانير أو بعدد من الدراهم الفضية المعادلة لها. وكان التجار والصيارفة والفقهاء ممن يتقنون حسابات هذا الصرف، وخاصة عند إجراء المعاملات التي تحتاج في ضبطها إلى كتابة العقود والرسوم مما كان الناس يرجعون إليه حتى بعد انقطاع التعامل بالدينار لفض النزاعات الموروثة.

الكرملي أنسطاس، *النقود العربية والإسلامية وعلم النميات*، ط 2، القاهرة، 1987 ؛ حلاق حسان علي، *تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي*، بيروت، 1978 ؛ *حول تاريخ النقود المغربية في عهد المرابطين والموحدين والمرينيين*، مجلة كلية الآداب، الرباط، عدد 23 سنة1999، ص. 109 ـ 230 ؛ *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر*، أگادير، 1988 ؛ *النقود المغربية في القرن الثامن عشر*، الدار البيضاء، 1993 ؛ *ملامح من تطور الخط المغربي من خلال الكتابة على النقود*، مجلة كلية الآداب بالرباط، عدد 18 سنة1993 ؛ ابن الرفعة نجم الدين الأنصاري، *الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان*، دمشق، 1980 ؛ ع. الگرسيفي، *رسالة في تحرير السكك المغربية في القرون الأخيرة*، ملحق كتاب *النقود المغربية في القرن الثامن عشر*؛ *رسالة في تحقيق اوزان النقود بسوس*، ملحق كتاب *النقود المغربية في القرن الثامن عشر* ؛ ابن جزي، *القوانين الفقهية*، الرباط، 1962 ؛ لومبا رموريس، *الإسلام في مجده الأول*، تر. إسماعيل العربي، الدار البيضاء، 1990.

Banque du Maroc, *Caractéristiques des monnaies marocaines en argent frappées entre 1881 - 1920* (roméotypé) ; Sidbon, Beyda B., *La question monétaire au Maroc*, Paris, 1921 ; Michaux Bellaire, Les crises monétaires au Maroc, *R. M. M* vol. 38, mars 1920 ; Marty J. André, *Le franc marocain*, Paris, 1951 ; D. Eustache, *Corpus des monnaies alawites*, Rabat, 1884 ; Corpus des Dirhams *Idrisites et contemporains*, Rabat, 1970 ; Etudes *numismatiques et de metrologie musulmanes H. T*, vol. 10, fasc. 1 - 2, 1969 ; *Histoire de la monnaie arabe et sa metrolpgie*, Rabat, 1970 (roneotype) ; J.D. Brethes, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques*, Casablanca, 1939 ; H. Lavoix, *Catalogues de monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale*, Paris, 1891, T. II, III.

عمر أفا

دينْيَا ويكتب الدّنْيا أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Denia وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1180 / 1767.

م. ابن عـزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 688.

محمد ابن عزوز حكيم

دينية (أسرة رباطية) ← **دنّية**

ابن **ديهاج**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الخلوط، وقد انقرضت بهذه المدينة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 240.

محمد ابن عزوز حكيم

ديودور Diodore ملك أشار بلوترخوس إلى انتمائه لناحية طنجة في غابر الزمان Plutarque, Sertorius. وردت هذه الإشارة عند الكاتب المذكور بمناسبة حديثه عن التدخل العسكري للقائد الرومانيSertorius في شمال موريطانية قادما إليها من إسبانيا، وذلك حوالي سنة 82.

أفاد الكاتب أن القائد الروماني المذكور جاء إلى موريطانية لمساعدة الثوار الموريين الذين انتفضوا ضد الملك أسكاليس Ascalis، في طنجة وناحيتها. وفي هذا السياق شاء الكاتب أن يستطرد في حديثه لإثارة أمجاد الملك يوبا الثاني الذي سبق له أن حكم هذه البلاد. وهكذا ساق رواية تتعلق بالملك الأسطوري أنتايوس Antaeus، فأكدا أنه دفن في ناحية طنجة، وأن سرطوريوس فتح قبره للتأكد مما يحكيه السكان حول طول قامته، فتبين للشخص المذكور أن جثة أنتايوس تقدر فعلاً بستين ذراعا.

ثم أورد الكاتب الإشارة التي تتضمن الملك ديودور قائلاً : "يحكي أهل طنجة أنه بعد وفاة أنتايوس، اقترنت زوجته تنكي Tingé بهرقل. ثم أنجبا ولداً يدعى صوفاكس Sophax. ولما صار هذا الأخير ملكا، أطلق اسم والدته على المدينة. ويضيف السكان أن ولد صوفاكس المدعو ديودور قد تمكن من السيطرة على عدة شعوب في ليبيا، بواسطة جيش يتكون من الألبيين Olbiens والموكينيين Mucéniens، وقد أتى هؤلاء مع هرقل إلى هذه البلاد. وإني أسوق هذا الحديث تكريما ليوبا. إنه أكبر المؤرخين من بين الملوك. وهو الذي يقال إن أجداده انحدروا من صوفاكس وديودور".

وأهم ما يعكيه هذا النص هو العلاقة الراسخة في القدم بين بلاد المورين والعالم الاغريقي قبل العهد الفنيقي. وهو موضوع مازال لم يحظ بالعناية اللازمة.

والملاحظ أن ديودور اسم إغريقي، اشتهر به مؤرخ عاش في القرن الأخير قبل الميلاد يدعى ديودور الصقلي.

م. المجدوب، *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد*، أطروحة لنيل دكتورة الدولة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، المحمدية،1998، مرقونة ؛ *نفسه أضواء حول تاريخ المغرب قبل العهد الفنيقي*، النشرة الأثرية المغربية، العدد، 20، تحت الطبع.

محمد مجدوب

ديور (Diur ou Diour) نهر وجبل هو أحد أنهار موريطانيا الطنجية يحدد بطليموس مصبه عند خط عرض 40 31 وخط طول 720، بين نهر إسبان (أم الربيع) في الشمال وجبل الشمس في الجنوب (أي رأس كانتان).

لكن لا يوجد أي نهر بين أم الربيع ورأس كانتان، بل نجد فقط عدداص من السنجات الممتدة على طول الشاطئ والمنفتحة على البحر إلا أن مياهها غير راكدة الشيء الذي يظفي عليها مظهر مجرى مائي وهذا ما يفسر ارتباط اسم بوطا موسى بنهر ديور.

إن الباحثين Tissot وVivien de St. Martin متفقان على مطابقة ديور بوطاموسى بضاية الوليدية والتي تسميها أيضاً ضاية Ivor وهذه الأخيرة تتطابق بشكل جيد مع ديور الذي يتحدث عنه بطليموس.

أما ديور الجبل فيحدد بطليموس إحداثياته فقط: 34 خط طول و830 خط عرض.

R. Roget, *PSAM*, 1938, p. 36 ; O. Mac Carthy, *Lexique de géographie comparée de l'ancienne Afrique, R. A*, 1887.

عبد العزيز بل الفايدة

ابن **ديوْرَان، محمد** بن أحمد بن ديوران الغالمي السهلي أحد قواد فرقة السهول من قبيلة بني حسن، ويقع تراب السهول في الجنوب الشرقي لمدينة سلا. ويظهر من نسبه أنه زعري من بطن الغوالم، ربما انتقل أجداده من زعير من قديم إلى السهول. وتدعوه الوثائق المغربية: محمد بن أحمد السهلي فقط.

تولى على إخوانه نحواً من عشر سنوات. ففي سنة 1303 / 1885 وجه إليه المخزن طابع القيادة، وكان سنة 1311 / 1894 لا يزال عاملا على طرف من السهول.

م. بوشعراء، *قبيلة بني حسن*، 1860 ـ 1912، خطوط : *الوثائق الملكية* ؛ وثائق بنسعيد.

مصطفى بوشعراء

الديوري، أسرة فاسية أصلها من السوس الأقصى اطّلع مؤلف كتاب رفع الالتباس على وثيقة تذكرهم في فاس مؤرخة بعام أربعة وثمانين وألف. قال :"وادعى بعضهم في هذه الأزمان الشرف وأفتى علماء الوقت ببطلانه ... ودارُ الديوري الكبرى كانت بدرب بورجوع حُبساً على بعضهم وقد صارت الآن بناءً".

ع. السلام ابن سودة، *رفع الالتباس*، مرقون.

الديوري، محمد بن أحمد الفاسي ثم القنيطري ولد بفاس سنة 1314 / 1895 وبها تلقي تعليمه حتى حصل على شهادة الدروس الثانوية سنة 1918، وعين في نفس السنة أمينا للصندوق بالبنك "كريدي فونصيي"، ثم انتقل إلى مدينة القنيطرة سنة 1922 للأشتغال بالتجارة ولم تكد تصل سنة 1930 حتى أصبح من كبار تجار المدينة. وبموازاة مع نمو ثروته عرف وعيه الوطني كذلك نمواً سريعا، فانتقل إلى مقدمة الأحداث التاريخية بمدينة القنيطرة.



وأخذ يعد العدة للانخراط في النضال الوطني بعدما هيأ لذلك الظروف المادية وحتى الفكرية حيث إن زوجته المغربية الأصل والتي استغلت إقامة أسرتها بالسينغال للحصول على الجنسية الفرنسية الشيء الذي هيأ لها الظروف لإدارة جريدة بالفرنسية بإيعاز من زوجها محمد الديوري وكانت لسان الحركة الوطنية الناشئة.

ومنذ صدور الظهير البربري (16 ماي 1930) شرع محمد الديوري في نشر الوعي بين ساكنة القنيطرة متخذاً الزاوية التجانية مركزاً لعمله التنظيمي، وظهرت نتائج هذا العمل يوم 16 ماي 1933 بمناسبة الذكرى الثالثة لإعلان الظهير البربري، إذ دعا الديوري إلى تنظيم مظاهرة احتجاجية، انطلقت من رحاب الزاوية التيجانية، وبموازاة مع هذه المظاهرة التي عرفت إقبالا جماهيريا كبيراً، دعا محمد الديوري التجار والحرفيين لإغلاق الدكاكين فاستجابوا لندائه، بالرغم من تهديدات باشا المدينة وسلطات الحماية، ويمكن اعتبار 16 ماي 1933 تاريخ ميلاد الحركة الوطنية بمدينة القنيطرة بشكل عملي وعلني.

كان محمد الديوري من الأعضاء المشاركين في "كتلة العمل الوطني" وساهم في تحرير وتقديم المطالب الاصلاحية للإدارة الفرنسية سنة 1934. كما شارك في نفس السنة وفد مدينة القنيطرة الذي قدم عريضة احتجاج للمقيم العام وللسلطان، ضد تصرفات سلطات الحماية التي رفضت السماح ببناء مسجد بمدينة القنيطرة فلقيت العريضة صدى واسعا ونشر مضمونها يوم 5 أبريل 1934 في جريدة *"الحياة"* التي كانت يُصدرها بتطوان عبد الخالق الطريس.

واتجه الديوري كذلك إلى التعليم ـ وذلك لعلمه بدور حركة المدارس الحرة التي عرفت نهضة في مختلف المدن في نشر الوعي الوطني ـ ولهذا قام رفقة بعض تجار المدينة أمثال سيدي مشيش العلمي والجيلالي بناني ـ بإنشاء مدرسة أطلق عليها "مدرسة الوطنيين" أو مدرسة :سيدي يوشتي" نسبة إلى مديرها الأول أبي الشتاء الجامعي فساهمت هذه المدرسة على امتداد السنوات اللاحقة في تكوين جيل من الوطنيين، لعبوا دوراً طلائعيا في الحركة الوطنية بالمدينة وكان من أبرزهم السيد أحمد الدمناتي بوفلوس.

وتميزت سنة 1937 باشتداد الخناق على الحركة الوطنية بعد رفض الاستعمار للمطالب الاصلاحية والأحداث الدامية التي عرفتها مدينة مكناس على إثر تحويل مياه وادي بوفكران لصالح المعمرين. واقتداءً بجميع المدن المغربية دعا محمد الديوري في أواخر أكتوبر 1937 إلى مظاهرة كبرى انطلقت من رحاب الزاوية التيجانية بعد الاستماع إلى خطبة حماسية ألقاها محمد الديوري، فواجهتها سلطات الحماية بعنف وتم إغلاق مدرسة الوطنيين والزاوية التيجانية، كما تم اعتقال الوطنيين بالمدينة ومنهم محمد الديوري وأبو الشتاء الجامعي والفقيه محمد برادة وأحمد بندلة الإدريسي والجيلالي بناني والصديق المكنيسي بحيث بلغ عدد المعتقلين حوالي 72 معتقلا، حكم عليهم بالأعمال الشاقة، ونقلوا إلى الريش ثم إلى گلميمة. وعند خروج الديوري من السجن نُفي إلى مدينة الصويرة سنة 1939 ثم أطلق سراحه فيما بعد. وكان من الموقعين على عريضة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944.

وفي سنة 1946 أشرف على تكوين مدرسة التقدم بالقنيطرة. لتقوم مقام مدرسة الوطنيين كما شجع تكوين الجمعيات الرياضية والكشفية لتأطير الشباب، بالإضافة إلى تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية لتقديم المساعدات للمحتاجين واليتامى.

وقد نفي محمد الديوري مرة أخرى إلى أيت أورير بضواحي مراكش وبقي هناك بعيداً عن أهله وأسرته حتى سنة 1953 حيث نقلت أخبار وفاته في ظروف غامضة وذلك يوم الثلاثاء 19 محرم 1373 / 28 شتنبر 1953 ومنعت السلطات الفرنسية دفنه بالقنيطرة حيث توجد أسرته، فنقل إلى فاس وفيها دفن بمقبرة القباب خارج باب الفتوح.

ق. الزهيري، محمد الخامس الملك البطل، مطبعة أگدال، 1984 ؛ م. مشيش العلمي، القنيطرة ميلاد المدينة والحركة الوطنية، 1913 - 1937، دار البوكيلي للطبع والنشر، 1998 ؛ ح. بوعياد، *الحركة الوطنية والظهير البربري*، الدار البيضاء، 1979 ؛ *وثيقة المطالبة بالاستقلال* 11 يناير، 1944، *منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين*، وأعضاء جيش التحرير، 1996 ؛ ع. القادر بوراس، مداخلة في ندوة كلية الآداب والعلوم الانسانية بالقنيطرة حول الحركة الوطنية، أبريل، 1998 ؛ أ. الدمناتي بوفلوس، *محاضرة خلال اليوم الدراسي حول المقاومة جريدة القنطرة*، العدد، 14، 1996 ؛ أعمال الندوة ؛ القنيطرة في أفق سنة 2000، مطبعة دار البوكيلي، 1994.

C. A. Juline, *Le Maroc face aux impérialismes*, Paris, 1978.

عبد القادر بوراس

ديوس (Dyos) النهر يحدد بطليموس مصبه جنوب سلا وبالتالي فهو يطابق المجرى المائي الذي يصب ترب فضالة ويحمل اليوم اسم وادي المالح أو وادي القنطرة وما يثبت ذلك هي إشارة بطليموس إلى جزيرة باينا التي تمت مطابقتها بفضالة وإذا كانت الخرائط الحديثة لم تتحدث عن هذه الجزيرة فلأن مدينة فضالة (المحمدية) قد غطت اثارها وآثار الجزر المجاورة.

أن وادي المالح أو ديوس عند القدماء يصب في منطقة غمرتها مستنقعات وهي تشكل ربما ما تبقى من ميناء مغمور كان يوجد بين الفصبة وجزر فضالة.

Schmidt, *La plus ancienne carte géographique du Maroc* ; Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Tingitane*, Paris, 1978 ; Mc. Carthy, *R. A*, 1887.

عبد العزيز بلفايدة

دْيُوسْدادو إي كاسْتيُو، خوصي José Diosdado y Castillo أحد الديبلوماسيين الاسبانيين كان سنة 1871 وقبلها معيناً للقنصل الإسباني بطنجة مبري إي كولوم F. de P. Merry y Colom. وبعد عزل إيدواردوروميا يانگوس E. Roméa Yangos عن القتصلية العامة بطنجة حوالي 1878 عين ديوسدادو مكانه، ورقي بعد ذلك إلى رتبة وزير مقيم. ومكث في منصبه نحو العشر سنوات إلى أن عين سنة 1889 سفيراً بالسويد. غير أنه بعد سنتين طلب الإعفاء من منصبه بالسويد وطلب "الرجوع للخدمة بطنجة" حيث كانت له عرصة بها، فالتمس "الانعام عليه يُطريّف من مرسان ليكمل استواء جهة من عرصته. وهذا الطريف تافه الاضرر فيه على الطريق" حسبما جاء قي رسالة

السلطان إلى الطريس سنة 1308 / 1891، وأذن السلطان له في ذلك إن لم يكن فيه ضرر على الطريق.

كانت سياسته معتدلة، وتولى منصبه في وقت كان المغرب وإسبانيا يبحثان عن التفاهم والوئام.

وقد خلفه سنة 1889 فرانسيكو رفائيل فيگيرة F.R. Figuera.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج 2، ص. 552 ـ 554 ؛ وثائق مكتبة تطوان ؛ *الوثائق الملكية*.

مصطفى بوشعراء

ديّاز، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Diaz وDiez ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

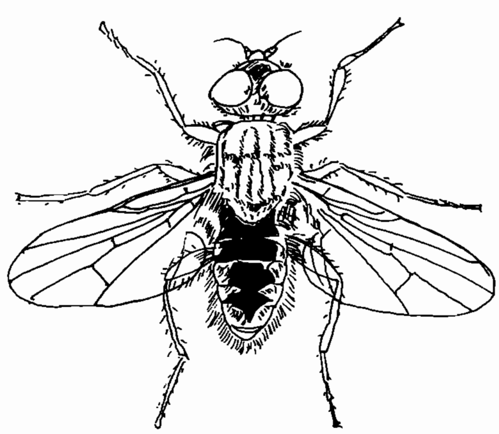
م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 686.

محمد ابن عزوز حكيم

ذ

الذباب ويسمى بالفرنسية Mouche وبالانجليزية Fly وفي المعاجم ذبابة، ويطلق عليه في أغلب مناطق المغرب العربي اسم "ذبانة"، وهي حيوانات من اللافقريات تصنف إلى طائفة الحشرات Insectes ورتبة مزدوجات الأجنحة أو ذوات الجناحين Diptera ومن فصيلة الذبابيات Muscidia التي تتكون من 31 جنسا و76 نوعا في المغرب. نذكر من بينها الأنواع الشائعة : Musca domestica وهي الذبابة الأهلية وMusca corvina, Musca sorbens, Musca vitripennis, Musca stabulans.

وتشمل الذباب أيضاً عدة فصيلات من الحشرات المزدوجات الجناحين نذكر من بينها Musidoridae, Oestridae, Dixidae, Cecidomyidae, Drosophilidae الجناحان الأماميان عند الذباب مكونان من غشاء رقيق وشفاف تتخلله خطوط يعتمد عليها في تصنيف الأنواع. الجناحان الخلفيان تحولا إلى عضو التوازن Balancier. يتشكل الهيكل الخارجي لأنواع الذباب أشكالا وأحجاما عديدة كما أن الألوان تختلف من نوع لآخر فنجد منها الأسود والأخضر والأزرق والأبيض وغير ذلك.



لا يتعدى طول الذبابة 0.5 سنتمتر والجسم خفيف غاية الخفة حيث إن ألف ذبابة تزن حوالي 20 غراما. وللذبابة ثلاث زوجات من الأرجل ذات مفاصل تخرج من أسفل الصدر، وبكل رجل مخلبان ووسادتان تفرزان سائلا لزجا. يساعد الذبابة على التعلق وعلى المشي بأي سطح كان. فهي تمشي على الأرض وتمشي على زجاج النوافذ وعلى الجدران وظهرها رأسي، وتمشي على السقف وظهرها إلى أسفل.

فم الذبابة من الصنف اللاعق الماص وتتكون أعضاؤه من خرطوم إسفنجي قصير. تنتقل الذبابة بسرعة وتحط باستمرار على جثث الحيوانات وفضلاتها وعلى الأزبال والقاذورات فتشحن على شعيراتها كمية كبيرة من الجراثيم والميكروبات ثم تحط على وجه الانسان وعلى أغذيته كاللحم والحليب والسكر والخبز وغيرها مما ينتج عنه نقل أمراض عديدة كالرمد والإسهال والتفوئيد وغيرها. يمتص ويلعق الذباب المواد السائلة الناتجة عن تفسخ المواد الغذائية وتحللها، فإذا صادف طعاما صلبا صب عليه من ريقه فيذوب وبعد ذلك يمتصه. وذبابة المنزل لا تعض إذ ليس في فمها شيء متهيئ لهذا.

للذبابة عينان كبيرتان تملآن الرأس، وهما من النوع المركب تشتملان على عدسات كثيرة وبين هاتين العينين ثلاث أعين صغيرة. كما أن الجسم ينقسم إلى رأس وصدر وبطن. تكسو الجسم شعيرات عديدة لا ترى بالعين المجردة. كثيراً ما تجمع هذه الشعيرات كمية كبيرة من الجراثيم والميكروبات مصدرها البيئات القذرة وفضلات الإنسان والحيوان.

يختفي الذباب شتاء وكلما برد الجو ولا يبقى منه إلا القليل، ينام نومة الشتاء فإذا ما حل الصيف استيقظ ليتم دورته الحيوية. يتوالد الذباب طوال فصل الصيف ويضع البيض في الأماكن الرطبة وهو بيض في شكل بذور

القمح. تبيض الأنثى في المرة الواحدة حوالي 150 بيضة وقد يبلغ عـدد البيض خلال شهـر واحـد 2000 بيضـة للأنثى الواحدة. يتم تفقيس البيض بعد عشرين ساعة من وضعه تخرج منه الدودة التي تتغذى على القاذورات طوال خمسة أيام ثم تتحول إلى عروس تمتنع عن الأكل لمدة خمسة أيام أخرى، وبعد ذلك تتحول إلى ذبابة كاملة بالغة تبيض بدورها بعد أسبوعين وتعمر حوالي شهرين.

الـذبـابـة الأهليـة أو البيتيـة تسمى علميـا Musca domestica وتسمى بالانجليزية Housefly وهي منتشرة في مختلف مناطق العالم وخاصة منها المناطق الحارة والمعتدلة الحرارة.

الذبابة السوداء أو ذبابة الحبوب تسمى علميا Phorbia securis شائعة في المناطق الزراعية. تضع الإناث بويضاتها على جـذور نبتـات القمح والشعيـر والخرطـال وتعيش اليرقانات بداخل سيقان هذه النباتات مما يجعلها تخلف أضراراً بالمنتجات الفلاحية.

ذبابة الثمار أو ذبابة الزيتون Dacus oleae هي ذبابة تتطفل يرقاناتها على عدة أنواع من الأشجار المثمرة وخاصة منها ثمار الزيتون. ولهذه الذبابة ثلاثة أجيال في السنة، اثنان يعيشان على ثمار الزيتون قبل نضجها، بينما يعيش الجيل الثالث بداخل الثمار السوداء الناضجة. وهذا النوع من الذباب شائع في مناطق الحوز وبني ملال وسهول الغرب وسايس وسهول تريفة وغيرها من المناطق المشجرة بالزيتون، كما أنها شائعة أيضاً في مناطق حوض البحر المتوسط. تخلف هذه الذبابة خسائر فادحة في منتجات ثمار الزيتون مما يجعل المزارعين يستعملون عدة مواد سامة لمحاربتها.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة،1988 ؛ أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

A. Maarouf et M. Ramdani, *Sur la mouche noire des céréales au Maroc : Phorbia securis Tiensuu (Diptera Anthomyiidae)*, *L'Entomologiste* (14).

محمد خربوعة ومحمد رمضاني

الـذُّرَة (نبات –) بالعربية أو الدْرَى بالعامية المغربية هو نبات زيامايِيسْ Zea maïs الـذي ينتمي إلى فصيلـة النجيليات Graminae أو Poaceae.

إنـه نبـات حولي حشيشي لكنـه يعتبر أكبـر الحبـوب النجيلية إذ يتراوح ارتفاعه ما بين متر واحد وأربعة أمتار. ساقه مقسم إلى عُقد. أوراقه كبيرة وذات حواف متموجة. أزهاره ثنائية المسكن : المذكرة على شكل عثكول يوجد بأعلى الساق، الأنثـوية تصادف على القـولحة أو الكـوز وتحميهـا الأوراق في مستـوى سفلي على السـاق. لكل مبيض قلم زغبي طويل وحريري، تكون في مجموعها شرابة حريرية ناعمة، تيبس بعد نضج القولحة.

إن الموطن الأصلي للذرة هي الأراضي المنخفضة الحارة من جنوب أمريكا. ومنها انتشرت إلى الشمال والجنوب. عرفت زراعتها قبل عهد الآنكا في بيرو، وتطورت في عهد الميـايـا والأستك. وزرعت من طـرف الهنـود في جنـوب الولايات المتحدة في حدودها الحالية منذ ألفي سنة قبل الميلاد. وقبل أن تنتقل الذرة إلى العالم القديم من طرف الأوربيين بعد اكتشافهم لأمريكا كانت زراعتها قد امتدت امتداداً كبيراً ما بين البحيرات العظمى ووادي سانت لوران شمالا، والشيلي والأرجنتين جنوبا.

وقد انتشرت الذرة حاليا في جميع أنحاء العالم. واستنبطت أصناف عديدة لا يوجد منها بالمغرب إلا العدد القليل.

تزرع الذُّرة في المغرب بورية في المناطق البيومناخية الرطبة جداً والرطبة وشبه الرطبة وشبه الجافة، ومسقية في البيومناخات أكثر جفافا أو في السنوات القليلة الأمطار. وأفضل تربة هي الخصبة الهشة. الطميية، جيدة الصرف كالتربة الترسية والحمرية المصادفة بالسهول والهضاب المغربية، حيث تطورت زراعة الذرة بفضل التقنيات الحديثة كالأذرعة المحورية المستعملة للري من طرف بعض الفلاحين في الشاوية والحوز حيث يبلغ إنتاج بعضهم 80 قنطاراً من حبوب الذرة في الهكتار الواحد.

أهم استعمالات الذرة بالمغرب هي استخدامها كغذاء للحيـوانـات المستأنسـة مثـل الخيـول والأبقـار والأغنـام والدواجن. كما يستعمل النبات كذلك كعلف أخضر أو جافّاً أو مكموراً.

أما استعمالها كغذاء للإنسان في المغرب فهو ينحصر في شوي القولحة (أو الكبال بالعامية المغربية) التي يتم تمليحها بماء مالح قبل تناول حبوبها المشوية. وقد انتشرت هـذه الظـاهـرة في السنوات الأخيـرة إذ غـزت الأسـواق والشوارع وبعض المحاور الطرقية.

كما تستعمل كميات قليلة نسبيا من ذرة الفشار لصنع البُوبْ كُورْن Pop corn الذي يستهلكه الإنسان في منزله أو في الحدائق والمنتزهات والشوارع.

والجدير بالذكر أن الذرة لا تستعمل في المغرب لصناعة الخبز إلا استثنائيا لأن هذا الخبز سهل التفتت جداً وذلك نظراً لغياب الگلوتين.

أبحاث شخصية ؛ ألبرت هيل : *النبات الاقتصادي*، 1962 تر. د. ع زاهر وآخرين، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة.

عبد المالك بنعبيد

* * زراعة الذرة قديمة بآلاف السنين. يرجع أصلها لجهات ما بين المكسيك والأراضي العالية في البيرو وبوليفيا. وقد دخلت إسبانيا عبر رحلات كريستوبال كولوب في 1519 وانتشرت في مجالات واسعة من أوربا وشمال إفريقيا، حيث وصلت المغرب في أواخر القرن السادس عشر.

تحتل الذرة المرتبة الثالثة من ضمن أهم الحبوب في العالم بعد القمح والأرز. وهي كذلك بالمغرب في الترتيب الثالث بعد القمح والشعير، بحوالي 350.000 هكتار، تتوزع خاصة بالأقاليم شبه الجافة على الشكل التالي :

جدول الأراضي المنزرعة بالذرة (بآلاف الهكتار)

منطقة / سنة	95 . 1994	96 . 1995	97 . 1996	98 . 1997	99 . 1998
مُلائمة	35.4	20.5	25.9	21.9	24.2
متوسطة	186.6	98.7	149.6	119.0	140.1
ضعيفة ـ جنوبية	153.7	120.5	154.3	158.9	162.9
ضعيفة ـ شرقية	1.3	1.5	2.7	1.4	0.9
جبلية	2.5	3.2	0.6	1.5	0.4
صحراوية	7.9	9.1	7.8	5.7	0.5
المجموع	387.4	253.5	340.9	309.4	331.0

وقد حصل تراجع بالأراضي المنزرعة بالذرة مقارنة بسنة 1979 حيث بلغت المساحة الإجمالية 461.000 هكتار.

معدل المردودية ضعيف جداً، يتراوح بين 1.3 و11 قنطار/ هكتار. وتعود التفاوتات الكبيرة أساساً إلى الخصاص المائي، واستعمال الأصناف المحلية وضعف مستوى التقنيات الزراعية الرائجة.

جدول مردودية (قنطار / هكتار وإنتاج الذرة (ألف قنطار)

منطقة / سنة	95 . 1994		96 . 1995		97 . 1996		98 . 1997		999 . 1998	
	مردود	إنتاج	مردود	إنتاج	مردود	إنتاج	مردود	إنتاج	مردود	إنتاج
مُلائمة	1.7	60.6	8.6	177.2	10.5	271.6	10.2	223.0	7.3	176.5
متوسطة	0.9	189.6	11.1	1092.3	13.1	1980.5	6.4	765.4	4.9	688.5
ضعيفة ـ جنوبية	0.9	145.5	7.5	903.9	9.0	1392.2	5.6	895.4	2.8	400.4
ضعيفة ـ شرقية	7.8	10.2	10.3	15.5	10.3	27.7	-	-	-	-
جبلية	9.3	23.3	10.4	33.1	10.5	5.3	19.5	29.4	4.0	1.6
صحراوية	12.1	95.7	14.2	128.8	11.0	96.1	13.7	78.2	11.8	29.6
المجموع	1.3	504.9	9.3	2350.8	11.0	3744.3	6.5	2005.2	4.1	1363.8

الإنتاج الوطني متفاوت جداً، بين 05 و37 مليون قنطار. وهو مخصص أساسا للاستهلاك الداخلي. لكن الحاجيات في تغذية الماشية مستمرة التزايد حيث مرت من 35.000 قنطار سنة 1971 إلى 1.290.000 قنطار في 1979. أما صناعات الذرة ومشتقاتها فإنها تجد صعوبات في التزود.

لذا فقد تحول المغرب من مُصدِّر للذرة إلى مستورد لها مع تزايد في حدة النقص يستفحل في سنوات ضعف الإنتاج كما هو الشأن في 1977 و2000.

يقتضي الرفعُ من مردودية الذرة التحكم في التقنيات الزراعية في أراضي البور وتحت السقي على السواء مع استعمال أصناف أكثر إنتاجا.

1 ـ موقع الذرة من التناوب الزراعي.

تصلح الذرة لأن تكون سابقا مقبولا للعديد من الزراعات. فهي من أجود السوابق للقمح والبرسيم والشمندر. لكن تكرارها مرة بعد أخرى كزراعة أحادية غير مقبول، إلا إذا كان بالذرة العلفية بعد الذرة الحبية.

ومن نماذج الدورات تحت السقي :

في الدورة الثلاثية : البرسيم ـ الذرة ـ القمح ؛ الشمندر ـ الذرة ـ القمح ؛ الذرة العلفية ـ القطن ـ القمح.

وفي الدورة الرباعية : الشمندر ـ القمح ـ القطن ـ الذرة.

2 ـ تحضير التربة وتطهيرها.

تأتي الذرة في أتربة سليمة، عميقة، طرية وغنية بمواد التخصيب.

2 ـ 1 ـ التحضير. يوفر الإعداد الجيد للتربة المواصفات التالية :

- تخزين أقصى للمياه،
- نمو جيد لنظام الجذور،
- اتصال أفضل بين البذرة والتربة.

على العموم، يمكن الحصول على بيئة زرع مواتية بواسطة الحرث العميق خلال فصل الشتاء أو مباشرة قبل البذر المتبوع بعملية أو عمليتين للقلب وحركة تمشيط للأرض

في حالة الزرع العابر للذرة، بعد القمح مثلا، يُطلب شحب الأرض قبل الحرث.

2 ـ 2 ـ التطهير. لأجل الوقاية من اعتداءات الديدان الرمادية والسلكية ويرقات الظلاميات يكون لزاما معالجة

التربة بواسطة الألدين بمقدار كيلو غرام واحد في الهكتار قرابة شهر قبل البذر.

3 ـ التخصيب. تخصيب الأرض أمر ضروري من أجل الحصول على نمو عادي للذرة لأنها شديدة الطلب للمواد المغذية. ويأخذ التخصيب في الاعتبار :

ـ الصنف

ـ السابق الزراعي

ـ النظام الزراعي بين البور والمسقي

ـ المردودية المتوقعة

في حال الأتربة التي تُعاني من خصاص في الضروريات، يكون من الضروري تقديم تسميد التصحيح للرفع من المردودية. يُطْمَر مع الحرث السماد العضوي إذا أمكن والسماد الفوسفاطي البوطاسي، أخذا في الاعتبار المقاييس التالية :

ـ التسميد العضوي : 20 إلى 30 طن / هكتار في الأتربة الرملية. 10 إلى 20 طن / هكتار في الأتربة الثقيلة.

4 ـ اختيار الصنف. يتماشى اختيار الصنف مع نوع الزراعة بين بورية ومسقية، وتاريخ البذر وطبيعة المنطقة.

يقترح المعهد الوطني للبحث الزراعي الوصفة التالية :

ـ في البور الضعيف : الأصناف المبكرة جداً

ـ في البور الملائم : هجائن مبكرة جداً

ـ في المسقي، نُصادف حالتين :

. بذر مارس : هجائن مبكرة، نصف مبكرة ومتأخرة.

. بذر الخلسة : هجائن مبكرة جداً.

5 ـ كثافة الإعمار

ترتبط الكثافة بالصنف ونوع الزراعة.

. الصنف : (مراجعة الجدول اللاحق) ويلزم بذر الأصناف المتأخرة بكثافة أقل من المبكرة بسبب أهمية نموها النبّوتي.

. النوع الزراعي : في البور، حيث يُشكل الماء أهم الإكراهات، يُنصح استعمال الأصناف المبكرة المقاومة للجفاف.

جدول التسميد المعدني المنصوح به

منطقة	أزوط بالوحدة / هكتار	P_2O_5 بالوحدة / هكتار	K_2O بالوحدة / هكتار
شبه جافة : 250 ـ 400 مم	20 إلى 40 عند البذر	0 إلى 40	0 إلى 30
بور مناسب : أكثر من 400 مم	40 إلى 80	40 إلى 60	30 إلى 50
مسقية	100 إلى 150 (100 للذرة الباكرة و150 للذرة المتأخرة)	60 إلى 80	60 إلى 80

ـ التسميد المعدني : تقترح تجارب البحث الزراعي الصيغ التالية :

يُقدم الأزوط عند البذر في صيغة سُلفات الأمونياك وعند التغطية في شكل الأمور نترات أو الأوريا. وبالطبع كلما زاد استعمال السماد العضوي أمكن تقليل جرعات التسميد المعدني بالتناسب.

يتم تقديم الأزوط على مراحل، وتكون المعالجة في الأراضي المسقية ذات التربة الرملية على النمط التالي :

ـ 1/3 عند البذر

ـ 1/3 في مرحلة 6 إلى 7 أوراق

ـ 1/3 قُبيل الإزهار

وفي الأتربة الثقيلة (دكالة، الغرب وتادلا)، يأتي تقديم الأزوط مجزءاً بين 1/3 عند البذر و2/3 في مرحلة 7 إلى 8 أوراق.

جدول الإعمار حسب الانفراج والتباعد

هجائن	زراعة بورية (ساق / هكتار)	زراعة مسقية (ساق / هكتار)
مبكرة	32 إلى 45.000	60 إلى 70.000
نصف مبكرة	37 إلى 35.000	50 إلى 60.000
متأخرة	30 إلى 35.000	45 إلى 50.000

وقد سبق تجريب وتطبيق هذه الكثافات من طرف المحطة المركزية للحبوب الربيعية للمعهد الوطني للبحث الزراعي بالمغرب.

6 ـ البذر

1.6 ـ فترة البذر

ـ في البور، ومن أجل الاستفادة الكاملة من الذخيرة المائية للتربة واتقاء رياح الشرقي، وجب البذر المبكر شريطة أن يزيد معدل حرارة التربة على 8 درجات.

ـ في المسقي، بالنسبة لمزروعات الربيع، يكون الأولى هو اعتماد البذر المبكر اتقاء لهجمات السمسمية من الجيل الثالث وبخاصة تحسبا للشرقي.

تختلف فترات البذر المقترحة من منطقة إلي أخرى :

. دكالة وسوس ماسة : بداية فبراير.

. تادلاو الغرب وملوية : بداية مارس.

ـ في زراعة الخلسة، وبالنسبة للذرة العلفية، وجب التبكير بالبذر ما أمكن، بمجرد الانتهاء من إعداد التربة.

وبالنسبة للذرة الحبية، يلزم استيفاء شرطين للحصول على إنتاج مناسب وحبات تتوفر على نسبة رطوبة مقبولة. الأول، تقصير الوقت الفاصل ما أمكن بين نهاية الزراعة السابقة وزراعة الخلسة. والثاني، اختيار صنف مبكر جداً.

2.6 ـ عمق البذر.

على العموم، تودع الحبات في عمق يتراوح بين 3 و5 سنتمترات، ويزيد العمق إلى 5 أو 6 سنتم في التربة الرملية الخفيفة. مع الإشارة إلى أنه بقدر التبكير بالبذر حيث تكون التربة ما زالت باردة، بقدر ما يكون عمق البذر ضحلاً.

3.6 ـ جرعة البذر

يكون مقدار البذور الكافية للهكتار متناسبا مع كثافة الإعمار المرغوب فيها، بوزن 1000 حبة.ويوخذ في الاعتبار عند احتساب المقادير النسبة المائوية للإنبات والكفاءة التفريخية للبذور ـ لذا، وجب في الغالب تضخيم الكثافة المرغوب فيها بنسبة 25 إلى 30٪.

مثال هجين مبكر

من زراعية بورية، كثافة الإعمار المطلوبة منه 35.000 شتلة في الهكتار. وترد الألف حبة هو 300غ. يناسب تضخيم العدد النظري بـ 25 إلى 30٪ : 000 35 + (000 35 × 30) / 1000 =45 000.

مقدار البذور اللازمة للهكتار : (000 45 × 300) / 1000 =650 13غ، أي قرابة 14 كلغ / الهكتار.

4.6 ـ طريقة البذر.

يكون البذر خطيا، وينجز باليد أو بالمبذر، بصفة مسطحة أو على جُذيرات. ويتحقق البذر بتحديد الانفراج بين الخطوط الذي يمكن أن يكون من فئات 60، 70 أو80 سم حسب الأدوات المستعملة للبذر أو لإزالة الأعشاب.

جدول الإعمار حسب الانفراج والتباعد

الانفراج بين الشتائل على الخط (سم)	الانفراج بين الخطوط (سم)			
	100 سم	80 سم	70 سم	60 سم
	كثافة	الإعمار في الهكتار بالآلاف		
10	100.0	125.0	142.9	166.7
15	66.7	83.3	85.2	111.1
20	50.0	62.5	71.4	83.3
25	40.0	50.5	57.1	66.7
30	33.3	41.7	57.6	55.5
35	28.0	35.7	40.8	47.7
40	25.0	31.2	35.7	41.7

ملاحظة : إذا حصل البذر على الأرض المسطحة، يكون من باب الحيطة الحسنة إجراء الدحرجة عليها بُعيد البذر حيث إن اندكاك التربة يوفر الاتصال الجيد بين الحبة والتربة ويوفر إنباتا متجانسا.

لكن إن كانت التربة رطبة، بليلة، فلا حاجة إذن للتحديل بالدحرجة، بل ولربما أصبحت ضارة.

أما في حال البذر على الجديرات، فإن البذور توضع إلي الثلث من جانب الجدير، مباشرة إلى الأعلى من مستوى السقي، ذلك أن التصاعد الشعري للماء يتولى توفير الرطوبة للبذور.

7 ـ السقي

تتفاوتُ حاجيات الذرة من الماء حسب مراحل الدورة الإنباتية. فهي ضعيفة من بداية الإنبات إلى مرحلة 6 أو7 أوراق (اليومْ الخمسين)، ثم تصبح مهمة بوتيرة متسارعة من مرحلة 6 أو 7 أوراق إلى المرحلة العجينية للحبة. فأي نقص أو خصاص في التزويد المائي بهذه المرحلة الحرجة يمكن أن يسبب هبوطاً في المردودية يصل إلى 60٪ أو يتعداها.

1.7 ـ وتيرة السقي

يكون السقي على رأس كل عشرة أيام من مرحلة 6 أو 7 أوراق إلى الإزهار، ثم يصبح الإيقاع كل ستة أيام من الإزهار حتى المرحلة العجينية للحبة.

2.7 ـ احتياطات نافعة

إذا كان المتوفر المائي محدوداً، فمن الأولى تركيز الريات في فترة 10 إلى 15 يوماً قبل الإزهار ومثلها بعد الإزهار.

أما إذا صادف الشرقي فترة الإزهار ذاتها، أصبح من الضروري إذ ذاك تغزير السقي تجنبا لإتلاف الزهور.

8 ـ إبادة الأعشاب

من الضرورة تحطيم الأعشاب الضارة لأن للذرة حساسية كبيرة إزاءها. وتتم هذه الإبادة إما آلياً كلما دعت الحاجة إلى ذلك، أو بواسطة المبيدات الكيماوية.

9 ـ مكافحة عوامل التخريب

أخطر أعداء الذرة : السمسمية والسُّواد.

السمسمية (Sesamiea monagrioïdes lef.). عندما تبلغ الذرة ست أوراق تقريبا، تُلاحظ على حواشي الأوراق ثقوب أحدثتها اليساريع الفتية. بعد ذلك بحين، تظهر أروقة وتجويفات بالساق والسنبلة يمكن العثور بداخلها على اليساريع الوردية الفاتحة، والبراز والنّغفات ونفاياتها.

تعتبر السمسمية عامل تخريب شائع في مجموع البلاد، يمكن أن تتسبب في حالات الاعتداءات القوية على الذرة الفتية في إتلافات كاسحة يمكن أن تأتي على نسبة من المحصول تتراوح بين 50 و100٪.

يجتاز هذا النوع فترة الإشتاء في وضعه اليرقاني ضمن الحبوب الشتوية وقصب السكر والنجيليات البرية. وتعرض دورته الإحيائية التي تقررت أخيراً (1972 ـ 1978) أربعة

أجيال متراكبة في السنة، بإضافة خامس ممكن بإقليم الحوز.
في الغرب، تتوالى انطلاقات البالغين كما يلي :
الانطلاق الأول : بداية فبراير ـ نهاية مارس
الانطلاق الثاني : منتصف ماي ـ منتصف يونيو
الانطلاق الثالث : منتصف يوليوز ـ بداية غشت
الانطلاق الرابع : بداية شتنبر ـ بداية أكتوبر
في الحوز، تكون المتوالية على الشكل التالي :
الانطلاق الأول : منتصف فبراير ـ منتصف مارس
الانطلاق الثاني : في يونيو
الانطلاق الثالث : نهاية يوليوز ـ منتصف غشت
الانطلاق الرابع : نهاية شتنبر ـ بداية أكتوبر
10 ـ الأصناف المحلية

وهي ضروب تحمل عادة اسم الجهة أو الموقع الذي تزرع فيه جل حباتها من النوع القرني الأصفر. هناك ضروب حباتها قرنية بيضاء، وأخرى حباتها مسننة بيضاء أو صفراء.

من مميزاتها حسن تكيفها مع الظروف المناخية، وكفاءتها في مقاومة الطفيليات. لكنها في الغالب تخشى الضجعان وتوفر منتجات محدودة.

هناك ملاحظة هامة يجب الوقوف عندها، مُفادُها عدم التوافق بالضرورة بين الإنتاج المحلي والمردودية، ذلك أن المردودية لا تعبّر عن الطاقة الكلية للإنتاج إلا في الظروف الزراعية المثلى. وقد دلت تجاربنا على أن مردودية الضروب المحلية يمكن أن تتضاعف مرتين أو ثلاثاً إذا ما تحسنت الظروف الزراعية وبالتالي، فإن بالإمكان الجزم بأن أصنافنا المحلية تعاني من سوء الاستغلال وان المجهود كل المجهود الذي نحتاج إلى بذله على الصعيد الوطني هو قبل كل شيء تحسين التقنيات الزراعية وتعميم استعمال الأسمدة.

11 ـ هجائن الذرة

يمثل هجين الذرة نهاية المطاف بالنسبة لجهود طويلة المدى في الانتخاب والتحسين. وهو يتميز بتجانسه الكبير وبقدرته الإنتاجية العالية، لكنها لا تعطي كل إمكاناتها إلا داخل مجالها الزراعي وحين توفير قيادة زراعية جيدة.

11 ـ 1 ـ الهجائن البسيطة : وهي حصيلة سلالتين، إحداهما مستعملة كأصل أنثوي والأخرى كأصل ذكر. مثال DRA ـ 350:.

11 2 ـ هجين طوپ ـ كروس (tob - cross) : حصيلة هجين بسيط مستعمل كأصل أنثوي. وضرب محلي مستعمل كأصل ذكر مثال : t: × 21

11 ـ 3 ـ هجين ثلاثة مسالك : حصيلة هجين بسيط كأصل أنثوي وسلالة كأصل ذكر. مثال : DRA . 560.

11 ـ 4 ـ هجين مثنى : مكون ابتداء من هجينين بسيطين مثال : DRA . 400.

بالنسبة لوسط معلوم، الهجين البسيط هو الذي يوفر أفضل مردودية. لكن ثمن هذا النوع من الهجائن يفرض الالتجاء إلى الهجائن الأخرى لأن إنتاج البذور منها أسهل وبالتالي أرخص، ولأن مجال تكيفها أوسع شيئاً ما منه في الهجين البسيط.

12 ـ البذور.

في ما يخص الضروب المحلية، يمكن للفلاح أن يخصص للبذر حبات أفضل السنابل من المحصول. وقد استطاع البحث الزراعي أن يضبط تركيب ضروب تأليفية. يمكن اعتبار هذه الضروب ذات البذور المناسبة الأثمان كتحسين أولي للأصناف المحلية.

أما بالنسبة لهجائن الذرة، فإن شراء بذور الهجائن إلزامي كل سنة كشرط للحصول على الهجائن.

بحث ميداني.

أحمد بوعزيز

الذرة ← الطاقة النووية

الذهب، معدن ثمين وأصل الكلمة لاتيني (أوروم) ؛ وزنه الذري 197.2، نظامه البلوري مكعب، صلابته 2.5 ـ 3، كثافته 15.5 و19.3 ، رمزه الكيميائي A_4 ؛ أصفر إلى أصفر مائل للبياض عندما يكون ملوثا بالفضة، ويسمى هذا الفلز إليكتروم إذا ما كانت كمية الفضة تتجاوز 20٪. قليلاً ما نجد الذهب الخاص على شكل مكعب، ولكن غالبا ما يكون إما على شكل إشباعات أو شذور أو تبرات الذهب.

من بين خصائص الذهب الطروقية، اللدانة، قابليته الجيدة لتوصيل الكهرباء، كونه لا يصدأ (لا يؤكسد) ولا يتبدل في الأحوال العادية. رغم كثافته، فإن الذهب سهل الانكسار ؛ ولهذا السبب ومن أجل إمكانية إستعمال الذهب في الحياة العادية كنقود، أو من أجل الزينة فلابُد من خلطه بمعادن أخرى أكثر صلابة كالنحاس والفضة، والبلاتين، والنيكل. يستخدم الذهب في الصياغة كعملة للأبناك كما يستخدم في الطب *والحفر*.

نجد الذهب في الأركز المروتية الحرمائية المرتبطة بكتل الصخور الصهارية (الا عبل الكرانوديوريت والديوريت) ؛ وكذلك في الصخور الرسوبية الفتاتية، وبعض مناطق الغرين (الرواسب السطحية) والتي يفرز بها الذهب عن باقي المعادن. تحت عملية القرض الجوي خلال الجرف والنقل، ليؤدي به هذا إلى التجمع.

بالمغرب يتجمع الذهب إلى الفضة، والبيريت، والكالكوبيريت والبلاند والجالينا، والارسينيو بيريت، والنحاس الرمادي، في المناطق الآتية :

+ شمال الأطلس الصغير (سيروا، شرق جبل صغرو، وأوگنات) : تتكون هذه المنطقة من قاعدة تنتمي إلى الحقبة الزمنية المنتمية لما قبل الكمبري الأول والثاني ؛ ومن غلاف ينتمي إلى حقبة لما قبل الكمبري الثالث. ونجد في هذه المنطقة مكامن تيويت وجمعة النوحولزي. تتراوح نسبة الذهب في العروق المحصورة في صخور الكرانيت التابع لعهد ما قبل الكمبري العلوي ما بين 10 و20 جراما للطن.

+ في بوازر، الموجود على بعد 80 كلم جنوب مدينة ورززات بالأطلس الصغير ؛ يظهر الذهب في حالة تشرب في صخور الديوريت، أو في الشوائب المعدنية من المرو، والكربونات (تمعدن عادي من الكوبالت والنيكل) حيث استخرج 50 طنا منذ بداية استغلال المكمن.

+ منطقة مولاي بوعزة (المغرب الأوسط الهرسيني) جوار كتلة أعبل مولاي بوعزة، في صخور الشيست الجوتلاندي.

+ سفح إغرام لما قبل الكمبري يقع على بعد 130 كلم شرق أكّادير ويشتمل على مركزات التبر، المحتوية على حبات ذهب (0,2 إلى 157 جزءاً في المليون من الذهب).

+ سفح عقا لما قبل الكمبري : ويقع هذا الأخير على بعد 260 كلم من أكادير. ومن بين البنيات المعيرة (عروق المرو، مناطق السحق والمناطق الصوانية) أبانت بعضها عن محتويات تصل إلى 13 غراما من الذهب للطن.

+ سفح كردوس لما قبل الكمبري المكون من قاعدة تنتسب إلى البروتيروزوي السفلي المكون من الكرانيت، الميجماتين، النضيد الميكائي ونسق طيني حصبي. وتعلو هذه القاعدة ويتنافر كوارتزيت البروتيروزويك الأوسط، وبعده الصخور البركانية فتاتي للبروتيروزويك العلوي الأخير. ويقطع الكل بأعابيل دخيلة تحقشرية. إن أشهر منطقة متمعدنة في سفح كردوس هي تيبوت، حيث نجد فيها الذهب في مستويات محببة مسلكتة داخل مركبات طبقية نضيدية.

+ سفح تزكا : يوجد هذا الأخير على بعد 45 كلم جنوب غرب مدينة تازا. ويكون سفح تزكا من قاعدة الأودوفيسي ونضيدية بنفسجية إلى خضراء داكنة، يقطعها اعبولان إندساسيان (تزكا وولجمة) ذات حلقات تحولية.

بحث ميداني.

عبد الله بوصحابة

الذهب (سقاية -) بمكناس. أنشأ المولى إسماعيل هذه السقاية على قنطرة دردورة سنة 1101 / 1690، واهتم بها على حد قول ابن زيدان اهتماماً زائداً حتى حبس عليها عدة أوقاف من رباع وعقار (حوالة 4، ص 214) لإصلاح الماء المجلوب لها واقتفى أثره في التحبيس عليها غير واحد من أنجاله وكبار ولاته.

ع. الرحمن، ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج1، ص. 158 - 159 - 162 ؛ *المنزع اللطيف*، ص.345 ؛ *حوالة الأحباس الصغرى*، رقم 4، ص. 214.

رقية بلمقدم

الذهبي، أحمد بن **إسماعيل** بن الشريف العلوي. لقب بذلك بسبب بسط يده بالعطاء، وكرمه الزائد عن الحد. ويذهب القادري إلى أنه لقب بالذهبي على لقب أحمد المنصور السعدي، كنيته أبو العباس. (نشر المثاني،3 : 293). وهو ليس أكبر أبناء السلطان المولى إسماعيل، كما زعم الأمير الإسباني خوصي دوليون (Ch. De la Veronne, 15)، ليبرر بذلك ولايته بعد وفاة والده.

أمه هي عائشة مباركة الرحمانية البربوشية، المرأة التي كان لها نفوذ كبير داخل البلاط الإسماعيلي حتى إن المصادر الأجنبية تدعوها السلطانة زيدانة (م. س : 5).

لا نعرف شيئاً عن مستواه العلمي، لكن يظهر أن بضاعته كانت مزجاة، على عكس أخيه محمد العالم، مثلا والرسائل الموقعة بيده تدل على ذلك. فهي موجزة جداً، تتخلل أسلوبها العامية، ولغتها ساقطة (رسائل زاوية كرول). ولعل ذلك قد جاء انعكاسا لسلوكه، حيث اشتهر بالانحلال الخلقي والميل إلى اللهو والعكوف على الملذات.

ورغم ذلك فقد عينه والده واليا على إقليم تادلا سنة 1111 / 1700 ؛ حين وزع أعمال المغرب على أولاده الكهال. فنزل بقصبة تادلا بمعية ثلاثة آلاف جندي. ودامت ولايته بها نحو عشرين سنة (*المنزع اللطيف* : 229). وإذا كانت المصادر لا تحدثنا عن سيرته في رعايا ذلك الإقليم، فمن الراجح أنه وجد المنطقة ممهدة نتيجة السياسة العسكرية المحكمة التي انتهجها والده هنالك. لذلك فمن الممكن أن يكون سكوت الإخباريين دليلا على الاستقرار الذي عرفته المنطقة في ذلك العهد.

كما أن أحمد الذهبي لم يكن يألو جهداً في مد أواصر العلاقات مع بعض الشخصيات ذات النفوذ هنالك. وتشهد بعض الوثائق على أنه عقد اتصالات مع الشيخ يوسف بن سعيد الحنصالي، فسعى من وراء تلك العلاقة إلى الحد من نزوح أيت عطا إلى السهل (*وثائق زاوية كرول*).

ولعل الاستقرار الذي نعم به إقليم تادلا في أثناء ولاية أحمد الذهبي، هوما جعل السلطان المولى إسماعيل يبقي عليه في تلك الولاية، في الوقت الذي عزل فيه مختلف أولاده عن الأعمال سنة1130 / 1718 (*الترجمان* : 28). ويظهر أن الزياني قد ربط العلاقة بين الإبقاء على أحمد الذهبي في ولايته، دون سائر إخوته، وبين إسناد ولاية العهد إليه.

ورغم أن هذا المؤرخ يصر على أن المولى إسماعيل قد عهد بالخلافة لأحمد الذهبي ـ اعتماداً عما نقله عن السلطان سليمان ـ فإننا نستبعد هذا الأمر ؛ ذلك لأن معظم المصادر العربية تجزم بأنه ليس بوصي، وإنما هو صنيعة عبيد البخاري. كما يميل الأسير الانجليزي إلى القول بأن المولى إسماعيل لم يوص لأحد. فقد ذكر أن أحمد الذهبي انتقل إلى مكناس فور علمه بمرض والده. فاستقبله هذا الأخير ببرودة، وأمره بالاعتدال في إلحاحه. هنالك حاول إخفاء نواياه، وطمأن والده بأنه لا يرغب إلا في رؤيته. لكنه لم يكن صادقا فقد بذل كل ما في وسعه لتنحية منافسيه، وعمل على استقطاب عدد كبير من عبيد

البخاري، فأدخلهم ليلا إلى مكناس ليحتلوا بعض المواقع الحساسة في المدينة. واستمال الباشا مساهل الذي كان من كبار ضباط الجيش فتولى كبر ذلك (T. Pellow, 139).

وهكذا ما أن لفظ المولى إسماعيل آخر أنفاسه في يوم السبت 28 رجب 1139 / 21 مارس 1727 ؛ حتى قام الباشا مساهل بتسليم مفاتيح المدينة لأحمد الذهبي الذي هب على التو، لاحتلال دار المخزن (*البستان الظريف*، 189).

وبناء على ذلك يبدو من المستبعد أن يكون المولى إسماعيل قد عهد بالخلافة لأحمد الذهبي. نستوضح ذلك من خلال عدة قرائن نجملها فيما يلي :

أ ـ أن أحمد الذهبي كان ضعيف الشخصية، غارقا في شهواته، طافحا على الدوام، فكيف يرشحه والده لتولي أمور الناس مع علمه بأنه "لم يكن ينفع حتى نفسه لعدم صحوه" ؟ (*الإعلام*، 2 : 369).

ب ـ اتفاق كل المصادر العربية ـ باستثناء الزياني ـ والأعجمية على كون المولى إسماعيل لم يوص لأحد من أبنائه بولاية العهد.

ج ـ أن التناقض الذي وقع فيه پيللو لا يقلل من قيمة القرينة السابقة. فقد قرر أن أحمد الذهبي هو ولي العهد، ثم أشار بعد ذلك إلى أنه قد بادر إلى مطالبة والده ـ وبإلحاح شديد ـ بالعهد إليه. ومن أجل انتزاع ولاية العهد انتقل من تادلا إلى مكناس على وجه السرعة، لما علم بمرض والده. هذا علاوة على التدابير التي اتخذها لإبعاد منافسيه، المولى عبد الملك والمولى عبد الله، والمكر الذي سلكه للسيطرة على السلطة بواسطة الباشا مساهل (Pellow, 138 - 139).

د ـ أن أعوان الباشا مساهل هم الذين أشاعوا بأن المولى إسماعيل قد عهد بالخلافة إلى أحمد الذهبي، حتى لا تتشوف نفوس إخوته لمنازعته الملك، ويحظى بالمشروعية لدى الجميع.

ومهما يكن فإن المولى إسماعيل لم يوص لأحد من أبنائه. رغم أنه استشار بعض العلماء، اقتناعا منه بعدم كفاءة أي واحد منهم ؛ وأن أحمد الذهبي هو الذي بويع سلطانا من بعده من قبل جيش العبيد أولا، ثم الأودايا وسائر قبائل الجيش بعد ذلك. وحذا حذوهم خاصة الناس وعامتهم في سائر الآفاق. فترادفت على أبواب مكناس الوفود حاملة بيعاتها. ويُجمل ابن زيدان الكيفية التي تمت بها بيعة أحمد الذهبي قائلاً : "أشاعوا [أي عبيد البخاري] أن والده عهد إليه كي لا تتشوف نفوس إخوته لمنارعته الأمر واختلقوا له طابعا باسمه، وكتبوا عدة مكاتب لسائر البقاع المغربية وطبعوها بطابعه مظهرين أن والده عهد إليه بالخلافة من بعده" (*الإتحاف*، 1 : 266).

والملاحظ أن سكان فاس قد تخلفوا بضعة أيام عن بيعته لأنهم كانوا قد فتكوا بالقائد أبي علي الروسي وجماعة من أصحابه. فأوجسوا في أنفسهم خيفة من كيد السلطان (*زهر الأكم* : 204، *نشر المثاني*، 3 : 297). لكنهم سرعان ما بعثوا إليه ببيعتهم مع وفد منهم ؛ واشتغلوا ـ في نفس الوقت ـ بتحصين مدينتهم، تحسبا للحصار، لأنهم لم يأمنوا غائلة العبد.

ولما تربع أحمد الذهبي على أريكة الملك طاف على بيوت المال ومخازن السلاح والكسوة، ففرق المال على الجيش، وعمَّ نواله العلماء والشرفاء والطلبة، وخص كبار الضباط بجزيل العطاء ؛ ثم قام بتصفية عدد من كبار موظفي المخزن مثل علي بايشي زعيم البربر وعامل العمال، وأحمد بن علي اليازغي الذي كانت عمالته تمتد من جبال مرموشة وبين وراين وغياثة إلى الحياينة، وإلى بلاد الهبط مع فاس وماوالاها. كما قتل الباشا ابن الأشقر عامل زرهون الذي كان إلى نظره سائر أعشار قبائل الغرب، ومرجان الكبير صاحب بيوت المال، الذي كان له النظر في أمور المداخيل والنفقات (*البستان الظريف*، 215).

وتتفق مختلف المصادر على أن قتل هؤلاء الموظفين كان إيذانا بتقويض أركان الدولة ؛ إذ بعد موتهم استخف الرعايا بأمر الملك لأنهم لم يعودوا يتهيبون ممن يحول بينهم وبين الزيغ والفساد ؛ وخاصة قبائل الجبال التي كانت منكبسة وراء القلاع المخزنية ؛ فاشتغلت بشراء الخيل واقتناء السلاح (م. س. ن : 216).

وفي نفس الوقت اضطرم أوار الفتنة بفاس بين المدينة الإدريسية والأوداية النازلين بفاس الجديد. فكانت الحرب سجالا بين الطرفين طيلة دولة أحمد الذهبي الأولى. وعوض أن يتدخل السلطان لحسم مادة الخلاف بين الجانبين، فقد انساق في المؤامرات والدسائس التي حاكها العبيد. ومن ثم صار كاللعبة بين أيديهم، فاستبدوا عليه في معظم الأحوال. فكثر القتل، وفشا النهب واستشرى الجور، وانتهكت الأعراض، وتدنست الحرمات، والسلطان مقبل على لهوه وملذاته.. من أكل وشراب وسماع..، الشيء الذي جعل لهيب الفتنة يسري في مختلف جهات البلاد. فكثرت الغارات بين القبائل وعم النهب، وانقطعت السبل، وانتشر الخوف، وأكل القوي الضعيف (*نشر المثاني*،3 : 298).

ولما استيقن جيش العبيد بأن السيل قد بلغ الزبى، وأن الأمور إذا استمرت على ذلك المنوال، قد يفلت منهم زمام الأمر ائتمروا بالسلطان، واتفقوا على عزله. فخلعوه في 8 شعبان 1140 / 1728، وأرغموه على مغادرة دار الملك ؛ بل فرضوا عليه إقامة إجبارية في داره "بالهديم" خارج القصبة المكناسية. فكانت مدة دولته الأولى عاما وستة أيام (*زهر الأكم*، 220 ـ 221 *والترجمان المعرب* : 31). وفي نفس الوقت بعثوا برسلهم إلى أخيه عبد الملك الذي كان ما يزال منتفضا بالسوس، فعقدوا له البيعة. ولما تولى الملك قبض على أحمد الذهبي وبعث به إلى تافيلالت، وكتب إلى العامل بها أن يسمل عينيه بفور وصوله. لكن ذلك الخبر

نما إلى السلطان المخلوع، فعمل على التخلص من حراسه والفرار إلى زاوية أحنصال واستحرم بها في 28 رمضان 1140 /8 ماي 1728 (*نشر المثاني*،3 : 301 *والاستقصا*، 7 : 120).

وقد أشرنا إلى أنه كان قد اتصل بالشيخ الحنصالي في أثناء ولايته على إقليم تادلا. وفي أثناء نزوله عند ذلك الشيخ تنبأ له بالعودة إلى الملك، لأنه كان يشتغل بعلم الحدثان، يربط بعض الإخباريين بين هذا التنبؤ وبين مبادرة العبيد إلى حمله ثانية إلى سدة الملك. والحقيقة أن عبد الملك لم يستطع الاستجابة إلى شطط العبيد، ولم يزدهم في العطاء، كما أن الوضع السياسي في البلاد عامة لم يكن قابلا للرتق بسبب ثقل أوضاع العهد السابق.

وهذا ما جعل العبيد ـ الذين لم يكونوا يفكرون إلا في البقاء في مراتع جشعهم وتلاعبهم ـ يقلبون ظهر المجن لعبد الملك، لا سيما وأنه قد حاول أن يتملص من ضغطهم، فعمل على استمالة البربر والتقرب منهم لكسر شوكة العبيد. لذلك ركب هؤلاء من مشرع الرمل وقصدوا قاعدة الملك، فنهبوا الممتلكات وجاسوا خلال الديار، ونادوا في المدينة بعزله ونصر أحمد الذهبي.

قدم المترجم له عليهم، وفي طريق عودته من زاوية أحنصال التقى بطوما بيللو مع رجاله من العبيد، بالقرب من تاساوت، فرافقوه حتى مدينة مكناس (*T. Pellow*, 145). وبعدما عرج على قبيلة بني حسن والتف حوله الأوداية، دخل دار الملك بمكناس، فبايعه ـ من جديد ـ من حضر من القواد والقضاة والعلماء والأشراف، وذلك يوم الاثنين 24 من ذي الحجة 1140 (*نشر المثاني*3 : 316، *الترجمان* : 33). وهنالك قدمت عليه بعض الوفود من الحواضر والبوادي.

وفي 2 محرم 1141 زحف إلى مدينة فاس لأن أهلها ـ وخاصة اللمطيين ـ ظلوا متمسكين ببيعة أخيه عبد الملك (*زهر الأكم*، 223) ؛ بل لقد فتكوا ببعض رجاله، مثل صالح اللريني والخياط عديل. ونهبوا ممتلكات أنصاره الأوداية، الشيء الذي دفعه إلى أن يضرب عليهم الحصار ؛ فحمي الوطيس واستحرت الحرب من جديد. ويصف الزياني هذا الحصار قائلاً : "ونزل على فاس بجميع العساكر، وركب عليها المدافع والمهاريس والمجانيق، وأمر العسكر بالعيث في أجنتها وبحائرها، ونسف ثمارها، وأمر الطبجية بإرسال صواعق البومبة والكور وحجارة المجانيق عليها ليلاً ونهاراً فأرسلوها إلى أن عمها الخراب وانهدم كثير من دورها" (*الترجمان*، 34) كما يشير القادري في نفس السياق إلى أن العبيد "قطعوا الماء عن عدوة القرويين" (*نشر المثاني*، 3 : 319).

وقد امتد هذا الحصار طيلة خمسة أشهر متوالية حتى ضاق الحال بالسكان. وكانت تلك الفترة من أحلك الفترات التي عاشها سكان فاس. ورغم أنهم أعدوا عدتهم لمواجهة الحصار فقد قلت الأقوات، وارتفعت الأسعار، بسبب النهب الذي تعرضت إليه أمراس المدينة ومواشيها.

كما امتدت الفتنة إلى أحواز المدينة لأن جيوش أحمد الذهبي تعقبت الفارين من أهل فاس، وفلول القبائل المساندين لهم في مختلف الجهات (م. س. ن).

ورغم الأزمة التي حلت بأهل فاس، فقد لاقت الجيوش المحاصرة هولاً كبيراً في خَضْد شوكتهم طوال تلك المدة. وحين لم تغن عنهم كثرتهم، ولم يستطيعوا اقتحامها عنوة عمدوا إلى تدبير مكيدة ؛ إذ تظاهروا بالرغبة في إبرام الصلح مع عبد الملك. فغرروا به حتى التقى بأحمد الذهبي، في يوم الخميس 21 جمادى الأولى سنة 1141.

وفي نفس الوقت قبل أهل فاس عقد البيعة للسلطان أحمد الذهبي وبشروط اشترطوها عليه. فتظاهر لأخيه بالبشر والبرور، زاعما أن أهل فاس تشفعوا فيه، الأمر الذي جعل عبد الملك يشهد على نفسه بالتنازل عن الملك (*الإتحاف*، 1 : 292). ثم قبض أحمد الذهبي عليه وأرسله إلى سجن مكناس ليسجن بدار الباشا مساهل. وفي يوم الجمعة 22 من الشهر صلى أهل فاس مع السلطان، وأهدوا إليه وشكروا صنيعه ؛ فسرح مساجينهم، وانعقد الصلح كذلك بينهم وبين الأوداية، وبذلك توقفت الحرب ورفع الحصار (*الإتحاف*، 1 : 293-294).

وكان العقد والحل طوال هذه المدة بأيدي العبيد. أما السلطان أحمد الذهبي فلم يكن له من الملك إلا الاسم، لا يقطع أمراً إلا بما يأمرونه ؛ لا سيما وقد اختلت صحته بسبب إصابته بمرض الْحَبَن. فظل يعاني من الوهن، حتى إذا أحس بدنو أجله حمله العبيد إلى مكناس. وبفور وصوله أمر أخويه محمد بن عربية وسليمان بن الجامعية وبعض العبيد من أهل مشورته بقتل أخيه عبد الملك، فخنقوه ليلة الثلاثاء الموفي 30 رجب 1141 / فاتح مارس 1729 (م. س. ن : 294).

وبعد ثلاثة أيام لفظ أحمد الذهبي أنفاسه في يوم السبت 4 شعبان من السنة /4 مارس 1729 وقيل إنه مات مسموماً، إذ دس إليه السم من قبل إحدى زوجات والده. (*زهر الأكم*، J. De Léon, 15, 225) فكانت مدة دولته الثانية عشرة أشهر و21 يوماً.

ومن بين الأعلام الذين قامت عليهم دولة أحمد الذهبي، يمكن أن نذكر أخاه مولاي علي الذي كان خليفة له على مدينة مراكش ؛ وابنه أبا فارس وأخاه المستضيء، والباشا مساهل الذي كان صاحب التدبير والسياسة، وموسى الجراري وكروم بن رحمون ومحمد بن علي ويشي، والباشا علي بوشفرة وأحمد بن علي الريفي والمحجوب العلج.

ومن قضاته محمد بن أحمد التماق.

ومن منشآته المعمارية قصبة تادلا التي اتخذ بها داراً ومسجداً (*الإتحاف*، 1 : 296).

أما على الصعيد الخارجي، ففي أثناء حصار مدينة فاس قدم إلى المغرب القنصل الانجليزي راسل مرتين،

مستغلاً فرصة ولاية السلطان الجديد ليطالبه بفداء الأسرى الانجليز، وتجديد معاهدة 1721. وفعلاً أنعم عليه أحمد الذهبي بفداء كل الأسرى الأنجليز الذين كانوا في سجن مكناس. وللإشارة، فقد رافق البعثة الانجليزية الكاتب برايطوايت الذي خلف عن تلك الرحلة كتاباً مشهوراً يصف حالة المغرب بعد وفاة المولى إسماعيل، وعهد أحمد الذهبي بصفة خاصة (T. Pellow, 142. n. 333).

م. القادري، *نشر المثاني*، ج3، *التقاط الدرر* ؛ الريفي، *زهر الأكم*؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ الزياني، *الترجمان ...* والبستان ؛ أكنسوس، *الجيش*، ج 2 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 7 ؛ المشرفي، *الحلل* ؛ ابن زيدان، *إتحاف*، ج 1، *والمنزع اللطيف* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج 2، *معلمة المغرب*، ج 6.

Braithwaite, *Histoire des révolutions*, J. De Léon, *Vie de My Ismaïl* ; T. Pellow, *Relation...* ; A.G.P. Martin, *Quatre siècles...* ; M. Morsy, *Les Ahansalas...* ; G. Drague, *Esquisse*.

أحمد عمالك

الذهبي ← **أحمد المنصور** السعدي

الذهبي، أبو **جعفر** أحمد بن عتيق بن الحسين بن جرج البلنسي (554ـ601 / 1156 ـ 1204) ينتسب إلى بيت بني جرج، البيت المشهور بقرطبة، وعرف بالذهبي لأن جده كان مولعا بالكُتُبِ بالذهب والتصوير به، فجرى ذلك على عائلته.

ولد ببلنسية سنة554 / 1159 وكان من أعيانها، واشتغل بتحصيل العلوم الشرعية والآداب على عدد من كبار علماء الأندلس كابن مضاء اللخمي وأبي القاسم ابن حبيس وأبي عبد الله بن حميد وغيرهم، حتى أصبح مشاركاً في العلوم متحققا بأصول الفقه، ماهراً في اللغة العربية، ذا حظ من نظم الشعر، وكان مع هذا طبيباً ماهراً.

تؤكد شهادات معاصريه أنه كان ذا شخصية فريدة في أخلاقه وعلمه الواسع وتوقد خاطره وذكائه، لذلك بالغ بعضهم في تعظيمه وتقديمه على علماء عصره، حتى قال فيه أحد أصدقائه وملازميه وهو أبو الوليد الشقندي : "إن الكمال الإنساني إن جمع لإنسان فإنه لم يعد ثلاثة : أرسطو وابن سينا وأبا جعفر الذهبي" (*الغصون اليانعة*، 36).

وإلى جانب ما سبق، تفنن الذهبي في العلوم النظرية والقديمة، وأحاط بكثير من الفلسفة، حتى مهر في كل فن منها. وساعده على ذلك ذكاؤه وحسن استنباطه، فاعتبر أعلم أهل زمانه فيها. وقد استفاد من إتقانه للعلوم النظرية في حسن الاستنباط والغوص على دقائق المعاني لآيات القرآن الكريم.

وبسبب اشتغاله بالفلسفة وصحبته للفيلسوف أبي الوليد بن رشد، كادت أن تلحق به المحنة التي لحقت بأبي الوليد وأبي عبد الله بن إبراهيم وجماعة من أصحابهما على يد الخليفة الموحدي يعقوب المنصور، لكن الذهبي نجا من ذلك بفضل خدمته للأمير أبي الحسن علي بن أبي جعفر ابن عبد المؤمن بغرناطة، ولم ينله منها سوى "العنات" وجهها له مجلس من الخاصة بمحضر الأمير، وبأمر من السلطان. ومع ذلك فقد توارى عن الأنظار ولحق بقرية قاشرة مختفيا حتى مرت سحابة تلك المحنة، ثم عفا عنه الخليفة وقربه منه وصار طبيباً له ومن جلسائه.

اشتغل الذهبي أول أمره بالعلم ببلنسية، إلى أن ذاع صيته وجل قدره بين العلماء، وكانت أصداء ذلك تصل إلى الخليفة المنصور الذي كان حريصا مثل أبيه على تزيين مجلسه بخيرة أهل العلم في المغرب والأندلس، فاستدعاه إلى حضرته مراكش وصار من أعضاء مجلسه، ولم تزل مكانته ترتفع ببلاط الخليفة بفضل علمه ومواهبه حتى قدمه على هيئة "طلبة الحضر" فأصبح شيخاً أو مزواراً لها، ولم ينل هذه الرتبة في عصر الموحدين إلا قلة من كبار العلماء أمثال أبي محمد المالقي وأبي الحسن بن القطان.

ثم قدمه المنصور للشورى والفتوى في القضايا الشرعية، وقد بلغ الغاية في إجاباته في المسائل والفتاوى الفقهية والنوازل. وبلغ من حذره من الموحدين وولائه لسياستهم الدينية أنه كان يراعي في أجوبته الفقهية أصول مذهب الإمام مالك دون أن يسند كل قول إلى صاحبه من فقهاء المذهب نظراً لموقف يعقوب المنصور من الرأي وفقه الفروع. وفعلاً كان الذهبي من أجلّ من يحضر مجالس الخليفتين يعقوب المنصور وابنه محمد الناصر من العلماء. وبسبب قربه منهما نال جاها عريضا أسنده ثراء واسع بما كان يصله منهما من إحسان وعطايا، فقد وصله المنصور مرة بألف دينار ذهبية مكافأة له على إلقائه لمسألة فلسفية بين يديه تمكن الخليفة من فهمها واستيعابها.

استوطن الذهبي مدينة مراكش مدة طويلة، وبها لقيه ابن حموية السرخسي رسول صلاح الدين الأيوبي إلى يعقوب المنصور، فأعجب به وأشاد بعلمه ومعارفه وأخلاقه، وأثنى عليه في كتابه "*الرحلة المغربية*". وكان احتفاظ الموحدين به وبأمثاله من العلماء بالعاصمة مراكش يعكس متانة الثقافة العربية الإسلامية بالمغرب وعلو كعب أبنائه فيها، وذلك ما لا حظه عدد من المترددين على مراكش في العصر الموحدي.

وتعبيراً عن ولائه للموحدين ألف الذهبي كتباً ضاع منها *كتاب الإعلام بفوائد مسلم للمهدي الإمام*، وكتاب *حسن العبارة في فضل الخلافة والإمارة*، كما قيدت عنه في الفقه وغيره فتاوى بديعة وجوابات حسنة" (*التكملة*، 1 : 95).

ورغم إتقانه للفلسفة واشتغاله الطويل بها، فإننا لم نقف على شيء من المقولات الفلسفية التي كان يتبناها، ربما لأنه لم يؤلف في الموضوع كما فعل ابن رشد، إضافة إلى أن كل من كتب عنه لم يُعر هذا الجانب اهتماماً.

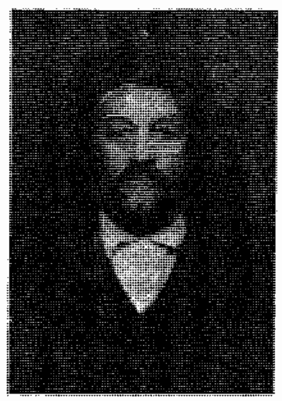
وقد بقي الذهبي مقدما محتفى به إلى أن توفي بمدينة

تلمسان وهو يرافق محلة الخليفة محمد الناصر في حملته إلى إفريقية سنة607 / 1204.

ابن الأبار، *التكملة*، تح. د. عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، د.ت.، 1 :85 ؛ ابن سعيد، *المغرب في حلى المغرب*، تح. شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ط 3 ــ1978، 2 : 321 ؛ *الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة*، تح. إبراهيم الأبياري، القاهرة، ط 3، 1977، ص.36 ؛ *رايات المبرزين وغايات المميزين*، القاهرة، ص. 115 ؛ ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، تح. محمد بنشريفة، بيروت، د. ت، 1 : 279 ؛ ابن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*، بيروت، دار الثقافة، ط 4، 1987، 3 : 132 ؛ إ. ابن فرحون، *الديباج المذهب*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، ط2، 1972، 1 : 217 ؛ الصفدي، *الوافي بالوفيات*، تح. د. رينغ وآخرين، فيسبادن، 1974، 62، 7 : 176 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968، 3 : 206 ـ411 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 74ــ1984، 2 : 107.

محمد المغراوي

الذهبي، علي بن أحمد بن علي الزكَّاري الحسني (نسبةً إلى قبيلة بني زكَّار قرب قبيلة رهونة بناحية وزان) انتقل أسلافه منها إلى شفشاون ومنها إلى تطوان.



ولد في عام 1322 / 1904 وحفظ القرآن على الفقيه المدرر محمد بن المهدي داود الودراسي بكتّابه المقابل لجامع الزريني بدرب الصفار من حومة الربض الأسفل من تطوان. وأخذ عام 1334 المتون المعهودة : *الجرومية والألفية والمرشد المعين ومختصر خليل والسنوسية والتحفة والرسالة* على الفقهاء : أحمد الزواقي وأحمد الرهوني ومحمد الفرطاخ، ومحمد المرير ومحمد بن التهامي أفيلال وغيرهم، ثم انتقل إلى فاس عام 1338 فأخذ عن الشيوخ : عبد الله الفضيلي وأحمد بن الجيلالي الأمغاري والفاطمي الشرادي ومَحمد النميشي ومحمد بناني والحسن مزور ومحمد ابن السلمي وأبي شعيب الدكالي والطايع ابن الحاج وأحمد بن الخياط والمهدي الوزاني العمراني ومَحمد ابن الحاج ومَحمد العلمي وأحمد بن المامون البلغيثي.

وحصل على شهادة العالمية بتوقيع رئيس المجلس العلمي السيد أحمد بن الجيلالي وأعضائه، وقد حصل على هذه الميزة الخاصة لتفوقه وشدة ذكائه ونبوغه. وكانت هذه الشهادة لا تعطى يومئذ إلا للمقيمين بفاس بعد تخرجهم ولا تعطى للأغراب. وكان هذا عام 1344 / 1925 رجع بعده لمسقط رأسه تطوان وشرع في التدريس بالجامع الكبير بصفة رسمية ثم تعاطى العدالة والإفتاء. قبل أن يعين قاضياً بقبيلة بني حزمر قرب تطوان عام 1346 ومنها نقل عضواً لمجلس الاستئناف الشرعي بتطوان ثم مستشاراً شرعياً بالمحاكم القانونية بنفس المدينة. وبعد استقلال المغرب عين عضواً بالمحكمة الإقليمية بتطوان إلى أن توفي.

امتاز بهدوء الطبع وشدة الذكاء وحذق القضاء، فكان مرجعا لحل المشكلات والقضايا العويصة. كما كان مشاراً إليه بإتقان التدريس وجودة الفهم وقوة الحافظة يُجهد نبغاء الطلبة أنفسهم في إيراد الإشكالات عليه رغبة في إرباكه فسرعان ما يحل الإشكال ويبطل الإيراد.

لقيته في عرفات في موسم حج عام 1382 وعلامات الإجهاد والتعب والمرض بادية عليه، وهو راض مسرور داع مستغفر مستعبر، ثم عاد إلى تطوان مزاولاً عمله بالمحكمة إلى أن لقي ربه يوم الأربعاء 11 شعبان عام1384 / 16 دجنبر 1964 ودفن خارج باب المقابر.

م. ابن الحاج، *إسعاف الإخوان الراغبين*، ص. 486 ؛ *معلومات شخصية*.

محمد بوخبزة

الذيب، كحيوان مفترس لا يوجد بالمغرب، وإنما يوجد به ابن آوَى الذي يشبهه (انظر ابن آوى). ومع ذلك نجد للذيب صدى واسعاً في المناطق التي يهيمن فيها نمط الترحال ويعتمد أهلها بشكل خاص على تربية قطعان الماشية، فإن ذلك يقود إلى تأسيس علاقة متميزة مع حيوان يرتبط خاصة بهذا النشاط، ففي وادي نون مثلاً الذي ينطبق عليه هذا الوصف نلمس كثافة تردداه في الأشعار والحكي (الأدب الشفوي) كما يختفى حضوره أيضاً ضمن نسق من الاستعارات بإدماجه (كرمز) داخل بنية العلاقات الاجتماعية، فوجود بعض الفئات تحت اسم "الذويبات" (تصغير ذئب) يظهر انتماء هاته الأخيرة بشكل خاص إلى المستويات الدنيا في سلم التقسيم أو اعتبارها فئات غير مالكة أو لا تنتمي إلى نفس الجينالوجيا مع الفئة المهيمنة التي أطلقت الرمز كتصنيف، فالذئاب معروفة بسرقة القطيع وهو الرأسمال الجماعي أو الفردي، وهم في هذه الحالة لا ينتمون للفصيلة ولا يتمتعون بالتصرف في هذا الرأسمال المتحرك، بل إن الإنسان في المجموعة يشبه

الخروف في القطيع مما يحتم درجة من التماسك وحضور الآخرين، فالقطيع يقدم كجماعة وكدرجة من الالتحام تنفي غير المنتمين (Chevalier, 343) وهذا ما يدفعنا إلى التأكيد على أهمية التراتبية داخل القبائل خلافاً للفكرة التي روجتها الأطروحة الانقسامية (*الحمودي* : 68 ـ69) ويدفعنا بالمقابل إلى التنبيه إلى أن هاته اللامساواة مثلما يجب البحث عنها في الأحداث التاريخية فانها أيضاً تجري بشكل أهم في اللغة والممارسات والمعتقد.

ع. الله الحمودي، *الانقسامية والتراتب الاجتماعي والسلطة السياسية والقداسة* ملاحظات حول أطروحات گلنز، ضمن الانتروبولوجيا والتاريخ، تر. عبد الأحد السبتي، ط1 ، الدار البيضاء، 1988.

Encyclopédie des animaux, éd. Alberto Perruzzo, Rome, 1980 ; J. Chevalier et A. Gheerbrant, *Dictionnaire des symboles*, Paris, 1974 ; *Revue Historia*, Mars 1983, n° 436, 1 - J. Emmanuel, *Les loups*, p. 16 - 19, 2 - D. Bernanrd, *Ce que cache l'histoire du loup*, p. 20 - 22.

أحمد جوماني

الذيب، أسرة يهودية بأزمور حين كانت أزمور تضم عشية احتلالها من قبل البرتغاليين جالية يهودية لا نعرف أهميتها. وقد أرجع الوزان سقوط المدينة في أيدي الغزاة إلى خيانة أفراد تلك الجالية، في حين أن المصادر البرتغالية، وتقارير المشرفين على الحملة، تذكر أن دور أحد أفراد أسرة أولاد الذيب، وهو يعقوب، اقتصر على إشعار قائد المحلة بتوقف المغاربة عن المقاومة وإخلائهم لمدينتهم.

وعلى غرار ما فعله الملك البرتغالي بعد احتلال أسفي، قرر يوم 18 يونيو 1514 فرض جزية على كل أسرة يهودية، وعين يوسف بن الذيب حاخاما أكبر لتلك الجالية (23 يونيو 1514).

ينحدر يوسف بن الذيب من أسرة نزحت إلى المغرب من البرتغال فراراً من الاضطهاد. ولعل ذلك تم بعد إلزام كل يهود البلاد بالتنصر أو مغادرة البلاد (1496). ولعب أفراد هذه الأسرة دوراً كبيراً في التوسع البرتغالي بداخل دكالة والشاوية انطلاقا من أزمور، وفي المفاوضات التي أجراها المسؤولون عن تلك المدينة مع القبائل والسلطات المغربية القائمة آنذاك.

لقد كان يوسف يشرك في كل القضايا التي تهم النفوذ البرتغالي بالمنطقة، وكان على اتصال مستمر بالبلاط البرتغالي، يرفع تقارير إلى الملك نفسه أو يرحل إليه لإطلاعه شفويا على الأوضاع بدكالة. فقد طلب يحيى بن بلصباع، شيخ الشاوية، من الملك البرتغالي في رسالة بعثها له في ربيع 1517 أن يطلعه عن طريق يوسف بن الذيب، الذي كان آنذاك بلشبونة، على شروط السلم مع قبيلته. كما كان هذا اليهودي مكلفا باستضافة الأعيان الذين يقبلون على المدينة بغاية التفاوض، وكان يتقاضى تعويضا عن ذلك من الخزينة البرتغالية.

وتوصلت محكمة تفتيش لشبونة بتبليغ مؤرخ في 18 يناير 1537 مفاده أن يوسف هذا تنصر، وأنه كان قليل التمسك بدينه الجديد. وسرعان ما اصطدم هؤلاء الوسطاء اليهود مع الأعيان المسلمين الذين كانوا مكلفين بنفس الأدوار. وعلى غرار ما حدث بأسفي بين كبير يهودها، أبراهم بن زميرو، وكبير الوسطاء والقواد المسلمين، يحيى أوتعفوفت، تآمر أبناء الذيب بأزمور ضد قائد الشرقية، عبد الرحمن بن حدو، وألصقوا به تهما جعلته يخاف على نفسه ويفر من المدينة.

وتزايدت مكانة أولاد الذيب بعد تغير ميزان القوة لصالح القبائل المغربية وبداية مشاكل البرتغاليين في المنطقة. فقد اتهم برتغالي في رسالة موجهة إلى الملك يوحنا الثالث (10 أبريل 1530) القبطان بكونه لا يستشير إلا اليهود الذين أصبحوا يحرضونه على طلب السلم من السلطان أحمد الأعرج، وأخبر المراسل الملك بالتحاق أحد أبناء الذيب فعلا بمحلة السلطان وبتسليمه هدية.

وعُين يحيى الذيب، وهو ابن يوسف المذكور، يوم 9 شتنبر 1514 ترجمانا بأزمور، وهو المنصب الذي احتفظ به بقرارين ملكيين لاحقين (1520 ـ1524). وكان مكلفا تبعا لذلك بحضور المفاوضات بين المسؤولين البرتغاليين وأعيان القبائل بخصوص السلم وشروط الخضوع للتاج البرتغالي. ففي رسالة أعيان أولاد عمران إلى قبطان أزمور (صيف 1516) نقف على الجهود التي بذلها يحيى المذكور لإقناع تلك القبيلة بالخضوع. كما نفهم من الرسالتين اللتين بعثهما من تادلا أن القبطان كلفه بالتفاوض مع القائد أحمد العطار (1529). وهي نفس المهمة التي أنيط بها مرة أخرى لدى مساعدي السلطان أحمد الأعرج. ففي رسالة من محمد بن لحسن زنبق "وصيف مولاي أحمد"، (ربيع 1530) نعلم أن يحيى هذا فاوض الشريف في شأن هدنة مع أزمور، وحاول دفعه إلى إيقاف الغارات التي كانت تستهدف تلك المدينة انطلاقا من سلا : "فقد وصل إلينا الشيخ يحيى بن الذيب والتقينا معه فيما ذكرت لنا من حجة الصلح ...". كما أرسله قبطان أزمور (يونيو 1530) إلى فاس للتفاوض مع السلطان الوطاسي. وفي طريق العودة، مر بسلا واقترح السلم على قائدها. وبهذا لم يخطئ قبطان أزمور السابق، الذي اعتبر في تقرير مؤرخ في أكتوبر 1516 أن يحيى الذيب من "الخدام الأوفياء لجلالتكم وأعتبرُه شخصيا رجلا مخلصا".

ونجهل مآل أفراد هذه الأسرة بعد تحرير أزمور سنة 1541.

أ. بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء أسفي وأزمور*، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1984.

P. de Cenival [et al ...], *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc*, 1ère série, Portugal, 5 volumes ; G. S. Colin, *Des Juifs nomades retrouvés dans le Sahara marocain au XVIème siècle*, dans *Mélanges d'études luso-marocaines dédiées à la mémoire de David Lopes et Pierre de Cenival*,

Lisbonne-Paris, 1945, p. 53 - 66.

أحمد بوشرب

الذيب، علي (الحاج -) أول حاكم لمدينة تطاون في بنائها الأخير بعد القائد المنظري الأندلسي الحفيد، ولا يعرف عنه أكثر من هذا، قال الرهوني : "ولازال أولاد الذيب إلى الآن بتطوان". قلت : هذا كان قديما وقد انقرضوا الآن. نعم بقيت أسرة تعرف بالذويب بالتصغير ولا علاقة لها بالأولى.

وقد بقي الحاج علي الذيب عاملاً على تطوان مدة إلى أن ثار عليه سكان البلد برئاسة مقدمهم القائد حسين، وعزلوه وطردوه، فانتقل إلى أعلا البلد وشرع في بناء الحي المتصل بها من جهة الشمال الغربي، وهو المعروف الآن بحومة الطالعة (طالعة السوق الفوقي) ولم يكن في تلك الناحية بناء قبل ذلك، وبنى الناس هناك حتى بلغ عدد الدور في مدة يسيرة نحو خمسمائة دار، وبنى القائد الذيب بأعلا ذلك الحي قصبة نسبت إليه ولازالت معروفة بهذا الاسم إلى الآن (قصبة الذيب) وقد سقط قسم منها في انفجار للبارود وجُدد، وكانت هناك على باب القصبة كتابة، وبها مسجد ومن أعلاها تطلق المدافع في الأعياد وللإفطار في رمضان.

ولتقريب تحديد تاريخ تولية الذيب على تطوان نشير إلى أن المؤرخ الإسباني مارمول - وكان حياً في ذلك العصر - ذكر في *إفريقية* (2 : 242 – 244) أن أهل تطوان انقسموا فرقتين فكانت كل واحدة تقاتل الأخرى، وان إحدى الفرقتين طردت الأخرى من المدينة وأنه في سنة 1567 (وهي توافق عام 974 – 975) دخل قائد المطرودين إلى البلد في غيبة حاكمها وقتل كل من وجد بها من الفرقة المعادية له ولأصحابه : فقامت بسبب ذلك ثورة اضطرت السلطان لإرسال قوة لقمعها، وكانت تلك القوة مؤلفة من ألف فارس وألفي راجل، وأن جند السلطان قصد تطوان وقبض على رئيس الثوار وأرسله سجينا إلى فاس، ثم طارد أنصاره، وأن قائد أولئك الفرسان بقي بالمدينة. أما قائد المشاة فقد رجع إلى فاس ليبلغ الخبر إلى السلطان، ولم يذكر مرمول أسماء المعنيين بالأمر إلا أن ابن القاضي ذكر في *لقط الفرائد* أنه في تاسع محرم عام 975 أخرج الأمير أبو محمد عبد الله الشريف الحسني (يعني السلطان الغالب عبد الله بن محمد الشيخ السعدي المتولي من عام 965 إلى 981) القائد (حسين) من قيادة تيطاون، واستنتج الأستاذ داود من هذه النقول أن بعض سكان تطوان من الأغمار كما وصفهم الأستاذ التهامي الوزاني في مقابلة الأخيار الكرام من مهاجري الأندلس وهم أصحاب المنظري، في هامش صفحة 128 من الجزء الأول من *تاريخ تطوان* لداود) يرأسهم القائد (حسين) ثاروا على القائد الذيب وطردوه، فصعد إلى أعلا البلد وبنى حي الطالعة واجتمع إليه الناس، فعاد الذيب بأنصاره وانتقموا من جماعة القائد (حسين) وغلبوهم وعزلوا قائدهم وطردوه، فعاد بعد ذلك في غيبة القائد الذيب وقتل من قتل حتى جاء الجيش السلطاني وتغلب عليه وأسره وأرسل إلى فاس كما قال ابن القاضي.

قلت : ولم يرد ذكر لهذا القائد (حسين) في هذه المصادر إلاّ هنا ولم يعرف من هو ولعل الصواب إنه (حَسَن) لا حسين، وقد عثر مؤخراً على رخامة قبر لقائد تطوان قاسم بن محمد حسن من عائلة (حسن) الأندلسية التي ما زالت موجودة المتوفى عام 954 فلعل هذا القائد من هذه الأسرة، ولم تذكر المصادر تاريخ وفاة الحاج علي الذيب ولا شك أنها كانت في العقود الأخيرة من القرن العاشر (16م).

أ. ابن القاضي، *لقط الفرائد/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ج 1، ص. 124، طبع تطوان ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*،2 : 18، مخطوط ؛ ع. السلام سكيرج، *نزهة الإخوان*، ص 4، مخطوط ؛ مارمول كرباخ، *إفريقيا*، تر. محمد حجي وآخرين، الرباط، 1984.

محمد بوخبزة

الذيب، محمد بن عبد القادر التلمساني الوجدي، مقاوم ولد سنة 1923، استقر بمدينة وجدة ومارس بها مهنة الدرازة إلى غاية شهر غشت 1953 وغداة اندلاع الثورة في 16 غشت 1953 بوجدة ضد ما كان يحاك ضد السيادة المغربية، شارك بغيرة وطنية صادقة إلى جانب الثوار وقد ألقي عليه القبض خلال هذه المظاهرة وتم إيداعه السجن رفقة من ألقي عليهم القبض من رفاقه في الكفاح أثناء أحداث وجدة الشهيرة، ونظرا لما لاقاه هذا المجاهد من أنواع التعذيب والتنكيل التي تعرض لها مع باقي المتظاهرين المسجونين وبسبب ضيق الزنزانة من جهة وكثرة المعتقلين وشدة الحرارة بها من جهة ثانية لفظ الشهيد أنفاسه الأخيرة يوم 18 غشت 1953.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 3 : 101.

ذيبُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس انقرضت بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمرجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 693.

محمد ابن عزوز حكيم

ر

رابطة الغار، وحدة صوفية تقع خارج الواجهة الجنوبية (*التشوف*، من السور المرابطي لمراكش بجوار باب أغمات 312) وهو الموقع الوحيد خارج مراكش الذي ذُكر مقرونا باسم رابطة في خريطة مواقع التصوف بسهل الحوز في العصر الوسيط.

لا نعرف بدقة تاريخ ظهور هذه الرابطة، والإشارة الوحيدة التي ذُكرت فيها وهي مؤرخة، ترجع إلى عام 593 / 1197، كمكان دفن أبي يعقوب يوسف المبتلى (*التشوف*، 312) وهذا يفيد وجودها قبل هذا التاريخ. وقد أورد ابن الزيات أيضاً تاريخاً آخر ذُكرت فيه حارة الجذماء التي كانت توجد بها رابطة الغار وهو عام 583 / 1187 الذي توفي فيه الشيخ الصوفي السابق الذكر أبو عصفور بنفس الحارة دون تحديد مكان دفنه (*التشوف*، 268). فهل يفهم من هذا السكوت ظهور رابطة الغار بعد هذا التاريخ ؟

يعتبر الصوفي أبو عصفور يعلى بن وين يوفن الأجذم (التشوف، 268) وتلميذه أبو يعقوب يوسف بن علي المبتلى (*التشوف*، 312) اللذان جمعت بينهما علاقة المشيخة الصوفية أبرز رجالات أهل الطريق بهذا الموقع. وشكلت حارة الجذماء مركز ثقل النشاط الصوفي به. ولعل ما كان يجمع بين هذه الحارة والصوفيين المذكورين، خاصيتها الوقائية والاستشفائية كمكان خاص بإقامة مرضى الجذام، وهي علة يبدو أنها كانت في الشيخ وتلميذه حسبما يستفاد من نعت الأجذم والمبتلى الذين ينتهي بالأول منهما اسم أبي عصفور، وبالثاني اسم أبي يعقوب.

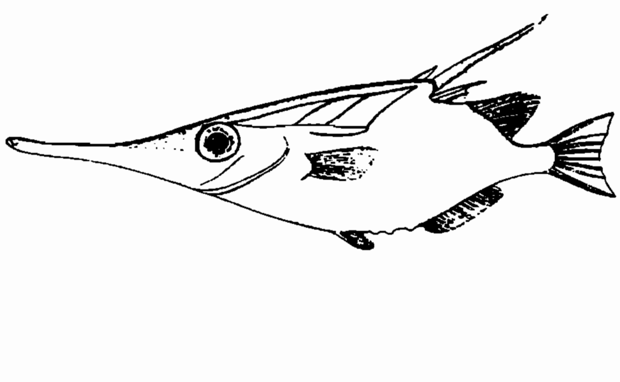
وتمثل رابطة الغار بداية مسلك الترتيب الخاص بزيارة الرجال السبعة بمراكش.

ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1984.

محمد رابطة الدين

الرابوز أو الرابوزة نسبة لشكله، وكما هو اسمه الشائع في الأسواق السمكية المغربية، سمك بحري من الأسماك العظيمة ومن فصيلة ماكرو غامفوزيدي Macrorhamphosidae . اسمه العلمي Macrorhamphus scolopax ويسمى بالفرنسية Bécasse de mer وبالإنجليزية Longspine snipefish وبالإسبانية Trompetero

الجسم مضغوط جانبيا، الرأس طويل يتقدمه خرطوم أنبوبي يبلغ طوله 4- 6 سم وينتهي بفم صغير. العينان جانبيتان وواسعتان. يشتمل الظهر على زعنفتين، تتكون الأولى من 4 -8 - شوكات، الثانية منها قوية وطويلة تبرز فوق ظهره من الجهة الخلفية. الشوكات الأخرى قصيرة وسميكة. تتكون الزعانف الأخرى من شعاعات قصيرة وهشة. الحراشف دائرية، صغيرة ومسننة في غاية الدقة تعطي لمظهر هذا النوع من الأسماك شكل ورقة زجاجية. يختلف لونه بين الكبار والصغار، فاللون الوردي المحمر والمذهب أحيانا يسيطر على ظهر الكبار والبطن فضي، الصغار شديدة السواد الأزرق جهة الظهر. الخط الجانبي منعدم لدى هذا النوع. طوله شائع بين 7 ـ 14 سم ولا يتعدى 20 سم.



يعيش وسط مجموعات متعددة الأفراد في المناطق البحرية العميقة المتراوحة بين 50 -500 متر. تفضل الكبار

العيش في أعماق البحار وخاصة منها 50 ـ 200 متر، بينما توجد الصغار في المياه القريبة من سطح البحر. يتوالد طول فصل الشتاء.

يتكون غذاؤه من القشريات الصغيرة ومن الحيوانات الهائمة الصغيرة الدقيقة وخاصة منها مجدافيات الأرجل. يقتصر توزيعه الجغرافي على الشواطئ الأطلنتية الشرقية، كما أنه يوجد في البحر المتوسط وفي المحيط الهادي والهندي وذلك في المناطق المعتدلة الحرارة.

يتم صيده بشباك الجرف وبالشباك المخصصة لصيد الإربيان. صيده تقليدي وشبه صناعي. وجوده غير منتظم في أسواق الأسماك المغربية وتستعمل أغلب الكميات المصطادة من هذا النوع في صناعة دقيق الأسماك. ويتميز هذا الدقيق بجودة عالية.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، لبنان - ط.3 1988 ؛ أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة،1932 ؛ *دليل تعريف الموارد البحرية الحية في المغرب*، المنظمة العالمية للتغذية، روما، 1998.

محمد رمضاني

رات (جبل -) في الأطلس الكبير في قسمه الأوسط وبالتحديد ضمن إقليم أزيلال في تراب قبيلة أيت بوولي. ويكتب ـ خطأً ـ "غات" بتأثير الفرنسية، والصحيح هو رات براء غير مُفخمة.

تتميز قمة هذا الجبل البالغ من الارتفاع 3788 م بحدتها وشدة انحدار سفوحها، غير أنها تشرف على منطقة أقل تعقيداً : منطقة "أعزيب إزوم" التي تتميز بسطح يغلب عليه الانبساط مع بعض التحدبات الخفيفة حيث تتناثر صخور مفككة هنا وهناك. وتتخلل هذه الأشكال نباتات متفرقة وقصيرة أغلبها من الدوم، أما الغابة فيظهر أنها اندثرت منذ وقت بعيد. لذلك اتخذ الأهالي هذه المنطقة كمرعى جماعي ضمن ظاهرة "ألمو" خلال فصل الصيف. ثم ينحدر الرعاة بمواشيهم إلى المنخفضات والأودية خلال فصل الشتاء البارد. والممر الذي يخترق جبال هذه المنطقة مُتيح الاتصال بين الجنوب والشمال هوتيزي نْ تيزغيست.

غير أن شهرة جبل رات ترتبط بشئ آخر على جانب كبير من الأهمية، تلك هي الكتابات القديمة الموجودة عند قدم هذا الجبل :

سطح صخري مستوٍ مع ميلان خفيف في اتجاه جبل رات يتكون من صفائح حجرية تتخللها تشققات وانكسارات متعددة نتيجة لعوامل التجوية والتعرية.

والحقيقة أن هذا الموضع يعتبر كتابا ثمينا سجل فيه أصحابه أفكارهم وهواجسهم واهتماماتهم، وجاء ذلك على شكل رموز ورسوم إنسانية وحيوانية وأخرى مبهمة متعددة : رسوم تمثل معارك فرسان حاملين لأسلحة معدنية، ورسوم تمثل حيوانات مختلفة بأشكال متباينة.

وقد اختلف المؤرخون في تفسير هذه الرسوم، فهناك من ردها إلى غزاة من البربر اختاروا تيزي ن تيرفيست الواقعة على ارتفاع 2500 م والقريبة من الممرات الواصلة بين الصحراء والداخل لتخليد معركة خاضوها من أجل الحصول على المراعي كانت في صالحهم. وان وجود الحجل والنعامة في الصور، يجعلنا نقتنع بوقوع الحدث في السهل.

وقد عزا مهتمٌ غيره بالموضوع هذه الرسوم إلى رعاة محاربين التجأوا إلى الجبال عند اشتداد جفاف الصحراء فيما بين 2500 و1200 ق. م.

ورأى مؤرخ آخر أن هذه الرسوم ترجع إلى العصر الحجري الحديث في المغرب، وهي من وضع عبّاد الطبيعة مارست عليهم قمم الجبال الشاهقة وعيونها المائية نوعا من الجاذبية.

وأعتقد أن جميع هذه الآراء متكاملة وكل منها تلامس جزءاً من الحقيقة، فما ذهب إليه كلوري في الرأي الأول



وسيمونو في الرأي الثاني يلتقيان في مزاولة السكان النازحين من الصحراء (بربر على الأرجح) للرعي، وهذا شيء يتطابق مع طبيعة المنطقة الرعوية ومع أنشطة سكانها حتى في الوقت الراهن بدليل أن تسميتهم تؤكد ذلك : فآيت بوولي تعني "أصحاب الغنم".

أما الرأي الثالث (سيمونو نفسه) وَالذي يرد هذه الكتابات إلى عباد الطبيعة، فإن الذي يعاين هذه الرسوم لا شك أنه سيحار في فهم كثير من الأشكال الهندسية المربعة والمستديرة وبداخلها أشكال أخرى وكلها مبهمة، من المؤكد أنها ـ بالفعل ـ تدل على مشاغل دينية.

أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، الدار البيضاء، 198 ؛ *تحريات ميدانية ومعاينة* ؛ خرائط ومراجع جغرافية متنوعة.

بوشعيب العكرود

راديو المغرب ← الإذاعة

الرأس الأبيض ← بدوزة

رأس سبارتيل ← أمپلوسيا

رأس العين، (عين بني مطهر، برگنت في فترة الحماية) تقع جنوب مدينة وجدة على بعد حوالي 80 كلم بالقرب من الحدود بين المغرب والجزائر، اشتهرت بوفرة مياهها في مجال يغلب عليه الجفاف، فاستقرت بها قبيلة بني مطهر التي طغى اسمها على اسم الموقع المذكور حتى صار يُنعت في أغلب الأحيان بعين بني مطهر. (انظر بني مطهر في *المعلمة*)، وإذا كان الموقع المذكور قد نما في عهد الاستقلال إلى أن أصبح مركزا حضريا بالجهة الشرقية في نهاية القرن الرابع عشر (20 م)، فإنه كان خلال القرن السابق موطنا مغمورا لبعض الأسر المستقرة من قبيلة بني مطهر، لكن بعد احتلال الجزائر وخصوصا بعد توقيع اتفاقية مغنية حول الحدود سنة 1845 كثُر تداول اسم الموقع المذكور في الوثائق المغربية وفي الرسائل المتبادلة بين المغرب وفرنسا بشأن الحدود.

وقد ورد ذكر رأس العين لأول مرة في البند الثالث من الاتفاقية المشار إليها أعلاه معززا برسم توضيحي يحدد موقع عين بني مطهر، (*إتحاف*،5 : 168) وأشير إليه بالعبارة التالية "بني مطهر أهل رأس العين". وترتب عن رسم خط الحدود استقرار عدد من الأسر المنتمية لأولاد سيدي الشيخ برأس العين، التي صارت ملتقى وسوقا للقبائل الرحل بمنطقة الظهرا، وكان قائد قبيلة المهاية الحاج بوبكر قد شيد بها دارا على شكل قصبة مخزنية منذ منتصف القرن الثالث عشر (19 م)، إلا أنها تلاشت في نهاية القرن، فأمر السلطان مولاي الحسن سنة 1310/ 1892 بتجديد البناء وتوسيعه تعزيزاً للحضور المخزني بالمنطقة ولمراقبة تهريب الماشية نحو الأسواق الجزائرية، غير أن المشروع لم يتحقق إلا في سنة 1899. وقد استغلت السلطات الفرنسية بالجزائر فتنة الروگي بوحمارة (انظر بوحمارة في *المعلمة*) بعد انتقاله إلى الجهة الشرقية وتحالفه مع الشيخ بوعمامة فبسطت نفوذها على أهل بني مطهر.

وتجدد الحديث عن رأس العين في اتفاق الجزائر الموقع في 20 أبريل 1902، حيث أشير في البند الثالث منه إلى إحداث سوق مشتركة في التراب المغربي بالمكان المسمى رأس العين بقبيلة بني مطهر ؛ ثم صارت مبعث توتر بين المغرب والسلطات الفرنسية بالجزائر عقب احتلال الجيوش الفرنسية الموقع المذكور في منتصف شهر يونيو 1904 بدعوى مساعدة المخزن بمقتضى الاتفاقيات الموقعة معه، وقد لعب القائد علال البوشيخي (من أسرة أولاد سيدي الشيخ) دورا كبيرا في تسهيل عملية الاحتلال بإيعاز من الجنرال ليوطي، الذي كان آنذاك حاكما لمنطقة العين الصفراء بجنوب غرب الجزائر، فغُرِّر بالحاجب أحمد الركينة الذي كان متوليا رئاسة القوات المخزنية بشرق المغرب، حيث طلب المساعدة الفرنسية لحماية عين بني مطهر من أنصار الروگي وبوعمامة، فكان ذلك سببا لإعفائه من منصبه بأمر من السلطان عبد العزيز، الذي احتج بشدة على الاحتلال الفرنسي، واعتبره خرقا للاتفاقيات الموقعة بين الجانبين وطالب بالجلاء عن الموقع المحتل. إلا أن فرنسا اشترطت مقابل ذلك إرسال قوات نظامية مغربية تتولى الحفاظ على الأمن والنظام، وهو ما عجز عنه المخزن آنذاك.

وأثيرت مسألة احتلال رأس العين في مفاوضات فاس سنة 1909 بين السلطان عبد الحفيظ والوزير المفوض الفرنسي بالمغرب (رينيو)، حيث جدد طلب انسحاب القوات الفرنسية من مناطق شرق المغرب وفي مقدمتها رأس العين، مستدلا بمغربية الموقع بموجب الفصل الثالث من اتفاقية مغنية (1845) والفصل الثالث من اتفاق الجزائر الموقع بتاريخ 20 أبريل 1902، فاقترح المفاوض الفرنسي دفع تعويض للمغرب نظير احتلال هذا المركز على أن تقدر قيمته في مفاوضات لاحقة بباريس. وتطبيقا لذلك تضمّن اتفاق باريس الموقع بتاريخ 14 يناير 1910 ما يؤكد مغربية رأس العين، حيث نص البند الثاني على أن : مركز رأس عين بني مطهر ـ برگنت ـ الموجود بتراب الإيالة المغربية يعدّ نقطة حيوية لحماية حدود الإيالة الجزائرية، وحسما لمادة الخلاف في هذا الشأن تدفع الدولة الفرنسوية (كذا) للدولة الشريفة معاوضة تُبيّن بالتوافق بينهما في المستقبل".

وكان الدافع وراء المطلب المغربي ما أقدمت عليه السلطات الفرنسية بالجزائر، حيث ضمت رأس العين إلى التراب الجزائري منذ شهر غشت 1905، بعد أن عمد ليوطي عن قصد إلى إطلاق اسم برگنت (Berguent) على رأس العين، إذ أمر بتشييد ثكنة عسكرية قرب القصبة المخزنية، وحاول إيهام الرأي العام الفرنسي أن هذا الموقع لا يوجد

بالتراب المغربي، فأصبح بذلك المركز المذكور تابعا لدائرة العين الصفراء ضمن التراب الجزائري، بناء على تأويل مغرض للبند الثاني من اتفاق 1910، فأصدر الوالي العام للجزائر (جونار) مرسوما بتاريخ 22 يوليوز 1910 أكد إلحاق عين بني مطهر بالتراب الجزائري، ويُعد تطبيق المرسوم المذكور مسا بالوحدة الترابية المغربية كما أقرها ميثاق الجزيرة الخضراء سنة 1906، مما أثار جدلا حاداً بين وزارة الخارجية ووزارة الحربية الفرنسيتين، حيث اعترف وزير الخارجية الفرنسية آنذاك ستيفان بيشون (Stéphen Pichon) بمغربية رأس عين بني مطهر المثبتة في وثائق دولية، واعتبر أن كل موقف مخالف لهذا الواقع قد يحرج الحكومة الفرنسية أمام الدول الموقعة على ميثاق الجزيرة الخضراء، وخصوصا ألمانيا التي كانت فرنسا بصدد ترضيتها لرفع يدها نهائيا عن المغرب، وبناء على ذلك لم تعد رأس العين تخضع للسلطة المباشرة للحكومة العامة للجزائر، بل صارت تابعة لسلطات الاحتلال بوجدة، مما أكد مغربيتها رغم وقوعها تحت الاحتلال.

إلا أن استبدال الاسم الأصلي باسم بركنت أصبح طاغيا أثناء فترة الحماية، إلى حد أن الذاكرة الشعبية لأكثر من جيل تشبّعت بالاسم الدخيل، فأصبح شائعا لدى عامة الناس في المنطقة الشرقية اسم بركم وهو تحريف لاسم بركنت. وترسخ الاسم الاستعماري في أذهان الناس باستعماله في الوثائق الرسمية، وكان ليوطي قد شجع البحث في كل ما من شأنه إثبات الاسم الدخيل، فسخّر أقلام بعض الضباط الفرنسيين لتحقيق هذا المبتغى، فتفتقت عبقرية البعض منهم عن تفسير مفاده أن بركنت كانت تطلق على وادي الشارف في مجراه المحاذي لرأس العين، وأن الحوض الأوسط لهذا الوادي يحمل بالتتابع الأسماء التالية : وادي الشارف، ثم واد بركنت، ثم وادي الحيّ وأخيراً وادي زا الذي يصب في نهر ملوية. ووقع تحديد موقع بركنت على بعد 3 كلم من ينابيع الماء التي تتكون منها عين بني مطهر. إلا أن هذا التفسير تدحضه الاتفاقيات التي سبقت ذلك ومنها اتفاق مغنية سنة 1845 ثم اتفاق الجزائر (20 أبريل 1902)، حيث أشير إلى الموقع باسم رأس العين أو عين بني مطهر، بل إن الوثائق والمصادر الفرنسية نفسها السابقة لاحتلال الموقع المذكور لا تشير إلى التسمية التي أشاعها ليوطي منذ سنة 1904، ونذكر من بينها لامرتينيير ولاكروا، حيث أكد المؤلفان على أن أهم القصور والقرى التي صادفاها بالمجرى الأعلى لوادي زا هي قصبة رأس العين. ومن جانبه أشار علي السوسي السملالي في كتابه *منتهى النقول ومشتهى العقول* (ص. 135 من المخطوط) ما ينفي ادعاءات ليوطي، وكان السلطان مولاي الحسن قد أوفده إلى شرق المغرب سنة 1884 ضمن بعثة مخزنية بهدف إشهار معالم الحدود وحل النزاعات بين القبائل، وقد سجل في رحلته ما يلي : "خرجنا من وجدة ليلا بعد صلاة العشاء، وسرنا الليل كله إلى زوال الغد ووصلنا إلى بني يعلا...، وعند الزوال قمنا من عندهم وبتنا في عين بني مطهر". وفي موضع آخر من الكتاب يصف المؤلف عين بني مطهر بما يلي (ص. 150 من المخطوط) : "... ويوم السبت نهضنا منه (جبل بني يعلا) إلى عين بني مطهر، وهي بلدة كثيرة العيون وفيها نهر كبير يجري على الدوام، ولكن لا ينتفعون به لغرقه جدا وينتفع به من غير بلدهم، وقطعنا تلك المسافة في ست سوائع ونزلنا بواد يسمى الشرف...". تثبت هذه المعطيات بما لا يدع مجالا للشك أن الاسم الأصلي للموقع المدروس هو رأس العين المنسوب لبني مطهر. وهو ما تزكيه الوثائق المغربية الصادرة قبل الاحتلال الفرنسي، وهذا ما أدى في نهاية المطاف بعد حصول المغرب على الاستقلال إلى العودة إلى الاسم الأصلي للموقع بعد أن حاول ليوطي استبداله باسم بركنت، وهذه سياسة اتبعها ليوطي في عدة مواقع بالمنطقة الحدودية، نذكر منها على سبيل المثال بشّار الذي صار يدعى كلونب بشار وأحفير الذي أصبح يسمى أثناء فترة الحماية مارطنبري دو كيس.

ملف وجدة بمديرية الوثائق الملكية بالرباط ؛ علي السوسي السملالي، *منتهى العقول ومشتهى العقول*، مخطوط، رقم D 633، خ. ع. الرباط ؛ ابن زيدان، إتحاف، ج. 5 ؛ عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي ـ الدولة المغربية ومشكلة الأطراف الشرقية في مطلع القرن العشرين* (أطروحة غير منشورة).

A. Cour, ***Notes sur la région de Berguent, B.S.G.A. d'Oran***, 1909 ; Lt. Gaquière, *Berguent (Ras el-Aïn), 1904 - 1906*, ***B.S.G.A. d'Oran***, 1913 ; C. Galinier, *Les Béni Mathar de Ras El-Aïn (Berguent)*, ***B.S.G.A. d'Oran***, 1917; P. Venier, *Lyautey avant Lyautey*, Paris, 1997.

عكاشة برحاب

راس الواد، يمتد مجال رأس الواد بين الأطلس الكبير والأطلس الصغير على مسافة مائتي كلم. ويقصد بالوادي واد سوس. وأهم قبائله رحالة، جزء من أنيْن، أيت سمك، تاكجونت، تالامت، أسيف نايت تامنت، أيت إيگاس، إندوزال، إيرازان، أرغن ـ مسقط رأس المهدي بن تومرت، إداو قيس، تيوت، گطيوة، المنابهة، أولاد يحيى، تارودانت، هوارة.

تعد منطقة رأس الواد جزءاً مهماً من السوس الأدنى، وهي "صرة سوس ثروة وقوة". فإمكاناتها الفلاحية متنوعة بين البسيط والجبل، لكن حسب دوفوكو لم يستغل منها إلا النزر القليل، وتُرك الباقي للرعي وللغابة.

بالمقابل كانت إمكانياتها الدفاعية تفوق إمكانيات الجهات الأخرى من سوس. وقد ذكرها الرحالة المذكور بتفصيل. ولا نوافقه في حديثه عنها سياسيا بتأكيده أنها كانت غير خاضعة للسلطة المخزنية.

إن قبائلها الجبلية كانت في الأرجوحة، بينما تلك الواقعة في البسيط فهي خاضعة للمخزن باستمرار باستثناء قبيلة أولاد يحيى وأجزاء من هوارة. وكانتا محط قلاقل أقلقت السلطة المركزية أكثر من مرة، وأرسلت إليهما حملات تأديبية كان أخطرها على يد الباشا حمُّ الجيلالي المكناسي.

وقد لا حظنا من خلال المحلات المخزنية النازلة بسوس أنها تعتمد أكثر في تموينها ومدها بالكلف على أهل رأس الواد. فضلاً عن أن مدينة تارودانت كانت على الدوام قاعدة للمخزن المغربي، فهي مقر العمال ومعظمهم من الأسرة المالكة.

وحظيت قبائل رأس الواد بنفس الأهمية على عهد أحمد الهيبة، إذ بدخول أهلها في حركته الجهادية تقوى نفوذه، وبخروجهم عن طاعته أمسى مجالها فاتحة الهزائم التي تقلب فيها.

وفي عهد الحماية كانت منطلقا لاحتلال بقية السوس الجبلي "جزولة" بدعم قيادات محلية وعلى رأسها التيوتي والضرضوري وأيت بازي. كما كانت مدارس رأس الواد وزواياه منذ القديم محجة الجبليين الأفاقيين، واشتهرت كمثيلاتها الهشتوكية بعلم القراآت. واشتهرت كذلك بزاوية تمگدشت وبزوايا ناصرية، أنبتت متصوفة طبعوا التصوف السوسي، ومنهم من وقف ندا ضد شطط القواد والشيوخ.

وثائق الخزانة الحسنية، وثائق خزانات سوسية خاصة، بودميعة، أگرض بتمنارت... ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 3 : 167 ـ 169 ؛ *المعسول*، 4 : 121 ـ 122 ـ 160 ـ 164 ـ 180 ـ 196 ـ 268 ؛ 6 : 171 ـ 182 ؛ 10، 34 ـ 180 ـ 185 ؛ 13، 200 ؛ 18 و 20 صفحات مختلفة.

شفيق أرفاگ

الراسكاس (سمك) هذا هو اسمه الشائع في أسواق الأسماك المغربية، ويدعى العقرب في مصر والشرق العربي، وسكروف في الجزائر وبوكشاش الأحمر في تونس. هو سمك بحري من الأسماك العظيمة ومن فصيلة سكوربينيدي Scorpaenidae. منه عشرة أنواع شائعه في سواحل بالمغرب، أهمها في الجانب الاقتصادي :

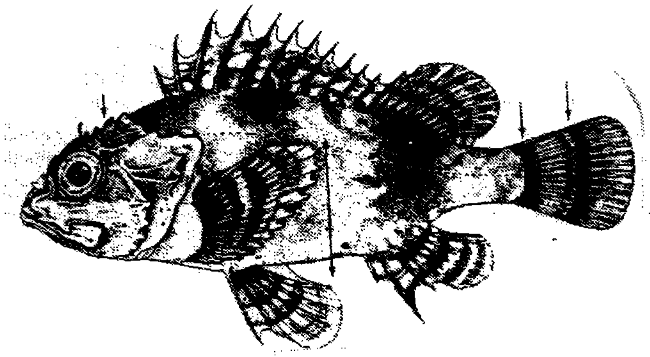
ـ الراسكاس الأحمر Scorpaena scrofa يسمى بالفرنسية Rascasse rouge وبالإنجليزية Red scorpionfich وبالإسبانية Cabracho.

ـ راسكاس الصخور اسمه العلمي Helicolenus dactylopterus (maderenis) ويسمى بالفرنسية Rascasse de fond وبالإنجليزية Rockfich وبالإسبانية Gallineta.

ـ الراسكاس الوردي Scorpaena elongata يسمى بالفرنسية Rascasse rose وبالإنجليزية Slender rockfich وبالإسبانية Gallineta rosada.

ـ الراسكاس الصغير Scorpaena notada يسمى بالفرنسية Petite Rascasse وبالإنجليزية Small red scorpionfich وبالأسبانية Escorpora.

ـ الراسكاس الأسود Scorpaena porcus يسمى بالفرنسية Rascasse brune وبالإنجليزية Black scorpionfich وبالإسبانية Rascacio.



الراسكاس الأحمر قبيح المظهر، الرأس ضخم جدا، كثيف التجاعيد، مزين بعدة أشواك وقنزعات وينتهي بفم واسع ومائل. يشتمل الظهر على زعنفتين متواصلتين، تتكون الأولى من 11 ـ 12 شوكة و 9 شعاعات، الزعنفة الشرجية مكونة من 3 شوكات و5 شعاعات. الأشواك الأخرى قصيرة وسمكية. تتكون الزعانف الصدرية والذيلية من أشعة قصيرة ولينة. الحراشف دائرية، صغيرة ومسننة في غاية الدقة تعطي لمظهر هذا النوع شكل ورقة رجاجية. يختلف لونه بين الكبار والصغار، فاللون الوردي المحمر والمذهب أحيانا يسيطر على ظهر الكبار مع وجود بقع سوداء على الزعانف وأحيانا على الظهر، البطن فضي، الصغار شديدة السواد الأزرق جهة الظهر. الخط الجانبي غير موجود ـ طول الراسكاس الأحمر شائع بين20 ـ30 سم ولا يتعدى 60 سم لدى الكبار.

يعيش في الأعماق المتراوحة بين0 ـ370 متر، سواء منها الصخرية أو الوحلية بالجرف القاري، وكذلك في الأعماق الغنية بعشب پوزيدونيا Posidonia ويصعد أحيانا إلى البحيرات الشاطئية ومصبات الأنهار. موجود بالأخص في الأعماق المتراوحة بين 20 ــ200 متر على الواجهتين المتوسطية والأطلسية وتستقر الصغار في الأعماق الصخرية. يتوالد من مايو إلى غاية شهر غشت.

يتكون غذاؤه من القشريات والأسماك الصغيرة ومن الرخويات الصدفية. يقتصر توزيعه الجغرافي على الشواطئ الأطلسية والمتوسطية.

يتم صيده بشباك الجر العميقة وشباك الصنانير العميقة وبصنارة اليد ــ صيده تقليدي وشبه صناعي. موجود باستمرار في أسواق الأسماك المغربية ويباع طرياً ومبرداً ومجمداً.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم*

الزراعية، مكتبة لبنان ـ ط. 3، 1988 ؛ أمين المعلوف، معجم *الحيوان*، القاهرة،1932 ؛ *دليل تعريف الموارد البحرية الحية في المغرب*. المنظمة العالمية للتغذية، روما، 1998.

محمد رمضاني

الرأسمالية ← الليبيرالية

ابن **راشد**، أسرة شفشاونية من شرفاء جبل العلم، تنسب لراشد بن علي بن سعيد بن عبد الوهاب بن علال بن القطب مولاي عبد السلام ابن مشيشي حفيد إدريس بن إدريس. وأول من اشتهر منهم القائد المجاهد علي بن موسى بن راشد مؤسس شفشاون آتي الترجمة.

ابن **راشد، إبراهيم** بن الأمير علي بن موسى العلمي الحسني، ولد بشفشاون سنة 895 / 1490 وتزوج لأول مرة بالسيدة يطو بنت قائد القصر الكبير طلحه بن عبد الحميد العروسي سنة 916 / 1510 فأنجبت له ابنه الوحيد عليّاً ؛ ثم تزوج بالسيدة يامنة بنت القائد أحمد بن طلحة العروسي سنة 926 / 1520، ثم بعائشة بنت السلطان محمد الوطاسي البرتغالي سنة 934 / 1528).

كان إبراهيم خليفة لأبيه الأمير علي من سنة 914 / 1508) إلى سنة 922 / 1516 ثم أصبح على رأس الإمارة إلى سنة946 / 1539 ؛ وتولى حكم تطوان مباشرة من سنة 925 / 1519 إلى سنة 931 / 1525، ونظم عدة هجمات ضد البرتغاليين المحتلين لمدينة أصيلا ؛ وفي سنة 935 / 28 ـ 1529 أصبح الوزير الأول للملك أحمد الوطاسي بفاس إلى أن وافته المنية سنة946 / 39 ـ 1540.

ابن **راشد، أحمد** بن محمد بن الأمير علي ابن راشد، كان خليفة لأبيه الأمير محمد وناب عنه عندما كان والده أسيراً بفاس من سنة 961 / 1554 إلى سنة 962 / 1555 ؛ وفي سنة969 / 1562 فرّ مع والده إلى المشرق حيث مات قتيلاً بمصر.

ابن **راشد، إدريس** بن علي بن إبراهيم بن الأمير علي العلمي الحسني. كان له ذكر في مراكش على عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي بصفته أديباً شاعراً ؛ وقد ذكره أحمد المقري في *روضة الآس* من بين الأدباء والشعراء الذين لقيهم بالمدينة المذكورة أثناء زيارته لها سنة 1009 / 1600 كما ترجم له ابن القاضي في *درة الحجال* ويبدو من كلامه أنه كان على قيد الحياة سنة 1025 / 1616.

ابن **راشد، عبد السلام** بن علي العلمي الحسني كان خليفة أخيه إبراهيم بشفشاون، من سنة 937 / 1531 إلى سنة 945 / 1538.

ابن **راشد، علال** بن **سعيد** بن موسى العلمي الحسني كان خليفة لابن عمه الأمير إبراهيم بن علي من سنة 922 / 1516 إلى سنة937 / 1531.

ابن **راشد، علي** بن **إبراهيم** العلمي الحسني. ولد بمدينة شفشاون سنة 917 / 1511 وكان يرافق والده الأمير إبراهيم في الغزوات التي كان يقوم بها ضد البرتغاليين بمدينة أصيلا ؛ وقّع مع والده وعمّه محمد المعاهدة المبرمة مع البرتغال في 8 ذي الحجة 945 / 8 ماي 1538.

ابن **راشد، علي** بن **موسى** العلمي الحسني الأمير المجاهد واسطة عقد هذه الأسرة الماجدة ومؤسس مدينة شفشاون. ولد بقرية إيناروزيم بقبيلة الأخماس الغمارية سنة 844 / 1440 وذهب إلى الأندلس سنة 864 / 1460 حيث حارب هناك بجانب ملك غرناطة، ثم عاد إلى مسقط رأسه سنة فاختاره ابن عمه ابن جمعة العلمي خليفة له كأمير للجهاد. وقد أسس علي ابن راشد مدينة شفشاون سنة 876 / 1471 وجعل منها دار الإمارة الراشدية وظل على راسها إلى سنة922 / 1516.

وفي سنة 888 / 1481 أعاد الأمير علي بناء مدينة تطوان المخربة. ـ على أحد الأقوال ـ فكان أول حاكم لها إلى سنة898 / 1493.

وتذكر له المصادر عشرين غزوة قام بها ضد البرتغاليين المحتلين لمدن أصيلا وطنجة وسبتة.

وكانت زوجته الأولى إسبانية اعتنقت الإسلام واتخذت اسم الزهراء وأنجبت له إبراهيم والست الحرة ؛ ونجهل اسم زوجته الثانية التي أنجبت له عبد السلام وعمر، وأما زوجته الثالثة فكانت شريفة علمية أنجبت له أحمد وفاطمة ومحمداً.

توفي الأمير علي ابن راشد بحاضرته شفشاون سنة 922/ 516 وخلفه ابنه الأكبر إبراهيم على رأس الإمارة.

ابن **راشد، عمر** بن راشد بن علي بن سعيد العلمي الحسني، عم الأمير علي بن موسى وخليفته من سنة 876 / 1471 إلى سنة 892 / 1487، شارك في عدة معارك ضد البرتغاليين واستشهد في المعركة التي جرت بضواحي طنجة يوم 22 شوال892 / 11 أكتوبر 1487 في حين سقط ابن أخيه الأمير علي أسيراً بيد البرتغاليين.

ابن **راشد، محمد** بن الأمير علي بن موسى. كان خليفة لأخيه إبراهيم من سنة 945 / 1538 إلى سنة 946 / 1538 وفي يوم 8 ذي الحجة 945 (8 ماي 1538) وقّع معه المعاهدة المبرمة مع البرتغاليين.

تولى المترجم له شؤون الإمارة الراشدية من سنة 946 (1539) إلى سنة 960 / 1553، وسجن بفاس سنتين عاد بعدهما إلى إمارته بشفشاون سنة962 / 1555. وقد حاصره جيش السلطان عبد الله الغالب سنة 969 / 1562. وتمكن محمد من الفرار إلى مرسى ترغة ومنها أبحر إلى المشرق حيث كانت وفاته بالمدينة المنورة في تاريخ غير محدد.

ابن **راشد، موسى** بن **راشد** بن علي بن سعيد العلمي الحسني، والد الأمير علي ابن راشد مؤسس شفشاون، كان يرافقه في الغزوات التي يقوم بها ضد البرتغاليين المحتلين لمدن أصيلا وطنجة وسبتة ؛ وقد جرح في المعركة التي جرت بضواحي طنجة وسقط فيها ابنه الأمير أسيراً يوم 22 شوال892 / 11 أكتوبر 1487.

ابن **راشد، موسى** بن **سعيد** العلمي الحسني، مجاهد عمل خليفة لعمه الأمير علي بن موسى، وجاهد إلى جانبه ضد البرتغاليين، وشارك في المعركة التي جرت بضواحي طنجة يوم 22 شوال عام 892 / 11 أكتوبر 1487 حيث سقط أسيراً بيد البرتغاليين صحبة عمه، وظل هناك رهينةً عندما أطلق سراح الأمير ؛ كما شارك في المعركة التي جرت بنفس المكان يوم فاتح ربيع الأول عام901 / 19 نونبر 1495.

ابن **راشد، يعقوب** بن سعيد بن موسى العلمي الحسني، مجاهد شارك في الغزوات التي كان يقوم بها عمه الأمير علي وسقط أسيراً في المعركة التي جرت بضواحي طنجة يوم 22 شوال 892 / 11 أكتوبر 1487 وظلّ هناك رهينة عندما أطلق سراح عمه ؛ كما شارك في المعركة التي جرت بنفس المكان يوم فاتح ربيع الأول 901 / 19 نونبر 1495.

وفي شهر ذي الحجة 895 / أكتوبر - نونبر 1490 عينه عمه الأمير قائداً على فرقة بني ومراس بقبيلة بني عروس ليراقب عن كثب تحركات البرتغاليين في أصيلا.

م. ابن عزوز حكيم، *مولاي علي بن راشد مؤسس شفشاون*، تطوان، 1998، والمراجع المذكورة في هذا الكتاب.

محمد ابن عزوز حكيم

الراشدي (أولاد -) أسرة فاسية ذكر صاحب كتاب *إزالة الالتباس* (1 : 216) أنهم على فرقتين : فرقة من الرواشد من أولاد جامع، أهل ثروة ومال وجاه قديم ومعاش وحرفة. ويقال إنهم سكنوا أولاد جامع قريباً وإن أصلهم من ملوية، ولكن رأيت ذكرهم بفاس في وثيقة مؤرخة بعام 1167 / 1753. وقبلها أخري بتاريخ916 / 1510. والفرقة الثانية شرفاء من جبل العلم كانوا بفاس، والآن انقرضوا لا ذكر لهم بها.

ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، ج 1، مرقون.

محمد حجي

الراشدي، أحمد بن **يوسف** دفين مليانة، تُحله مصادر التصوف المغربي صدارة الطبقة الزروقية الأولى، وتحليه "بشيخ المشايخ" و "شيخ الطوائف المغربية". وهي تحلية تترجم منزلته الرفيعة في تاريخ الطريقة الشاذلية بالمغرب، والتي ينزّل من فرعها الزروقي منزلة الشيخ محمد الصغير السهلي (ت. 918 /2 : 1513) من فرعها الجزولي. ذلك أن طريقته الراشدية تعتبر الواسطة التي أوصلت حبل الزروقية بالمغرب، والقناة التي تفرعت عنها به طوائف وزوايا ستعمل إلى جانب مثيلاتها الجزولية على غلبة الشاذلية بالمغرب، حتى أصبحت تعد الطريقة الرسمية به.

ولد في دوار "راس الماء" الواقع في قسم الهضاب الشمالي من وطن بني راشد بالمغرب الأوسط، في تاريخ غير محدد من النصف الثاني من القرن التاسع (15 م). وانتسب إلى الشيخ أحمد زروق (ت.899 / 1493) خلال العقد الأخير من هذا القرن، قريباً من ثغر بجاية، وبالضبط بقرية "تامقرة" التي كانت تأوي المعهد العلمي والصوفي الشهير الذي أسسه يحيى بن محمد العبدلي شيخ زروق.

ظهر أحمد الراشدي في أوليته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين عشيرته، فالإمامة والوعظ في مسجد سوق "أم العساكر" أهم التجمعات القروية بالقسم الشمالي من وطنه، والتي تبعد عن دواره بنحو ستة كيلو مترات. ثم بَنَى أول زواياه بدواره المذكور، بعد إقبال الناس عليه وحصول التعريف به وبمذهبه.

وأزعجته الدولة الزيانية عن زوايته في تاريخ قريب من عام911 / 1505، فهجرها نهائيا وقضى العقدين المتبقيين من عمره في التنقل بين مختلف جهات المنطقةالغربية من المغرب الأوسط، من سهل شلف شرقاً إلى ندرومة غرباً، ومن السواحل المتوسطية شمالاً إلى التخوم الصحراوية جنوباً. وأسس زوايا متعددة تصدَّر لمشيختها في مواضع مختلفة من هذه المنطقة الشاسعة، قبل أن يلقي عصا التسيار في سهل شلف. واضطلعت زواياه بالأدوار المألوفة للزوايا المغربية، مع ما تفرضه الخصوصيات المحلية والتاريخية من الامتياز أو التخصص في بعض الوظائف والأدوار : من إطعام وإيواء وتعليم وإشفاء، ومواجهة القبائل الهلالية، وإغاثة منكوبي فيضان نهر شلف، ورد المسروق لأهله، وغير ذلك. وقد مر الحسن بن محمد الوزان

(ت. بعد934 / 1528) بهذه المنطقة مع ركب الحجيج الفاسي أواخر عام921 / 1516، فنزل في ضيافة الزاوية الراشدية، ونال قراها، وحظي برعاية شيخها. وخلّف لنا وصفا شافيا عن يسر حاله وكثرة حرثه وماشيته، ووفرة أتباعه، وتوقير الأمراء الزيّانيين له، ومراعاة قبائل الأعراب لجانبه، وذلك في رحلته الشهيرة *وصف إفريقيا*.

كانت للشيخ أحمد بن يوسف يد في الأحداث السياسية التي عرفها المغرب الأوسط خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م)، في خضم تنافس الإمبراطورتين العثمانية والإسبانية على مملكة تلمسان. ويعود لقاؤه بعروج ماهد دولة الأتراك بالمغرب الأوسط إلى تاريخ سابق لسقوط ثغر وهران في يد الإسبانيين عام915 / 1509، ولقيامه هو وأخوه خير الدين بوظيفة الجهاد التي أهملها الأمراء الزيّانيون، ابتداء من عام918 / 1512. وتأكد هذا الاتصال عام923 / 1517 الذي تحرك فيه الجيش التركي بقيادة عروج لنصرة التلمسانيين على أميرهم الزياني وشيعته من المسيحيين. وقد استشهد عروج في معمعة تلمسان عام 924 / 1518، ودخل الشيخ أحمد بن يوسف سجنها، ولم يطلق سراحه إلا بعد سقوطها في يد الأمير الزيّاني المحمول على أكتاف الأتراك. وقد توطدت علاقة الزاوية الراشدية بالأتراك بعد قيام دولتهم بالمغرب الأوسط، ودامت حتى الحملة الفرنسية على الجزائر عام1245 / 1830. وذهب البعض إلى القول باستعانة أتراك إيالة الجزائر بإخوان الطريقة الراشدية في حربهم ضد الدولة السعدية الناشئة التي نافستهم على تلمسان، وأنهم استخدموهم في الدسائس والمؤامرات التي كانوا يمهدون بها لاستكمال نفوذهم على كل بلاد المغرب الإسلامي.

ولم يكتمل نصف العقد على خضوع تلمسان لآل عثمان، حتى وافى الشيخ أحمد ابن يوسف الأجل المحترم في شهر صفر عام931 / 28 نونبر - 26 دجنبر 1524. وتذكر سيرته أنه قد أوصى في حياته بأن يشد نعشه إلى ظهر بغلة، ولا يدفن إلا بالموضع الذي تقف فيه. فيممت الدابة مليانة، وهناك قام ضريحه، وظهر لقب الملياني الذي سيغلب عليه ويشتهر حفدته به. ولا يستبعد أن تكون لخير الدين يد في إقامة ضريحه بمليانة لأهميته، وحتى تسهل مراقبة نشاط أتباعه.

ويؤول الفضل في نشاط ذكر الشيخ الراشدي من عقال المحلية المحصور في غرب المغرب الأوسط، وانفلاته إلى مجال أرحب وأوسع، وهو مجال التصوف ببلاد المغربين الأوسط والأقصى، إلى صورته كعارف وكصاحب مذهب صوفي له نظرته الخاصة إلى أهم قضايا المعرفة الصوفية المتعلقة بالله والوجود والإنسان. وقد هرع فيه على أثر مذهب أبي يزيد البسطامي (ت. 261 / 874)، في صورته المتأثرة برواد الحب الالهي الخالص الذين سبقوه، وبغُلاة التصوف الذين مهد لهم وجاؤوا من بعده.

واتباع الراشدي للبسطامية لا يتناقض مع نسبته الزروقية، بل يتفق مع ركن من أهم أركانها، وهو مبدأ الاستحسان الذي أكد عليه الشيخ زروق، وأقر أن كل فرد لـه الحق في اتباع الأحسن من المذاهب الصوفية، والاختصاص بالضرب الصوفي الذي يتفق مع قدرته واستعداده الطبيعي، شرط الرجوع إلى الكتاب والسنة، والتقيد بقواعد الإسلام. فالتصوف في الطريقة الزروقية علم الفضائل والخلائق، والأعمال والحقائق. وقد شجع الشيخ زروق تلامذته من المتعلقين بالحقائق على الإقبال والنهل من مختلف المشارب والتيارات التي عرفها تاريخ الفكر الصوفي الإسلامي، بما في ذلك المذاهب الفلسفية الرقيقة. وذلك في إطار مفهوم للتصوف يراه طريقاً فردياً ومنهجاً شخصياً، مقصوراً على الخاصة دون العامة والجهلة ممن لاقدرة لهم على فهم دقائقه.

وهكذا إذا كان الطريق إلى الله، في الطريقتين الزروقية والراشدية، يسلك منهجاً معرفياً واحداً. حيث يتفق الأستاذ والتلميذ في كيفية التفكير في الله، وأدوات هذا التفكير، ودور العقل فيه، والنظرة إلى العالم وأقسامه. وتسير الطريقتان بالسالك على نفس الخريطة التي رسم زروق وسطر عليها معالم الطريق إلى الله، وتقطعان به نفس المنازل والمراحل. فإنه حين تبلغان به قمة المراتب الصوفية، وأعلى الدرجات دنواً من الله، حيث يستحوذ على العارف جمال الله وجلاله، ويستغرق بالكلية في شهود وجوده من خلال صفاته. هنا تنشأ نقطة الخلاف الحاسمة التي باعدت بين الطريقتين. فينتفي التمييز لدى الراشدي بين الموقف بين الألوهية والربوبية، ولا يبقى إلا موقف الحب الخالص الذي يصرف القلب عن مشاهدة تجليات الجمال والجلال في الكونين الدنيوي والأخروي، ويصونه عن الافتراق بين مختلف العوالم. فتضمحل أسباب الخشية والرجاء، وتزول دواعي العمل طمعاً في الجنة وخوفاً من النار.

وقد وافق ميلاد الطريقة الراشدية فجر المائة العاشرة للهجرة، التي وقر في اعتقاد أهلها عدم مجاوزة عامها الألف، الذي سينتهي بفناء الدنيا ونهاية دولة الإسلام. وشهد هذا الفجر عصوف رياح هوج بالبلاد المغربية : فالدول القائمة بها فشلت ريحها، وتفرقت سلطتها أيدي سبأ. وحملة الصليب تمكنوا من أكنافها، والقحوط جف لها ضرع وزرع أرضها، والمجاعات ذوى لها أهلها. فترتب عن هذا الواقع الحالك عواقب استقرت بأذهان أهل القرن العاشر، وأدواء ثوت بأفئدتهم ونفوسهم. وكان الخوف على رأس هذه العواقب والأدواء. وهو خوف لا يزداد - مع كرور السنين - إلا حدة، ولا تزداد وطأته إلا شدة، بفعل الترقب والانتظار، ترقب القيامة وانتظار يوم النشور ! وقد استوى في الاعتقاد بصدق هذا الخبر الخاص والعام من أهل هذا القرن، فالشيخ زروق كان يدعو ربه أن يقبضه إليه قبل أن يشهد هذا القرن، وقد استجاب له وتوفاه في آخر القرن

التاسع (15 م). وتلميذه الراشدي الذي ظهر في أولية القرن العاشر (16 م)، كان يصرح بأنه آخر القرون مع فساده وفساد أهله، إلا أنه كان يرى في ذلك ميزة تعلي من شأن سلطانه الروحي، ويعتقد أن في الأمر حكمة ربانية تختصه دون سواه بسلطنة هذا الوقت.

وهكذا إذا كانت مدرسة المحبين في تاريخ التصوف الإسلامي قد نشأت كرد فعل ضد مدرسة الخائفين، فإن المذهب الصوفي الذي دعا إليه الراشدي، خلال الربع الأول من القرن العاشر، قد جاء كرد فعل ضد الخوف من النار الذي أصبح سمة العبادة على عهده. ولاشك أن الصورة التي قدمها هذا المذهب، والتي تهم العلاقة بين الله والوجود والإنسان، والقائمة على المحبة الخالصة بالأساس، قد ركنت إليها نفوس معاصريه لاختلافها عن بقية الصور التي روجتها المذاهب الصوفية المعاصرة. وهذا الركون هو الذي يفسر لنا القبول الجسيم والانتشار الواسع اللذين حظي بهما هذا المذهب، والذي طارت شهرة مبدعه في حياته شرقا وغربا، وتقاطرت عليه وفود الآخذين والمنتسبين من كل حدب وصوب.

ومن الحق أن التصوف الذي دعا الشيخ أحمد بن يوسف إلى الكروع من حياضه يعد من المشارب الصوفية غير المرغوب فيها من قبل غالبية مشايخ التصوف المغاربة على هذا العهد، لأنهم كانوا يرون فيه أصل شبوب الفتن، والطريق المباشر إلى الانحراف. فكانوا يحذرون الناس من مشايخه ويصرفونهم عن مصنفاته، ويقولون إنها تسد باب الفتح. فرنقت الشبهات فوق الراشدي ومذهبه، منذ خطا خطواته الأولى على درب المشيخة إلى أن شاع نعيه في الناس، وجُوبه أتباعُه بالمكافحة في كل من المغربين الأوسط والأقصَى. وألف علماء القرنين العاشر والحادي عشر (16، 17 م) في الرد عليهم والتحذير منهم، وامتُحنت بعض طوائفهم على عهد كل من الوطاسيين والسعديين والعلويين.

ونَسبَت الأجيال المتعاقبة من أهل المغرب الأوسط إلى الشيخ أحمد بن يوسف أدعية مدقعة ومرسلة باللسان الدراج، تهم معظم بوادي وحواضر هذا الصقع. ونسج المتأخرون قصصاً، سدُّوا بها الثلمة الحادثة في المرحلة السابقة من ترجمته لأخذه عن الشيخ أحمد زروق. وابتدأ الاهتمام بالراشدي والراشدية في الأسطوغرافية الكولونيالية مباشرة بعد احتلال الجزائر عام 1245 / 1830، وتم تجميع كل هذه الأدعية والقصص ونشرها. وحصلت العناية بالسير المبكرة والمتأخرة والمفردة في الشيخ أحمد بن يوسف، وتمت قراءتها على ضوء أحداث التاريخ الديني والاجتماعي والسياسي للمغرب الأوسط خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م). وتنكبت الدراسات التي اهتمت بالراشدي والراشدية تمام التنكب عن مذهبه الثاوي في ثنايا سيرته المدونة من قبل محمد الصباغ القلعي، ما بين أعوام 952 ـ 962 / 1545 ـ 1555، والموسومة *ببستان العارفين الأزهار*، فافتقدت بذلك مفتاح الإشكال الذي ظل يعتور هذه السيرة طيلة أربعة قرون، وقوامه تأرجحها بين التسنين والتبديع. ولم تزدها هذه الدراسات إلا غموضاً، ولم تفلح سوى في تحويلها إلى أغرب وأعقد سيرة في تاريخ التصوف المغربي.

م. الصباغ القلعي، *بستان العارفين الأزهار، في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار*، مخطوط، خ. ع. 243 ك ؛ مؤلف مجهول، *التعريف بنسب الشيخ الإمام قدوة السالكين وإمام العارفين وتاج الموحدين وترجمان المتكلمين قطب الأقطاب وغوث الأغواث وجرس الأجراس سيدي أحمد بن يوسف*، مخطوط خ. ع. 1457 د ـ 1471 د ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، ط. 2، بيروت، 1983، 2 : 26 ـ 29 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، الرباط1977، 125 ؛ أ. بن القاضي، *درة الحجال*،1 :165 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجرية، 224 ؛ م. الحفناوي، *تعريف الخلف برجال السلف*، ط. بيبرفونتانة الشرقية في الجزائر، 1909، 972 ـ 100 ؛ ع. نجمي، *طائفة العكاكزة*، 1 : 1 ـ 265.

R. Basset, *Notice biographique sur Sidi Ahmed ben Youssef, J.A.*, 1889 ; *Dictons satiriques attribués à Sidi Ahmed ben Youssef, J.A.*, 1890 ; S. Biarnay, *Notes d'ethnographie et de linguistique Nord Africaines*, Paris, 1924, 117 - 122 ; M. Bodin, *Notes et questions sur Sidi Ahmed ben Youssef, R.A.*, n°323 - 324, 1925 ; E. Dermenghem, *Le culte des saints dans l'Islam Maghrébin*, Paris, 1954 ; J. Berque, *Les Arabes par leurs archives, XVI - XX siècles*, Paris, 1976 ; *L'intérieur du Maghreb*, Paris,1978.

عبد الله نجمي

الراشدي، عبد القادر الرباطي موسيقي ولد بالرباط عام 1348 / 1929 بدأ مسيرته الفنية وهو لم يتم العقد الثاني من عمره فتكشفت موهبته الفنية، وأقبل في عصامية متناهية على دراسة أصول الموسيقى العربية اعتماداً على بعض الكتب الشرقية، وعُني بتعلم أصول الآلة الأندلسية وحفظ صنعاتها على يد عميدي هذا الفن بالرباط الحاج عبد السلام بنيوسف والفقيه الحاج محمد



السبيع، وكان إلى ذلك مولعا بحفظ الموشحات والأدوار الشرقية، مواظبا على سماع قصائد الملحون والأهازيج الشعبية، ومستعملات أرباب الزوايا وأمداح الطوائف الطرقية كالعيساوية والحراقية والجيلالية.

دخل الراشدي دنيا الاحتراف الموسيقي في مطلع عام 1364 / 1944 عندما انضم إلى جوق الاتحاد الرباطي الذي كان يرأسه عبد النبي الجراري. وبعد ذلك بنحو عامين استقل الراشدي بنفسه ليلم من حوله مجموعة من المطربين أطلق عليها اسم "جوق التقدم" الذي أصبح يحتل موقع المنافس الشديد لجوق الجراري، كما أصبح يقاسمه حظوة الاضطلاع بإحياء حفلات الأعراس في الأوساط الرباطية بعدما كان ذلك موكولا إلى أجواق الآلة الأندلسية.

ويذكر شاهد عيان، عبد الله شقرون، أن البرنامج الفني لجوق التقدم كان يقوم على أهازيج مصرية وموشحات جزائرية أندلسية، إضافة إلى بعض الأغاني التي لحنها رئيس الجوق نفسه".

وقد كان الراشدي من السباقين إلى العمل في الجوق الذي أسسته إذاعة (راديو ماروك) عام 1371 / 1952. غير أن الظروف السياسية التي سادت البلاد بسبب نفي الملك محمد الخامس قلصت من نشاط هذا الجوق، فانتابه التعثر ثم توقفت عناصره عن العمل فيه، ومن بينهم عبد القادر الراشدي.

وفي هذه الأثناء دعاه زملاؤه في الحركة الوطنية إلى تلحين بعض الأناشيد، فكان شبان الرباط يتغنون بها في المخيمات ورحاب المدارس الحرة، وكان مما أبدعه في هذه الفترة رائعته الموسيقية "رقصة الأطلس"، التي لحنها في مخيم خرزوزة بالقرب من مدينة أزرو مع تلامذة مدرسة مَحمد جيسوس وأساتذتها.

وفي هذا الصدد يقول الراشدي في استجواب أجري معه عام 1395 / 1975 كنا نتصل بالتلاميذ والطلبة سواء في المدارس أو في المخيمات وبالعمال في المعامل لإحياء حفلات موسيقية والتغني بأناشيد وطنية، هدفنا من ذلك التعريف بالوطنية المغربية وبعث الشعور الوطني في نفوس المغاربة.

وكان لرجوع محمد الخامس من المنفى الأثر الأكبر في عودة الحياة إلى جوق الإذاعة الذي أصبح يعرف باسم الجوق العصري لدار الإذاعة الوطنية، وعاد الراشدي وزملاؤه يتربعون مقاعدهم بقيادة المرحوم أحمد البيضاوي، فكان الراشدي من خيرة أعضائه عازفاً على الكمان وملحناً، أتحف جمهور المستمعين بروائع الألحان، وفي مقدمة ذلك نشيده الوطني الخالد : "عُدْتَ ياخير إمام" الذي وضع كلماته محمد بلحسين، ومنذئذ انهالت أناشيده الوطنية غزيرة مدرارة كان من بينها : حبّ الوطن من الإيمان - أنشودة الاستقلال - أمير الشباب، شارك بهذا النشيد الأخير في مباراة نظمتها الإذاعة الوطنية، مطلعه :

ولي العهد ياولي العهد أمير الشباب عليك السلام
ودمت عظيما رفيع المقام أمير الشباب عليك السلام

ومنها نشيد التجمع الكشفي العربي الخامس الذي انعقد بالمعمورة في صيف 1962. وهو من كلمات الشاعر أحمد عبد السلام البقالي ومطلعه :

مرحبا بالعرب في ديار العرب

وسيتحول الجوق العصري عام1379 / 1959 في عهد مدير الإذاعة المهدي المنجزة إلى جوق ضخم يحتضن عناصر "جوق المتنوعات" الذي كان يرأسه محمد بن عبد السلام من جهة، ويستقبل من جهة أخرى مجموعة من الفنانين القادمين من الدار البيضاء وعلى رأسهم عازف العود عمرو الطنطاوي، الأمر الذي أفضى إلى تسميته باسم جديد هو "الجوق الوطني لدار الإذاعة" غير أن رحيل المدير المنجرة عن الإذاعة كان إيذانا بتسرب النزاع إلى صفوف أعضاء الجوق بسبب منافسة الراشدي وأحمد الشجعي ومحمد بن عبد السلام لأحمد البيضاوي على منصب الرئاسة. وانتهى هذا النزاع بتعيين الثلاثة على رأس أجواق جهوية، فعين الراشدي على رأس جوق إذاعة طنجة، ونال مثلَ ذلك الشجعي بإذاعة فاس، ومحمد بن عبد السلام بمدينة مكناس.

استطاع الراشدي خلال فترة إقامته بطنجة أن يخلق جوقا قويا، غير أن تمسكه بإبداعاته وشغفه بأسلوبه الخاص في الأداء والتسجيل كان مما عجل بانفضاض أعضاء الجوق من حوله، فلم يجدبداً من مغادرة طنجة والعودة إلى الرباط عام1384 / 1964، ليتقلد مسؤولية رئاسة الجوق الوطني خلفا لأحمد البيضاوي الذي تسلم رئاسة قسم الموسيقى بدار الإذاعة الوطنية. واستمر الراشدي على رأس الجوق الوطني إلى أن أحيل على التقاعد عام 1410 / 1989.

تعددت مجالات إبداعات الراشدي وتنوعت مواضيعها، فلحن الأغاني العاطفية والأناشيد الوطنية والابتهالات الدينية، وألف مقطوعات في قالب الموشح الشرقي، كما ألف معزوفات آلية متعددة، فناهز ما وضعه ثلاثمائة مقطوعة موسيقية موزعة ما بين الشعر الفصيح والزجل المغربي، ولم يقل عدد المعزوفات الآلية عن العشرة، من أروعها "رقصة الأطلس"، و"فرحة غانا" التي وضعها بمناسبة زيارة الرئيس قوامي نكرومة للمغرب، و"تحية العرش"، و"مهرجان" و"الربيع"، و"بستان".

تعامل الراشدي مع جل الأصوات المغربية الناجحة، وأكثر أغانيه مما أداه الفنان الراحل إسماعيل أحمد الذي غنّى له زهاء خمسين أغنية من أروعها : زينة - هجرك قاسي - ياللي جاهك عالي - المثل العالي - حبيبي لما عاد - عيدك نُورُه شاعْ وبان - ناديني يا مليكي - مراكش بين النخيل.

ويأتي بعد إسماعيل أحمد من المطربين المعطي بلقاسم، وعبد الهادي بلخياط، وعبد الوهاب الدكالي، ومحمود

الإدريسي، ومحمد الحياني، وعبد المنعم الجامعي، ومن المطربات سميرة بنسعيد. ولطيفة رأفت، ورجاء بلمليح، ونعيمة سميح، وعزيزة جلال...

أما الشعراء الذين تعامل معهم الراشدي فأشهرهم محمد بلحسين، وأحمد الطيب العلج، وعلي الحداني، والطاهر سباطة، وحمادي التونسي، وعلي الصقلي، كما تعامل مع شعر ابن زيدون، واقتبس من *كناش الحايك* بعض أشعار الآلة الأندلسية.

وقد شكل الشاعر محمد بلحسين والمطرب إسماعيل أحمد إلى جانب الراشدي ـ ملحنا ـ "الثالوث المتكامل" الذي وفق إلى إبداع جملة من الأغاني الناجحة.

عايش الراشدي فترة نشوء الأغنية العصرية، وكان له دور كبير في إرساء قواعدها الأولى وفي تطويرها على امتداد أربعة عقود من حياته، ومنذ أن وضع أول ألحانه عام 1367 / 1947 وهو في سن السابعة عشرة من عمره.

وتميز الراشدي من بين الملحنين المغاربة بامتلاك أسلوب خاص في التلحين كان يتسم بالتجديد والابتكار ويتمسك في ذات الوقت بالحفاظ على خصوصيات الهوية الوطنية.

وفي سياق هذين التوجهين انطبعت أعماله بخصائص أبرزها :

* إعادة تلحين بعض أشعار "الآلة الأندلسية" على نمط الموشح الشرقي، وظف في بعضها الايقاعات المستمدة من هذه الموسيقى من قبيل ميزان انصراف البطايحي، إلى جانب توظيف المقامات الشرقية. ومن نماذج هذه الموشحات : موشح "سقاني" القائم على إيقاع سماعي ثقيل الشرقي، وموشح نعشق الشمائل"، وموشح "ياليل طُل"، وهما من أداء المطرب محمود الإدريسي.

* توظيف مقامات وإيقاعات الآلة الأندلسية في تلحين بعض الأغاني. ومن قبيل ذلك أغنية "غاب علي الهلال" التي تؤديها المطربة نعيمة سميح على ميزان انصراف البطايحي، وأغنية "جاري يا جاري" التي تؤديها نفس المطربة على طبع الرصد.

* استخدام المقامات الشرقية في تلحين أغانيه الزجلية.

* استخدام تعددية المقامات في تلحين الأغنية الواحدة. ومن أمثلة هذا أغنية "طايع راضي نموت شهيد" التي أداها إسماعيل أحمد على مقامات البياتي والعجم والصبا والسيكا.

* استخدام إيقاعات شعبية محضة من قبيل الإيقاع الخماسي في أغنيته الدينية "يا محمد يا شفيعنا الهادي".

لقد كان عبد القادر الراشدي نموذجا حيا للفنان الذي نجح في التوفيق بين خصائص الموسيقى المغربية والشرقية، والذي عرف كيف يقدم التراث الموسيقي الوطني في صيغ تجمع بين الأصالة والابتكار. وكان يصدر في ذلك عن قناعة ترسخت لديه ولم يفتأ يعبر عنها في اللقاءات والمناظرات التي نظمتها وزارة الشؤون الثقافية أونقابة الموسيقيين المغاربة، وهي ضرورة تلقين الألوان الموسيقية التراثية وتشجيع البحث فيها بين طلاب مؤسسات التعليم الموسيقي.

وتقديراً لجهود الراشدي في خدمة الأغنية المغربية تم تكريمه في حفل خاص أقيم بمدينة المحمدية عام 1412 / 1991 حيث نصب عميداً للموسيقى المغربية، كما تم ترشيحه لنيل جائزة المجمع العربي للموسيقى في مؤتمره الخامس عشر المنعقد بلبنان ـ بيروت ـ في ماي 1999.

توفي عبد القادر الراشدي بالرباط يوم الخميس 12 جمادى الثانية 1420 / 23 سبتمبر 1999.

جريدة التحرير، عدد 24ـ 12ـ1961 ؛ ع. اللطيف جبرو، *جريدة الأحداث المغربية*، ع. 2 ـ 3 أكتوبر، 1999 ؛ ع. الله شقرون، مجلة *الفنون*، س 2، ع 5 و6، محرم وصفر 1395 يبراير ـ مارس 1995، ص. 31، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية؛ صالح الشرقي، *جُلْ تَر المعاني*، ص. 19 ـ 20، الدار البيضاء ؛ مصطفى بنريسول، جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، ع. 2ـ2ـ1997.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الراشدي، عبد القادر المراكشي الحشمي ويدعى أيضاً الشرگاوي، فقيه أديب مشارك من علماء المغرب الأوسط، ولد ونشأ بتلمسان، ودرس فيها وفي وهران، ثم هاجر إلى فاس في جملة من هاجر إليها بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1246 / 1830، واشتغل بالتدريس في القرويين، ومنها انتقل إلى مراكش في حدود سنة 1268 / 1852 حيث عينه السلطان عبد الرحمن بن هشام قاضيا بها، بتوصية من الشيخ الصالح الحاج محمد البركة المراكشي.

حلّى صاحبُ *الإعلام* المترجم بقوله : "كان آية في الذكاء ومعرفة الفقه والفروع، ممن أتى بالجواهر من معادنها وامترى الضروع، لا يشق غباره، ولا يبارى مضماره، وأخذ من العربية والحديث بأوفر نصيب، وتمسك من الفطنة بعقل راجح مصيب، كان جامعا مانعا، وإماما جليلا بارعا، أحلى الناس نظما ونثرا، وكتابه وشعراً".

وأشار صاحب *اللؤلؤ المكنون* إلى سعة أفق المترجم في ميدان المعرفة ومشاركته "في علوم شتى من نحو ومنطق وبيان وحساب وتنجيم وفقه وحديث وعروض وفرائض وأصول".

توفي بمراكش يوم الخميس منتصف جمادى الأولى عام 1272 / 23 يناير 1856.

م. بن المعطي السرغيني، *حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من*

الأخيار، مخطوط ؛ العربي المشرفي، *الحسام المشرفي*، مخطوط ؛ م. التاشفيني، *اللؤلؤ المكنون في اختصار ابن عيشون*، مخطوط ؛ ع. ابن إبـراهيم، *الإعلام*، الربـاط،1977، 8 : 463 ـــ 465 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 7 : 2605.

محمد حجي

الراشـدي، علي بـن الـجيلالي الجامعي الطـريمي، ينتمي إلى بيت مـرمـوق من بيـوتـات قبيلـة أولاد جـامع الـمُجاورة لمدينة فـاس. لا ندري على وجه التحديد تـاريخ ميلاده، ولكن وثيقة بتاريخ ثاني جمدى الأولى عام 1311 / 11 نونبر 1893، وصفتـه بأنـه "من العمال الملحوظين (عند السلطان)، ولا سيما مع كبر سنة..."، الأمر الذي يحملنا على الاعتقاد أن مولد الرجل قد يرجع إلى العقد الثاني أو الثالث من القرن الثالث عشر (19 م).

وأيّاً كـان الأمر، فإننا نجده فيما بعد إلى جانب القائد العربي ولد ابَّ محمد الشرگي بـاشـا گيش شراگة وأولاد جامع وفـاس الجديد، في منصب النائب عنه، مكلفا بأحواز هذه المدينة، قبل أن تسند إليه مهام باشوية مدينة تارودانت في صيف سنة1304 / 1886 ، حين قـدم السلطـان المولى الحسن إلى منطقة سوس للمرة الثانية.

ومعلوم أن مناصب من هـذا المستوى وهذا النـوع، في منـاطق نـائيـة لم يكن أهلهـا دومـاً طـوع اليـد، كـان المخزن يُسندها إلى ذوي الخبرة والتجربة من أعـوانه الكبار الـذين يحظون بكـامل ثقتـه. والـدليل على ذلك، أن صـاحبنا قبل مجيئه إلى الأصقـاع السوسيـة، كـانت تُـزاول هـذه المهام شخصيـة بـارزة في الجهـاز المخزني وقتئـذ، ويتعلق الأمـر بـالقائد بـوشتى بن البغدادي الجامعي. ومن غريب الصدف أن يتـولى الـراشـدي بعده، مـرة أخـرى، عـاملاً على فـاس العتيق، على إثـر وفـاة ابن البغـدادي بهـا في 30 يـنـاير 1893.

بيد أنـه لم تدم مـدة حكمه للحاضرة الإدريسيـة طويلا، إذ كـان من بين الأشخاص الـذين شملتهم الحملـة الانتقاميـة التطهيـريـة التي دشنهـا الـوزيـر الـصـدر احمـاد بن مـوسى البخاري ضد آل الجامعي ومن عدّ من "حزبهم" على إثر وفاة السلطان المولى الحسن سنة 1312 / 1894، بصفته واحداً من أصهـارهم المرموقين في الجهـاز المخزني، إذ كـان متزوجـاً بواحدة من أخوات الوزير الصدر محمد بن العربي الجامعي، على عهد السلطان المولى الحسن، فعزلـه احمـاد بن مـوسى عن فـاس وعينـه عـاملاً على العرائش. وظل محتفظاً بهـذا المنصب إلى أن وافتـه منيتـه في سـادس وعشـري جمـادى الثانية عام 1313 / 14 دجنبر 1895. بمدينـة الربـاط، حيث مـرقـده الأخير بمقبـرة العلـو، تـاركـا تسعـة أبنـاء ذكـور، يتصـدرهم عبـد الـرحمن بـن علي بن الجيلالي الـراشـدي، خليفته وساعده الأيمن في السنوات الأخيرة من عمره.

ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، مخطوط، خ. ع، ك 1281، ص. 512 ؛ الخزانة الحسنية بالرباط، *الوثائق الزيدانية*، مجلد 30، وثيقة رقم30 بتاريخ12 ذي القعدة 1301 / 3 سبتمبر 1883 ؛ مجلد 29، وثيقة رقم13 بتاريخ 2 جمدى الأولى 1311، الموافق لـ 11 نونبر 1893 ؛ ع. ابن سـودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت،1986، ج 9 :2804.

Archives Ministère Guerre - Vincennes, Carton 3h7, Rapport n° 99 du Cap. Thomas, Janvier 1893, p. 5.

مصطفى الشابي

الراشدي، علي بـن **عيسى** التلمساني الفـاسي، من علماء المغرب الأوسط الذين هـاجروا إلى فاس بعد الاحتلال الإسباني للمرسى الكبير ومدينة وهران.

جاء علي الراشـدي إلى فاس سنة911 / 1506 وهو لا يتجاوز العشـرين سنـة، فكان يحضر مجالس كبار علمـاء المدينـة الإدريسيـة كـالمقرئ محمـد الهبطي السمـاتي مـؤلف كتاب الوقف في القرآن، والفقيه أحمد الدقون وأضرابهما. وكـان في نفـس الـوقت يلقي دروسـاً في مبـادئ النحـو والقراءات قبل أن ترسخ قدمـه ويستد سـاعده فيسند إليـه كرسي القراءات والسيـرة النبوية بمسجد الشرفـاء ويأخذ عنه نجباء الطلبـة أمثال أحمد المنجور الـذي خصه بترجمة حـافلة في *فهرسه*.

توفي بفاس سنة961 / 1554.

أ. المنجور، *فهرس*، الرباط، 1977، ص. 69 ـ 71 ؛ م. القصـار، فهرس، مخطوط ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، الرباط، 1973، 2 : 491 ؛ *درة الحجال*، تح. م. الاحمدي أبو النور، القاهرة، 1970، 3 : 256. م. حجي، *الحركة الفكرية*، فضالة،1978، 2 : 356.

محمد حجي

الراشدية، إمارة بشمـال المغـرب. تأسست على إثـر سقـوط مـدينتي أصيلا وطنجة بيد البرتغـال سنـة 876 / 1471 م)، على يـد الشـريف علي ابن راشـد مؤسس مـدينـة شفشـاون، وكان نفـوذ هذه الإمـارة يشمل القبائـل التاليـة : الأخماس - بني زكار - بني يسف - سمـاتة - بني گرفط - بني عـروس ـ جبل حبيب ـ بني مصـور ـ بني يـدر ـ بني حزمر (التي كانت تعرف أيضاً ببني يجم) بني ليث - بني حسان ـ بني سعيـد ـ بني زجل ـ بني زيـات - بني بـوزرة ـ بني سليمان.

وقد عمَّرت الإمارة الراشـدية ثلاثاً وتسعين سنة (876 ـ 969 ـ 1471 ـ 1561). واشتهر أمراء بني راشد بالجهاد ضد البرتغـاليين، وتعاقب على حكمها بعـد الأمير المؤسس علي ابن راشـد، ابنـه إبراهيم بن علي، ثم ابنـه الثـاني محمد بن علي، ثم حفيـده أحمد بن محمد بن علي بصفتـه نائبـاً عن والـده السجين بفـاس الـذي لم يطلق سراحه إلا سنة962 /

1555 فعاد إلى إمارته بشفشاون لكن قوات السلطان عبد الله الغالب هاجمته في شهر صفر عام969 / أكتوبر 1561. وقضت على الإمارة الراشدية في نطاق إعادة توحيد البلاد تحت سلطة السعديين.

م. ابن عزوز حكيم، *مولاي علي ابن راشد مؤسس مدينة شفشاون*، تطوان، 1998.

محمد ابن عزوز حكيم

الراشدية طريقة صوفية أسسها الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي متقدم الترجمة، بالمغرب الأوسط، خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م). ووسمها محمد بن علي السنوسي (ت. 1276 / 1858) "باليوسفية" و"الراشدية ـ الزروقية"، وذلك في كتابه *المنهل الروي الرائق*. وكل هذه التسميات نشأت عن الحاجة إلى التصنيف، وتتصل بوطن بني راشد نجار الشيخ أحمد بن يوسف وداره، وبوالده، وبطريقة شيخه. وتبقى "الراشدية" التسمية التي ينبغي وضع اليد عليها وترك مادونها، لدلالتها على خصوصية هذه الطريقة، واستقلالها عن الزروقية في عدد من أصولها وتعاليمها. وتمييزاً لها كذلك عن الطائفة "اليوسفية" التي هي واحدة من الطوائف التي تفرعت عنها بالمغرب الأقصى، في حياة الراشدي، وبالغت في التأسي بها إلى درجة القناعة بإحدى تسمياتها والتعفف عن اتخاذ اسم يخصها.

والطريقة الراشدية عدت دائماً حلقة من السلسلة الشاذلية ـ الزروقية، وأنها على هذا الأساس نشأت وانتشرت في الآفاق. واعتبرت الواسطة التي أوصلت حبل الزروقية بالمغرب، والقناة التي تفرعت عنها به طوائف وزوايا ستعمل إلى جانب مثيلاتها الجزولية على غلبة الشاذلية بالمغرب، خلال عصر التصوف هذا، حتى أصبحت تعد الطريقة الرسمية به. هذا من حيث السند، أما من حيث النحلة فقد اقتفى الشيخ الراشدي أثر أبي يزيد البسطامي (ت. 261 / 874)، وجعل مذهبه إحساناً بلا علل، وقال بالمحبة الخالصة، والتساهل في تحقيق الرجاء والخشية. وهذا لا يتناقض مع النسبة الزروقية، بل يتفق مع مبدأ الاستحسان الذي يعد من أهم مبادئها.

وافق ميلاد الطريقة الراشدية فجر القرن العاشر الهجري، الذي اعتقد خاصة وعامة أهله عدم مجاوزة عامه الألف، فأقبلوا على شيخها ومذهبه يزفون. ويذكر محمد المهدي الفاسي (ت. 1109 / 1698) من الآخذين عن الراشدي من المشايخ وأرباب الطوائف والزوايا من المغاربة : عبد الله الخياط (ت.939 / 1533.2) دفين زرهون، ومحمد بن عبد الرحمن السهيلي (ت. 936 /1530) دفين السهل من بلاد گير، ومحمد الحاج الشطيبي (ت.981 / 1574) دفين تازغدرة من قبيلة بني زروال، ومحمد بن عبد الرحمن ابن جلال (ت. 981 / 1574) دفين فاس، ومحمد بن عبد الجبار (ت. 956 / 1549) دفين فجيج، وعلي بن عبد الله الفيلالي دفين سجلماسة، ومحمد بن عبد الله أمغار والزبير بن محمد المحمدي دفينا فاس، ومحمد بن قاسم الجوزاتي التازي دفين هسكورة، وأحمد المجذوب الحمياني، وأبو سعيد الدخيسي، ويعقوب الدخيسي، وغيرهم.

هكذا فتح الراشدي عهداً جديداً في تاريخ الطريقة الزروقية بالمغرب بوجه خاص والطريقة الشاذلية بوجه عام : فعن طريقه ستتفرع طوائف مغربية عديدة، وستنتسب إليها زوايا شتى، بالإضافة إلى كبار صحبه من المغاربة ممن لا يعرف أنهم أسسوا طريقة أو أقاموا زاوية. وسيصبح الشيخ أحمد زروق (ت.899 / 1493) عن طريقه الواسطة في الشاذلية بالنسبة للخياطية والغازية والسهيلية والصادقية والكرازازية والشيخية والناصرية والحنصالية والزيانية، وغيرها من الطرائف والزوايا المغربية.

وإذ يتفق أعلام الطبقة الراشدية الأولى هؤلاء في السند الراشدي ـ الزروقي، فإنهم يختلفون في الاتجاهات الفكرية والمذهبية التي ساروا فيها، وقوامها ثلاثة :

الاتجاه الأول، وهو الغالب ويضم المشايخ الذين نظمت علاقات سابقة ومختلفة بينهم وبين الزروقية، وإنما انتسبوا إلي الراشدي قصد الحصول على سنده الرفيع في الزروقية باعتباره صدر طبقتها الأولى. وهذه حال الشيخ عبد الله الخياط الذي ولد في بيت صوفي زروقي، وشب في خضم نضال أهله في سبيل نشر الزروقية بالمغرب، من القاهرة إلى برقة وقابس فوهران ومازونة. وتمتع بشهرة بيته بالصلاح في المغرب الأوسط، وتحلى بسند عال في الزروقية، وواسطته فيه والده إبراهيم وإخوته عمر ومحمد العربي ومحمد الطيب، وكلهم أفراد الطبقة الأولى الزروقية. ولا يستبعد أن تكون فرصة رؤية الشيخ زروق قد أتيحت له خلال العقد الأول من حياته، والذي وافقت وفاة الشيخ اكتماله. وهذه أيضاً حال الشيخ الشطيبي الذي انتسب إلي الزروقية بالبلاد المشرقية، والتقى بعدد من مشايخها المشارقة. واستقر في طريق أوبته من هذه البلاد بضريح الشيخ زروق بمسراتة، وذلك لمدة ثلاثة أعوام كاملة عكف خلالها على دراسة الزروقية في أصولها المكتوبة بخط مبدعها، ونسخ ما استطاع من تراثه الضخم، وتباحث في مسائلها مع كبار صحب زروق من المستقرين بضريحه أو المترددين إليه من المشرق والمغرب، وهذا قبل أن يدخل المغرب الأوسط، ويأخذ عن الشيخ الراشدي.

الاتجاه الثاني، وقوامه تلامذة الراشدي الذين دخلوا المغرب لنشر الطريقة الراشدية به، وأنشأوا على هذا الأساس طوائف وزوايا به. وقد تزعمتهم الطائفة "اليوسفية" التي بالغت في التأسي بالراشدية التي تسللت منها إلى درجة انتحال أحد أسمائها والتعفف عن اتخاذ اسم يخصها ويميزها عنها، وظلت تعرف بهذا الاسم طوال

القرن العاشر (16 م). وستدعى من بعده، وعلى مدى تاريخها الطويل الممتد إلى القرن الرابع عشر (20 م)، بتسميات متعدد. منها ما ارتضاها أتباعها لأنفسهم كالأحمدية والملاينة نسبة إلى الشيخ أحمد بن يوسف وضريحه بمليانة، ومنها أطلقها خصومهم عليهم كالبضاضوة نسبة إلى الإباضية، والشراگة نسبة إلى القبائل التي طرأت على المغرب من المغرب الأوسط، والعكاكزة نسبة إلى العكاز أحد شعارات الفقر، وهي التسمية التي اشتهرت بها هذه الطائفة أواخر الدولة السعدية وصدر الدولة العلوية، وطغت على كافة تسمياتها السابقة. بالإضافة إلى القبائل التي ظلت على هذه النحلة إلى مطلع القرن الرابع عشر (20 م)، والتي لم تعد تعرف إلا بأسمائها كالزكارة وبني محسن والغنانمة والملاينة. وتعبر تسميات خصوم اليوسفيين عن رغبتهم في قطع صلتهم بالراشدية، واخراجهم من سلك التصوف بالمرة، والزج بهم في دائرة أهل الملل والنحل.

الاتجاه الثالث، وقوامه الطوائف والزوايا المتصلة السند بالشيخ أحمد بن يوسف، والتي حدث مشايخها بسندهم إليه بمقالة "من رأى من رآني إلى سبعة ضمنت له الجنة". وهي مقالة سابقة في تاريخ التصوف الإسلامي والمغاربي لتأسيس الطريقة الراشدية، ومتسلسلة في سندها إلى الشيخين عبد القادر الجيلاني (ت.561 / 1167) وعبد الرحمن الثعالبي (ت.875 / 1470). وقد قال الشيخ الراشدي بهذه المقالة التي تنسجم مع موقف الإنسان من الوجود في مذهبه، والمنبني على تجاوز الكون الأخروي نعيمه وجحيمه إلى مبدع الكون وخالقه. ويبدو أن المقصودين بها هم العوام من الأتباع ممن لا قدرة لهم على فهم مذهبه في صورته النظرية والمجردة. والمشايخ الذين تواردوا على نقل هذه المقالة وإشاعتها بين مغاربة القرنين العاشر والحادي عشر (16 و17 م) هم شيوخ الغازية والناصرية والشرقاوية.

وقد تزامنت هذه الاتجاهات الثلاثة التي تفرعت إليها الراشدية، بعد دخولها إلى المغرب في حياة الشيخ أحمد بن يوسف، خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م). وصادفت الأيام المعتمة للمتأخرين من بني وطاس، والمتسمة بكساد سوق العلم، وتعطل الاشتغال بالفكر. فلم يميز بينها معاصروها من الفقهاء والصوفية المغاربة، وبادروا إلى معارضتها، وأغروا المخزن الوطاسي بمكافحتها. وامتحن الجيل الراشدي الأول من قبل السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسي المعروف بالبرتغالي، الذي تسنم عرش مملكة فاس ما بين 911-931 / 1505 - 1524. وفرغ الشيخ أبو البقاء عبد الوارث اليالصوتي (ت. 971 / 3. 1564) يوم 17 رمضان942 /10 مارس 1536 من رسالته الموسومة *المسلك القريب الموصل إلى حضرة الحبيب*، التي حمل في مواضع متفرقة منها، على الطريقة الراشدية شيخاً ومذهباً وأتباعاً.

ويؤرخ عهد السلطان عبد الله الغالب بالله السعدي (965 ــ982 / 1557 ــ 1574) لذويان الطوائف والزوايا الراشدية بالمغرب في النسيج العام للحياة الصوفية السائدة في البلاد، واستعصاء اليوسفيين عن هذا التحول والانقلاب. وتسجل المصادر انتقال بدعتهم من بدايتها وقوامها النحلة الراشدية إلى متوسطها وهو الغلو في محبة الشيخ أحمد بن يوسف، وإشارة الفقهاء على هذا السلطان بحسم مادة طائفتهم، فقاد جماعة منهم إلى السجن وقتل آخرين.

وبلغت البدعة اليوسفية نهايتها، وهي الظهور بالإباحة، وذلك في المصادر المصنفة أواخر القرن العاشر (16 م). وأفاد اليوسفيون من زمان الفترة الطويل الذي امتد من وفاة السلطان أحمد المنصور (ت. 1012 / 1603) إلى قيام الدولة العلوية، وجرأهم تهاون الحكام في شأنهم على استحكام بدعتهم، وظهورها ظهوراً خطيراً. وبادر السلطان المولى رشيد عام1080 /9، 1670 إلى استفتاء العلماء في قضيتهم، فأفتاه ثلاثة من أعيان علماء العصر. وهم قاضي الجماعة بالحضرة الفاسية محمد بن الحسن المجاصي (ت. 1103 / 1691) الذي حرر ثلاثة أجوبة في نازلتهم، والفقيه عبد المالك التجموعتي (ت.1118 /6، 1707)، والإمام الحسن بن مسعود اليوسي (ت. 1102 / 1690) الذي صنف فيهم فتواه الشهيرة برسالة العكاكزة.

وأدى اختلاف العلماء في نازلة اليوسفيين إلى تشعب مسألتهم، وطول مرحلة التفاوض والتشاور في شأنهم. وعلى الرغم من قول كل من اليوسي والتجموعتي بزندقتهم، فقد عمل السلطان برأي المجاصي قاضي الجماعة، ونفذ فيهم حكم الردة والاستتابة، وسجن جماعة من مشايخهم في فاس شهوراً، ثم أطلقهم بعد تحقق توبتهم. وسيعمد السلطان المولى إسماعيل بعد مضي عقدين من حكمه إلى نكبة اليوسفيين عام1102 / 1691، فخرب أنشط وأهم مراكزهم الواقعة في تادلا وزمور، ونفذ حكم الزندقة في مشايخهم ولم يستتبهم، وقتل ثلاثة وستين منهم. وبدد تراثهم، وفرق شمل عوامهم وأجلاهم عن مطاعنهم إلى حيث لا شيعة لهم، ونفاهم خلال القبائل التي لا تدين بنحلتهم.

وقريباً من محاكمة اليوسفيين في خلافة السلطان المولى رشيد تبرأ نفر من الناصريين من الشيخ مَحمد ابن ناصر (ت. 1085 /4، 1675) لقوله بمقالة "من رأى من رآني إلى سبعة ضمنت له الجنة"، وكتبوا في ذلك كراسة، وأضرموا على الزاوية الناصرية نار الفتنة بسجلماسة. وقالوا إن هذه المقالة توقع الناس في الأمن وفي الإعراض عن علم التوحيد، زيادة على أنها لا وثوق بها ولا يعول عليها بحال. وانبرى الإمام اليوسي للرد على خصوم شيخه ابن ناصر هؤلاء في كتابه *المحاضرات*، واجتهد في تأويل هذه المقالة، وذهب إلى القول إنها تذكر على طريق الرجاء، وأن

الأمر جائز لا يمنعه عقل ولا شرع. وتكرر التأليف بعده في قضية ضمان الجنة هاته التي أصبحت من بين القضايا الصوفية الحيوية التي أثارت جدلا كثيراً. واختلف الناس في أمرها، وانقسموا ما بين محبذين منتصرين ومنكرين معترضين. فكتب فيها أحمد بن محمد بن السيد الحسني (كان حياً عام1095 /3 ، 1684) رسالة تكلم فيها على الكراسة الموقعة من قبل أولئك المعترضين على الشيخ ابن ناصر، ونقض ما جاء بها عروة عروة. وأفرد فيها المؤرخ محمد الصغير الإفراني(ت. ما بين 1156 ، 1157 / 1743 و 1744) تأليفاً مستقلاً بعد من ضمن تآليفه الضائعة والمنسية.

وخبا ذكر اليوسفيين في المصادر المغربية خبواً يكاد يكون تامّاً، بعد خضد شوكتهم على يد المولى إسماعيل في مطلع القرن الثاني عشر (18 م)، وظلت بعض المجموعات الناجية من فرقتهم تحافظ على ذبالة نحلتهم. واهتدى إليهم الرعيل الأول من الإتنوغرافيين الفرنسيين في مطلع القرن الرابع عشر (20 م)، ولم يعرفوهم إلا بأسمائهم من زكراوين ومحسانيين وغنانميين ومليانيي. ولم يأبهوا بصلتهم بضريح مليانة ومحبتهم في دفينه، وأركابهم التي تشد إلى مواسمه وخدمتهم لحفدته، وانتظام "أولاد سيدي أحمد بن يوسف" في المجموعات المشكلة لبعض قبائلهم. ولم يخلصوا من ذلك إلى انتسابهم إلى الطريقة الراشدية، أو اتصال أمرهم بتاريخ التصوف المغربي. وعدوا ذلك من ضمن عناصر الحياة الدينية لهذه القبائل، وهو عنصر تبجيل الصلحاء. بل إن معظمهم كان يشك في تغلغل الإسلام خلال هذه القبائل، ولا يخامره ريب في قدم نحلتهم، واتصالها بالمعتقدات البدائية والشعائر الوثنية الطبيعية.

ع. الوارث اليالصوتي، *المسلك القريب الموصل إلى حضرة الحبيب*، مخطوط خ ح5723 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 237 ـ 240 ؛ ع. نجمي، طائفة العكاكزة، 2 : 265 ـ 438.

L. Rinn, *Marabouts et Khouans*, Alger, 1884, 40, 271- 273 ; X. Coppolani et O. Depont, *Les confréfies religieuses musulmanes*, Alger, 1897, 461 - 467.

عبد الله نجمي

الراضي (أولاد -) أسرة فاسية ذكر في *إزالة الالتباس* أنهم أهل معاش وحرفة. ويوجد بالرباط أيضاً أولا ابن الراضي، ولا يعرف إن كانت لهم قرابة بالفاسيين. على أن أكثر آل الراضي يوجدون في قبيلة بني حسن المستقرة شمال مدينة سلا، وهم من الصفافعة الغربيين المشتملين على ثلاثة بطون : أولاد حَنُّون وبنو ثَوْر والدواغر. وإلى هذا البطن الأخير ينتمي أولاد الراضي، فهم من فخذة أولاد خَدْلة المنقسمين إلى ستة دواوير حسناوية أصيلة، هي أولاد الراضي وأولاد ابن عائشة والشياطبة وأولاد سعيد والخيايطة والمراونة بإضافة دوار الفقراء الدرقاويين إليهم. وكان القواد من أولاد الراضي في وقت مّا يحكمون جميع الصفافعة الذين كانت خيامهم تبلغ نحو 1765 وحدة.

وقد صمتت المصادر عن الجد الأول لآل الراضي وهو الطاهر ابن الراضي الذي يظهر أنه كان قائداً قبل سنة 1262 / 1846 . وتولى قيادة القبيلة بعده بعض أبنائه وأحفاده.

الراضي، أحمد بنعبد الله بن الطاهر، كان قائداً على قبيلته الحسناوية سنة 1311 / 1894، اعتباراً لجانب أبيه وجده. ومكث في القيادة إلى عهد الحماية. كان سنة 1350 / 1930، يسكن مع أولاده بمدينة سلا، لأنه تزوج من بعض بنات السلاويين، وبها توفي بعد هذا التاريخ.

م. بوشعراء، *علاقة المخزن بأحواز سلا*، ص. 155 ـ 116 ؛ *كناشة الحاج أبي بكر الصبيحي* ؛ *وثائق الخزانة الصبيحية*.

مصطفى بوشعراء

الراضي، أحمد بن **المنتصر** من قبيلة بني حزمر الغمارية في الشمال، كان قائداً يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته وانضمّ إلى حركة المقاومة المسلحة التي تزعمها الشريف أحمد الريسوني وشارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة بضريح سيدي يسف التليدي يوم 28 ربيع الأول عام 1331 / 7 ماي 1913، وبعين الدالية يوم2 ربيع الثاني /11 ماي نفس الشهر، وضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 15 شعبان عام 1331 /20 يوليوز 1913 وبقرية الزوة يوم 24 صفر 1333 / 11 يناير 1915.

كان أحمد الراضي بطلامغواراً شارك في إحدى وعشرين معركة، وتوفي في تاريخ غير محدد.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

الراضي، التهامي الحسناوي. كان سنة 1324 / 1906 قائداً على الدواغر، دون الفقراء الدرقاويين القاطنين بدوار أولاد خدلة الذين أسندت ولايتهم إلى عامل سلا الحاج الطيب الصبيحي الذي كان يبعد عنهم بنحو ثمانين كيلو متراً. فأمره السلطان بالتخلي عنهم للتهامي الراضي. ومكث هذا في الولاية نحو سنتين حتى عزل سنة1326 / 1908 وولي بوشعيب بن الجيلالي الثوري على الدواغر، فقبض على التهامي الراضي وحاز أمتعته وفتك به وما قصر، حسبما جاء في رسالة إلى الحاج الطيب الصبيحي في 23 رمضان 1326 / 26 أكتوبر 1908.

الراضي بن الطاهر بن الراضي الحسناوي، أشهر قوّاد هذه الأسرة وأحد ولاة بني حسن الكبار في القرن الثالث عشر (19 م). كان سنة 1279 / 1862 قائداً على الصفافعة، حسبما جاء في رسالة الطيب بن اليماني بوعشرين في 9 ربيع الأول 1279 / 4 شتنبر 1862، وفيها أنه منع إخوانه من حمل القمح والشعير إلى مدينة سلا. وذكرت رسالة السلطان إلى الراضي في 16 شوال 1280 / 25 مارس 1864 أن علي بن إبراهيم الوزاني كتب إليه يقول إن الراضي أضر بأولاد ابن العربي النازلين في عزيب زاويته، واعتقل واحداً منهم، وقبض منه 200 مثقال، وحبس آخر بسجن مهدية، فأمره السلطان أن يبقيهم على حالهم ويبين سبب السجن وأخذ المال من أحدهم.

مكث الراضي عاملاً إلى حدود سنة 1283 / 1868، حيث عُزل وسجن وعُين مكانه محمد بن العربي بن خدة الثوري. وقد تبعت نكبةَ العزل والسجن مصيبةُ القبض على أقاربه، ومنهم عمّه التهامي ابن الراضي الذي سجن مرتين في ظرف عشرين سنة (1847 ـ 1867).

وبعد عزل الراضي صدر أمرُ السلطان سنة 1284 / 1867 إلى عامل سلا ليحوز لجانب المخزن داره وديار أبناء عمه الفارين إلى زمور لأن بقاءها بأيديهم مع فرارهم وفسادهم تجرئ على مثل فعلهم، ولكون ذمتهم عامرة بمال بيت المال حسب رسالة السلطان في 12 ربيع الثاني 1284 / 13 غشت 1867. فنفّذ العامل بنسعيد ما أُمِر به.

كان الراضي مديناً، وكأنّ دوره المستصفاة منه لم تكف في تسديد ما عليه، فاستأذن السلطان "في بيع دوره التي بسلا، فإذا سُمسرت ـ كما يقول السلطان ـ ووقفت على آخر زائد، فلا يُمضَ البيع فيها إلا عن إذننا ومشورتنا وإعلامنا بما تقف عليه، لنأمر بما يقتضيه نظرنا".

وحتى دينه على الناس ظل محتجزاً، وهذا ما يفهم من رسالة العاهل إلى عامل سلا في 8 رمضان 1286 / 12 دجنبر 1869 من أن قاضي سلا أبا بكر عواد "أخبر أن أهل الراضي الصفاعي الذي كان قائداً قبلُ استظهروا برسم دين على [illegible] وقدره نحو الألف مثقال صغير، ولما [illegible] حوزه ورفعت [illegible] القضية أمرهم بالإتيان بالوكالة و[illegible] جانبنا العالي بالله لكونه مستغر[illegible]

كان الراضي [illegible] 128[illegible] / 1868 فأوصى الحاجب عليه الخليفة الأمير مولاي الحسن حتى ينعم بتمام التسريح، وقبلها أوصى أيضاً عامل سلا على ولده المسمى بنعبد الله. وكان الأمل قوياً في الإفراج عن الراضي سنة 1287 / 1870، حتى إن قائد عبدة عيسى بن عمر طلب أنه "إذا سرح الراضي الصفاعي أن يتوجه عنده ليستريح أياماً نحو الشهر من غم السجن وتضرره به". لكن العفوَ لم يصدر وظلت وصاية موسى بن أحمد متصلة فطلبه أيضاً من الخليفة مولاي عثمان سنة 1290 / 1873.

لم تنصرم السنة الأخيرة حتى اعتلى العرش مولاي الحسن فأمر بإشخاصه إليه، ثم عينه مرة أخرى قائداً، وأمر أن ترد له دوره التي كانت محجوزة بسلا، فمكث في منصبه خمس سنوات من سنة 1290 إلى 1296.

وفي السنة الأخيرة حلّ عليه غضب السلطان وامتحن أقاربه كذلك، فسجن هو بفاس ثم بمراكش إلى أن أرجع إلى حبس سلا.

ويظهر أن ولده المقبوض بسلا هو عبد السلام الذي كان من قبل سجيناً بمراكش وصدر أمر السلطان للإفراج عنه سنة 1302 / 1884. وسنجده بعد ذلك قائداً عسكرياً سنة 1306 / 1889، وسيلعب عند وفاة مولاي الحسن دوراً آخر. فيروي المختار السوسي أن الجامعيين أمروا القائد العسكري عبد السلام باغتيال السلطان وحاجبه ابّا احماد أثناء صلاة الجمعة، لكنه أخبرهما بالمؤامرة عليهما.

كما أُفرج عن أخيه الحاج بنعبد الله الذي كان سنة 1303 / 1886 سجينا وبعدها نجده منخرطاً في الجيش برتبة أغا.

وقد سُرح الراضي وولداه ورد إليهما وإليه بعض الاعتبار. ولم أقف على مكان إقامة القائد المعزول بعد تسريحه مباشرة لكنه كان سنة 1304 / 1887 مرحلا إلى إيالة بوسلهام بن المصطفى الرمُوش قائد سفيان، بعد أن أصحب معه عدداً كثيراً من الصفافعة الذين تركوا محلهم بقبيلتهم فارغاً، والطريق المارة عليهم خالية. ولذلك أمر السلطان القائد الرَمُوش المذكور بردهم جميعاً لعمارة بلادهم، وبأن لا يترك مع الراضي إلا أربع خيام لأقاربه : حمو بن الحسن، وولده التهامي بن الراضي وابن عمه، وولد ابن محمد، وعبد السلام وبعث العاهل لقائد سفيان خمسة من المخازنية لرد الباقين إلى أرضهم.

وقد التمس الراضي الرجوع لأرضه والتزم بعدم الدخول في أمر القبيلة، وذلك لعدم موافقة أرض الغرب له في الحرث، ولكثرة العيال. فعلق السلطان : "له ذلك إن وافق عليه عامله". عبد الكبير الشوري الذي كان يخاف من الراضي وشيعته.

توفي الراضي بمسقط رأسه بعد سنة 1309 / 1891.

م. بوشعراء، *علاقة المخزن بأحواز سلا*، قبيلة بني احسن، 1860 ـ 1912، ص. 104 إلى 110 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 20، ص.19 ؛ وثائق بنسعيد ؛ *الوثائق الملكية*.

مصطفى بوشعراء

الراضي، عبد السلام، رياضي كبير من أبطال ألعاب القوى على المتسوى المغربي والعربي والأوربي. ولد في أواخر العقد الثالث من القرن الرابع عشر (20 م) بأحواز مدينة فاس ونشأ في وسط فقير.

كان مولعا منذ صغره بالعَدْو ومنافسة أترابه إلى حين

استد عوده، فانخرط في إحدى الأندية الرياضية. بدأ يبرز على الساحة العالمية كعداء من العيار الثقيل حين شارك في سباق الأمم بالبرتغال سنة1959 فدخل ثامنا في الترتيب العام، وفي سنة1960 أحرز على بطولة العالم بإسكتلندا باحتلاله الصف الأول. كما شارك في سباق الأمم بنانط بفرنسا وشيفيلد بانجلترا وسان سبتيان بإسبانيا، كما أحرز على أول ميدالية أولمبية مغربية (عربية إسلامية) في تاريخ الأولمبياد وكانت فضية في سباق الماراطون بروما سنة 1960. وعقب إنجازاته الباهرة تقاطرت طلبات العديد من الأندية الأوربية لينضم إليها فانخرط في أحد الأندية الفرنسية وكانت بعض البلدان ترغب في أن تمنحه جنسيتها لكنه كان يرفض.



ظل عبد السلام الراضي يحقق الإنجازات الرياضية على الصعيد المحلي والعالمي إلى أواخر الستينيات حيث اعتزل الميدان الرياضي ليعود إلى الظل.

قضى هذا البطل الرياضي بقية حياته مهمشا معدما حتى سقط طريح فراش المرض وظل يعاني إلى أن وافاه الأجل يوم الأربعاء 6 رجب عام 1421 / 4 أكتوبر سنة 2000 عن عمر يناهز 75 سنة، ووري جثمانه بمدينة فاس وسط المعجبين به من الرياضيين وعشاق ألعاب القوى.

وثائق خاصة، *رواية شفوية*.

محمد بلعربي

الراضي، المحجوب مقاوم. ولد سنة1348 / 1929 بمدينة العيون والتحق بصفوف جيش التحرير منذ الانطلاقة ضمن المقاطعة التاسعة بمركز تافودارت تحت إمرة صالح الجزائري، حيث شارك في عدة معارك ضد جيش الاحتلال الإسباني، منها معركة المسيد ومعركة طريق السدرة.

وبعد أن أحرز المغرب على استقلاله عمل الراضي في حقل التجارة إلى أن مات في 11 شوال1415 / 13 / 3 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

راغون، العربي بن محمد الأندلسي التطواني، تولى منصب خليفة أول عامل على تطوان الحاج أحمد الطريس، بعد قيام الحماية وظل في منصبه قائماً بمهامه أحسن قيام إلى أن توفي في 13 ربيع الأول عام1338 / 6 دجنبر 1919.

أ. الرهوني، *مختصر عمدة الراوين*، مخطوط، ص. 95.

راغون، محمد بن محمد بن الحاج العربي الأندلسي التطواني. ولد بتطوان عام1289 / 1872 ونشأ نشأة صالحة، قرأ القرآن وحفظ بعض المتون العلمية على العادة المتبعة، وبدأ في تلقي العلم عن علماء بلده المشايخ الزواقي، وابن الأبار، والبقالي، والمؤذن، وغيرهم. ولما رشح والده لأمانة (دار عْديل) بفاس توجه معه إليها أوائل شوال عام 1309 حيث درس على المشايخ : محمد بن التهامي الوزاني ومحمد بن جعفر الكتاني وغيرهما. كما درس على بلديِّه أحمد الرهوني الذي كان ما يزال طالباً بفاس.

استُخدم محمد راغون كاتبا بدار النيابة مع خال أمه النائب الحاج محمد الطريس، وبعد وفاة الطريس عين راغون كاتباً أول للصدارة في الحكومة الخليفية أيام مولاي المهدي ابن إسماعيل، وكان ضمن الوفد المعين من قبل السلطان مولاي عبد العزيز برئاسة الحاج أحمد الطريس لحضور تتويج الملك الفونسو الثالث عشر، فكتب *رحلة* وصف فيها إسبانيا وحفلة التتويج وما شاهد فيهما مما ينبغي الوقوف عليه، ثم حج مع والده عام 1306، ولما كان كاتبا بالصدارة كتب تقارير سياسية *مهمة*، منها تقرير عن ثورة أبي حمارة وغيره، أفاد منها محمد داود في كتابه *تاريخ تطوان*، وكان له نظم وسط ذكر جملة منه الرهوني في *العمدة*.

توفي محمد راغون في 27 صفر عام 1337 / نوفمبر 1918 ودفن بحومتهم بجبل المقابر.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط، ص. (7 / 14) ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، ص. 221 ـ 297.

محمد بوخبزة

رافع (أولاد –) أسرة فاسية ذكرهم صاحب كتاب *إزالة الالتباس عن قبائل سكان مدينة فاس* وأنهم أهل علم وطلب وخيارة. وذكر منهم ـ نقلا عن كتاب *الإعلام بمن غبر* ـ أبا محمد عبد الواحد رافع الفقيه الزاهد الذي كان لا يقتات إلاّ من عمل يده، المتوفي سنة ثلاث وخمسين وألف، دفين خارج باب الفتوح.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون.

الرافعي، مَحمد بن **أحمد** الأزموري ثم الجديدي "صاعقة العلم، المتكلم الفيلسوف" بهذا حلاه صديقه القاضي عبد السلام السائح في الترجمة العلمية التي كتبها له عقب وفاته ونشرتها مجلة الثقافة المغربية الصادرة بسلا.

ولد مَحمد الرافعي سنة 1303 / 58 ــ 1886 بأزمور، ودرس على القاضي أبي النعايم أبي شعيب الأزموري، ولم يأخذ عن غيره من الشيوخ إلا قليلاً "حرك قريحته وأنبط ينابيع فكره الدفاق بما أوتي من كمال القابلية والاستعداد الفكري بالاستغراق في المطالعة اكتسب ذلك العلم الواسع، وإن الحصول على ذلك الخصب العلمي برشاش قليل من الأخذ والتلقي عزيز نادر الوجود لا يكاد يتفق إلاّ لعقل جبار كعقل الرافعي".



ساعده على ذلك خلوّ ذهنه من كل علاقة تمتص من قوة فكره، وراحةٌ مستمرة إذ عاش عزباً لا تلتقي صفحة خده إلا بصحيفة كتاب عزوفاً عن الولايات والمناصب، قضى حياته منهمكاً في المطالعة والبحث والنظر يستغرق في ذلك الليل كلِه حتى يغشاه النهار، عاش على ذلك دهراً طويلاً.

"درس الرافعي الفلسفة دراسة عميقة وتشبع من مذاهبها وآرائها فتكيف بها فكره واصطبغ بها ذهنه، فكان يُفرغ ما يُلقى عليه من المعلومات على قالبها، ويكسوه بحلتها، فلا يرى إلاّ بعين النقد والتحليل، والفحص والتعليل... لا يتهيب الأفكار ولا يتردد في مطاولة الأقران، بل يهجم على ما يخالف نظرياته هجوماً لأول وقوع الطرف... إلاّ أن كتابته مشتبكة معقدة لا يتمكن من حلها إلاّ مَنْ عاقرها طويلاً. وما أخوفني أن تكون سبباً لضياع علمه".

كان الرافعي مثار إعجاب كلّ من اتصل به من المفكرين الكهول والشيوخ، وحتى المثقفين الشباب الذين درسوا دراسة حديثة كانوا يحاورونه ويستفيدون من معارفه وغوصه في المباحث العلمية الدقيقة.

من مؤلفاته :

رسالة في شرح وحدة الوجود.

رسالة في تحقيق معنى العقل والنفس الكلية.

رسالة صغيرة في تفسير الهيولي.

رسالة في الأطوال.

شرح قول القطب ابن مشيش : واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي...

أصيب الرافعي قبل وفاته بضعف عصبي وبجفاف في الدماغ نشأ عن كثرة النظر والسهر، وتوفي بالجديدة يوم الجمعة رابع عشر رجب عام 1360 / 8 غشت 1941.

ع. السلام السايح، *ترجمة مَحمد الرافعي*، مجلة الثقافة، العدد 3، فاتح أكتوبر، سلا، 1941 ؛ ع. ابن سودة ، *إتحاف المطالع*، سل *النضال*/ *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 3082 ـ 3083.

محمد حجي

الرافعي، محمد بن **علي** بن محمد الأندلسي التطواني، ولد في حدود سنة 1040 / 1630 ودرس بمسقط رأسه على الشيخ الحاج علي بن محمد بركة التطواني والقاضي محمد بن قَرِّيش وأقرانهما. كما قرأ على أبي علي الحسن اليوسي والشيخ محمد ابن ناصر الدرعي وغيرهما.

كان الرافعي صوفيا معتقداً سليم الصدر كثير النظم في المديح النبوي ومدح الصالحين والأولياء، والتعلق بهم. جمع شعره في *ديوان*، وله أيضاً رحلة إلى الحج سماها : *المعارج المرقية، في الرحلة المشرقية* ؛ *وتأليف في الترسل* والرسائل سماه *غرر المقاصد والمطالب، ودرر الرسائل لكل طالب* ؛ ومجموع *في الأدعية والأذكار*، ضم هذه المؤلفات الثلاثة مجلد في نحو خمسمائة صفحة كبيرة يوجد بخزانة محمد داود بتطوان.

وقد لخص هذه الرحلة الفقيه الرهوني في *عمدة الراوين* في ترجمة مؤلفها الرافعي وجلب من أنظامه في مدح رجال تطوان كالسعيدي ـ ويعبر عنه بالصعيدي بالصاد، وعلي ابن مسعود الجعيدي، وعلي الفحل، وطلحة الدريج، والمصيمدي. ورحلته لا تخلو من فوائد لأنه يصف المنازل والمدن التي مر منها هو وولده أحمد بعد خروجهما من تطوان ظهر ثامن جمدى الأولى عام 1096 / 12 أبريل 1685. وما ورد في *مختصر تاريخ تطوان* لمحمد داود من أن الرحلة كانت عام 1196 فسبق قلم. ويذكر كذلك مَن اجتمع بهم من الفقهاء، ومن زار أضرحتهم من العلماء، والأولياء،

على أغلاط وقعت له في ذلك، منها ذكره أنه زار قبر الإمام عبد الحق الإشبيلي بالجزائر، وهو مدفون ببجاية. ومنها زيارته لقبر الششتري بالقاهرة، وهو انما مات بقرية الطنية قرب دمياط، كما ذكر زيارته لقبر البوصيري بالقاهرة وهو دفين الأسكندرية.

وذكر الرافعي أنه حضر دروس المشايخ عبد الباقي الزرقاني، والخرشي والشبراخيتي شراح مختصر خليل، وهكذا استمر في رحلته واصفا المراحل والأماكن مُسمياً من يأخذ عنه أو يجتمع به، وقد أورد المهمَّ من رحلته ونظمه ورسائله محمد داود في *تاريخ تطوان*.

ومما يجدر ذكره أن *رحلة الرافعي* و*ديوانه* في نسختهما المشار إليها قد اطلع عليها عدد من علماء عصره وأدبائه فقرظوها له، منهم شيخه علي بركة التطواني، وأحمد بن عبد الحي الحلبي الفاسي، والوزير الغساني، والأديب محمد المفضل الأندلسي ومحمد بن زاكور الفاسي، وهذه التقاريظ مثبتة بآخر المجلد بخطوطهم.

لا يعرف تاريخ وفاة المترجم إلا أنه عاش إلى عام 1125 / 1713.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط، ص. (7 / 45) ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، تطوان، د. ت.(1 /390) ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، طبع تطوان، ص. 283 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، (6 / 295) ط. رابعة ؛ م. ماگامان، *الرحلات المغربية في القرنين 11 و12 للهجرة*، د د ع ، مرقون بكلية الآداب الرباط.

محمد بوخبزة

الرامُون، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ramon ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1162 / 1749.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمرجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 694.

محمد ابن عزوز حكيم

الراموش (أولاد -) أسرة فاسية عريقة، ذكرها صاحب *إزالة الالتباس* وعدّ منهم المجذوب حمُّ الراموش (ت. 1123 / 1117) الذي ينسب إليه مسجد الراموش بفاس. ورأى ذكرهم بفاس في وثيقة مؤرخة بعام اثنين وعشرين وألف، وأنّ عين الراموش توجد بجانب المسرة قرب زواغة خارج فاس الجديد. ولا يعرف إن كان أولاد الراموش ما تزال منهم بقية بفاس.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، ج 1، مرقون.

الرامي (أولاد -) أسرة فاسية نبيلة أصلها من بلاد توات، بين حسب ونسب وثروة. عرفوا منذ أجيال بسدانة جرم المولى إدريس الأزهر، فمنهم يكون مقدّم الضريح ونقيب الشرفاء الأدارسة أصحاب الإراثة بفاس السبعة عشر ما عدا العلميين منهم المذكورين في الظهير الأول للسلطان سيدي محمد بن عبد الله.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون.

الرامي، الحسن بن أحمد الفاسي من المتخرجين الأولين من ثانوية مولاي إدريس بفاس المثقفين ثقافة عصرية مزدوجة الذين اهتموا بالتأليف المدرسي باللغة العربية أيام الحماية، فقد نشر بالاشتراك مع زميله في الطلب محمد بن الحسن التازي كتاب *مجمل جغرافية المغرب* في مطبعة النهضة بفاس سنة1353 / 1935 فكان فتحاً جديداً في بابه أفاد منه كثيراً طلبة القرويين وتلاميذ روافدها من المدارس العربية الحرة.

تولى الحسن الرامي نظارة أوقاف ضريح المولى إدريس بعد وفاة والده، واستمر في عمله إلى وفاته عام 1365 / 1946 ودفن بروضة الأدارسة ببني مسافر.

إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988 ؛ ص 55 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 :3220 ؛ *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، ط. 2، 1960، ص. 55.

الرامي، محمد الفاسي، فقيه أديب من أصحاب الشيخ المهدي ابن سودة الذين ذكوهم في *تقييده*. لم يقف له مؤلف *إتحاف المطالع* على ترجمة في كتاب إلا أنه اطلع على بعض آثاره الأدبية، وهي تدل على أنه كان مشاركاً مطلعاً يقول الشعر. وعثر له على مقطوعة يمدح بها قائد فاس الطيب البياز (ت. 1259).

توفي محمد الرامي بفاس في تاسع وعشري شعبان عام 1261 /2 شتنبر 1845.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 :2575.

محمد حجي

الرامي، محمد مقاوم من مواليد سنة 1916 بگزناية إقليم تازا، ومن الرعيل الأول من المجاهدين الذين كافحوا في سبيل استقلال البلاد وعودة محمد الخامس إلى عرشه.

انخرط في صفوف جيش التحرير بالمنطقة الشمالية بنواحي إقليم تازا تحت قيادة عبد الله الزكريتي بمركز بوردا وشارك في عدة معارك شهدتها المنطقة ضد الاحتلال الأجنبي إلى أن أحرز المغرب على استقلاله.

توفي بمدينة مكناس في 13 جمادى الأولى عام 1416 / 8 أكتوبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، رقم 1941.

الرّاميرس ويكتب الرّاميريسْ أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Ramirez وRemirez ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1200 / 1786.

ومن أفرادها الذين تذكرهم *الوثائق* :

الراميرس، علي بن محمد وأبناؤه قاسم وعبد السلام والصافية، كلهم كانوا على قيد الحياة سنة1088 / 1677).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمرجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 695.

محمد ابن عزوز حكيم

الرايس (أولاد –) أسرتان كبيرتان بفاس وتطوان. ويوجد أولاد الرايس كذلك في العدوتين سلا والرباط وربما في غيرهما أيضاً لكن بقلة.

أولاد الرايس بفاس فرقتان : إحداهما من قبيلة بني حسن، وهم أهل معاش وحرفة ومال ؛ وفرقة من سوس أهل معاش وحرفة وثروة كذلك. ولعل من هذه الفرقة المقرئ عبد الرحمن الرايس آتي الترجمة. وينسب إلى أولاد الرايس مسجد بأسفل راس الشراطين حتى الآن.

وأولاد الرايس بتطوان أصلهم من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Arraez وArraiz ؛ وقد أرغم مَن بقي بالأندلس من أفراد هذه الأسرة بعد سقوط غرناطة على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Arraiz - Arraliez - Arraez.

وكانت بتطوان أسر أخرى تحمل نفس الاسم، إحداها من قبيلة بني حسان، وأخرى من قبيلة حوز تطوان، وثالثة من الجزائر.

الرايس، أحمد بن **عبد الرحمن** الفاسي، إداري محنك تقلب في عدة مناصب على عهد الحسن الأول. فكان خليفة لعامل فاس الباشا بوشتى ابن البغدادي، واختلف معه ورفع أمره إلى السلطان، فوجهه إلى مراكش وبقي بها إلى أن استدعاه مرة أخرى إلى فاس ليضطلع بمهمة الحسبة بعد وفاة المحتسب المهدي بناني وظل يقوم بأعماله إلى أن توفي فجأة مساء يوم الخميس سابع وعشري رمضان عام 1305 / 7 يونيه 1888.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2774.

الرايس، أحمد بن **محمد** التطواني فقيه زاول خطة العدالة في تطوان من سنة 1201 إلى سنة 1221.

الرايس، عبد الرحمن بن محمد الفاسي، أستاذ مقرئ متمكن من علوم القرآن والتجويد والقراءات السبع جمعها على شيخ جماعة المقرئين في عصره الإمام عبد الرحمن ابن القاضي الفاسي وغيره، كما درس علوم اللغة وقواعدها والفقه فروعه وأصوله علي الشيخين أحمد الفاسي وأحمد ابن الحاج وغيرهما.

كان محل إقرائه بمدرسة العطارين يلقن الطلبة القراءات بالروايات، ويدرس لهم *الألفية والشاطبية والرسالة والكراريس* وغيرها، فكثر تلاميذه وعظم الإقبال عليه. وكان إماماً بمسجد الفاصين من عدوة فاس القرويين، لم يؤخذ عليه إلا مبالغته في الجمع بين العشاءين لأدنى سبب.

توفي بفاس عام 1109 / 1697.

م. القادري، *نشر المثاني* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 5 : 1844-1845.

محمد حجي

الرايس، عبد الكريم (الحاج –) موسيقيّ شهير. ولد بمدينة فاس عام1331 / 1912، وتربى في أسرة مولعة بموسيقى الآلة فنهل من نبعها، وهو حفيد أحد رجالات



الأستاذ الحاج عبد الكريم الرايس

الفن في القرن السابق العالم الفنان محمد بن محمد الرايس آتي الترجمة.

وقد كانت الظروف مواتية لتنشئة الحاج عبد الكريم الرايس تنشئة فنية مكتملة، فإلى جانب ما أوتي من موهبة تبدت معالمها منذ طفولته ثم تفتحت في ريعان شبابه، أسعفه الحظ إذ هيأ له أن يتتلمذ على ثلة من أعلام طرب الآلة في فاس وإلى جانبه نخبة من الزملاء الذين أصبحوا فيما بعد من حذاق هذا الفن بالمغرب مثل أحمد الوكيلي، وليرور التازي، والحاج محمد الاخصاصي، ومحمد دادي، والغالي الشرايبي، وإدريس اسميرس ومحمد التويزي، ومحمد العراقي، ومصانو التازي، وغير هؤلاء. ففي رفقة هذه الزمرة أقبل على دراسة الموسيقى الأندلسية، فأتقن العزف على سائر آلات جوق هذه الموسقى، وحفظ النوبات الإحدى عشرة. و كان في مقدمة شيوخه الفنان التطواني الأصل الفاسي المقام عبد القادر كريش، ثم صهره محمد بن عبد السلام البريهي رئيس الجوق الفاسي. وما أن حلت سنة 1933 حتى فتح له البريهي المجال ليلتحق بالجوق عازفا على آلة العود.

لازم عبد الكريم الرايس شيخه البريهي أحد عشر عاما، حتى إذا وافاه الأجل عام 1364 / 1944 خلفه في رئاسة الجوق. ثم آلت إليه إدارة المعهد الموسيقي التابع لوزارة الثقافة سنة 1960، وبذلك تجمعت لديه مسؤولية جوق البريهي ومهمة الاضطلاع بتكوين الأجيال الناشئة المتطلعة إلى تعلم "طرب الآلة". وأنجز عدة أعمال فنية يمكن إجمالها في الآتي :

ـ شارك في الجمع التأسيسي لجمعية هواة الموسيقى الأندلسية عام 1378 / 1958.

ـ شارك في تسجيل نوبات الموسيقى الأندلسية بإشراف منظمة اليونيسكو في الستينيات ؛ وكان إلى جانبه في هذه العملية أحمد الوكيلي، والحاج إدريس بن جلون التويمي، ومحمد العربي التمسماني، وآخرون منهم لبزور التازي، ومحمد التويزي، ومحمد بوزوبع، ومحمد الشافعي. وكانت هذه العملية تتوخى تقريب أنماط الأداء وتذويب الفوارق بين روايات شيوخ الآلة. وشمل التسجيل ـ يومئذ ـ ثماني نوبات ظلت أشرطتها بعيدة عن التداول، فلم تتحقق الغايات المتوخاة منها.

وقد عاود عبد الكريم الرايس الكرة في هذا المجال من جديد في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات، فسجل أربع نوبات بكاملها هي الماية، والحجاز الكبير، والاستهلال، والحجاز المشرقي، وذلك في نطاق خطة شاملة أقرتها وزارة الثقافة. وهي خطة أفضت إلى انجاز انطولوجية "الآلة" بكامل نوباتها الإحدى عشرة بتعاون مع دار ثقافات العالم.

ولعل أعظم إنجاز حققه الحاج عبد الكريم الرايس هو طبعه في بحر سنة 1982 *المستعملات ومختصر الجامعي* في كتاب سماه *من وحي الرباب*، وتكمن أهمية هذا الكتاب في كونه يجسم خلاصة أعمال اللجنة الفنية التي شكلها وزير العهد الحسني محمد بن العربي الجامعي عام 1303 بغية مراجعة *كناش* محمد بن الحسن الحايك وتنقيح بعض صنعاته واستبدال بعضها الآخر.

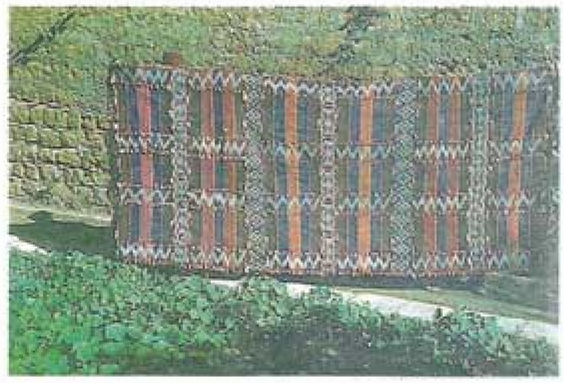
ـ إنجاز *مدونة* نوبة غريبة الحسين بتعاون مع السيد محمد ابريول أستاذ مادة الصولفيج بمعهد الموسيقى بفاس. وقدم لهذه *المدونة* المرحوم محمد زنيبر، كما حظي هذا العمل الصادر سنة 1985 بجائزة المغرب الكبرى للعلوم الإنسانية والاجتماعية.

وإلى ذلك شارك الحاج عبد الكريم الرايس بجوقه في عدة مهرجانات وطنية وعربية ودولية، وكان موضع تكريم من طرف معهد العالم العربي بباريس، وحظي بوسام الجمهورية الفرنسية في الفنون والآداب. وما تزال التسجيلات التي تحتفظ بها إذاعة فرنسا وشركة هارمونياموندي ومدينة بال السويسرية والعاصمة البريطانية موضع تقدير وتنويه.

وبعد حياة حافلة بالعطاء، مديراً ومدرساً وموجها ورئيساً لجوق المرحوم البريهي أسلم الحاج عبد الكريم روحه لخالقه بعد مرض ألزمه الفراش وكان ذلك زوال يوم الثلاثاء 12 ربيع الثاني 1417 / 27 غشت 1996.

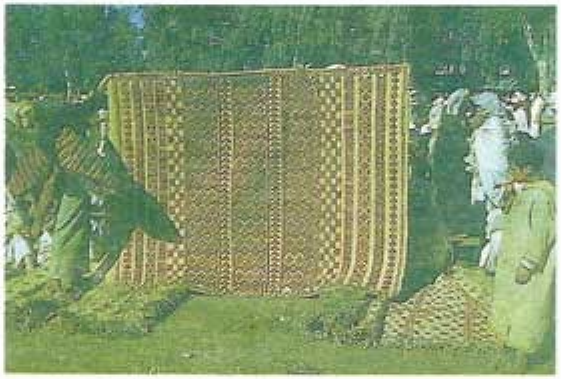
ع. الكريم الرايس، *من وحي الرباب* ؛ *روايات شفوية ومعرفة شخصية*.

عبد العزيز بن عبد الجليل



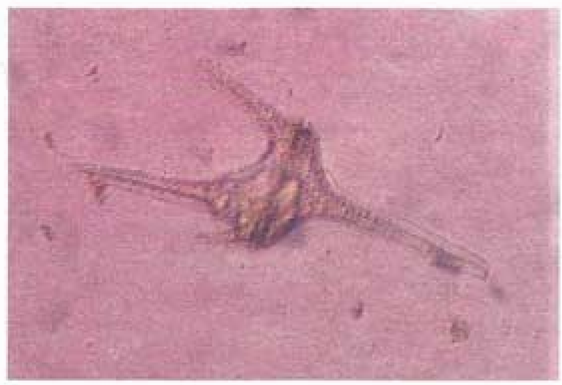
حنبل زمور

انظر صفحة 3618



حنيل زيان

انظر صفحة 3618



الخز البحري

انظر صفحة 3714



الخزّ القاريّ

انظر صفحة 3715

خلنج أبيض

انظر صفحة 3803



خلنج برانس

انظر صفحة 3803





خلنج زغبي

انظر صفحة 3803



الخنفساء

انظر صفحة 3831



الخيل

انظر صفحة 3872



الخيمة

انظر صفحة 3878

باب الدباغين بمراكش

(من داخل)

انظر صفحة 3965



باب الدباغين بمراكش

(من خارج)

انظر صفحة 3965





دغموس [illegible]

انظر صفحة 404[illegible]



دغموس أصفر

انظر صفحة 4043

دفلة بيضاء

انظر صفحة 4048



دفلة حمراء

انظر صفحة 4049



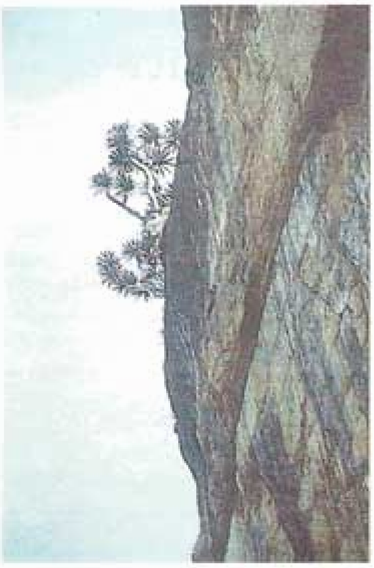
دم الأخوين في قمة جبل

انظر صفحة 4078



دم الأخوين في إفريز منيع

انظر صفحة 4078





الـــدِّير

(منطقة البهاليل)

انظر صفحة 4132



الـــدِّير

(منطقة بولمان)

انظر سفحة 4134



دودة ذبابة الزيتون

انظر صفحة 4152



علامة ذبابة الزيتون

انظر صفحة 4152

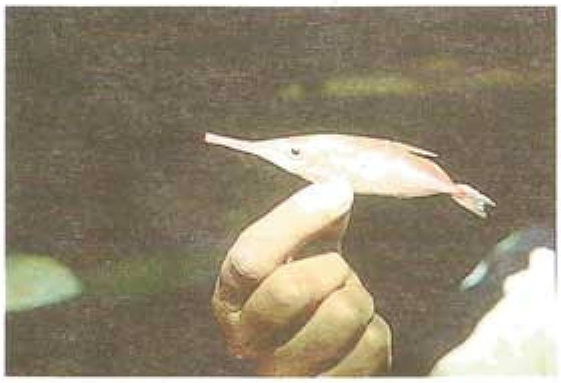
الدقة المراكشية

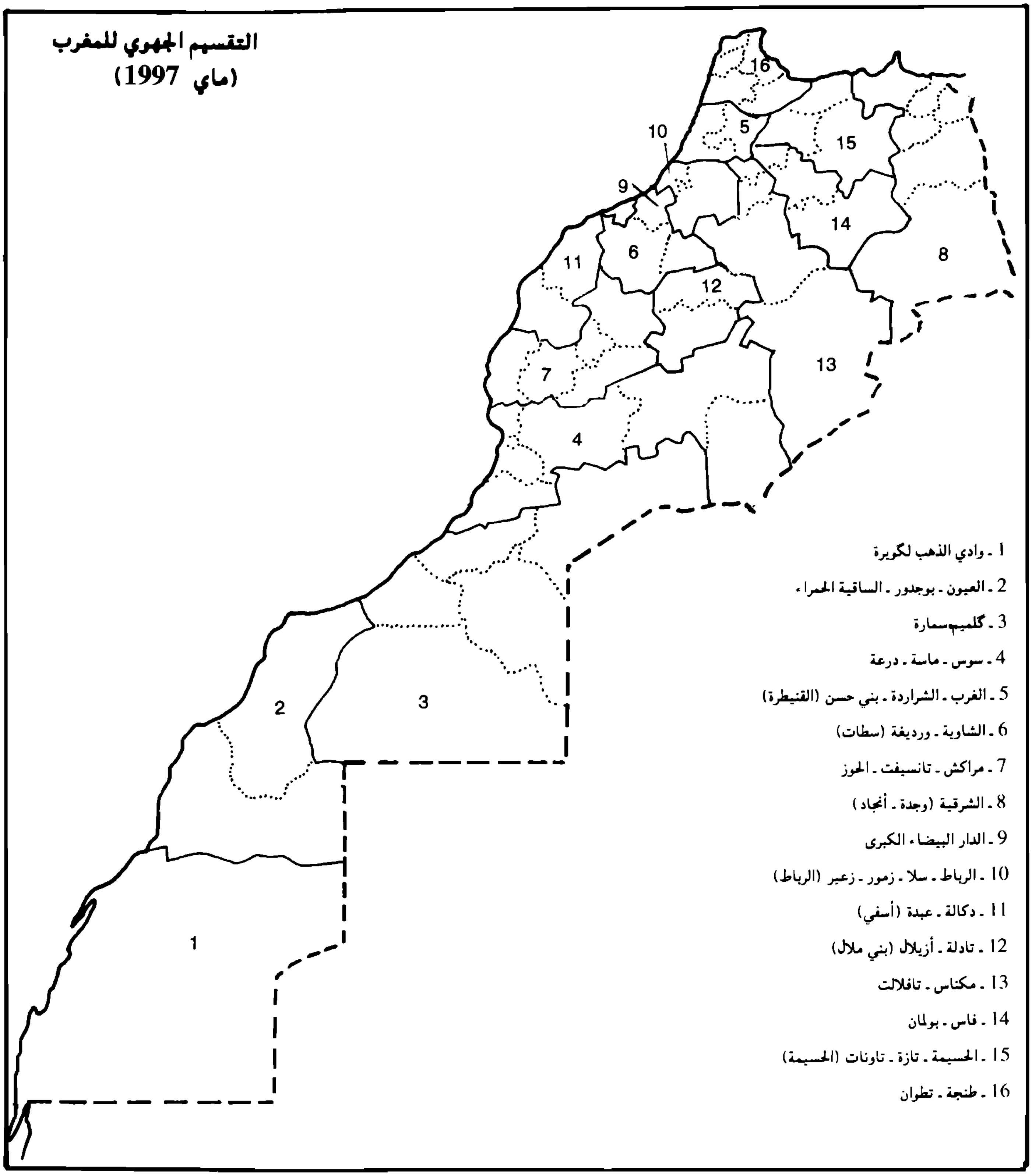
انظر صفحة 4050



سمك الرابوز

انظر صفحة 4167





تصحيح أسماء بعض الجهات

كتبت مختصرة في الجزء التاسع قبل صدور المرسوم في الجريدة الرسمية

E.I.1 : *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*
E.I.2 : *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*
E.T.A.M : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
Et. Medit. : *Etudes Méditerranéennes.*
F.M : *France - Maroc.*
F.S.S.A.N : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
G.E.M : *Grande Encyclopédie du Maroc.*
Hesp : *Hespéris.*
H-T : *Hespéris-Tamuda.*
H.T.E : *Hommes, Terre et Eaux.*
I.G : *Information Géographique.*
I.H.E.M : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
I.H.E.M : N-D : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
I.S.C : *Institut Scientifique Chérifien.*
Isl. Cult. : *Islamic Culture.*
I.S.P.M : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
J.H.S.N : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
M.A.I.B.L : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
Medit : *Méditerranée.*
M.E.F.R : *Mélanges de l'Ecole Française de Rome.*
N.A.M.S.L : *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
P.I.H.E.M : *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
P.S.A.M : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
P.S.H.M : *Publications de la Section Historique du Maroc.*
R.A : *Revue Africaine.*
R.A.P : *Revue de l'Action Populaire.*
R.C.C : *Revue de la Chambre de Commerce.*
R.D.M : *Revue des Deux Mondes.*
R.E.A : *Revue des Etudes Anciennes.*
R.E.I : *Revue des Etudes Islamiques.*
R.E.L : *Revue des Etudes Latines.*
R.G.L : *Revue de Géographie de Lyon.*
Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
R.G.M : *Revue de Géographie du Maroc.*
R.H.C.M : *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*
R.H.E : *Revue d'Histoire Economique.*
R.H.M.C : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
R.M.D.E.D : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
R.M.E : *Revue Maroc-Europe.*
R.M.F : *Revue Militaire Française.*
R.M.F.P.E : *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie.*
R.M.M : *Revue du Monde Musulman.*
R.P.P : *Revue Politique et Parlementaire.*
Rev. Inst. Hist. Mil. : *Revue Internationale d'Histoire Militaire.*
S.G.L : *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
S.I : *Studia Islamica.*
S.I.H.M : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*

Liste des principales abréviations des périodiques

A.A : *L'Afrique et l'Asie.*
A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
Acad. Sc. Col. : *Académie des Sciences Coloniales.*
A.E.S.C : *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
A.F : *Afrique Française.*
A.F : R.C : *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
A.M : *Archives Marocaines.*
A.M.S : *Archives Marocaines de Sociologie.*
And. : *Al-Andalus*
Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
Ant. Afr. : *Antiquités Africaines.*
B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
B.A.R : *British Archeological Reports.*
B.C.T.H : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
B.G.M : *Bulletin de Géographie du Maroc.*
B.I.D.M : *Bulletin de l'Information et de la Documentation Marocaine.*
B.I.F.A.N : *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire.*
B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
B.L.O.A.B : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
B.L.S : *Bulletin de Liaison Saharienne.*
B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
B.S.G.A.O : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
B.S.H.M : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
B.S.O.A.S : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
Bull. Archéol. : *Bulletin Archéologique.*
C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
Cah. Rech. Agron. : *Cahiers de la Recherche Agronomique.*
C.A.T.A.N : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
C.B.E.T : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
C.E.A : *Cuadernos de Estudios Africanos.*
C.H.I : *Cuadernos de Historia del Islam.*
C. Méd. : *Cahiers de la Méditerranée.*
C.R.A.I.B.L : *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
C.R.A.S : *Compte-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
C.T : *Cahiers de Tunisie.*
E.B : *Encyclopédie Berbère.*

تم طبع الجزء 12 من معلمة المغرب بمطابع سلا
في شعبان عام 1421 / نونبر 2000

مطابع سلا
قسمة 14، زنقة عثمان بن عفان
الحي الصناعي لتابريكت
ص.ب. 596 سلا

Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

12

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

L'Imprimerie de Salé
"SALA"

2000 - 1421

عصور ماقبل التار

	جيولوجيا - مورفولوجيا	سنوات	الترتيب الزمني		ماقبل التاريخ
					مناخات قديمة: رطب، حار، جاف، بارد
هلوسين	. كثبان . ترسبات شاطئية . ترسبات خورية . كلس وردي	0 ملاحي	غربي		الحجري الحديث الحجري القديم الكلسي
البلايستوسين الأعلى	. مواد ملء مغارات. . كثبان	2.730.000 س . ق . ح. ولجي أعلى	سلطاني	III III - II II	عاطري
	شاطئ وتكون ومغارات	75.000	سلطاني	II - I	المستيري
	كثبان	100.000	سلطاني	I	المستيري
	شاطئ حفر مغارات	ولجي اوسط	بين تانسيفتي وسلطاني		
	مركب كثباني مع 2 تكون شاطئ محلي تربات سمراء	ولجي أسفل هاروني الجهات الشمالية 145.000 سنة قبل الحالي	تانسيفتي II قبلسلطاني		الأشولي
	شاطئ	هاروني الجهات الجنوبية 260.000 سنة قبل الحالي		II - I	
	مركبات كثبانية	أنفائي أعلى	تانسيفتي I		
بلايستوسين اوسط	شاطي	أنفائي أوسط	مابين عامري و تانسيفتي		
	صخور ريحية رمادية	أنفائي	عامري II		أولى الصناعات ذات وجهين
	. تكون شطي	حركة غمرية سيدي عبد الرحمان		II - I	
	مركب من الحث الأعلى	أسفل مسعودي أعلى	عامري I		
بلايستوسين أسفل	. شط	مسعودي اوسط	بين ملوي وعامري		حضارة الحصى
	. كثبان	مسعودي أسفل	ملوي	II	
	. شط		ملوي	II - I	
	. كثبان	غمر .1.9 م. س	ملوي	I	
بلايستوسين	. تكونات دلتائية	انحسار مغربي أعلى		2.4 م. س.	

... المغرب

أهم المواقع	الخصائص الثقافية
(الكحل، الصخيرات، الكيفان،) الكحيل (طنجة) كاف تحت الغار، غار الكحل،الصخيرات الكيفان تولكين، طرفاية	ـ ظهور حرف ابتداء من القلبي ـ زراعة وتربية ماشية ـ تجمعات بشرية مهمة (الصخيرات)
ـ تافوغالت، دار السلطان،	ـ أدوات حجرية مجهرية
تمارة، القبعة الحمراء، دار السلطان، تافوغالت.	ـ قطع ذوات سوق معلاقية
ـ جبل إغود، تافوغالت، كيفان بلغماري.	ـ صنع أدوات فوق شظايا، تقصيب لوفالوا.
سيدي عبد الرحمان،م. طوماس ومواقع أخرى في نواحي الدار البيضاء، سلا الضاية الحمراء	ـ تعقد صناعات ذات وجهتين ـ أهمية القدومات.
ـ الدار البيضاء (م ـ طوماس)	ـ أولى الأدوات ذات الوجهين.
ـ الدار البيضاء (محجر ديبري)	ـ زلط معالج.

Encyclopédie du Maroc

12